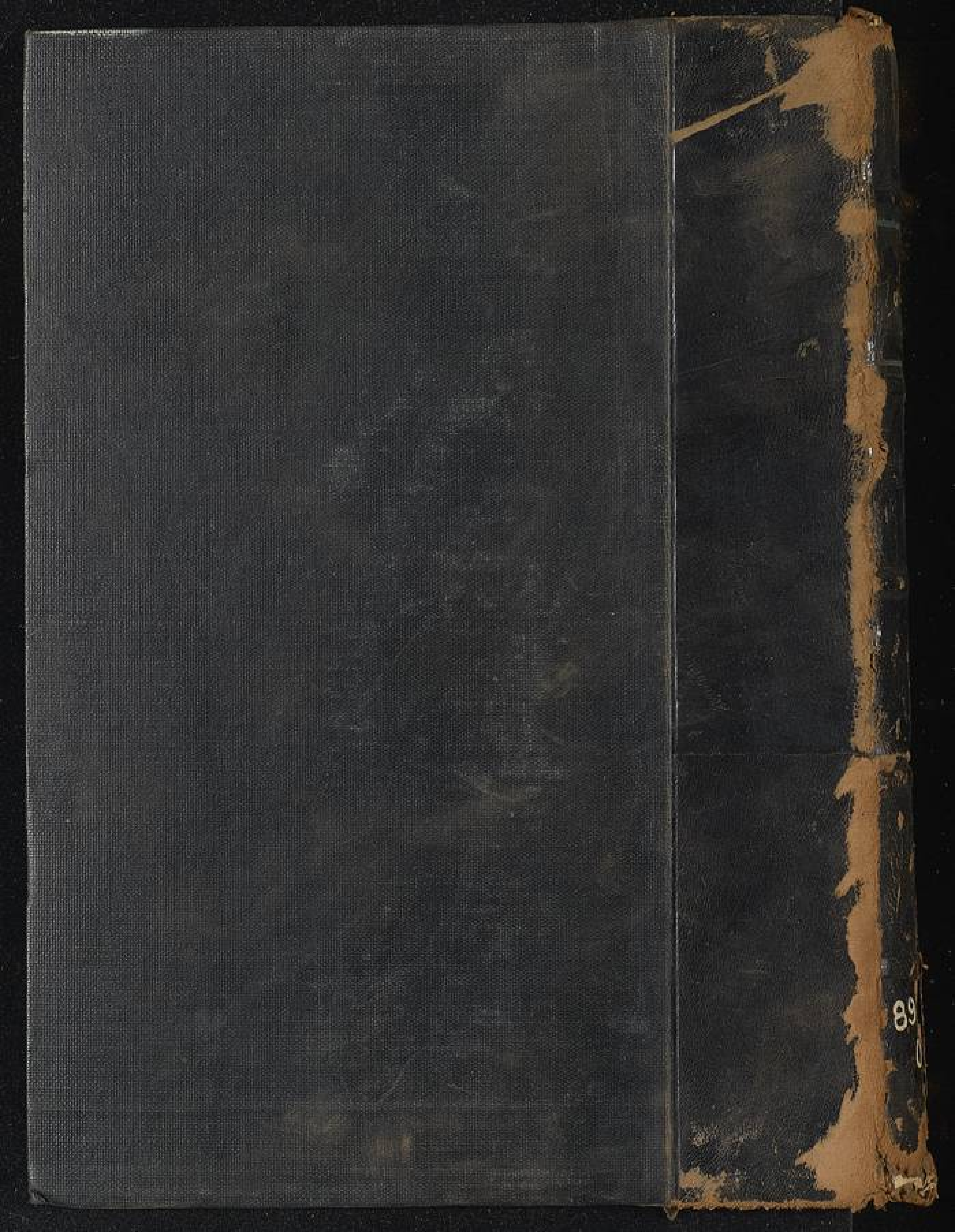




مهذب الأغانى

صنفه

محمد الخضرى

المفتش بوزارة المعارف

الجزء الرابع

فى الشعراء الاسلاميين

م . مصر شركة مساهمة مصرية
٢٠٠٠/٢٥/١٠٤٣

بسم الله الرحمن الرحيم

أبو كلدة

هو عبيد بن منقذ بن حجر الجشمي من جشم بن غَنْم ثم من بكر

شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأُمرية ومن ساكني الكوفة ، وكان ممن خرج مع ابن الأشعث ، فقتله الحجاج ، وكان من أشد الناس تحريضاً على الحجاج . ومن قوله فى بعض مواقفه

أيا لَهفى ويا حزنى جميعاً ... ويا غم الفؤاد لما لقينا
تركنا الدين والدنيا جميعاً ... وخلينا الحلائل والبنينا
فما كنا أُناساً أهل دين ... فنصبرَ للبلاء اذا بُلينا
ولا كنا أُناساً أهل دنيا ... فنمنعها وان لم نرجُ دينا
تركنا دورنا لطَغام عَكٍّ ... وأنباط القُرى والأشْعَرِينا

وكان من أخص الناس بالحجاج حتى انه بعثه وبعث معه عبد الله بن شداد الليثى الى عبد الله بن جعفر بن أبى طالب عليه السلام ، فخطب الحجاج منه ابنته أم كلثوم ، ثم خرج بعد ذلك مع ابن الأشعث ، وكان من أشد الناس تحريضاً على الحجاج فلما أتى الحجاج برأسه ووضع بين يديه مكث ينظر اليه طويلاً ثم قال . كم من سر أودعته في هذا الرأس فلم يخرج حتى أتيت به مقطوعاً ، فلما كان يوم الزاوية خرج ابن كلدة بين الصفين ، ثم أقبل على أهل الكوفة فأنشدهم قصيدته التي يقول فيها

فقل للجُوَيْرِيات يبكين غيرنا ... ولا تبكنا الا الكلاب النوابح
بكين علينا خشية أن تبيحها ... رماح النصارى والسيوف الجوارح

بكين لكيما يمنعوهن منهمُ وتأبى قلوب أضمرتها الجوانح
ونادينا أين الفرار وكنتمُ تغارون أن تبدو البُرَى والوشائح (١)
أأسلمتمونا للعدو على القنا اذا انتزعت منها القرون النواطح
فما غار منكم غائر لحليلة ولا عزب عزَّت عليه المناكح

فلما أنشدهم هذه الأبيات أنفوا وثاروا ، فشدوا شدة تضعضع لها عسكر الحجاج ، وثبت لهم الحجاج وصاح بأهل الشام فتراجعوا وثبتوا فكانت الدائرة له فجعل يقتل الناس بقية يومه حتى صاح به رجل والله يا حجاج لئن كنا قد أسأنا في الذنب لما أحسنت في العفو ، وقد خالفت الله فينا وما أطعته ، فقال له وكيف ؟ ويلك ، قال لأن الله تعالى يقول « فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإمّا فداء حتى تضع الحرب أوزارها » وقد قتلت فأثخنت حتى تجاوزت الحد فأسر ولا تقتل ثم قال أو امنن ، فقال أولى لك ألا كان هذا الكلام منك قبل هذا الوقت ؟ ثم نادى برفع السيف وأمن الناس جميعاً

كان سليمان بن عمرو بن مرثد البكري صديقاً لأبي كلدة وكان فارساً شجاعاً وقتله ابن خازم لشيء بلغه فأنكره ، وفيه يقول أبو كلدة

اذا كنت مرتاداً كريماً مكرماً نماه سَرَاة من سَرَاة بني بكر
فلا تعدُ ذا العليا سليمان عامراً تجد ماجداً بالجود منشرح الصدر
كريماً على عِلاّته يبذُل الندى ويشربها صهباء طيبة النَّشْر
معتقة كالمسك يذهب ريحها الـــزُّكام وتدعو المرء للجود بالوفر

(١) الوشاح بضم الواو وكسرها شبه قلادة ينسج من أديم عريض يرصع بالجوهر تشده المرأة بين عاتقها وكشحيها جمعه وشح وأوشحة ووشائح والبرة بضم الباء وفتح الراء كل حلقة من سوار وقرط وخلخال جمعه برى

وتترك حاسي الكأس منها مرنحا يميد كما ماد الأثيم من السكر
تلوح كعين الديك ينزو حبابها اذا مزجت بالماء مثل لظى الجمر
فتلك اذا نادمت من آل مرثد عليها نديماً ظل يهرف بالشعر
يغنّيك تاراتٍ وطوراً يكرها عليك بحيّاك الاله ولا يدرى
تعود ألّا يجهل الدهر عندها وأن يبذل المعروف فى العسر واليسر
وان سليمان بن عمرو بن مرثد تألّى يميناً أن يريش ولا يبزى
فهمته بذل الندى وابتنا العلا وضرب طُلى الأبطال فى الحرب بالبتر
وفى الأمن لا ينفك نحو مدامة اذا ما دجا ليل الى وضح الفجر

فلما بلغت سليمان هذه الأبيات ، قال هجاني أخي وما تعمد ، لكنه يرى أن أن الناس جميعاً يؤثرون الصهباء كما يؤثرها هو ويشربونها كما يشربها ، وبلغ قوله أبا كلدة فأتاه فاعتذر اليه وحلف أنه لم يتعمد بذلك ما يكرهه وينكره ، قال قد علمت بذلك وشهدت لك به قبل أن تعتذر وقبل عذره

عشق دِهقانة بِبُسْت وكان يختلف اليها ويكون عندها دائماً وقال فيها

وكأس كأن المسك فيها حسوتها ونازعنيها صاحب لى ملوّم
أغرّ كأن البدر سنة وجهه له كفل وافٍ وفرْع ومبسم
يضىء دُجا الظلماء رَوْنَقُ خده وينجاب عنه الليل والليل مظلم
وثديان كالحُقّين والمتن مُدْمَج وجيد عليه نسق در منظم
وبطن طواه الله طياً ومنطق رخيم وردِفٌ نيط بالحقو مُفْأَم (١)
به تبلتني واستبتني وغادرت لظى فى فؤادي نارها تتضرم
أبيت بها أهذي اذا الليل جنني وأصبح مبهوتاً فما أتكلم

(١) مفأم ممتلىء شحماً

فمن مبلغ قومى الذُّنى أن مهجتي   تبين لئن بانت ، ألا تتلوم ؟
وعهدى بها والله يصلح حالها   تجود على من يشتهيها وتنعم
فما بالها ضنت على بودها   وقلبي لها ياقوم عانٍ متيم

دعا رجلاً من قومه الى الشراب وكان ينادمه قبلاً بتُسْتَرَ فامتنع وقال انى قد تركتها لله ، فقال أبو كلدة

ألا رب يوم لي بِتُسْتَ وليلة   ولا مثل أيامى المواضى بتُسْتَرَ
غذيت بها أُسقِي سلاف مُدَامة   كريم المحيّا من دَرانين يشكُر
نبادر شرب الراح حتى نُهرها   وتتركنا مثل الصريع المعفَّر
فذلك دهر قد تولى نعيمه   فأصبحت قد بُدِّلت طول التوقر
فراجعني حلماً وأصبحت منهج الشـــراب وقد كنت كالمتحير
وكل أوان الحق أبصرت قصده   فلست وان نبهت عنه بمقصر
سأركض فى التقوي وفى العلم بعدما   ركضت الى أمر الغويّ المشهر
وبالله حولى واحتيالى وقوتى   ومن عنده عرفي الكثير ومنكرى

ولي مِسْمَع بن مالك سجستان وكان مكث أبى كلدة بها ، فخرج اليه وتلقاه ومدحه بقصيدته التي أولها

بانت سعاد وأمسى حبلها انقطعا   وليت وصلاً لها من حبلها رجعا
شطَّتْ بها غربة زَوْرَاء نازحة   فطارت النفس من وجد بها قِطعا
ما قرت العين اذ ذلت فينفعها   طعم الرُّقاد اذا ما هاجع هجعا
منعت نفسى من روح تعيش به   وقد أكون صحيح القَدْر فانصدعا
غدت تلوم على ما فات عاذلتى   وقبل لومك ما أغنيت من منعا
مهلاً ذريني فانى غالنى خُلُقى   وقد أرى فى بلاد الله متسعا

مجدى تليد وما أنفقت أخلفه ... سيب الاله وخير المال ما نفعا
ما عضنى الدهر الا زادنى كرماً ... ولا استكنت له ان خان أوخدعا
ولا تلين على العلات معجمتى ... فى النائبات اذا ما مسنى طبعا
ولا تلين من عودي غمازه ... اذا المغمز منها لان أو خضعا
ولا أخاتل رب البيت غفلته ... ولا أقول لشىء فات ما صنعا
انى لأمدح أقواماً ذوى حسب ... لم يجعل الله فى أقوالهم جزعا
الطيبين على العلات معجمة ... لو يعصر المسك من أطرافهم نبعا
بنى شهاب بها أعنى وانهم ... لأكرم الناس أخلاقاً ومصطنعا

فوصله مِسْمَع وحمله وكساه وولاه ناشتكين وكان مكتبه ، ثم توفى مسمع بسجستان، فقال يرثيه

أقول للنفس تأساء وتعزية ... قد كان من مِسْمَع فى مالك خلف
يا مسمع الخير مَنْ ندعو اذا نزلت ... احدى النوائب بالأقوام واختلفوا
يا مسمعاً لعراق لا زعيم لها ... بمن ترى يأمن المستشرف النَّطِف(١)
تلك العيون بحيث المصر سادمة ... تبكيك اذ غالك الأكفان والجُرُف
قد وسدوك يميناً غير موسدة ... وبذل جود لما أودى بك التلف
كنت الشهاب الذى يرمى العدو به ... والبحر منه سِجال الجود تغترف

فرّق مسْمَع بن مالك فى عشيرته بنى قيس بن ثعلبة عطايا كثيرة وقربهم وجفا سائر بطون بكر بن وائل ، فقال أبو كلدة

اذا نلت مالاً قلت قيس عشيرتى ... تجور علينا عامداً فى قضائكا
وان كانت الأُخرى فبكر بن وائل ... بزعمك يخشى داؤها بدوائكا
هنالك لا نمشي الضَّرَّاء(٢) اليكم ... بنى مِسْمَع انا هناك أولئكا

(١) النطف الرجل المريب (٢) الضراء الاستخفاء

عسى دولة الذُّهلَين(١) يوماً ويشكر   تكر علينا صبغة من عطائكا

ثم مدح مقاتل بن مسمع طمعاً فى مثل ما كان مسمع يعطيه ، فلم يلتفت اليه وأمر أن يحجب عنه ، فقيل له تعرضت للسان أبى كلدة وخبثه ، فقال ومن هو الكلب ؟ وما عسى أن يقول ؟ قبحه الله وقبح من كان منه فليجهد جهده ، فبلغ ذلك من قوله أبا كلدة ، فقال يهجوه

قَرَى ضيفه الماء القَراح ابنُ مسمَعٍ   وكان لئيماً جاره يتذلل
فلما رأى الضيفُ القِرى غير راهن(٢)   لديه تولى هارباً يتململ
ينادى بأعلى الصوت بكرَ بن وائل   ألا كل من يرجو قِرًا كم مضلل
عميدكمُ هرَّ(٣) الضيوف فما لكم   ربيعةُ أمسى ضيفكم يتحول
وخفتم بأن تقرُوا الضيوف وكنتمُ   زماناً بكم يحيا الضَّريك(٤) المقيَّل
فما بالكم بالله أنتم بخلتمُ   وقصرتمُ والضيف يُقرَى ويُنزَل
ويكرم حتى يقترى حين يُقترَى(٥)   يقول اذا ولى جميلاً فيجمل
فهلا بنى بكر دعوا آل مسمَعٍ   ورأيهم لا يسبق الخيل مُحثَل(٦)
ودونكمُ أضيافكم فتحدبوا   عليهم وواسوهم فذلك أجمل
ولا تصبحوا أُحدوثة مثل قائل   به يضرب الأمثال من يتمثل
اذا ما التقى الركبان يوماً تذاكروا   بنى مسمع حتى يُحمَّوا ويثقلوا
فلا تقربوا أبياتهم ان جارهم   وضيفهمُ سيان أنَّى توسلوا
هم القوم غرَّ الضيفَ منهم رُواؤهم   وما فيهمُ الا لئيم مُبَخَّل

(١) الذهلان من بكر بنو شيبان بن ثعلبة بن يشكر بن وائل وبنو ضبيعة بن ربيعة

(٢) رهن الشيء بالمكان ثبت ودام (٣) هر فى وجه السائل تجهمه (٤) الضريك الضرير والفقير السيء الحال والمقبل الضعيف الرأى (٥) يقترى يضاف

(٦) المحثل السيء الغذاء

ولو ببني شيبان حلت ركائبي لكان قراهم راهناً حين أنزل
أولئك أولى بالمكارم كلها وأجدر يوماً أن يواسوا ويفضلوا
بني مسمع لا قرب الله داركم ولا زال واديكم من الماء يمحل
فلم تردعوا الأبطال بالبيض والقنا اذا جعلت نار الحروب تأكل

قال رجل للبعيث أى رجل هو أبو كلدة ؟ فقال قتادة بن معرب أعرف به حيث يقول

ان أبا كلدة من سكره لا يعرف الحق من الباطل
يزداد غياً وانهما كا ولا يسمع قول الناصح العاذل
أعيا أبوه وبنو عمه وكان فى الذروة من وائل
فليته لم يك من يشكر فبئس خدن الرجل العاقل
أعمى عن الحق بصير بما يعرفه كل فتى جاهل
يصبح سكران ويمسى كما أصبح لا أسقي من الوابل
شد ركاب الغي ثم اغتدى الى التى تجلب من بابل
فالسجن ان عاش له منزل والسجن دار العاجز الخامل

وقال أبو كلدة يجيبه

قبحت لو كنت امرأً صالحاً تعرف ما الحق من الباطل
كففت عن شتمي بلا إحنة ولم تورط كفة الحابل
لكن أبت نفسك فعل النهى والحزم والنجدة والنائل
فتحت لى بالشتم حتى بدا مكنون غش فى الحشى داخل
فاجهد وقل لا تترك جاهداً شتم امرىء ذى نجدة عاقل
تعذلنى فى قهوة مزة درياقة تجلب من بابل

وَلو رآها خَرَّ من حبها   يسجد للشيطان بالباطل
يا شر بكرٍ كلها مُختبراً   وهُزْأة المختلس الآكل
عرضك وفّه ودعنى وما   أهواه يا أحمق من باقل

ومن قوله يشبب بابنة أحد الدهاقين

ان فى القصر ذى الخبا بدرَ تِمّ   حسنِ الدَّلِّ للفؤاد مصيبا
ولعاً بالخَلوق يأرِج منه   ريح رَنْد اذا استقل منيبا
يلبَس الخزَّ والمطارف والقزَّ   وعَصْباً من اليمانى قشيبا
ورأيت الحبيب يُبْزِز كماً   ما رآه المحب الا خضيبا

فبلغ ذلك من قوله الدهقان فأهدى له وبره ، وسأله ألاَّ يذكر ابنته في شعر بعد ذلك

لحق أبا كلدة ضَيْمٌ من بعض الولاة فهتف بقومه فلم يقدروا على منعه منه ولا معونته رهبة للسلطان ، فهتف بأعلى صوته يا مِسْمَعَ بن مالك يا أمير بن أحمر[1] ، ثم أنشأ يقول

ولما أن رأيت سَرَاة قومى   سكوتاً لا يثوب لهم زعيم
هتفت بِمِسْمَعٍ وصدَى أمير   وقبر مُعَمَّر[2] تلك القروم

فأبكى جميع من حضر وقاموا جميعاً الى الوالي فسألوه فى أمره حتى كف عنه

خطب أبو كلدة امرأة من بنى عِجل يقال لها خليعة بنت صعب ، فأبت أن تتزوجه ، وقالت أنت صُعلوك فقير لا تحفظ مالك ولا تُلْفِي شيئاً الا أنفقته فى الخمر وتزوجت غيره ، فقال

لما خطبت الى خليعة نفسها   قالت خليعة ما أرى لك مالا

(١) رجل من بنى يشكر وكان سيداً جواداً وكان والياً على خراسان فى أيام معاوية
(٢) هو معمر بن سمير كان أمير خراسان وكان سيداً شريفاً

أودى بمالى يا خليعَ تكرمى ... وتخرُّقى وتحملى الأثقالا

انى وجدِّك لو شهدت مواقفى ... بالسفح يوم أُجلل الأبطالا

سيفى لسرك أن تكونى خادماً ... عندى اذا كره الكُماة نزالا

بلغ أبا كلدة أن زياداً الأعجم هجا بنى يشكر ، فقال فيه

لا تهجُ يَشْكُرَ يا زياد ولا تكن ... غرضاً وأنت عن الأذى فى معزل

واعلم بأنهمُ اذا ما حصلوا ... خير وأكرم من أبيك الأعزل

لولا زعيم بنى المعلَّى لم تَثُب ... حتى نصبحكم بجيش جحفَل

تمشى الضَّراء رجالهم وكأنهم ... أسد القرين بكل عضبَ مفْصَل

فاحذر زياد ولا تكن ذا تُدْرَإ (١) ... عند الرجال ونُهزَة للختَّل

ومن قوله فى الحضين بن المنذر الرَّقاشى وقد سأله شيئاً فلم يعطه إياه ، وقال لا أعطيه ما يشرب به الخمر

لعمرك انى يوم أُسند حاجتى ... اليك أبا ساسان غير مُسدَّد

فلا عالم بالغيب من أين ضره ... ولا خائف نثَّ الأحاديث فى غد

فليت المنايا حلّقت بى صروفها ... فلم أطلب المعروف عند المُصَرَّد (٢)

فلو كنت حراً يا حضين بن منذر ... لقمت بحاجاتى ولم تتبلد

تجهمتنى خوف القرى واطَّرحتنى ... وكنت قصير الباع غير المقلد

ولم تعدُ ما قد كنت أهلا لمثله ... من اللؤم يا ابن المستذل المعبَّد

ومن قوله

صحا قلبى وأقصر بعد غىٍّ ... طويل كان فيه من التوانى

بأن قصد السبيل فباع جهلاً ... برشد وارتجى عقب الزمان

(١) التدرأ المدافع ذو العز والمنعة (٢) البخيل

وَخافَ الموتَ واعتصم ابن حجر — من الحب المبرح بالجنان
وقدْماً كان معتزماً جموحاً — الى لذاته سَلِسِ العنان
وأقلع بعد صبوته وأضحى — طويل الليل يَهْزِف بالقران
ويدعو الله مجتهداً لكيما — ينال الفوز من غرف الجنان

ومن قوله يعتذر الى يزيد بن المهلب من قول بلغه عنه

أبا خالد ركني ومن أنا عبده — لقد غالني الأعداء عمدا لتغضبا
فان كنتُ قلت الآنَ أتاك به العدى — فَشلت يدي اليمنى وأصبحت أعضبا
ولا زلت محمولاً عليَّ بليــــة — وأمسيت شِلْواً للسباع متربا
فلا تسمعا قول العدى وتبينا — أبا خالد عذراً وان كنت مُغْضَبا

كان أبو كلدة يشرب مع ابن عم له ، فسكر نديمه فعربد عليه وشتمه ، فاحتمله أبو كلدة وقال

أبى لى أن ألحَى نديمي اذا انتشى — وقال كلاماً سيئاً لى على السكر
وقاري وعلمى بالشراب وأهله — وما نادم القوم الكرام كذى الحِجر (١)
فلست بلاح لي نديماً بزلة — ولا هفوة كانت ونحن على الخمر
عركت بجنبى قول خذنى وصاحبى — ونحن على صهباء طيبة النشر
فلما تمادى قلت خذها عريقة — فانك من قوم جحاجحة زهر
فما زلت أسقيه وأشرب مثل ما — سقيت أخى حتى بدا واضح الفجر
وأيقنت أن السكر طار بلبه — فأغرق فى شتمى وقال وما يدرى
ولاك لساناً كان اذ كان صاحياً — يقلبه فى كل فن من الشعر

ومن قوله يمدح مالك بن مِسْمَع

يسعى أُناس لكي يدركوك ولو — خاضوا البحار أوضحضاحها غرقوا (٢)

(١) الحجر العقل (٢) الضحضاح الماء القريب القعر

وأنت في الحرب لا رَثّ القوى بَرِم · عند اللقاء ولا رِعْدِيدة فَرِق
كل الخلال التي يسعى الكرام لها · ليمدحوك بها يوماً فقد صدقوا
ساد العراق وحال الناس صالحة · وسادهم وزمان الناس منخرق
لا خارجي ولا مستحدث شرفاً · بل مجد آل شهاب كان مذ خلقوا

كان لأبي كلدة بسجستان جار يقال له سيف من بني سعد ، وكان يشرب الخمر ويعربد على أبي كلدة فقال يهجوه

ألا قل لذوي سيف وسيف ألستمُ · أقل بني سعد حَصاداً ومزرعا
كأنكمُ جُعلان دار مَضامة · على عَذِرات الحي أصبحن وُقَّعا
لقد نال سيف في سجستان نُهزة · تطاول منها فوق ما كان أصبعا
أصاب الزنا والخمر حتى لقد نمت · له مرة تسقى الشراب المشعشعا
فلولا هوان الخمر ما ذقت طعمها · ولا سقت ابريقاً بكفك مُتْرَعا
كما لم يذقها أن تكون عزيزة · أبوك ولم يُعرَض عليها فيطمعا
وكان مكان الكلب أو من ورائه · اذا ما المغنى للَّذاذة أسمعا

وكان أبو كلدة قد استعمله القعقاع بن شور حين تولى سجستان على بُست والرُّخَّج فأرجف الناس بالقعقاع ، وأرجف به أبو كلدة معهم ، وكتب القعقاع اليه يتهدده ، فكتب اليه أبو كلدة

يهددني القعقاع في غير كنهه · فقلت له بكر اذا رُمْتَني تُرْسِي
كأنا وإياكم اذا الحرب بيننا · أُسود عليها الزعفران مع الوَرْس
تُرَى كمصابيح الدياجي وجوهنا · اذا ما لقينا والهَرَقْلِيَّة المُلْس
هناك السعود السانحات جرت لنا · وتجرى لكم طير البوارح بالنحس
وما أنت يا قعقاع الا كمن مضى · كأنك يوماً قد نقلت الى الرَّمْس

أظن بغال البُرْد تسرى اليكمُ ... به غَطَفانياً والا فمن عَبْس
والا فبالبسال يالك ان سرت ... به غير مغموز القناة ولا نِكْس
فعمالنا أوفى وخير بقيــــةً ... وعمالكم أهل الخيانة واللبس
وما لبنى عمرو علىّ هوَادة ... ولا لرَباب غير تعس من التعس

فلما انتهت هذه القصيدة الى القعقاع وجه برسول الى أبى كلدة وقال انظر فان كان كتب هذا الكتاب بالغداة فاعزله، وان كتبه بالليل فأقره على عمله ولا تعزله ولا تضربه، وكان أبو كلدة صاحب شراب، فقال للرسول والله ما كتبته الا بالعشى، فسأله البينة على ذلك، فأتاه بأقوام شهدوا له بما قال، فأقره على عمله وانصرف عنه

زياد الأعجم

هو زياد بن سليمان مولى عبد القيس، وكان ينزل إصْطَخْر فغلبت العُجْمة على لسانه فقيل له الأعجم، كان شاعراً جزْل الشعر فصيح الألفاظ على لُكْنة فى فى لسانه وجريه على لفظ أهل بلده

ومن قوله يرثى المغيرة بن المهلب وهي من نادر الكلام ونقى المعانى ومختار القصائد وهى معدودة من مراثى الشعراء فى عصر زياد ومُقَدَّمها

يا من بمَغْدَى الشمس أو بمرَاحها ... أو من يكون بقرْنها المتنازح
قل للقوافل والغزِىّ اذا غزوا ... للبـاكرين وللمُجِدّ الرائح
ان السماحـة والمروءة ضُمِّنا ... قبراً بمَرْوَ(١) على الطريق الواضح
فاذا مررت بقبره فاعقر به ... كُومَ الجِلَادِ(٢) وكل طِرْف سابح

(١) أشهر مدن خراسان وقصبتها وتعرف بمرو الشاهجان
(٢) الجلاد الكبار من الابل التى لاصغار فيها وأحدها جلد بفتح الجيم واللام

وانضح جوانب قبره بدمائها | فلقد يكون أخادم وذبائح
واظهر ببزته وعقد لوائه | واهتف بدعوة مصلتين شرامح [١]
آب الجنود معقلاً أو قافلاً | وأقام رهن حفيرة وضرائح
وأرى المكارم يوم زيل بنعشه | زالت بفضل فواضل ومدائح
رجفت لمصرعه البلاد وأصبحت | منا القلوب لذاك غير صحائح
ألآن لما كنت أكرم من مشى | وافتر نابك عن شباة القارح [٢]
وتكاملت فيك المروءة كلها | وأعنت ذلك بالفعال الصالح
فكفى لنا حزناً ببيت حله | احدى المنون فليس عنه ببارح
فعفت منابره وحط سروجه | عن كل طامحة وطرف طامح
واذا يناح على امرىء فتعلمن | ان المغيرة فوق نوح النائح
تبكى المغيرة خيلنا ورماحنا | والباكيات برنة وتصايح
مات المغيرة بعد طول تعرض | للموت بين أسنة وصفائح
والقتل ليس الى القتال ولا أرى | موتاً يؤخر للشفيق الناصح
لله در منيــــة فاتت به | فلقد أراه يرد غرب الجامح
ولقد أراه مجففاً [٣] أفراسـه | يغشى الأسنة فوق نهد قارح
فى جحفل لجب ترى أبطاله | منه تعضل [٤] بالفضاء الفاسح
يقص [٥] الحزونة والسهولة اذ غدا | بزهاء أرعن مثل ليل جانح
ولقد أراه مقدماً أفراســـه | يذنى مراجح فى الوغى لمراجح
فتيان عادية لدى مرسى الوغى | سنوا بسنة معلمين جحاجح

---

(١) مصلتين يعنى أنهم أصلتوا سيوفهم وسلوها والشرامخ الطوال (٢) القارح من ذوات الحافر الذى شق نابه وطلع والشباة الفرس العاطية فى العنان (٣) جنف الفرس ألبسه التجفاف وهو آلة للحرب تلبسها الفرس والانسان يتقى بها كأنها درع (٤) تعضل تنشب (٥) يدقها

لبسوا السوابغ فى الحروب كأنها غُدُرٌ تَحَيَّرُ (١) فى بطون أباطح
واذا الضِّراب عن الطِّعان بدا لهم ضربوا بمُرْهَفَة الصدور جوارح
لو عند ذلك قارعته منية قَرَع الحِواء (٢) وضُم سَرْح السارح
كنت الغياث لأرضنا فتركتنا فاليوم نصبر للزمان الكالح
فانعَ المغيرة للمغيرة اذ غدت شَعْواء (٣) مُجْحِرة لنبح النابح
صفان مختلفان حين تلاقيا آبوا بوجه مُطلَّق أو ناكح
ومُدَجَّج كره الكُماة نزاله شاكي السلاح مُسايف أو رامح
قد زار كبش كتيبة بكتيبة يُودى لكوكبها برأس طامح
غيْرَ ان دون نسائه وبناته حامى الحقيقة للحروب مُكاوح (٤)
سبقت يداك له بعاجل طعنة شَهِقت لمنفذها أصول جوانح
والخيل تَضْبَح بالكُماة وقد جرت فوق النحور دماؤها بسرائح (٥)
يا لهْفَتا يا لهفتا لك كلما خيف الغِرار على المُدِر (٦) الماسح
تشفى بحلمك لابن عمك جهله وتَذُبّ عنه كِفاح كل مكافح
واذا يصول بك ابن عمك لم يَصُل بوا كِلٍ وكِلٍ غداة تجالُح (٧)
صِلٌ يموت سليمه قبل الرُّقى ومخاتل لعدوه بتصافح
واذا الأمور على الرجال تشابهت وتنوزعت بمَغالق ومَفاتح
قتل السَّحيل بمُبْرَم ذى مِرّة دون الرجال بفضل عقل راجح
وأرى الصعالك للمغيرة أصبحت تبكى على طَلْق اليدين مسامح
كان الربيع لهم اذا انتجعوا الندى وخبَتْ لوامع كل برق لامح

(١) تحير تدافع (٢) الحواء البيوت المتدانية (٣) غارة شعواء متفرقة وأجحره الجأه الى أن يدخل فى جحره (٤) ممارس (٥) السرائح السيور وهى سيور نعال الابل. (٦) المدر من كثر عرقه (٧) التجالح التكاشف والوكل الذى يتكل على غيره

كان المهلب بالمغيرة كالذى ألقى الدِّلاء الى قَليب المائح
فأصاب جُمَّةً ما استقى فسقى له فى حوضه بنوازع ومَوَانح
أيامَ لو يحتلُّ وسط مفازة فاضت معاطشها بشِربٍ سائح
ان المهالب لن يزال لها فتى يَمْرِى قوادم كل حرب لاقح
بالمُقْرَبات لواحقا آطالُها تجتاب سهل سباسب وصَحاصح
متلببا تهفو الكتائب حوله مُلْحَ المتون من النَّضيح الراشح
مَلِكٌ أغرُّ متوجٌ يسمو له طَرْفُ الصديق بغَضّ طَرْفِ الكاشح
رَفَّاع ألوية الحروب الى العدى بسُعود طير سانح وبوارح

قال أبو العباس ولقد أنشدت لبعض المحدثين فى نحو هذا المعنى أبياتاً حسنة ثم أنشد

أيها الناعيان من تَنْعَيان وعلى من أراكما تبكيان
اندُبا الماجد الكريم أبا اسـ ـحاق ربَّ المعروف والاحسان
واذهبا بى ان لم يكن لكما عَقْـ ـرٌ الى جنب قبره فاعقرانى
وانضحا من دمى عليه فقد كا ن دمى من نداه لو تعلمان

كان المهلب بخراسان فخرج اليه زياد فمدحه ، فأمر له بجائزة ، فأقام عنده أياماً قال فأنا لَعَشِيَّةً نشرب مع حبيب بن المهلب فى دار له وفيها حمامة اذ سجعت الحمامة فقال زياد

تغنَّىْ أنت فى ذممى وعهدى وذمة والدى ان لم تطارى
وبيتَكِ أصلحيه ولا تخافى على صُغْرٍ مُزَغَّبَةٍ صغار
فانك كلما غنيت صوتاً ذكرتِ أحبتى وذكرت دارى
فاما يقتلوكِ طلبت ثأراً له نبأ لأنك فى جوارى

فنزع حبيب لها سهماً فقتلها ، فوثب زياد على المهلب فحدثه الحديث ، فقال المهلب لحبيب أعط ابا أمامة دية جارته ألف دينار فأنشأ زياد يقول

فلله عينا من رأى كقضية — قضى لي بها قرم العراق المهلب
رماها حبيب بن المهلب رمية — فأثبتها بالسهم والسهم يقرب
فألزمه عقل القتيل ابن حرة — وقال حبيب انما كنت ألعب
فقال زياد لا يروع جاره — وجارة جاري مثل جاري وأقرب

فحمل حبيب له ألف دينار على كره منه ، فانه ليشرب مع حبيب يوماً اذ عربد عليه حبيب وقد كان حبيب ضغن عليه مما جرى فأمر بشق قباء ديباج كان عليه فقال

لعمرك ما الديباج خرقت وحده — ولكنما خرقت جلد المهلب

فبعث المهلب الى حبيب وقال له صدق زياد ما خرقت الا جلدي تبعث على هذا يهجوني ، ثم أبعث اليه فأحضر فاستل سخيمته من صدره وأمر له بمال وصرفه

ومن قوله يمدح عمر بن عبيد الله بن معمر

سألناه الجزيل فما تأبى — فأعطى فوق مُنْيتنا وزادا
وأحسن ثم أحسن ثم عدنا — فأحسن ثم عدت له فعادا
مراراً ما دنوت اليه الا — تبسم ضاحكا وثنى الوسادا
أخ لك لا تراه الدهر الا — على العِلاّت مبتسما جوادا

ومن قوله يمدحه

أبلغ أبا حفص رسالة ناصح — أتت من زياد مستبينا كلامها
فانك مثل الشمس لا ستر دونها — فكيف أبا حفص عليّ ظلامها
لقد كنت أدعو الله في السر أن أرى — أمور معدّ في يديك نظامها
فلما أتاني ما أردت تباشرت — بناتي وقلن العام لا شك عامها

فانى وأرضاً أنت فيها ابن معمر كمكة لم يَطْرَب لأرض حمامها
اذا اخترت أرضاً للمقام رضيتها لنفسى ولم يثقل علىّ مقامها
وكنت امنّى النفس عنك ابن معمر أمانىّ أرجو أن يتم تمامها
فلاأك كالمُجزِى الى رأس غاية يُرجّى سماء لم يُصبه غمامها

فأسنى له جائزته فخرج من عنده حتى قدم على عبد الله بن الحَشرَج وهو بسابور فأنزله وألطفه فقال فى ذلك

ان السماحة والمروءة والندى فى قُبّة ضربت على ابن الحَشْرَج
ملك أغَرّ متوج ذو نائل للمعتفين يمينه لم تَشْنَج
ياخير من صعد المنابر بالتقى بعد النبى المصطفى المتحرج
لما أتيتك راجياً لنوالكم الفيت باب نوالكم لم يُرتَج

فأمر له بعشرة آلاف درهم

استبطأ زياد عمر بن عبيد الله فى بعض زياراته اياه فقال

أصابت علينا جودك العين يا عمر فنحن لها نبغى التمائم والنُشَر (١)
أصابتك عين فى سماحك صُلْبة ويارب عين صلبة تفلق الحجر
سنَرْقيك بالأشعار حتى تملها فان لم تفق يوماً رقيناك بالسور

فبلغته الأبيات فأرضاه وسرحه

مر يزيد بن حبناء الضبّى بزياد وهو ينشد شعراً قد هجا به قتادة بن مغرب. فأفحش فيه، فقال له يزيد ألم يأن لك أن ترعوى وتترك تمزيق أعراض قومك. ويحك؟ حتى متى تمادى فى الضلال فكأنك بالموت قد صبحك أو مساك، فقال فيه زياد.

يحذرنى الموت ابن حَبْناء والفتى الى الموت يغدو جاهداً ويروح
وكل امرئ لا بد للموت صائر وان عاش دهراً فى البلاد يسيح

(١) النشر الرق

فقل ليزيد يا ابن حبْناء لا تَعِظ   أخاك وعظْ نفساً فأنت جنوح
تركتَ التقى والدين دين محمد   لأهل التقى والمسلمين يلوح
وتابعت مُرّاق العراقين سادرا   وأنت غليظ القُصْرَيَيْن[1] صحيح

فقال له يزيد بن عاصم الليثي قبحك الله أتهجو رجلا وعظك وأمرك بمعروف بمثل هذا الهجاء ؟ هلا كففت اذ لم تقبل، أراه والله سيأتي على نفسك، ثم لا يحيق فيك اذهب ويحك فأته واعتذر اليه لعله يقبل عذرك، فمشى اليه بجماعة من عبد القيس فشفعوا اليه فيه، فقال لا تثريب لست واجداً عليك بعد يومى هذا

أراد الفرزدق أن يهجو عبد القيس فقال له

وما ترك الهاجون لى ان هجوته   مصحّاً أراه فى أديم الفرزدق
وما تركوا لحماً يدقون عظمه   لآكله ألقوه للمتعرق
سأحطم ما أبقوا له من عظامه   فأنكب عظم الساق منه وأنتقى
فانا وما تهدى لنا ان هجوتنا   لكالبحر مهما يُلق فى البحر يغرق

فقال له الفرزدق حسبك هلم نتشارك: قال ذاك اليك وما عاوده بشئ

دخل أبو قُلابة الجَرْمى مسجد البصرة واذا زياد الأعجم، فقال زياد من هذا ؟ قال أبو قلابة، فقام على رأسه فقال

قم صاغراً يا كهل جَرْم فانما   يقال لكهل الصدق قم غير صاغر
فانك شيخ ميت وموْرث   قُضاعة ميراث البَسُوس وناشر
قضى الله خلق الناس ثم خلقتمُ   بقية خلق الله آخر آخر
فلم تسمعوا الا بما كان قبلكم   ولم تدركوا الا بدق الحوافر
فلو رد أهل الحق من مات منكم   الى حقه لم تدفنوا فى المقابر

فقيل له فأين كانوا يدفنون يا أبا أمامة ؟ قال فى النواويس

(١) القصريان ضلعان يليان الترقوتين

شعراء تغلب

الأخطل

هو غياث بن غوث بن الصَّلْتْ من جُشَم بن بكر ثم من تَغْلِبْ ، ويكني أبا مالك ، والأخطَل لقب غلب عليه لأنه هجا رجلاً من قومه فقال له يا غلام انك لأخطل فغلبت عليه ، ومحله فى الشعر أكبر من أن يحتاج الى وصف ، وهو وجرير والفرَزْدَق طبقة واحدة جعلها ابن سلام أول طبقات الاسلام ، ولم يقع اجماع على أحدهم أنه أفضل ولكل واحد منهم طبقة تفضله

جاء رجل الى يونس فقال له من أشعر الثلاثة ؟ قال الأخطل ، قال أبو عبيدة من الثلاثة ؟ قال أى ثلاثة ذكروا فهو أشعرهم ، قال عمن تروى هذا ؟ قال عن عيسى بن عمر ، وابن أبى اسحق الحضرمى ، وأبى عمرو بن العلاء ، وعنبسة الفيل ، وميمون الأقرن الذين ماثوا (١) الكلام وطرّقوه ، لا كأصحابك هؤلاء لا بدويون ولا نحويون ، فسأله الرجل وبأى شيء فضّلوه ؟ قال بأنه كان أكثرهم عدد طوال جياد ليس فيها سَقَط ولا فُحْش وأشدهم تهذيباً للشعر ، وقال الأصمعى ان الأخطل كان يختار تسعين بيتاً ، ثم يختار منها ثلاثين فيطيرها ، وكان سلَمَة بن عياش اذا ذكر الأخطل يقول ومن مثل الأخطل وله فى كل شعر بيتان ؟ ثم ينشد قوله

ولقد علمت اذا الرياح تناوحت   هُوج الرئال تَكُبُّهن شمالا
أنا نعجل بالغبيط لضيفنا   قبل العِيال ونضرب الأبطالا

ثم يقول ولو قال

ولقد علمت اذا الريا   ح تناوحت هُوج الرئال

---

(١) ماث الشيء ميثاً مرسه بيده وطرق الصائغ الذهب مدده ورققه

كان شعراً ، واذا زدت فيه تكبهن شمالا كان أيضاً شعراً من روى آخر ، وقال نوح بن جرير لأبيه وكان يأكل وفى فيه لقمة وفى يده أخرى يا أبت أنت أشعر أم الأخطل ؟ فجَرِض باللقمة التى فى فيه ورمى بالتى فى يده وقل يا بنى لقد سررتنى وسؤتنى ، فأما سرورك إياى فتعاهدك مثل هذا وسؤالك عنه ، وأما ما سؤتنى به فلذكرك رجلاً قد مات ، يا بني أدركت الأخطل وله ناب واحد ولو أدركته وله ناب آخر لأكلنى به ولكننى أعاننى عليه خصلتان كبر سن وخبث دين ، وسئل حماد الراوية عن الأخطل فقال ما تسألونى عن رجل قد حبب شعره الى شعر النصرانية ، وقال أبو عمرو لو أدرك الأخطل يوماً واحداً من أيام الجاهلية ما قدمت عليه أحداً ، وأنشد بيت شعر فاستجاده وقال لو كان للأخطل مازاد ، وسئل جرير أى الثلاثة أشعر ؟ فقال أما الفرزدق فتكلف منى ما لا يطيق وأما الأخطل فأشدنا اجتزاء بالقليل وأرمانا للفرائص وأنعتنا للحمر والخمر ، وأما أنا فمدينة الشعر ، وقال العلاء ابن جرير اذا لم يجىء الأخطل سابقاً فهو سُكَيت ، والفرزدق لا سابقاً ولا سُكَيتاً فهو بمنزلة المصلى ، وجرير يجىء سابقاً وسُكَيتاً ومصلياً ، وقيل للفرزدق من أمدح أهل الاسلام ؟ فقال الأخطل أمدح العرب ، وكان أبو عبيدة يقول شعراء الاسلام الأخطل ثم جرير ثم الفرزدق ، وكان أبو عمرو يشبه الأخطل بالنابغة لصحة شعره ، وكان حماد يفضل الأخطل على جرير والفرزدق ، فقال له الفرزدق انما تفضله لانه فاسق مثلك ، فقال لو فضلته بالفسق لفضلتك ، وقال اسحق بن مُرار الشيبانى الأخطل عندنا أشعر الثلاثة ، فقيل يقال انه أمدحهم ، فقال لا والله ولكن أهجاهم من منهما يحسن أن يقول ؛

ونحن رفعنا عن سلول رماحنا وعمداً رغبنا عن دماء بنى نصر

وقال الأخطل أشعر الناس قبيلةً بنو قيس بن ثعلبة ، وأشعر الناس بيتاً آل أبي سُلمَى وأشعر الناس رجل فى قيصى

وقال الأخطل لعبد الملك يا أمير المؤمنين زعم ابن المَراغة (جرير) أنه يبلغ

مدحتك فى ثلاثة أيام وقد أقت فى مدحتك « خف القطين فراحوا منك أو بكروا » سنة فما بلغت كل ما أردت، فقال عبد الملك ما سمعناها يا أخطل، فأنشده إياها، فجعل عبد الملك يتطاول لها، ثم قال له ويحك يا أخطل أتريد أن أكتب الى الآفاق أنك أشعر العرب ؟ قال أكتفى بقول أمير المؤمنين، وأمر له بجفنة كانت بين يديه فملئت دراهم وألقى عليه خلعاً وخرج به مولى لعبد الملك على الناس يقول هذا شاعر أمير المؤمنين هذا شاعر العرب

أنشد عبد الملك قول كُثَيِّر فيه

فما تركوها عَنْوَة عن مودة ولكن بحدِّ المَشْرَفىِّ استقالها

فأُعْجِبَ به، فقال له الأخطل ما قلت لك والله يا أمير المؤمنين أحسن منه، قال وما قلت ؟ قال قلت

أهلُّوا من الشهر الحرام فأصبحوا موالى ملك لا طَرِيف ولا غَصب

جعلته لك حقاً وجعلك أخذته غصباً، قال صدقت

قال شيخ من قريش رأيت الأخطل خارجاً من عند عبد الملك، فلما انحدر دنوت منه فقلت يا أبا مالك من أشعر العرب ؟ قال هذان الكلبان المتعاقران من بنى تميم (جرير والفرزدق) فقلت أين أنت منهما، قال أنا واللات أشعر منهما، قال فحلف باللات هزؤاً واستخفافاً بدينه

قال رجل شيبانى للأخطل يا أبا مالك انا وان كنا بحيث تعلم من افتراق العشرة واتصال الحرب والعداوة تجمعنا ربيعة وان لك عندى نصحاً، فقال هاته فما كذبت، فقال انك قد هجوت جريراً ودخلت بينه وبين الفرزدق وأنت غنى عن ذلك، ولا سيما أنه يبسط لسانه بما ينقبض عنه لسانك ويَسُبُّ ربيعة سباً لا تقدر على سب مُضَر بمثله والملك فيهم والنبوة قبله، فلو شئت أمسكت عن مُشارّته ومهارّته، فقال صدقت فى نصحك وعرفت مرادك وصلتك رحم، فوالصليب

والقربان لا تخلص الى كُليب خاصة دون مضر بما يلبسهم خزيه ويشملهم عاره ، ثم اعلم أن العالم بالشعر لا يبالي وحق الصليب اذا مرَّ به البيت العائر(١) السائر الجيد أمسلم قاله أم نصراني

أصبح عبد الملك فى غداة باردة ، فتمثل قول الأخطل

اذا اصطبح الفتى منها ثلاثاً　　بغير الماء حاول أن يطولا
مشى قرشيةً لا شك فيها　　وأرخى من مآزره الفضولا

ثم قال كأنى أنظر اليه الساعة محلل الازار مستقبل الشمس فى حانوت من حوانيت دِمَشق ، ثم بعث رجلاً يطلبه فوجد كما ذكره

قدم الأخطل على عبد الملك بن مروان فنزل على ابن سرحون كاتبه ، فقال عبد الملك على من نزلت ؟ قال على فلان ، قال قاتلك الله ما أعلمك بصالح المنازل فماذا تريد أن يُنْزِلك ؟ قال دَرْمَك(٢) من درمككم هذا ولحم وخمر من بيت رأس ، فضحك عبد الملك ثم قال له ويلك وعلى أى شيء اقتتلنا الا على هذا ؟ ثم قال ألا تُسلم فنفرض لك فى الفيء ونعطيك عشرة آلاف ؟ قال فكيف بالخمر ؟ قال وما تصنع بها ؟ وان أولها لمرّ وان آخرها لسكر ، فقال أما اذ قلت ذلك فان فيما بين هاتين لمنزلة ماملكك فيها الا كلَعْقة ماء من الفرات بالأصبع، فضحك ثم قال ألا تزُور الحجاج ؟ فانه كتب يستزيرك ، فقال أطائع أم كاره ؟ قال بل طائع ، قال ما كنت لأختار نواله على نوالك ولا قربه على قربك ، انني إذاً لكما قال الشاعر

كمبتاع ليركبه حماراً　　تخيره عن الفرس الكبير

فأمر له بعشرة آلاف درهم وأمره بمدح الحجاج ، فمدحه بقوله

صرمت حبالك زينب وزَعُوم　　وبدا المجمجم منهما المكتوم

---

(١) العائر من السهام ما لا يدرى راميه　(٢) الدرمك دقيق الحوارى

ووجه بالقصيدة مع ابنه اليه وليست من جيد شعره

قال أبو غسّان ذكروا الفرزدق وجريراً فى حلْقة المدائني فقلت لصباح ابن خاقان أنشدك بيتين للأخطل وتجيء لجرير والفرزدق بمثلها ، قال هات ، فأنشدته

ألم يأتها أن الأراقم فلّقت ... جماجم قيس بين راذان(١) والحضر
جماجم قوم لم يعافوا ظلامة ... ولم يعرفوا أين الوفاء من الغدر

فسكت

وللأخطل قصائد طوال جياد ليس فيها فحش ولا سقط ، وقد وجدوا من ذلك عشراً منها

تأبّد (٢) الرّبع من سلْمى بأجفار ... وأقفرت من سليمى دِمْنة الدار
وقد تكون بها سلمى تحدثنى ... تساقُطَ الحَلْى حاجاتى وأسرارى
ثم استبدَّ بسلْمَى نيَّة قذَفٌ (٣) ... وسير منقضب الأقران مِغيار
كأن قلبي غداة البين مقتسَم ... طارت به عُصَب شتى لأمصار
ولو تلُفّ النوى من قد تشوقه ... إذاً قضيت لُباناتى وأوطارى
ظلت ظباء بنى البكّاء ترصده ... حتى اقتنصْنَ على بعد وإضرار
ومَهْمه طامس (٤) تُخْشَى غوائله ... قطعته بكلوء العين مِسْهار

وبعد ان وصف ناقته قال

وشارب مُرْبح بالكأس نادمنى ... لا بالحصور ولا فيها بسوّار (٥)
نازعته طيّبَ الراح الشَّمول وقد ... صاح الدجاج وحانت وقفة السارى

(١) راذان كورتان بسواد بغداد (٢) تأبد المنزل اقفر والفته الوحوش (٣) نية قذف تتقاذف بصاحبها (٤) أى ذهبت أعلامه وانمحت (٥) مربح بالكأس يعطى فيها ربحاً والحصور البخيل والسوار من تسور الخمر فى رأسه سريعاً والذى يواثب نديمه اذا شرب

من خمر عانة[1] ينصاع الفرات لها بجدول صخب الآذيّ جرّار
كُمَيت ثلاثة أحوال بطينتها حتى اذا صرحت من بعد تهدار
آلت الى النصف من كلفاء[2] أترعها علج ولثمها بالجفن والغار
ليست بسوداء من ميثاء[3] مظلمة ولم تعذب بادناء من النار
لها رداءان نسج العنكبوت وقد حفت بآخر من ليف ومن قار
صهباء قد كلفت من طول ما حبست في مخدع بين جنات وأنهار
عذراء لم يجتل الخطاب بهجتها حتى اجتلاها عباديٌّ بدينار
في بيت منخرق السربال معتمل ما ان عليه ثياب غير أطمار
اذا أقول تراضينا على ثمن ضنّت بها نفس خبّ البيع مكار
كأنما العلج اذ أوجبت صفقتها خليع خصل[4] نكيت بين أقمار
لما أتوها بمصباح ومبزلهم سارت اليهم سؤور الأبجل[5] الضاري
تدمى اذا طعنوا فيها بجائفة[6] فوق الزجاج عتيق غير مسطار
كأنما المسك نهبى بين أرحلنا مما تضوع من ناجودها الجاري
انى حلفت برب الراقصات وما أضحى بمكة من حجب وأستار
وبالهديّ اذا احمرت مذارعها في يوم نسك وتشريق وتنحار
وما بزمزم من شمط محلّقة وما بيثرب من عون وأبكار
لألجأتني قريش خائفاً وجلا وموّلتني قريش بعد اقتار
المنعمون بنو حرب وقد حدقت بي المنية واستبطأت أنصاري

(١) عانة بلد بين الرقة وهيت يعد في أعمال الجزيرة وينصاع ينتقل راجعاً مسرعاً
(٢) الكلفاء التى تشتد حمرتها حتى تضرب الى السواد والجفن شجر طيب الريح وكذلك الغار
(٣) الميثاء الارض السهلة (٤) الخصل فى النضال أن يقع السهم بلزق القرطاس والنكيت المطعون فيه (٥) الابجل عرق فى باطن الذراع (٦) الجائفة الطعنة التى تصل الى الجوف. والمسطار الخمرة الصارعة لشاربها

بهم تكشف عن أحيائها ظلم حتى ترفع عن سمع وأبصار
قوم اذا حاربوا شدوا مآزرهم دون النساء ولو باتت بأطهار

ومن طواله الجياد

خفّ القطين فراحوا منك أو بكروا وأزعجتهم نوى فى صرفها غير
كأننى شارب يوم استبدّ بهم من قرقف ضمنتها حمص أوجدر (١)
جادت بها من ذوات القار مترعة كلفاء ينحتّ عن خرطومها المدر
الذّ أصابت حمياها مقاتله فلم تكد تنجلي عن قلبه الخمر
كأننى ذاك أو ذو لوعة خبلت أوصاله أو أصابت قلبه النشر (٢)
شوقاً اليهم ووجداً يوم أتبعهم طرفى ومنهم بجنبى كوكبى (٣) زمر
حثوا المطى فولتنا مناكبها وفى الخدور اذا باغمتها (٤) الصور
يبرقن (٥) بالقوم حتى يختبلنهم ورأيهن ضعيف حين يختبر
يا قاتل الله وصل الغانيات اذا أيقنّ أنك ممن قد زها الكبر
أعرضن لما حنى قوسى موترها وابيض بعد سواد اللمّة الشعر
ما يرعوين الى داع لحاجته ولا لهن الى ذى شيبة وطر
شرّقن اذ عصر العيدان بارحها وأيبست غير مجرى السنّة الخضر
فالعين عانية بالماء تسفحه من نيّة فى تلاقى أهلها ضرر
منقضبين انقضاب الحبل يتبعهم من الشهيق وعين القسم الوطر
حتى هبطن من الوادى لغضبته أرضاً تحلّ بها شيبان أو غبر
حتى اذا هن ورّكن القصيم وقد أشرفن أو قلن هذا الخندق الحفر
وقعن أصلا وعجنا من نجائبنا وقد تحين من ذى حاجة سفر

(١) القرقف الخمر وجدر قرية بين حمص وسلمية (٢) النشر جمع نشرة وهى من السحر
(٣) كوكبى موضع (٤) باغمه حادثه بصوت رخيم (٥) أبرق هدد وأوعد

الى امرىء لا تعرّينا نوافله ... أظفره الله فليهنأ له الظفر
الخائض الغَمْرَ والميمون طائره ... خليفة الله يستسقى به المطر
والهمُّ بعد نجيّ النفس يبعثه ... بالحزم والأصمعان القلب والحَذَر
والمستمر به أمر الجميع فما ... يغترّه بعد توكيد له غَرَر
وما الفرات اذا جاشت حوالبه ... فى حافتيه وفي أوساطه العُشَر
وذعذعته[١] رياح الصيف واضطربت ... فوق الجآجئ من آذيّه غُدُر
مُسْحَنفِرا من جبال الروم يستره ... منها أكافيف[٢] فيما دونها زَوَر
يوما بأجود منه حين تسأله ... ولا بأجهرَ منه حين يجتهر
ولم يزل بك واشيهم ومكرهمُ ... حتى أشاطوا[٣] بغيب لحم من يَسَروا
فلم يكن طاويا عنا نصيحته ... وفى يديه بدنيا دوننا حَصَر
فهو فداء أمير المؤمنين اذا ... أبدى النواجذَ يوم باسل ذكر
مفترشا كافتراش الليث كلكله ... لوقعة كائن فيها له جَزَر
مقدّما مائتى الف لمنزله ... ما ان رأى مثلهم جن ولا بشر
يغشَى القناطرَ يبنيها ويهدمها ... مُسَوَّم فوقه الرايات والقَتَر
حتى يكون لهم بالطفّ[٤] ملحمة ... وبالثَّوِيَّة لم ينبِض بها وتر
وتستبين لأقوام ضلالتهم ... ويستقيم الذى فى خده صعَر
ثم استقل بأثقال العراق وقد ... كانت له نقمة فيهم ومدَّخر
في نَبْعَة من قريش يعصبون بها ... ما ان يوازَى بأعلى نبتها الشجر
تعلو الهِضاب وحلّوا فى أرومتها ... أهل الرياء وأهل الفخر ان فخروا
حُشْدٌ على الحق عيّافو الخنا أُنُف ... اذا ألَمّت بهم مكروهة صبروا

---

(١) حركته تحريكا شديداً والجؤجؤ صدر السفينة والآذى الموج (٢) أكافيف الجبل حيوده (٣) أشاط اللحم عن القوم فرقه (١) الطف ارض من ضاحية الكوفة فى طريق البرية والثوية موضع قريب من الكوفة

وان تدجّت على الآفاق مظلمة ... كان لهم مخرج منها ومعتصر
أعطاهم الله جداً ينصرون به ... لا جدّ الا صغير بعد محتضر
لم يأشروا فيه اذا كانوا مواليه ... ولو يكون لقوم غيرهم أشروا
شمس العداوة حتى يستقاد لهم ... وأعظم الناس أحلاماً اذا قدروا
لا يستقل ذوو الأضغان حربهم ... ولا يبين فى عيد انهم خَوَر
همُ الذين يبارُون الرياح اذا ... قل الطعام على العافين أو قتروا
بنى أمية نعماكم مُجَلِّلة ... تمت فلا مِنّة فيها ولا كدر
بنى أمية قد ناضلت دونكم ... أبناء قوم همُ آووا وهمْ نصروا
أفحمت عنكم بنى النجار قد علمت ... عليا معدّ وكانوا طالما هدروا
حتى استكانوا وهم منى على مضض ... والقول ينفذ مالا تنفذ الابر
بنى أمية انى ناصح لكمُ ... فلا يبيتن فيكم آمناً زُفَر
واتّخذوه عدوا ان شاهده ... وما تغيب من أخلاقه دعَر
ان الضغينة تلقاها وان قدمت ... كالعرّ يكمن حينا ثم ينتشر
وقد نصرت أمير المؤمنين بنا ... لما أتاك ببطن الغُوطة الخبر

وقد ذكر بعد ذلك فيها حديث عمير بن الحباب وهجا قيساً

وكان السبب فى هجائه الأنصار أنه لما شبب عبد الرحمن بن حسان برملة بنت معاوية أرسل يزيد الى كعب بن جُعيل فقال اهج الأنصار، فقال أفرق من أمير المؤمنين، ولكن أدلك على الشاعر الكافر الماهر، قال ومن هو؟ قال الأخطل، فدعابه فقال اهج الأنصار، فقال أفرق من أمير المؤمنين، فقال لا تخف شيئاً أنا لك بذلك، فهجاهم فقال

واذا نسبت ابن الفُريعة خلته ... كالجحش بين حمارة وحمار
لعن الاله من اليهود عصابة ... بالجزع بين صُلَيْصِل وصرار
قوم اذا هدَر العصير رأيتهم ... حمرا عيونهم من المسطار
خلوا المكارم لستمُ من أهلها ... وخذوا مساحيكم بنى النجار

ان الفوارس يعلمون ظهوركم أولاد كل مقبح أكار

ذهبت قريش بالمكارم والعلا واللؤم تحت عمائم الأنصار

فبلغ ذلك النعمان بن بشير ، فدخل على معاوية فحسر عن رأسه عمامته وقال يا أمير المؤمنين أترى لؤماً ؟ قال لا بل أرى كرماً وخيرا ما ذاك ؟ قال زعم الأخطل أن اللؤم تحت عمائمنا ، قال أو فعل ؟ قال نعم ، قال لك لسانه ، وكتب فيه أن يؤتى به ، فلما أتى سأل الرسول ليدخل الى يزيد أولا ، فأدخله عليه ، فقال هذا الذى كنت أخاف ، قال لا تخف شيئاً ودخل على معاوية فقال علام أرسل الى هذا الرجل وهو يرمى من وراء جمرتنا ؟ قال هجا الأنصار ، قال ومن زعم ذلك؟ قال النعمان بن بشير ، قال لا يقبل عليه وهو يدّعى لنفسه ولكن تدعوه بالبينة فان أثبت شيئاً أخذته به له ، فدعاه بالبينة فلم يأت بها فخلى سبيله فقال الأخطل يمدح يزيد من قصيدة أولها

صحا القلب الامن ظعائن فاتنى بهن أمير مستبد فأصعدا

يقول فيها

وانى غداة استعبرت أُم مالك لراض من السلطان أن يتهددا

ولولا يزيد ابن الملوك وسَيْبُه تجللت حِدْبارا[1] من الشر أنكدا

فكم أنقذتنى من جرور[2] حبالكم وخرساء لو يُرمَى بها الفيل بلّدا

ودافع عنى يوم جِلّقَ غمْرة وهمّا ينسينى السُّلاف المهوّدا[3]

وبات نجيا فى دِمَشق لحية اذا عض لم يَنْم[4] السَّليم وأقْصدا

يخفّته طورا وطورا اذا رأى من الوجه اقبالا ألحّ وأجهدا

أبا خالد دافعت عنى عظيمة وأدركت لحمى قبل أن يتبددا

(١) الحدبار السنة الجدبة المقحطة ويستعار للامر الصعب (٢) بئر جرور بعيدة القعر والخرساء الداهية (٣) هوده الشراب أسكره (٤) أنمى الصيد غاب عنك ومات بحيث لا تراه والسليم الملدوغ (٥) أغذ أسرع

وأطفأت عنى نار نعمان بعد ما ... أغذّ (١) لأمر عاجز وتجردا
ولما رأى النعمان دونى ابن حرة ... طوى الكشح إذ لم يستطعنى وعرّدا
ولاقى امرأً لا ينقض القوم عهده ... أمرّ القوى دون الوشاة وأحصدا
أخائفة لا يجتويه نوية ... ولا نائياً عنه اذا ما توردا

ومن طواله يمدح ابن ربعى

لمن الديار بحائل فوعال (١) ... درست وغيرها سنون خوال
درج البوارح فوقها فتنكرت ... بعد الأنيس معارف الأطلال
فكأنما هى من تقادم عهدها ... ورق نشرن من الكتاب بوال
دمن تدعدعها الرياح وتارة ... تسقى بمرتجز (٢) السحاب ثقال
باتت يمانية الرياح تقوده ... حتى استقاد لها بغير حبال
فى مظلم غدق الرباب كأنما ... يسقى الأشق وعالجاً بدوال (٣)
وعلى زبالة بات منه كلكل ... وعلى الكثيب وقلة الأدحال
دار تبدلت النعام بأهلها ... وصوار كل ملمع ذيال (٤)
وعلا البسيطة فالشقيق بريق ... فالضوج بين رؤية فطحال
أدم مخدمة (٥) السواد كأنها ... خيل هوامل بتن فى أجلال
ترعى بحازجها (٦) خلال رياضها ... وتميس بين سباسب ورمال
ولقد تكون بها الرباب لذيذة ... بفم الضجيع ثقيلة الأوصال
يجرى ذكى المسك فى أردانها ... وتصيد بعد تقتل ودلال

---

(١) وعال جبل بسماوة كلب بين الكوفة والشام وحائل من ارض اليمامة (٢) ارتجز الرعد تدارك صوته كارتجاز الراجز (٣) الرباب السحاب الأبيض والأشق وعالج موضعان والدالية الساقية وجمعها دوال (٤) الذيال الثور الوحشى والملمع الذى يكون فى جسده بقع تخالف سائر لونه (٥) خدم الفرس على المجهول قصر بياض تحجيله عن الوظيف فاستدار بأرساغ رجليه دون يديه فوق الأشاعر فهو مخدم (١) البحزج ولد البقرة الوحشية

قلبَ الغَويّ اذا اتنبه بعد ما تعمّــلَ كل مُذَالة مِتفال
عشنا بذلك حِقبة من عيشــنا وثَراً من الشهوات والأموال
ولقد أكون لهن صاحب لذة حتى تغير حالهن وحالى
فتنـكرت لـما علتني كبْرة عند المشيب وآذنت بزيال
لـما رأت بدل الشباب بكت له والشيب أرذل هـذه الأبدال
والناس همهم الحياة وما أرى طول الحياة يزيد غير خَبال
واذا افتقرت الى الذخائر لم تجد ذُخراً يكون كصالح الأعمال
ولئن نجوت من الحوادث سالماً والنفس مُشْرِفة على الآجال
لأُغَلغِلن الى كريم مِدْحة ولأُثنينّ بنائـــل وفعال
ان ابن ربْعِيّ كفانى سَيْبُه ضِغْن العدو ونبْوة البُخّال
أغليتَ حين توا كلتي وائل ان المكارم عند ذاك غوال
ولقد شفيت مليلتي من معشر نزلوا بعقْوة (١) حيـــة قتال
بَعُدَت قعور دِلائهم فرأيتهم عنــد الحَمالة مُغْلقِي الأقفال
ولقد منذْتَ على ربيعةَ كلها وكفَيْتَ كل مُواكل خذّال
كزْم (٢) اليدين عن العطية ممسك ليست تبِضّ صفاته ببلال
مثل ابن بَزْعة أو كآخر مثله أولى لك ابنَ مُسيمة الأجمال
ان اللئيم اذا سألت بَهَرْتَه وترى الكريم يراح كالمختال
واذا عدلت به رجالا لم تجـد فيض الفرات كرائح الأوشال (٣)
واذا تبوّع (٤) للحمالة لم يكن عنها بمنبهر ولا سَـعَّال
واذا أتى باب الأمير لحاجة سَمَت العيون الى أغرّ طُوال

(١) العقوة الساحة والمحلة (٢) لا يبسطها بالمعروف (٣) الوشل الماء القليل يتحلب من صخر او جبل ولا يتصل قطره (٤) تبوع للمساعى مد باعه

ضخم سرادقه يعارض سيبه نفحاتِ كل صباً وكل شمال
واذا المئون تؤوكلت أعناقها فاحمل هناك على فتى حمّال
ليست عطيته اذا ما جئته نزراً وليس سجاله كسجال
فهو الجواد لمن تعرض سيبه وابن الجواد وحامل الأثقال
ومسوَّم خرق الحتوف تنوده للطعن يوم كريهة وقتال
أقصدت قائدها بعامل صعدة ونزلت عند توا كل الأبطال
والخيل عابسة كأن فروجها ونحورها ينضحن بالجريال (١)
والقوم تختلف الأسنة بينهم يكبون بين سوافل وعوال
ولقد ترد الخيل عن أهوائها وتكف حد رجالها برجال

ثم وصف الخمر وهجا جريراً وقومه

دخل الأخطل على بشر بن مروان وعنده الراعى ، فقال له بشر أأنت أشعر أم هذا ؟ قال أنا أشعر منه وأكرم ، فقال للراعى ما تقول ؟ قال أما أشعر فعسى ، وأما أكرم فان كان فى أمهاته من ولدت مثل الأمير فنعم ، فلما خرج الأخطل قال له رجل أتقول لخال الأمير أنا أكرم منك ؟ قال ويلك ان أبا نسطوس وضع في رأسى اكؤساً ثلاثا فو الله ما أعقل معها

دخل على عبد الملك فاستنشده فقال قد يبس حلقى فمر من يسقينى ، فقال اسقوه ماء ، فقال شراب الحمار وهو عندنا كثير ، قال فاسقوه لبنا ، قال عن اللبن فطمت ، قال فاسقوه عسلا ، قال شراب المريض ، قال فتريد ماذا ؟ قال خمراً يا أمير المؤمنين ، قال أو عهدتنى أسقى الخمر لا أم لك ؟ لولا حرمتك بنا لفعلت بك وفعلت ، فخرج فلقى فراشا لعبد الملك فقال ويلك ان أمير المؤمنين استنشدنى وقد صحل صوتى فاسقنى شربة خمر ، فسقاه ، فقال اعدله بآخر ، فسقاه آخر ،

(١) الجريال صبغ احمر

فقال تركتهما يعتركان في بطني اسقني ثالثاً ، فسقاه ثالثاً ، فقال تركتني أمشي على واحدة اعدل ميلي برابع ، فسقاه رابعاً ، فدخل على عبد الملك فأنشده « خفّ القطين » فقال عبد الملك خذ بيده يا غلام فأخرجه ثم ألق عليه من الخلع ما يغمره وأحسن جائزته وقال ان لكل قوم شاعراً وان شاعر بنى أُمية الأخطل

لما استنزل عبد الملك زُفَر بن الحرث الكلابى من قَرْقيسيا أقعده معه على سريره ، فدخل عليه ابن ذى الكُلاع ، فلما نظر اليه مع عبد الملك على السرير بكى ، فقال له مايُبْكيك ؟ فقال ياأمير المؤمنين وكيف لا أبكي وسيف هذا يقطر من دماء قومى فى طاعتهم لك وخلافه عليك ؟ ثم هو معك على السرير وأنا على الأرض ، قال انى لم أجلسه معك أن يكون أكرم عليَّ منك ولكن لسانه لسانى وحديثه يعجبنى ، فبلغت الأخطل وهو يشرب ، فقال أما والله لأقومن فى ذلك مقاماً لم يقمه ابن ذى الكُلاع ، ثم خرج حتى دخل على عبد الملك ، فلما ملأ عينيه منه قال

وكأس مثل عين الديك صِرف ... تُنَسِّى الشاربين لها العقولا
اذا شرب الفتى منها ثلاثاً ... بغير الماء حاول أن يطولا
مشى قرشــــية لاشك فيها ... وأرخى من مآزره الفضُولا

فقال له عبد الملك ما أخرج هـذا منك ياأبا مالك الا خُطَّة فى رأسك ، قال أجَلْ والله ياأمير المؤمنين حين تجلس عدوَّ الله هذا معك على السرير وهو القائل بالأمس

وقد ينْبُتُ المرعَى على دِمَن الثرى ... وتبقى حزازات النفوس كما هيا

فقبض عبد الملك رجله ثم ضرب بها صدر زُفَر فقلبه عن السرير وقال أذهب الله حزازات تلك الصدور ، فقال أنشدك اللهَ ياأمير المؤمنين والعهد الذى أعطيتنى ، فكان زفر يقول ما أيقنت بالموت قط الا تلك الساعة حين قال الأخطل ما قال

قال الأخطل فضلت الشعراء فى المديح والهجاء والنسيب بما لا يلحق بى ، فأما النسيب فقولي

ألا يا اسلمى يا هندُ هندَ بنى بدر وان كان حيَّانا عِدًى آخر الدهر
من الخَفِرات البيض أما وِشاحها فيجرى وأما القُلْبُ (١) منها فلا يجرى
تموت وتحيا بالضجيع وتلتوى بمَطْرِدِ المتنين منبتر الخصر

وقولي فى المديح

نفسي فداء أمير المؤمنين اذا أبدى النواجذ يوم عارم ذكر
الخائض الغمر والميمون طائره خليفة الله يستسقى به المطر

وقولى فى الهجاء

وكنت اذا لقيت عبيد تَيم وتيما قلت أيهما العبيد
لئيم العالمين يسود تيما وسيدهم وان كرهوا مَسود

طلق اعرابى امرأته فتزوجها الأخطل وكان الأخطل قد طلق امرأته قبل ذلك ، فبينا هى معه اذ ذكرت زوجها الأول فتنفست ، فقال الاخطل

كلانا على هم يبيت كأنما بجنبيه من مَسِّ الفراش قروح
على زوجها الماضى تنوح واننى على زوجتى الأخرى كذاك أنوح

قال الأخطل لعبد الملك بن المهلب ما نازعتنى نفسى قط الى مدح أحد ما نازعتنى الى مدحكم فأعطنى عطيـة تبسط بها لسانى فوالله لأُرَدِّينكم أَرْدية لا يذهب صِقالها الى يوم القيامة ، فقال أعلم والله يا أبا مالك أنك بذلك ملئٌ ولكنى أخاف ان يبلغ أمير المؤمنين أنى أسأل فى غُرْم وأعطى الشعراء فأهلك ويظن ذلك منى حيلة ، فلما قدم على اخوته لاموه كل اللوم فيما فعله ، فقال قد أخبرته بعذرى

(١) القلب سوار المرأة غير ملوى

نزل الفرزدق على الأخطل ليلاً وهو لا يعرفه ، فجاءه بعشاء ، ثم قال له انى نصرانى وأنت حنيف فأى الشراب أحب اليك ؟ قال شرابك ، ثم جعل الأخطل لا ينشد بيتاً الا أتم الفرزدق القصيدة ، فقال الأخطل لقد نزل بى الليلة شر من أنت ؟ قال الفرزدق بن غالب ، فسجد لى وسجدت له ، فقيل للفرزدق فى ذلك فقال كرهت أن يفضلنى ، فنادى الاخطل يا بنى تغلب هذا الفرزدق ، فجمعوا له ابلاً كثيرة ، فلما أصبح فرّقها ثم شخص .

قال عمر بن شبَّة مما يقدم به الأخطل انه كان أخبثهم هجاء فى عفاف من الفحش وقال الأخطل ما هجوت أحداً قط بما تستحي العذراء أن تنشده أباها

خرج يزيد بن معاوية عام حج بالأخطل فاشتاق يزيد الى أهله فقال

بكى كل ذى شجو من الشام شاقه ... تهام فأنى يلتقى الشجيان

أجز يا أخطل ، فقال

يغور الذى بالشأم أو ينجد الذى ... بغور تهامات فيلتقيان

قيل لأبى العباس أمير المؤمنين ان رجلا شاعراً قد مدحك أتسمع شعره ؟ قال وما عسى أن يقول فىّ بعد قول ابن النصرانية فى بني أمية

شمس العداوة حتى يستقاد لهم ... وأعظم الناس أحلاماً اذا قدروا

قال أبو عبدالملك كانت بكر بن وائل اذا تشاجرت فى شئ رضيت بالأخطل ، وكان يدخل المسجد فيقومون اليه ، قال فرأيته بالجزيرة وقد شكى الى القسّ وقد أخذ بلحيته وضربه بعصاه وهو يصي كما يصي الفرخ ، فقلت له أين هذا مما كنت فيه بالكوفة ؟ فقال يا ابن أخى اذا جاء الدين ذللنا ، وقال اسحق بن عبد الله الهاشمى قدمت دمشق وأنا شاب مع أبى فكنت أطوف فى كنائسها ومساجدها ، فدخلت كنيسة دمشق واذا الأخطل فيها محبوس ، فجعلت أنظر اليه ، فسأل عنى فأخبر بنسبي ، فقال يا فتى انك لرجل شريف وانى أسألك حاجة ، فقلت حاجتك

مقضية ، قال ان القسَّ حبسني هنا فتكلمه ليخلي عني ، فأتيت القس فانتسبت له فرَحَّب بي وعظّم ، قلت ان لي اليك حاجة ، قال ما حاجتك ؟ قلت الأخطل تخلي عنه ، قال أعيذك بالله من هذا ، مثلك لا يتكلم فيه ، فاسق يشتم أعراض الناس ويهجوهم ، فلم أزل أطلب اليـه حتى مضى معي متكئاً على عصاه ، فوقف عليه ورفع عصاه وقال يا عدو الله أتعود تشتم الناس وتهجوهم وتقذف المحصنات ؟ وهو يقول لست بعائد ولا أفعل و يستخذي له ، فقلت له يا أبا مالك ، الناس يهابونك والخليفة يكرمك وقدرك في الناس قدرك وأنت تخضع لهذا هذا الخضوع وتستخذي له ، فجعل يقول انه الدين انه الدين ، وقال الهيثم بن عدي كانت امرأة الأخطل حاملاً وكان متمسكا بدينه ، فمر به الأسقف يوماً فقال لها الحقيه فتمسحي به ، فعدت فلم تلحق الا ذَنَب حماره فتمسحت به ورجعت ، فقال لها هو وذنب حماره سواء

قال معاوية بن أبي عمرو بن العلاء لمحمد بن سلام أي البيتين عندك أجود ؟ قول جرير

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطونَ راح

أم قول الأخطل

شمس العداوة حتى يستقاد لهم وأعظم الناس أحلاماً اذا قدروا

فقلت بيت جرير أحلى وأسير وبيت الأخطل أجزل وأرزَن ، فقال صدقت وهكذا كانا في أنفسهما عند الخاصة والعامة

سمع هشام بن عبد الملك الأخطل يقول

واذا افتقرت الى الذخائر لم تجد ذُخرا يكون كصالح الأعمال

فقال هنيئاً لك أبا مالك ، هذا الاسلام ، فقال له يا أمير المؤمنين مازلت مسلما في ديني

أتى الأخطل الكوفة فأتى الغضبان بن القبعثرى الشيبانى فسأله فى حمالته ، فقال ان شئت أعطيتك ألفين لم يعطكها الا قليل وان أعطيتك درهمين لم يبق فى الكوفة بكرى الا أعطاك درهمين وكتبنا الى اخواننا بالبصرة فلم يبق بكرى بها الا أعطاك درهمين نخفت عليهم المؤنة وكثر لك النيل ، فقال فهذه اذاً ، قال نقسمها لك على ان ترد علينا ، فكتب بالبصرة الى سُويد بن منجوف السَّدوسى ، فقدم البصرة فأتى سويدا فأخبره بحاجته ، فقال نعم ، وأقبل على قومه فقال هذا أبو مالك قد أتاكم يسألكم أن تجمعوا له وهو الذى يقول

اذا ما قلت قد صالحت بكرا ... أبى الأضغان والنسب البعيد
ومُهْراق الدماء بواردات ... تَبيد المخزيات ولا تَبيد
وأيام لنا ولهم طوالٍ ... يعَضّ الهامَ فيهن الحديدُ
هما أخوان يصطليان نارا ... رداء الموت بينهما جديد

فقالوا فلا والله لا نعطيه شيئاً ، فقال الأخطل

ألا أبلغ بنى شيبان عنى ... فما بينى وبينكمُ ذُحول
وكنتم اخوتى نخذلتمونى ... غداة تخاطرت تلك الفحول
ثوا كلنى بنو العلّات منكم ... وغالت مالكاً ويزيد غُول
قريعا وائل هلكا جميعاً ... كأن الأرض بعدهما مُحُول
فان تمنع سدُوس درهميها ... فان الريح طيبة قَبُول
متى آتى الأراقم لا يَضِرنى ... نَبيب الأسعديّ وما يقول
رَوابٍ من بني جُشَم بن بكر ... تصدعُ عن مناكبها السيول

وقال فى سويد بن منجوف

وما جِذْع سوءٍ خرب السُّوس أصله ... لما حملته وائل بمطيق
تُطيف سدُوس حوله وكأنها ... عِصِيّ أشاء لُوِّحت بحريق

جَاد الصفَا ما ان يَبِضُّ بقَطْرَة ... ولو كانَ ذا زرّاعة ورقيق

فان نعف عن حمران بكر بن وائل ... فما ان لنا سودانهم بصديق

فقال له سويد والله يا أبا مالك ما تحسن تهجو ولا تمدح ، لقد أردت مدح الأسديّ فهجوته ، يعني قوله يمدح سماكاً الهالكيّ من بني عمرو بن أسد وبنو عمرو يلقبون القُيون

نعم المجير سِماك من بني أسد ... بالقاع اذ قتلت جيرانَها مُضَر

قد كنت أحسبُه قيناً وأخبره ... فاليوم طيّرَ عن أثوابه الشرر

ان سماكاً بنى مجداً لأسرته ... حتى الممات وفعل الخير يُبتدَر

فقال سماك يا أخطل أردت مدحي فهجوتني ، كان الناس يقولون قولاً فحققته ، قال سويد وأردت هجائي فمدحتني جعلت وائلاً حملتني أمورها وما طمعت في بني ثعلبة فضلاً عن بكر فزدتني تَغْلِب ، ولذلك قال محمد بن سلام كان الأخطل مع مهارته وشعره يسقط أحياناً

بينا الأخطل جالس عند امرأة من قومه ، وكان أهل البدو اذ ذاك يتحدث رجالهم الى النساء لا يرون بذلك بأسا وبين يديه باطية شراب والمرأة تحدثه ، اذ دخل رجل فجلس ، فثقل على الأخطل وكره أن يقول له قم استحياء منه ، وأطال الرجل الجلوس الى أن أقبل ذباب فوقع في الباطية في شرابه ، فقال الرجل يا أبا مالك الذباب في شرابك ، فقال

وليس القذَى بالعود يسقط في الخمر ... ولا بذباب نزعه أيسر الأمر

ولكن قذاها زائر لا نُحبه ... رمتنا به الغيطان من حيث لا ندرى

دعا الأخطل شاب من شباب أهل الكوفة الى منزله ، فقال له يا ابن أخي أنت لا تحتمل المؤونة وليس عندك معتمد ، فلم يزل به حتى انتجعه ، فأتى الباب فقال يا شقراء ، فخرجت اليه امرأة ، فقال لأمه هذا أبو مالك قد أتاني ، فباعت

غزلاً لها ، واشترت لحماً ونبيذاً وريحاناً ، فدخل خصاً لها فأكل معه وشرب ، فقال

لعمرك ما لاقيت يوم معيشة ··· من الدهر الا يوم شقراء أقصر
حوارية لا يقرب الذم بيتها ··· مطهرة يأوى اليها المطهر
وبيت كظهر الفيل أكثر حشوه ··· أباريقه والشادن المتقطر (١)
ترى فيه أثلام الأصيص كأنه ··· اذا بال فيه الشيخ جفر معور (٢)

اجتمع الفرزدق وجرير والأخطل عند بشر بن مروان ، وكان بشر يغري بين الشعراء ، فقال للأخطل احكم بين الفرزدق وجرير ، فقال أعفني أيها الأمير ، قال احكم بينهما ، فاستعفاه بجهده ، فأبى الا أن يقول ، فقال هذا حكم مشئوم ، ثم قال الفرزدق ينحت من صخر وجرير يغرف من بحر ، فلم يرض بذلك جرير وكان سبب الهجاء بينهما ، فقال جرير فى حكومته

ياذا الغباوة ان بشراً قد قضى ··· ألاّ تجوز حكومة النشوان
فدعوا الحكومة لستم من أهلها ··· ان الحكومة فى بني شيبان
قتلوا كليبكم بلقحة جارهم ··· ياخزر تغلب لستم بهجان

فقال الأخطل

ولقد تناسبتم الى أحسابكم ··· وجعلتم حكماً من السلطان
فاذا كليب لا تساوى دارماً ··· حتى يساوى حزرم بأبان
واذا جعلت أباك فى ميزانهم ··· رجحوا وشال أبوك فى الميزان
واذا وردت الماء كان لدارم ··· عفواته وسهولة الأعطان

ثم استطار الهجاء بينهما

---

(١) المتقطر المتبخر بالقطر بضم القاف وهو العود (٢) عور عين الركية كبسها بالتراب حتى نضب الماء ، والجفر البئر الواسعة لم تطو والاصيص باطية يبال فيها

أعشى بنى تغلب

هو ربيعة بن يحيى بن معاوية من جُشَم بن بكر ثم من تغلب

شاعر من شعراء الدولة الأموية وساكنى الشام اذا حضر واذا بدا نزل فى بلاد قومه بنواحى الموصل وديار ربيعة ، وكان نصرانياً وعلى ذلك مات.

كان ينادم الحُرّ بن يوسف بن يحيى بن الحكم ، فشربا يوماً فى بستان له بالموصل ودعا الحر بجواريه فدخلن عليه قبته واستيقظ الأعشى فأقبل ليدخل القبة فمانعه الخدم وواقعهم حتى كاد يهجم على الحر مع جواريه ؛ فلطمه خصىّ منهم فخرج الى قومه فقال لهم لطمنى الحر ، فوثب معه رجل من بنى تغلب يقال له ابن أدعج وهو شهاب بن همام بن ثعلبة فاقتحما الحائط وهجما على الحر حتى لطمه الأعشى ثم رجعا فقال الأعشى

كأنى وابن أدعج اذ دخلنا ... على قرشيك الورَع [1] الجبان
هِزَبْرَا غابة وقَصَا حمارا ... فظلا حـوله يتناوشان
أنا الجُشَمى من جُشَمِ بن بكر ... عشية رُعْتُ طرفك بالبنان
فما يسطيع ذو مُلْك عقابى ... اذا اجترمت يدى وجنى لسانى

مدح أعشى تغلب مُدْرِك بن عبد الله الكنانى فأساء ثوابه فقال الأعشى

لَعَمْرُك انى يوم أمدح مُدْرِكا ... لكالمبتنى حوضاً على غير منهَل
أمر الهوى دونى وفيَّل مدحتى ... ولو لكريم قلتها لم تُفَيَّل

ومن قوله فى الوليد بن عبد الملك

لعمرى لقد عاش الوليد حياته ... امام هدى لا مستزاد ولا نزر
كأن بنى مروان بعد وفاته ... جلاميد لا تندى وان بلَّها القطر

(١) ورع الرجل فهو ورع جبن وصغر

كانت بين بنى شيبان وبين تغلب حروب فعاون مالك بن مِسْمَع بني شيبان في بعضها ثم قعد عنهم فقال أعشى تغلب فى ذلك

بني أمنا مهلا فان نفوسنا تميت عليكم عتبها ومصالها
ونرعى بلا جهل قرابة بيننا وبينكمُ لما قطعتم وصالهـا
جزى الله شَيْبانا وتَيْما ملامة جزاء المسيء سعيها وفعالهـا
أبا مِسْمَع من تُنكر الحقَّ نفسُهُ وتعجزْ عن المعروف يَعْرِفْ ضلالها
أأوقدتَ نار الحرب حتى اذا بدا لنفسك ما تَجْنِي الحروبُ فهالها
نزعت وقد جردتها ذات منظرَ قبيح مهين حيث ألقت حلالها
ألسنا اذا ما الحرب شُبَّ سعيرها وكان سفيحُ المَشْرَفيِّ صلالها
أجارتنا حِلٌّ لكم أن تنازلوا محارمَها وان تميزوا حلالها
كذبتم يمين الله حتى تعاوروا صدور العَوالى بيننا ونِصالها
وحتى ترى عين الذى كان شامتاً مُزاحفُ عقْرَى بيننا ومجالها

ومن قوله وفيه غناء

دار لقانصة الغَرانق (١) ما بها غير الوحوش خلت له وخلا لها
ظلت تسـائل بالمتيم ما به وهى التى فعلت به أفعالها

القطامى

هو عُمَيْر بن شُيَيم بن عمرو من بنى غنم بن تَغْلِب ، والقَطامىّ لقب غلب عليه ، وهو أول من لقب صَريع الغَوانى بقوله

صريع غوانٍ راقهن ورُقْنه لَدُنْ شبّ حتى شاب سود الذوائب

(١) الغرنوق الشاب الابيض الجميل وجمعه غرانق

نزل فى بعض أسفاره بامرأة من محارب قيس ، فنسبها ، فقالت أنا من قوم يشتون القد من الجوع ، قال ومن هؤلاء ويحك ؟ قالت محارب ، ولم تقره ، فبات بأسوأ ليلة ، فقال فيها قصيدة أولها

نأتك بليلى نية لم تقارب (١) وما حب ليلى من فؤادى بذاهب
منعمة تجلو بعود أراكة ذرى برد عذب شتيت المناصب (٢)
كأن فضيضاً من غريض غمامة على ظمأ جادت به أم غالب (٣)
لمستهلك قد كاد من شدة الهوى يموت ومن طول العدات الكواذب
صريع غوان راقهن ورقنه لدن شب حتى شاب سود الذوائب

يقول فيها

ولا بد أن الضيف مخبر ما رأى مخبر أهل أو مخبر صاحب
سأخبر بالانباء عن أم منزل تضيفتها بين العذيب فراسب
تلفعت فى طل وريح تلفنى وفى طرمساء غير ذات كواكب (٤)
الى حيزبون (٥) توقد النار بعد ما تلفعت الظلماء من كل جانب
تصلى بها برد العشاء ولم تكن تخال وبيص (٦) النار يبدو لراكب
فما راعها الا بغام مطية تريح بمحسور من الصوت لاغب (٧)
تقول وقد قربت كورى وناقتى اليك فلا تذعر علي ركائبي
وجنت جنوناً من دلاث مناخة ومن رجل عارى الأشاجع شاحب (٨)
سرى فى جليد الليل حتى كأنما تخزم بالأطراف شوك العقارب (٩)

(١) يريد لم تقارب نيتنا (٢) المناصب مراكز الاسنان (٣) فضيض ماء سائل وغريض طرى (٤) طرمساء ليلة مظلمة (٥) عجوز (٦) ضوء
(٧) محسور ضعيف (٨) دلاث ناقة ماضية وشاحب متغير
(٩) يقول أصاب أطرافه الجليد فكأن شوك العقارب تخزمت أطرافه أو دخلت فيها

فسلمتُ والتسليم ليس يسرها ... ولكنه حق على كل جَانبَ (١)
فردت سلاماً كارهاً ثم أعرضت ... كما انحاشت الأفعى مخافة ضارب (٢)
فقلت لها لا تفعلى ذا براكب ... أتاك مصيبٍ ما أصاب فذاهب
فلما تنازعنا الحديث سألتها ... مَنِ الحى ؟ قالت معشر من مُحَارب
من المشتوين القِدّ مما تراهم ... جياعاً وريف الناس ليس بناضب (٣)
فلما بدا حرمانها الضيفَ لم يكن ... عليّ مُناخ السوء ضربة لازب

قال أبو عمرو بن العَلاء أول ما حرك من القَطامى ورفع من ذكره أنه قدم فى خلافة عمر بن عبد العزيز دِمَشق ليمدحه ، فقيل له ان الشعر لا ينفُق عند هذا ولا يعطى شيئاً وهذا عبد الواحد بن الحارث فامدحه ، فمدحه بقصيدة ، قال

انا مُحَيُّوك فاسلم أيها الطَّلل ... وان بَليت وان طالت بك الطِّيَل (٤)
أنَّى اهتديت لتسليم على دِمَن ... بالغَمْر غيرهن الأعصر الأول
صافت تَعَمَّج أعناق السيول به ... من باكرٍ سَبِط أو رائح يبَل (٥)
فهن كالخِلَل (٦) الموشىّ ظاهرها ... أو كالكتاب الذى قد مسَّه البَلل
كانت منازلَ منا قد نَحُل بها ... حتى تغير دهر خائن خَبِل (٧)
ليس الجديد به تبقى بشاشته ... الا قليلا ولا ذو خلَّة يصل
والعيش لا عيش الا ما تقرُّ به ... عين ولا حال الا سوف تنتقل
والناس من يلق خيراً قائلون له ... ما يشتهى ولأمّ المخطئ الهَبَل (٨)
قد يدرك المتأنى بعض حاجته ... وقد يكون مع المستعجل الزَّلل

(١) غريب (٢) انحاشت حاذت وعدلت ومالت (٣) أى ليس لهم من العز ما يوجهون الى الريف فيمتاروا (٤) الطيل الدهور (٥) أصل التعمج للحية تلويها وصافت من الصيف ويبل من الوبل وهو المطر الشديد وسبط كثير الصب
(٦) الخلل النقش الذى يكون على جفن السيف (٧) مفسد (٨) الثكل

أمست عُلَيةَ يرتاح الفؤاد لهـا ... وللرواسم فيما دونهـا عمل

بكل منخرق (١) يجرى السَّراب به ... يُمسى وراكبه من خوفه وَجِل

يَنْضى الهجان التى كانت تكونُ بها ... عُرْضيةٌ وهِباب حين ترتحل (٢)

حتى ترى الحُرَّة الوَجْناء لاغبة ... والأرْحبيَّ الذى فى خطوه خطَلَ (٣)

خُوصاً (٤) تدبر عيوناً ماؤها سَرِب ... على الخدود اذا ما اغرورق المقل

لواغب الطرف منقوباً حواجبها ... كأنها قُلُب عاديّة مُكُل (٥)

يرمى الفِجاج بها الركبان معترضاً ... أعناق بُزَّل لها مُرخى لها الجُدُل (٦)

يمشين رَهواً (٧) فلا الأعجاز خاذلة ... ولا الصدور على الأعجازِ تتكل

فهن معترضات والحصى رَمِض ... والريح ساكنة والظل معتدل (٨)

يتبعن سامية (٩) العينين تحسبها ... مجنونة أو ترى ما لا ترى الابل

لما وردن نَبِيّاً واستتب بنـا ... مسحنفر كخطوط السيح منسحل (١٠)

على مكان غِشاش ما يقيم به ... الا مغيِّرنا والمستقى العَجِل (١١)

ثم استمر بها الحادى وجنّبها ... بطن التى نبتها الحَوْذان والنَّفَل (١٢)

حتى وردن رَكِيّاتِ (١٣) العوير وقد ... كاد المُلاء من الكتان يشتعل

وقد تعرجت لما وَرَّكت أرَكا ... ذات الشمال وعن أيماننا الرِّجَل (١٤)

---

(١) منخرق متسع (٢) ينضى يجعلها انضاء والهجان الكرام وعرضيـة اعتراض فى سيرها وهباب نشاط (٣) حرة عتيقـة كريمة ووجناء غليظه الوجنات كثيرة لحمها ولاغبة معيية وخطل سعة فى الخطو (٤) غائرة الاعين (٥) منقوباً حواجبها غارت عيونها وقلب جمع قليب وعادية قديمة ومكل قليلة الماء (٦) الجدل جمع جديل وهو الزمام (٧) رهواً ساكناً يتبع بعضها بعضاً (٨) معترضات من العرضية وهى المرح (٩) سامية رافعة

(١٠) نبى مكان ومسحنفر ممتد والسيح ضرب من البرود ومنسحل ذاهب

(١١) غشاش عجلة والمغير الذى يغير عن بعيره رحله اذا خاف أن يكون الرحل قد عقره

(١٢) الحوذان بقلة طيبة الريح والنفل أشبه شىء بها (١٣) الركيات الآبار والعوير بلد

(١٤) تعرجت تمكثت ووركت عدلت عنها والرجل مسايل الماء وأرك موضع

على مُناد دعانا دعوة كشفت ... عنا النعاس وفى أعناقنا مَيَلَ

سمعتها ورِعان الطود معرضة ... من دونها وكثيب العينة السَّهِل (١)

فقلت للركب لما أن علا بهم ... من عن يمين الحُبيَّا نظرة قبَلَ (٢)

ألمحةً من سنًا برق رأى بصرى ... أم وجه عالية اختالت به الكِلل

تُهدى لنا كلما كانت عُلاوتنا (٣) ... ريح الخُزامى جرى فيها النَّدَى الخَضِل

وقد أبيت اذا ما شئت مال معى ... على الفراش الضجيع الأغيد الرَّتِل (٤)

وقد تباكرني الصهباء يرفعها ... اليّ لينة أعطافها ثَمِل

أقول للحرْف لما أن شكت أُصلا ... مَتَّ السفار وأفنى نيّها الرِّحلُ

ان ترجعي من أبي عثمان مُنجحة ... فقد يهون على المستنجح العمل

أهل المدينة لا يحزنك شأنهم ... اذا تخاطأ عبد الواحد الأجل

أما قريش فلن تلقاهمُ أبدا ... الا وهم خير من يحفى وينتعل

ألا وهم جبل الله الذى قصُرت ... عنه الجبال فما ساوى به جبل

قوم همُ ثبتوا الاسلام فامتنعوا ... قوم الرسول الذى ما بعده رسل

من صالحوه رأى فى عيشه سعة ... ولا يري من أرادوا ضره يئِل (٦)

كم نالني منهمُ فضل على عدَم ... اذ لا أكاد من الاقتار أحتمل

وكم من الدهر ما قد ثبتوا قدمى ... اذ لا أزال مع الأعداء أنتضل

فلا همُ صالحوا من يبتغى عَنَتى ... ولا هم كدروا الخير الذى فعلوا

همُ الملوك وأبناء الملوك لهم ... والآخذون به والساسة الأُول

قال أبو عمرو الشيباني لو قال القطامى بيته

يمشين رهواً فلا الأعجاز خاذلة ... ولا الصدور على الأعجاز تتكل

(١) رعان أنوف جبال والطود جبل والعين موضع بالشام (٢) قبل أي مقابلة
(٣) العلاوة الموضع المرتفع (٤) الرتل المتفرق الاسنان التى لم يركب بعضها بعضاً
(٥) الحرف الناقة الضامرة ومت جذب السير ونيها شحمها (٦) يئل ينجو

فى صفة الناس لكان أشعر الناس ، ولو قال كثير قوله

فقلت لها ياعز كل مصيبة … اذا وطنت يوماً لها النفس ذلت

فى مرثية أو صفة حرب لكان أشعر الناس

حارب عمير بن الحُباب السلمى بني تغلب وأسر القطامى ، فأتى زُفَر بن الحارث الكلابى بقرقيسيا فخلى سبيله ورد عليه مائة ناقة فقال القطامى يمدحه

قفى قبل التفرق ياضُباعا [1] … ولا يك موقف منك الوَداعا
قفى فادى أسيرك ان قومى … وقومك [2] لا أرى لهم اجتماعا
وكيف تجامع مع ما استحلا … من الحُرَم العظام وما أضاعا
ألم يحزُنك ان جبال قيس … وتَغْلِب قد تباينت انقطاعا
يطيعون الغواة وكان شرا … لمؤتمِرِ الغَواية ان يطاعا
ألم يحزُنك ان ابني نزار … أسالا من دمائهما التِّلاعا [3]
وصارا ما تُغِبُّهما [4] أمور … تزيد سنَاَ حريقهما ارتفاعا
كما العظم الكثير يهاض حتى … يَبِتّ وانما بدأ انصداعا
فأصبح سيل ذلك قد ترقى … الى من كان منزله يفاعا [5]
وكنت أظن ان لذاك يوماً … يبُزُّ [6] عن المخبأة القِناعا
ويوم تلاقت الفئتان ضربا … وطعناً يبطح البطل الشجاعا
ترى منه صدور الخيل زُورا … كأن بها نحازا أو دُكاعا [7]
وظلت تعبِط الايدى كُلوماً … تمجّ عروقها عَلَقا مُتاعا [8]

---

(١) ضباعة ابنة زفر (٢) يريد قيساً وتغلب (٣) التلعة مسيل من مكان مشرف الى الوادى (٤) يقال غب وأغب اذا أتى يوماً ولم يأت يوماً يقول تأتيهم كل يوم لا تأتى غباً (٥) أى من كان منه فى مكان بعيد المرتقى (٦) يبز يسلب (٧) النحاز داء يأخذ البعير منه السعال والدكاع السعال (٨) تعبط تخرجه طرياً والعبط أن تذبحه من غير علة

قوارش (١) بالرماح كأن فيها ... شواطن ينتزعن بها انتزاعا
كأن الناس كلهم لأم ... ونحن لعلة (٢) علت ارتفاعا
فكل قبيلة نظروا الينا ... وحلوا بيننا كرهوا الوقاعا
فهم يتبينون سنا سيوف ... شهرناهن أياماً تباعا
ثبتنا ما من الحين الا ... يظل ترى لكوكبه شعاعا
وكنا كالحريق أصاب غابا ... فيخبو ساعة ويهب ساعا
فلا تبعد دماء ابني نزار ... ولا تقرر عيونك يا قضاعا
أمور لو تلافاها حليم ... اذا لنهى وهبب ما استطاعا
ولكن الأديم اذا تفرى (٣) ... بلى وتعيباً غلب الصناعا
ومعصية الشفيق عليك مما ... يزيدك مرة منه استماعا
وخير الأمر ما استقبلت منه ... وليس بأن تتبعه اتباعا
كذاك وما رأيت الناس الا ... الى ما جر غاويهم سراعا
تراهم يغمزون (٤) من استركوا ... ويجتنبون من صدق المصاعا
وأما يوم قلت لعبد قيس (٥) ... كلاماً ما أردت به خداعا
تعلم أن بعد الغي رشدا ... وأن لهذه الغمر انقشاعا
ولو نستخبر العلماء عنا ... ومن شهد الملاحم والوقاعا
بتغلب فى الحروب ألم يكونوا ... أشد قبائل العرب امتناعا
زمان الجاهلية كل حى ... أبرنا من فصيلتهم لماعا (٦)

---

(١) القرش صوت الرماح ووقع بعضها على بعض والشاطن الذى يمد الدلو
(٢) بنو العلات لاب واحد وامهات شتى وعلت ارتفاعاً فى العداوة وبعد النسب
(٣) تفرى تقطع والمعنى أن الاديم يدبغ على فساد فيرى فيه مثل العيون
(٤) يغمزون يضيمون واستركوا استضعفوا (٥) عبد قيس أخو القطامى
(٦) لماعا سيداً مشهوراً بمنزلة الشمس لا مع مشهور وأبرنا أهلكنا

أليسوا بالأُلى قسطوا علينا على النعمان وابتدروا السِّطاعا(١)
وهم وردوا الكُلاب على تميم بموج يبلع النـــاس ابتلاعا
فمـا جَبُنوا ولـكنا أناس نُديم لمن يقارعنـا القِراعا
فأما طيئٌ فاذا أتاها نذائرُ جيشنا وجَوا القلاعا
وأما الحى من كلب فانا نُحلهمُ السواحل والبقاعا
ومن يكن استلامَ(٢) الى ثَوِىّ فقد أكرمت يازُفَر المتاعا
أكفرا بعد رد الموت عني وبعد عطائك المائة الرِّتاعا(٣)
فلو بِيَدَى سواك غداة زلت بى القدمان لم أرْجُ اطلاعا
اذا لهلكت لو كانت صغارا من الأخلاق تبتدع ابتداعا
فلم أر منعمين أقلَّ منّا وأكرم عندما اصطنعوا اصطناعا
من البيض الوجوه بنى نُفَيل أبت أخـلاقهم الا اتساعا
بنى القَرْم الذى علمت مَعَدّ تفرع قومها سعـة وباعا

وقال أيضاً

يا ناق خُبِّي خببا زِوَرّا(٤) وقَلِّبى مَنْسِمَكِ المغبَرّا
وعارضى الليل اذا ما اخضرا أخبرك البارح حين مرا
سوف تلاقين جواداً حرا سـيد قيس زُفَر الأغرا
ذاك الذى بايع ثم برّا ونقض الأقوامُ واستمرا
قد نفع الله به وضَرّا وكان فى الحرب شهاباً مُرّا

(١) السطاع عمود البيت الذى فى وسطه فاذا نزع عموده سقط أراد قتل عمرو بن كلثوم عمرو بن هند (٢) استلام فعل ما يلام عليه والثوى الضيف المقيم (٣) الرتاع التى ترتع وترعى (٤) الزور السير الشديد

وقال أيضاً

قد صبحت قُباقباً (١) صباحا   مَهْرِيَّة قد غلبت مِرَاحا
تحمل من قيس فتى وَضَّاحا   سَمْح اليدين بالندى نَفَّاحا
كأن فى الموكب حين لاحا   بدراً يزيد النظر انفساحا
أفلح ساقٍ بيديك امتاحا   وقر عينـاً ورجا الرَّباحا
ألا ترى ما غَشِيَ الأركاحا(٢)   وغشِيَ الخابور والأملاحا
يصفقون بالأكف الراحا(٣)   لم يدع الثلج بها وَجاحا (٤)
بالله ترجو أو بك النجاحا

وقال أيضاً يمدحه من قصيدة أولها

ما اعتاد حُبُّ سليمى حين مَعتاد   وما تقضى بواقى دينها الطادى(٥)
الا كما كنت تلقَى من صواحبها   ولا كيومك من غراء ورَّاد (٦)
بيضاء محطوطة المتنين بَهْكَنَة   رَيَّا الرَّوادف لم تُمْغِل بأولاد (٧)
ما للكواعب وَدَّعن(٨) الحياة كما   ودعني واتخذن الشيب ميعادى
أبصارهن الى الشبان مائلة   وقد أراهن عني غير صُدَّاد
اذ باطلي لم تَقَشَّع جاهليتـه   عني ولم يترك الخُلَّان تَقْوادى(٩)
كنيةً الحى من ذى الغَضَبَة احتملوا   مستحقبين أسيراً ماله فادى(١٠)
بانوا وكانت حياتى فى اجتماعهمُ   وفى تفرقهم قتلى و إقصادى(١١)

(١) ماء لبنى تغلب خلف البشر من أرض الجزيرة (٢) الركح ساحة البيت والجمع أركاح والخابور نهر كبير بين رأس عين والفرات من أرض الجزيرة والاملاح موضع
(٣) أى يفعلون ذلك من الاسف والحزن مما أصاب من القحط (٤) الوجاح السترة أى لم يدع سترة الا هتكها (٥) الطادى الثابت القديم (٦) أراد وراد أبوها أوقيمها
(٧) محطوطة لطيفة وأمغلت الشاة اذا ولدت فى السنة مرتين (٨) يدعو عليهن
(٩) أى تقوادى الى اللهو (١٠) ما للكواعب ودعننى كما ودعنى حتى كنت كافاً بهم فظعنوا واستحقبوا فؤادى وهو الاسير الذى لا يفديه أحد (١١) قتلى

أرمى قصيدَهمُ طرْفى وقد سلكوا ... بطن المجيْمِرِ فالروحاء فالوادى [1]

محدِّدِين لبرق صاب فى خيَمٍ ... وبالقُرَيَّة رادوه برُوّاد [2]

يخفَوْن طوراً وأحياناً اذا اطلعوا ... نجداً بدا لي من أجمالهم بادى

وفى الخدور غمامات برقن لنا ... حتى تصيدننا من كل مصطاد

يقتلننا بحديث ليس يعلمه ... من يتقين ولا مكتومه بادى

فهن ينبذن من قول يصبن به ... مواقع الماء من ذى الغلة الصادى

ثم قال

مالي أرى الناس مزْورًّا فحولهمُ ... عنى اذا سمعوا صوتى وانشادى

الا أخىَّ بني الجوّال يوعدنى ... ما ذا يريد ابن جوّال [3] بايعادى

وطال ما ذبَّ عني سيْرٌ [4] شُرُد ... يصبحن فوق لسان الراكب الغادى

واسأل نِزارا وقد كانت تنازلني ... بالنِّصف [5] من بين اسخان وابراد

واسأل إيادا وكانوا طالما حضروا ... مني مواطن ادناء وابعاد

عني وعن قُزَح كانت تُضَم معي ... حتى تقطعن من مثْنى وفُرّاد

فلا يُطيقون حملي ان هجوتهمُ ... وان مدحتهم لم يبلغوا آدى [6]

مَنْ مبلغ زُفَر القيسى مدحته ... من القَطامىّ قولا غير افناد [7]

انى وان كان قومى ليس بينهمُ ... وبين قومك الا ضربة الهادى

مُثْنٍ عليك بما استبقيت معرفتي ... وقد تعرض منى مقتل بادى

فلن أُثيبك بالنعماء مشتَمة ... ولن أبدل احساناً بافساد

فان هجوتك ما تمت مكارمتي ... وان مدحت لقد أحسنت إصفادى [8]

(١) قصيدهم ناحيتهم والمجيمر أرض لبنى فزارة (٢) محددين قاصدين ورادوه طلبوه. (٣) ابن جوال من تغلب (٤) سير قواف وشرد قد شردت (٥) النصف مكان واسخان وابراد صيف وشتاء. (٦) قوتى (٧) كذب (٨) اعطائى

وما نسيت مقام الوَرْد تحبسه ... بيني وبين حفيف الغابة (١) الغادى
قتلت بكرا وكلبا واشتليت بنا ... وقد أردت (٢) بأن يستجمع الوادى
لولا كتائب من عمرو تصول بها ... أُرديت ياخير من يندو (٣) له النادى
اذ لا ترى العين الا كل سلهبة ... وسابح مثل سيد الرَّدْهة العادى (٤)
اذ الفوارس من قيس بشكّتهم ... حولي شهود وما قومى بشهاد
اذ يعتريك رجال يسألون دمى ... ولو أطعتهمُ أبكيت عُوَّادى
فقد عصيتهمُ والحرب مقبلة ... لا بل قدحت زنادا غير صَلَّاد (٥)
والصيِّد آل نُفيل خير قومهم ... عند الشتاء اذا ما ضُنّ بالزاد
المانعون غداة الروع جارهمُ ... بالمَشْرَفيّة من ماض ومنآد (٦)
أيام قومى مكانى مُنْصِب لهمُ ... ولا يظنون الا انى رادى
فاتاشنى (٧) لك من غبراء مظلمة ... حبل تضمن اصدارى وايرادى
ولا كردك عني بعد ما كربت ... تُبدى الشناءة أعدائى وحسادى
فان قدرتُ على يوم جزيتُ به ... والله يجعل أقواماً بمرصاد

فلما سمع زفر هذا البيت قال لا أقدرك الله على ذلك

ويقول فى ختامها

ودعوةٍ قد سمعنا لا يقوم لها ... الا الحِفاظ والا اليَلَبُ الآدي (٨)
حتى اذا ذكت النيران بينهم ... للحرب يُوقَدْن لا يُوقَدْن للزاد
فاستعجلونا وكانوا من صحابتنا ... كما تعجل فُرَّاط (٩) لوُرَّاد

(١) الغابة الرماح (٢) أى أردت أن يستجمع لك الامر قبلنا واشتليت بنا أى أتبعتنا من قتلت (٣) يندو يجتمعون اليه والنادى متحدث القوم (٤) سهلبة طويلة من الخيل وسيد ذئب والردهة نقرة فى جبل أو صخرة فيها ماء (٥) زند صلاد لا تورى ومثله صلد وصالد (٦) ماض مستقيم ومنآد معوج (٧) تداركنى (٨) الآدى الجامع للسلاح (٩) الفراط الذين يتقدمون الواردة فيصلحون الارشية حتى يأتى أولئك بعدهم

نَفْرِيهمُ لَهُذَميات نَقُدُّ بها ما كان خاط عليهم كل زرَّاد
أبلغ ربيعة أعلاها وأسـفلها أنا وقيساً تواعـدنا لميعاد
فكان قومى ولم تَغْدِر لهم ذمم كطالب الوِتر مستوف ومزداد
ولو تبينتَ قومى ما رأيتهمُ فى طالعين من التَرْثار نُدَّاد (١)

قال عبد الملك بن مروان للأخطل وعنده عامر الشَّعبي أتحب أن لك قياضاً بشعرك شعر أحد من العرب تحب أنك قلته ، قال لا والله يا أمير المؤمنين الا انى وددت أنى قلت أبياتاً قالها رجل منا مغدف(٢) القِناع قليل السماع قصير الذراع ، قال وما قال ؟ فأنشده قول القطامى « انا محيوك فاسلم أيها الطلل » حتى أتى على آخرها ، قال الشعبي فقلت له قد قال القطامى أفضل من هذا ، قال وما قال؟ فأنشده

طرقت جَنُوب رحالنا من مَطْرَق ما كنت أحسبها قريب المُعْنَق (٣)
قطعت اليك بمثل جيد جَدَاية (٤) حسن معلَّقُ تُومتيه مطوَّق
هلا طرقت اذ الحياة لذيذة واذا الشباب قميصه لم يُخْلِقِ
طرقت نَواحلَ حلَّلت(٥) بمُعرَّس ونُسُوعها برحالها لم تطلق
ومصرَّعين من الكَلال كأنما شربوا الغَبُوق من الطِّلاء المعرَق (٦)
متوسِّـدين ذراع كل نجيبة ومفرَّج عرِق المقذّ مُنوَّق (٧)
بركت على رُكَب تُهَدّ بها الصفا وعلى كلا كل كالنَّقيل المُطْرَق (٨)
فاقر الهموم قلائصاً عِيدية تطوى الفَيافى بالوَجيف المُعْنِق
فاذا سمعن هماهما من رفقة ومن النجوم غوابر لم تَخْفِق (٩)

(١) متفرقون (٢) أغدفت المرأة القناع على وجهها أرسلته
(٣) المعنق المكان الذى أعنقت منه يعنى لم أظن أنها تقدر على أن تعنق وتسرع من هذا المكان
(٤) الجداية الظبية والتومتان القرطان (٥) حللت أنيخت قدر تحلة اليمين أى قليلا
(٦) المعرق الذى أقل ماؤه (٧) مفرج بائن اليدين والمقذ ما بين الاذنين من خلف والمنوق الذى اختير وتنوق فيه (٨) النقيل رقاع النعال ومطرق بعضه على بعض
(٩) غوابر أى بقية لم تغب

جعلت تُميل خدودَها آذانُها ... طرباً بهن الى حُدَاة السُّوَّق
كالمنصتات الى الحديث سمعنه ... من رائع لقلوبهن مشوِّق
وترى لجيضتهن [1] عند رحيلنا ... وَهلاً كأن بهن جِنَّة أَوْلق
واذا لحظن الى الطريق رأينه ... لهَقاً كشاكلة الحِصان الأبلق [2]
واذا تخلف بعدهن لحاجة ... حادٍ يُشَسِّع نعله لم يلحق
لُعِن الكواعب بعد يوم صرمنني ... بشَرَى [3] الفرات وبعد يوم الجَوْسق
عدَّين كل تحية يعلمنها ... ونفرن من شَمَط تَغَشَّى مفْرَقى
وأبين شيمتهن أول مرة ... وأبى تقلب دهرك المتصفق [4]
ولقد يروع قلوبهن تكلمى ... وتروعنى مُقَلُ الصَّوار المُرْشِق [5]
لئن الهموم عن الفؤاد تفرجت ... وخلا التكلم للِّسان المطلق
لأعلقن على المطيّ قصائداً ... أُذِر الرواة بها طويلى المنطق
انى حلفت برب من عملت له ... بُزْل الجمال بكل خَبْت سَمْلَق [6]
أُدْم تصان وكان أصل نِجارها ... من سِرّ قِنْيِة منْذِر ومُحَرَّق
لئن الجزيرة أصبحت ممنوعة ... لوددت أن بَرِيَّة لم تخلق
وبنو أُمية من أرادوا نفعه ... نفعوا ومن نصبوا له لم يَسبق
حلَّتْ جَنوب قُميقماً برَهينها [7] ... فمتى الخلاص لذا الرهين المغلَق
ونأت بحاجتنا ورُبَّت عَنْوَة [8] ... لك من مواعدها التى لم تصدق
كعناء ليلتنا التى جعلت لنا ... بالقريتين وليلة بالخندق
أو قبل ذاك اذ الحياة لذيذة ... واذ الزَّمان بصفوه لم يَرْنَق [9]

---

(١) جيضتهن ميلهن والوهل الفزع وأولق جنون (٢) لهق أبيض وشاكلة خاصرة
(٣) شرى الفرات ما دنا منه (٤) المتصفق المتقلب (٥) أرشق أدام النظر والصوار القطيع من البقر (٦) خبت مستو من الارض وسملق مستو لا نبات فيه
(٧) يريد برهينها قلبه (٨) عنوة أسار عناه (٩) رنق الماء كدر

بخلت عليك فما تجود بنائل — الا اختلاس حديثها المتسرّق
طرقت بأطيب ما يحل لمسلم — بالقريتين وليلةً بالأبرق
مما يفرّغ بالأباطح سيلهُ — أو بالقِلات(١) من الصفا لم يُطرق
تُعطى الضجيع اذا تنبه مَوْهناً — منها وقد أمنت له من تتقى
عذبَ المذاق مفلّجاً أطرافه — كالأُقحوان من الرّشاش المستقى
نَفَضت أعاليه الشمالُ تَهزّه — وغدت عليه غداة يوم مشرق
وكأنما جادت بماء غمامة — خَصِر تنزل من متون العِشْرِق(٢)
فأرى المعيشة انما هى ساعةٌ — فرحٌ وساعةُ كربة وتحنّق
وأرى المنية للرجال حبائلاً — شَرَكاً يعاد به لمن لم يَعلَق
واذا أصابك والحوادث جمة — حدث حداك الى أخيك الأوثق
فهمُ الرجال وكلّ ذلك منهم — تجدنَّ فى رُحْب وفى متضيق
ان الرجال اذا طلبت نوالهم — منهم خليل ملاذة وتملق
وأخو مكارمة على علاته — فوجدت خيرهمُ خليل الصدق
ولما رُزِقت ليأتينك سَيْبه — جَلَباً(٣) وليس اليك مالم ترزق

فقال عبد الملك ثكلت القطامى أُمه هذا والله الشعر ، فالتفت الأخطل الى الشعبي فقال له يا شعبى ان لك فنوناً فى الاحاديث وانما لنا فن واحد ، فان رأيت ألاّ تحملني على اكتاف قومك فأدعهم حرباً ، فقال وكرامة لا أعرض لك فى شعر أبداً فأقلنى هذه المرة ، ثم التفت الى عبد الملك فقال يا أمير المؤمنين أسألك أن تستغفر لي الأخطل فانى لا أعاود ما يكره ، فضحك عبد الملك وقال يا أخطل ان الشعبي فى جواري ، فقال يا أمير المؤمنين قد بدأته بالتحذير واذا ترك ما نكره

(١) القلت نقرة فى الجبل فيها ماء والطرق بالفتح الذى بالت فيه الدواب وراثت
(٢) العشرق شجر (٣) عفواً يساق اليك

لم نَعْرِض له الا بما يحب ، فقال عبد الملك للأخطل فعليَّ ألاّ يعرض لك الا بما تحب أبداً ، فقال له الأخطل أنت تتكفل بذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال أنا أكفل به ان شاء الله تعالى

قال علي بن يحيى المنجم أحسن الناس ابتداء قصيد في الجاهلية امرؤ القيس حيث يقول « ألا عِمْ صباحاً أيها الطَّلَل البالى » وحيث يقول « قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل » وفى الإسلاميين القَطامىّ حيث يقول « انا محيوك فاسلم أيها الطلل » وفى المحدثين بشار حيث يقول

أبى طَلَل بالجِزْعِ أنْ يتكلما ۝ وماذا عليه لو أجاب متيما

شعراء قيس

شعراء عدوان

محمد بن بشير

هو محمد بن بشير بن عبد الله الخارجي من بني خارجة بن عَدْوَان بن عمرو ابن قيس عيْلاَن

شاعر فصيح حجازي مطبوع من شعراء الدولة الأموية وكان منقطعاً الى أبي عبيدة بن عبد الله بن ربيعة القرشي أحد بني أسد بن عبد العزّى ، ولابن بشير فيه مدائح ومراثٍ مختارة هي عيون شعره ، وكان يبدو في أكثر زمانه ويقيم في بوادي المدينة فلا يكاد يحضر مع الناس

قدم البصرة في طلب ميراث له ، فخطب عائشة بنت يَعْمُر الخارجية ، فأبت أن تتزوجه الا بعد أن يقيم معها بالبصرة ويترك الحجاز ويكون أمرها في الفرقة اليها ، فأبى أن يفعل ذلك وقال

أَرِق الحزين وعاده سهُدُه — لطوارق الهم الذى يَرِدُه
وذ كرت من لانت له كبدي — فأبى فليس تلين لي كبده
وأبى فليس بنازل بلدي — أبدا وليس بمصلحي بلده
فصُدِعت حين أبى مودته — صَدْعُ الزجاجة دائم أَبَدُه
وعرفت أن الطير قد صدقت — يوم الكدانة شر ما تَعِده
فاصبر فان لكل ذى أجل — يوماً يجيء فينقضى عدده
ماذا تعاتب من زمانك ان — ظعن الحبيب وحل بى كَمَدُه

وخاطب أباها يحيى بن يعمُر فى ذلك ، فقال له انها امرأة بَرزة عاقلة ولا يُفتات على مثلها بأمرها وما عنك من رغبة ولكنها امرأة فى خلقها شدة ولها غيرَة ، وقد بلغني أن لك زوجتين وما أراها تصبر على أن تكون ثالثة لهما ، فانظر فى أمرك وشاور فيه ، فاما إن أقمت بالبصرة معها فعفت لك عن صاحبتيك اذ لا مجاورة بينهما وبينها ولا عشرة ، وان شئت مفارقتهما واخراجها معك ، فصار الى رحله مغموماً وشاور ابن عم له يقال له وراد بن عمرو فى ذلك ، فقال له ان فى يحيى بن يعمُر لرغبة لثروته وكثرة ماله وما ذكر من جمال ابنته وما نحب أن تفارق زوجتيك « وكانت احداهما ابنة عمه والأخرى من أشجع » فتقيم معها السنة بالبصرة وتمضى بخير ، فان رغبت فيها تمسكت بها وأقمت بمكانك وان رغبت فى العودة الى بلدك كتبت الينا فجئناك حتى تنصرف معنا ، ففكر ليلته أجمع ثم غدا عازماً على الرجوع الى الحجاز فقال

لقد أقمت بجنب القيض[1] فى رجب ... حتى أهلّ به من قابل رجبا
وراح فى السَّفْر ورَّاد[2] وهيجني ... ان الغريب اذا هيجته طَربا
ان الغريب تهيج الحزنُ صبوته ... اذا المصاحب حياه وقد ركبا
قد قلت أمسِ لورَّاد وصاحبه ... عوجا على الخارجيِّ اليوم واحتسبا
وبلغا أم سعد أن عانيها ... أعيا على شفعاء الناس فاجتنبا
لما رأيت نجيَّ القوم قلت له ... هل يقدرَنَّ نجيُّ القوم ما كتبا
وقلت انى متى أجلب شفاعتكم ... أندم وان شق الغى ما اجتلبا
وان مثلي متى يسمع مقالتكم ... ويعرف العين يندم قبل أن يجبا
انى وما كبر الحجاج يحملهم ... بُزل المطايا الى ذى نخلة عُصبا
وما أهلَّ به الداعي وما وقفت ... عُليا ربيعةَ ترمى بالحصا الحصبا

(١) القيض نهر بالبصرة (٢) وراد هو ابن عمه

جهداً لمن ظن أني سوف أظعنها عن دفع غانية أخرى لقد كذبا
أأبتغي الحسن في أخرى وأتركها فذاك حين تركت الدين والحسبا
وما انقضى الهم من سُعْدى وما علقت مني الحبائل حتى رمتها حِقَبا
وما خلوت بها يوماً فتعجبني الا غدا أكثر اليومين لي عجبا
بل أيها السائلي ما ليس يدركه مهلاً فانك قد كلفتني تعبا
كم من شفيع أتاني وهو يحسب لي حسناً فأقصره من دون ما حسبا
فان يكن لهواها أو قرابتها حب قديم فما عاني ولا ذهبا
هما عليَّ فان أرضيتها رضيا عني وان غضبت في باطل غضبا
كأن دهيت فردّاني بكيدهما عما طلبت وجاءاها بما طلبا
وقد ذهبت فلم أُصبح بمنزلة الا أُنازع من أسبابها سببا
وقلما خلة لو كنت مُسْجِحَة أو كنت ترجع من عصريك ما ذهبا
ليت الظعينة لا ترمى برميتها ولا يعجبها ابن العم ما اصطحبا

قدمَ أعراب من بني سُلَيم أقْحمتهم السَّنة الى الرَّوحاء فخطب الى بعضهم رجل من الموالى فزوجه ، فركب ابن بشير الى المدينة ووالبها يومئذ ابراهيم بن هشام المخزومي فاستعداه على المولى ، فأرسل اليه ابراهيم ففرق بين المولى وزوجته وضربه مائتي سوط وحلق رأسه ولحيته وحاجبيه فقال ابن بشير

شهدت غداة خَصْم بني سليم وجوها من قضائك غير سود
قضيت بسنة وحكمت عدلا ولم تَرِث الحكومة من بعيد
اذا غُمِز القَنا وُجدتْ لعمري قناتك حين تُغْمز خير عود
حمى حدبا لحوم بنات قوم وهم تحت التراب أبو الوليد
وفي المائتين للمولى نَكال وفي سلب الحواجب والخدود

اذا كافأتهم ببنات كسرى فهل يجد الموالى من مزيد
فأى الحق أنصف للموالى من اصهار العبيد الى العبيد

كان له عبد فكان يتلطف به ويحترمه حتى أعتقه وأعطاه مالا فعمل به وربح فيه ، ثم احتاج ابن بشير بعد ذلك الى معونة أو قرض في نائبة لحقته فبعث الى مولاه فى ذلك فحلف انه لا يملك شيئاً فقال فى ذلك

ويسعى لك المولى ذليلا مُدَقَّعا[1] ويخذُلك المولى اذا اشتد كاهله
فأمسك عليك العبد أول وهلة ولا تنفلت من راحتيك حبائله

وقال أيضاً

اذا افتقر المولى سعى لك جاهدا لترضى وان نال الغنى عنك أدبرا

كان يتحدث الى امرأة من مُزَينة وكان قومها قد جاوروهم ثم جاء الربيع وأخصبت بلاد مزينة فارتحلوا فقال فى ذلك

لو بينت لك قبل يوم فراقها أن التفرق من عشية أو غد
لشكوت إذ علق الفؤاد بهائم غلق حبائل هائم لم يعهد
بيضاء خالصة البياض كأنها قمر توسط ليل صيف مبرد
موسومة بالحسن ذات حواسد ان الجمال مظنة للحسد
لم يُطْرِها شرف الشباب ولم تضع منها معاهدة النصيح المرشد
وتبرجت لك فاستبتك بواضح صلْت[2] وأسود فى النصيف معقد
خَوْد اذا كثر الكلام تعوذت بحِمَى الحياء وان تكلم تقصد
وكأن طعم سُلافة مشمولة تنصب في أثر السواك الأغيد[3]
وترى مدامعها ترقرق مقلة حوراء ترغب عن سواد الإثمد

(١) المدقع الفقير الذليل (٢) جبين صلت أملس براق
(٣) الأغيد من النبات الناعم المثنى

ماذا اذا برزت غداة رحيلها … من حسن تحت رقاق تلك الأَبْرُد
وله بأسعد أنجم فمحلها … ومسيرها ابدا بطَلْق الأَسْعُد
الله يسعدها ويسقى دارها … خَضِل الرباب سرى ولما يَرْعُد

صحب رفقة من قُضاعة الى مكة وكانت فيهم امرأة جميلة فكان يسايرها ويحادثها ، ثم خطبها الى نفسه فقالت لا سبيل الى ذلك لانك لست لي بعشير ولاجار فى بلدى ولا أنا ممن تطلعه رغبة عن بلده ووطنه ، فلم يزل يحادثها و يسايرها حتى انقضى الحج ففرق بينها نزوعهما الى أوطانهما فقال

أستغفر الله ربى من مُخَدَّرة … يوماً بدا لي منها الكَشْح والكَتِد[1]
من رفقة صاحبونا فى ندائهم … كلٌّ حرام فما ذموا ولا حمدوا
حتي اذا البُدْن قاست فى مناخرها … يعلو المحاسن منها مُزْبِد بَجِدَ
فحلّق القوم واعتموا عمائمهم … فحل كل حرام رأسه لبد
أقبلت أسألها ما بالُ رفقتها … وما أبالي أغاب القوم أم شهدوا
تفرقت لي واحلَوْلت مقالتها … وخوفتني وقالت بعضَ ما تجد
أنَّى ينال حجازيٌّ بحاجته … احدى بني القَيْن اذ ما دارها يرد

مات سليمان بن حُصَين وكان خليلا لابن بشير مصافياً له وصديقاً مخلصاً فجزع عليه وحزن حزناً شديداً فقال يرثيه

يأيها المتمني أن يكون فتى … مثل ابن ليلى لقد خلى لك السبلا
ان تَرْحَل العيس كى تسعى مساعيه … يُشْفَق عليك وتعمل دون ما عملا
لو سرت فى الناس أقصاهم وأقربهم … فى شقة الأرض حتى تحسر[2] الابلا
تبغى فتى فوق ظهر الارض ماوجدوا … مثل الذى غيبوا فى بطنها رجلا

---

(١) الكتد مجمع الكتفين من الانسان والفرس والكشح ما بين الخاصرة الى الضلع الخلف وهو أقصر الاضلاع وآخرها وهو من لدن السرة الى المتن (٢) أحسر البعير ساقه حتى أعياه

اعدد ثلاث خصال قد عرفن له هل سَبَّ من أحد أو سُبَّ أو بخلا

كان يتحدث الى عبدة بنت حسان المزنية ويقيل عندها أحياناً وربما بات عندها ضيفاً لاعجابه بحديثها فنهاها قومها عنه ، فلم تقبله بعد عندها فقال

ظَلِلْتُ لدى أطنابها وكأنني أسير مُعَنًّى في مخلخلة كَبْلِ

أعبدة أما جلسة عند كاره وأما مزاح لا قريب ولا سهل

فانك لو أكرمت ضيفك لم يعب عليك الذى تأتيه نحو ولا بعل

وقد كان يَنْميها الى ذروة العلا أب لا تَخَطَّاه المطية والرحل

فهل أنت الا شعبة كان أصلها نُضارا فلم يفضحك فرع ولا أصل

صددت أمرأ عن ظل بيتك ماله بواديك لولا كم صديق ولا أهل

خرج محمد وسليمان ابنا عبيد الله بن الحصين الأسلميان حتى أتيا امرأة من الأنصار من بني ساعدة فبرزت لهما وتحدثا عندها وقالا لها هل لك فى صاحب لنا ظريف شاعر ؟ فقالت من هو ؟ قالا محمد بن بشير الخارجى قالت لا حاجة لي الى لقائه ولا تجيئانى به معكما فانكما ان أتيتما به لم آذن لكما فجاءا به معهما وأخبراه بما قالت لهما وأجلساه فى بعض الطريق وتقدما اليها فخرجت اليهما وجاءهم الخارجى بعد خروجها اليهما فرحبا به وسلما عليه ، فقالت لهما من هذا ؟ قالا هذا الخارجى الذى كنا نخبرك عنه فقالت والله ما أرى فيه من خير وما أشبهه الا بعبدنا أبي الجون، فاستحيا الخارجى وجلس هنيهة ثم قام من عندهما وعلقها قلبه فقال فيها

ألا قد رابنى ويَريب غيري عشية حكمها حَيف مُريب

وأضحت لي المودة عند ليلى منازل ليس لي فيها نصيب

ذهبت وقد بدا لي ذاك منها لأهجرها فيغلبني النسيب

وأنسى غيظ نفسى ان قلبي لمن واددت تبعته قريب

فدعها لست هاجيها وراجع حديثك ان شأنكما عجيب

وبلغ الأشجعية زوج ابن بشير ما قالته فعيرته بذلك وكانت اذا أرادت غيظه كنته أبا الجون فقال فى ذلك

وأيدى الهدايا ما رأيت معاتباً ... من الناس الا الساعدية أجمل
وقد أخطأتنى يوم بطحاء منعم ... لها كنف يصطاد فيه وأحبل
وقد قال أهلى خير كسب كسبته ... أبو الجون فاكسب مثلها حين ترحل
وان مات ابضاعى بأمر مسرة ... لكن فما تسخطن فى العيش أطول

اجتمع ابن بشير وسائب بن ذكوان راوية كثير بمكة فواقفا نسوة من بنى غفار يتحدثن فجلسا اليهن وتحدثا معهن حتى تفرقن وبقيت واحدة منهن تحدث ابن بشير وتستنشده شعره حتى أصبحوا ، فقال لهم رجل مر بهم أما تزدجرون نحن حذاء البيت وأنتم حُرُم ولا تدعون انشاد الشعر وقول الزور فى المسجد ، فقالت المرأة كذبت لعمر الله ماقول الشعر بزور ولا الحديث حرام على محرم ولا مُحلّ فانصرف الرجل وقال فيها ابن بشير

فما لك اذ تزور وأنت خِلْو ... صحيح القلب اخت بنى غفار
فما برحت تعيرك مقلتيها ... فتعطيك المنية فى استتار
وتسهو فى حديث القوم حتى ... تبيَّنَ بعض أهلك ما توارى
فمت ياقلب ما بك من دفاع ... فينجيك الدفاع ولا فرار
فلم أر طالباً بدم كمثلى ... أودّ وحسن مطلوب بثار
اذا ذكرا بثارى قلت سعياً ... لثارى ذى الخواتم والسوار
وما عرفت دمى فتبوء منه ... برهن فى حبالى أو ضِمار (١)
وقد زعم العواذل ان يومى ... ويومك بالمحصَّب والجمار
من الأعياد ثم زعمت ألا ... وقلت لذى التنازع والتمارى

(١) الضمار كل ما لا تكون منه على ثقة

كذبتم بالسلام وقول زور وما اليـوم الحرام بيوم ثار
فلا تسليمنـا حُرُماً باثم ولا الحب الكريم لنا بعـار
فان لم نلقكم فسقى الغَوادى بلادك والرَّوِيَّات السَّوارى

وفى هذه المرأة يقول وقد رحلوا عن مكة يودعها

يا أحسن الناس لولا ان قائلها قدما لمن يبتغى ميسورها عسِر
وانما دَلُّها سحر لطالبـه وانما قلبها للمشتكي حجر
هل تذكرين كما لم أنس عهدكم وقد يدوم لعهد الخُلّة الذِّكَر
قولي وركبك قد مالت عمائمهم وقدسقاهم بكأس السكرة السفر
ياليت أنى بأثوابي وراحلتي عبد لأهلك هذا العام مؤتجر
فقد أطلت اعتلالا دون حاجتنا بالحج امض فهذا الحلّ والنفر
ما بال رأيك اذ عهدى وعهدكم الفان ليس لنا فى الود مزدجر
فكان حظك منها نظرة طرقت انسان عينك حتى ما بها نظر
أكنت أبخل من كانت مواعده تأتى الى أجل يرجى وينتظر
وما نظرت وما ألفيت من أحد يعتاده الشوق الا بدؤه النظر
أبقت شجى لك لا ينسى وقارحة فى أسود القلب لم يشعر بها أخر
جنية أولها جن يعلمها رمى القلوب بقوس ما لها وتَر
تجلو بقادمتى ورقاء عن بَرَد حُمّ المشاعر فى أطرافها أُشُر (١)
خَوْد مبتّلة رَيَّا معاصمها قدر النبات فلا طول ولا قصر
اذا محاسنها اغتالت فواصلها منها روادف فعمات ومؤتزر
ان هبت الريح حنّت فى وشائجها (٢) كما يجاذب عود القَيْنة الوتر
بيضاء تعشوها الابصار ان برزت فى الحج ليلة إحدى عشرة القمر

(١) الأشر حدة ورقة فى أطراف الاسنان (٢) الوشائج عروق الاذنين

ألا رسول اذا بانت يبلغها　　عنا وان تمس يؤنف بيننا الزر
تقضي على ولا أقضي عليك كما　　يقضي المليك على الملوك يقتسر
ان كان ذا قدر يعطيك نافلة　　منا ويحرمنا، ما أنصف القدر

قدم البصرة فتزوج بها امرأة من عدوان كانت موسرة فأقام عندها بالبصرة مدة ثم توخم البصرة وطلبها بأن ترحل معه الى الحجاز فقالت ما أنا بتاركة مالي وضيعتي ههنا تذهب وتضيع وأمضي معك الى بلد الجدب والفقر والضيق فاما ان أقمت ههنا أو طلقتني فطلقها وخرج الى الحجاز ثم ندم وتذكرها فقال

دامت لعينك عبرة وسجوم　　وثوت بقلبك زفرة وهموم
طيف لزينب ما يزال مؤرقي　　بعد الهدو فما يكاد يريم
واذا تعرض في المنام خيالها　　نكأ الفؤاد خيالها المحلوم
أجعلت ذنبك ذنبه وظلمته　　عند التحاكم والمدل ظلوم
ولئن تجنيت الذنوب فانه　　ذو الداء يعذر والصحيح يلوم
ولقد أراكِ غداة بنتِ وعهدكم　　فى الوصل لا حرج ولا مذموم
أضحت تحكمك التجارب والنهى　　عنه ويكفله بك التحكيم
فترى الأولى علقوا الحبائل قبله　　فنجوا وأصبح فى الوثاق يهيم
ولقد أردت الصبر عنك فعاقني　　علق بقلبي من هواكِ قديم
ضعفت معاهد حبهن عن الصبا　　ومع الشباب فبنّ وهو مقيم
يبقى على حدث الزمان وريبه　　وعلى جفائك انه لكريم
وجنيت حين صححت وهو بدائه　　شتان ذاك مصحح وسقيم
وأذيته زمنا فعاذ بحلمه　　ان المحب عن الحبيب حليم
وزعمت أنك تبخلين وشفه　　شوق اليك وان بخلت أليم

ومن قوله يرثي أبا عبيدة بن عبد الله بن ربيعة ، وكان يكفيه مؤنته ويعطيه فى كل سنة ما يغنيه ويغني قومه وعياله من البر والتمر والكسوة فى الشتاء والصيف ويعطيه القطعة بعد القطعة من ابله وغنمه

ألا أيها الناعي ابن زينب غُدْوة نعيتَ النَّدَى دارت عليك الدوائر
لعمري لقد أمسى قِرى الضيف غائباً بذي العرش لما غيبتك المقادر
اذا شرعوا نادوا صَدَاك ودونه صفيح وخَوَّار من الترب مائر
ينادون من أمسى تَقَطَّع دونه من البعد أنفاس الصدور الزوافر
فقومى اضربى عينيك ياهند لن ترَىْ أباً مثله تسمو اليه المفاخر
وكنت اذا فاخرت أنسبت والداً يَزِين كما زان اليدين الأساور
فان تُعْوليه يَشْفِ يوماً عويلُه غليلك أُو يعذرك بالنوح عاذر
ويحزنك ليلات طوال وقد مضت بذي العرش ليلات تسر قصائر
فلقَّاك رب يغفر الذنب رحمةً اذا بليت يوم الحساب السرائر
لقد علم الأقوام أن بناته صوادق اذ يندُبنه وقواصر

وعد رجل محمد بن بشير بقلوص فمطله فقال فيه يذمه ويمدح زيد بن الحسن ابن علي عليه السلام

لعلك والموعود حق وفاؤه بدا لك من تلك القلوص بداء
فان الذى ألقى اذا قال قائل من الناس هل للواعدين وفاء
أقول لمن تبدى الشمات وانها على واشمات العدو سواء
دعوت وقد أخلفني الوعد دعوة بزيد فلم يضلل هناك دعاء

فبلغت الابيات زيد بن الحسن ، فبعث اليه بقلوص من خيار ابله ، فقال

اذا حل آل المصطفى بطن تَلْعة نفى جدْبها واخضر بالغيث عودها
وزيد ربيع الناس فى كل شَتْوَة اذا أخلفت أنواؤها ورعودها

حول لأشتات الديات كأنه سراج الدجى اذ قاربته سعودها

نظر ابن بشير الى نعش سليمان بن الحصين وقد أخرج فهتف بهم فقال

ألم تروا أن فتى سـيداً راح على نعش بني مالك

لا أنفس العيش لمن بعده وأنفس الهلك على الهالك

وقال فيه أيضاً

ألا أيها الباكي أخاه وانما تفرق يوم الفدفد الأخوان

أخي يوم أحجار الثُّمام بكيته ولو حم يومى قبله لبكانى

تداعت به أيامه فاخترمنـه وأبقين لي شـجواً بكل مكان

فليت الذى ينعى سـليمان غدوة دعا عند قبري مثلها ونعانى

فلو قسمت فى الجن والانس لوعتي عليه بكى من حرها الثقلان

ولو كانت الأيام تطلب فدية وقاه صروف الدهر بى وفدانى

تزوج جارية من بني ليث شابة وقد أسن وأسنت زوجته العَدْوانية فضربت دونه حجاباً ، ودعت نسوة من عشيرتها ، فجلسن عندها يغنين ويضربن بالدفوف وعرف ذلك فقال

لئن عانس قد شاب ما بين قرنها الى كعبها وامتص عنها شبابها

صبت فى طِلاب اللهو يوماً وعلقت حجاباً لقد كانت يسيراً حجابها

لئن منعت فى العين حتى تشعبت من اللهو اذ لا ينكر اللهو بابها

فبيني برَغم ثم طلى فربما نوى الرغم منها حين سرى نقابها

لبيضاء لم تنسب لجد يعيبها هِجان ولم تنبح لئيماً كلابها

تأوّدُ فى المشَى كأن قناعها على قينة أدْماء طاب شبابها

مهفهفة الأعطاف خفَاقة الحشى جميــل محياها قليل عيابها

اذا ما دعت بابني نزار وقارعت ذوي المجد لم يردد عليها انتسابها

لما ولي ابراهيم بن هشام دخل اليه ابن بشير وكان له قبل ذلك صديقاً فأعرض عنه ولم يظهر له هشاشة ولا أنساً فاستأذنه فى الانشاد فأعرض عنه وأخرجه الحاجب من داره وكان ابراهيم تياهاً شديد الذهاب بنفسه فوقف له يوم الجمعة على طريقه الى المسجد فلما حاذاه صاح

يا ابن الهشامين طراً حزت مجدهما ... وما تخونه نقض وامرار
لا تُشمتن بى الأعداء انهم ... بيني وبينك سُمّاع ونظار
فاكرر بنائلك المحمود من سعة ... عليّ انك بالمعروف كرار

فقال لحاجبه قل له يرجع إليّ اذا عدت، فرجع فأدخله عليه وقضى دينه وكساه ووصله وعاد الى ما عهد

كان لابن بشير أخ يقال له بشار وكان يجالس أعداءه ويعاشر من يعلم انه مباين له وفيه يقول

وانى قد نصحت فلم تصدق ... بنصحى واعتذرت فلم تبال
أو آنى قد بدا لي أن نصحى ... لغيبك واعتذارى فى ضلال
فكم هذا أزورك عن قطاع ... لتزويد المخلاة النهال
فلا تبغ الذنوب عليّ واقصد ... لامرك من قطاع أو وصال
فسوف أرى حلالك من تصافى ... اذا فارقتنى وترى حلالى
وانك تستريح اذا تولى ... بأن أعصى وأسكت لا أبالي

وقال فيه

كفانى الذى ضيعت مني وانما ... يضيع الحقوق ظالماً من أضاعها
صنيعة من ولاك سوء صنيعة ... وولى سواك أمرها واصطناعها
أبى لك كسب الخير رأى مقصر ... ونفس أضاق الله بالخير باعها
اذا هى حثته على الخير مرة ... عصته وان همت بشر أطاعها

فلولا رجال كاشحون بسرهم ... أذاك وقربى لا أحب انقطاعها
اذاً كان ان زلت بك النعل زلة ... عرتك خلال لا تطيق ارتجاعها
واني متى أحمل على ذاك أطلع ... اليك عيوباً لا أحب اطلاعها
وان تك أحلام ترد اخاءنا ... علينا فمن هذا يرد سماعها
سأنهاك نهياً مجملا وقصائداً ... نواصع تشفي من شؤن صداعها
ومن يجتلب نحو القصائد يجتلب ... قراه ويتبع من يحب اتباعها
اذا ما الفتى ذو اللب حلت قصائد ... اليه فحل للقوافي رباعها

ومن قوله يرثي زيد بن الحسن

أعينيّ جودا بالدموع واسعدا ... بني رحم ما كان زيد يهينها
ولا زيد الا أن يجود بعبرة ... على القبر شاكي بكية يستكينها
وما كنت تلقى وجه زيد ببلدة ... من الأرض الا وجه زيد يزينها
لعمر أبي الناعي لعمت مصيبة ... على الناس فابيضت قصيا رصينها
وأنى لنا أمثال زيد وجده ... مبلغ آيات الهدى وأمينها
وكان حليفيه السماحة والندى ... فقد فارق الدنيا نداها ولينها
غدت غدوة ترمي لؤي بن غالب ... بجهد الثرى فوق امرئ ما يشينها
أغرّ بطاحي بكى من فراقه ... عكاظ فبطحاء الصفا فحجونها
فقل للتي يعلو على الناس صوتها ... به لا أعان الله من لا يعينها
ولو فهمت ما تفقه الناس أصبحت ... خواشعَ أعلامُ الفلاة وعينها
نعاه لنا الناعي فظلنا كأننا ... نرى الأرض فينا أنه حان حينها
وزلت بنا أقدامنا وتقلبت ... ظهور روابيها بنا وبطونها
وآب ذوو الألباب منا كأنما ... يرون شمالا فارقتها يمينها
سقى الله سقيا رحمة ترب حفرة ... مقيم على زيد ثراها وطينها
فما رؤي باكياً أكثر من يومئذ

شعراء غطفان

عويف القوافى

هو عُوَيف بن معاوية بن عقبة من بني حذيفة بن بدر من فزارة ، ثم من غَطَفان بن سعد بن قيس عيلان

شاعرمقل من شعراء الدولة الأموية من ساكني الكوفة ، وبيته أحد البيوتات القدمة الفاخرة فى العرب وهى بعد بيت هاشم بن عبد مناف ثلاثة أولها بيت آل حذيفة بن بدر الفزاري بيت قيس ، وبيت آل زُرَارة بن عُدَس الدارميين بيت تميم ، وبيت آل ذي الجَدَّين بن عبد الله بن همام بيت شيبان ، وبيت بني الدَّيَّان من بني الحرث بن كعب بيت اليمن ، وأما كندة فلا يعدون من أهل البيوتات انما كانوا ملوكاً

قال كسرى للنعمان هل فى العرب قبيلة تشرف على قبيلة ؟ قال نعم ، قال بأى شئ ؟ قال من كانت له ثلاثة آباء متوالية رؤساء ثم اتصل ذلك بكمال الرابع والبيت من قبيلته فيه ، قال فاطلب لى ذلك ، فطلب فلم يصبه إلا فى آل حذيفة بن بدر بيت قيس عيلان وآل حاجب بن زُرارة بيت تميم وآل ذى الجدين بيت شيبان وآل الأشعث بن قيس بيت كندة ، فجمع هؤلاء الرهط ومن تبعهم من عشائرهم فأقعد لهم الحكام العدول ، فأقبل من كل قوم منهم شاعرهم وقال لهم ليتكلم كل رجل منكم بمآثر قومه وفعالهم وليقل شاعرهم فيصدق ، فقام حذيفة بن بدر وكان أسن القوم وأجرأهم مقدماً فقال لقد علمت مَعَدّ أن منـا الشرفَ الأقدم والعز الأعظم ومأثرة الصنيع الأكرم ، فقال من حوله ولم ذاك ياأخا فزارة ؟ فقال ألسنا الدعائم التى لا ترام والعز الذى لا يضام ؟ قيل له صدقت ، ثم قام شاعرهم فقال

فَزارة بيت العز والعز فيهمُ　　فزارة قيس حسب قيس نِضالها
لها العزة القعساء والحسب الذى　　بناه لقيس فى القديم رجالها
فمن ذا اذا مد الأكف الى العلا　　يمد بأخرى مثلها فينالها
فهيهات قد أعيا القرون التى مضت　　مآثر قيس مجدها وفَعالها
وهل أحد ان مد يوماً بكفه　　الى الشمس فى مجرى النجوم ينالها
وان يصلحوا يصلح لذاك جميعنا　　وان يفسدوا يفسد على الناس حالها

ثم قام الأشعث بن قيس ، وانما أذن له أن يقوم قبل ربيعة وتميم لقرابته بالنعمان ، فقال لقد علمت العرب أنا نقاتل عديدها الأكثر وقديم زحفها الأكبر وأنا غياث اللَّزَبات[1] ، فقالوا لم يا أخا كندة ؟ قال لأنا ورثنا ملك كندة فاستظللنا بأفيائه وتقلدنا منكبه الأعظم وتوسطنا بحبوحه الأكرم ، ثم قام شاعرهم فقال

اذا قست أبيات الرجال ببيتنا　　وجدت له فضلا على من يفاخر
فمن قال كلا أو أتانا بخطة　　ينافرنا يوماً فنحن نخاطر
تعالَوْا فعدُّوا يعلم الناس أيّنا　　له الفضل فيما أورثته الأكابر

ثم قام بِسطام بن قيس فقال لقد علمت ربيعة أنا بناة بيتها الذى لا يزول ومغْرِس عزها الذى لا ينقل ، قالوا ولم يا أخا شيبان ؟ قال لأنا أدركهم للثار وأقتلهم للملك الجبار وأقولهم للحق وأَلَدُّهم للخصم ، ثم قام شاعرهم فقال

لعمري لبسطام أحق بفضلها　　وأولى ببيت العز عز القبائل
فسائل أبيت اللعن عن عز قومنا　　اذا جد يوم الفخر كل مناضل
ألسنا أعز الناس قوماً وأسرة　　وأضربهم للكبش بين القبائل
فيخبرك الأقوام عنها فانها　　وقائع ليست نُهْزَة للقبائل
وقائع عز كلها رَبَعِيَّة　　تذل لهم فيها رقاب المحافل

---

(١) جمع لزبة وهى الشدة

اذا ذكرت لم ينكر الناس فضلها اذا نزلت بالناس احدى الزلازل

ثم قام حاجب بن زُرَارة فقال لقد علمت معدّ أنا فرع دِعامتها وقادة زحفها ، فقيل له بمَ ذاك يا أخا بنى تميم ؟ قال لأنا أكثر الناس اذا نسبنا عدداً وأنجبهم ولداً وأنا أعطاهم للجزيل وأحملهم للثقيل ، ثم قام شاعرهم فقال

لقد علمت أبناء خِنْدِفَ أننا لنا العز قِدْماً فى الخطوب الأوائل
وأنا هِجان أهل مجد وثروة وعز قديم ليس بالمتضائل
فكم فيهمُ من سيد وابن سيد أغرّ نجيب ذى فَعال ونائل
فسائل أبيت اللعن عنا فاننا دعائم هذا الناس عند الجلائل

ثم قام قيس بن عاصم فقال لقد علم هؤلاء انا أرفعهم فى المكرمات دعائم وأثبتهم فى النائبات مقاوم ، قالوا ولم ذاك يا أخا بنى سعد ؟ قال لأنا أمنعهم للجار وأدركهم للثار وانا لا ننكل اذا حملنا ولا نرام اذا حللنا ، ثم قام شاعرهم فقال

لقد علمت قيس وخِنْدِف كلها وجل تميم والجموع التى ترى
بأنا عماد فى الامور وأننا لنا الشرف الضخم المركب فى الندى
وانا ليوث الناس فى كل مأزِق اذا اجتز بالبيض الجماجم والطُّلَى
وانا اذا داع دعانا لنجدة أجبنا سراعاً فى العلائم من دعا
فمن ذا ليوم الفخر يعدل عاصماً وقيساً اذا مد الأكف الى العلا
فهيهات قد أعيا الجميع فَعالهم وفاتوا بيوم الفخر مسعاة من سعى

فلما سمع كسرى ذلك منهم قال ليس منهم الا سيد يصلح لموضعه ، فأسنى حباءهم

وانما قيل لعويف عُوَيف القوافي ببيت قاله

سأكذب من قد كان يزعم أنني اذا قلت قولاً لا أجيد القوافيا

لم يكن رجل من ولاة أولاد عبد الملك كان أنفس على قومه ولا أحسد لهم

من الوليد بن عبد الملك ، فأذن يوماً للناس فدخلوا عليه وأذن للشعراء ، فكان أول من بدر بين يديه عُوَيف ، فاستأذنه في الانشاد ، فقال ماأبقيت لي بعد ما قلت لأخي بني زهرة ، قال وما قلت له مع ما قلت لأمير المؤمنين ؟ قال ألست الذي يقول فيه ؟

يا طلح أنت أخو الندى وحليفه ان الندى من بعد طلحة ماتا
ان الفَعال اليك أطلق رحله فبحيث بت من المنازل باتا

أولست الذي يقول ؟

اذا ما جاء يومك يا ابن عوف فلا مطرت على الأرض السماء
ولا سار البشير بغنم جيش ولا حملت على الطهر النساء
تساقى الناس بعدك يا ابن عوف ذريع الموت ليس له شفاء

ألم تقم علينا الساعة يوم قامت عليه ؟ لا والله لا أسمع منك شيئاً ولا أنفعك بنافعة أبداً أخرج عني

اعترض عويف عمر بن عبد العزيز وقد انصرف من جنازة ، فصاح به

أجبني أبا حفص لقيت محمداً على حوضه مستبشراً ورآكا

فقال له عمر لبيك ، ثم قال فمه ؟ فقال

فأنت امرؤ كلتا يديك مفيدة شمالك خير من يمين سواكا

قال ثم مه ؟ فقال

بلغت مدى المُجْرِين قبلك اذجروا ولم يبلغ المجرون بعد مدَاكا
فجداك لا جدين أكرم منهما هناك تناهى المجد ثم هناكا

فقال له عمر ألا أراك شاعراً ؟ مالك عندي من حق ، قال لا ولكني سائل وابن سبيل وذو سهم ، فالتفت عمر الى قهرمانه ، فقال إعطه فضل نفقتي

ووفد اليه لما ولي الخلافة فأنشده

لاح سحاب فرأينا برقه ... ثم تدانى فسمعنا صعْقه
وراحت الريح تزجّي بُلْقه (١) ... ودُهْمه ثم تزجّي وُرْقه (٢)
ذاك سقى ودقاً فروّى وَدْقه (٣) ... قبر امرىء أعظم ربى حقه
قبر سليمان الذى من عقه ... وجحد الخير الذى قد بقّه (٤)
فى المسلمين جِلّه ودِقّه ... فارق فى الجحود منه صدقه
لما ابتلى الله بخير خلقه ... وكادت النفس تساوي حَلْقه
ألقى الى خير قريش وَسْقه (٥) ... يا عمر الخير الملقّى وَفْقه (٦)
سميت بالفاروق فافْرُق فَرْقه ... وارزق عيال المسلمين رَزْقه
واقصدْ الى الجود ولا توقه ... بحرك عذب الماء ما أعقّه (٧)
ربك والمحروم من لم يُسْقه

فقال له عمر لسنا من الشعر فى شيء ومالك فى بيت المال حق، فألحّ عويف. فقال يا مزاحم انظر ما بقى من أرزاقنا فشاطره إياه

كانت أخت عويف عند عيينة بن أسماء بن خارجة فطلقها فكان عويف مراغماً لعيينة، وقال الحرة لا تطلق بغير ما بأس فلما حبس الحجاج عيينة وقيده. قال عويف

منَع الرقادَ فما يُحَسّ رقاد ... خبر أتاك ونامت العواد
خبر أتانى عن عيينة موجع ... ولمثله تتصدع الأكباد
بلغ النفوس بلاؤها فكأننا ... موتى وفينا الروح والأجساد

(١) تسوقة وتستحثه (٢) الاورق الذى بين الخضرة والسواد (٣) الودق المطر
(٤) يقال بق فلان فى الناس خيراً كثيراً (٥) الوسق الحمل يريد قلده أمره
(٦) يقال لقى فلان خيراً أى جعل يلقاه والوفق التوفيق (٧) هذا من المقلوب وانما هو ما أقعه ربك يقال ماء قعاع بالضم وهو الشديد الملوحة أى ما أملحه ربك

ساء الأقارب يوم ذاك فأصبحوا بَهِجِين قد سروا به الحساد
يرجون عثرة جدنا ولو أنهم لا يدفعون بنا المكارم بادوا
لما أتانى من عيينة أنه عانٍ تَظاهرُ فوقه الأقياد
نخلت له نفسى النصيحة انه عند الشدائد تذهب الأحقاد
وذكرت أي فتى يسد مكانه بالرفد حين تقاصر الأرفاد
أو من يهين لنا كرائم ماله ولنا اذا عدنا اليه معاد
لو كان من حَضَن تضاءل ركنه أومن نَضَادَ بكت عليه نَضاد

سأل عويف فى حَمالة فمر به عبد الرحمن بن محمد بن مَرْوَان وهو حديث السن فقال له لا تسأل أحدا وصر إلى أكفِكَ فأتاه فاحتملها جمعاء، فقال عويف يمدحه

غلام رماه الله بالخير يافعاً له سيمياء لا تشق على البصر
كأن الثريا علقت فى جبينه وفى خده الشِّعْرى وفى جيده القمر
ولما رأى المجد استعيرت ثيابه تردى رداء واسع الذيل واتَّزر
اذا قيلت العوراء ولى كأنه ذليل بلا ذل ولو شاء لانتصر
رآنى فآساني ولو صد لم يُلَم على حين لا بادٍ يُرجَّى ولا حَضَر

وقيل ان هذه الأبيات لابن عنقاء الفزارى يقولها فى ابن أخ له وأولها

رآني على ما بي عُميلة فاشتكى الى ماله حالي أسرَّ كما جهر

ومن شعره وفيه غناء

ألمت خُناسِ وإلمامها أحاديث نفس وأسقامها
يمانية من بنى مالك تطاولَ فى المجد أعمامها
وإن لنا أصل جرثومة ترد الحوادث أيامها
ترد الكتيبة مفلولة بها أفنها وبها ذامها

وهى أبيات يقولها يوم مَرْج راهط وهى الحرب التي كانت بين قيس وكلب

وكان من قصته أن مروان بن الحكم قدم بعد هلاك يزيد بن معاوية والناس يموجون ، وكان سعيد بن بَحْدَل الكلبي على قِنَّسرين فوثب عليه زفر بن الحرث فأخرجه منها وبايع لابن الزبير ، وكان النعمان بن بشير على حمص فبايع لابن الزبير ، وكان حسان بن بحدل على فِلَسْطين والأُرْدُنّ فاستعمل على فلسطين رَوْح بن زِنْباع الجذامى ونزل هو الأردن فوثب نابل بن قيس الجذامى على رَوْح فأخرجه من فلسطين وبايع لابن الزبير ، وكان الضحاك بن قيس الفِهرى عاملاً ليزيد بن معاوية على دمشق حتى هلك فجعل يقدم رِجلاً ويؤخر أخرى ، اذا جاءته اليمانية وشيعة بني أُمية أخبرهم أنه أموي واذا جاءته القيسية أخبرهم أنه يدعو الى ابن الزبير ، فلما قدم مروان قال له الضحاك هل لك أن تَقْدَم على ابن الزبير ببيعة أهل الشام ؟ قال نعم ، وخرج من عنده فلقيه عمرو بن سعيد بن العاصى ومالك بن هبيرة وحصين ابن نمير السكنديان وعبيد الله بن زياد ، فسألوه عما أخبره به الضحاك ، فأخبرهم ، فقالوا له أنت شيخ بنى أُمية وأنت عم الخليفة هلم نبايعك ، فلما فشا ذلك أرسل الضحاك الى بنى أُميـة يعتذر اليهم ويذكر حسن بلائه عندهم وأنه لم يرد شيئاً يكرهونه ، فاجتمع مروان وعمرو بن سعيد وخالد وعبد الله ابنا يزيد بن معاوية وقال لهم اكتبوا الى حسان بن بحدل فليسر من الأُردُنّ حتى ينزل الجابية ونسير من هنا حتى نلقاه فنستخلف رجلاً ترضونه ، فكتبوا الى حسان فأقبل فى أهل الأردن ، وسار الضحاك بن قيس وبنو أُمية فى أهل دمشق ، فلما استقلت الرايات من جهة دمشق قالت القيسية للضحاك دعوتنا لبيعة ابن الزبير وهو رجل هذه الأمة ، فلما تابعناك خرجت تابعاً لهذا الأعرابى من كلب تبايع لابن أخته تابعاً له ، قال فتقولون ماذا ؟ قالوا نقول أن تنصرف وتظهر بيعة ابن الزبير ونظهرها معك ، فأجابهم الى ذلك وسار حتى نزل مَرْج راهط وأقبل حسان حتى لقى مروان فسار حتى دخل دمشق ، فأتته اليمانية تشكر بلاء بنى أُمية فساروا مع مروان حتى نزلوا

المرج على الضحاك وهم نحو سبعة آلاف والضحاك في نحو ثلاثين الفاً، فلقوا الضحاك فقتل الضحاك وقتل معه أشراف من قيس، فأقبل زفر هارباً حتى دخل قرقيسيا وأقام عمير بن الحباب شيئاً على طاعة مروان ثم أقبل حتى دخل قرقيسيا على زفر فأقام معه، وأقبل زفر يبكي قتلى المرج ويقول

لعمرى لقد أبقت وقيعة راهط ... لمروان صدعا بيننا متنائيا
أريني سلاحى لا أبالك انني ... أرى الحرب لا تزداد الا تماديا
أبعد ابن عمرو وابن معن تتابعا ... ومقتل همّام أُمَنَّى الأمانيا
وتذهب كلب لم تنلها رماحنا ... وتترك قتلى راهط هى ماهيا
فلم تُرَ منى نبْوة قبل هذه ... فراري وتركي صاحبى ورائيا
عشية أُجزى بالقرينين لا أرى ... من الناس الا من علىّ ولاليا
أيذهب يوم واحد ان أسأته ... بصالح أيامى وحسن بلائيا
فلا صلح حتى تنحط الخيل بالقنا ... وتثأر من نسوان كلب نسائيا
فقد ينبت المرعى على دِمَن الثرى ... وتبقى حزازات النفوس كما هيا

فقال ابن المخلاة الكلبي يجيبه

لعمرى لقد أبقت وقيعة راهط ... على زُفَر داء من الداء باقيا
تبكى على قتلى سُلَيم وعامر ... وذُبيان مغرورا وتبكى البواكيا

فأقبل عمير بن الحباب يغير على بوادي كلب، فلما رأت كلب مالقى أصحابهم وأنهم لا يمتنعون من خيل الحاضرة اجتمعوا الى حميد بن حريث بن بحدل فسار بهم حتى نزل تَدْمُر وبه بنو نُمير، وقد كان بين النميريين خاصة وبين الكلبيين الذين بتدمر عقد، فأرسلت بنو نمير رسلا الى حميد يناشدونه الحرمة فوثب عليهم ابن بعاج الكلبي فذبحهم وأرسلوا اليهم انا قد قطعنا الذى بيننا وبينكم فالحقوا بما يسعكم من الأرض، فالتقوا فقتل ابن بعاج وظفر بالنميريين فقتلوا قتلا ذريعاً

وأسروا ، ثم خرج حميد يريد عميرا فقتل من قيس كثيراً وعاد عمير جريحاً الى قرقيسيا ، وبلغ خبر ذلك عبد الملك بن مروان وعنده حسان بن مالك بن بحدل وعبد الله بن مسعدة بن حكم الفزارى وجئ بالطعام فقال عبد الملك لابن مسعدة ادن ، فقال لا والله لقد أوقع حميد بسليم وعامر وقعة لا ينفعنى بعدها طعام حتى يكون لها غيرَ،فقال له حسان أجزعت ان كان بينى وبينكم فى الحاضرة على الطاعة والمعصية فأصبنا منكم يوم المرج وأغار أهل قرقيسيا على البادية بغير ذنب ، فلما رأى حميد ذلك وطلب بثار قومه فأصاب بعض ما أصابهم فجزعت من ذلك ؟ وبلغ حميداً قول ابن مسعدة فقال والله لأشغلنه بمن هو أقرب اليه من سليم وعامر فخرج فى نحو من مائتى فارس ومعه رجلان من كلب دليلان حتى انتهى الى بني فزارة فقال ان عبد الملك بعثنى مصدقا فابعثوا لى كل من يطيق أن يلقانا ففعلوا فقتلهم وأخذ أموالهم فبلغ قتلاهم نحواً من مائة ونيف فقال عويف القوافى

منى الله أن ألقى حميد بن بَحْدَل ... بمنزلة فيها الى النصف معلما
لكيما نعاطيه ونبلو بيننا ... سُرَيجية يعجمن فى الهام معجما
ألا ليت أنى صادفتنى منيتى ... ولم أر قتلى العام يأم أسلما
ولم أر قتلى لم تدع لى بعدها ... يدين فما أرجو من العيش أجذما
وأقسم ماليث بخِفان خادر ... بأشجع من جعد[1] جنانا ومقدما

فلما رجع عبد الملك من الكوفة وقتل مصعباً لحقه أسماء بن خارجة الفزاري بالنُّخيلة فكلمه فيما أتى حميد به الى فزارة وقال حدثنا أنه مصدقك وعاملك فأجبناك وبك عذنا فعليك وفى ذمتك ما على الحر فى ذمته ، فأقدنا من قضاعى سكير، فأبى عبد الملك وقال أنظر فى ذلك وحميد يجحد وليست لهم بينة فوداهم ألف ألف ومائتي ألف وقال انى حاسبها في أعطيات قضاعة

(١) يعنى الجعد بن عمران بن عيينة وقتل يومئذ

فلما أخذوا الدية انطلقت فزارة فاشترت خيلاً وسلاحاً ثم استتبعت سائر قبائل قيس ، ثم أغارت على ماء يدعى بنات قَيْن يجمع بطوناً من بطون كلب كثيرة وأكثر من عليه بنو عبدوَدّ وبنو عُليم بن جَناب فقتلوا من العبديين تسعة عشر رجلاً ، ثم مالوا على العليميين فقتلوا منهم خمسين رجلاً وساقوا أموالاً وبلغ الخبر عبد الملك فأمهل حتى اذا ولى الحجاج العراق كتب اليه أن يبعث اليه سعيد بن عينية وحلحلة بن قيس معهما نفر من الحرس ، فلما قدم بهما عليه قذفهما فى السجن وعرض الدية على العبديين وجعل خالد بن يزيد بن معاوية ومن ولدته كلب يقولون القتل ومن كانت أمه قيسية من بنى أمية يقولون لا بل الدية كما فعل بالقوم حتى ارتفع الكلام بينهم بالمقصورة ، فأخرجهم عبد الملك ودفع حلحلة الى بعض بنى عبد وَدّ ودفع سعيد بن عُيينة الى بعض بنى عليم ، وأقبل عليهما عبد الملك فقال ألم تأتياني تستعدياني فأعديتكما وأعطيتكما الدية ثم انطلقتما فأخفرتما ذمتي وصنعتما ما صنعتما؟ فكلمه سعيد بكلام يستعطفه به ويرققه فضرب حلحلة فى صدره وقال أترى خضوعك لابن الزرقاء نافعك عنده ؟ فغضب عبد الملك وقال اصبر حلحلة فقال « أصبر من عَوْد بجنبيه جلب » فقتلا وشق ذلك على قيس وأعظمه أهل البادية منهم والحاضرة

مالك بن أسماء

هو مالك بن أسماء بن خارجة الفزاري

كان الحجاج قد حبسه حبساً طويلا فى خيانة ظهرت عليه ثم خلاه بعد ذلك ، وذلك أنه اختلف الحجاج وهند بنت أسماء زوجته فى وقعة بنات قَيْن ، فبعث الى مالك بن أسماء ، فأخرجه من السجن ، فسأله عن الحديث فحدثه به ، ثم أقبل على هند فقال قومي الى أخيك ، فقالت لا أقوم اليه وأنت ساخط عليه ، فأقبل الحجاج عليه فقال انك والله ما علمت للخائن أمانته اللئيم حسبه ، فقال ان أذن لي

الأمير تكلمت ، قال قل ، قال أما قول الأمير « اللئيم حسبه » فوالله لو علم الأمير مكان رجل أشرف مني لم يصاهرني ، وأما قوله أني خؤون فلقد ائتمنني فوفرّت فأخذني بما أخذني به ، فبعت ما كان وراء ظهري ولو ملكت الدنيا بأسرها لافتديت بها من مثل هذا الكلام ، فنهض الحجاج وقال شأنك ياهند بأخيك ، فوثبت هند الى مالك فأكبّت عليه ودعت بالجوارى فنزعن عنه حديده وأمرت به الى الحمام وكسته وانصرف ، فلبث أياماً ثم دخل على الحجاج وبين يديه عهود وفيها عهده على أصبهان ، قال خذ هذا العهد وامض الى عملك فأخذه ونهض ، وطالت أيامه بأصبهان فظهرت عليه خيانة أخرى فحبسه وناله بكل مكروه حتى كان يشاب له الماء الذى يشرب به بالرماد والملح ، فاشتاق الحجاج الى حديثه يوماً ، فأرسل اليه فأحضر ، فبينا هو يحدثه اذ استسقى ماء فأتي به ، فلما نظر اليه الحجاج قال لا هات ماء السجن ، فأتي به وقد خلط بالملح والرماد فسقيه ويقال انه هرب من الحبس فلم يزل متوارياً حتى مات الحجاج ، وكتب اليه بعض أهله أن يمضى الى الشام فيستجير ببعض بنى أمية حتى يأمن ثم يعود الى مصره

فكتب مالك الى أبيه يسأله أن يدخل الى الحجاج ويسأله فى أمره ، فقال أسماء في ذلك

أبنى فزَارة لا تُعَنُّوا شيخكم ... مالي وما لزيارة الحجاج
شبهته شِبلاً غداةَ لقيتهُ ... يُلقِى الرؤوس شواخب الأوداج[1]
تجرى الدماء على النِّطاع كأنها ... راح شَمول غير ذات مِزاج
لا تطلبوا حاجاً اليه فانه ... بئس المؤمَّل فى طِلاب الحاج
ياليت هنداً أصبحت مرموسة ... أو ليتها جلست عن الأزواج

ومالك هو الذى يقول

(١) الودج عرق فى العنق وهما ودجان وشخب الاوداج قطعها فسالت

وحديث ألذه هو مما تشتهيه النفوس يوزن وزنا
منطق صائب وتلحن أحيا نا وأحلى الحديث ما كان لحنا

ومن قوله للحجاج

لكل جواد عثرة يستقيلها وعثرة مثلي لا تقال مدى الدهر
فهبني يا حجاج أخطأت مرة وجرت عن المثلى وغنيت بالشعر
فهل لي اذا ما تبت عندك توبة تدارك ما قدفات في سالف العمر

فقال له الحجاج بلى والله لئن تبت لأقبلن توبتك ولأعفين على ما كان من ذنبك ومن لي بذلك يا مالك ؟ قال لك الله ؟ ، قال حسبي الله ونعم الوكيل ، فانظر ما تقول ، قال الحق أصلحك الله لا يخفى على أحد ، فترك مالك الشراب ووفى بعهده وأظهر النسك ثم طما به الشعر وطال عليه ترك اللذات والشراب فقال

وندمان صدق قال لي بعد هذأة من الليل قم نشرب فقلت له مهلا
فقال أبخلاً يا ابن أسماء ها كها كميتاً كريح المسك تزدهف[1] العقلا
فتابعته فيما أراد ولم أكن بخيلاً على الندمان أوشكساً وغلا[2]
ولكنني جلد القوى أبذل الندى وأشرب ما أعطى ولا أقبل العذلا
ضحوك اذا مادبت الكأس في الفتى وغيره سكر وان أكثر الجهلا

فبلغ الحجاج أن مالكاً قد راجع الشراب ، فقال لا يأتى مالك بخير سجيس[3] الأوجس

رأى عمر بن أبي ربيعة مالكاً وهو يطوف بالبيت وقد بهر الناس جماله وكماله ، فأعجب عمر ما رأى منه ، فسأل عنه فعرفه ، فعانقه وسلم عليه وقال أنت أخي حقاً ، فقال له مالك ومن أنا ؟ ومن أنت ؟ فقال أما أنا فستعرفني ، وأما أنت فالذي يقول

(١) تذهب به (٢) الوغل النذل الساقط المقصر في الاشياء (٣) أبداً

ان لي عند كل نفحة بستاناً   من الورد أو من اليما سمينا
نظراً والتفاتة أتمـــنى   أن تـكونى حللت فيما يلينا

مازلت أحبك مذ سمعت هذا الشعر لك ، فقال له مالك أأنت عمر بن أبي ربيعة ؛ قال نعم

عقيل بن علفة

هو عقيل بن عُلَّفَة المرى من مرة بن سعد بن ذُبيان ، يكني أبا العُمَيس وأبا الجرباء شاعر مجيد مُقِلّ من شعراء الدولة الأموية وكان أعرج جافياً شديد الهَوَج والعَجْرَفِيَّة والبَذَخ بنسبه فى بني مرة لا يرى أن له كُفئاً ، وهو فى بيت شرف من قومه فى كلا طرفيه ، وكانت قريش ترغب في مصاهرته ، تزوج اليه خلفاؤها وأشرافها منهم يزيد بن عبدالملك تزوج ابنته الجرباء ، وتزوج بنته عَمْرة سلَمَة بن عبد الله بن المغيرة ، وتزوج أم عمرو بنته ثلاثة نفر من بنى الحكم بن أبي العاصى يحيى والحارث وخالد

وخطب اليه رجل من مرة كثير المال يُغمز في نسبه فقال

لعمرى لئن زَوجتُ من أجل ماله   هَجينا لقد حُبَّت الى الدراهم
أأنكح عبداً بعد يحيي وخالد   أولئك أكفائى الرجال الأكارم
أبى لي أن أرضَى الدَّنية أنني   أمُدَّ عِناناً لم تخنه الشكائم

اقتتل بنو سهم بن مرة رهط عقيل واخوتهم بنى جوشن بن مرة فى أمر يهودى خمار كان جاراً لهم وعقيل بالشام فكتب الى قومه يحرضهم

إمَّا هلكت ولم آتكم   فأبلغ أماثل سَهْم رسولا
بأن التى سامكم قومكم   لقد جعلوها عليكم عدولا
هَوان الحياة وضيم الممات   وكل أراه طعاما وَبيلا

فان لم يكن غير إحداهما ... فسيروا الى الموت سيراً جميلا
ولا تقعدوا وبكم منّة ... كفى بالحوادث للشر غولا

فلما وردت الأبيات عليهم تكفل بالحرب الحصين بن الحُمام المرى أحد بني سهم وقال اليّ كتب وبي نوه خاطب أماثل سهم وأنا من أماثلهم فأبلَى فى تلك الحروب بلاء شديداً وقال فى ذلك قصيدته الميمية (انظر ص ٣ من الجزء الثانى)

عدت بنو جعفر بن كِلاب على جار لعقيل فأطردت ابله وضربوه فعدا عقيل على جار لهم فضربه وأخذ إبله فأطردها فلم يردها حتى ردوا إبلُ جاره وقال فى ذلك

ان يَشْرَق الكلبيّ فيكم بريقه ... بنى جعفر يعجل لجاركم القتل
فلا تحسبوا الاسلام غيَّر بعدكم ... رماح مواليكم فذاك بكم جهل
بنى جعفر ان تَرجع الحرب بيننا ... نُذِقكم كما كنا نذيقكمُ قبل
بدأتم بجاري فانثنيت بجاركم ... وما منهما الا له عندنا حَبْل

مات ابنه علفة بالشام فقال يرثيه

لعمرى لقد جاءت قوافل خبَّرت ... بأمر من الدنيا علىّ ثقيل
وقالوا ألا تبكى لمصرع فارس ... نعته جنود الشام غير ضئيل
فأقسمت لا أبكي على هلك هالك ... أصاب سبيل الله خير سبيل
كأن المنايا تبتغى فى خيارنا ... لها نسباً وتهتدى بدليل
تحل المنايا حيث شاءت فانها ... محللة بعد الفتى ابن عقيل
فتى كان مولاه يحل بربْوة ... فحلّ الموالى بعده بمَسيل

خرج عقيل وابناه علُفة وجثّامة وابنته الجرباء حتى أتوا بنتاً له ناكحاً فى بني مرْوان بالشام فآمت، ثم انهم قفلوا بها حتى كانوا ببعض الطريق فقال عقيل

قضت وطَرا من دير سعد[1] وطالما ... على عرض ناطحنه بالجماجم

(١) بين بلاد غطفان والشام

اذا هبطت أرضاً يموت غرابها بها عطشاً أعطينهم بالخزائم

ثم قال أنفذ ياعُلَّفة ، فقال علفة

فأصبحن بالمَوْماة (١) يحملن فتية نَشاوى من الادلاج ميل العمائم

اذا عَلَم غادرنه بتَنُوفة (٢) تذارعْنَ بالأيدى لآخر طاسم

ثم قال أنفذي ياجرباء فقالت

كأن الكَرَى سقاهم صرْخَدِيَّة (٣) عُقارا تَمشّى فى المطا والقوائم

فقال عقيل شربتها ورب الكعبة ، لولا الأمان لضربت بالسيف تحت قُرْطك ، أما وجدت من الكلام غير هذا ؟ فقال جثامة وهل أساءت انما أجازت وليس غيرى وغيرك ، فرماه عقيل بسهم فأصاب ساقه وأنفذ السهم ساقه والرحل ، ثم شد على الجرباء فعقر ناقتها ثم حملها على ناقة جثامة وتركه عقيراً مع ناقته الجرباء ، ثم قال لولا أن تسبني بنو مرة ما ذقت الحياة ، ثم خرج متوجهاً الى أهله وقال لئن أخبرت أهلك بشأن جثامة أو قلت لهم انه أصابه غير الطاعون لأقتلنك ، فلما قدموا على أهل أُبَير (٤) وهم بنو القَيْن ندم عقيل على فعله بجثامة فقال لهم هل لكم فى جزور انكسرت ؟ قالوا نعم ، قال فالزموا أثر هذه الراحلة حتى تجدوا الجزور ، فخرج القوم حتى انتهوا الى جثامة فوجدوه قد أنزفه الدم ، فاحتملوه وتقسموا الجزور وأنزلوه عليهم وعالجوه حتى بَرَأ واحتملوه ليلحقوه بقومه حتى اذا كانوا قريباً منهم تغنى جثامة

أيعذر لاحينا ويُلْحَيْنَ فى الصِّبا وما هن والفتيان الا شقائق

فقال له القوم انما أفلتَّ من الجراحة التي جرحك أبوك آنفاً وقد عاودت

(١) الموماة الفلاة التى لا ماء بها ولا أنيس (٢) التنوفة كالموماة وطاسم لا علم به
(٣) الصرخدية الخمر منسوب الى صرخد وهى بلد بالشام والمطا الظهر
(٤) موضع فى بلاد غطفان وقيل ماء لبنى القين بن جسر

ما يكرهه فأمسك عن هذا أو نحوه اذا لقيته لا يلحقك منه شر وعرّ ، فقال انما هى خطرة خطرت والراكب اذا سار تغنى

غدا عقيل على أفراس له عند بيوته فأطلقها ثم رجع فاذا بنوه مع بناته وأمهم مجتمعون فشد على عَمَلَّس فحاد عنه وتغنى علفة فقال

قفى يا ابنة المُرّىّ أسألك ما الذي   تريدين فيما كنتِ منيتنا قبل

يخبرك إن لم تُنجزى الوعد أننا   ذوو خُلّة لم يبق بينهما وصل

فان شئت كان الصَّرم ماهبت الصَّبا   وان شئت لا يفنى التكارم والبذل

فقال عقيل متى منتك نفسك هذا وشد عليه بالسيف ، وكان عَمَلّس أخاه لأمه ، فحال بينه وبينه ، فشد على عملس بالسيف وترك علفة لا يلتفت اليه ، فرماه بسهم فأصاب ركبته فسقط عقيل وجعل يتمعك في دمه ويقول

ان بنىّ سربلونى بالدم   من يلق أبطال الرجال يُكلَم

ومن يكن ذا أَوَد يقوَّم   شِنْشِنَةَ أعرفها من أَخزم (١)

وأقسم لا يساكن بنيه فاحتمل وخرج الى الشام ، فلما استوى على ناقته المسماة أطلال بكت ابنته الجرباء وحنت ناقته فقال

ألم تريا أَطلالَ حنت وشاقها   تفرقُنا يوم الحبيب على ظهر

وأسبل من جَرْباء دمع كأنه   جُمان أضاع السلك اجرت فى سطر

لعمرُكَ انى يوم أغدو عَمَلَّساً   لـكالمتربى حتفه وهو لا يدرى

وانى لأسقيه غَبوقى وانني   لغرْثان منهوك الذراعين والنحر

قال عمر بن عبد العزيز لعقيل انك تخرج الى أقاصى البلاد وتدع بناتك فى الصحراء لا كالئ لهن والناس ينسبونك الى الغيْرة وتأبى أن تزوجهن الا

---

(١) أخزم فحل كان لرجل من العرب وكان منجباً فضرب فى ابل رجل آخر ولم يعلم صاحبه فرأى بعد ذلك من نسله فقال شنشنة أعرفها من أخزم

الأكفاء ، قال انى أستعين عليهن بخلتين تكلأنهن وأستغني عن سواهما ، قال وما هما ؟ قال العُرْى والجوع

ومضى علفة أيضاً فافترض بالشام وكتب الى أبيه

ألا أبلغا عنى عقَيلا رسالة ... فانك من حرب على كريم
أما تذكر الأيام اذ أنت واحد ... واذ كل ذي قربى اليك ذميم
واذ لا يقَيك الناس شيئاً تخافه ... بأنفسهم الا الذين تَضيم
تناول شأواً الا بعدين ولم يقم ... لشأوك بين الأقربين أديم
فأما اذا عضت بك الحرب عضة ... فانك معطوف عليك رحيم
وأما اذا آنست أمنا ورخوة ... فانك للقربى ألدُّ ظلوم

فلما سمع عقيل هذه الأبيات رضى عنه وبعث اليه فقدم عليه

عاتب عمر بن عبد العزيز رجلا من قريش أمه أخت عقيل فقال له قبّحك الله أشبهت خالك فى الجفاء ، فبلغت عقيلا فجاء حتى دخل على عمر فقال له ما وجدت لابن عمك شيئاً تعيره به الا خؤلتى فقبح الله شركما خالا ، فقال له عمر انك لأعرابى جلف جاف أما لو كنت تقدمت اليك لأدبتك والله لا أراك تقرأ من كتاب الله شيئاً ، قال بلى انى لأقرأ ، قال فاقرأ ، فقرأ « اذا زلزلت الأرض زلزالها » حتى بلغ الى آخرها فقرأ « فمن يعمل مثقال ذرة شراً يره ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره » فقال له عمر ألم أقل لك انك لا تحسن أن تقرأ ؟ قال أولم أقرأ ؟ قال لا لأن الله جل وعز قدم الخير وانك قدمت الشر ، فقال

خذا بطن هرْشَى أو قفَاها فانه ... كلا جانبى هرْشَى لهن طريق

فجعل القوم يضحكون من عجرفيته

قدم عقيل المدينة فدخل المسجد وعليه خفان غليظان فجعل يضرب برجليه ، فضحكوا منه ، فقال ما يضحككم ؟ فقال له يحيى بن الحكم « وكانت ابنة عقيل تحته »

يضحكون من خفيك وضربك برجليك وشدة جفائك ، قال لا ولكن يضحكون من امارتك فانها أعجب من خفى ، فجعل يحيى يضحك

دخل عقيل على يحيى بن الحكم وهو يومئذ أمير المدينة فقال له يحيى أنكح ابن خالى (يعنى ابن أوفى) فلانة ابنتك ، فقال ان ابن خالك ليرضى مني بدون ذلك ، قال وما هو ؟ قال ان أكفّ عنه سنن الخيل اذا غشيت سوامه ، فقال يحيى لحرسيين بين يديه أخرجاه ، فأخرجاه ، فلما ولى قال أعيداه الي ، فأعاداه ، فقال له عقيل مالك تُكرِّني إكرار الناضح ؟ قال أما والله انى لأُكرِّك أعرج جافياً فقال عقيل كذلك قلت

تعجبت اذ رأت رأسى تجلّله من الروائع شيب ليس من كبر
ومن أديم تولى بعد جدّته والجفن يخلق فيه الصارم الذكر

فقال له يحيى أنشدنى قصيدتك هذه كلها ، قال ما انتهيت الا الى ما سمعت فقال أما والله انك لتقول فتقْصر ، فقال انما يكفى من القلادة ما أحاط بالرقبة ، قال فأنكحني أنا احدى بناتك ، قال أما أنت فنعم ، قال أما والله لأملأنك مالا وشرفا ، قال أما الشرف فقد حملت ركائبى منه ما أطاقت وكلفتها تجشيم مالم تطق ولكن عليك بهذا المال فان فيه صلاح الأيّم ورضا الأبى ، فزوجه ثم خرج فأهداها اليه ، فلما قدمت عليه بعث اليها مولاة له لتنظر اليها ، فجاءتها فجعلت تغمز عضدها فرفعت يدها فدقت أنفها ، فرجعت الى يحيى وقالت بعثتنى الى أعرابية مجنونة صنعت بى ما ترى ، فنهض اليها يحيى فقال لها مالك ؟ قالت ما أردت أن بعثت الى أمة تنظر الي ؟ ما أردتُ بما فعلت الا أن يكون نظرك الى قبل كل ناظر فان رأيت حسناً كنت قد سبقت الى بهجته وان رأيت قبيحاً كنت أحق من ستره ، فسر بقولها وحظيت عنده

خطب يزيد بن عبد الملك الى عقيل ابنته الجرباء ، فقال له عقيل قد زوجتكها

على ألاّ يَزُفها اليك أعلاجك ، أكون أنا الذى أجىء بها اليك ، قال ذلك لك ، فتزوجها ومكثوا ما شاء الله ، ثم دخل الحاجب على يزيد فقال له بالباب أعرابى على بعير معه امرأة فى هودج ، قال أراه والله عقيلا ، فجاء بها حتى أناخ بعيرها على بابه ثم أخذ بيدها فأذعنت فدخل بها على الخليفة فقال له ان أنتما ودّن بينكما فبارك الله لكما وان كرهت شيئاً فضع يدها فى يدى كما وضعت يدها فى يدك فحملت الجرباء بغلام ففرح به يزيد ونحله وأعطاه ثم مات الصبي فورثت أمه منه الثلث ثم ماتت فورثها زوجها وأبوها فكتب اليه ان ابنك وابنتك هلكا وقد حسبت ميراثك منها فوجدته عشرة آلاف دينار فهلم فاقبضه ، فقال ان مصيبتي بابني وابنتي تشغلني عن المال وطلبه فلا حاجة لي فى ميراثهما ، وقد رأيت عندك فرساً سبقت عليه الناس فأعطنيه أجعله فحلا لخيلي ، وأبى أن يأخذ المال ، فبعث اليه يزيد بالفرس

أرطاة ابن سهية

هو أرطاة بن زُفَر المرّي وسُهَيَّة أُمه

شاعر فصيح معدود فى طبقات الشعراء المعدودين من شعراء الاسلام فى دولة بني أُمية لم يسبقها ولم يتأخر عنها ، وكان امرأ صدق شريفاً فى قومه جواداً ، وكان يهاجى شَبيب ابن البرصاء

دخل على عبد الملك بن مروان فاستنشده شيئاً مما كان يناقض به شبيباً فأنشده

أبى كان خيراً من أبيك ولم يزل   جنيباً لآبائى وأنت جنيب

فقال عبد الملك كذبت ، شبيب خير منك أباً ، ثم أنشده

ومازلت خيراً منك مذ عضّ كارهاً   برأسك عاديُّ النِّجاد رَكوب

فقال عبد الملك صدقت ، أنت فى نفسك خير من شبيب ، فعجب من عبد الملك من حضر ومن معرفته مقادير الناس على بعدهم منه فى بواديهم ، وكان الأمر

على ما قال ، كان شبيب أشرف أباً من أرْطاة وكان أرْطاة أشرف فعلاً ونفساً من شبيب ، ودخل عليه مرة أخرى فقال له كيف حالك يا أرْطاة ؟ وكان قد أسن ، فقال ضعفت أوصالي وضاع مالي وقلَّ مني ما كنت أحب كثرته ، وكثر مني ما كنت أحب قلته قال فكيف أنت في شعرك ؟ قال يا أمير المؤمنين ما أطرَب ولا أغضب ولا أرهب ، وما يكون الشعر الا من نتائج هذه الأربع ومع أني القائل

رأيت المرء تأكله الليالي　　كأكل الأرض ساقطةَ الحديد
وما تبغي المنيـة حين تأتي　　على نفس ابن آدم من مزيد
وأعلم أنها ستكرّ حتى　　توفي نذرها بأبي الوليد

فارتاع عبد الملك ثم قال بل توفي نذرها بك ويلك ، فقال لا ترُع يا أمير المؤمنين فانما عنيت نفسي ، وكان أرْطاة يكني بأبي الوليد ، فسكن عبد الملك ثم استعبر باكياً وقال أما والله على ذلك لتلمُّنَّ بي

دخل على مروان بن الحكم لما اجتمع له أمر الخلافة وفرغ من الحرب التى كان بها متشاغلاً فهنأه ، وكان خاصاً به وبأخيه يحيى بن الحكم ، ثم أنشده

تشكّى قلوصى الى الوجى (١)　　تجر السَّريح وتُبلي الخِدَاما
تزُور كريماً له عندها　　يدٌ لا تُعدّ وتُهدى السلاما
وقل ثواباً له أنهـــا　　تُجيد القوافي عاماً فعاما
وسادت معدًا على رغمها　　قريش وسُدْتَ قريشاً غلاما
جُعلت على الأمر فيه صَغا (٢)　　فما زال غمزك حتى استقاما

(١) الوجى الحفا وهو أن يرق القدم أو الفرسن أو الحافر وينسحج والخدام جمع خدمة بفتحتين وهى السير الغليظ المحكم مثل الحلقة يشد الى رسغ البعير ثم يشد اليها سرائح نعلها والسرائح جمع سريح وهو السير يخصف به　(٢) الصغى الميل

لَقِيتَ الزُّحوف فقاتلتها فجردت فيهن عضباً حُساما
تشق القَوانس حتى ينا لَ ماتحتها ثم تبرِى العظاما
نزعت على مَهَل سابقاً فما زادك النزع الا تماما
فزاد لك الله سلطانه وزاد لك الخير منه فداما

بلغه أن شبيباً سبه وتمنى لقاءه فى يوم قتال ليشفى منه غيظه فقال له

أن تلقَنِي لا ترى غيري بناظرة تنس السلاح وتعرفْ جبهة الأَسد
ماذا أظنك تُغْني فى أخي رصد من أُسْدِ خَفّانَ جابي[1] العين ذي لِبَد
أبي ضَراغمة غُبْر يعوِّدها أَكلَ الرجال متى يبدأ لها يَعُد
يأيها المتمني أن يلاقيني ان تَنْأَ آتك أو ان تَبْغِنِي تجد
تقض اللُّبانة من مُرٍّ شرائعُه صعب القادة تخشاه فلا تعد
متى تَرِدْنِيَ لا تَصْدُر لمصدرة فيها نجاة وان أُصدرك لا ترد
لا تحسبني كفَقْعِ القاع ينقرُه جانٍ بأصبعه أو بَيْضة البلد
أنا ابن عُقْفان معروفاً له نسبي الا بما شاركت أم على ولد
لاقى الملوك فأثأى[2] فى دمائهم ثم استقر بلا عقْل ولا قَوَد
من عصبة يطعُنون الخيل ضاحية حتى تبدَّدَ كالمزؤودة[3] الشُّرُد
ويمنعون نساء الحي ان علمت ويكشفون قَتام الغارة العمد
أنا ابن صِرْمة ان تسأل خيارهم أضربْ برجلى فى ساداتهم ويدى
وفى بني مالك أم وزافرة لا يدفع المجد من قيس الى أحد
ضربت فيهم بأعراقى كما ضربت عروق ناعمة فى أبطح ثَئِدِ
جدى قُضاعة معروفٌ ويعرفني حيًّا رُفَيْدَة أهل السَّرْوِ والعدد

(١) جابى العين وجابىء العين شديد النظر (٢) أثأى فى القوم جرح فيهم
(٣) المزؤودة المذعورة

وكان ينسب بوجزة إحدى نساء غنى ومن قوله فيها

ودَاوِيَّة نازعتها الليل زائرا لوَجزَة تَهديني النجوم الطوامس
أعوج بأصحابي عن القصد تعتلي بنا عرُض كَنْرَيها المطى العرامس
فقد تركتني لا أعيج بمشرب فأرْوَى ولا ألهو الى من أجالس
ومن عجب الأيام أن كلّ منزل لوجزة من أكناف زِمّان دارس
وقدجاورت قصر العذَيب فمابرى بزِمّان الا ساخط العيش بائس
طلاب بعيد واختلاف من النوى اذا ما أتى من دون وَجزة قادس(١)
لئن أنجح الواشون بيني وبينها وطال التنائى والنفوس النفائس
لقد طال ما عشنا جميعاً وودنا جميع اذا ما يبتغى الأنس آنس
كذلك صرف الدهر ليس بتارك حبيباً ويبقى عمره المتقاعس

ومن قوله فيها

مررت على حدثى بزِمّان بعدما تقطع أقران الصبا والوسائل
فكنت كظبي مفلت ثم لم يزل به الحين حتى أعلقته الحبائل

وكان بينه وبين حيان الأسدى مهاجاة فاعترض بينهما حُباشة الاسدى فهجا أرطاة فقال فيه أرطاة

أبلغ حُباشة أنى غير تاركه حتى أُذلله اذ كان ما كانا
الباعث القول يُسْديه ويُلْحمه كالمجتدى الثكل اذ جاورت حيانا
أن تدع خندِف بغياً أومكاثرة أُدعُ القبائل من قيس بن عيلانا
قد نحبس الحق حتى ما يجاوزنا والحق يحبسنا فى حيث يلقانا
نبنى لآخرنا مجداً نشيده انا كذلك ورثنا المجد أولانا

(١) القادس السفينة العظيمة

وفد على عبدالملك بن مروان عام الجماعة وقد هنأه بالظفر ومدحه فأطال المقام عنده وأرجف أعداؤه بموته فلما قدم بالجوائز وقد ملأ يديه بلغه ما كان منهم فقال

اذا ما طلعنا من ثنيّة لفلف[1] نخبر رجالا يكرهون إيابى
وخبرهمُ أنى رجعت بغبطة أُحدد أظفارى ويصْرف نابى
وأنى ابن حرب لا تزال تهرّنى كلاب عدوى أو تهر كلابى

وقع بينه وبين زُمَيل قاتل ابن دارة لحاء فتوعده زميل وقال انى لأحسبك ستجرع مثل كأس ابن دارة فقال أرطاة

يازمل انى ان أكن لك سائقا تركض برجليك النّجاة وأَلحق
لا تحسبنى كامرئ صادفته بمضيعة تخدشه بالمرفق
انى امرؤ أُوفى اذا قارعتكم قصَب الرّهان وما أشأَ أَتعرق

فقال له زميل

يا أَرْطَ إن تك فاعلا ما قلته والمرء يستحيي اذا لم يصدق
فافعل كما فعل ابن دارة سالم ثم امش هوْنك سادرا لا تتقى
واذا جعلتك بين لحيي شابك الـ أنياب فارعُد ما بدا لك وابرُق

وقال أرطاة يرثى ابنه عمراً

وقفت على قبر ابن سلمى فلم يكن وقوفى عليه غير مبْكًى ومجْزع
هل أنت ابن سلمى ان نظرتك رائح مع الركب أو غاد غداة غد معى
أأنسى ابن سلمى وهو لم يأت دونه من الدهر الا بعضُ صيف ومربع
وقفت على جثمان عمرو فلم أجد سوى جدَث عاف ببيداء بلقع
ضربت عمودى بانة شمرا معا فخرت ولم أتبع قلوصى بدعدع

(١) جبل بين تيماء وجبلى طيء

ولو أنها حادت عن الرَّمْس نلتها ... ببادرة من سيف أشهب موقع

تركتك ان تحيَيْ تكوسى[١] وان تنؤ ... على الجهد تخذلها توالٍ فتُصْرَع

فدع ذكر من قد حالت الارض دونه ... وفى غير من قد وارت الارض فاطمع

ومنها

وكائن ترى من ذات بَثّ وعولة ... بكت شجوها بعد الحنين المرجَّع

فكانت كذات البوّ[٢] لما تعطفت ... على قطع من شِلْوه المتمزع

متى لا تجدْها تنصرف لطياتها ... من الارض أو تعمِد لالف فتربَع

خاصمت امرأة من بنى مرة سُهَيَّة أم أرطاة وكانت من غيرهم أخيذة أخذها أبوه فاستطالت عليها المرأة وسبتها فخرج أرطاة اليها فسبها وضربها ، فلامه قومه وقالوا له مالك تدخل نفسك فى خصومات النساء ؟ فقال

يعيرنى قومى المجاهل والخَنا ... عليهم وقالوا أنت غير حليم

هل الجهل فيكم أن أعاقَب بعدما ... تجوز سبيّ[٣] واستُحِل حريمى

اذا أنا لم أمنع عجوزىَ منكمُ ... فكانت كأخرى فى النساء عقيم

وقد علمت أبناء مُرَّة أننا ... اذا ما اجتدانا الشر كل حميم

حُماة لأحساب العشيرة كلها ... اذا ذُمَّ يوم الروع كل مُليم

ومن قوله فى قتلى من قومه قتلوا يوم بنات قين[٤]

أعاذلتى ألا لا تعذُلينا ... أقلى اللوم ان لم تنفعينا

فقد أكثرت لو أغنيت شيئاً ... ولست بقابل ما تأمرينا

---

(١) كاس البعير مشى على ثلاث قوائم وهو معرقب (٢) البو جلد الحوار يحشى ثماماً أو تبناً أو غيرهما فيقرب من أم الفصيل فتعطف عليه فتدر (٣) سبك من يسابك

(٤) بنات قين موضع بالشام فى بادية كلب بن وبرة كانت فيه وقعة لبنى فزارة على بنى كلب فى أيام عبد الملك بن مروان ، فأصابت فيهم على غرة وذلك بعد وقعة أوقعتها بهم كلب يوم العام وهو جبل بأرض فزارة (أنظره فى ترجمة عويف القوافى ص ٧٨)

فلا وأبيك لا ننفك نبكي | على قتلى هنالك ما بقينا
على قتلى هنالك أوجعتنا | وأنستنا رجالا آخرينا
سنبكي بالرماح اذا التقينا | على اخواننا وعلى بنينا
بطعن تَرْعُد الاحشاء منه | يرد البيض والابدان جُونا
كأن الخيل اذ آنسن كلباً | يَرَيْن وراءهم ما يبتغينا

شبيب ابن البرصاء

هو شبيب بن يزيد المرى والبَرْصاء أُمه واسمها قرصافة بنت الحرث بن عوف ابن أبى حارثة لقبت بذلك لبياضها

شاعر فصيح إسلامي من شعراء الدولة الأموية بدوي لم يحضر الا وافداً أو منتجعاً وكان يهاجى عقيل بن عُلَّفَة ويعاديه لشراسة كانت فى عقيل وشرعظيم وكلاهما كان شريفاً سيداً فى قومه فى بيتُ شرفهم وسوددهم ، وكان شبيب أعور أصاب عينه رجل من طيء في حرب كانت بينهم ، ومما قاله لعقيل

ألسنا بفرع قد علمتم دِعامة | ورابية تنشق عنها سيولها
وقد علمت سعد بن ذُبيان أننا | رحاها التى تأْوِي اليها وجُولها(١)
اذا لم نَسُسْكم فى الأُمور ولم تكن | لحرب عَوَانٍ لاقح من يؤلها(٢)
فلستم بأهدى فى البلاد من التى | تَرَدَّدُ حيْرَى حين غاب دليلها
دعت جل يَرْبوع عقيلا لحادث | من الأمر فاستخفى وأعيا عقيلها
فقلت له أهلا أجبت عشيرة | لطارق ليل حين جاء رسولها
وكائن لنا من رَبْوَة لا تنالها | مَرَاقيك أو جُرْثومة لا تطولها
فخرت بأيام لغيرك فخرها | وغُرَّتها معروفة وحُجُولها

(١) الجول جدار البئر وجمعه أجوال (٢) آله يؤله ساسه

اذا الناس هابوا سوءة عمدت لها ... بنو جابر شبانها وكهولها
فهلا بني سعد صبحت بغارة ... مُسَوَّمة قد طار عنها نَسِيلها
فتدرك وترا عند آل م وآتر ... وتدرك قتلى لم تتمم عقولها

وقال له

ألا أبلغ أبا الجرباء عني ... بآيات التباغض والتقالى
فلا تذكر أباك العبدَ وافخر ... بأم لست مكرمها وخال
وهبها مُهْرَة لَقِحت ببغل ... فكان جنينها شر البغال
اذا طارت نفوسهم شعاعاً ... حمينا المحصَنات لدى الحِجال
بطعن تعثرُ الأبطال منه ... وضرب حيث تقتصُّ العوالى
أبى لي أن آبائى كرام ... بنوْا لي فوق أشراف طوال
بيوتَ المجد ثم وثبت منها ... الى علياء مشرفة القذَال
تزلّ حجارة الرامين عنها ... وتقصر دونها نبل النِّضال

خطب شبيب الى يزيد بن هاشم المرى ابنته ، فقال هى صغيرة ، فقال شبيب لا ولكنك تبغي أن تردنى ، فقال له يزيد ما أردت ذاك ولكن أنظرنى هذا العام فاذا انصرم فعليَّ أن أزوجك ، فرحل شبيب من عنده مغضباً ، فلام يزيدَ بعض أهله ، فبعث الى شبيب ارجع فقد زوجتك ، فأبى شبيب أن يرجع وقال

لعمرى لقد أشرفت يوم عُنَيْزَة ... على رغبة لو شد نفسى مَرِيرها(١)
ولكنَّ ضعف الأمر ألاَّ تُمِرَّه ... ولا خير فى ذى مِرَّة (٢) لا يغيرها
تبيَّنُ أدبار الأمور اذا مضت ... وتُقْبل أشباهاً عليك صدورها
تُرَجِّي النفوس الشيء لا تستطيعه ... وتخشى من الأشياء ما لا يَضيرها
ألا انما يكفى النفوسَ اذا اتقت ... تُقَى الله مما حاذرت فيجيرها

(١) المرير عزة النفس والعزيمة (٢) المرة قوة الخلق وشدته

ولا خير فى العيدان الا صلابها ولا ناهضات الطير الا صقُورها
ومستنبح يدعو وقد حال دونه من الليل سَجْفا ظلمة وستورها
رفعت له ناري فلما اهتدى بها زجرت كلابى أن يهِرَّ عقورها
فبات وقد أسرى من الليل عقبة بليلة صدق غاب عنها شرورها
وقد علم الأضياف أن قِراهم شِوَاء المتالِي(١) عندنا وقدورها
اذا افتخرت سعد بن ذُبيان لم تجد سوى ما بنينا ما يعد فخورها
وانى لتَرَّاك الضغينة قد أرى ثَرَاها من المولى فلا أستثيرها
مخافة أن يجني عليَّ وانما يهيج كبيرات الأمور صغيرها
اذا قيلت العوراء وليْتُ سمعها سواى ولم أسمع بها ما دَبِيرها
وحاجة نفس قد بلغت وحاجة تركت اذا ما النفس شح ضميرها
حياء وصبراً فى المواطن انني حَيِيٌّ لدى أمثال تلك ستيرها
وأحبس فى الحق الكريمةَ انما يقوم بحق النائبات صبُورها
احابى بها الحى الذى لا تهمه وأحساب أموات تعد قبورها
ألم تر أنا نور قوم وانما يبين في الظلماء للناس نورها

ومن فخره

ولقد وقفت النفس عن حاجاتها والنفس حاضرة الشعاع تَطَلّع
وغرِمت فى الحسب الرفيع غرامة يَعيا بها الحَصِر الشحيح ويَظْلَع
أنى فتى حر لقدرى عارف أعطى به وعليه مما أمنع

ومن قوله يرثي جماعة من بني عمه

تخرم الدهر اخوانى وغادرنى كما يغادر نور الطارد الفأْد(٢)
انى لباق قليلا ثم تابعهم ووارِدٌ منهلَ القوم الذى وردوا

---

(١) ناقة متلية تبعها ولدها والجمع متالى (٢) الفأد اصابة الفؤاد

وشكاه رهط أَرْطَاة ابن سُهَيَّةَ الى عثمان بن حيان المرى وقالوا يعمنا بالهجاء ويشتم أعراضنا فأمر باشخاصه اليه ، ولما قدم قال له أقسم قسماً حقاً لئن عاودت هجاءهم لأقطعن لسانك ، فقال شبيب

سجنت لسانى يا ابن حيان بعدما ... تولى شبابي ان عقدك محكم
وعيدك أبقى من لسانى قُذاذة (١) ... هيوبا وصمتاً بعد لا يتكلم
رأيتك تَحلَوْلي اذا شئت لامرئ ... ومُرًّا مُراراً فيه صاب وعلقم
وكل طريد هالك متحير ... كما هلك الحيران والليل مظلم
يداك يدا خير وشر فمنهما ... تضر وللأخرى نوال وأنعم

وقد وصف نفسه شبيب فأحسن

وانى لسهل الوجه يعرف مجلسي ... اذا أحزن القاذورةُ المتعبس
يضئ سنا جودى لمن يبتغى القِرَى ... وليل بخيل القوم ظلماء حِنْدِس
ألين لذى القربى مراراً وتلتوى ... بأعناق أعدائى حبال فتَمْرَس (٢)

وكان عبد الملك يتمثل بقول شبيب فى بذل النفس عند اللقاء ويُعْجَب به

دعانى حصن للفرار فساءنى ... مواطن أن تثني علىَّ فأشتما
فقلت لحصن نَحِّ نفسك انما ... يذود الفتى عن حوضه أن يهدما
تأخرت أستبقى الحياة فلم أجد ... لنفسي حياة مثل أن أتقدما
سيكفيك أطرافَ الأسنة فارس ... اذا ريعَ نادى بالجواد وبالحمى
اذا المرء لم يغش المكاره أوشكت ... حبال الهُوَيْنَى بالفتى أن تجذما

ومما يغنى فيه من شعره

سلا أم عمرو فيم بات أسيرها ... تفادى الأسارى حوله وهو موثق
فلا هو مقتول ففى القتل راحة ... ولا منعم يوماً عليه فمطلق

---

(١) القذاذة ما سقط من قذ الريش ونحوه   (٢) مرست حبال فلان أى ارتبكت أموره

ابن ميادة

هو الرَّمّاح بن أَبْرَد بن ثَوْبان المرى ، ويكنى أبا شرحبيل ، وميّادة أمه وهى أم ولد بربرية وروى أنها كانت صقْلبية وكان ابن ميادة يزعم أنها فارسية وذكر ذلك فى شعره فقال

أليس غلام بين كسرى وظالم ... بأكرم من نيطت عليه التمائم
لو أن جميع الناس كانوا بتَلْعة ... وجئت بجدى ظالم وابن ظالم
لظلت رقاب الناس خاضعة لنا ... سجوداً على أقدامنا بالجماجم

وقال يفتخر بها

أنا ابن ميادة تَهْوِى نُجُبِي ... صَلْت الجبين حسن مُرَكَّبي
ترفعنى أمى ويَنْميـــني أبى ... فوق السحاب ودوين الكوكب

وهو شاعر مقدم مخضرم من شعراء الدولتين وجعله ابن سلام فى الطبقة السابعة وقرن به عمرو بن لَجَأ والعجيف العقيلى والعُجَير السَّلولى ، وقال ابن الأعرابى كان عِرِّيضا للشر طالباً مهاجاة الشعراء ومسابّة الناس ، وقال شيخ من غطفان كان الرماح بن أبرد أشعر غطفان في الجاهلية والاسلام وكان خيراً لقومه من النابغة لم يمدح غير قريش وقيس وكان النابغة انما يَهْذِى باليمن مضللا حتى مات ، وقال القاسم بن جُنْدَب الفزارى ، وكان عالماً لابن ميادة والله لو أصلحت شعرك لذكرت به فانى لأراه كثير السقط ، فقال له ابن ميادة يا ابن جندب انما الشعر كنبل فى جفيرك ترمى به الغرض [1] فطالع وواقع وعاضد وقاصر ، وقال يحيى بن على كان

(١) الطالع من السهام الذى يجاوز الهدف ويعلوه لم يزغ عنه يميناً ولا شمالا وهو يستحب والواقع الذى يقع بالغرض والعاضد الذى يقع عن يمين الغرض وشماله وهو شرها والقاصر الذى يقصر دونه فلا يبلغه وهو قاصد

ابن ميادة فصيحاً يحتج بشعره وقد مدح بني أمية و بني هاشم ومدح من بني أمية الوليد بن يزيد وعبدالواحد بن سليمان ومدح من بني هاشم المنصور وجعفر بن سليمان.

وكان ابن ميادة أحمر سبطا عظيم الخلق طويل اللحية وكان لباساً عطراً ما دنوت من رجل كان أطيب عرفاً منه

قال موسى بن زهير كان الرماح ينسب بأم جحدر بنت حسان المرية فحلف أبوها ليخرجنها الى رجل من غير عشيرته ولا يزوجها بنجد ، فقدم عليه رجل من الشام فزوجه اياها فلقى عليها ابن ميادة شدة فرأيته وما لقى عليها ، فأتاها نساؤها ينظرن اليها عند خروج الشامى بها فوالله ما ذكرن منها جمالاً بارعاً ولا حسناً مشهوراً ولكنها كانت أكسب الناس لعجب ، فلما خرج بها زوجها الى بلاده اندفع ابن ميادة يقول

ألا حييا رسما بذى العُشّ مقفرا — وربعا بذى المدور مستعجماً قفرا
فأعجب دار دارُها غير أنني — اذا ما أتيت الدار تَرْجعني صِفرا
عشية أثني بالرداء على الحشى — كأن الحشى من دونه أُسعرت جمرا
فبهرا لقومي اذ يبيعون مهجتى — بغانية بَهْرًا لهم بعدها بَهْرا
يميل بنا شحط النوى ثم نلتقى — عداد الثريا صادفت ليلة بدرا
وبالغَمْر قد جازت وجاز مطيها — فأسقى الغوادى بطن تبان فالغمرا
خليليّ من غيظ بن مرة بلغا — رسائل مني لا تزيدكما وَقْرا
ألا ليت شعرى هل الى أم جحدر — سبيل فأما الصبر عنها فلا صبرا
فان يك نذر راجعا أم جحدر — عليّ لقد أوجبت فى عنق نذرا
وانى لأستثني الحديث منَ أجلها — لأسمع منها وهى نازحة ذكرا
وانى لأستحيى من الله أن أرى — اذا غدر الخلان أنوى لها غدرا

قال ابن ميادة كانت أم جحدر من عشيرتي فأعجبتني ، وكانت بيني و بينها خلة ، ثم انى عتبت عليها في شئ بلغني عنها فأتيتها فقلت يا أم جحدر ان الوصل عليك مردود ، فقالت ما قضى الله فهو خير ، فلبثت على تلك الحال سنة ، وذهبت بهم نجعة فتباعدوا واشتقت اليها شوقاً شديداً فقلت لامرأة أخ لى والله ان دنت دارنا من أم جحدر لآتينها ولأطلبن اليها أن ترد الوصل بيني و بينها ولئن ردته لانقضته أبداً ، ولم يكن يومان حتى رجعوا فلما أصبحت غدوت عليهم فاذا أنا ببيتين نازلين الى سند أبرق طويل واذا امرأتان جالستان فى كساء واحد بين البيتين ، فجئت فسلمت فردت إحداهما ولم ترد الاخرى ، فقالت ما جاء بك يارماح الينا ؟ ما كنا حسبنا الا أنه قد انقطع ما بيننا و بينك ، فقلت انى جعلت عليّ نذراً لئن دنت بأم جحدر دار لآتينها ولأطلبن منها أن ترد الوصل بيني وبينها ولئن هى فعلت لانقضته أبداً ، واذا التي تكلمني امرأة أخيها واذا الساكتة أم جحدر ، فقالت امرأة أخيها فادخل مقدم البيت ، فدخلت وجاءت فدخلت من مؤخره ، فدنت قليلا ثم اذا هى قد برزت ، فساعة برزت جاء غراب فنعب على رأس الأبرق ، فنظرت اليه وشهقت وتغير وجهها ، فقلت ما شأنك ؟ قالت لا شئ ، قلت بالله ألا أخبرتنى ، قالت أرى هذا الغراب يخبرنى انا لا نجتمع بعد هذا اليوم الا ببلد غير هذا البلد ، فتقبضت نفسى ثم قالت جارية والله ما هى فى بيت عيافة ولا قيافة ، فأقمت عندها ثم تروحت الى أهلى فمكثت عندهم يومين ثم أصبحت غادياً اليها فقالت لي امرأة أخيها ويحك يارماح أين تذهب ؟ فقلت اليكم ، فقالت وما تريد ؟ قد والله زوجت أم جحدر البارحة ، فقلت بمن ويحك؟ قالت برجل من أهل الشام من أهل بيتها جاءهم من الشام فخطبها فزوجها وقد حملت اليه ، فمضيت اليهم فاذا هو قد ضرب سرادقات ، فجلست اليه فأنشدته وحدثته وعدت اليه أياماً ، ثم انه احتملها فذهب بها فقلت

أجارتنا [1] ان الخطوب تنوب ⁂ علينا وبعض الآمنين تصيب
أجارتنا لست الغداة ببارح ⁂ ولكن مقيم ما أقام عَسيب
فان تسأليني هل صبرت فانني ⁂ صبور على ريب الزمان صليب
جرى بانبتات الحبل من أم جحدر ⁂ ظباء وطير بالفراق نعوب
نظرت فلم أعتَف وعافت فبينت ⁂ لها الطير قبلي واللبيب لبيب
فقالت حرام أن نرى بعد هذه ⁂ جميعين الا أن يُلِمّ غريب
أجارتنا صبراً فيارب هالك ⁂ تقطّعُ من وجد عليه قلوب

ثم انحدرت فى طلبها وطمعت فى كلمتها «الا ان نجتمع فى بلد غير هذا البلد» فجئت فدرت الشام زماناً فتلقانى زوجها فقال مالك لا تغسل ثيابك هذه ؟ أرسل بها الى الدار تغسل ، فأرسلت بها ، ثم انى وقفت أنتظر خروج الجارية بالثياب ، فقالت أم جحدر لجاريتها اذا جاء فأعلميني ، فلما جئت اذا أم جحدر وراء الباب ، فقالت ويحك يا رَمّاح قد كنت أحسب أن لك عقلا ، أما ترى أمراً قد حيل دونه ؟ انصرف الى عشيرتك فانى أستحي لك من هذا المقام ، فانصرفت وأنا أقول

عسى أن حجنا أن نرى أم جحدر ⁂ ويجمعنا من نخلتين طريق
وتصطك أعضاد المطىّ وبيننا ⁂ حديث مُسَرّ دون كل رفيق

قال اسحق الموصلي أنشدني أبو داود لابن ميادة وهو يضحك منذ أنشدنى الى أن سكت

ألم تر أن الصاردية جاورت ⁂ ليالي بالممدور [2] غير كثير

---

(١) هذه الابيات الثلاثة أغار عليها ابن ميادة أعيانها أما البيتان الاولان فهما لامرىء القيس قالهما لما احتضر بأنقرة فى بيت واحد والبيت الثالث لشاعر من شعراء الجاهلية وتمثل به أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام فى رسالة كتب بها الى أخيه عقيل

(٢) الممدور موضع فى ديار غطفان

ثلاثاً فلما أن أصابت فؤاده ... بسهمين من كحل دعت بهجير
بأصهب [1] يرمى للزمام برأسه ... كأن على ذفراه نضخ عبير
جلت اذ جلت عن أهل نجد جيدة ... جلاء غني لا جلاء فقير
وقالت وما زادت على أن تبسمت ... عذيرك من ذي شيبة وعذيرى
عدمت الهوى ما يبرح الدهر مقصداً ... لقلبي بسهم في اليدين طرير [2]
وقد كان قلبي مات للوجد موته ... فقد هم قلبي بعدها بنشور

فقلت ما أضحكك ؟ فقال كذب ابن ميادة والله ما جلت الا على حمار وهو يذكر بعيراً ويصفه وأنها جلت جلاء غني لا جلاء فقير ، فأنطقه الشيطان بهذا كله كما سمعت

ومن قوله فيها

ألا يالقومى للهوى والتذكر ... وعين قذى انسانها أم جحدر
فلم تر عينى مثل قلبي لم يطر ... ولا كضلوع فوقه لم تكسر

ومن نسيبه بأم جحدر

يمنونني منك اللقاء وانني ... لأعلم لا ألقاك من دون قابل
الى ذاك ما حارت أمورك وانجلت ... غيابة حبيك انجلاء المخايل [3]
اذا حل أهلى بالجناب وأهلها ... بحيث التقى الفلان من ذى أرايل
أقل خلة بانت وأدبر وصلها ... تقطع منها باقيات الحبائل
وحالت شهور الصيف بينى و بينها ... ورفع الأعادى كل حق وباطل
أقول لعذالي لما تقابلا ... على بلوم مثل طعن المعاول
ألا تكثرا عنها السؤال فانها ... مصلصلة [4] من بعض تلك الصلاصل

(١) يريد بعيراً لونه الصهبة والذفرى العظم خلف الاذن (٢) طرير محدد وأقصده السهم أصابه فقتله مكانه (٣) جمع مخيلة بالضم والنضح السحابة التى تحسبها ماطرة
(٤) صلصل فلاناً أوعده وتهدده.

من الصفر لا ورهاء سمج دلالها ... وليست من السود القصار الحوائل (١)
ولكنها ريحانة طاب نشرها ... وردت عليها بالضحى والأصائل
فياليت رثّ الوصل من أم جحدر ... لنا بجديد من أولاك البدائل
ولم يبق مما كان بيني وبينها ... من الود الا مخفيات الرسائل
وأني اذا استنبهت من حلو رقدة ... رميت بحبيها كرمى المناضل
فما أنس مِ الاشياء لا أنس قولها ... وأدمعها يُذْرين حشو المكاحل
تمتع بذا اليوم القصير فانه ... رهين بأيام الدهور الأطاول
وكنت أمرأ أرمى الزوائل (٢) مرة ... فأصبحت قد ودعت رمى الزوائل
وعطلت قوس اللهو من شُرُعاتها (٣) ... وعادت سهامى بين رث وناصل
اذا حل بيتى بين بدر (٤) ومازن ... ومرة نلت الشمس واشتد كاهلى

لما ماتت أم جحدر ونعيت اليه لم يصدق حتى أتاه رجل من بني زُحْل يقال له عمار فنعاها له فقال

ما كنت أحسب ان القوم قد صدقوا ... حتى نعاها لى الزحلى عمار

وقال يرثيها

خلت شعب المهدور لست بواجد ... به غير بال من عِضاه وحَرمل
تمنيت أن تلقي به أم جحدر ... وماذا تمني من صدًى تحت جندل
فلَلْموت خير من حياة ذميمة ... وللبخل خير من عناء مطول

وشبب ابن ميادة بزينب احدى نساء حُمَيس بن عامر من قضاعة ومن قوله فيها

(١) الحائل المتغير اللون وهى حائلة (٢) الزوائل جمع زائلة وهى كل شيء يتحرك
(٣) الشراع الوتر ما دام مشدوداً على القوس جمعه شرع ونصل السهم فهو ناصل خرج من النصل (٤) يعني بدر بن عمرو من عدى بن فزارة ومزنا ومرة ابني فزارة

نظرنا فهاجتنا على الشوق والهوى ‏ لزينب نار أوقدت بجُبار [(١)]
كأن سناها لاح لى من خصاصة[(٢)] ‏ على غير قصد والمطى سوار
حُمَيسية بالرملتين محلها ‏ تَمُتُّ بحِلف بيننا وجوار
تجاور من سهم بن مرة نسوة ‏ بمجتمع النصفين غير عوار
نواعم أبكاراً كأن عيونها ‏ عيون ظباء أو عيون صُوار [(٣)]
كأنا نراها وهى منا قريبة ‏ على متن عصماء اليدين نوار
تتبع من حجر ذُرا متمنع ‏ لها معقِل فى رأس كل طَمار [(٤)]
يدور بها ذو أسهم لا ينالها ‏ وذو كلبات كالقِسِىّ ضَوار
كأن على المتنين منها وَدِيّة[(٥)] ‏ سقتها السواقى من وَدِىّ دوار
يظَلّ سَحيق المسك يقطر حولها ‏ اذا الماشطات احتفنه بمدارى [(٦)]
وما روضة خضراء يضربها النَّدى ‏ بها قُنَّة [(٧)] من حَنْوة وعَرار
بأطيب من ريح القَرَنفُل ساطعاً ‏ بما التف من دِرْع لها وخِمار
وما ظبية ساقت لها الريح نَغْمة ‏ على غفلة فاستسمعت لُحوار
بأحسن منها يوم قامت فأتلعت[(٨)] ‏ على شَرَك من روعة ونفار
فليتك يا حسناء يابنة مالك ‏ يبيع لنا منك المودة شار

رأى ابن ميادة امرأة من بنى جشم بن معاوية ثم من بنى حرام يقال لها أم الوليد وكانوا ساروا عليه فأعجب بها وقال فيها

ألا حبذا أم الوليد ومَرْبع ‏ لنا ولها نشتو به ونصيف

(١) ماء لبنى حميس بن عامر (٢) الخصاص كل خلل وخرق فى باب ومنخل وبرقع ونحوه وفى السحاب الواحدة خصاصة (٣) الصوار بالضم ويكسر القطيع من البقر
(٤) الطمار المكان المرتفع (٥) الودية صغار الفسيل الواحدة ودية سمى به لانه يخرج من النخل ثم يقطع منه فيغرس (٦) المدرى المشط جمعه مدار (٧) القنة الجبل الصغير والعرار بهار ناعم أصفر طيب الريح (٨) أتلع عنقه مده متطاولا

حرامية أما ملاث ازارها   فوعث وأما خصرها فلطيف
كأن القرون السود فوق مقذها(١)   اذا زل عنها برقع ونصيف
بها زرجونات(٢) بقفر تنسمت   لها الريح حتى بينهن زفيف

فلما سمع زوجها هذه الأبيات أتاها فحلف بطلاقها لئن وجد ابن ميادة عندها ليدقن فخذها . ثم أعرض عنها واعتزلها حتى وجده يوماً عندها فدق فخذها واحتمل فرحل ورحل بها معه فقال ابن ميادة

أتانا عام سار بنو كلاب   حراميون ليس لهم حزام
كأن بيوتهم شجر صغار   بقيعان تقيل بها النعام
حراميون لا يقرون ضيفاً   ولا يدرون ماخلق الكرام

ثم سارت عليهم بعد ذلك بنو جعفر بن كلاب فأعجب بامرأة منهم يقال لها أم البختري وكان يتحدث اليها مدة مقامهم ثم ارتحلوا فقال فيها

أرقت لبرق لا يفتر لامعه   بشهب الربا والليل قد نام هاجعه
أرقت له من بعد مانام صحبتي   وأعجبني ايماضه وتتابعه
يضيء صبيراً(٢) من سحاب كأنه   هجان أرنت للحنين نوازعه
هنيئاً لأم البختري الروى(٣) به   وان أنهج الحبل الذى النأى قاطعه
لقد جعل المستبضع الغش بيننا   ليصرم حبلينا تجوز بضائعه
فما سرحة تجري الجداول تحتها   بمطرد القيعان عذب ينابعه
بأحسن منها يوم قالت بذى الغضى   أترعى جديد الحبل أم أنت قطعه

خطب ابن ميادة امرأة من بنى سلمى بن مالك بن جعفر فأبوا أن يزوجوه وقالوا أنت هجين ونحن أشرف منك فقال

(١) المقذ ما بين الاذنين من خلف (٢) الزرجون شجر العنب وزف النبات اهتز واضطربت أغصانه (٣) الصبير السحابة البيضاء أو السحاب الابيض الذى يصبر بعضه فوق بعض درجا وأرن صوت (٤) الروى الماء الكثير المروى

فلو طاوعتني آل سلمى بن مالك لأعطيت مهراً من مسرة عاليا
وسرب كسرب العين من آل جعفر يغادين بالكحل العيون السواجيا
إذا ما هبطن النيل أو كن دونه بسرو الحمى لقين أثم المراسيا

ومن نسيبه

يا خليليّ هجّرا كي تروحا هيجا للرواح قلباً قريحا
أن تريفا لتعلما سر سعدى تجداني بسر سعدى شحيحا
ان سعدى لمنية المتمني جمعت عفة ووجهاً صبيحا
كلمتني وذاك ما نلت منها ان سعدى ترى الكلام ربيحا

تهاجى ابن ميادة وحكم بن معمر الخضريّ ، وأول ما بدأ الهجاء بينهما أن ابن ميادة مرّ بالحكم وهو ينشد في مصلّى النبي صلى الله عليه وسلم في جماعة من الناس قوله

لمن الديار كأنها لم تعمر بين الكناس وبين برق مُحجّر

حتى انتهى الى قوله

يا صاحبي ألم تشيما بارقاً نُصح الصُّراد به فهضب المنحر
قد بت أرقبه وبات مصعّدا نهض المقيد في الدّهاس[1] الموقر

فقال ابن ميادة ارفع إليّ رأسك أيها المنشد ، فرفع حكم اليه رأسه ، فقال له من أنت ؟ قال أنا حكم بن معمر الخضرى ، قال فوالله ما أنت في بيت حسب ولا في أرومة شعر ، فقال له حكم وماذا عبت من شعري ؟ قال عبت أنك أدهست وأوقرت ، قال له حكم ومن أنت ؟ قال أنا ابن ميادة ، قال ويحك فلم رغبت عن أبيك وانتسبت الى أمك ؟ قبح الله والدين خيرهما ميادة ، أما والله لو وجدت في أبيك خيراً ما انتسبت الى أمك راعية الضأن ، وأما ادهاسي وايقاري فانى لم آت

(١) الدهاس ما لا ينبت شجراً وتغيب فيه القوائم والموقر وصف للمقيد

خير الا ممتاراً لا متحاملاً وما عدوت ان حكيت حالك وحال قومك فلو سكت عن هذا كان خيراً لك وأبقى عليك ، فلم يفترقا الا عن هجاء

تواعد ابن ميادة وحكم المدينة ليتواقفا بها ، فتواقفا بها ، وجاء نفر من قريش أمهاتهم من مرة الى ابن ميادة فمنعوه من مواقفة حكم وقالوا أتتعرض له رلست بكفئه فيشتم أمهاتنا وأخوالنا وخالاتنا وهو رجل خبيث اللسان ؟ وكان حكم يسجع سجعاً كثيراً ، فقال والله لئن واقفته لأسجعن به قبل المقارضة سجعاً أفضحه به فلم يلقه ، ورجز به ابن ميادة فقال

يا معدن اللؤم وأنت جبله — وآخر اللؤم وأنت أوله
جاريت سباقاً بعيداً مهَله — كان اذا جارى أباك يفشله
فكيف ترجوه وأنت تأمله — فأنت شر رجل وأنذله
ألأمه فى مأزق وأجهله — أدخله بيت المخازى مُدخله
فاللؤم سربال له يُسربَلُه — ثوباً اذا أنهجه يبدله

فأجابه حكم

يا ابن التى جيرانها كانت تضر — وتتبع الشَّوْل وكانت تحتضر
كيف اذا مارست حراً تنتصر

ولهما مناقضات كثيرة وأراجيز طوال طويت ذكر أكثرها وألغيته وذكرت منها لمعاً من جيد ما قالاه لئلا يخلو هذا الكتاب من ذكر بعض ما دار بينهما ولا يستوعب سائره فيطول ، فما قاله حكم فى ابن ميادة قوله

خليليَّ عوجا حيِّيا الدار بالجَفْر — وقولا لها سقيا لعصرك من عصر
وماذا تحيى من رسوم تلاعبت — بها حَرْجَف تذرى بأذيالها الكدر

فمن جيد قوله فيها يفتخر

اذا يبست عيدان قوم وجدتنا — وعيداننا تمشى على الورق الخضر

اذا الناس ناءوا بالقروم أتيتهم بقَرْم يساوى رأسه غُرّة البدر
لنا الغوْر والأنجاد والخيل والقنا عليكم وأيام المكارم والفخر

ومن جيد هجائه فيها

فيا مرّ قد أخزاك فى كل موطن من اللؤم خلات يزدن على العشر
فمنهن أن العبد حامى ذماركم وبئس المحامى العبد عن حوْزة الثغْر
ومنهن أن لم تمسحوا وجه سابق جواد ولم تأتوا حصاناً على طهر
ومنهن أن الميت يدفن منكم فيفسو على دفّانه وهو فى القبر
ومنهن أن الجار يسكن وسطكم بريئاً فيلقى بالخيانة والغدر
ومنهن أن عذتم بأرقط كوْدن(١) وبئس المحامى أنت ياضرِط الجفر
ومنهن أن الشيخ يوجد منسكمُ يَدِبّ الى الجارات محدودب الظهر
يبيت ضباب الضغن يخشى احتراشها(٢) وان هى أمست دونها ساحل البحر

فأجابه ابن ميادة بقصيدة طويلة منها قوله مجيباً له عن هذه الخصال التى سبهم بها

لقد سبقت بالمخزيات محارب وفازت بمخلات على قومها عشر
فمنهن أن لم تعقروا ذات ذروة لحق اذا ما احتيج يوماً الى العقر
ومنهن أن لم تمسحوا عربية من الخيل يوماً تحت جلّ على مهر
ومنهن أن لم تضربوا بسيوفكم جماجم الا فيشل القُرحُ الحمر
ومنهن أن كانت شيوخ محارب كما قد علمتم لاتريش ولا تبْرى
ومنهن أخرى سوءة لو ذكرتها لكنتم عبيداً تخدُمون بنى وبْر
ومنهن أن الضأن كانت نساءكم اذا اخضر أطراف الثُّمام من القطر

(١) الكودن الهجين (٢) احترش الضب صاده

ومنهن أن كانت عجوز محارب   تريع الصبى تحت الصفيح من القبر
ومنهن أن لو كان فى البحر بعضكم   لخبث ضاحى جلده حومة البحر

ومن جيد قول ابن ميادة فى حكم قصيدته التى أولها

لقد سبقتك اليوم عيناك سبقة   وأبكاك من عهد الشباب ملاعبه
فوالله ما أدري أيغلبني الهوى   اذا جد جد البين أم أنا غالبه
فان أستطع أغلب وان يغلب الهوى   فمثل الذى لاقيت يغلب صاحبه

يقول فيها فى هجاء حكم

لقد طال حبس الوفد وفد محارب   عن المجد لم يأذن له بعد حاجبه
وقال لهم كرُّوا فلست بآذن   لكم أبداً أو يحصى الترب حاسبه

اجتمع ابن ميادة وعقال بن هاشم بباب الوليد بن يزيد ، وكان عقال شديد الرأى فى اليمن ، فغمز عقال ابن ميادة واعتلاه ، فقال ابن ميادة

فجرنا ينابيع الكلام وبحره   فأصبح فيه ذو الرواية يسبح
وما الشعر الا شعر قيس وخندف   وقول سواهم كلفة وتملح

فقال عقال يجيبه

ألا أبلغ الرماح نقض مقالة   بها خطِل الرماح أو كان يمزح
لئن كان في قيس وخندِف ألسن   طوال وشعر سائر ليس يقدح
لقد خرق الحى اليمانون قبلهم   بحور الكلام تستقى وهى تطفح
وهم علموا من بعدهم فتعلموا   وهم أعربوا هذا الكلام وأوضحوا
فللسابقين الفضل لا يجحدونه   وليس لمخلوق عليهم تبجح

ومن جيد شعره قوله يمتدح الوليد بن يزيد

هل تعرف الدار بالعلياء غيرها   سافى الرياح ومستنّ له طنب

دار لبيضاء مسودّ مسائحها (١) كأنهـا ظبية ترعى وتنتصب
تحنو لأكحَل ألفته بمَضيعة فقلبها شفقاً من حوله يَجِب

يقول فيها

يا أطيب الناس ريقاً بعد هجعتها وأملح الناس عيناً حين تنتقب
ليست بجود بنَيْل حين أسألها ولست عندخلاء اللهو أغتصب
في مِرْفقيها اذا ماعونقت بَجَم (٢) على الضجيع وفى أنيابها شَنَب
وليلة ذات أهوال كواكبها مثل القناديل فيها الزيت والعُطُب (٣)
قدجُبْتها جوب ذي القراض ممطرةً اذا استوى مُغْفلات البيد والحدب
بعَنْتَريس (٤) كأن الدَّبْر يلسعها اذا ترنم حاد خلفها طرب
الي الوليد ابي العباس ماعجلت ودونه المُعْط (٥) من لُبنان والكُثُب
أعطيتني مائة صفرا مدامعها كالنخل زين أعلى نبته الشرب
يسوقها يافع جَعْد مفـارقه مثل الغراب غذاه الصَّرّ والحَلَب
وذا سبيب صُهَيْبيا له عرف وهامة ذات فرق نابُها صَخِب
لما أتيتك من نجد وساكنه نفحتَ لى نفحة طارت بها العرب
انى امرؤ أعتفى الحاجات أطلبها كما اعتفى سَنِق (٦) يُلقَى له العُشُب
ولا أُلح على الخلان أسألهم كما يُلح بعظم الغـارب القتَب
ولا أخادع ندمانى لأخدعه عن ماله حين يسترخي به اللَّبب
وأنت وابناك لم يوجد لكم مثل ثلاثة كلهم بالتـاج معتصب
الطيبون اذا طابت نفوسهم شُوسُ الحواجب والأبصار ان غضبوا

(١) المسائح ما بين الاذن الى الحاجب من الشعر وتنتصب تقف اذا ارتاعت منتصبه تتوحش
(٢) الجم كثرة اللحم (٣) العطب القطن (٤) العنتريس الناقه الغليظه الصلبة الوثيقه الشديدة الكثيرة اللحم (٥) المعط جمع المعطاء وهى أرض لا نبات بها (٦) السنق للحيوان كالتخم للانسان

قسني الى شعراء الناس كلهمُ　　وادع الرواة اذا ماغب ما احتلبوا
انى وان قال أقوام مديحهمُ　　فأحسنوه وما خابوا وما كذبوا
أجرى أمامهم جرى امرىء فَلِـج　　عِنانه حين يجرى ليس يضطرب

وكان مع الوليد بأباين وهو موضع كان الوليد ينزله فى الربيع فقال

لعمرك إنى نازل بأباين　　لصَوْءرمشتاق وان كنت مكرما
أبيت كأنى أرمد العين ساهر　　اذا بات أصحابى من الليل نُوَّما

فقال له الوليد كأنك غَرِضت[1] من قربنا فقال ماىثلك يا أمير المؤمنين يُغْرَض من قربه ولكن

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة　　بحَرَّة ليلى حيث رَبَّتنى[2] أهلى
وهل أسمعن الدهر أصوات هَجْمة　　تطالع من هَجْل[3] خصيب الى هجل
بلاد بها نيطت علىّ تمائمى　　وقطعن عنى حين أدركني عقلى
فان كنت عن تلك المواطن حابسى　　فأيسر على الرزق واجمع اذاً شملى

فأعطاه الهجمة وهي مائة ناقة وأجازه جوائز سنية ولما مات الوليد قال يرثيه

ألا يالهفتيّ على وليد　　غداة أصابه القدَرُ المتاح
ألا يَبكى الوليد فتى قريش　　وأسمحها اذا عد السماح
وأجبرها لذى عظم مَهِيض　　اذا دَرّت بدِرَّتها اللِّقاح
لقد فعلت بنو مروان فعلا　　وأمراً ما يسوغ به القراح

ومدح ابن ميادة أبا جعفر المنصور بقصيدة من جيد شعره أولها

وكواعب قد قلن يوم تواعدوا　　قول المجدّ وهن كالمزَّاح
يا ليتنا فى غير أمر بأنر　　طلعت علينا العيس بالرَّماح

(١) غرض ضجر ومل　(٢) ربته رباه　(٣) الهجل المطمئن من الارض

بينا كذاك رأيتني متعصباً بالخز فوق جلالة سِرْداح[1]
فيهن صفراء المعاصم طفلة بيضاء مثل غريضة التفاح
فنظرن من خلل الحجال بأعين مرضى مخالطها السَّقام صحاح
وارتشن حين أردن أن يرمينني نَبلا بلا ريش ولا بِقداح

يقول فيها في مدح المنصور وبني هاشم

فلئن بقيت لألحقن بأبحر ينْمين لا قطع ولا أنزاح[2]
ولآتين بني علي انهم من يأتيهمُ يتلق بالأفلاح
قوم اذا جلب الثناء اليهم بيع الثناء هناك بالأرباح
ولأجلسن الى الخليفة انه رَحْب الفِناء بواسع بحَبْاح

وهي قصيدة طويلة

وقال يصف الغيث

سحائب لا من صَيِّب ذى صواعق ولا محرقات ماؤهن حميم
اذا ماهبطن الأرض قدمات عودها بكين بها حتى يعيش هَشيم

ومما مدح به عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك وهو أمير المدينة

من كان أخطأه الربيع فانما نصر الحجاز بغيث عبد الواحد
ان المدينة أصبحت معمورة بمتوج حُلو الشمائل ماجد
ولقد بلغت بغير أمر تكلف أعلى الحظوظ برغم أنف الحاسد
وملكت مابين العراق ويثرب ملكا أجار لمسلم ومعاهد
ماليهما ودميهما من بعد ما غشي الضعيفَ شعاع سيف المارد

ومدح جعفر بن سليمان بن علي، وكان على المدينة

لعمرك ما سيوف بني علي بنابية الظُّبات ولا كِلال

(١) السرداح الناقة الكريمة (٢) النزح بالفتح البئر نزح أكثر مائها وجمعه أنزاح

هُمُ القوم الأولى ورثوا أباهم تُرَاث محمد غير انتحال
وهم تركوا المقال لهم رفيعاً وما تركوا عليهم من مقال
حذوتم قومكم ما قد حذوتم كما يُحْذَى المثال على المثال
فردوا فى جراحكمُ أُسَاكم فقد أبلغتمُ مر النكال

يشير عليه بالعفو عن بنى أمية ويذكره بأرحامهم

وله من قصيدة يهجو بها بني أسد وبني تميم

بني أسد أن تغضبوا ثم تغضبوا وتَعذِلْ قريش تحمِ قيسا غِضابها
وأحقرُ محقورٍ تميم أخوكمُ وان غضبت يربوعها و ربابها
ألا ما أبلي أن تخندف خِنْدِف ولست أبلي أن يَطِنّ ذبابها
ولو أن قيساً قيس عيْلان أقسمت على الشمس لم يطلُع عليكم حجابها
ولو حاربتنا الجن لم نرفع القنا عن الجن حتى لا تهِرّ كلابها
لنا الملك الا أن شيئاً تعده قريش ولو شئنا لذلت رقابها
وان غضبت من ذا قريش فقل لها معاذَ الاله أن أكون أهابها
وانى لقوال الجواب وانني لمفتخر أشياء يعْيا جوابها
اذا غضبت قيس عليك تقاصرت يداكِ وفات الرِّجلَ منك ركابها

ومن قوله

بنو الصالحين الصالحون ومن يكن لآباء سوء يلقهم حيث سيرا
فما العود الا نابت فى أرومة أبى شجر العيدان أن يتغيرا

ضاف ابن ميادة أيوب بن سلمة فلم يَقْرِه وابن ميادة من أخوال أيوب فقال فيه

ظَلِلْنا وقوفاً عند باب ابن أختنا وظل عن المعروف والمجد فى شغل
صفا صلد عند النَّدَى ونعامة اذا الحرب أبدت عن نواجذها العُصْل

مات ابن ميادة في صدر خلافة المنصور

عبد الله بن الحجاج

هو عبد الله بن الحجاج بن محصن الثَّعْلبي من ثعلبة بن سعد بن ذبيان ، ويكني أبا الأقرع

شاعر فاتك من معدودي فرسان مُضَر ذوي البأس والنجدة فيهم ، وكان ممن خرج مع عمرو بن سعيد على عبد الملك بن مروان ، فلما قتل عبد الملك عمراً خرج مع نَجْدة بن عامر الحنفى ، ثم هرب فلحق بعبد الله بن الزُّبير فكان معه الى أن قتل ، ثم جاء الى عبد الملك متنكراً واحتال عليه حتى أمنه ، دخل عليه وهو يطعم الناس فدخل حُجْرَة ، فقال مالك ياهذا لا تأكل ؟ قال لا أستحل ان آكل حتى تأذن لي ، قال إنى قد أذنت للناس جميعاً ، قال لم أعلم أفآكل بأمرك ؟ قال كل ، فأكل وعبد الملك ينظر اليه ويعْجَبُ من مقاله ، فلما أكل الناس جلس عبد الملك فى مجلسه وجلس خواصه بين يديه وتفرق الناس ، فجاء الحجاج فوقف بين يديه ، ثم استأذنه فى الانشاد فأذن له ، فأنشده

أبلغ أمير المؤمنين فانني ... مما لقيت من الحوادث مُوجَع
منع القرار فجئت نحوك هارباً ... جيش يُجَرّ ومِقْنَبٌ (١) يتلمع

فقال عبد الملك وما خوفك لا أُم لك لولا انك مُرِيب ؟ فقال عبد الله

ان البلاد علي وهى عريضة ... وَعِرَت مذاهبها وسُدَّ المطلع

فقال عبد الملك ذلك بما كسبت يداك وما الله بظلام للعبيد ، فقال عبد الله

كنا تنحلنا البصائر مرة ... واليك اذ عَمِيَ البصائر ترجع
ان الذى يعصيك منا بعدها ... من دينه وحياته متودع

(١) المقنب جماعة من الخيل تجتمع للغارة ويتلمع يضىء

آتى رضاك ولا أعود لمثلها　　وأطيع أمرك ما أمرت وأسمع
أعطى نصيحتك الخليفة ناجماً　　وخزامة الأنف المقود فأتبع

فقال عبد الملك هذا لا نقبله منك الا بعد المعرفة بك وبذنبك فاذا عرفت الحَوْبة قبلنا التوبة ، فقال عبد الله

ولقد وطئت بني سعيد وطأة　　وابن الزبير فعرشه متضعضع

فقال عبد الملك لله الحمد والمنة على ذلك ، فقال عبد الله

ما زلت تضرب مَنْكِباً عن منكب　　تعلو ويَسفُل غيركم ما يرفع
ووطئتهم فى الحرب حتى أصبحوا　　حِدَثاً يؤس وغابر يتجعجع (١)
نحوى خلافتهم ولم يظلم بها　　القَرم قَرْم بنى قُصى الأنزع
لا يستوى خاوى (٢) نجوم آفل　　والبدر منبلجاً اذا ما يطلع
وُصِفت أُميَّة واسطين لقومهم　　ووُصفت وَسطهم فنعم الموضع
بيت أبو العاصى بناه برَبْوة　　عالي المشارف عزه ما يدفع

فقال عبد الملك ان توريتك عن نفسك لترِيبنى ، فأى الفسَقة أنت ؟ وماذا ترِيد ؟ فقال

حرَبَت (٣) أُصيبِتى يد أرسلتها　　واليك بعد مَعادها ما ترجع
وأرى الذى يرجو تُراث محمد　　أَفَلَتْ نجومهم ونجمك يسطع

فقال عبد الملك ذلك جزاء أعداء الله ، فقال عبد الله

فانعش أُصيبتى الأُولاء كأنهم　　حَجَل (٤) تَدرج بالشرَبَّة جُوَّع

---

(١) تجعجع الرجل ضرب بنفسه الارض من وجع أصابه (٢) خوت النجوم أمحلت فلم تمطر (٣) حربه أخذ ماله وتركه بلا شيء (٤) الحجل صغار أولاد الابل وحشوها والشربة موضع بنجد

فقال عبد الملك لا أنعشهم الله وأجاع أكبادهم ولا أبقى وليداً من نسلهم فانهم نسل كافر فاجر لا يبالي ما صنع ، فقال عبد الله

مال لهم مما يُضَنّ جمعته   يوم القليب فحيزَ عنهم أجمع

فقال عبد الملك لعلك أخذته من غير حله وأنفقته فى غير حقه وأرصدته لمشاقة أولياء الله وأعددته لمعاونة أعدائه فنزعه منك اذ استظهرت به على معصية الله ، فقال عبد الله

أدنو لترحمني وتجبر فاقتي   فأراك تدفعني فأين المدفع

فتبسم عبد الملك وقال له الى النار فمن أنت الآن ؟ قال أنا عبد الله بن الحجاج الثعلبي وقد وطئت دارك وأكلت طعامك ، فان قتلتني بعد ذلك فأنت وما تراه وأنت بما عليك فى هذا عارف ، ثم عاد الى إنشاده فقال

ضاقت ثياب الملبسين وفضلهم   عنى فألبسني فثوبك أوسع

فنبذ عبد الملك اليه رداء كان على كتفه وقال البسه لا لَبِست ، فالتحف به ثم قال له عبد الملك أولى لك والله لقد طاولتك طمعاً فى أن يقوم بعض هؤلاء فيقتلك فأبى الله ذلك فلا تجاورنى فى بلد وانصرف آمناً وأقم حيث شئت

ومن قوله لما ضاقت عليه الأرض من شدة الطلب

رأيت بلاد الله وهى عريضة   على الخائض المطرود كفة حابل

تؤدى اليه أن كل ثَنِيَّة   تيممها ترمى اليه بقاتل

ولي كثير بن شهاب الحارثى على ثغر الرَّيّ ولاه إياه المغيرة بن شُعْبة ، وكان ابن الحجاج معه ، فأغار الناس على الدَّيلم ، فأصاب ابن الحجاج رجلاً منهم فأخذ سلبه فانتزعه منه كثير وأمر بضربه فضرب مائة سوط وحبس ، فقال فى ذلك وهو محبوس

تسائل سلمى عن أبيها صحابه   وقد علِقته من كثير حبائل

فلا تسألي عني الرفاق فانه ... بأبهر (١) لا غاز ولا هو قافل
ألست ضربت الديلمي أمامهم ... فجدلته فيه سنان وعامل

فمكث فى الحبس مدة ثم خلي سبيله فقال

سأترك ثغر الرّيّ ما كنتَ والياً ... عليه لأمر غالني وشجانى
فان أنا لم أدرك بثأري وأتئد ... فلا تدْعُني للصَّيد من غطَفان
تمنيتني ياابن الحصين سفاهة ... ومالك بى ياابن الحصين يدان
فانى زعيم أن أُجلل عاجلا ... بسيفى كفِاحاً هامة ابن كنان

فلما عزل كثير وقدم الكوفة كمن له ابن الحجاج فضربه بعمود على وجهه فهتم مقاديم أسنانه كلها وقال

من مبلغٌ قيساً وخِنْدِف أننى ... ضربت كثيراً مضرب الظَّرِبان
فأقسم لا ينفك ضربة وجهه ... بذل ويُخزى الدهر كل يمان
فان تلقنى تلق امرأ قد لقيته ... سريعاً الى الهيجاء غير جبان
وتلق امرأً لم تلق أمك بره ... على سابح غَوْج (٢) اللَّبان حَصان
وحولي من قيس وخِنْدِف عصبة ... كرام على البأساء والحدثان
وان تك للشيخ الذى غصَّ بالحصى ... فانى لقرْم يا كثير هجان
أنا ابن بني قيس عليَّ تعطفت ... بغَيض بن رَيْث بعد آل دجان

وقال فى ذلك أيضاً

من مبلغٌ قيساً وَخِنْدِفَ أنني ... أدركت مظلمتى مِنِ ابن شهاب
أدركته أجرى على محبوكة (٣) ... مَرِح الجراء طويلة الأقراب

---

(١) أبهر مدينة بين قزوين وزنجان وهمذان من نواحى الجبل
(٢) غوج اللبان واسع جلد الصدر ولا يكون كذلك الا وهو سهل المعطف
(٣) المحبوكة الشديدة الخلق من الفرس وغيره والاقراب جمع قرب وهو الخاصرة

جرداء سُرْحوب[١] كأنَّ هُبُوبها　　تعلو بجؤجؤها هُوِيّ عُقاب
خضت الظلام وقد بدت لي عورة　　منه فأضربه على الأنياب
فتركته يكبو لفيه وأنفه　　ذهل الجنان مُضَرَّج الأثواب
هلا خشيت وأنت عادٍ ظالم　　بقصور أبْهَرَ ثُؤْرَتي[٢] وعقابي
اذ تستحل وكان ذاك محرماً　　جلدي وتنزع ظالماً أثوابي
باءت عَرارِ[٣] بكحلَ فيما بيننا　　والحق يعرفه أولو الألباب

فكتب ناس من اليمانية من أهل الكوفة الى معاوية ان سيدنا ضربه خسيس من غَطَفان فان رأيت أن تُقيدنا من أسماء بن خارجة، فلما قرأ معاوية الكتاب قال ما رأيت كاليوم كتاب قوم أحمق من هؤلاء وحبس عبد الله بن الحجاج وكتب اليهم ان القود ممن لم يَجْنِ محظور والجانى محبوس فليقتص منه المجني عليه، فقال كثير بن شهاب لا أستقيدها الا من سيد مضر، فبلغ قوله معاوية فغضب وقال أنا سيد مضر فليستقدها مني وأمن عبد الله بن الحجاج وأطلقه وبطل ما فعله بابن شهاب فلم يقتص ولا أخذ له عقلا

مات جُنْدَب بن عبد الله فدفنه بظهر الكوفة فمرّ أخوه عُوَين بحراث الى جانب قبر جندب فنهاه أن يقربه وحذره ذلك، فلما كان من الغد وجده قد حرث جانبه وقد نبشه وأخربه، فشد عليه فضربه بالسيف وعقر فدّانه وقال

أقول لحراث حريص جَنّبا　　فديتكما لا تحرثا قبر جُنْدَب
فانكما ان تحرثاه تشرَّدا　　ويذهب كل منكما كل مذهب

فأخذ عوين فاعتقله السجان فضربه حتى شغله بنفسه ثم هرب، فوفد أبوه

(١) فرس سرحوب طويلة توصف به الاناث دون الذكور والجؤجؤ الصدر
(٢) الثؤرة الذحل وهو طلب المكافأة بجناية جنيت عليك
(٣) عرار وكحل بقرتان انتطحتا فماتتا جميعاً فضرب بهما المثل

الى عبد الملك ، فاستوهبه جرمه ، فوهبه وأمر ألاّ يتعقّب ، ولما مَثَلَ بين يدي عبد الملك أنشده

يا ابن أبي العاصى ويا خير فتى | أنت النجيب والخِيار المصطفى
أنت الذى لم تدَعِ الأمر سُدَى | حين كشفت الظلمات بالهدى
ما زلت ان نازٍ على الأمر انتزى | قضيته ان القضاء قد مضى
كما أذقت ابن سعيد اذ عصى | وابن الزُّبير اذ تسَنَّى وطغى
وأنت ان عدَّ قديم وبنى | من عبد شمس فى الشَّماريخ العلى
حيتْ قريش عنكم حَوْبَ الرحا | هل أنت عافٍ عن طريد قد غوَى
أهوى على مَهْوَاة بئر فهوى | رمى به جُول الى جُول الرَّجا[1]
فتجبر اليوم به شيخاً ذوَى | يَعْوِى مع الذئب اذا الذئب عوى
وان أراد النوم لم يقض الكرى | من هول ما لاقى وأهوال الردى
يشكر ذاك ما نفت عين قذَى | نفسي وآبائى لك اليوم فدى

فأمر عبد الملك بتحمل ما يلزم ابنه من غرم وعقل وأمنه

وفد ابن الحجاج الى عبد العزيز بن مروان ومدحه فأجزل صلته وأمره بأن يقيم عنده ، ففعل ، فلما طال مقامه اشتاق الى الكوفة والى أهله ، فاستأذن عبد العزيز فلم يأذن له ، فخرج من عنده عاصياً ، فكتب عبد العزيز الى أخيه بشر أن يمنعه عطاءه ، فمنعه ورجع عبد الله لما أضر به ذلك الى عبد العزيز وقال

تركت ابن ليلى ضلَّةً وحريمه | وعند ابن ليلى معْقِل ومُعَوَّل
ألم يهدنى أن المراغم واسع | وأن الديار بالمقيم تنقل
سأحكم أمري أو بدا لي رشده | وأختار أهل الخير ان كنت أعقل
وأترك أوطاري وألحق بامرىء | تحلب كفاه الندى حين يسأل

(١) الرجا ناحية البئر والجول جدار البئر

أبت لك يا عبد العزيز مآثر وجرى شأى جرىَ الجياد وأول
أبى لك اذ أكدَوْا وقل عطاؤهم مواهبُ فياض ومجد مؤثَّل
أبوكَ الذى يَنْمِيك مرْوَان للعلى وسعد القناة الخال لا من يخول

فقال له عبد العزيز أما اذا عرفت موضع خطئك واعترفت به فقد صفحت عنك ، وأمر باطلاق عطائه ووصله ، وقال له أقم ما شئت عندنا وانصرف مأذوناً لك اذا شئت

ومن شعر ابن الحجاج

نأتك ولم تخش الفراق جنُوب وشطَّتْ نوى بالظاعنين شعُوب
طربت الى الحى الذين تحملوا ببُرْقة أحواذ [1] وأنت طروب
فظَلْتَ كأنى ساورتني مُدامة لها فى عظام الشاربين دبيب
تمر وتستحلى على ذاك شربها لوجه أخيها فى الإناء قُطُوب
كُميت اذا صبت وفى الكأس وردة لها فى عظام الشاربين دبيب
تذكرت ذكرى من جنُوب مصيبة ومالك من ذكرى جنوبَ نصيب
وأنّى ترجى الوصل منها وقد نأت وتبخل بالموجود وهى قريب
فمافوق وجدي اذ نأت وجد واحد من الناس لو كانت بذاك تثيب
برَهْرَهة [2] خوْد كأن ثيابها على الشمس تبدو تارة وتغيب

كتب الحجاج الى عبد الملك بن مرْوَان يعرفه آثار عبد الله بن الحجاج وبلاءه من محاربته وأنه بلغه أنه أمنه ويحرضه ويسأله أن يوفده اليه ليتولى قتله ، وبلغ ذلك عبد الله بن الحجاج فجاء حتى وقف بين يدي عبد الملك ثم أنشده

أعوذ بثوبيك اللذين ارتداهما كريم الثنا من جيبه المسك ينضح
فان كنت مأكولا فكن أنت آكلى وان كنت مذبوحاً فكن أنت تذبح

(١) الاحواذ جمع حاذ وهو شجر تألفه بقر الوحش (٢) امرأة برهرهة بيضاء

فقال عبد الملك ماصنعت شيئاً ، فقال عبدالله

لأنت وخير الظافرين كرامهم عن المذنب الخاشى العقاب صفوح
ولو زلقت من قبل عفوك نعله ترامى به دحض[1] المقام بريح
نمى بك ان خانت رجالا عقولهم أروم[2] ودين لم يخنك صحيح
وعُرف سرى لم يسر فى الناس مثله وشأو على شأو الرجال منوح
تداركني عفو ابن مروان بعد ما جرى لى من بعد الحياة سنيح
رفعت مريحاً ناظرىّ ولم أكد من الهم والكرب الشديد أريح

فكتب عبد الملك الى الحجاج ، انى قد عرفت من خبث عبدالله وفسقه مالا يزيدنى علماً به الا أنه اغتفلنى متنكراً فدخل دارى وتحرم بطعامى واستكسانى فكسوته ثوباً من ثيابى وأعاذنى فأعذته وفى دون هذا ما حظر على دمه ، وعبدالله أقل وأذل من أن يوقع أمر أو ينكث عهد فى قتله خوفاً من شره ، فان شكر النعمة وأقام على الطاعة فلا سبيل عليه وان كفر ما أوتى وشاق الله ورسوله وأولياءه فالله قاتله بسيف البغي الذي قتل به نظراؤه ومن هو أشد بأساً وشكيمة منه من الملحدين فلا تعرض له ولا لأحد من أهله بسيئة والسلام

ابن دارة

هو عبد الرحمن بن مسافع بن شريح بن يربوع الملقب بدارة من عبدالله بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان شاعر اسلامى .

لما أخذ السَّمْهَرِى العُكْلى وحبس وقتل وكانت بنو أسد أخذته وبعثت به الى السلطان وكان نديماً لعبد الرحمن فقتل بعد طول حبس فقال عبد الرحمن يهجو بني أسد ويحرض عليهم عُكْلا

(١) الدحض الزلق والبريح التعب (٢) الاروم جمع الارومة بالفتح أصل الشجرة ويستعار للحب

أن يُمسِ بالعينين سقْم فقد أتى ... لعينيك من طول البكاء على جُمْل
تهيم بها لا الدهر فانٍ ولا المنى ... سواها ولا تسلَى بنأى ولا شغل
كبيضة أُدْحى بمَيْث (١) خميلة ... يُحففُها جوْن بجُؤجُئه الصَّعْل
وما الشمس تبدو يوم غيم فأشرقت ... على الشامة العنقاء فالنِّير فالذبل
بدا حاجب منها وضنَّت بحاجب ... بأحسن منها يوم زالت على الحمل
يقولون أزْل (٢) حب جمل وقربها ... وقد كذبوا ما فى المودة من أزْل
اذا شَحَطت عنى وجدت حرارة ... على كبدى كادت بها كمداً تغلى
ولم أر محزونين أجملَ لوعة ... على نائبات الدهر مني ومن جمل
كلانا يذود النفس وهى حزينة ... ويُضمر وجداً كالنوافذ بالنبْل
وانى لَمبْلِي اليأس من حب غيرها ... فأما على جمل فانى لا أُبْلي
وان شفاء النفس لو تسعف المني ... ذوات الثنايا الغُر والحدق النُّجْل
أولئك ان يمنعن فالمنع شيمة ... لهن وان يُعطِين يُحمدن بالبذل
سأمسك بالوصل الذى كان بيننا ... وهل ترك الواشون والنأى من وصل
ألا فاسقيانى قهوة فارسية ... من الأول المختوم ليس من الفضل
تُنسِّى ذوى الاحلام واللب حلمهم ... اذا ان بدت فى دنها زبَد الفحل
ويارا كباً إما عرَضت فبلغن ... على نأيهم مني القبائل من عُكل
بأن الذي أمست تُجمجم فقعس ... إسار بلا أسر وقتل بلا قتل
وكيف تنام الليل عُكْل ولم تنل ... رضى قوَد بالسمْهرِىِّ ولا عقْل
فلا صلح حتى تنْحِط الخيل فى القنا ... وتوقد نار الحرب بالحطب الجزْل
وجرْد تعادَى بالكُماة كأنها ... تلاحظ من غيظ بأعينها القُبْل (٣)

(١) الميثاء الرملة السهلة جمعه ميث والخميلة الشجر الكثير الملتف ويحففها يحدق بها والجون الابيض والاسود والصعل النعامة الدقيقة الرأس (٢) الازل الضيق
(٣) رجل أقبل كأنه ينظر الى طرف أنفه وهى قبلاء والجمع قبل

عليها رجال جالدوا يوم منعج ذوى التاج ضرابو الملوك على الوَهَل
بضرب يزيل الهام عن مستقره وطعن كأفواه المفرّجة الهُدْل (١)
علامَ تمشى فَقْعَس بدمائكم وما هى بالفرع المنيف ولا الأصل
وكنا حسبنا فقعسا قبل هذه أذل على وقع الهوان من النعل
فقد نظرت نحو السماء وسلمت على الناس واعتاضت بخصب من المحْل
رمى الله فى أكبادهم ان نجت بها شعاب القنان من ضعيف ومن وَغْل
وان أنتمُ لم تثأروا بأخيكمُ فكونوا نساء للخلوق وللكحل
وبيعوا الرُّدَيْنيات بالحَلْي واقعدوا على الذل وابتاعوا المغازل بالنبل
ألا حبذا من عنده القلب فى كَبْل ومن حبه داء وخَبْل من الخبل
ومن هو لا ينسى ومن كلُّ قوله لدينا كطعم الراح أو كجَنَى النحل
ومن ان نأى لم يُحدث النأى بغضه ومن ان دنا فى الدار أرصد بالبذل

فلما بلغ مالكا أخا السمهرى بخراسان انحطّ من خراسان حتى قدم بلاد عُكْل فاستجاش نفراً من قومه فعاقوا فى أرض بنى أسد يطلبون الغِرّة فوجدوا بثادق (٢) رجلا من فقعس يعرف بابن سعدة وامرأة هى أمه فقتلوه وحزوا رأسه وذهبوا بالرأس وتركوا جسده وقتلوها أيضاً فقال عبد الرحمن فى ذلك

ما لقتيل فقعس لا رأس له هلا سألت فَقْعَسا من جدّله
لا يتبعن فقعسىّ جمله فردا اذا ما الفقعسى أعمله
لا يلقينّ قاتلا فيقتلَه بسيفه قد سَنّه وصقله

وقال أيضاً

لما تمالى القوم فى رأد الضحى نظراً وقد لمع السراب تخالا

(١) الاهدل الجمل المسترخى المشفر والجمع هدل
(٢) واد بنجد أسفله لبنى عبس وأعلاه لبنى أسد

نظر ابن سعد نظرة و بلا بها   كانت لصحبك والمطى خبالا
لما رأى من فوق طوْد يافع   بعض المداة وجنة وظلالا
عيرتنى طلب الحمول وقد أرى   طَبًا بهن مكلفاً بطالا
فانظر لنفسك ياابن سعدة هل ترى   ضَبُعا تجر بنادق أوصالا
أوصال سعدة والكميت وانما   كان الكميت على الكميت عيالا

وقال

أصبحتم ُ تُكلَى لئاماً وأصبحت   شياطين عُكل قد عراهن فقعس
قضى مالك ماقد قضى ثم قلصت   به فى سواد الليل وَجناء عِرْمس
فأضحت بأعلى نادق وكأنها   مَحالة غرْب تستمر وتمرس

وقد ظفرت بنو أسد بعبد الرحمن بالجزيرة بعد ما أكثر من سبهم وهجائهم وتآمروا فى قتله فقال بعضهم لاتقتلوه ولتأخذوا عليه أن يمدحنا ونحسن اليه فيمحو بمدحه ماسلف من هجائه ، فعزموا على ذلك ثم ان رجلا منهم قد عضه بهجائه اغتفله فضربه بسيفه فقتله وقيل فى ذلك

فلا تكثروا فيه الضجاج فانه   محا السيف ما قال ابن دارة أجمعا

جبها

هو يزيد بن عبيد بن عقيلة الأشجعى من أشجع بن ريث بن غطفان وجبها لقب له وقد يقال جبيها ، شاعر بدوى من مَخاليف الحجاز ، نشأ وتوفى فى أيام بني أمية ، وليس ممن انتجع الخلفاء بشعره ومدحهم فاشتهر ، وهو مقل وليس من معدودى الفحول ، ومما يغني فيه من شعره

ألا لا أبالي بعد ريّا أوافقت   نوانا نوى الجيران أم لم توافق
هجان المحيّا حرة الوجه سُربلت   من الحسن سربالا عتيق البنائق [1]

(١) جمع بنيقة وهى لبنة القميص أى زيقه الذى ينفتح على النحر

ومن قوله من قصيدة أولها

أمن الجميع بذى البقاع ربوع ... هاجت فؤادك والربوع تروع

من بعد ما نـكرت وغير آيها ... قطْر ومسبلة الدموع خريع (١)

يا صاحبي ألا ارفعا لي آية ... تشفى الصُّداع فيذهل المرفوع

ألواح ناجية كأن تليلها (٢) ... صدَع تُطيف به الرُّقاة منيع

قالت له زوجته لو هاجرت بنا الى المدينة وبعت ابلك وافترضت فى العطاء كان خيراً لك ، قال أفعل ، فأقبل بها وبابله حتى اذا كان بحَرَّة واقم من شرقى المدينة شرَعها بحوض وأقسم ليسقينها فحنَّت ناقة منها ثم نزعت وتبعتها الابل ، وطلبها ففاتته ، فقال لزوجته هذه ابل لا تعقل تحن الى أوطانها ونحن أحق بالحنين منها أنت طالق ان لم ترجعى وفعل الله بك ، وردها وقال

قالت أُنَيسة دع بلادك والتمس ... داراً بطيْبة ربَّة الآطام

تكتب عيالك في العطاء وتفترض ... وكذاك يفعل حازم الأقوام

فهممْت ثم ذكرت ليل لقاحنا ... بذوى عنيزة أو بقُفِّ بَشام

اذ هُنَّ عن حسَبى مذاود كلما ... نزل الظلام بعصبة أغتام

ان المدينة لا مدينة فالزمى ... حقف السناد وقبة الأرحام

يُجلب لكِ اللبن الغريض وينتزع ... بالعِيس من يمن اليك وشام

وتجاورى النفر الذين بنبلهم ... أرمي العدو اذا نهضت مرام

الباذلين اذا طلبت بلادهم ... والمانعى ظهرى من الغُرّام

استطرق جبيها موسى بن زياد الأشجعى فوعده ثم مطله فقال جبيها

واعدنى الـكبش موسى ثم أخلفني ... وما لمثلى تعتلّ الأكاذيب

ياليت كبشك ياموسي يصادفه ... بين الكراع وبين الوجنة الذيب

أمسى بذى الغصن أو أمسى بذي سلم ... تقحمته الى أبياتك اللوب (٣)

(١) الذاهبة العقل شبه السحابة بها لانها لا تماسك من المطر (٢) التليل العنق (٣) العطش.

شعراء محارب

ابن أرطاة

هو عبد الرحمن بن أرطاة بن سَيْحان المحاربى من محارب بن خَصَفَة بن قيس عيلان ، وآل سيحان حلفاء حرب بن أمية وبمنزلة بعضهم عندهم خاصة وعند سائر بنى أمية عامة ، وابن أرطاة شاعر مقل اسلامى ليس من الفحول المشهورين ولكنه كان يقول فى الشراب والغزل والفخر ومدح أحلافه من بنى أمية ، وهو أحد المعاقرين للشراب والمحدودين فيه ، وكان مع بنى أمية كواحد منهم الا أن اختصاصه بآل أبى سفيان وآل عثمان خاصة كان أكثر وخصوصه بالوليد بن عثمان ومؤانسته إياه أزيد من خصوصه بسائرهم لأنهما كانا يتنادمان على الشراب ، ومما قاله وقد رأى اداوة الشراب قد يبست وتقبضت

لا تبعدنَّ إداوة مطروحة ... كانت حديثاً للشراب العاتق
ان تُصْبحى لا شىء فيك فربما ... أُترِعت من كأس تَلَذّ لذائق
بأبى الوليد وام نفسى كلما ... بدت النجوم وذرَّ(١) قرن الشارق
كم عنده من نائل وسماحة ... وشمائل ميمونة وخلائق
وكرامة للمعتفين اذا اعتفوا ... فى ماله حقاً وقول صادق
أثْوِى فأكرم فى الثَّواء وقضيت ... حاجاتنا من عند أروعَ باسق(٢)
لما أتيناه أتينا ماجدال ... أخلاق سَبَّاقاً لقوم سابق
قال الوليد يدى لكم رهن بما ... حاولتمُ من صامت أو ناطق
فالى الوليد اليه حنت ناقتى ... تَهْوِى بمُغْبَرّ المتون سمالق(٣)

(١) أى طلع قرن الشمس يريد بأبى الوليد وأمى في كل ليل ونهار أبداً
(٢) طويل (٣) السملق القاع الصفصف وجمعه سمالق . وقد وضع الجمع موضع المفرد

حنت الى برق فقلت لها قرى[1] بعض الحنين فان شجوك شائق

وكان عبد الرحمن مع شعره حلو الأحاديث عنده أحاديث حسنة غريبة من أخبار العرب وأيامها وأشعارها ومن شعره فى حلفه

وانى امرؤ أنمي الى أفضل الورى عديد اذا ارفضت عصا المتحلف
الى نضد من عبد شمس كأنهم هضاب أجا أركانها لم تقصف
ميامين يرضون الكفاية ان كفوا ويكفون ما ولوا بغير تكلف
غطارفة ساسوا البلاد فأحسنوا سياستها حتى أقرت لمردف
فمن يك منهم موسراً يفش فضله ومن يك منهم معسراً يتعفف
وان تبسط النعمى لهم بسطوا بها اكفا سباطا نفعها غير مقرف
وان تزو عنهم لا يضجوا وتلفهم قليلى التشكى عندها والتكلف
اذا انصرفوا للحق يوماً تصرفوا اذا الجاهل الحيران لم يتصرف
سموا فعلوا فوق البرية كلها ببنيان عال من منيف ومشرف

وفيهم يقول

سموت بحلفى للطوال من الربا ولم تلقني كالنسر فى ملتقى جدب
اذا ما حليف الذل أقعا شخصه ودب كما دب الحسير على نقب
وهصت[2] الحصا الأخنس الأنف قابعا اذا انا راخى لى خناقى بنو حرب

قتل سعيد بن عثمان غلمان له من الصغد وكان معه عبد الرحمن فهرب عنه فقال خالد بن عقبة يرثيه

يا عين جودى بدمع منك تهتانا وابكى سعيد بن عثمان بن عفانا
ان ابن زينة لم تصدق مودته وفر عنه ابن أرطاة بن سيحانا

---

(١) من الوقار كأنها طاحنت ونازعت الى الوطن أو المقصد فقال يخاطبها قرى
(٢) وطئته وطأ شديداً وقبع القنفذ أدخل رأسه في جلده والرجل فى قميصه

فقال عبد الرحمن يجيبه

يقول رجال قد دعاك فلم تجب ... وذلك من تلقاء مثلك رائع
فان كان نادى دعوة فسمعتها ... فشلَّت يدى واستكَّ مني المسامع
والا فكانت بالذى قال باطلا ... ودارت عليه الدائرات القوارع
يلومونني ان كنت فى الدار حاسراً ... وقد فر عنه خالد وهو دارع

فقال بعض الشعراء يجيبه

فانك لم تسمع ولكن رأيته ... بعينيك اذ مجراك فى الدار واسع
وأسلمته للصُّغْد تدمَى كلومه ... وفارقته والصوت فى الدار شائع
وما كان فيها خالد بمعذر ... سواء عليه صم أو هو سامع
فلا زلتما فى غل سوءٍ بعبرة ... ودارت عليكم بالشمات القوارع

ولما قتل سعيد قالت أمه اشتهى ان يرثيه شاعر كما فى نفسى حتى أعطيه ما يحتكم فقال ابن سيحان

ان كنت باكية فتى ... فابكى هُبِلْت على سعيد
فارقت أهلك بغتة ... وجلبت حتفك من بعيد
أذرى دموعك والدما ... ء على الشهيد بن الشهيد

فقالت هكذا كنت اشتهى أن يقال فيه ووصلت ابن سيحان وكانت تندبه بهذا الشعر

ألا ان خير الناس ان كنت سائلا ... سعيد بن عثمان القتيل بلا ذَحْلِ
تداعت عليه عصبة فارسية ... فأضحى سعيد لا يُمِرّ ولا يُحْلِي

ومن نسيبه

رحم الله صاحبىَّ بنى الحا ... رث اذ ينهيانني أن أبوحا
بالتى تيمت فؤادى وأن أذ ... رى دموعى على ردائى سفوحا

في مغاني منازل من حبيب باشرت بعده قطاراً وريحا
ولقد قلت للفؤاد ولكن كان قدْما الى هواه جموحا
قلت أقصر عن بعض حبك أرْوَى ان بعض الحباب كان فضوحا
فعصاني فليس يسمع قولا من حمام على الاراك جنوحا
أم يحيى تقبل الله يحيى بقبول كما تقبل نوحا
أم يحيى لولا طلابك قدسحـ ـت مع الوحش أولبست المسوحا
ولقد قلت لا أحدث سراً سر أخرى مادمت أمشي صحيحا

وقال للوليد بن عقبة بن ابى معيط وكان ينادمه

اصبَح نديمك من صهباء صافية حتى يروح كريماً ناعم البال
واشرب هديت أبا وهب مجاهرة واختَلْ فانك من قوم أولي خال
أنت الجواد أبا وهب اذا جمدت ايدى الرجال بما تحويه من مال
لولا رجاؤك قد شمرت مرتحلا عَنْسا تعاقب تخويداً بإرقال
لما تواصوا بقتلي قمتَ معتزما حتى حميتَ من الاعداء أوصالى

وقال فيه

بات الوليد يعاطيني مشعشعة حتى هوَيْت صريعاً بين أصحابي
لا أستطيع نهوضاً ان هممت به وما أنهنه من حَسْو وتَشْراب
حتى اذا الصبح لاحت لى جوانبه وليت أسحب نحو القوم أثوابي
كأنني من حُميا كأسه ظلع صحت قوائمه من بعد أوصاب

ومن قوله فى الشراب

لا تعدميني نديماً ماجدا أنفاً لا قائلا خالطا زوراً ببهتان
أمسى أعاطيه كأساً لذ مشربها كالمسك حُفت بنسرين وريحان

سبيئةً من قرى بَيْرُوت صافية أو التى سبئت من أرض بِيسان

انا لنشربها حتى تميل بنا كما تمايل وسنان بوسنان

كان عبد الرحمن بن سيحان قد غاظ مروان بن الحكم أيام كان معاوية يعاقب بينه وبين سعيد بن العاص فى ولاية الحرمين وأنكر عليه أشياء بلغته ، فغاظته من مدحته سعيداً وانقطاعه اليه وسروره بولايته ، فرصده حتى وجده خارجاً من دار الوليد بن عثمان وهو سكران ، فضربه الحد ثمانين سوطاً ، وقدم البريد من المدينة على معاوية فسأله عن أخبار الناس ، فجعل يخبره بها حتى انتهى به الحديث الى ابن سيحان ، فأخبره أن مروان ضربه الحد ثمانين ، فغضب معاوية وقال والله لو كان حليف أبى العاصى لما ضربه لانه حليف حرب ، أليس هو الذى يقول ؟

وانى امرؤ حلف الى أفضل الورى عديداً اذا ارفضت عصا المتخلف

كذب والله مروان لا يضربه فى نبيذ أهل المدينة وشكهم وحمقهم ، ثم قال لكاتبه اكتب الى مروان فليبطل الحد عن ابن سيحان وليخطب بذلك على المنبر وليقل انه كان ضربه على شبهة ، ثم بان له أنه لم يشرب مسكراً وليعطه ألفى درهم ، فلما ورد الكتاب على مروان عظم ذلك عليه ودعا بابنه عبد الملك فقرأه عليه وشاوره فيه ، فقال له عبد الملك راجعه ولا تكذب نفسك ولا تبطل حكمك ، فقال مروان أنا أعلم بمعاوية اذا عزم على شىء أو أراده لا والله لا أراجعه ، فلما كان يوم الجمعة وفرغ من الخطبة قال وابن سيحان فانا كشفنا أمره فاذا هو لم يشرب مسكراً واذ نحن قد عجلنا عليه وقد أبطلت عنه الحد ، ثم نزل فأرسل اليه بألفى درهم

قال ابن سيحان كنت آلَف من قريش أهل بيتين سوى من كنت منقطعاً اليه من بنى أمية ، بني عبد الرحمن بن الحرث بن هشام وبنى مطيع ، فلما ضربني الحد جئت فجلست الى بني مطيع كما كنت أجلس ، فلما رأونى عرفت الكراهة

فى وجوههم والله ما أقبلوا عليَّ بحديثهم ولا أوسعوا لي ، فانصرفت ورحت الى بنى عبد الرحمن ، فلما رأونى أقبلوا بوجوههم عليَّ وحيّوا ورحّبوا وسهّلوا ووسعوا ورفعونى الى حيث لم أكن أجلس ، وأقبلوا عليَّ بوجوههم يحدثوننى وقالوا لعلك خشعت للذى لحقك أما والله لقد علم الناس أنك مظلوم وظلّموا مروان فى فعله ورأوا أنه قد أساء وأخطأ فى شأنى ، وقالوا ما ضرك ذلك ولا نقصك ولا زادك الا خيراً ولم يزالوا حتى بسطونى ، فقلت أمدحهم وأذم بنى مطيع

لقد حرّمت ودّ بنى مطيع ... حرام الدهن للرجل الحرام
وان جنف الزمان مددت حبلاً ... متيناً من حبال بنى هشام
رطيب عودهم أبداً وريق ... اذا ما اغبر عيدان اللئام

دخل ابن سيحان على ابن عم له يقال له الحرث بن سريع ، فوجده يشرب نبيذ زبيب ، فجعل يعظه ويأمره بشرب الخمر وقال له يا ابن سريع ان كنت تشربه على أن نبيذ الزبيب حلال فانك أحمق ، وان كنت تشربه على أنه حرام تستغفر الله منه وتنوي التوبة فاشرب أجوده فان الوزر واحد ، ثم قال

دع ابن سريع شرب ما مات مرة ... وخذها سلافاً حية مزّة الطعم
تدعك على ملك ابن ساسان قادراً ... اذا حرمت قراؤنا حلب الكرم
فشتان بين الحى والميت فاعتزم ... على مزّة صفراء راووقها يهمي
فان سريعاً كان أوصى بحبها ... بنيه وعمى جاوز الله عن عمى
ويارب يوم قد شهدت بنى أبى ... عليها الى أن غاب تالية النجم
حسوها صلاة العصر والشمس حية ... تدار عليهم بالصغير وبالضخم
فماتوا وعاشوا والمدامة بينهم ... مشعشعة كالنجم توصف بالوهم

صخر بن الجعد الخضري

هو صخر بن الجعد الخُضْرِي من الخُضْر وهم ولد مالك بن طريف بن محارب سموا الخضر لسوادهم وكان مالك شديد الأُدْمة وخرج ولده اليه فقيل لهم الخضر والعرب تسمى الأسود الأخضر

شاعر فصيح من مخضرمى الدولتين الإموية والعباسية وكان يعرض لابن ميادة لما انقضى ما بينه وبين حكم الخُضْرِي من المهاجاة ورام أن يهاجيه فترفع ابن ميادة عنه

كان صخر مغرماً بكأس بنت بجير بن جندب وكان يشبب بها فلقيه أخوها وقَّاص وكان شجاعاً ، فقال له ياصخر انك تشبب بابنة عمك وشَهَّرتها ولعمرى ما بها عنك مذهب ولا انا عنك مرغب ، فان كانت لك فيها حاجة فهلم أزوجكها وان لم تكن لك فيها حاجة فلا أعلمن ما عرضت لها بذكر ولا أسمعنه منك فأقسم بالله لئن فعلت ذلك ليخالطنك سيفى ، فقال له بلى والله ان لي لأشد الحاجة اليها ، فوعده موعداً وخرج صخر لوعده حتى نزل بأبيات القوم ، فنزل منزل الضيف ، فقام وقاص فذبح وجمع أصحابه ، وأبطأ صخر عنهم ، فلما رأى ذلك وقاص بعث اليه أن هلم لحاجتك ، فأبطأ الرسول فقال مثل قوله فغضب وعَمَدَ الى رجل من الحى ليس يَعْدل بصخر يقال له حصن « وهو مغضب لما صنع » فحمد الله وأثنى عليه وزوجه كأس وافترق القوم ومروا بصخر ، فأعلموه تزويج كأس بحصن ، فرحل عنهم من تحت الليل واندفع يهجوها بالأبيات التى قذفها فيها فيما قذفها، وترافع القوم الى المدينة « وأميرها يومئذ طارق مولى عثمان » فتنازعوا اليه ومعهم يومئذ رجل يقال له حزم ، وكان من أشد الناس على صخر شراً ، فأقاموا عليه البينة بقذف كأس ، فضرب الحد وعاد الى قومه وأسف على ما فاته من تزويج كأس فطفق يقول فيها الشعر ، فمنه قوله

لقد عاود النفسَ الشقية عِيدُها نعم انه قد عاد نحساً سعودُها
وعاوده من حب كأس ضَمانة(١) على النأى كانت هيِّنة تستقيدها
وأنَّى ترجيها وأصبح وصلها ضعيفاً وأمست همّه لا يَكيدها
وقد مر عصر وهى لاتستزيدنى لماستودعت عندى ولااستزيدها
فما زلت حتى زلت النعل زَلَّة برجلك في زَوْراء وَعْث صدودها
ألا قل لكأس ان عرضت لبيتها فاين بكا عيني وأين قصيدها
لعل البكا يا كأس ان نفع البكا يقرب دنيانا لها فيعيدها
وكانت تناهت لوعة الود بيننا فقدأصبحت يَبْسا وأذبل عودها
ليالى ذات الرِّمْث لا زال هيجها جنوباً ولا زالت سحاب تجودها
وعيش لنا فى الدهر ان كان فلتة يطيب لديه بخل كأس وجودها
تذكرت كأساً اذ سمعت حمامة بكت فى ذرا نخل طُوال جريدها
دعت ساق حُرّ فاستحث لصوتها مولهة لم يبق الا شَريدها
فيانفس صبراً كل أسباب واصل ستنمى لها أسباب هجر تُبيدها
وليل بدت للعين نار كأنها سنا كوكب للمستبين خمودها
فقلت عساها نار كأس وعلها تشكي فأمضى نحوها وأعودها
فتسمع قولي قبل حتف يصيدنى تُسَرّ به أو قبل حتف يصيدها
كأن لم نكن يا كأس الفَى مودة اذ الناس والأيام ترعى عهودها

ولما ضرب الحد لكأس وصارت الى زوجها ندم على مافرط منه واستحيامن الناس للحد الذى ضرب به فلحق بالشام فطالت غيبته بها ثم عاد فمر بنخل كان لأهله ولأهل كأس فباعوه وانتقلوا الى الشام فمر بها صخر ورأى المبتاعين لها يصرمونها فبكى عند ذلك بكاء شديداً وانشأ يقول

(١) الضمانة الزمانة

مررت على خيمات كأس فأسبلت | مدامع عيني والرياح تميلها
وفى دارهم قوم سواهم فأسبلت | دموع من الاجفان فاض مسيلها
كذاك الليالى ليس فيها بسالم | صديق ولا يبقى عليها خليلها

وقال وهو بالشام

ألا ليت شعرى هل تغير بعدنا | عن العهد أم أمسى على حاله نجد
وعهدى بنجد منذ عشرين حجة | ونحن بدنيا ثم لم نلْقها بعد
به الخوصة الدهماء تحت ظلالها | رياض من الحوذان والبقل الجعد

وقال وقد مر على غدير كانت كأس تشرب منه وكان يقال لذلك الغدير جناب

بَلِيت كما يبلَى الرداء ولا أرى | جنابا ولا اكناف ذروة تخلْق
أُلَوِّى حيازيمى بهن صَبابة | كما تلوَّى الحية المتشرق

وقال برثيها

على ام داود السلام ورحمة | من الله يجرى كل يوم بشيرها
غداة غدا العادون عنها وغودرت | بلمَّاعة القيعان يَسْتَنّ مُورها
وغيبت عنها يوم ذاك وليتنى | شهدت فيحوى منكبى سريرها
نَزَت كبدى لما أتانى نعيها | فقلت أدان صدْعها فطيرها

ومن قوله فيها

ألا يا كأس قد افنيت شعرى | فلست بنائل بالا رجيعا
تُرَجى أن تلاقى آل كأس | كما يرجو أخو السَّنة الربيعا
فلست بنائم الا بحزن | ولا مستيقظا الا مرُوعا
فانك لو نظرت اذ التقينا | الى كبدى رأيت بها صدوعا

وقوله

هنيئاً لكأس قطعها الحبلَ بعدما | عقدنا لكأس موثقاً لا نخونها

واشمتها الأعداء لما تألبوا حوَاليَّ واشتدت على ضغونها
فان حراما ان أخونك ما دعا بليلى قُمْريّ الحمام وجُونها
وقد أيقنت نفسي لقد حيل دونها ودونك لو يأتى بيأس يقينها
ولكن أبت لا تستفيق ولا ترى عزاء ولا مجلود صبر يُعينها
لوانا اذ الدنيا لنا مطمئنة دجا ظلها ثم ارجحنَّت غُصونها
لهونا ولكنا بعزة عيشنا عجبنا لدنيانا فكدنا نعينها
أخذنا باطراف الاحاديث بيننا وأوساطها حتي تمل فنونها

أرسلت كأس بعد أن زوجت الى صخر تخبره أنه رأته فيما يرى النائم كأنه يلبسها خمارا وان ذلك جدد شوقاً اليه وصبابة فقال

أنائل ما رؤيا زعمتِ رأيتها لنا عجب لو ان رؤياك تصدق
أنائل ما للعيش بعدك لذة ولا مشرب نلقاه الا مُرَنَّق
أنائل انى والذى أنا عبده لقد جعلت نفسى من البين تُشفق
لعمرك ان البين منك يشوقني وبعض بعاد البين والنأى أشوق

وكان الجعد ابو صخر يكنى أبا الصموت وهو القائل لامرأته

تعالجنى أم الصَّموت كأنما تداوى حصانا أوهن العظم كاسره
فلا تعجبي أم الصموت فانه لكل جواد معثر هو عاثره
وقد كنت أصطاد الظباء موطناً وأضرب رأس القرن والرمح شاجره
فأصبحت مثل الطير طار فراخه وغودر فى رأس الهشيمة سائره

ولما كبر حمله بنوه فأتوا به مكة وقالوا له تعبد ههنا ثم اقتسموا المال وتركوا له منه ما يصلحه فقال

الا أبلغ بنى جعد رسولا وان حالت جبال الغور دونى

فلم أر معشراً تركوا أباهم   من الآفاق حيث تركتمونى
فاني والرواقص حول جمع   ومَخطمهن من حصَبا الحَجُون
لو اني ذو مدافعة وحولى   كما قد كنت أحيانا كونى
اذا لمنعتكم مالى ونفسى   بنصل السيف أو لقتلتمونى

المؤمل بن اميل المحاربى

شاعر كوفى من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية وكانت شهرته فى العباسية أكثر لانه كان من الجند المرتزقة معهم ومن يخصهم ويخدمهم من أوليائهم وانقطع الى المهدى فى حياة أبيه وبعده ، وهو صالح المذهب في شعره ليس من المبرزين الفحول ولا المرذولين وفى شعره لين وله طبع صالح ومن شعره يمدح المهدى

هو المهدى الا ان فيه   مشابه صورة القمر المنير
تشابه ذا وذا فهما اذا ما   أنارا مشكلان على البصير
فهذا فى الظلام سراج ليل   وهذا فى النهار ضياء نور
ولكن فضل الرحمن هذا   على ذا بالمنابر والسرير
وبالملك العزيز فذا أمير   وما ذا بالأمير ولا الوزير
ونقص الشهر ينقص ذا وهذا   أمير عند نقصان الشهور
فيا ابن خليفة الله المصفّى   به تعلو مفاخرة الفخور
لئن فُتّ الملوك وقد توافوا   اليك من السهولة والوعور
لقد سبق الملوك أبوك حتى   بقُوا من بين كاب أو حسير
وجئت مصلياً تجري حثيثاً   وما بك حين تجرى من فتور
فقال الناس ما هذان الا   كما بين الخليق الى الجدير
لئن سبق الكبير فأهل سبق   له فضل الكبير على الصغير

وان بلغ الصغير مدى كبير ... فقد خلق الصغير من الكبير

وقال للمهدى وقد بايع ابنيه الهادى والرشيد

هاك بياعنا يا خير وال ... فقد جدنا به لك طائعينا
فان تفعل فانت لذاك أهل ... نفضلك يا ابن خير الناس فينا
وعدلك ياابن خير الناس فينا ... نبي الله خير المرسلينا
فان أبا أبيك وأنت منه ... هو العباس وارثه يقينا
أبان به الكتاب وذاك حق ... ولسنا للكتاب مكذبينا
بكم فتحت وأنتم غير شك ... لها بالعدل أكرم خاتمينا
فدونكها فانت لها محل ... حباك بها اله العالمينا
ولو قيدت لغيركم اشمأزت ... وأعيت أن تطيع القائدينا

وقال للمهدى

تعز ودع عنك سلمى وسر ... حثيثاً على سائرات البغال
وكل جواد له ميعة ... يَخُبُّ بسرجك بعد الكَلال
الى الشمس شمس بنى هاشم ... وما الشمس كالبدر أو كالهلال
ويضحك أن يديم السؤال ... ويتلف في ضحكه كل مال

ومن قوله

حلمت بكم فى نومتى فغضبتمُ ... ولا ذنب لى ان كنت في النوم أحلَم
سأطرد عنى النوم كيلا أراكمُ ... اذا ما أتانى النوم والناس نوم
تصارمنى والله يعلم اننى ... أبَرّ بها من والديها وأرحم
وقد زعموا لى انها نذرت دمى ... وما لى بحمد الله لحم ولا دم
برى حبها لحمى ولم يُبْقِ لي دما ... وان زعموا انى صحيح مسلم
فلم أر مثل الحب صح سقيمه ... ولا مثل من لم يعرف الحب يسقم
ستقتل جلداً بالياً فوق أعظم ... وليس يبالى القتل جلد وأعظم

شعراء ثقيف

يزيد بن الحكم

هو يزيد بن الحكم بن أبي العاصي الثقفي من ثقيف بن بكر بن هوازن بن منصور صاحب رسول الله عليه وسلم ، وعمه عثمان بن أبي العاصي أحد من أسلم من ثقيف يوم فتح مكة هو وأبو بكرة ، وشط عثمان بالبصرة منسوب اليه كانت له هناك أرض أقطعها وابتاعها ، وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وروى عنه الحسن بن أبي الحسن ومُطَرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير وغيرهما من التابعين ، ومما روي عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له أُمّ قومك وأقدُرهم بأضعفهم فان منهم الضعيف والكبير وذا الحاجة ، ومنه أنه قال له اتخذوا مؤذناً لا يأخذ على أذانه أجراً

مَرَّ الفرزدق بيزيد بن الحكم وهو ينشد في المجلس شعراً ، فقال من هذا الذي ينشد شعراً كأنه من أشعارنا ؟ فقالوا يزيد بن الحكم ، فقال نعم أشهد بالله أن عمتي ولدته ، وأم يزيد بكرة بنت الزِّبرقان بن بدر وأُمها هنيدة بنت صعصعة ابن ناجية وكانت بكرة أول عربية ركبت البحر ، فأخرج بها الى الحكم وهو يتوج

دعا الحجاج بيزيد بن الحكم فولاه كورة فارس ودفع اليه عهده بها ، فلما دخل عليه ليودعه قال له الحجاج أنشدني بعض شعرك ، وانما أراد أن يُنشده مديحاً له ، فأنشده قصيدة يفخر فيها ويقول

وأبي الذي سلب ابن كسرى راية بيضاء تخفق كالعُقاب الطائر

فلما سمع الحجاج فخره نهض مغضباً وخرج يزيد من غير أن يودعه ، فقال الحجاج لحاجبه ارتجع منه العهد فاذا رده فقل له أيهما خير لك ؟ أما ورثك أبوك أم هذا ؟ فرد على الحاجب العهد وقال قل له

ورثت جدي مجده وفعاله ... وورثت جدك أعنزاً بالطائف

خرج عنه مغضباً فلحق بسليمان بن عبد الملك ومدحه بقصيدته التي أولها

أمسى بأسماء هذا القلب معمودا ... اذا أقول صحا يعتاده عيدا
كأن أحور من غزلان ذي بقر ... أهدى لها شبه العينين والجيدا
أجزي على موعد منها فتخلفني ... فلا أمل ولا توفى المواعيدا
كأنني يوم أمسي لا تكلمني ... ذو بغية يبتغي ما ليس موجودا

يقول فيها

سميت باسم امرىء أشبهت شيمته ... عدلاً وفضلاً سليمان بن داودا
أحمد به في الورى الماضين من ملك ... وأنت أصبحت في الباقين محمودا
لا يبرأ الناس من أن يحمدوا ملكاً ... أولاهم في الأمور الحلم والجودا

فقال له سليمان وكم كان أجرى لك لعمالة فارس ؟ قال عشرين ألفاً ، قال فهي لك علي ما دمت حياً

كان ليزيد ابن اسمه عنبس فمات ، فجزع عليه جزعاً شديداً وقال يرثيه

جزى الله عني عنبساً كل صالح ... اذا كانت الأولاد سيئاً جزاؤها
هو ابني وأمسى أجره لي وعزني ... على نفسه رب اليه ولاؤها
جهول اذا جهل العشيرة يبتغى ... حليم ويرضى حلمه حلماؤها
ويأمن ذو حلم العشيرة جهله ... عليه ويخشى جهله جهلاؤها

وقال ليزيد بن المهلب لما خرج على يزيد بن عبد الملك

أبا خالد قد هجت حرباً مريرة ... وقد شمرت حرب عوان فشمر
فان بني مروان قد زال ملكهم ... فان كنت لم تشعر بذلك فاشعر
فمت ماجداً أو عش كريماً فان تمت ... وسيفك مشهور بكفك تعذر

فوقع يزيد بن المهلب تحت البيت الأول أستعين بالله ، وتحت الثانى ماشعرت ، وتحت الثالث أما هذه فنعم

ومن قوله

ألا لا مرحباً بفراق ليلى ‏ ‏ ولا بالشيب اذ طرق الشبابا

شباب بان محموداً وشيب ‏ ‏ ذميم لم نجد لهما اصطحابا

وقال يعاتب ابن عمه عبد الرحمن بن عثمان

ومولى كذئب السوء لو يستطعني ‏ ‏ أصاب دمي يوماً بغير قتيل

وأعرض عما ســـاءه وكأنه ‏ ‏ يقاد الى ماساءنى بدليـل

مجاملة مني واكرام غـيره ‏ ‏ بلا حسن منه ولا بجميل

ولو شئت لولا الحلم جدّعت أنفه ‏ ‏ بايعاب جدع بادىء وعليل

حِفاظاً على أحلام قوم رُزِنتهم ‏ ‏ رِزان يزينون النَّدِيَّ كهول

وقال فى أخيه عبد ربه

أخي يُسِرّ لي الشَّحْناء يُضمِرها ‏ ‏ حتى وَرَى[1] جوفَه من غِمْره الداء

حرّان ذو غُصّة جرّعت غُصّته ‏ ‏ وقد تعرض دون الغصة الماء

حتى اذا ما أساغ الريق أنزلنى ‏ ‏ منه كما ينزل الأعداء أعداء

أسعى فيكفر سعيى ما سعيت له ‏ ‏ انى كذاك من الاخوان لقَّاء

وكم يد ويد لي عنده ويد ‏ ‏ يعدهن تِراتٍ وهى آلاء

وقال له

تـكاشرنى كُرْهاً كأنك ناصح ‏ ‏ وعينك تُبْدِي أن صدرك لي دَوِى[2]

لسانك لي حلو وغَيْبُك علقم ‏ ‏ وشرك مبسوط وخيرك منطوى

(١) ورى القيح جوفه أفسده والغمر بالكسر الحقد والغل

(٢) دوى صدره فهو دو ضغن

فليت كفافاً كان خيرك كله — وشرك عني ما ارتوى الماء مرتوى
عدوك يخشى صولتي ان لقيته — وأنت عدوي ليس ذاك بمستوى
تصافح من لاقيت لي ذا عداوة — صِفاحاً وعَنّي بين عينيك مُنْزَوى
أراك اذا لم أهْوَ أمراً هويته — ولست لما أهْوَى من الأمر بالهوِى
أراك اجتويت[1] الخير مني وأجتوى — أذاك فكل يجتوى قرب مجتوى
وكم موطن لولاى طِحْتَ كما هوَى — بأجرامه من قُلَّة النِّيق[2] منهوى
اذا ما ابتنى المجدَ ابنُ عمك لم تعن — وقلت ألا يا ليت بنيانه خَوِى[3]
كأنك ان نال ابن عمك مغنما — شَجٍ أو عميد أو أخو مغْلَة[4] لوى
تملأت من غيظ عليّ فلم يزل — بك الغيظ حتى كدت بالغيظ تنشوى
وما برحت نفس حسود حسبتها — تُذيبك حتى قيل هل أنت مُكتوى
وقال النِّطاسيون أنك مُشْعَرٌ — سُلالا ألا بل أنت من حسد ذَوِى
جمعت وفحشاً غيبة ونميمة — ثلاثَ خصال لست عنهن ترعوى
ويدعو بك الداعي الى كل سوءة — فيا شر من يدعو الى شر من دُعى
بدا منك غش طالما قد كتمته — كما كتمت داء ابنها أم مُدَّوى[5]

وهذه الأبيات أنشدها أبو الزعراء لطرفة

قال أبو الفرج ما أظن أبا الزعراء صادقاً فيما حكاه لان العلماء من رواة الشعر رووها ليزيد بن الحكم وهذا أعرابي لا يحصل ما يقوله ، ولو كان هذا الشعر مشكوكاً فيه أنه ليزيد، وليس كذلك، لكان معلوماً أنه ليس لطرفة ولا موجوداً

(١) اجتوى كره والمجتوى الكاره (٢) النيق أرفع موضع في الجبل
(٣) خوى البنيان فهو خو أقوى وسقط وتهدم (٤) المغلة الفساد
(٥) المدوى الذي يأخذ الدواية بالفم وهي جلدة رقيقة تركب اللبن وجاء غلام من العرب الى أمه وعندها أم خطبه ، فقال يا أماه أدوى ، فقالت اللجام معلق بعمود البيت ، تورى بذلك وترى القوم أنه انما سألها عن اللجام وأنه صاحب خيل وركوب

في شعره على سائر الروايات ولا هو أيضاً مشبها لمذهب طرَفة ونَمَطه وهو بيزيد أشبه وله في معناه عدة قصائد (تقدمت)، واذا تأمل هذا الشعر من له فى العلم أدنى سهم عرف أنه لا يدخل فى مذهب طرفة ولا يقاربه، وأن مرذول كلام طرفة فوقه

كان يزيد قد هوى جارية مغنية وكانت غير مطاوعة له فكان يهيم بها، ثم قدم رجل من أهل الكوفة فاشتراها، فمرت بيزيد مع غلمة لمولاها راحلة، فلما علم بذلك رفع صوته فقال

يأيها النازح الشَّسوع ودائع القلب لا تضيع
أستودع الله من اليه قلبي على نأيه نزوع
اذا تذكرته استهلت شوقاً الى وجهه الدموع

طريح الثقفى

هو طُرَيح بن اسمعيل بن عبيد الثَّقَفى، يكني أبا الصَّلْت بابن كان له اسمه الصلت وله يقول

ياصَلْتَ ان أباك رَهْن منية مكتوبة لابد أن يلقاها
سَلَفَت سوالفها بأَنْفُس من مضى وكذاك يتبع باقياً أخراها
والدهر يُوشِك أن يفرق رَيْبُه بالموت أو رِحَلَ تشب نواها
لابد بينكما فتُسْمِع دعوة أو تستجيب لدعوة تُدْعاها

ماتت أمه وهو صغير فطرحه طريح الى أخواله بعد موت أمه وهو يقول

بات الخيال من الصُّليت مُؤَرِّق يقرى السراة مع الرباب الملثق
ماراعني الا بياض وجيهه تحت الدُّجُنَّة كالسراج المشرق

نشأ طريح فى دولة بني أمية واستفرغ شعره في الوليد بن يزيد وأدرك دولة بني العباس، ومات فى أيام المهدي، وكان الوليد له مكرماً مقدماً لانقطاعه إياه

وخؤولته من ثقيف ، قال طريح خصصت بالوليد حتى صرت أخلو معه ، فقلت له ذات يوم وأنا معه في مشربة يا أمير المؤمنين خالك يحب أن تعلم شيئاً من خلقه ، قال وما هو ، قلت لم أشرب شراباً قط ممزوجاً الا من لبن أو عسل ، قال قد عرفت ذلك ولم يباعدك من قلبي ، فدخلت يوماً اليه وعنده الأمويون ، فقال لي إليّ يا خالي وأقعدني الى جانبه ، ثم أتى بشراب فشرب ، ثم ناولني القدح ، فقلت يا أمير المؤمنين قد أعلمتك رأيي في الشراب ، قال ليس لذلك أعطيتك انما دفعته اليك لتناوله الغلام ، وغضب فرفع القوم أيديهم كأن صاعقة نزلت على الخِوان ، فذهبت أقوم فقال اقعد ، فلما خلا البيت افترى عليّ ثم قال أردت أن تفضحني ولولا أنك خالي لضربتك ألف سوط ، ثم نهى الحاجب عن إدخالي وقطع أرزاقي ، فمكثت ما شاء الله ، ثم دخلت عليه يوماً متنكراً فلم يشعر الا وأنا بين يديه وأنا أقول

يا ابن الخلائف مالى بعد تقربة ... اليك أُقصَى وفى حاليْك لى عجب

مالى أُذاد وأُنهى حين أقصدكم ... كما توقى من ذي العرّة[1] الجَرَب

كأنني لم يكن بيني وبينكم ... إلٌّ ولا خُلة ترعى ولا نسب

لو كان بالود يُدْنَى منك أزلفني ... بقربك الود والاشفاق والحدَب

وكنت دونَ رجال قد جعلتهم ... دونى اذا ما رأونى مقبلا قطبوا

ان يسمعوا الخير يُخفوه وان سمعوا ... شراً أذاعوا وان لم يسمعوا كذبوا

رأوا صدودك عني فى اللقاء فقد ... تحدثوا ان حبلى منك منقضب

فذو الشَّماتة مسرور بهيضتنا ... وذو النصيحة والاشفاق مكتئب

أين الذَّمامة والحق الذى نزلت ... بحفظه وبتعظيم له الكتب

وحَوْكي الشعر أصفيه وأنظمه ... نظم القلائد فيها الدر والذهب

وان سخطك عنى شىء لم أناج به ... نفسى ولم يك مما كنت أكتسب

(١) العرة الجرب

لـكن أتاك بقول كاذب أثم قوم بَغَوْنى فنالوا فيَّ ما طلبوا
وما عهدتك فيما زل تقطع ذا قربى ولا تدفع الحق الذي يجب
ولا تَوَجَّعُ من حق تَحَمَّلُه ولا تتبع بالتكدير ما تَهَب
فقد تقربت جهداً من رضاك بما كانت تنال به من مثلك القُرَب
فغير دفعك حقي وارتفاضك لى وطيك الكشح عني كنت أحتسب
أمْشمت بي أقواماً صدورهم عليَّ فيك الى الأذقان تلتهب
قد كنت أحسب أني قد لجأت الى حرز وألاَّ يضرونى وان ألبوا
ان التى صنتها عن معشر طلبوا منى الى الذى لم ينجح الطلب
أخلصتها لك اخلاص امرىء علم الـــأقوام أن ليس الا فيك يرتغب
أصبحت تدفعها مني وأعطفها عليك وهي لم يخبأ بهـا رغب
فان وصلت فأهل العرف أنت وان تدفع يدىَّ فلى بقيا ومنقلب
انى كريم كرام عشت فى أدب نفي العيوب وملك الشيمة الأدب
قد يعلمون بان العسر منقطع يوماً وان الغنى لا بد منقلب
فمالهم حُبُسٌ[1] فى الحق مرتهن مثل الغنائم تحوى ثم تنتهب
وما على جارهم ألاَّ يكون له اذا تكنفه أبياتهم نَشَب
لا يفرحون اذا ما الدهر طاوعهم يوما بيسر ولا يشكون ان نُكبوا
فارقت قومى فلم أعتض بهم عوضاً والدهر يحدث أحداثا لها نُوب

فتبسم وأمرنى بالجلوس ورجع إليَّ وقال إياك أن تعاود

وقال له

نام الخلى من الهموم وبات لى ليل أكابده وهم مُضْلع
وسهرت لا أسْرِى ولا فى لذة أرَقى وأغفل ما لقيت الهُجَّع

(١) الحبس كل شيء وقفه صاحبه لوجه الله

أبغي وجوه مخارجي من تهمة — أزمت على وسُدّ منها المطلع

جزعا لمعتبة الوليد ولم أكن — من قبل ذاك من الحوادث أجزع

يا ابن الخلائف ان سخطك لامرىء — أمسيت عصمته بلاء مُفظع

فلأنزعن عن الذى لم تهوه — ان كان لى ورأيتَ ذلك منزع

فاعطف فداك أبى على توسما — وفضيلة فعلى الفضيلة تتبع

فلقد كفاك وزاد ما قد نالني — ان كنت لي ببلاء ضر تقنع

سِمَةٌ لذاك عليّ جسم شاحب — بادٍ تحسره ولون أسفع

ان كنت فى ذنب عتبت فاننى — عما كرهت لنازع متضرع

ويئست منك فكل عسر باسط — كفًا اليّ وكل يُسْر أقطع

من بعد أخذى من حبالك بالذى — قد كنت أحسب أنه لا يُقْطع

فَارْبُبْ صنيعك بى فان بأعين — للكاشحين وسمعها ما تصنع

أدفعتنى حتى انقطعت وسددت — عنى الوجوه ولم يكن لى مَدْفَع

ورُجيت واتقيت يداى وقيل قد — أمسى يضر اذا أحب وينفع

ودخلت فى حرم الذِّمام وحاطنى — خفر أخذت به وعهد مولع

أفهادم ما قد بنيتَ وخافض — شرفى وأنت لغير ذلك أوسع

أفلا خشيت شمات قوم فتُّهم — سبقًا وأنفسهم عليك تقطع

وفضلت فى الحسب الأشم عليهم — وصنعت فى الأقوام مالم يصنعوا

فكأن آنُفَهم بكل صنيعة — أسديتها وجميل فعلك تُجدَع

ودوا لو انهمُ ينال اكفَّهم — شَلَل وانك عن صنيعك تنزع

أو تستليم فيجعلونك أسوة — وأبى الملامَ لك الندى والموضع

فقربه وأدناه وعاد له الى ما كان عليه

ومن قوله يمدحه

أنت ابن مُسْلَنْطَح (١) البطاح ولم　　تطرق عليك الحِنيُّ والوُلُجُ

طوبى لفرعيك من هنُا وهنُا　　طوبى لأعراقك التى تَشِج (٢)

لو قلت للسيل دَعْ طريقك والمو　　ج عليه كالهضب يعتلج

لساخ (٣) وارتدَّ أو لكان له　　فى سائر الأرض عنك منْعرَج

ومن قوله فيه

واعتام أهلك من ثقيف كفأه　　فتنازعاك وأنت جوهر جوهر

فنمت فروع القريتين (٤) قُصيُّها　　وقَسيُّها بك فى الأَنمّ الأكبر

ومن قوله

أقفر ممن يحله السَّنَد　　فالمنحنى فالعقيق فالجُمُد (٥)

لم يبق فيها من المعارف بعد الحى الا الرمال و الوتد

وعَرْصة نكرت معالمها الريح بها مسجد ومنتضَد

يقول فيها

لم أنس سلمى ولا لياليَنا　　بالحَزْن اذ عيشنا بها رغد

(١) المسلنطح من البطاح ما اتسع واستوى سطحه منها وتطرق عليك تطبق عليك وتضيق مكانك يقال طرقت الحادثة بكذا وكذا اذا أتت بأمر ضيق معضل ، والحنى ما انخفض من الارض والواحدة حنا والولج كل متسع فى الوادى والواحدة ولجة أى لم تكن بين الحنى والولج فيخفى مكانك أى لست فى موضع خفى من الحسب

(٢) تشج تنبت والوشيج أصول النبت يقال أعراقك واشجة في الكرم أى نابتة فيه ويريد أنه كريم الابوين من قريش وثقيف

(٣) أى لغاص في الارض وارتد أى عدل عن طريقه وان لم يجد الى ذلك سبيلا كان له منعرج عنك الى سائر الارض يقول أنت ملك هذا الابطح والمطاع فيه فكل من تأمره يطيعك فيه حتى لو أمرت السيل بالانصراف عنه لفعل لنفوذ أمرك وانما ضرب هذا مثلا وجعله مبالغة لأنه لا شيء أشد تعذراً من هذا وشبهه فاذا صرفه كان على كل شيء سواه أقدر

(٤) مكة والطائف وقصي أبو قريش وقسي هو ثقيف　(٥) جبل لبنى نصر بنجد

اذ نحن في ميْعة الشباب واذ أيامنا تلك غضَّة جدد
في عيشة كالفرِند عازبة الشقـــوة خضراء غصنها خضد
نحسد فيها على النعيم وما يُولع الا بالنعمة الحسد
أيامَ سلمى غريرة أنف كأنها خوْط بانة رُؤُد
ويحي غدا ان غدا عليَّ بما أكره من لوعة الفراق غد
قد كنت أبكي من الفراق وحيا نا جميع ودارنا صدَد
فكيف صبري وقد تجاوب بالـــفرقة منها الغراب والصُّرَد
دع عنك سلمى لغير مَقْلِية وعد مدحا بيوته شُرُد
للأفضل الأفضل الخليفة عبـــد الله من دون شأْوه صعد
فى وجهه النور يستبان كما لاح سراج النهار اذ يقد
يمضى على خير ما يقول ولا يُخْلف ميعاده اذا يعد
من معشر لا يشمُّ من خذلوا عزا ولا يستذل من رفدوا
بيض عظام الحلوم حدهمُ ماض حسام وخيرهم عتد
أنت امام الهدى الذى أصلح الــــه به الناس بعد ما فسدوا
لما أتى الناس أن ملكهم اليك قد صار أمره سجدوا
واستبشروا بالرضا تباشرهم بالخلد لو قيل انكم خلد
وعجَّ بالحمد أهل أرضك حتـــى كاد يهتز فرحة أُحُد
واستقبل الناس عيشه أُنُفا ان تبق فيها لهم سعدوا
رزقت من ودهم وطاعتهم مالم يجده لوالد ولد
أثلجهم منك أنهم علموا أنك فيما وَليت مجتهد
وان ما قد صنعت من حســـن مصداق ما كنت مرة تعد
ألفت أهواءهم فأصبحت الأضــــغان سِلما وماتت الحقد

كنت أرى أن ماوجدت من الفـــرحة لم يلق مثله أحـد
حتى رأيت العباد كلهم قد وجدوا من هواك ماأجد
قد طلب الناس ما بلغت فما نالوا ولا قاربوا وقد جهدوا
يرفعك الله بالكرم والتقـــوى فتعلو وأنت مقتصد
حسب امرىء من غنى تقربه منك وان لم يكن له سند
فأنت أمن لمن يخاف وللمخذو ل أودى نصيرهُ عَضُد
كل امرىء ذي يد تعد عليـــه منك معلومة يد ويد
فهم ملوك مالم يَرَوْكَ فان دَاناهمُ منك منزل خَمَدُوا
تعروهم رِعْدَة لديك كما قَفْقَفَ تحت الدُّجنة الصُّرَد
لاخوف ظلم ولا قِلَى خلق الاجلالا كساكَهُ الصمد
وانت غَمْرُ الندى اذا هبط الــزوار أرضا تحلها حَمِدُوا
فهم رفاق فرفقة صدرت عنك بغُنْم ورفقة تَرِد
ان حال دهر بهم فذلك لا تنفك عن حالك التى عهدوا
قد صدق الله مادحيك فما فى قولهم فِرْية ولا فَنَد

ومما غنى فيه من شعره

كالبَيْض بالأُدْحيّ يلمع فى الضحى فالحسن حسن والنعيم نعيم
حلَّيْنَ من درر البحور كأنه فوق النحور اذا يلوح نجوم

النميرى

هو محمد بن عبد الله بن نُمَيْر النُمَيْري ثم الثقفى

شاعر غَزِل مولده ومنشؤه بالطائف ، من شعراء الدولة الأموية ، وكان يهوى زينب بنت يوسف بن الحكم أخت الحجاج بن يوسف ، وله فيها أشعار كثيرة

يتشبب بها ، كان يوسف بن الحكم اعتلَّ علة فطالت عليه فنذرت زينب ان عوفي أن تمشي الى البيت ، فعوفي ، فخرجت فى نسوة فقطعن بطن وَجّ وهو ثلثمائة ذراع فى يوم جعلته مرحلة لثقل بدنها ، ولم تقطع ما بين مكة والطائف الا فى شهر ، فبينما هى تسير لقيها ابراهيم بن عبد الله النميري أخو محمد منصرفاً من العُمْرَة ، فلما قدم الطائف أتى محمداً يسلم عليه ، فقال له ألك علم بزينب ؟ قال نعم لقيتها بالهَمَّاء (١) فى بطن نعْمان ، فقال ما أحسبك الا وقد قلت شيئاً ، قال نعم قلت بيتاً واحداً وتناسيته كراهة أن يَنْشَبَ بيننا وبين اخوتنا شر ، فقال محمد هذه القصيدة وهى أول ما قاله

تضوع مسكاً بطنُ نَعْمان اذ مشت ... به زينب فى نسوة عَطِرَات
فأصبح ما بين الهَمَّاء فصاعداً ... الى الجزع جزع الماء ذى العُشَرَات
له أرَجٌ من مُجْمَرِ الهند ساطع ... تطلع رياه من الكَفِرَات
تهادَيْن ما بين المُحَصَّب من منًى ... وأقبلن لا شُعْثاً ولا غَبِرَات
أعان الذى فوق السموات عرشه ... أوانس بالبطحاء مؤتجرات
مررن بفَخٍّ (٢) ثم رُحْن عشية ... يُلَبِّين للرحمن معتمرات
يُخَبِّئْن أطراف البَنان من التقى ... ويقتلن بالألحاظ مقتدرات
تقسَّمن قلبي يوم نَعْمان انني ... رأيت فؤادي عارم (٣) النظرات
جلَوْن وجوهاً لم تَلُحْها سمائم ... حَرور ولم يُسْفَعن بالسَّبَرَات (٤)
فقلت يعافير الظباء تناولت ... يَناع غصون الورد مُهْتَصِرات
ولما رأت ركب النُّمَيْرِى راعها ... وكن من آن يلقينه حَذِرات
فأدنين حتى جاوز الركب دونها ... حجابا من القَسِّيّ والحِبَرات

(١) الهماء موضع بنعمان بين الطائف ومكة (٢) واد بمكة (٣) شديد
(٤) السبرة الغداة الباردة

فكدت اشتياقاً نحوها وصبابة | تقطّع نفسي اثرها حسرات
فراجعت نفسي والحفيظة بعد ما | بللت رداء العصب بالعبرات

فبلغت هذه القصيدة عبد الملك بن مروان ، فكتب الى الحجاج قد بلغني قول الخبيث في زينب فاله عنه وأعرض عن ذكره فانك ان أدنيته أو عاتبته أطمعته وان عاقبته صدقته

ومن قوله فيها

طربت وشاقتك المنازل من جفن(١) | ألا ربما يعتادك الشوق بالحزن
نظرت الى أظعان زينب باللوى | فأعولتها لو كان أعوالها يغني
فوالله لا أنساك زينب ما دعت | مطوقة ورقاء شجواً على غصن
فان احتمال الحي يوم تحملوا | عناك وهل يعنيك الا الذي يعني
ومرسلة في السر أن قد فضحتني | وصرحت باسمي في النسيب وما تكني
وأشمت بي أهلي وجل عشيرتي | ليهنك ما تهواه ان كان ذا يهني
وقد لامني فيها ابن عمي ناصحاً | فقلت له خذ لي فؤادي أو دعني

فيقال انه بلغ زينب قوله هذا فبكت ، فقالت لها خادمتها ما يبكيك ؟ فقالت أخشى أن يسمع بقوله هذا جاهل بي لا يعرفني ولا يعلم مذهبي فيراه حقاً

وقال فيها

أهاجتك الظعائن يوم بانوا | بذي الزي الجميل من الأثاث
ظعائن أسلكت نقب المنقى(٢) | تحث اذا ونت أي احتثاث
تؤمل أن تلاقي أهل بصرى | فيالك مستزار مستراث
كأن على الحدائج يوم بانوا | نعاجاً ترتعي بقل البراث(٣)

(١) ناحية بالطائف (٢) بين أحد والمدينة (٣) البراث جمع البرث بالفتح وهي الارض السهلة اللينة والحدائج مراكب النساء

يهيجني الحمام اذا تداعى كما سجع النوائح بالمراثى
كأن عيونهن من التبكى فصوص الجزع أو يَنَعُ الكَبَاث[1]
ألاقٍ أنت فى الحجج البواقى كما لاقيت فى الحجج الثلاث

وكان الحجاج يتهدده ويقول لولا أن يقول قائل صدق لقطعت لسانه ، فهرب باليمن ، ثم ركب بحر عدن وقال فى هربه

أتتني عن الحجاج والبحر بيننا عقارب تَسْرِى والعيون هواجع
فضقت بها ذرعاً وأجهشت خيفة ولم آمن الحجاج والأمر فاظع
وحل بى الخطب الذى جاءنى به سميع فليست تستقر الأضالع
فبت أدير الأمر والرأى ليلتي وقد أخضلت خدي الدموع التوابع
ولم أرَ خيراً لي من الصبر انه أعفُّ وخير اذ أتتني النواجع
وما أمنت نفسى الذى خفت شره ولاطاب لي مما خَشِيت المضاجع
الى أن بدا لي رأس إسْبِيل طالعاً وإسْبِيل حصن لم تَنَلْه الأصابع
فلي عن ثقيف ان هممت بنَجْوَة مهامهُ تَهْوِي بينهن المجارع[2]
وفى الأرض ذات العرض عنك ابن يوسف اذا شئت منأى لا أبالك واسع
فان نلتني حجاج فاشتف جاهداً فان الذى لا يحفظ الله ضائع

فطلبه الحجاج فلم يقدر عليه ، وطال على النميرى مقامه هارباً واشتاق الى وطنه ، فجاء حتى وقف على رأس الحجاج ، فقال له إيه يا نميرى أنت القائل « فان نلتنى حجاج فاشتف جاهداً » ، فقال بل أنا الذى أقول

أخاف من الحجاج ما لست خائفاً من الأسد العِرْباض[3] لم يَثْنِهِ ذُعر
أخاف يديه أن تنالا مقاتلى بأبيض عَضْب ليس من دونه ستر

(١) الكباث النضيج من ثمر الاراك (٢) المجارع جمع مجرع كدرهم الكلب السلوق الخفيف
(٣) العرباض الاسد الثقيل العظيم

وأنا الذى أقول

فها أنذا طوفت شرقاً ومغرباً وأُبْتُ وقد دَوَّخت كل مكان

فلو كانت العَنْقاء منك تطير بى لخِلْتُكَ الا أن تَصُدَّ ترانى

فتبسم الحجاج وأمنه وقال لا تعاود ما تعلم ، وخلى سبيله

وكان الحجاج وجه بزينب مع حرمه الى الشام لما خرج ابن الأشعث خوفاً عليهن ، فلما قتل ابن الأشعث كتب الى عبد الملك بالفتح ، وكتب مع الرسول كتاباً الى زينب يخبرها الخبر ، فأعطاها الكتاب وهى راكبة على بغلة في هودج فنشرته تقرؤه وسمعت البغلة قعقعة الكتاب فنفرت وسقطت زينب عنها فاندق عضداها وتَهرَّى جوفها فماتت ، وعاد اليه الرسول الذى نفذ بالفتح بوفاة زينب

فقال النميرى يرثيها

لزينب طَيْف تعترينى طوارقه هُدُوًّا اذا النجم ارْجَحَنَّتْ لواحقه

سيبكيك مِرْنان العشى نجيبه لَطيف بنان الكف دُرْم مَرافقه

اذا ما بساط اللهو مُدَّ وألقيت للذاته أنماطــــه ونمارقه

ومما غنى فيه من شعره فى زينب

تشتو بمكة نعمة ومَصِيفها بالطائف

أحبب بتلك موافقاً وبزينب من واقف

وعزيزة لم يَغْذُها بؤس وجفوة حائف

غراء يحكيها الغزا ل بمقلة وسوالف

ومنــه

ألا من لقلب مُعَنًّى غَزِل بحب المحِلَّة أخت المحُِل(١)

(١) يريد به الحجاج سمى بذلك لاحلاله الكعبة وكان أهل الحجاز يسمونه بذلك ويسمى أهل الشام عبد الله بن الزبير المحل لانه أحل الكعبة زعموا أنه بمقامه فيها وكان أصحابه أحرقوها بنار استضاؤا بها

تراءت لنا يوم فرع الأرا ... ك بين العِشاء وبين الأُصُل
كأن القَرَنْفُلَ والزَّنجبيل ... وريح الخُزَامَى وذوب العسل
يُعَلُّ به برد أنيابها ... اذا ما صغا الكوكب المعتدل
وقالت لجارتها هل رأيت ... اذا عرض الركب فعل الرجل
وأن تبسمه ضاحكاً ... أجدّ اشتياقاً لقلب غَزِل

يزيد بن ضبة

مولى ثقيف ، وكان منقطعاً الى الوليد بن يزيد فى حياة أبيه متصلا به لا يفارقه، فلما أفضت الخلافة الى هشام أتاه يزيد مهنئاً بالخلافة ، فلما استقر به المجلس ووصلت اليه الوفود وقامت الخطباء تثنى عليه والشعراء تمدحه مثل يزيد بين السماطين فاستأذنه فى الانشاد فلم يأذن له وقال عليك بالوليد فامدحه وأنشده وأمر باخراجه وبلغ الوليد خبره فبعث اليه بخمسمائة دينار وقال له لو أمنت عليك هشاماً لما فارقتنى ولكن اخرج الى الطائف وعليك بمالي هناك فقد سوغتك جميع غلته ومهما احتجت اليه من شيء بعد ذلك فالتمسه مني ، فخرج الى الطائف وقال يذكر مافعله هشام

أرى سلمى تصدّ وما صددنا ... وغير صدودها كنا أردنا
لقد بخلت بنائلها علينا ... ولو جادت بنائلها حمدنا
وقد ضَنَّت بما وعدت وأمست ... تغير عهدها عما عهدنا
ولو علمت بما لاقيت سلمى ... فتخبرنى وتعلم ما وجدنا
تلمّ على تنائى الدار منا ... فيسهرنا الخيال اذا رقدنا
ألم تر أننا لما وَلِينا ... أمورا خرقت فوهت سددنا
رأينا الفتق حين وهى عليهم ... وكم من مثله صدع رفأنا

اذا هاب الكريهة من يليها   وأعظمها الهيوبُ لها عمدنا
وجبار تركناه كليلا   وقائد فتنة طاغٍ أزلنا
فلا تنسوْا مواطننا فانا   اذا ما عد أهل الحزم عدنا
وماهيضت مكاسر من جبرنا   ولا جبرت مصيبة من هددنا
ألا مَنْ مبلغٌ عنى هشاما   فما منا البلاء وما بعدنا
وما كنا الى الخلفاء تفضى   ولا كنا نؤخرَّ ان شهدنا
ألم يك بالبلاء لنا جزاء   فنجزى بالمحاسد ام حسدنا
وقد كان الملوك يَرَوْن حقا   لوافدنا فنكرم ان وفدنا
ولينا الناس أزمانا طوالا   وسُسْناهم وسسناهم وقُدْنا
ألم تر من ولدنا كيف أشبَوْا   وأشبينا وما بهم قعدنا
نكون لمن ولدناه سماء   اذا شيمت مخايلنا رعدنا
وكان أبوك قد أسدى الينا   جسيمة أمره وبه سعدنا
كذلك أول الخلفاء كانوا   بنا جدّوا كما بهمُ جددنا
همُ آباؤنا وهمُ بنونا   لنا جُبلوا كما لهمُ جُبلنا
ونَكْوى بالعداوة من بغانا   ونُسْعِد بالمودة من وددْنا
نرى حقاً لسائلنا علينا   فنحبوه ونُجْزل ان وعدنا
ونضمن جارنا ونراه منا   فنرْفِده فنُجزل ان رَفَدْنا
وما نعتد دون المجد مالا   اذا يغلى بمكرمة أفدنا
وأتلَدُ مجدنا أنا كرام   بحد المشرفية عنه ذدنا

فلم يزل مقيما بالطائف الى أن ولى الوليد الخلافة فوفد اليه فلما دخل عليه والناس بين يديه جلوس ووقوف على مراتبهم هنأه بالخلافة فأدناه الوليد وضمه اليه وقبل يزيد بن ضبة رجليه والأرض بين يديه ، فقال الوليد لأصحابه هذا طريد الأحول

لصحبته اياى وانقطاعه الى فاستأذنه يزيد فى الانشاد وقال له يا أمير المؤمنين هذا اليوم الذى نهانى عمك هشام عن الانشاد فيه قد بلغته بعد يأس والحمد لله على ذلك فأذن له فأنشده

سُلَيمى تلك فى العِيرِ   قفى أسألك أو سيرى
اذا مابنت لم تَأوِى   لصب القلب مغمور
وقد بانت ولم تعهد   مَهاة فى مَهاً حور
وفي الآل حول الحى تزهى كالقوارير
يواريها وتبدو منه آل كالسمادير (١)
وتطفو حين تطفو فيه كالنخل المواقير (٢)
لقد لاقيت من سلمى   تَباريح التناكير
دعت عينى لها قلبى   وأسباب المقادير
وما ان مَنْ به شيب   اذا يصبو بمعذور
لسلمى رسم أطلال   سَفَته الريح بالمور (٣)
خريق تَنخُل التربَ   بأذيال الأعاصير
فأَوْحِشْ اذ نأت سلمى   بتلك الدور من دور
سأرمى قانصات البيد ان عشت بعسبور (٤)
من العيس شجوجات   طواها النِّسع بالكور (٥)
اذا ما حقَب جال   قرَنَّاه بتصدير (٦)

(١) السمادير شىء يتراءى للانسان من ضعف بصره عند السكر (٢) نخل مواقير جمع ميقار وهى الكثيرة الحمل (٣) المور التراب تثيره الريح (٤) العسبور ولد الكلب من الذئبة وناقة عسبور سريعة نجيبة (٥) تشج المفاوز والنسع حبل تشد به الرحال
(٦) الحقب بالتحريك الحزام الذى يلى حقو البعير وقيل هو حبل يشد به الرحل فى بطن البعير لئلا يؤذيه التصدير أو يجتذبه التصدير فيقدمه والتصدير حزام الرحل والهودج

زجرنا العيس فارتدت باعصاف[١] وتشمير
نقاسيها على أين بادلاج وتهجير
اذا ما اعصو صب الآل ومال الظل بالقور[٢]
وراحت تتقى الشمس مطايا القوم كالعور
الى أن يفضح الصبح بأصوات العصافير
لنعتام الوليد القرْ م أهل الجود والخير
كريم يهب البُزْل مع الخور الجراجير[٣]
تراعى حين نُزْجيها هوياً كالمزامير
كما جاوبت النِّيب رباع الخُلُج الخور[٤]
ويهب الذهب الأحمـر وزنا بالقناطير
بلوناه فأحمـدنا ه فى عسر وميسور
كريم العود والعنصـر غمْرٌ غير منزور
له السبق الى الغايا ت فى ضم المضامير
امام يوضح الحق له نور على نور
مقال من أخى ود بحفظ الصدق مأثور
باحكام واخلاص وتفهيم وتحبير

فأمر الوليد بأن تعد أبيات القصيدة ويعطى لكل بيت الف درهم فكانت خمسين بيتاً فأعطى خمسين الفاً فكان أول خليفة عد أبيات الشعر وأعطى على

(١) أعصفت الناقة فى السير أسرعت والتشمير الجد
(٢) القور جمع القارة وهى الاصاغر من الجبال والاعاظم من الآكام وهى مفرقة خشنة كثيرة الحجارة
(٣) فحل جراجر بالضم كثير الجرجرة وهو بعير جرجار والجرجرة الضجيج والصياح
(٤) الخور الابل الحمر الى الغبرة رقيقات الجلود طوال الاوبار لها شعر ينفذ وبرها وهى أطول من سائر الوبر والخلج جمع خلوج وهى التى تخالج السير من سرعتها أى تجذبه

عددها لكل بيت الف درهم ثم لم يفعل ذلك الا هرون الرشيد فانه بلغه خبر يزيد مع الوليد فأعطى مرْوان بن ابى حفصة ومنصورا النمرى لما مدحاه وهجوا آل أبى طالب لكل بيت الف درهم

خرج الوليد الى الصيد ومعه يزيد بن ضبة فاصطاد على فرسه السندى صيداً حسنا ولحق عليه حماراً فصرعه فقال ليزيد صف فرسى هذا وصيدنا اليوم فقال فى ذلك

وأحْوَى سَلِس المِرْسَـــــن مثل الصَّدَعِ الشُّعْب(١)
سما فوق مُنيفات طوال كالقنا سَلْبْ(٢)
طويل الساق عنْجوج أشقَّ أصْمَعِ الكعب(٣)
على لام أصَمَّ مُضْـــمَر الأشْعَرِ كالعقب(٤)
ترى بين حواميـــه نُسوراً كنوى القَسْب(٥)
معالي شَنِج الأنسا ءِ سامٍ جُرْشُعِ الجنب(٦)
طوى بين الشَّراسيف الى المُنْقَب فالقُنْب(٧)
يغوص الملحم القائــــم ذو حدّ وذو شَغَب(٨)

---

(١) المرسن من أنف الفرس موضع الرسن والصدع من الاوعال والظباء والحمير والابل الفتى الشاب القوى والاشعب من التيوس ذو الشعب وهو ما كان بين قرنيه بعيداً جداً وجمعه شعب

(٢) فرس سلب القوائم أى خفيفها والمنيفات الطويلة ويريد بها القوائم

(٣) العناجيج جياد الخيل والابل والاشق من الخيل الذى يشتق فى عدوه يميناً وشمالاً والأصمع الكعب اللطيف المستوى (٤) لام الانسان وغيره شخصه والاصم الذى لا يطمع فيه

(٥) الحوامى ميامن الفرس ومياسره والنسر لحمة فى باطن حافر الفرس من أعلاه والقسب تمر يابس يتفتت فى الفم صلب النواة (٦) الجرشع العظيم الصدر المنتفخ الجنبين وسام رافع رأسه والانساء جمع النسا بالفتح وهو عرق من الورك الى الكعب وشنج النسا أى متقبضه واذا شنج نساه لم تسترخ رجلاه (٧) الشرسوف غضروف معلق بكل ضلع والمنقب السرة والقنب وعاء هن كل ذى حافر

(٨) الشغب الهياج والحد الحدة

عتيد الشَّدِّ والتقريب والاحضار والعَقَبْ(١)
صليب الأذن والكاهل والموقف والعَجْبْ(٢)
عريض الخد والجبهة والبركة واللهب
اذا ما حثه حاث يبارى الريح فى غرب
وان وجهته أسرع كالخُذْروف فى الثقب
وقفاهن كالأجدل لما انضم للضرب
ووالى الطعن يختار جواشن بدن قُبّ
ترى كل مدلّ قائماً يلهث كالكلب
كأن الماء فى الأعطاف منه قطع العُطْبْ(٣)
كأن الدم فى النحر قذال علّ بالخضب
يزين الدار موقوفاً ويشفى قدم الركب

فقال له الوليد أحسنت الوصف وأجدته فاجعل لقصيدتك تشبيباً وأعطه الغزيل وعمر الوادى حتى يغنيا فيه ، فقال

الى هند صبا قلبي وهند مثلها يصبى
وهند غادة غيداء من جرثومة غُلْبْ
وما ان وجد الناس من الأدواء كالحب
لقد لج بها الاعراض والهجر بلا ذنب
ولما أقض من هند ومن جاراتها نحبي
أرى وجدى بهند دائماً يزداد عن غب

(١) هذه أنواع من عدو الفرس العقب الجرى يجىء بعد الجرى الاول والتقريب أن يرجم الارض بيديه وهما ضربان التقريب الادنى وهو الارخاء والتقريب الاعلى وهو الثعلبية والاحضار ارتفاع الفرس فى عدوه عن الثعلبية
(٢) العجب أصل الذنب (٣) العطب القطن

وقد أطولت اعراضاً   وما بغضهمُ طبي
ولكن رقبة الأعين   قد تحجز ذا اللب
ورغم الكاشح الراغـ   ـم فيها أيسر الخطب

ودفع هذه الأبيات الى المغنين فغنوه فيها

قال الأصمعي كان يزيد بن ضبة مولى ثقيف ولكنه كان فصيحاً وقد أدركته بالطائف وقد كان يطلب القوافى المعتاصة والحوشى من الشعر ، وروى أبو حاتم عن مشايخ الطائفيين وعلمائهم قلوا قل يزيد بن ضبة ألف قصيدة فاقتسمها شعراء العرب وانتحلتها فدخلت فى أشعارها

شعراء سعد

ابن أبي الزوائد

هو سليمان بن يحيي بن يزيد السعدي من سعد بن بكر بن هوازن ثم من قيس عيلان

شاعر مقل من مخضرمى الدولتين ، وكان يؤم الناس فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم

من قوله وفيه غناء

هل نفسك المستهامة السَّدِمة(١)   ساليـةٌ مرة ومعتزمة
عن ذكر خَوْد قضى لها الملك الـ   ـخالق ألاّ تُكِنّها ظلمة
كالشمس فى شرقها اذا سفَرَت   عنها ومثـل المَهاة ملتثمة

(١) السدمة شديدة العشق

ما صور الله حين صورها في سائر الناس مثلها نَسَمة
كل بلاد الاله جئت فما أبصرت شِبْهاً لها وقد علمه
أنى من العالمين تشبهها عابسة هكذا ومبتسمة
فتَّانة المقلتين مُخْطَفَة الـ أحشاء منها البنان كالعَنَمة
اذا تعاطت شيئاً لتأخذه قلت غزال يعطو الى بَرَمة[1]
يا طيب فيها وطيب قُبلتها والقرب منها في الليلة الشَّبِمة[2]
ان من اللذة التي بقيت غشيانك الخَوْد من بني سَلِمة
لا تهجر الخَوْد أن يقال بعد سلو وقبل ذاك فمه
آتي مُعِدًّا لها الكلام فما أنطق من هيبة ولا كلمة
أُحب والله أن أزوركمُ وحدى كذا أو أزوركم بلُمَة[3]
هذا الجمال الذي سمعت به سبحان ذي الكبرياء والعظمة
من أبصرت عينه لها شبهاً حلّ عليه العذاب والنقمة
يا هند يا هند نولى رجلاً وكيف تنويل من سفكت دمه
أو تدركى نفسى فقد هلكت أو ترحميه فمثلك رحمه

كان أبو عبيدة بن عبد الله بن ربيعة صديقاً لابن أبي الزوائد ، ثم تباعد ما بينهما لشىء بلغ أبا عبيدة عنه فهجره من أجله ، فهجاه فقال

قطع الصفاء ولم أكن أهلاً لذاك أبو عبيدة
لا تحسبنك عاقلا فلأنت أحمق من حميدة

وهي امرأة بالمدينة رعناء يضرب بها المثل في الحمق

(١) البرمة ثمر العضاة وحب العنب اذا كان مثل رءوس الذر (٢) الشبمة الباردة
(٣) اللمة الجماعة

وفد الى بغداد أيام المهدى فاستوخمها ، فقال يتشوق الى المدينة ويخاطب أبا غسان محمد بن يحيى وكان معه نازلا

يا ابن يحيى ما ذا بدا لك ما ذا   أمقاما أم قد عزمت الحياذا (١)
فالبراغيث قد تنوّر منها   سامر ما نلوذ منه ملاذا
فنحك الجلود طوراً فتدمى   ونحك الصدور والأفخاذا
فسقى الله طيبة الوَبْل سحّاً   وسقى الكَرْخ والصَّراة الرَّذاذا
بلدة لا ترى بها العين يوْماً   شارباً للنبيـذ أو نباذا
أو فتى ماجناً يرى اللهو والبا   طل مجداً أو صاحباً كوّاذا (٢)
هذه الذال فاسمعوها وهاتوا   شاعراً قال فى الرَّوِيّ على ذا
قالها شاعر لو آن القوافى   كن صخراً أطارهن جُذاذا

قال ابن داب خرجت أنا وأخى يحيى وابن أبى العلاء ومعنا مصعَب بن عبد الله النوْفَلى وثابت والزبير ابنا خُبَيْب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير وابن أبى الزوائد وابن أبى ذئب متنزهين الى العقِيق وقد سال يومئذ اذ أتانا آت ونحن جلوس ، فسألناه عن الخبر بالمدينة ، فقال ورد كتاب أمير المؤمنين المنصور ألاّ تتزوج منافيَّة الامَنافياً ، قال ابن أبى ذئب إذاً والله لا يخطب قرشى الا من لا يحبها ولا يَرغب الا فيمن لا يُرغب فيها ممن لا فضل له عليها « وكان غير حسن الرأى فى بنى هاشم » وتكلم ابنا خُبَيْب بمثل ذلك ، وقال أحدهما ان نسبنا من بنى عبد مناف قد طال فأدالنا الله منهم ، فغضب مُصْعَب النوفلى ، وكان أحول ، فازدادت عيناه انقلاباً ، فقال أما أنت يا ابن أبى ذئب فوالله ما شرفتك جاهلية ولا رفعك اسلام فيقع فى بال أحد أنك عنيت بما جرى ، وأما أنتما يا ابنى خُبَيْب فبغضكما لبنى عبد مناف تالد موروث ولا يزال يتجدد كلما ذكرتم قتل الزبير ، وانكم لمن طينتين مختلفتين ، أما

(١) الحياذ التنحى (٢) كوذ فلانا ضربه بالعصا فى دبره

إحداهما فمن صَفِيَّة «بنت عبدالمطلب وزوج الزُّبير» وهي الطينة الأبطحية السنية تنزعان اليها اذا نافرتما وتفخران بها اذا افتخرتما ، والأخرى الطينة العوَّامية التي تعرفانها ، ولو شئت أن أقول لقلت ولكن صفية تحجزني ، فأحسنا الشكر لمن رفعكما ولا تميلا عليه بمن وضعكما ، فقالا له مَهْلاً فوالله لقدمنا في الاسلام أفضل من قديمك ولَحَظُّنا فيه بالزُّبير أفضل من حظك ، فقال مُصْعَب والله ما تفخران في نسبكما الا بعمتي ولا تفضلان في دينكما الا بابن عمي صلى الله عليه وسلم فمفاخره لي دونكما ، ثم تفرقوا ، فقال ابن أبي الزوائد

لعمركما يا ابني خُبَيْب بن ثابت ... تجاوزتما في الفخر جَهْلاً مَدَا كما
وأنكرتما فضل الذين بفضلهم ... سمت بين أيدي الأكرمين يدا كما
فانكما لم تعرفا اذ سموتما ... الى العز من آل النبي أبا كما
ولم تعرفا الفضل الذي قد فخرتما ... فليس من العوَّام حقاً أتاكما
فلولا الكرام الغرّ من آل هاشم ... فلا تجهلا لم تدفعا من رماكما

شعراء سلول

العجير السلولى

هو العُجَير بن عبيدالله بن عبيدة السَّلولى من سَلول بن مرة بن صَعْصَعة ابن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خَصَفَة

شاعر مقل اسلامى وجعله محمد بن سلام فى طبقة أبى زبيدالطائى وهى الخامسة من طبقات شعراء الاسلام

كان العُجَير دل عبد الملك بن مروان علي ماء يقال له مطلوب وكان لناس من خَثْعَم فأنشأ يقول

لا نوم الا غِرَار العين ساهرة   ان لم أروع بغيظ أهل مَطْلوب (١)

ان تشتُمونى فقد بدلت أيكتكم   ذَرْقَ الدجاج بِحَفَّان اليعاقيب (٢)

قد كنت أخبركم أن سوف تغمرها   بنو أمية وعدا غير مكذوب

فركب رجل من خَثْعَم يقال له أمية الى عبد الملك حتى دخل عليه فقال يا أمير المؤمنين انما أراد العُجَير أن يصل اليك وهو شويعر سآل وحربه عليك فكتب الى عامله بأن يشد يدى العجير الى عنقه ثم يبعثه فى الحديد ، فبلغ العجير الخبر فركب فى الليل حتى أتى عبدالملك فقال له يا أمير المؤمنين أنا عندك فاحتبسني وابعث من يُبْصر الأرضين والضياع فان لم يكن الأمر على ما أخبرتك فلك دمى حِلٌّ فبعث فاتخذ ذلك الماء فكان من خير ضياع بني أمية

هجا العجير قوماً من بني حَنيفة وشتمهم فأقاموا عليه البينة عند نافع بن علقمة الكنانى فأمرهم باحضاره ليقيم عليه الحد وقل لهم ان وجدتموه أنتم فأقيموا عليه

(١) موضع بوادى بيشة (٢) اليعاقيب الحجل وحفانه صغاره

الحد وليكن ذلك فى ملأ يشهدون به لئلا يدعى عليكم تجاوز الحد ، فهرب منهم حتى أتى نافعاً فوقف له متنكراً حتى خرج من المسجد ثم تعلق بثوبه فقال

اليك سبقنا السوط والسجن تحتنا ... حِيال[1] يُسامين الظلام ولُقَّح
الى نافع لا نرتجي ما أصابنا ... تحوم علينا السانحات وتبرح
فان أكُ مجلوداً فكن أنت جالدى ... وان أكُ مذبوحاً فكن أنت تذبح

فسأله عن المطر وكيف كان أثره فقال

يانافع يا أكرم البرية ... والله لا أكذبك العشية
انا لقينا سنة قَسِيَّة[2] ... ثم مُطرنا مطرة رَوِية
فنبت البقل ولا رَعِيَّة

يعنى ان المواشى هلكت قبل نبات البقل ، فقال له انجُ بنفسك فانى سأرضى خصومك ، ثم بعث اليهم فسألهم الصفح عن حقهم وضمن لهم ألا يعاود هجاءهم

قال هشام بن عبد الملك للعجير أصدقت فيما قلته لابن عمك ؟ قال نعم يا أمير المؤمنين الا أنى قلت

فتى قُدّ قدّ السيف لامتضائل ... ولا رَهِل لَبَّاته وبآدله[3]
جميل اذا استقبلته من أمامه ... وان هو ولى أشعث الرأس جافله[4]
اذا نزل الأضياف كان عذَوَّراً[5] ... على الحى حتى تستقل مراجله
ترى جازريه يُرْعَدان وناره ... عليها عداميل الهشيم وصامله[6]
يجرّان ثِنْيا[7] خيرها عظم جارة ... على عينه لم تعدُ عنها مشاغله
تركنا أبا الأضياف فى كل شتوة ... بمر ومرأى كل خصم يجادله
مقيماً سلبناه دريس[8] مفاضة ... وأبيض هنديا طوالا حمائله

---

(١) جمع حائل وهى كل أنثى لا تلقح ولقح جمع لاقح (٢) شديدة (٣) البآدلة اللحمة بين المنكب والعنق والرهل المسترخى (٤) جفل الشعر ثار شعثاً (٥) العذور السىء الخلق (٦) العداميل القديمة والصامل اليابس (٧) الثنى الولد بعد الولد الاول فالاول بكر والثانى ثنى (٨) الدريس الثوب الخلق والمفاضة الواسعة

فقال هشام هلك والله الرجل

اصطحب العُجَير وشاعر من خُزاعة الى المدينة ، فقصد الخزاعى الحسن بن الحسن بن على عليهم السلام وقصد العجير رجلا من بني عامر بن صعصعة كان قد نال سلطانا ، فأعطى الحسن بن الحسن الخزاعى وكساه ولم يعط العامرى العجير شيئاً فقال العجير

يا ليتنى يوم حزّمت القلوص له ... يممتها هاشمياً غير ممذوق (٢)

محض النّجار من البيت الذى جعلت ... فيه النبوة يجرى غير مسبوق

لا يُمسِك الخير الأريْث يُسأله ... ولا يطاعم عند اللحم فى السوق

فبلغت أبياته الحسن فبعث اليه بصلة الى محلة قومه وقال له قد أتاك حظك وان لم تتصدَّ له

مرّ العجير بقوم يشربون فسقوه فلما انتشى قال انحروا جملى وأطعمونا منه فنحروا وجعلوا يطعمونه ويسقونه ويغنونه بشعر قاله يومئذ وهو

عللانى انما الدنيا عَلَل ... واسقيانى عللا بعد نَهَل

وانشلا ما اغبرّ من قدريكما ... واصبَحانى أبعد الله الجمل

أَصْحَب الصاحب ما صاحبني ... وأكفُّ اللوم عنه والعذل

واذا أتلف شيئاً لم أقل ... ابدا يا صاح ما كان فعل

حج العجير فنظر الى امرأته وكان قد حج بها معه وهى تَلْحَظ فتى من بعد وتكلمه فقال فيها

أيا رب لا تغفر لعثمة ذنبها ... وان لم يعاقبها العُجَير فعاقب

أشارت وعقد الله بيني وبينها ... الى راكب من دونه ألف راكب

حرام عليكِ الحج لا تقربِنه ... اذا حان حج المسلمات التوائب

---

(٢) أى غير مشوب وده بكدر

كان للعجير رفيق يقال له أصبح وكانا يُصيبان الطريق وفيه يقول العجير

ومنخرقٍ عن منْكبيه قميصه وعن ساعديه للأخلاء واصل
اذا طالَ بالقوم المطا فى تنُوفة وطول السُّري ألفيته غير ناكل
دعوتُ وقد دبَّ الكَرى فى عظامه وفى رأسه حتى جرى فى المفاصل
كما دبَّ صافى الخمر فى مخ شارب يَميل بعِطفيه عن اللب ذاهل
فلبى ليثنينى بثنْيِ لسانه ثقيلين من نوم غَلوب غياطل[١]
فقلت له قم فارتحِل ليس ههنا سوى وقفة السارى مناخا لنازل
فقام اهتزاز الرمح يسرو قميصه ويحسر عن عارى الذراعين ناحل

كانت للعجير امرأة يقال لها أم خالد فأسرع فى ماله فأتلفه وكان جواداً ثم جعل يدَّان حتى أثقل بالدين ومد يده الى مالها فمنعته منه وعاتبته على فعله فقال فى ذلك

تقول وقد غالبتها أم جعفر على مالها أغرقت دَيْناً فأقصر
أبى القصر من يأْوِى اذا الليل جننى الى ضوء نارى من فقير ومقْتِر
أيا موقدىْ نارى ارفعاها لعلها تشب لمقْوٍ آخر الليل مقفر
أمِنْ راكب أمسى بظهر تنُوفة أواريك أم من جارى المتنظر
ولا قِدْر دون الجار الا ذميمة وهذا المقاسى ليلةً ذاتَ منكر
تكاد الصَّبا تبتزُّه من ثيابه على الرجل الا من قميص ومئْزر
وماذا علينا أن يخالس ضوءها كريم ثناه شاحب المتحسَّر[٢]
فيخبرنا عما قليل ولو خلت له القِدْر لم نعجب ولم نتخبر
سلى[٣] الطارق المعترَّ يا أم مالك اذا ما أتانى بين قِدْرى ومَجْزَرِى
أأبسط وجهى انه أول القرى وأبذُل معروفى له دون منكرى
فلا قصر حتى يفرُجَ الغيث من أوي الى جنب رحلى كل أشعث أغبر

(١) الغيطلة غلبة النعاس (٢) ما انكشف وتجرد من جسمه (٣) يرويها بعض الناس لعروة بن الورد وهى للعجير

أقى العرض بالمال التِّلاد وما عسى ... أخوك اذا ماضيع العرض يشترى
يؤدى الىَّ النيل قنيان[١] ماجد ... كريم ومالى سارحا مالُ مقتر
اذا مت يوماً فاحضُرى أم خالد ... تُراثك من طرْف وسيف وأقْدُر

وفد العجير على عبد الملك بن مروان فأقام ببابه شهراً لا يصل اليه لشغل عرض لعبد الملك ثم وصل اليه فلما مثَل بين يديه أنشد

ألا تلك أم الهبْرِزِىّ تبينت ... عظامى ومنها ناصل وكسير
وقالت تضاءلت الغداة ومن يكن ... فتى قبل عام الماء فهو كبير
فقلت لها ان العُجَير تقلبت ... به أبطن أبْلَينه وظهور
فمنهن ادلاجى على كل كوكب ... له من عُمانى النجوم نظير
وقَرْعى بكفى باب ملْك كأنما ... به القوم يرجُون الأذين نسور
ويومَ تبازي ألسن القوم فيهمُ ... وللموت أرْحاء بهن تدور
لو آن الجبال الصُّمَّ يسمعن وقعها ... لعدن وقد بانت بهن فُطور[٢]
فرُحت جواداً والجواد مثابر ... على جريه ذو علة ويسير

فقال له يا عُجَير ما مدحت الا نفسك ولكنا نعطيك لطول مقامك وأمر له بمائة من الابل يُعطاها من صدقات بني عامر فكتب له بها

ومن قول العجير

وما لبس الناس من حلة ... جديد ولا خلَقا يرتدى
كمثل المروءة للابسين ... فدعْنى من المُطْرف المستدَى
فليس يغير فضل الكريم ... خلوقات أثوابه والبِلَى
وليس يغير طبع اللئيم ... مطارف خزّ رِقاق السّدى
يجود الكريم على كل حال ... ويكبو اللئيم اذا ما جرى

(١) ما اقتنى من المال يقول انه لبذله القرى كأنه موسر واذا سرح ماله علم أنه مقتر
(٢) شقوق

كان للعجير ولد اسمه الفرزدق وله يقول

ولقد وضعتك غير متَّرك   من جابر فى بيتها الضخْم
واخترت أمك من نسائهم   وأبوك كل عذوَّر شهْم
فلئن كذبت المنح من مائة   فلتقتلن بسائغ وخم
ان الندى والفضل غايتنا   ونجاتنا وطريق من يحمي

وقف العجير لبعض الأمراء وقد علق به غريم من أهله فقال له

أتيتك ان الباهلى يسوقني   بدَيْن ومطلوب الديون رقيق
ثلاثتنا ان يسر الله فائزٌ   بأجر ومعطٍ حقَّه وعتيق

فأمر بقضاء دينه

هوى العجير بنت عم له ، نخطبها الى أبيها ، فوعده وقاربه ، ثم خطبها رجل من بنى عامر موسر ، نخيرها أبوها بينه وبين العجير ، فاختارت العامرى ليساره ، فقال العجير فى ذلك

ألمـا على دار لزينب قد أتى   لها باللوى ذى المرج صيْف ومرْبع
وقولا لها قد طال ما لم تـكلمى   وراعك بالغيب الفؤاد المروع
وقولا لها قال العجير وخصني   اليك وارسال الخليلين ينفع
أأنت الذى استودعتك السر فانتحى   بك الخوْن(١) مزَّاح من القوم أفرع
اذا مت كان الناس نصفين شامت   ومثن بما قد كنت أُسْدِي وأصنع
ولـكن ستبكيني خطوب ومجلس   وشعْث اهينوا فى المجالس جوَّع
ومستلحمٌ(٢) قد صكه القوم صكَّةً   بعيدَ الموالي نيلَ ما كان يمنع
رددت له ما فرَّط القيْل بالضحى   وبالأمس حتى آبنا وهو أضلع(٣)

(١) الخون الخيانة والافرع ضد الاصلع (٢) المستلحم المستلحق فى القرابة والجوار وصكه ضربه (٣) الاضلع المطيق للشيء القائم به وآبنا رجع الينا

ولست بمولاه ولا بابن عمه ولكن متى ما أملك النفع أنفع

كان العجير يتحدث الى امرأة من بني عامر يقال لها جُمْل فألفها وعَلِقها ثم انتجع أهلها نواحي نَصيبين ، فتبعتها نفسه ، فسار اليهم فنزل فيهم مجاوراً ، ثم رأوه ملازماً محادثة تلك المرأة ، فنهوه عنها وقالوا قد رابنا أمرك فاما ان انقطعت عنها أو ارتحلت عنا أو فأذن بحرب ، فقال ما بيني وبينها ما ينكر ، وانما كنت أتحدث اليها كما يتحدث الرجل الكريم الى المرأة الحرة الكريمة فأما الريبة فحاش لله منها ، ثم عاود محادثتها ، فانتهبوا ماله وطردوه ، فأتى محمد بن مروان وهو يومئذ يتولى الجزيرة لأخيه عبد الملك ، فأتاه مستعدياً على بني عامر وعلى الذي أخذ ماله خصوصية وهو رجل من بني كلاب يقال له ابن عامر فأنشده

عفا يافع من أهله فطلوب وأقفر لو كان الفؤاد يثوب
وقفت بها من بعد ما حل أهلها نصيبين والراق الدموع طبيب
وقد لاح معروف القتير(١) وقد بدت بك اليوم من ريب الزمان ندُوب
وسالمتَ رَوْحاتِ المطي وأحمدت مناسم منها تشتكي وصُلُوب
وما القلب أم ما ذكره أم صبية أُريكة منها مسكن فهَرُوب
حَصان الحميا حُرَّة حال دونها حليلٌ لها شاكي السلاح غضوب
شَموس دنو الفَرْقَرين اقترابها لغيِّ مقاريف(٢) الرجال سَبوب
أحقاً عباد الله أن لست ناظراً الى وجهها الا عليَّ رقيب
عدتني العدى عنها بعيد تساعف وما أرتجى منها اليَّ قريب
لقد أحسنت جُمْل لو آن تَبيعها اذا ما أرادت أن تُثيب تثيب
تَصدُّين حتى يذهب اليأس بالمنى وحتى تكادَ النفس عنك تطيب

(١) القتير أول ما يظهر من الشيب
(٢) جمع مقرف وهو النذل

هذا البيت يروى لابن الدمينة وهو بشعره أشبه ولا يشكل هذا المعنى ولا هو من طريقه لأنه تشكى في سائر الشعر قومها دونها ، وهذا بيت يصف فيه الصد منها

وأنت المنى لو كنت تستأنفيننا ... بخير ولكن معتفاك جديب

أيؤكل مالي وابن مروان شاهد ... ولم يقض لي وابن الحسام قريب

فتى محض أطراف العروق مساور ... حبال العلى طلق اليدين وهوب

فأمر محمد بن مروان باحضار ابن الحسام الكلابي فأحضر ، فحبسه حتى رد مال العجير ، وأمر العجير بالانصراف الى حيه وترك النزول على المرأة أو في قومها وقال العجير فيها أيضاً

هاتيك جمل بأرض لا يقربها ... الا هبل[1] من العيدي معتقد

ودونها معشر خزر عيونهم ... لو تخمد النار من حر لما خمدوا

عدوا علينا ذنوباً في زيارتها ... ليحجبوها وفي أخلاقهم نكد

وحال من دونها شكس خلائقه ... كأنه نمر في جلده الربد[2]

فليس الا عويل كلما ذكرت ... أو زفرة طالما أنت بها الكبد

وتيمتني جمل فاستمر بها ... شحط من الدار لا أمم ولا صدد

قالوا غداة استقلت ما لمقلته ... أمن قذى هملت أم عارها رمد

فقلت لا بل غدت سلمى لطيتها ... فليتهم مثل وجدي بكرة وجدوا

ان كان وصلك أبلى الدهر جدته ... وكل شيء جديد هالك نفد

فقد أراني ووجدي اذ تفارقني ... يوماً كوجد عجوز درعها قدد

تبكي على بطل حمت منيته ... وكان واتر أعداء به ابتردوا

(١) الهبل الضخم المسن من الابل والمعتقد الشديد الصلب والعيدي نسبة الى العيد وهو فحل معروف تنسب اليه النجائب الجيدة (٢) الربدة الغبرة والجمع ربد

وقد خلا زمن لو تَضرِمين له ... وصلى لأيقنت أني ميت كَمِدِ
أزمان تعجبنى جُمْل وأكتمه ... جملا حياء وما وجد كما أجد
فقد برئت على أني اذا ذكرت ... ينهلُّ دمعى وتحيا غصةٌ تَلَدُ
من عهد سلمى التي هام الفؤاد بها ... أزمانَ أزمانُ سلمى طفله رُؤُد
قد قلت للكاشح المبدى عداوته ... قد طالما كان منك الغش والحسد
الا تبين لي لا زلت تبغضنى ... حتّامَ أنت اذا ماساعفت ضَمِدُ(١)
وقد ترى غير ذى شك وتعلمه ... أن ليس لى اذ نأت صبر ولا جَلَدُ

قال عبد الملك لمؤدب ولده اذا رويتهم شعراً فلا تُروهم الا مثل قول العجير السلولي

يَبِينُ الجارُ حين يبين عنى ... ولم تأنس إليَّ كلاب جارى
وتَظْعَنُ جارتى من جنب بيتي ... ولم تستر بستر من جدار
وتأمن أن أطالع حين آتى ... عليها وهى واضعة الخِمار
كذلك هَدْىُ آبائى قديماً ... تَوَارثه النِّجار عن النجار
فَهَدْيِى هديهم وهم افتلونى ... كما افتُلِيَ(٢) العتيق من المهار

كان ابن عم للعجير اذا سمع بأضياف عند العجير لم يدعهم حتى يأتى بجزور كوماء فيطعن فى لبتها عند بيته فيبيتون في شواء وقدر ثم مات ، فقال العجير يرثيه

تركنا أبا الأضياف فى ليلة الصَّبا ... بمر ومِرْدَى كل خصم يجادله
وأُرعيه سمعى كلما ذكر الأسى ... وفى الصدر منى لوعة ما تزايله
وكنت أعير الدمعَ قبلك من بكى ... فأنت على من مات بعدك شاغله

(١) ضمد على فلان حقد (٢) فلا الغلام وافتلاه رباه

شعراء سليم

الجحاف بن حكيم

هو الجحّاف بن حكيم بن عاصم من بُهثة بن سليم بن منصور

يوم البِشْر(١)

لما قتلت بنو تغلِبَ عُمير بن الحُباب السلمى بالحَشّاك(٢) أتى أخوه تميم بن الحباب زُفَر بن الحرث فأخبره بمقتل عمير وسأله الطلب له بثاره ، فكره ذلك زفر ، فسار تميم بمن تبعه من قيس وتابعه على ذلك مسلم بن أبى ربيعة العقيلى ، فلما توجهوا نحو تغلب لقيهم الهذيل ، فقال أين تريدون ؟ فأخبروه بما كان من زفر ، فقال أمهلونى ألقَ الشيخ ، فأقاموا ومضى الهذيل فأتى زفر فقال ما صنعت ؟ والله لئن ظفِر بهذه العصابة انه لعار ولئن ظَفِرُوا انه لأشد ، قال زفر فاحبس عليَّ القوم ، وقام زفر فى أصحابه فحرضهم ، ثم شخص واستخلف عليهم أخاه أوساً ، وسار حتى انتهى الى الثَّرْثار(٣) فدفعوا أصحابه ، ثم وجه زفر يزيد بن حُمْران فى خيل فأساء الى بنى فَدَوْكَس من تغلب فقتل رجالهم واستباح أموالهم ، فلم يبق فى ذلك الجو غير امرأة واحدة يقال لها حميدة بنت امرىء القيس ، عاذت بابن حمران فأعاذها ، وبعث الهذيل الى بنى كعب بن زهير فقتل فيهم قتلاً ذريعاً ، وبعث مسلم بن أبى ربيعة الى ناحية أخرى فأسرع فى القتل ، وبلغ ذلك بنى تغلب والنمِر ، فارتحلوا يريدون عبور دِجْلة ، فلحقهم زُفر بالكُحَيْل(٤) مع المغرب ، فاقتتلوا قتالاً شديداً

---

(١) هو جبل يمتد من عرض الى الفرات من أرض الشام من جهة البادية
(٢) واد بأرض الجزيرة بين دجلة والفرات (٣) واد عظيم بالجزيرة
(٤) نهر أسفل الموصل

وترجل أصحاب زفر أجمعون وبقى زفر على بغل له ، فقتلوهم ليلتهم وبقروا ما وجدوا من النساء ، وذكر أن من غرق فى دجلة أكثر ممن قتل بالسيف وأن الدم كان فى دجلة قريباً من رَمْية سهم ، فلم يزالوا يقتلون من وجدوا حتى أصبحوا فذكروا أن زفر دخل معهم دجلة وكانت فيه بحة ، فجعل ينادى ولا يسمعه أصحابه ، ففقدوا صوته وحسبوا أن يكون قتل ، فتذامروا وقالوا لئن قتل شيخنا لما صنعنا شيئاً ، فاتبعوه فاذا هو فى دجلة يصيح بالناس وتغلب قد رمت بأنفسها تعبُر بالماء ، فخرج من الماء وأقام فى موضعه ، فهذه الواقعة الحرَجيَّة لانهم أحرجوا فألقوا أنفسهم فى الماء ، ثم وجه يزيد بن حُمْران وتميم بن الحُباب ومسلم بن ربيعة والهُذَيل بن زفر فى أصحابه وأمرهم ألاَّ يلقوْا أحداً الا قتلوه ، فانصرفوا من ليلتهم وكلٌّ قد أصاب حاجته من القتل والمال ، ثم مضى يستقبل الشمال حتى أتى رأس الأثيل ولم يخل بالكُحَيْل أحداً ، فصعد قبل رأس الأثيل فوجد به عسكراً من اليمن وتغلب فقاتلهم بقية ليلتهم ، فهربت تغلب وصبرت اليمن « وهذه الليلة تسميها تغلب ليلة الهرير » ففى ذلك يقول زفر

ولما أن نعى الناعى عميراً حسبت سماءهم دهيت بليل[1]

وكان النجم يطلع فى قتام وخاف الذل من يمنى سُهَيل

وكنت قبيلها يا أم عمرو أُرَجِّل لمتى وأجرّ ذيلى

فلو نُبش المقابر عن عمير فيخبر عن بلاء أبى الهُذَيل

غداة يقارع الأبطال حتى جرى منهم دماً مَرْج الكُحَيْل

قبيل ينهدون الى قبيل تساقى الموت كيلاً بعد كيل

فلما أن كانت سنة ثلاث وسبعين وقتل عبد الله بن الزُّبير هدأت الفتنة واجتمع على عبد الملك بن مَرْوان وتكافَّتْ قيس وتغلب عن المغازى بالشام والجزيرة وظن

(١) أى أظلمت نهاراً كأن ليلا دهاها

كل واحد من الفريقين أن عنده فضلاً لصاحبه وتكلم عبد الملك في ذلك ولم يُحكم الصلح ، فبينا هم على تلك الحال اذ أنشد الأخطل عبد الملك بن مَرْوَان وعنده وجوه قيس قوله

ألا سائل الجَحَّاف هل هو ثائر بقتلي أُصيبت من سُلَيم وعامر
أجَحَّافُ أن نَهبط عليك فتلتقِ عليك بحور طاميات زواخر
تكن مثل أبداء الحباب الذي جري به البحر تَزْهاه الرياح الصراصر

فوثب الجحاف يجر مطرفه وما يعلم من الغضب وهو يقول

نعم سوف نبكيهم بكل مُهنَّد ونبكي عميرا بالرماح الخواطر

وقام فجمع جموعاً من قيس فأغاروا على تغلب في مساكنهم فقتلوهم ومثلوا بهم وذلك يوم البشر الذي يقول فيه الأخطل

لقد أوقع الجَحَّاف بالبشر وقعة الى الله منها المشتكى والمعول

ثم ان الجحاف هرب بعد فعلته ولحق بالروم وقال في ذلك

فان تطردوني تطردوني وقد مضى من الوِرْد يوم في دماء الأراقم
لدن ذرَّ قَرْنُ الشمس حتى تلبست ظلاماً بركض المُقْرَبات الصَّلادم

ثم كلمت القيسية عبد الملك في الجحاف فأمنه فلما قدم لقيه الأخطل فقال له الجحاف

أبا مالك هل لمتني اذ حضضتني على القتل أم هل لامني لك لائم
أبا مالك اني أطعتك في التي حضضت عليها فعل حرَّان حازم
فان تدعني أخرى أجبك بمثلها واني لطَبٌّ بالوغي جدُّ عالم

ولما دخل على عبد الملك قال له أنشدني بعض ما قلت في غزوتك هذه وفجرتك فأنشده

نحن الذين اذا علوا لم يفخروا يوم اللقاء وان عُلُوا لم يضجروا

فقال عبد الملك صدقت

ورأى عبد الملك أنه ان تركهم على حالهم لم يحكم الأمر ، فأمر الوليد ابنه فحمل الدماء التى كانت قبل ذلك بين قيس وتغلب وضَمّن الجحاف قتلى البِشْر وألزمه إياها عقوبة له ، فأدى الوليد الحمالات ولم يكن عند الجحاف ما حُمّل ، فلحق بالحجاج بالعراق يسأله ما حمل لأنه من هوازن ، فسأل الاذن على الحجاج فمنعه فلقى أسماء بن خارجة فعصب حاجته به ، فقال انى لا أقدر لك على منفعة قد علم الأمير بمكانك وأبى أن يأذن لك ، فقال لا والله لا ألزمها غيرك أنجحت أو أكدت ، فلما بلغ ذلك الحجاج قال ماله عندى شيء ، فأبلغه ذلك ، قال وما علمك أن تكون أنت الذى تؤيسه فانه قد أبى ، فأذن له ، فلما رآه قال أعهدتنى خائناً لا أبالك ؟ قال أنت سيد هوازن وقد بدأنا بك وأنت أمير العراقين وابن عظيم القريتين وعُمالتك في كل سنة خمسمائة الف درهم وما بك بعدها الى خيانة فقر ، فقال أشهد أن الله تعالى وفقك انك نظرت بنور الله ، فاذا صدقت فلك نصفها العام ، فأعطاه وأدَّوا البقية ، ثم تأله الجحاف بعد ذلك واستأذن فى الحج فأذن له فخرج فى المشيخة الذين شهدوا معه قد لبسوا الصوف وأحرموا وأبْرَوا[1] أنوفهم ومشوا الي مكة ، فلما قدموا المدينة ومكة جعل الناس يخرجون فينظرون اليهم ويعجبون منهم ، وسمع ابن عمر الجحاف وقد تعلق بأستار الكعبة وهو يقول « اللهم اغفرلى وما أراك تفعل » فقال له ابن عمر ياهذا لو كنت الجحاف مازدت على هذا القول ، قال فانا الجحاف ، فسكت ، وسمعه محمد بن على بن ابى طالب عليه السلام وهو يقول ذلك فقال ياعبد الله قنوطك من عفو الله أعظم من ذنبك

---

(١) خرموها وجعلوا فيها البرى جمع برة وهى الحلقة فى أنف البعير

ومن شعره وفيه غناء

لله درّ عصابة صاحبتهم ... يوم الرصافة مثلهم لم يوجد

متقلدين صفائحا هندية ... يتركن من ضربوا كأن لم يولد

وغدا الرجال الثائرون كأنما ... أبصارهم قطع الحديد الموقد

أبو وجزة السعدى

هو يزيد بن عبيد من بهثة بن سُلَيم بن منصور ونسب الى بنى سعد بن بكر ابن هوازن لولائه فيهم ، لحق أباه وهو صبي سِباء فى الجاهلية فبيع بسوق ذى المجاز ابتاعه رجل من بني سعد واستعبده فلما كبر استعدى عمر رضى الله عنه وأعلمه قصته فقال انه لا سِباء على عربى وهذا الرجل قد امتنَّ عليك فان شئت فأقم عنده وان شئت فالحق بقومك ، فأقام في بني سعد وانتسب اليهم وتزوج زينب بنت عرفطة المزنية فولدت له أبا وَجْزَة وأخاه عبيدة ، فلما بلغ ابناه طالباه بأن يلحق بأصله وينتمي الى قومه من بني سليم ، فقال لا أفعل ولا ألحق بهم فيعيرونى كل يوم ويدفعونى وأترك قوماً يكرمونى ويشرفونى فوالله لئن ذهبت الي بني ظفر لا أرعى طُمّة ولا أرد جُمّة الا قالوا لي يا عبد بنى سعد

وكان أبو وجزة من التابعين وقد روى عن جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ولم يسند اليه حديثاً ولكنه حدث عن أبيه بحديث الاستسقاء ، قال شهدت عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وقد خرج بالناس ليستسقى عام الرَّمادة فقام وقام الناس خلفه ، فجعل يستغفر الله رافعاً صوته لا يزيد على ذلك ، فقلت فى نفسى ماله لا يأخذ فيما جاء له ؟ ولم أعلم ان الاستغفار هو الاستسقاء ، فما برحنا حتى نشأت سحابة وأظلتنا ، فسقى النـاس وقلدتنا السماء قلداً كل خمس عشرة ليلة حتى رأينا الارنبة تأكلها صغار الابل

من وراء حقاق العرفط(١) وفى رواية ان عمر قال فى آخر كلامه اللهم انى عجزت وما عندك أوسع لهم ، ثم أخذ بيد العباس رضى الله عنه ثم قال وهذا عم نبيك ونحن نتوسل اليك به ، وهو أحد من شبب بعجوز حيث يقول

يأيها الرجل الموكل بالصبا فيم ابن سبعين المعمر من دد(٢)
حتام أنت موكل بقديمة أمست تجدد كاليماني الجيد
زان الجلال كمالها ورسا بها عقل وفضلة وشيمة سيد
ضنت بنائلها عليك وأنتما غِرّان فى طلب الشباب الأغيد
فالآن ترجو أن تثيبك نائلا هيهات نائلها مكان الفرقد

خرج أبو وجزة وأبو زيد الأسلمى بريدان المدينة وقد امتدح أبو وجزة آل الزبير وامتدح ابو زيد ابراهيم بن هشام المخزومى ، فقال له أبو وجزة هل لك فى أن أشاركك فيما أصيب من آل الزبير وتشاركنى فيما تصيب من ابراهيم ، فقال كلا والله لرجائى فى الأمير أعظم من رجائك فى آل الزبير فقدما المدينة فأتى ابو زيد دار ابراهيم فدخلها وأنشد الشعر وصاح وجاب فأمر به ابراهيم فأخرج وضرب وأتى أبو وجزة أصحابه فمدحهم وأنشدهم فكتبوا له الى مال لهم بالفُرْع(٣) أن يعطى منه ستين وُسْقاً من التمر فقال أبو وجزة

راحت قلوصى رواحا وهى حامدة آل الزبير ولم تعدل بهم أحدا
راحت بستين وُسقا فى حقيبتها ماحملت حملها الأدنى ولا السددا(٤)
ذاك القِرى لا كأقوام عهدتهم يقْرون ضيفهم الملويّة الجددا

كان أبو وجزة قد جاور مزينة وانتجع بلادهم لصهره فيهم فنزل على عمرو ابن زياد المزنى فأحسن جواره وأكرم مثواه فقال يمدحه

(١) حقاق العرفط نبات سنتين وثلاث
(٢) الدد اللهو (٣) قرية من نواحى الربذة من يسار السقيا بينها وبين المدينة ثمانية برد على طريق مكة (٤) أعنى أنه انصرف عنهم وقد كتبوا له بستين وسقا فلم تتعب ناقته فى حملها

لمن دمنة بالنعف عافٍ صعيدها ... تغير باقيها ومحّ[1] جديدها
لسعدة من عام الهزيمة اذ بنا ... تصافٍ واذ لما يرُعنا صدودها
واذ هى أما نفسها فأرية ... للهو وأما عن صباً فنذودها
تَصيد ألباب الرجال بدلّها ... وشيمتها وحشية لا نصيدها
كباسقة الوسميّ ساعة أسبلت ... تلألأ فيها البرق وابيض جيدها
كبِكر تراعى فرقدين بقفرة ... من الرمل أو فيحان لم يعس[2] عودها
لعمرو الندى عمرو بن آل مُكدَّم ... وعمرو فتى عثمان طرًا وسيدها
حليم اذا ما الجهل أفرط ذا النهى ... على أمره حامى الحصاة شديدها
وما زال ينحو فعل من كان قبله ... من آبائه يجنى العلا ويفيدها
فكم من خليل قد وصلت وطارق ... وقربت من أدماء وارٍ قصيدها
وذى كربة فرجت كربة همه ... وقد ظل مُستدًا عليه وصيدها

قدم أبو وجزة على عبدالله بن الحسن واخوته وقد أصابت قومه سنَة مُجدبة فأنشده قوله يمدحه

أثني على ابني رسول الله أفضل ما ... أثني به أحد يوماً على أحد
السيدين الكريمي كل منصرف ... من والدين ومن صهر ومن ولد
ذريةٌ بعضها من بعضها عمرت ... فى أصل مجد رفيع السَمْك والعمَد
ماذا بني لهمُ من صالح حسَنٌ ... وحسَنٌ وعلى وابننوا لغد
فكرم الله ذاك البيت تكرمة ... تبق وتخلد فيه آخر الأبد
ثم السدى والندى مافى قناتهم ... اذا تعوجت العيدان من أودَ
مهذبون هجان امهاتهمُ ... اذا نسبن زُلال البارق البرِد
بين الفواطم ماذا ثم من كرم ... الى العواتك مجد غير منتقد
ما ينتهى المجد الا في بني حسن ... وما لهم دونه من دار ملتحد

(١) مح بلى (٢) عسى النبات غلظ وصلب وفيحان واد فى بلاد بنى أسد والفرقد ولد البقرة

فأمروا له بمائة وخمسين ديناراً وأوقروا له رواحله براً وتمراً وكسوه ثوبين
ذدب مروان بن محمد عبد الملك بن يزيد السعدى لقتال ابى حمزة الأزدى
الشارى وكان فيمن فرض له عبد الملك أبو وجزة فخرج معترضاً للعسكر على فرس
وهو يرتجز

قل لأبى حمزة هيد هيد[1] أتاك بالعادية التشديد
بالبطل القرم أبى الوليد فارس قيس نجدها[2] المعمود
فى خيل قيس والكماة الصيد كالسيف قد سلّ من الغمود
محض هجان ماجد الجدود فى الفرع من قيس وفى العمود
فدى لعبد الملك الحميد مالى من الطارف والتليد
يوم تنادى الخيلُ بالصعيد كأنه فى جُنَن الحديد
سيدٌ مُذِلٌّ عزّ كل سيد

وفى عبد الملك يقول أبو وجزة

حن الفؤاد الى سُعْدَى ولم تُنِب فيم الكثير من التحنان والطرب
قالت سعاد أرى من شيبه عجباً مهلا سُعاد فما فى الشيب من عجب
إمّا ترينى كسانى الدهر شيبته فان ما مر منه عنك لم يغب
سقيا لسعدى على شيب أم بنا وقبل ذلك حين الرأس لم يشب
كأن ريقتها بعد الكرى اغتبقت صوب الثريا بماء الكرم من حلب

يقول فيها

أهدى قلاصا نجيجا أضرّ بها نَصُّ الوَجيف وتقحيم من العقب
يقصدن سيد قيس وابن سيدها والفارس العذمنهاغ ذى الكذب
محمد وأبوه وابنه صنعوا له صنائع من مجد ومن حسب

(١) اذا أراد الحادى الحداء قال هيد هيد ثم زجل بصوته (٢) رجل نجد فى الحاجة اذا كان ناجياً فيها سريعاً

انى مدحتهمُ لما رأيت لهم فضلا على غيرهم من سائر العرب
الا تُثبنى به لا يَجزْنى أحد ومن يثيب اذا ما أنت لم تثب

ومن مختار مقصورته في مدح عبد الملك

حتى اذا هجدوا ألم خيالها سراً ألا بلمامه كان المنى
طرقت بريّا روضة من عالج وسَمِيَّة عذُبت وبيتها النَّدى
يا أم شيبة أى ساعة مَطْرَق نهتنا أبن المدينة من بدا[1]
انى متى أقض اللُّبانة أجتهد عَنَقَ العتاق الناجيات على الوجا
حتى أزورك ان تيسر طائرى وسلمت من ريب الحوادث والردى

وفيها يقول

فلامدحن بني عطية كلَّهم مدحاً يوافى فى المواسم والقُرى
الأكرمين أوائلا وأواخرا والأحلمين اذا تحوجت الحُبَى
والمانعين من المضيمة جارهم والجامعين الراقعين لما وهى
والعاطفين على الضريك بفضلهم والسابقين الى المكارم بن سعى

وكان عبدالله بن عروة بن الزبير يُفضِل على أبي وجزة ويقوم بأمره ثم اطّرحه لأمر بلغه عنه ولم يزل مطرحا له حتى قال

آل الزبير بنو حرة مرَوا بالسيوف صدوراً حنافا
سل الجرُد عنهم وأيامها اذا امتعطوا[2] المرهفات انذفافا
يموتون والقتل داء لهم ويَصلونَ يوم الثياف السيافا
اذا فرج القتل عن عيصهم أبي ذلك العيص الا التفافا
مطاعيم تحمد أبياتهم اذا قنع الشاهقات الضحاف[3]
وأجبن من صافر كلبهم اذا ورعته حصاة أصافا

فلما أنشد هذا الشعر رضى عنه وعاد الي ما كان عليه

(١) بدا بوادى عذرة قرب الشام (٢) امتعطوا سلوا (٣) الضحاف قطع من الغيم

شعراء عامر

حميد بن ثور

هو حميد بن ثور بن عبد الله الهلالي من هلال بن عامر بن صَعْصَعة ، من شعراء الاسلام وقرنه ابن سلام بنَهْشَل بن جرى وأوس بن مغراء ، وقد أدرك حميد عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقال الشعر فى أيامه ، وقد أدرك الجاهلية أيضاً

ومن شعره

وما هاج هذا الشوقَ الا حمامة دعت ساق(١) حُرّ تَرْحة وترنما
اذا شئت غنتنى بأجزاع بيشةَ أو النخل من تَثْليث أو بيلَمْلَما
مطوَّقة خَطْباء تسجع كلما دنا الصيف وانجال(٢) الربيع فأنجما
مُحَلّاة طوق لم يكن من تميمة(٣) ولا ضرب صوّاغ بكفيه درهما
تغنت على غصن عِشاء فلم تدَع لنائحة فى شجوها متلوما
اذا حركته الريح أو مال ميلة تغنت عليه مائلاً ومقوَّما
عجبت لها أنَّى يكون غناؤها فصيحاً ولم تَفْغَرْ(٤) بمنطقها فما
فلم أرَ مثلي شاقه صوت مثلها ولا عربياً شاقه صوت أعجما(٥)

تقدم عمر بن الخطاب الى الشعراء ألا يشبب احد بامرأة الا جلده فقال حميد

أبى الله الا أن سَرْحة مالك على كل أفنان العِضاه تروق
فقد ذهبت عَرْضاً وما فوق طولها من السَّرْح الا عشة وسحوق
فلا الظل من برد الضحى تستطيعه ولا الفيء من بعد العشى تذوق

(١) يحكي صوتها (٢) انجال عنا أى أقلع ومثل ذلك أنجم (٣) التميمة المعاذة
(٤) لم تفتح (٥) يقول لم أفهم ما قالت ولكن استحسنت صوتها واستحزنته فحننت له

وهي قصيدة طويلة أولها

نأت أمّ عمرو فالفؤاد مشوق ... يحن اليها والهاً ويتوق

وفيها مما يغني فيه

سقى السَّرحة المحلال والأبرق الذى ... به السَّرح غيث دائم وبروق

فهل أنا ان عللت نفسى بسرحة ... من السرح موجود على طريق

وفد حميد على بعض خلفاء بني أمية فقال له ما جاء بك ؟ فقال

أتانى بك الله الذى فوق من ترى ... وخير ومعروف عليك دليل

ومطوية الأقراب أما نهارها ... فنصّ وأما ليلها فذميل

ويطوي عليّ الليل حضينه انني ... لذاك اذا هاب الرجال فعول

وصف القطاة

اجتمع العُجَيْر السلولي وأوس بن غلفاء الهُجَيْمي ومزاحم العقيلي والعباس بن يزيد بن الأسود الكندى وحميد بن ثور الهلالي فتفاخروا بأشعارهم وتناشدوا وادعى كل واحد منهم أنه أشعر من صاحبه ومرّ بهم سرب قطا ، فقال أحدهم تعالوْا حتى نصف القطا ثم نتحاكم الى من نتراضى به فأينا كان أحسن وصفاً لها غلب أصحابه ، فتراهنوا على ذلك

فقال عُدَيل بن الحجاج الهُجَيمى

أما القَطاة فانى سوف أنعتها ... نعتاً يوافق منها بعض ما فيها

سَكَّاء مخطومة فى ريشها طَرَق ... سود قوادمها صُفر خوافيها (١)

تنتاش صفراً بأُفحوص بقُنَّتها ... يكاد يأزي على الدُّعموص آزيها (٢)

---

(١) السكك قصر الاذن وصغرها وهو أسك وهى سكاء والطرق فى الريش أن يكون بعضها فوق بعض (٢) تنتاش تتناول بقية الماء والافحوص مجثم القطاة وهو الموضع الذى تفحص التراب عنه لتبيض فيه ويأزى يقل والدعموص الصغير من الضفادع

تسقى رَدِيَّين بالموماة قوتهما ... فى ثغرة النحر من أعلى تراقيها (١)
كأن مجلوزة قدام جؤجؤها ... أو جرو حنظلة لم يَعْدُ واعيها (٢)
تشتقُّ فى حيث لم تَنْفُذْ مُصعِدة ... ولم تُصوِّب الى أدنى مهاويها (٣)
حتى اذا استأنسا للوقت واحتضرت ... توجسا الوحى منها عند غاشيها (٤)
فرفعا من شئون غير ذا كية ... على لَدِيدَيْ أعالي المهد ألْحيها (٥)
مدا اليها بأفواه مزينــــة ... صُعْراً ليستنزلاها الرزق من فيها (٦)
كأنها حين مداها لجنأتها ... طَلَى بواطنها بالوَرْس طاليها (٧)
حَثْلين رَصَّا رُفاض القَيْض عن زَغَب ... وُرْق أسافلها بيض أعاليها (٨)
ترأَّدا حين قاما ثمت اختطيا ... على نحائف مُتْآد محانيها (٩)
تكاد من لينها تنآد أسؤقها ... تأوُّد الرَّبْل لم تعزم نواميها (١٠)
لاأشتكي نوشة (١١) الأيام من ورق ... الا الى من أرى أن سوف يشكيها
ادلهم (١٢) مأثرات قد عددن له ... ان المآثر معدود مساعيها
تنمى به من بني لأى دعائمها ... ومن جُمانة (١٣) لم تخضع سواريها
بنى له فى بيوت المجد والده ... وليس من ليس يبنيها كبانيها

---

(١) الردى الساقط من الضعف يريد فرخيها (٢) الجؤجؤ الصدر وجرو الحنظل صغاره ولم يعد من العداء أى لم يعد عليها فيكسرها (٣) اشتق الطريق فى الفلاة مضى فيها

(٤) توجسا تسمعا وحيها وسرعة طيرانها وغاشيها أى حين تغشاهما وتنتهى اليهما

(٥) الذاكية الشديدة الحركة ولديداه جانباه والالحى جمع اللحى بالفتح وهو عظم الحنك الذى عليه الاسنان (٦) الصعر جمع الاصعر وهو ما فيه صعر أى ميل الى أحد الجانبين

(٧) لجنأتها أى جنأت عليها بصدرها لتزقها ومعنى جنأت أكبت (٨) حثلين دقيقين ضاويين ورصا كسرا والرفاض ما ارفض وتفرق والقيض القشرة العليا اليابسة على البيضة

(٩) ترأدا تثنيا واختطيا دنوا ومتآد منعطف ومحانيها حيث انحنت (١٠) الربل ضرب من الشجر ينفطر آخر القيظ بعد الهيج ببرد الليل من غير مطر ، وتعزم تشتد ونواميها أعاليها

(١١) النوشة التناول (١٢) هو ممدوحه من بنى لأى ثم من بنى الهجيم

(١٣) هو جمانة بن جرير وهو أخ لدلهم

وقال حميد أبياتاً وصف ناقته فيها ، ثم خرج الى صفة القطاة فقال

كما انقبضت كدراء تسقى فراخها ... بشمظة رِفْها والمياهُ شُعوب (١)
غدت لم تَصعَّدْ فى السماء ودونها ... اذا ماعلت أُهْوِيَّة ولُهوب (٢)
قرينة سبع ان تواترن مرة ... ضربن فصفَّتْ أروس وجُنُوب (٣)
فجاءت وما جاء القطا ثم قلَّصتْ (٤) ... بمفحصها والواردات تنوب
وجاءت ومسقاها الذى وردت به ... الى الصدر مسرود العظام كتيب (٥)
تبادر أطفالا مساكين دونها ... بلالا تخطاه العيون رغيب
وصفن لها مُزْناً بأرض تنوفة ... فما هى الا نَهْلَة وتؤب

وقال العباس بن يزيد بن الأسود

حذَّاء مدبرة سكَّاء مقبلة ... للماء فى النحر منها نَوْطة عجب (٦)
تسقى أُزيغب تُرْوِيه مُجاجتها ... وذاك من ظمأة من ظِمئها شَرَب (٧)
مُنْهَرِت الشدق لم تنبت قوادمه ... فى حاجب العين من تسبيده زَبَب (٨)
تدعو القطا بقصير الخطو ليس له ... قدام منحرها ريش ولا زَغَب
تدعو القطا وبه تدعى اذا انتسبت ... يا صدقها حين تدعوه وتنتسب

وقال مزاحم العقيلى

اذاك أم كُدْرية هاج وِرْدَها ... من القيظ يوم واقد (٩) وسَموم

---

(١) انقبضت انقضت وشمظة موضع والرفه بالكسر أقصر الورد وأسرعه

(٢) الاهوية الوهدة العميقة واللهوب جمع لهب وهو مهواة ما بين كل جبلين

(٣) تواترت القطا جاءت بعضها خلف بعض ولم يجئن مصطفات وصف الطائر جناحيه فى السماء بسطهما ولم يحركهما (٤) قلصت انضمت (٥) كتب السقاء يكتبه خرزه بسيرين فهو كتيب

(٦) حذاء قليلة ريش الذنب والنوطة الحوصلة (٧) المجاجة ما تلقيه من فيها والشربة كالحويض يحفر حول النخلة والشجرة ويملأ ماء فيكون ريها فتتروي منه وجمعه شرب والظمء ما بين الشربين والوردين (٨) منهرت الشدق واسعه والزبب كثرة شعر الذراعين والحاجبين والعينين وسبد الفرخ بدا ريشه وشوك (٩) شديدة الحر

غدت كنواة القَسْب لا مضمحلة ... وَنَاة (١) ولا عجلى الفتور سؤوم
توائلك رجع المنكبين وترتمى ... الى كَلْكَل (٢) للهاديات قدوم
فما انخفضت حتى رأت ما يسرها ... وفىء الضحى قد مال وهو ذميم
أباطح وانتصت (٣) على حيث تستقى ... بها شَرَك للواردات مقيم
سقتها سيول المُدْجنات فأصبحت ... علاجيم (٤) تجرى مرة وتدوم
دعت باسمها حين استقت فاستقلها ... قوادم حُجْن ريشهن مليم
تجوز كحق الهاجرية (٥) زانه ... بأطراف عود الفارسى وُشوم
لتسقى زُغْباً بالتنوفة لم يكن ... خلاف مُوَلاَّها لهن حميم
ترائك (٦) بالأرض الفلاة ومن يدع ... بمنزلها الأولاد فهو مليم
اذا استقبلتها الريح طمّت رفيقة ... ومن بهوىً كالكراث جثوم
بواطئ وقصاء القفا وحشة الشوى ... بدعوى القطا لحن لهن قديم
فبتن قريرات العيون وقد جرى ... عليهن شرب فاستقين منيم
صبيب سقاء نيط قد بركت به ... معاودة سقى الفراخ رءوم

وقال العجير

سأغلب والسماء ومن بناها ... قطاة مزاحم ومن انتحاها
قطاة مزاحم وأبى المثنى ... على خرزية صُلْب شواها
غدت كالقطرة السفواء تهوي ... أمام مجلجل زَجِل نفاها
تكفأ كالجمانة لا تبالي ... أبالموماة أضحت أم سواها
نبت منها العجيزة فاحزألت ... ونيس للتفتل منكباها
كأن كعوبها أطراف نبل ... كساها الرازقية من براها

---

(١) بطيئة القيام والقعود والمشى (٢) الكلكل الصدر والهاديات الاعناق
(٣) انتصى استوى واستقام (٤) العلجوم الماء الغمر (٥) يعنى حق الطيب شبه حوصلتها به والوشوم يعنى النقبة التى فى صدرها (٦) جمع تريك بمعنى متروك

ونحا كموا الى ليلى الأخيلية أيهم أحسن وصفاً لها ، فقالت

ألا كل ما قال الرواة وأنشدوا بها غير ما قال السلولي بهرج

وحكمت له

الصمة القشيري

هو الصِّمة بن عبد الله بن الطُّفيل بن قُرّة من قُشَير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصعة

شاعر اسلامي بدوي مقلّ من شعراء الدولة الأموية ، ولجده قُرّة بن هُبَيرة صحبة بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو أحد وفود العرب الوافدين عليه صلى الله عليه وسلم فأسلم وقال يا رسول الله انا كنا نعبد الآلهة لا تنفعنا ولا تضرنا ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ذا عقلا

هوى الصمة امرأة من قومه ثم من بنات عمه دِنْياً يقال لها العامرية بنت غُطَيف بن حبيب بن قرة فاشتط عليه عمه فى المهر فسأل أباه أن يعاونه فى المهر وكان كثير المال فلم يُعِنه بشيء ، فسأل عشيرته فأعطوه ، فأتى بالابل عمه ، فقال لا أقبل هذه فى مهر ابنتى فاسأل أبك أن يبدلها لك ، فسأل ذلك أباه فأبى عليه ، فلما رأى ذلك من فعلها قطع عُقُلها وخلاها فعاد كل بعير منها الى الافه وتحمل الصمة راحلا ، فقالت بنت عمه حين رأته يتحمل تالله ما رأيت كاليوم رجلا باعته عشيرته بأبعرة ، ومضى من وجهه حتى لحق بالثغر فقال وقد طال مقامه واشتاقها وندم على فعله

حننتَ الى ريّا ونفسك باعدت مزارك من ريّا وشَعْبا كما معا

فما حسن أن تأتى الأمر طائعاً وتجزعَ أن داعى الصَّبابة أسمعا

قفا ودعا نجداً ومن حل بالحمى وقل لنجد عندنا أن يودعا

بنفسي تلك الارض ما أطيب الربا ... وما أحسن المصطاف والمتربعا
ولما رأيت البشر أعرض دوننا ... وجالت بنات الشوق يحنن نزّعا
بكت عيني اليسرى فلما زجرتها ... عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا
تلفتُّ نحو الحي حتى وجدتني ... وَجِعتُ من الاصغاء لِيتا وأخدعا
وأذكر أيام الحمى ثم أنثني ... علي كبدي من خشيةٍ أن تصدعا
وليست عشيات الحمى برواجع ... اليك ولكن خلّ عينيك تدمعا

وقال فيها

لعمري لئن كنتم على النأي والقِلَى ... بكم مثل مابي انني لصديق
اذا زفرات الحب صعّدن في الحشى ... رُددن ولم تنهج لهن طريق

وقال فيها أيضاً

اذا ما أتتنا الريح من نحو أرضكم ... أتتنا بريّاكم فطاب هبوبها
أتتنا بريح المسك خالط عنبرا ... وريح الخُزامَى باكرتها جنوبها

وقال فيها

هل تَجزِيَنّي العامرية موقفي ... علي نسوة بين الحِمَي وغَضَي الجمر
مررن بأسباب الصبا فذكرتها ... وأومأت اذ مامن جواب ولا نكر

ومن قوله

ألا تسألان الله أن يسقي الحمى ... بلى فسقى الله الحمى والمطاليا
وأسأل من لاقيت هل مطِر الحمى ... فهل يسألنْ عني الحمى كيف حاليا

وقال

تعز بصبر لا وجدك لا ترى ... سنام الحمى أخرى الليالي الغوابر
كأن فؤادي من تذكره الحمى ... وأهل الحمى يهفُو به ريش طائر

وكان ابن الاعرابى يستحسن قوله[1]

أما وجلال الله لو تذكرينني		كذكريك ما كفكفت للعين مدمعا
فقالت بلى والله ذكر لو أنه		يصب على صم الصفا لتصدعا

ومن جيد قوله

اذا نأت لم تفارقني عُلالتها		وان دنت فصدود العاتب الزارى
فحال عينيّ من يوميك واحدة		تبكي لفرط صدود أو نوي دار

يزيد ابن الطثرية

هو يزيد بن سَلَمة من بني قُشَير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصعة ، والطَّثْرية أُمه من الطثر وهم حي من اليمن عدادهم فى جرْم ، ويكني أبا المكشوح وكان يلقب « مُودِقاً » لحسن وجهه وحسن شعره وحلاوة حديثه فكانوا يقولون اذا جلس بين النساء أودق ، وكان يقول من أُفحم عند النساء فليُنْشد من شعري ، وكان كثيراً ما يتحدث الى النساء ، قالت سعاد بنت يزيد كان من أحسن من مضى وجهاً وأطيبه حديثاً وان النساء كانت مفتونة به ، وان الناس أمحلوا حتى ذهبت الدقيقة من المال وتهتكت الجليلة ، فأقبل صِرْم من جَرْم ساقته السنة والجدب من بلاده الى بلاد بني قُشَير « وكان بينهم وبين قشير حرب عظيمة » فلم يجدوا بُدًا من رمى قشير بأنفسهم لما قد ساقهم من الجدب والمجاعة ودقة الأموال وما أشرفوا عليه من الهلكة ، ووقع الربيع فى بلاد بني قشير فانتجعها الناس وطلبوها ، فلم يعد أن لقيت جرم قشيراً فنصبت قشير لهم الحرب ، فقالت جرم انما جئنا مستجيرين غير محاربين « قالوا مما ذاقوا من السنة والجدب والهلكة التى لا باقية لها » فأجارتهم قشير وسالمتهم وأرعتهم طرفاً من بلادها ، وكان فى جَرْم فتى يقال له ميّاد وكان غزلاً حسن الوجه تام القامة آخذاً بقلوب النساء

(١) الصحيح أنهما لقيس بن ذريح

« والغزل فى جرم جائز حسن وهو فى قشير نائرة » فلما نازلت جرم قشيراً وجاورتها أصبح مياد الجرمى فغدا الى القشيريات يطلب منهن الغزل والصبا والحديث واستبراز الفتيات عند غيبة الرجال واشتغالهم بالسقى والرعية وما أشبه ذلك ، فدفعنه عنهن وأسمعنه ما يكره ، وراحت رجالهن عليهن وهن مغضبات ، فقال عجائز منهن والله ما ندري أأرعيتم جرما المرعى أم أرعيتموهم نساءكم ؟ فاشتد ذلك عليهم فقالوا وما أدرا كنه ؟ قلن رجل منذ اليوم ظل محجراً لنا ما يطلع منا رأس واحدة يدور بين بيوتنا ، فقال بعضهم لبعض بيتوا جرماً فاصطلموها ، وقال بعضهم قبيح ، قوم قد سقيتموهم مياهكم وأرعيتموهم مراعيكم وخلطتموهم بأنفسكم وأجرتموهم من القحط والسنة تفتاتون عليهم هذا الافتيات ، لا تفعلوا ولكن تصبحون وتقدمون الى هؤلاء القوم فى هذا الرجل فانه سفيه من سفهائهم فليأخذوا على يديه فان يفعلوا فأتموا لهم احسانكم وان يمتنعوا ويقروا ما كان منه يحل لكم البسط عليهم وتخرجوا من ذمتهم ، فأجمعوا على ذلك ، فلما أصبحوا غدا نفر منهم الى جرم ، فقالوا ما هذه البدعة التي قد جاورتمونا بها ؟ ان كانت هذه البدعة سجية لكم فليس لكم عندنا إرعاء ولا إسقاء فبرزوا عنا أنفسكم وأذنوا بحرب ، وان كانت افتتاناً فغيروا على من فعله ، فانهم لم يعدوا أن قالوا لجرم ذلك فقام رجال من جرم وقالوا ما هذا الذي نالكم ؟ قالوا رجل منكم أمس ظل يجر أذياله بين أبياتنا ماندرى علام كان أمره ، فقهقهت جرم من جفاء القشيريين وتجرفيتهم وقالوا انكم لتحسون من نسائكم ببلاء ألا فابعثوا الى بيوتنا رجلاً ورجلاً ، فقالوا والله ما نحس من نسائنا ببلاء وما نعرف منهن الا العفة والكرم ولكن فيكم الذى قلتم ، قالوا فانا نبعث رجلاً الى بيوتكم يا بني قشير اذا غدت الرجال وأخلف النساء وتبعثون رجلاً الى بيوتنا ونتحالف أنه لا يتقدم رجل منا الى زوجة ولا أخت ولا بنت ولا يعلمها بشيء مما دار بين القوم فيظل كلاهما فى بيوت أصحابه حتى يردا علينا عشياً

الماء وتخلى لهما البيوت ولا تبرز عليهما امرأة ولا تصادق منهما واحداً فيقبل منها صرفاً ولا عدلاً الا بموثق يأخذه عليها وعلامة تكون معه منها ، قالوا اللهم نعم ، فظلوا يومهم ذلك وباتوا ليلتهم حتى اذا كان من الغد غدوْا الى الماء وتحالفوا أنه لا يعود الى البيوت منهم أحد دون الليل ، وغدا مياد الجرمى الى القشيريات وغدا يزيد ابن الطثرية القشيري الى الجرميات فظل عندهن بأكرم مظلّ لا يصير الى واحدة منهن الا افتتنت به وتابعته الى المودة والاخاء وقبض منها رهناً وسألته ألّا يدخل من بيوت جرم الا بيتها ، فيقول لها وأى شيء تخافين ؟ وقد أخذتِ مني المواثيق وليس لأحد في قلبي نصيب غيرك ، حتى صليت العصر ، فانصرف يزيد بفتخ وبراقع وانصرف مكحولاً مدهوناً شبعان ريّان مُرَجّل اللمّة ، وظل مياد الجرمى يدور بين بيوت القشيريات مرجوماً مقصًى لا يتقرب الى بيت الا استقبلته الولائد بالعمد والجندل ، فتهالك لهن وظن أنه ارتياد منهن له حتى أخذه ضرب كثير بالجندل ورأى اليأس منهن وجهده العطش ، فانصرف حتى جاء الى سَمُرة قريباً الى نصف النهار فتوسد يديه ونام تحتها نويمة حتى أفرجت عنه الظهيرة وفاءه الأظلال وسكن بعض ما به من ألم الضرب وبرد عطشه قليلاً ثم قرب الى الماء حتى ورد على القوم قبل يزيد فوجد أمة تذود غنماً فى بعض الظعن فأخذ برقعها فقال برقع واحدة من نسائكم فطرحه بين يدي القوم وجاءت الأمة تعدو فتعلقت ببرقعها فرد عليها وخجل مياد خجلاً شديداً ، وجاء يزيد ممسياً وقد كاد القوم أن يتفرقوا فنثر كمه بين أيديهم ملآن براقع وفتخاً ، وقد حلف القوم ألّا يعرف رجل شيئاً الا رفعه ، فلما نثر ما معه اسودّت وجوه جرم وأمسكوا بأيديهم إمساكة ، فقالت قشير أنتم تعرفون ما كان بيننا أمس من المواثيق وتحرج الأموال والأهل ، فمن شاء أن ينصرف الى حرام فليمسك يده ، فبسط كل رجل يده الى ما عرف ، فأخذه وتفرقوا عن حرب وقالوا هذه مكيدة يا قشير ، فقال فى ذلك يزيد ابن الطثرية

فان شئت يا ميّاد زرنا وزرتم ولم تُنفس الدنيا على من يصيبها
أيذهب مياد بألباب نسوتي ونسوة ميــــاد صحيح قلوبها

وقال مياد

لعمرك ان جمع بني قشير لجرم في يزيد لظالمونا
أليس الظلم أن أبك منا وأنك فى كتيبة آخرينا
أحالفة عليك بنو قشير يمين الصبر أم متحرجونا

وبلي يزيد بعشق جارية من جرم فى ذلك اليوم يقال لها وحشية وكانت من أحسن النساء ، ونارتهم جرم فلم يجد اليها سبيلا ، فصار من العشق الى أن أشرف على الموت واشتد به الجهد فجاء اليه ابن عم له يقال له خليفة بن بوزل بعد اختلاف الأطباء اليه يأسهم منه ، فقال يا ابن عم قد تعلم أنه ليس الى هذه المرأة سبيل وأن المزي أجمل فما أرك فى أن تقتل نفسك وتأثم بربك ؛ قال وما هي يا ابن عم بنفسي ، مالي فيها أمر ولا نهى ولا همي الا نفس الجرمية فان كنت تريد حياتى فأرنيها ، قل كيف الحيلة ؛ قل تحملني اليها ، فحمله اليها وهو لا يطمع في الجرمية الا أنهم كانوا اذا قلوا له نذهب بك الى وحشية أبلّ قليلا وراجع وطمع واذا أيس منها اشتد به لوجع ، فخرج به خليفة بن بوزل فحمله فتخلل به اليمن حتى اذا دخل فى قبيلة انتسب الى أخرى ويخبر أنه طالب حاجة ، وأبل حتى صلح بعض الصلاح وطمع فيه ابن عمه وصار بعد زمان الى حى وحشية فلقى الرعيان وكنا فى جبل من الجبال ، فجعل خليفة ينزل فيتعرض لرعيان الشاة فيسألهم عن راعى وحشية رجالها حتى لقى غلامها وغنمها فواعدهم موعداً وسألهم ما حال وحشية ؛ فقال غلامها هى والله بشر لا حفظ الله بنى قشير ولا يوماً رأيناهم فيه فما زالت عليلة منذ رأيناهم ، وكان بها طرف مما بابن الطثرية ، فقال ويحك فان ههنا انساناً يداويها ولا تقل لأحد غيرها ، قال نعم ان شاء الله تعالى ، فأعلمها الراعى ما قال له الرجل

حين صار النبا ، فقالت له ويك فجيء به ، ثم انه خرج فلقيه الغد فأعلمه وظل عنده يرعى غنمه وتأخر عن الشاة حتى تقدمته الشاة وجنح الليل وانحدر بين يدي غنمه حتى أراحوا ، ومشى فيها يزيد حتى قربت من البيت على أربع وتجلل شملة سوداء بلون شاة من الغنم ، فصار الى وحشية فسرت به سروراً شديداً وأدخلته ستراً لها وجمعت عليه من الغد من تثق به من صواحباتها وأترابها ، وكان قد عهد الى ابن عمه أن يقيم فى الجبل ثلاث ليال فان لم يره فلينصرف ، فأقام يزيد عندها ثلاث ليال ورجع الى أصح مما كان عليه ثم انصرف فصار الى صاحبه ، فقال ما وراءك يا يزيد ؟ ورأي من سروره وطيب نفسه ماسره فقال

لوآنك شاهدت الصبا يا ابن بوزل … بجزع الغضا اذا راجعتني غياطله

بأسفل حل الملح اذ دين ذى الهوى … مؤدًى واذ خير الوصال أوائله

لشاهدت يوماً بعد شحط من النوى … وبعد تنائى الدار حلواً شمائله

ألا حبذا عيناك يا أم شنبل … اذ الكحل فى جفنيهما جال جائله

فداك من الخلان كل ممزّج[1] … تكون لأدنى من يلاقى وسائله

فرحنا تلقانا به أم شنبل … ضُحَيًا وأبكتنا عشياً أصائله

وكنت كأني حين كان كلامها … وداعاً وخلى موثق العهد حمله

رهيناً بنفس لم تفك كبوله … عن الساق حتى جرد السيف قاتله

فقلت دعوني سجدتين وأرعدت … حذار الردى أحشاؤه ومفاصله

ومن هذه القصيدة

بنفسي من لو مرّ برد بنانه … على كبدي كانت شفاء أنامله

ومن هابني فى كل أمر وهبته … فلا هو يعطيني ولا أنا سائله

(١) المزج الذى لا يثبت على خلق

وكتب يزيد الى وحشية

أحبك أطراف النهار بشاشة　　وبالليل يدعوني الهوى فأجيب
لئن أصبحت ريح المودة بيننا　　شمالاً لقِدْماً كنت وهي جنوب

فأجابته بقولها

أحبك حب اليأس ان نفع الحيا　　وان لم يكن لي من هواك طبيب

تزاور قوم من بنى نمير وقوم من بنى جعفر ، فزار شبان من بنى جعفر بيوت بنى نمير فقبلوا وحدثوا وزار بنو نمير بنى جعفر فلم يقبلوا فاستنجدوا ابن الطثرية فزار معهم بيوت بنى جعفر فأنشدهن وحدثهن فأعجبن به واجتمعن اليه من البيوت فتوعد بنو جعفر ابن الطثرية ، فتتاركوا وأمسك بعضهم عن بعض ، فأرسلت أسماء الجعفرية الى ابن الطثرية ألاَّ تقطعني وان منعت فانى سأتخلص الى لقائك فأنشأ يقول

خليليَّ بين المنحنَى من مُخَمَّر　　وبين الحمى من عرْفَجاء المقابل
قفا بين أعناق الهوى لمُرِيَّة　　جنوب تداوى كل شوق مماطل
لكيما أرى أسماء أو لتَمسَّنى　　رياح بريَّاها لِذاذ الشمائل
لقد جادلت أسماء دونك باللوى　　عيون العدى سقياً لها من مجادل
ودسَّتْ رسولاً ان حولي عصابة　　هم الحرب فاستبطن سلاح المقاتل
عشية مالي من نصير بأرضها　　سوى السيف ضمته الى حمائلى
فيأيها الواشون بالغش بيننا　　فُرادى ومثْنَى من عدو وعاذل
دعوهن يتبعن الهوى وتبادلوا　　بنا ليس بأس بيننا بالتبادل
تروا حين نأتيهن نحن وأنتمُ　　لمن وعلى مَنْ وطأة المتثاقل
ومن عُرِّيت للهو قِدْماً ركابه　　وشاعت قوافي شعره فى القبائل
تبرز وجوه السابقين وتختلط　　على المقرف الكابى غبار القنابل

فان تمنعوا أسماء أو يك نفعها ... لكم أو تدِبُّوا بيننا بالغوائل
فان تمنعونى أن أعلل صحبتي ... على كل شر من مدى العين قابل

كان يزيد شريفاً متلافاً يغشاه الدين فاذا أخذ به قضاه عنه أخ له يقال له ثَوْر، ثم انه كثر عليه دين لمولى لعقبة بن شريك الحَرَشى يقل له البربرى فحبسه له عقبة بالعقيق من بلاد بنى عقيل وعقبة عليها يومئذ أمير، فقال فى السجن

قضى غرمائى حب أسماء بعد ما ... تجردت من مطْل لهم وغرور
فلو قل دين البربري قضيته ... ولكن دين البربري كثير
وكنت اذا حلت عليَّ ديونهم ... أضم جناحى منهمُ فأطير
عليَّ لهم في كل شهر أدية ... ثمانون وافٍ نقدها وجزُور
نحن الى ثور فنيم رحيلنا ... وثور علينا فى الحياة صبور
أشد على ثور وثور اذ رأى ... بنا خَلَّةً جزْل العطاء غفور
فذلك دأبي ما بقيت وما مشى ... لثور على ظهر البلاد بعير

وله القصيدة التي أولها — أمسى الشباب مودعاً محموداً — وهى من جيد شعره يقول فيها

ومُدَله عند التبدل يفترى ... منها الوشاح مُخَصَّراً أملودا
نازعتها غُنْم الصبا ان الصبا ... قد كان مني للكواعب عيدا
يا للرجال وانما يشكو الفتى ... مرّ الحوادث أو يكون جليدا
بكرت نوار تجذ باقية القوى ... يوم الفراق وتُخلف الموعودا
ولرب أمر هوى يكون ندامة ... وسبيل مكرهة يكون رشيدا

ثم قال يفخر

لا أتقى حَسَك الضغائن بالرُّقَى ... فعل الذليل وان بقيت وحيدا
لكن أجرد للضغائن مثلها ... حتى تموت وللحقود حقودا

ومنها يخاطب عقبة بن شريك

يا عُقْبَ قدشذُبَ اللِّحاء عن العصا ... مني وكنت مؤزراً محمودا
صل لي جناحي واتخذني عدة ... ترمى به المتعاشي الصنديدا

مرَّ يزيد بأعداء له فأرادوه وهو على راحلته فركضها وركضوا الابل على أثره. فخشى أن يدركوه وكانت نفسه عنده أوثق من الراحلة فنزل فسبقهم عدواً وأدركوا الراحلة فعقروها ، فقال في ذلك

ألا هل أتى ليلى على نأى دارها ... بأن لم أقاتل يوم صحراء مذودا
وأنى أسلمت الركاب فعقّرت ... وقد كنت مقداماً بسيفى مفردا
أثرت فلم أستطع قتالاً ولا ترى ... أخا شيعة يوماً كآخر أوحدا
فهل تضرمنَّ الغانيات مودتي ... اذا قيل قد هاب المنون فعرّدا

كان يزيد صاحب غزل ومحادثة للنساء ، وكان ظريفاً جميلاً من أحسن الناس كلهم شعراً وكان أخوه ثور كثير المال والنخل والرقيق وكان متنسكاً كثير الحج والصدقة كثير الملازمة لابله ونخله فلا يكاد يُلِمّ بالحى الا الفلْتَة والوقعة وكانت ابله ترِد مع الرعاء على أخيه يزيد فتسقى على عينه ، فبينا يزيد ماراً فى الابل وقد صدر عن الماء اذ مرّ بخباء فيه نسوة من الحاضر ، فلما رأينه قلن له يا يزِيد أطعمنا لحماً ، فقال أعطينى سكيناً فأعطينه ونحر لهن ناقة من ابل أخيه وبلغ الخبر أخاه ، فلما جاء أخذ بشعره وفسَّقه وشتمه ، فقال يزيد

ياثور لا تشتُمنْ عرضى فداك أبى ... فانما الشتم للقوم العواوير (١)
ما عقرُ ناب لأمثال الدُّمى خرُد ... عين كرام وأبكار معاصير (٢)
عطفن حولي يسألن القِرَى أُصُلاً ... وليس يرضَيْنَ منى بالمعاذير

(١) العوار بضم العين وتشديد الواو الضعيف الجبان وجمعه عواوير
(٢) المعاصير جمع معصر وهى المرأة بلغت شبابها

هببن ضيفاً عراكم بعد هجعتكم ... في قِطْقِطٍ[1] من سواد الليل منثور

وليس قربكمُ شاء ولا لبناً ... أيرحل الضيف عنكم غير مجبور

ما خَيْرُ واردة للماء صادرة ... لا تنجلي عن عقير الرجل منحور

استعدت جَرْم على ابن الطثرية في وحشية فكتب بها صاحب اليمامة الى نور وأمره بأدبه ، فجعل عقوبته حلق لمته ، فقال يزيد

أقول لثور وهو يحلق لمتي ... بحجناء[2] مردود عليها نصابها

ترفق بها يا ثور ليس ثوابها ... بهذا ولكن غير هذا ثوابها

ألا ربما يا ثور قد علّ وسطها ... أنامل رَخْصَات حديث خِضابها

وتسلك مِدْرَى العاج في مُدْلَهِمَّة ... اذا لم تفرج مات غماً صُؤَابها

فراح بها ثور تَرِفُّ كأنها ... سلاسل برق لينها وانسكابها

منعمة كالشَّرْبة الفَرْد جادها ... تجاه الثريا هطلها وذهابها

فأصبح رأسي كالصُّخَيرة أشرفت ... عليها عُقَاب ثم طارت دقابها

قتل يزِيد ابن الطثرية في خلافة بنى العباس قتلته بنو حنيفة ، فقالت أخته زينب ترثيه

أرى الأَثْل من بطن العقيق مجاورى ... مقيماً وقد غالت يزيد غوائله

فتى قُدَّ قد السيف لا متضائل ... ولا رهل لَبَّاته وبآدله

فتى لا ترى قد القميص بخصره ... ولكنما توهى القميص كواهله

اذا نزل الضيفان كان عَذَوَّرا ... على الحى حتى تستقل مراجله

يسرك مظلوماً ويرضيك ظالماً ... وكل الذى حملته فهو حامله

اذا جد عند الظلم أرضاك جده ... وذو باطل ان شئت ألهاك باطله

اذا القوم أمُّوا بيته فهو عامد ... لأفضل ما أمُّوا له فهو فاعله

---

(١) القطقط المطر المتتابع العظيم القطر (٢) هي الموسى

مضى وورثناه دَرِيسَ مُفاضة | وأبيض هندياً طويلاً حمائله
وقد كان يحمى المحجرين بسيفه | ويبلغ أقصى حجرة الحى نائله
فتى ليس لابن العم كالذئب ازرأى | بصاحبه يوماً دماً فهو آكله
سيبكيه مولاه اذا ما ترفعت | عن الساق عند الروع يوماً ذلاذله[1]

وقال القحيف يرثيه

ألا تبكي سراة بنى قشير | على صنديدها وعلى فتاها
فان يقتل يزِيد فقد قتلنا | سَراتهمُ الكهول على لحاها
أبا المكشوح بعدك من يحامى | ومن يُزجي المطىّ على وَجاها

عبد الله بن الحشرج

هو عبد الله بن الحَشْرَج بن الأشهب بن ورد الجعدى من جعدة بن كعب ابن ربيعة بن عامر

كان عبد الله سيداً من سادات قيس وأميراً من أمرائها ولى أكثر أعمال خُراسان ومن أعمال فارس وكرمان وكان جواد ممدحا ، وكان أبوه الحشرج سيداً شاعراً وأميراً كبيراً وكان غلب على قُهُسْتان زمن عبد الله بن خازم المسيبُ بن أبى أوفى القسري فقتل الحشرج وأخذ قهستان ، وكان عمه زياد بن الأشهب أيضاً شريفاً سيداً وكان قد سار الى أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام يصلح بينه وبين معاوية على أن يوليه الشام فلم يجبه

جاء الى عبد الله وهو بقهستان رجل من قريش يقال له قدامة بن الاحرز فدخل عليه فأنشأ يقول

أخ وابن عم جاءكم متحرزاً | فعطفاً على خلاته يا ابن حشرج

---

(١) الذلاذل هدب الثوب

فأنت ابن ورد سدت غير مدافع ... مَعَدًّا على رغم المَنوط المعلّج[1]
فبرزت عفواً اذ جريت ابن حَشْرج ... وجاء سُكَيْتا كل أعْقَدَ أفْحَجَ[2]
سبقت ابن ورد كل حاف وناعل ... بجد اذا جاء الأضاميم سُمْحَجَ[3]
بورد بن عمرو فَنُهم ان مثله ... قليل ومن يشر المحامد يفْلَجَ
هو الواهب الأموال والمشتري اللُّها ... وضراب رأس المستميت المدجج

فأعطاه أربعة آلاف درهم وقال اعذرنى يا ابن عمى فانى على حالة الله بها عليم من كثرة الطلاب وأنت أحق من عذرنى، قال والله لو لم تعطنى شيئاً مع ما أعلمه من جميل رأيك فى عشيرتك ومن انقطع اليك لعذرتك فكيف وقد أجزلت العطاء وأرغمت الأعداء

كان لابن الحشرج ابن عم يقول للقَسْرى ويحك ليس عنده خير وهو يكذبك ويلمزك فبلغ ذلك عبد الله بن الحشرج فقال

أطل حمل الشَّناءة لى وبغضى ... وعش ما شئت فانظر من تَضير
فما بيديك خيرٌ أرتجيه ... وغير صدودك الخطب الكبير
اذا أبصرتنى أعرضت عنى ... كأن الشمس من قبلى تدور
وكيف تعيب من تمشى فقيرا ... اليه حين تَحزُبُك الامور
ومن ان بعت منزلة بأخرى ... حللت بأمره وبه تسير
أتزعم أننى مَلِذٌ[4] كذوب ... وأن المكرمات الى بور
وكيف أكون كذابا ملوذا ... وعندى يطلب الفرجَ الضرير
أواسى فى النوائب من أتانى ... ويخبرنى أخو الضر الفقير

---

(١) المعلوج الذى ليس بخالص النسب والمنوط الدعى (٢) الافحج المتكبر والاعقد الذى فى لسانه عقدة والسكيت بتشديد الكاف وتخفيفها آخر خيل الحلبة
(٣) الاضاميم جمع أضامة وهى الجماعة يقال فرس سباق الاضاميم أى جماعات الخيل والفرس السمحج القباء غليظة اللحم المعتزة (٤) الملذ المتصنع الذى لا يصح وده بل يظهر النصح ويضمر غيره

أسرف ابن الحشرج في العطاء فقالت له امرأته لشد ما يتلاعب الشيطان بك وصرت من اخوانه مبذراً كما قال الله عز وجل « ان المبذرين كانوا إخوان الشياطين » فقال لرفاعة بن روى النهدى وكان أخا له وصديقا يارفاعة ألا تسمع الى ما قالت هذه الوَرْهاء وما تتكلم به ؟ فقال صدقت والله وبَرَّت انك لمبذر وان المبذرين لاخوان الشياطين فقال ابن الحشرج في ذلك

متى يأتنا الغيث المغيث بجد لنا ... مكارم ما تعيا بأموالنا التُّلْد
مكارم ماجدنا به اذ تمنعت ... رجال وضنت فى الرَّخاء وفى الجهد
أردنا بما جدنا به من تِلادنا ... خلاف الذى يأتى خيار بنى نَهْد
تلوم على اتلافىَ المال خلتى ... ويُسعدها نهد بن زيد على الزهد
أنهد بن زيد لست منكم فتشفقوا ... علىّ ولا منكم غواى[1] ولا رشدى
أبَيت صغيرا ناشئاً ما أردتمُ ... وكهلا وحتى تبصرونى في اللحد
سأبذل مالى ان مالى ذخيرة ... لعقبي وما أجنى به ثمر الخلد
واست بمبكاء على الزاد باسل ... يهر على الازواد كالأسد الورد
ولكننى سمح بما حزت باذل ... لما كلفت كفاى فى الزمن الجحد
بذلك أوصانى الرُّقاد[2] وقبله ... أبوه بأن أعطى وأوفى بالعهد

ومن قوله فى ذلك

سأجعل مالي دون عرضى وقاية ... من الذم ان المال يَفْني ويَنْفَد
ويبقى لى الجود اصطناع عشيرتي ... وغيرهمُ والجود عز مؤبد
ومتخذ ديناً علىّ سماحتى ... بمالى ونار البخل بالذم توقد
يبيد الفتى والحمد ليس ببائد ... ولكنه للمرء فضل مؤكد

(١) أراد غوايتى لحذف التاء للضرورة (٢) هو الرقاد بن عمرو بن ربيعة بن جعدة وهو من عمومته وكان شجاعاً سيداً جواداً

ولا شيء يبقى للفتى غير جوده بما ملكت كفاه والقوم شهد
ولائمة في الجود نهنهت غَرْبها وقلت لها يبني المكارم أحمد
فلما ألحت فى الملامة واعترت بذلك غيظى واعتراها التبلد
فلجت وقالت أنت غاو مبذر قرينك شيطان مَريد مفند
فقلت لها بينى فما فيك رغبة ولى عنك فى النسوان ظل ومقعد
وعيش أنيق والنساء معادن فمنهن غُلّ شرها يتمرد
لها كل يوم فوق رأسى عارض من الشر براق يدَ الدهر يرْعُد
وأخرى يَلذّ العيش معها ضجيعها كريم يغاديها من الطير أسعد
فيا رجلا حرا خذ القصد واترك البلايا فان الموت للناس موعد
فعش ناعما واترك مقالة عاذل يلومك فى بذل الندى ويفنّد
وجد بالُّلهى ان السماحة والندى هى الغاية القصوى وفيها التمجد
وحسب الفتى مجداً سماحة كفه وذى المجد محمود الفعال تمجد

فقالت له امرأته والله ما وفقك الله لحظك أنهبت مالك وبذرته وأعطيته هيان بن بيان وما تدرى من أيها فئة هو، فغضب فطلقها وكان لها محباً وبها معجبا فعنفه فيها ابن عم لها يقال له حنظلة بن الاشهب بن رميلة وقال له نصحتك فكافأتها بالطلاق فوالله ما وفقت لرشدك ولانلت حظك ولقد خاب سميك بعدها عند ذوى الألباب فهلا مضيت لطيتك وجريت على ميدانك ولم تلتفت الى امرأة من أهل الجهالة والطيش لم تخلق للمشورة ولا مثل رأيها يهتدى به فقال ابن الحشرج لحنظلة

أحنظل دع عنك الذى نال ماله ليحمده الاقوام فى كل محفل
فكم من فقير بائس قد جبرته ومن عائل أغنيت بعد التبعل
ومن مرتق عن منهل الحق حائد علوت بعضْب ذى غِرارين منصل

وزارٍ عليّ الجود والجود شيمتى فقلت له دعني وكن غير مفضل
فتلك قد عاصيت دهراً ولم أكن لأسمع أقوال اللئيم المبخل
أبى لى جدى البخلَ مذ كان يافعاً صغيراً ومن يبخل يُلَمْ ويضلل
وتستغن عنه الناس فاركب محجة الـ كرام ودع ما أنت عنه بمعزل
ومستحمق غاو أتته نذيرتي فلج ولم يعرف مَعَرَّة مقولى
فانى امرؤ لا أصحب الدهر باخلا لئيما وخير الناس كل معذل
نفحت ببيت يملأ الفم شارد له خبر كأنه خير مقول
فكف ولولم أرمه شاع قوله وصار كُذُرْيَاق الذُّعاف المُثَمَّل
وليل دَجُوجي سريت ظلامه بناجية كالبرق وَجْناء عيهل[1]
الى ملك من آل مروان ماجد كريم المحيّا سيد متفضل
يجود اذا ضنت قريش برفدها ويسبقها فى كل يوم تَفَضُّل
أبوه أبو العاصى اذا الخيل شمرت فراها بمسنون الغرارين منجل
وقور اذا هاجت به الحرب مرجَم صبور عليها غير نكْس مهلَّل[2]
أقام لأهل الأرض دين محمد وقد أدبروا وارتاب كل مضلل
فما زال حتى قوم الدين سيفُه وعزّ بحزم كل قرم مُحجل
وغادر أهل الشرك حتى كأنهم قتيل وناج فوق أجرد هيكل
نجا من رماح القوم قِدْما وقد بدا تباشيره فى العارض المتهلل

يعني بهذا المدح محمد بن مروان لما قتل مصعب بن الزبير بدير الجاثليق وكان محمد يقوم بأمره ويوَليه الأعمال ويشفع له الى أخيه عبد الملك

ومن قوله لابن عم له لامه فى إنهاب ماله وتبذيره إياه

وعاذلةٍ هبت بليل تلومني وتعذُلنى فيما أُفيد وأُتلف

(١) ناقة عيهلة وعيهل ضخمة عظيمة والوجناء الناقة الشديدة (٢) هلل جبن وفر

تلومنها حتى اذا هى أ كثرت أتيت الذى كانت لدى توكف[1]
وقالت عليك انفخ أكثرت فى الندى ومثلي تحاماه الألدّ المغطرف
أبى لي ما قد سمتني غير واحد أب وجدود مجدها ليس يوصف
كهول وشبان مضوا لسبيلهم اذا ذكروا فالعين منى تذرف
هم الغيث ان ضنت سماء بقطرها وعندهم يرجو الحيا متلهف
وحرب يخاف الناس شدة حرها وطل[2] بأنواع المنية يصرف
حموها وقاموا بالسيوف لحيها اذا فنيت أضحت لهم وهى تعصف
فلما أبت الا طماحاً تنمروا بأسيافهم والقوم فيهم تعجرف
فذلت وأعطت بالقياد وأذعنت اذا ما اشتهى قومى وذو الذل ينصف
وكانت طموح الرأس يصرف نابها من الشر تارات وطوراً تقفقف[3]
فذرت طباقاً وارعوت بعد حملها وكنا زماناً للذى يتصلف

وقال لرفاعة النهدى فيما كان يلومه فيه من التبذير والجود

ألام على جودي وما خلت أننى ببذلي وجودي حدت عن منهل القصد
فيا لائمي فى الجود أقصر فاننى سأبذل مالي فى الرخاء وفى الجهد
وجدت الفتى يفنى وتبقى فعاله ولا شيء خير في الحديث من الحمد
وانى بالله احتيالي وحرقتي أصير جارى بين أحشاى والكبد
أرى حقه فى الناس ما عشت واجباً عليَّ وآتى ما أتيت على عمد
وصاحب صدق كان لي ففقدته وصيرنى دهري الى سائق وغد
يلوم فعالي كل يوم وليلة ويعدو على الجيران كالأسد الورد
يخالفنى فى كل حق وباطل ويأنف أن يمشى على منهج الرشد
فلما تمادى قلت غير مسامح له النهج فاركب يا عسيف بنى نهد

(١) التوكف التوقع والانتظار (٢) الطل الحية (٣) القفقفة الرعدة

مجنون بنى عامر

هو قيس بن الملوح بن مزاحم من عامر بن صعصعة

آراء منكري حديثه

قال أيوب بن عباية سألت بنى عامر بطناً بطناً عن مجنون بنى عامر فما وجدت أحداً يعرفه ، وقال ابن داب قلت لرجل من بنى عامر أتعرف المجنون وتروى من شعره شيئاً ؟ قال أو قد فرغنا من شعر العقلاء حتى نروى أشعار المجانين ؟ انهم لكثير ، فقلت ليس هؤلاء أعنى انما أعني مجنون بني عامر الذى قتله العشق ، فقال هيهات ، بنو عامر أغلظ اكباداً من ذاك ، انما يكون هذا فى هذه اليمانية الضعاف قلوبها السخيفة عقولها الصَّلعة رؤسها ، فاما نزار فلا ، وقال الاصمعى رجلان ما عرفا فى الدنيا قط الا باسم ، مجنون بنى عامر وابن القِرِّيَّة فانهما وضعهما الرواة ، وقال ابن الكلبى حدثت أن حديث المجنون وشعره وضعه فتى من بني أمية كان يهوى ابنة عم له وكان يكره أن يظهر ما بينه وبينها فوضع حديث المجنون وقال الأشعار التى يرويها الناس للمجنون ونسبها اليه ، وقال عوانة المجنون اسم مستعار لا حقيقة له وليس له فى بنى عامر أصل ولا نسب ، فسئل من قال هذه الاشعار ؟ فقال فتى من بنى أميـة ، وقال الجاحظ ما ترك الناس شعراً مجهول القائل قيل فى ليلى الا نسبوه الى المجنون ولا شعراً هذا سبيله قيل فى أُبْنَى الا نسبوه الى قيس بن ذَرِيح ، وقال عوانة ثلاثة لم يكونوا قط ولا عرفوا ، ابن أبى العقب صاحب قصيدة الملاحم وابن القِرِّية ومجنون بني عامر ، وقال اسحاق أنشدت أيوب بن عباية هذين البيتين :

وخبرتمانى أن تيماء منزل للیلی اذا ما الصیف ألقى المراسیا

فهذى شهور الصيف عنا قد انقضت فما للنوى ترمى بليلى المراميا

وسألته عن قائلهما ، فقال جميـل ، فقلت له ان الناس يروونهما للمجنون ، قال وما المجنون ؟ فأخبرته ، فقال ما لهذا حقيقة ولا سمعت به وأضاف اليهما أبو بكر العدوى

وانى لأخشى أن أموت فجاءة ... وفى النفس حاجات اليك كما هيا
وانى لينسينى لقاؤك كلما ... لقيتك يوماً أن أبثك ما بيا
وقالوا به داء عياء أصابه ... وقد علمت نفسى مكان دوائيا

آراء مصححي حديثه

قال احمد بن زهير سمعت من لا أحصى يقول اسم المجنون قيس بن الملوح ، وروى الجوهرى وعمر بن شبة عن الأصمعى أنه قال وقد سئل عنه لم يكن مجنوناً وانما كانت به لوثة كلوثة أبي حية النميرى ، وقال سليمان بن نوفل سعيت على بنى عامر فرأيت المجنون وأتيت به وأنشدنى ، وقال المدائنى المجنون المشهور بالشعر عند الناس صاحب ليلى قيس بن معاذ من بني عامر ثم من بنى عقيل أحد بنى نمير ابن عامر بن عقيل ، ومنهم رجل آخر يقال له مهدى بن الملوح من بنى جَعْدة بن كعب بن ربيعة بن عامر ، وقال اسحق الموصلى اسم المجنون قيس بن معاذ أحد بنى جعدة ، وقال يونس النحوى ان اسمه قيس بن الملوح ، وقال ابو عمرو الشيبانى حدثنى رجل من اهل اليمن أنه رآه ولقيه وسأله عن اسمه ونسبه فذكر أنه قيس بن الملوح ، وقال ابو عمرو الشيبانى حدثنى رجل من أهل اليمن أنه رآه ولقيه وسأله عن اسمه ونسبه فذكر أنه قيس بن الملوح ومثله لهشام بن محمد الكلبي وحدث أن أباه مات قبل اختلاطه فعقر على قبره ناقته وقال فى ذلك

عقرت على قبر الملوّح ناقتى ... بذى السرح لما أن جفاه الأقارب
وقلت لها كونى عقيراً فاننى ... غدا راجل أمشى وبالأمس راكب
فلا يُبْعدنْك الله يا ابن مزاحم ... فكل بكأس الموت لا بد شارب

وقال أبو زياد الكلابى ليلى صاحبة المجنون هى ليلى بنت سعد بن مهدى ، وقال الأصمعى هو القائل

أخذتْ محاسن كل ما   ضَنّت محاسنه بحسنه

كاد الغزال يكونها   لولا الشَّوَى ونشوز قرنه

وقال عمر بن شبّة سألت أعرابياً من بنى عامر عن المجنون العامرى ، فقال عن أيهم تسأل ؟ فقلت عن الذى كان يشبب بليلى ، فقال كلهم كان يشبب بليلى ، قلت فأنشدنى لبعضهم ، فأنشدنى لمزاحم بن الحرث المجنون

ألا أيها القلب الذى لَجّ هائما   وليداً بليلى لم تقطع تمائمه

أفق قد أفاق العاشقون وقد أنى   لك اليومَ ان تلقى طبيباً تلائمه

أجِدّك لا تُنسيك ليلى ملِمّة   تُلِمّ ولا عهد يطول تقادمه

قلت فأنشدنى لغيره منهم ، فأنشدنى لمعاذ بن كليب المجنون

ألا طالما لاعبت ليلى وقادنى   الى اللهو قلب للحسان تَبوع

وطال امتراء الشوق عيني كلما   نزَفت دموعاً تستجد دموع

فقد طال امساكي على الكبد التى   بها من هوى ليلى الغداة صدوع

قلت فأنشدنى لغير هذين ممن ذكرت فأنشدنى لمهدى بن الملوّح

لو ان لك الدنيا وما عدلت به   سواها وليلى حائن عنك بَيْنُها

لكنت الى ليلى فقيراً وانما   يقود اليها ود نفسك حَيْنُها

قلت له فأنشدنى لمن بقى من هؤلاء ، فقال حسبك فو الله ان فى واحد من هؤلاء لمن يوزن بعقلائكم اليوم

قال ابن الاعرابى كان معاذ بن كلاب مجنوناً وكان يحب ليلى ، وشرِكه في حبها مُزاحم بن الحرث العُقيلى ، فقال مزاحم يوماً للمجنون

كلانا يا معاذ يحب ليلى   بفِىّ وفيك من ليلى التراب

شركتك في هوى من كان حظى　　وحظك من مودتها العذاب

لقد خبلت فؤادك ثم ثنت　　بعقلى فهو مخبول مصاب

فيقال أنه لما سمع هذه الأبيات التبس وخولط فى عقله

قال أبو الفرج رحمه الله وأنا أذكر مما وقع إلىّ من أخباره جملاً مستحسنة متبرئاً من العهدة فيها فان أكثر أشعاره المذكورة فى أخباره ينسبها بعض الرواة الى غيره وينسبها من حكيت عنه اليه ، واذ اقدمت هذه الشريطة برئت من عيب طاعن ومتبع للعيوب ، كان المجنون وليلى وهما صبيان يرعيان غنما لأهلهما عند جبل فى بلادهما يقال له التوباذ ، فلما ذهب عقله وتوحش كان يجيء الى ذلك الجبل فيقيم به فاذا تذكر أيام كان يطيف هو وليلى به جزع جزعاً شديداً واستوحش فهام على وجهه حتى يأتى نواحى الشام فاذا ثاب اليه عقله رأى بلداً لا يعرفه فيقول للناس الذين يلقاهم بأبى أنتم أين التوباذ من أرض بني عامر ؟ فيقال له وأين أنت من أرض بنى عامر ؟ أنت بالشام عليك بنجم كذا فأمه ، فيمضي وجهه نحو ذلك النجم حتى يقع بأرض اليمن فيري بلاداً ينكرها وقوما لا يعرفهم فيسألهم عن التوباذ وأرض بنى عامر ، فيقولون وأين أنت من أرض بنى عامر ؟ عليك بنجم كذا وكذا فلا يزال كذلك حتي يقع على التوباذ فاذا رآه قال

وأجهشت (١) للتوباذ لما رأيته　　وكبر للرحمن حين رآنى

وأذرفت دمع العين لما رأيته　　ونادى بأعلى صوته فدعانى

فقلت له أين الذين عهدتهم　　حواليك فى أمن وخفض زمان

فقال مضوا واستودعونى بلادهم　　ومن ذا الذى يبقى على الحدثان

وانى لأبكى اليوم من حذرى غدا　　فراقك والحيان مجتمعان

سجالاً وتهتاناً ووبلاً وديمة　　وسحًا وتسجاماً وتنهملان

(١) الجهش أن يفزع الانسان الى غيره وهو مع ذلك متهيء للبكاء كالصبي يفزع الى أمه وقد تهيأ للبكاء

قالوا علق قيس ليلى وهما صبيان فلم يزالا كذلك حتى كبرا ، فحجبت عنه ويدل على ذلك قوله

تعلقت ليلى وهى ذات ذُؤابة ... ولم يَبْدُ للأتراب من ثديها حجم
صغيرين نرعى البَهْم ياليت أننا ... الى اليوم لم نكبر ولم تكبر البَهْمُ

ولما شهر بحبها وتناشد الناس شعره فيها خطبها وخطبها ورد بن محمد العقيلى فقال أهلها نحن مخيروها ودخلوا اليها فقالوا والله لئن لم تختارى وردا لنمثلن بك فقال المجنون

ألا ياليل ان ملكت فينا ... خيارك فانظرى لمن الخيار
ولا تستبدلى منى دنيّا ... ولا بَرَماً(١) اذا حُشّ القتار
يهرول فى الصغير اذا رآه ... وتُعجزه مُلمّات كبار
فمثل تأيّم منه نكاح ... ومثل تموّل منه افتقار

فاختارت ورداً فتزوجته على كره منها ، فيقال انه فقد عقله الا أن تذكر له ليلى ، ومن قوله فى ذلك

أيا وَيْحَ من أمسى تُخُلِّسَ عقله ... فأصبح مذهوبا به كل مذهب
خليّاً من الخِلان الا معذراً ... يضاحكنى من كان يهوَى تجنبي
اذا ذكرت ليلى عقلت وراجعت ... روائع عقلى من هوًى متشعّب
وقالوا صحيح ما به طيف جِنّة ... ولا الهم الا بافتراء التكذب
وشاهد وجدى دمعُ عينى وحبها ... برَى اللحم عن أحناء عظمي ومنكبي
تجنبتَ ليلى أن يَلِجّ بك الهوى ... وهيهات كان الحب قبل التجنب
ألا انما غادرت يا أم مالك ... صدًى أينما تذهب به الريح يذهب

ومنها

فلم أر ليلى بعد موقف ساعة ... بخَيْف منًى ترمى جمار المحصّب

(١) البرم من لا يدخل مع القوم فى الميسر والقتار الدخان من الطبوخ وحش النار أوقدها

ويبدي الحصا منها اذا قذفت به … من البُرد أطراف البَنان المُخَضَّب
فأصبحتَ من ليلى الغداةَ كناظر … مع الصبح فى أعقاب نجم مُغَرِّب

ومما أنشد له فيها

فوالله ثم الله انى لدائب … أفكر ما ذنبى اليها وأعجب
ووالله ما أدرى علام قتلتنى … وأى أمورى فيك ياليل اركب
أأقطع حبل الوصل فالموت دونه … أم اشرب رَنْقاً منكم ليس يشرب
أمَ اهرُب حتى لا أرى لى مجاورا … أمَ اصنع ماذا أم أبوح فأغلب
فأيهما ياليـل ما ترتضينـه … فانى لمظـلوم وانى لُمعتب

وخرج به أبوه حاجا لعله يسلو، فسمع بالليل صارخاً يقول يا ليلى فغشى عليه، ولما أفاق قال

عرضت على قلبى العزاء فقال لي … من الآن فايأس لا أعزك من صبر
اذا بان من تَهْوَى وأصبح نائيا … فلاشيء أجدَى من حلولك فى القبر
وداعٍ دعا اذ نحن بالخيف من منى … فهيَّج أطراب الفؤاد وما يدرى
دعا باسم ليـلى غيرها فكأنما … أطارَ بليلى طائرا كان فى صدرى
دعا باسم ليـلى ضلل الله سعيه … وليلى بأرض عنـه نازحةٍ قَفْرِ

ثم قال له أبوه تعلق بأستار الكعبة واسأل الله أن يعافيك من حب ليـلى، فتعلق بأستار الكعبة وقال اللهم زدنى لليلى حبا وبها كلفا ولا تنسنى ذكرها أبداً، فهام حينئذ واختلط فلم يضبط، فكان يهيم فى البرية مع الوحش ولا يأكل الا ما ينبت فى البرية من بقل ولا يشرب الا مع الظباء اذا وردت مناهلها، وطال شعر جسده ورأسه وألفته الظباء والوحوش فكانت لا تنفر منه، وجعل يهيم حتى يبلغ حدود الشام فاذا ثاب اليه عقله سأل من يمر به من أحياء العرب عن نجد، فيقال له وأين أنت من نجد ؟ قد شارفت الشام أنت فى موضع كذا، فيقول

فأروني وجهة الطريق فيرحمونه ويعرضون عليه أن يحملوه ويكسوه فيأبى ، فيدلونه على طريق نجد فيتوجه نحوه

وقال وقد مرّ بجبلي نعمان وكانت ليلى تنزل بهما

أيا جبلي نَعْمان بالله خلّيا نسيم الصبا يَخْلُص الىّ نسيمها
أجدْ بردها أو تَشْفِ منى حرارة على كبد لم يبق الا صميمها
فان الصبا ريح اذا ما تنفست على نفس محزون تجلت همومها

ومضى الى منزل ليلى فوقف به طويلا يتبع آثارها ويبكى ثم قال

يا صاحبىّ ألمّا بى بمنزلة قد مرّ حين عليها أيما حين
انى أرى رَجَعات الحب تقتلني وكان في بدئها ما كان يكفيني
لا خير فى الحب ليست فيه قارعة كأن صاحبها فى نزع موتون
ان قال عقل له مهلا فلان لهم قال الهوى غير هذا القول يغنينى
ألقى من الحب تارات فتقتلني وللرجاء بشاشات فتحيينى

قال الاصمعى لم يكن قيس مجنونا انما جننه العشق وأنشد له

يسموننى المجنون حين يَرَوْنني نعم بىَ من ليلى الغداةَ جنون
ليالى يزهى بى شباب وشدة واذ بى من خفض المعيشة لين

وقال فى ذلك

وانى لمجنون بليلى موكل ولست عزُوفا من هواها ولا جَلْدا
اذا ذكرت ليلى بكيت صبابة لتذكارها حتى يبل البكا الخدا

وقال

وبى من هوى ليلى الذى لو أبثّه جماعة أعدائى بكت لى عيونها
أرى النفس عن ليلى أبت أن تطيعني فقد جُنّ من وجدى بليلى جنونها

ومما أنشد له

وشغلت عن فهم الحديث سوى ... ما كان فيك فانه شغلى
وأديم لحظ محدثى ليرى ... أن قد فهمت وعندكم عقلى

وأنشد له أبو عمرو

ألا ما لليلى لا تُرَى عند مضجعى ... بليل ولا يجرى بذلك طائر
بلى ان عُجْم الطير تجرى اذا جرت ... بليلى ولكن ليس للطير زاجر
أزالت عن العهد الذى كان بيننا ... بذى الأثل أم قد غيرتها المقادر
فوالله ما فى القرب لى منك راحة ... ولا البعد يُسلينى ولا أنا صابر
ووالله ما أدرى بأية حيلة ... وأى مرام أو خِطار أخاطر
وتالله ان الدهر فى ذات بيننا ... علىّ لها فى كل حال لجائر
فلو كنتِ اذ أزمعتِ هجرى تركتنى ... جميعَ القوى والعقلُ منى وافر
ولكن أيامى بمحتل عُنَيزة ... وبالرضم أيام جناها التجاور
وقد أصبح الود الذى كان بيننا ... أمانىَّ نفس والمؤمل حائر
لعمرى لقد رنَّقت يا أم مالك ... حياتى وساقتنى اليك المقادر

وأكثر قومه فى عذله فقال

يا للرجال لهم بات يعرونى ... مستطرف وقديما كان يعنينى
على غريم ملىء غير ذى عدم ... يأبى فيمطُلنى دينى ويلوينى
لا يذكر البعض من دينى فينكره ... ولا يحدثنى أنْ سوف يقضينى
وما كشكرى شكر لو يوافقنى ... ولا منىً كمناه اذ يمنينى
أطعته وعصيت الناس كلهم ... فى أمره ثم يأبى فهو يعصينى
خيرى لمن يبتغى خيرى ويأمله ... من دون شرى وشري غير مأمون
وما أشارك فى رأى أخا ضعف ... ولا أقول أخى من لا يواتينى

ومما قاله وقد مرَّ ببابها فلم يلتفت اليه وجاوزه

ألا أيها البيت الذى لا أزوره　　وان حله شخص الى حبيب
هجرتك اشفاقاً وزرتك خائفاً　　وفيك علىّ الدهر منك رقيب
سأستعتب الأيام فيك لعلها　　بيوم سرور فى الزمان تؤوب

وبلغه أن أهلها يريدون نقلها الى الثقفى فقال

كأن القلب ليلة قيل يُغدى　　بليلى العامرية أو يُراح
قطاة عزَّها شَرك فباتت　　تجاذبه وقد علق الجناح

ولما نقلت اليه قال

طربتَ وشاقتك الحمول الدوافع　　غداة دعا بالبين أسحَمُ نازع
شحافاه (١) نعباً بالفراق كأنه　　حَريب سَليب نازح الدار جازع
فقلت ألا قد بين الأمر فانصرف　　فقد راعنا بالبين قبلك رائع
سُقيتَ سموماً من غراب فانني　　تبينت ما خبرت مذ أنت واقع
ألم ترَ أنى لا محب ألومه　　ولا ببديل بعدهم أنا قانع
وقد يتنادى الألف من بعد الفه　　ويصدع ما بين الخليطين صادع
وكم من هوًى أوجيرة قد ألفتهم　　زماناً فلم يمنعه للبين مانع
كأنى غداة البيت ميت حوْبة (٢)　　أخو ظمأ سُدَّت عليه المشارع
تخلّس من أوشال ماء صُبابة　　فلا الشرب مبذول ولا هو ناقع
وبيض تطلّى بالعبير كأنها　　نعاج الملا جيبَتْ عليها البراقع
تحملن من وادى الأراك فأومضت　　لهن بأطراف العيون المدامع
فما رُضْن ربع الدار حتى تشابهت　　هجائنها والجُون منها الخواضع (٣)

---

(١) شحا فاه فتحه والنعب التصويت بالبين　(٢) الحوبة الهم
(٣) الخواضع المجدة فى السير

وحتى حملن الحور من كل جانب		وخاضت سدول الرَّقْم منها الأكارع
فلما استوت تحت الخدور وقد جرى		عبير ومسك بالعرانين رادع
أشرن بأن حثُّوا الجمال فقد بدا		من الصيف يوم لافح الحرمائع (١)
فلما لحقنا بالحمول تباشرت		بنا مُعْصرات (٢) غاب عنا المطامع
تعرضن بالدَّلِّ المليح وإن يرد		جناهن مشـــغوف فهن موانع
فقلت لأصحابى ودمعى مُسْبَل		وقد صدع الشملَ المشتت صادع
أليلى بأبواب الخدور تعرضت		لعينى أم قَرْن من الشمس طالع

قال اسحق الموصلى كانت كنية ليلى أم عمرو وأنشد للمجنون

أبى القلب الا حبها عامرية		لها كنية عمرو وليس لها عمرو
تكاد يدى تَنْدَى اذا ما لمستها		وينبت فى أطرافها الورق الخضر

وأنشد له المبرد

وأحبس عنك النفس والنفس صبَّة		بذكراك والممشى اليك قريب
مخافة أن تسعى الوشاة بظِنَّة		واحرسكم أن يستريب مريب
فقد جعلت نفسى وأنت اجترمته		وكنت أعز الناس عنك تطيب
فلو شئت لم أغضب عليك ولم يزل		لك الدهر منى ما حييت نصيب
أما والذى يُبْلي السرائر كلها		ويعلم ما تبدى به وتغيب
لقد كنت ممن يصطفى الناس خلة		لها دون خلان الصفاء حجوب

قال رجل من بني عامر مطرنا مطراً شديداً فى ربيع ارتبعناه ودام المطر ثلاثاً ثم أصبحنا فى اليوم الرابع على صحو وخرج الناس يمشون على الوادى فرأيت رجلاً جالساً حُجْزة وحده ، فقصدته فاذا هو المجنون جالساً وحده يبكى ، فوعظته وكلمته طويلاً وهو ساكت لم يرفع رأسه إلىَّ ، ثم أنشدنى بصوت حزين لا أنساه أبدا وحرقته

(١) متع النهار ارتفع وبلغ غاية ارتفاعه بعد الزوال (٢) المعصر المرأة بلغت شبابها

جرى السيل فاستبكاني السيل اذ جرى وفاضت له من مقلتىَّ غرُوب
وما ذاك الا حين أيقنت أنه يكون بوادٍ أنتِ فيه قريب
يكون أُجاجاً دونكم فاذا انتهى اليكم تلقَّى طيبكم فيطيب
أظلُّ غريب الدار فى أرض عامر الا كل مهجور هناك غريب
وان الكئيب الفرد من أيمن الحمى اليَّ وان لم آته لحبيب
فلا خير فى الدنيا اذا أنت لم تزُر حبيباً ولم يطرَب اليك حبيب

وأول هذه القصيدة

ألا أيها البيت الذي لا أزوره وهجرانه منى اليه ذنوب
هجرتك مشتاقاً وزرتك خائفاً وفيَّ عليك الدهر منك رقيب
سأستعطف الأيام فيك لعلها بيوم سرور فى هواك تثيب
وأفردت افراد الطريد وباعدت الى النفس حاجات وهن قريب
ومنيتنى حتى اذا ما رأيتني على شَرَف للناظرين يريب
صددت وأشمتَّ العدو بصرمنا أثابك يا ليلى الجزاء مثيب

ومن قوله

أقول لاصحابى هى الشمس ضوؤها قريب ولكن فى تناولها بعد
لقد عارضتنا الريح منها بنفحة على كبدى من طيب أرواحها بَرْد
فما زلت مغشياً عليَّ وقد مضت أناة وما عندي جواب ولا رد
أقلَّب بالأيدي وأهلي بعَوْلة يُفَدُّونني لو يستطيعون أن يَفدُوا
ولم يبق الا الجلد والعظم عارياً ولا عظم لى ان دام ما بى ولا جلد
أدنياى مالى فى انقطاعى ورغبتى اليك ثواب منك دَيْن ولا نقد
عديني بنفسى أنتِ وعداً فربما جلا كربة المكروب عن قلبه الوعد

وقد يبتلي قوم ولا كبليتي ... ولا مثل جدى فى الشقاء بكم جد
غزتنى جنود الحب من كل جانب ... اذا حان من جند قفول أتى جند

ومن قوله

أعدّ الليالى ليلة بعد ليلة ... وقد عشت دهراً لا أعد اللياليا
أرانى اذا صليت يممت نحوها ... بوجهى وان كان المصلّى ورائيا
وما بى اشراك ولكن حبها ... كعود الشَّجا أعيا الطبيب المداويا
أحب من الاسماء ما وافق اسمها ... وأشبهه أو كان منها مدانيا
وخبرتمانى ان تيْماء منزل ... لليلى اذا ما الصيف ألقى المراسيا
فهذى شهور الصيف عنى قد انقضت ... فما للنوى ترمى بليلى المراميا
فلو كان واش باليمامة داره ... ودارى بأعلى حَضْرَ موت اهتدى ليا
وماذا لهم لا أحسن الله قسطهم ... من الحظ فى تصريم ليلى حباليا
فأنت التى ان شئت أشقيت عيشتى ... وان شئت بعد الله أنعمت باليا
وأنت التى مامن صديق ولا عِدًى ... يرى نِضْوَ ما أبقيت الا رثى ليا
أمضروبة ليلى على أن أزورها ... ومتخذ ذنباً لها أن ترانيا
اذا سرت فى الارض الفضاء رأيتنى ... أصانع رجلى أن تميل حياليا
يمينا اذا كانت يمينا وان تكن ... شمالا ينازعني الهوى عن شماليا
هى السحر الا أن للسحر رُقْيَةً ... وأنى لا أُلفى لها الدهر راقيا

ومن قوله

ألا ياحمام الأيك ما لك باكياً ... أفارقت الفاً أم جفاك حبيب
دعاك الهوى والشوق لما ترنمت ... هتوف الضحى بين الغصون طروب
تجاوب ورقاً قد أذِنَّ لصوتها ... فكل لكل مسعد ومجيب

خرج المجنون في عدة من قومه يريدون سفراً لهم ، فمروا في طريق يتشعب وجهتين احداهما ينزلها رهط ليلى وفيها زيادة مرحلة فسألهم أن يعدلوا معه الى تلك الوجهة فأبوا فمضى وحده وقال

أأترك ليلى ليس بيني وبينها — سوى ليلة اني اذاً لصبور
هبوني امرأ منكم أضل بعيره — له ذمة ان الذمام كبير
وللصاحب المتروك أعظم حرمة — على صاحب من أن يضل بعير
عفا الله عن ليلى الغداة فانها — اذا وليت حكماً عليَّ تجور

ومن قوله

لقد غردت في جنح ليل حمامة — على الفها تبكي واني لنائم
كذبت وبيت الله لو كنت عاشقا — لما سبقتني بالبكاء الحمائم

مرَّ نفر من أهل اليمن بالمجنون فوقفوا ينظرون اليه فأنشأ يقول

ألا أيها الركب اليمانون عرجوا — علينا فقد أمسى هوانا يمانيا
نسائلكم هل سال نعمان بعدنا — وحب الينا بطن نعمان واديا

يقول فيها

ألا ياحمامَيْ قصر ودّان هجتما — عليَّ الهوى لما تغنيتما ليا
فأبكيتماني وسط صحبي ولم أكن — أبالي دموع العين لو كنت خاليا
فوالله اني لا أحب لغير أن — تحل به ليلى البراق الأعاليا
ألا ياخليلي حب ليلى مجشمي — حياض المنايا أو مقيدي الأعاديا
ويأيها القمريتان تجاوبا — بلحنيكما ثم اسجعا عللانيا
فان أنتما استطربتما وأردتما — لحاقا بأطراف الغضى فاتبعانيا

ومن قوله

زد الدمع حتى يظعن الحى انما — دموعك ان فاضت عليك دليل
كأن دموع العين يوم تحملوا — جُمان على جيب القميص يسيل

ومن قوله

ألا ليت ليلى أطفأت حر زَفرة — أعالجها لا أستطيع لها ردا
اذا الريح من نحو الحمى نسمت لنا — وجدت لمسراها ومبسمها بردا
على كبد قد كاد يبدى بها الهوى — نُدوبا وبعض القوم يحسبنى جلدا

مالك بن الصمصامة الجعدى

شاعر بدوى مقل وكان فارسا شجاعا جوادا جميل الوجه وكان يهوى جنوب بنت محصن العبدى وكان أخوها الإصبع من فرسان العرب وشجعانهم وأهل النجدة والبأس منهم فنمى اليه نبذ من خبر مالك فآلى يمينا جزما لئن بلغه انه عرض لها أو زارها ليقتلنه ولئن بلغه انه ذكرها فى شعر أو عرض ليأسرنه ولا يطلقه الا ان يجز ناصيته فى نادى قومه فبلغ ذلك مالكا فقال

اذا شئت فاقرنى الى جنب عيهب — أجبٍّ ونضوى للقلوص نجيب
فما الحلق بعد الأسر شر بقية — من الصد والهجران وهى قريب
ألا أيها الساقى الذى بل دلوه — بقريان يسقى هل عليك رقيب
اذا أنت لم تشرب بقريان شربة — وجانية الجدران ظَلْت تلوب
أحب هبوط الواديين واننى — لمشتهر بالواديين غريب
أحقا عباد الله أن لست خارجا — ولا والجا الا علىَّ رقيب
ولا زائراً وحدى ولا فى جماعة — من الناس الا قيل أنت مريب
وهل ريبة فى أن تحن نجيبة — الى الفها أو أن يحن نجيب

أقبلت جنوب ذات يوم ومالك جالس فى مجلس فيه أخوها فلما رآها عرفها ولم يقدر على الكلام بسبب أخيها فأغمى عليه وفطن أخوها لما به فتغافل عنه وأسنده بعض فتيان العشيرة الى صدره فما تحرك ولا أحار جوابا ساعة من نهاره وانصرف أخوها كالخجل فلما أفاق قال

ألمت فحاييت وعاجت فأمرعت — الى جرعة بين المخارم فالنحر
خليلى قد حانت وفاتى فاحفرا — برابية لى بالمخافر والبتر
لكيما تقول العبدلية كلما — رأت جدثى سقيت ياقبر من قبر

وقال لها وقد أمسك بخطام بعيرها وهى راحلة

أريتك ان أزمعتم اليوم نية — وغالك مصطاف الحمى ومرابعه
أترعين ما استودعت أم أنت كالذى — اذا ما نأى هانت عليه ودائعه

فبكت وقالت بل أرعى والله ما استودعت ولا أكون كمن هانت عليه ودائعه فأرسل بعيرها وبكى ثم انصرف وقال

ألا ان حِسْيا دونه قلة الحمى — منى النفس لو كانت تنال شرائعه
وكيف ومن دون الورود عوائق — وأصبغ حامى ما أحب ومانعه
فلا أنا فيما صدنى عنه طامع — ولا أرتجى وصل الذي هو قاطعه

القتال الكلابى

هو عبد الله بن المضرحى عُرِف بالقَتَّال لتمرُّده وفتكه

كان القتَّال يتحدث الى ابنة عم له اسمها العالية بنت عبد الله فرآه أخوها فنهاه وحلف لئن رآه ثانية ليقتلنه فلما كان بعد أيام رآه عندها فأخذ السيف وبصر به القتال فخرج هاربا وخرج فى أثره فلما دنا منه ناشده القتال بالله وبالرحم فلم يلتفت اليه فأخذ القتال رمحه فضربه به فقتله وقال

نهيت زياداً والمهامهُ بيننا — وذكرته أرحام سعد وهيثم
فلما رأيت أنه غير منته — أملت له كفى بلدن مقوّم
ولما رأيت أننى قد قتلته — ندمت عليه أيّ ساعة مندم

وقال

نهيت زيادا والمهامهُ بيننا — وذكرته بالله حولا مُجرّما
فلما رأيت أنه غير منته — ومولاى لا يزداد الا تقدما
أملت له كفى بأبيض صارم — حسام اذا ما صادف العظم صمما
بكف امرئ لم تخدم الحىَّ أمُّه — أخى نجدات لم يكن متهضما

ثم خرج هارباً وأصحاب القتيل يطلبونه فمرّ بابنة عم له اسمها زينب فأخفته. فقال فيها

فمن مبلغ فتيان قومى أننى — تسميت لما شبت الحرب زينبا
وأرخيت جلبابى على بنت لحيتى — وأبديت للناس البنان المخضبا

وقال

جزى الله عنا والجزاء بكفه — عمايةَ خيراً أم كل طريد
فما يزدهيها القوم ان نزلوا بها — وان أرسل السلطان كل بريد
حمتنى منها كل عنقاء عيطل — وكل صفاً جم القلات كؤود

ومن شعره وقد تألف نمراً فى شعب من شعاب عماية

ولى صاحب فى الغار يعدل صاحبا — أبا الجون الا أنه لا يعلل
كلانا عدو لا يرى فى عدوه — مهزا وكل فى العداوة مجمل
اذا ما التقينا كان أنس حديثنا — صمات وطرف كالمعابل أكحل
لنا مورد صاف بأرض مضلة — شريعتنا لأينا جاء أول
تضمنت الأروى لنا بقبولنا — كلانا له منها سديف مخردل

فأعلمه فى صنعة الود أننى   أميط الأذى عنه وما ان يهلل

وكان للقتال ابنان المسيب وعبد السلام ، ولعبد السلام يقول قوله

عبد السلام تأمل هل ترى ظُعُناً   انى كبرت وأنت اليوم ذو بصر

لا يبعد الله فتياناً أقول لهم   بالأبرق الفرد لما فاتنى نظرى

ألا ترون بأعلى عاسم ظعناً   نَكَّبن فَحَلَّين واستقبلن ذا بقر

ومن قوله يمير بني العجلان بن كعب بن ربيعة بن صعصعة ، وقد قتلت منهم بنو جعفر بن كلاب قتيلا فأخذوا عقله وكانت أمه من بني العجلان

لعمرى لحي من عقيل رأيتهم   بِخَطْمة أو لاقيتهم بالمناسك

عليهم من الحوك اليمانى بزة   على أرحبيات طوال الحوارك

أحبُّ الى نفسى وأصلح عندها   من السَّرَوات آل قيس ومالك

اذا ما لقيتم عصبة جعفرية   كرهتم بني اللكعاء وقع السنابك

فلستم بأخوالى فلا تصلوننى   ولكنما أمى لاحدى العواتك

قِصار العماد لا ترى سراتهم   مع الوفد جثّامون عند المبارك

قتلتم فلما ان طلبتم عقلتم   كذلك يؤتى بالذليل كذلك

خرج ابن هبار القرشى الى الشام فاعترضه جماعة فيهم القتال فقتلوه وأخذوا ماله فاتهم به جماعة من بنى كلاب فحبسوا وفيهم القتال فاغتال السجان وهرب فقال يذكر ذلك

أُميم أبينى قبل جد التزيُّل   أبينى بوصل أو بصَرْم معجل

أميم وقد حملت ما حمل امرؤ   وفى الصرم احسان اذ لم ينول

وانى وذكرى أم حيان كالفتى   متى ما يذق طعم المدامة يجهل

وقال يذكر ابن هبار

تركت ابن هبَّار لدى الباب مسندا   وأصبح دونى شابة فأرومها

بسيف امرىء ما ان أخبر باسمه وان حقرت نفسى الى همومها

ومن قوله

ان العروق اذا استنزعنها نزعت والعرق يَسْرِي اذا ماعرّس السارى
قدجرب الناس عودى يقرعون به فأقصروا عن صليب غير خوّار

وقال يهجو قومه لتوانيهم فى نصره ، وكانت عشيرته تبغضه لكثرة جناياته وما يلحقها من أذاه ولا تمنعه من مكروه

اذا مالقيتم راكباً متعماً فقولوا له ما الراكب المتعمم
فان يك من كعب بن عبد فانه لئيم المحيا حالك اللون أدهم
دعوت أبا كعب ربيعة دعوة وفوقى غواشى الموت تُنْحى وتجثم
ولم أك أدري أنه ثُكْل أمه اذاقيل للأحرار فى الكربة اقْدُموا
فلو كنت من قوم كرام أعزة لحا ميت عنى حين أحمى وأضرم
دعوت فكم أسمعت من كل مؤذن قبيح المحيا شانه الوجه والفم
ولكنما قومى قُماشة حاطب يجمعها بالكف والليل مظلم

ومن شعره وفيه غناء

أعالى أعلى الله جدك عاليا وأسقى بريك العِضاه البواليا
أعالى ماشمس النهار اذا بدت بأحسن مما تحت بُرْدَيْك عاليا
أعالى لو أن النساء ببلدة وأنت بأخرى لاتبعتك ماضيا
أعالى لو أشكو الذى قد أصابنى الى غصن رطب لأصبح باليا
أعالى أخت المالكيين نولى بما ليس مفقوداً وفيه شفائيا
أصارمتى أم العلاء وقد رمى بى الناس فى أم العلاء المراميا
أيا اخوتى لا أصبحن بِعَضْلَةٍ تشيب اذا عدت عليَّ النواصيا
واتبعته فيكم اذا كان حقهم كما كنت لو كنت الطريد مراديا

وشمر ولا تجعل عليك غضاضــة ولا تنس يا ابن المضرَحيِّ بلائيا

وهذه القصيدة يقولها يحض أخاه وعشيرته على تخليصه من المطالبة التي يطالب بها في قتل زياد بن عبيد الله واحتمال العقل عنه ويلومهم فى قعودهم عن المطالبة بثار لهم قبل بني جعفر بن كلاب ، وكان السبب فى ذلك أن عمرو بن سلمة من بني أبي بكر بن كلاب كان قد أسلم فحسن إسلامه ووفد الى النبي صلى الله عليه وسلم فاستقطعه حمى بين الشقراء والسعدية ، وهى رحبة طولها تسعة أميال فى ستة أميال فأقطعه إياها ، فأحماها ابنه جحوش ، فاسترعاه نفر من بنى جعفر بن كلاب فأرعاهم ، فحملوا الفهم مع خيلهم بغير اذنه ، فأخبر بذلك ، فغضب وأراد اخراجهم منه ، فقاتلوه ، فكانت بينهم شجاج بالعصى والحجارة من غير رمى ولا طعان ولا تسايف ، فظهر عليهم جحوش ، ثم تداعوا الى الصلح ومشت السفراء بينهم على أن يدعوا جميعاً الجراحات ، فتواعدوا للصلح بالغداة وأخ لجحوش يقال له سعد فى حلقه سلعة وهو متنح عن الحى عند امرأة من بنى أبى بكر ترقيه ، فرجع الى أخيه ومعه رجلان من قومه يقال لأحدهما محرز بن يزيد وللآخر الأخدر بن الحرث ، فلقيهم قراد ابن الأخدر وابن عمه أبو ذرّ بن الأشهل ، فحمل قراد على سعد فطعنه فقتله ، فحذف محرز فرس قراد فعقرها فأردفه أبو ذر خلفه ولحقوا بأصحابه الجعفريين وأوقد جحوش بن عمرو نار الحرب فى رأس جرعاء طويلة ، فاجتمعت اليه بنو أبى بكر بن كلاب ، وخرج قراد هارباً الى بشر بن مروان وهو ابن عمته ، حتى اذا كان بالقفار (١) حميت عليه الشمس ، فأناخ الى بيت امرأة من بني أسد فقال في بيتها ، فبينا هو نائم اذ نبهته الأسدية فقالت له وما دهاك ويحك ؟ انظر الى الطير تحوم حول ناقتك ، فخرج يمشى الى ناقته فاذا هى قد خرجت والطير تمزق ولدها ، فجاء فأخبرها ، فقالت ان لك لخبراً فاصدُقنى عنه فلعله يكون لك فيه فائدة ، فأخبرها أنه مطلوب بدم فهو هارب طريد، قالت فهل وراءك أحد تشفق عليه ؟ فقال أخ لى

(١) جبل بعينه

يقال له جباه وهو أحب الناس إليّ ، قالت هو في أيدى أعدائك فارجع أو امض ، فخرج لوجهه الى بشر ، ولما حرض القتال قومه على الطلب بثأرهم في الجعفريين وغيرهم بالقعود عنهم ومضى جميعهم لقتال بنى جعفر ، قال لهم الجعفريون يا قومنا مالنا في قتالكم حاجة وقاتل صاحبكم قد هرب وهذا أخوه جباه فاقتلوه ، فرضوا بذلك ، فأخذوا جباهاً ، فلما صاروا بأسود العين [1] قدمه جحوش فضرب عنقه بأخيه سعد ، ومما قاله القتال في تحريضهم قوله من قصيدة طويلة

فيا لأبى بكر ويا لجحوش ولله مولى دعوة لا يجابها
أفي كل عام لا تزال كتيبة ذويبية تهفو عليكم عُقابها
يسقى ابن بشر ثم يمسح بطنه وحولى رجال ما يسوغ شرابها
لهم جزُر منكم عبيط [2] كأنه وقاع الملوك فتكها واغتصابها
فما الشر كل الشر لا خير بعده على الناس الا أن تذل رقابها
نساء ابن بشر بُدّن ونساؤنا بلايا عليها كل يوم سلابها

الراعى

هو عبيد بن حصين بن معاوية النُّميرى من نمير بن عامر بن صعصعة ويكنى أبا جندل والراعى لقب له لكثرة وصفه الابل وجودة نعته إياها ، وهو شاعر فَحْل من شعراء الاسلام وكان مقدماً مفضلاً حتى اعترض بين جرير والفرزدق فاستكفه جرير فأبى أن يكف فهجاه ففضحه

ومن شعره يمدح سعيد بن عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد

نرجّي من سعيد بنى لُؤَىّ أخى الأعياص أنواءً غِزارا
تلقّ نوءَهن سرار شهر وخير النوء ما لقى السّرارا
خليل تعزُب العلات عنه اذا ما حان يوم أن يُزارا

(١) جبل بعينه (٢) الذبيحة العبيط هى المنحورة من غير علة وهى سمينة فتية

متى ما تأته ترجو نـداه فلا بُخلا تخاف ولا اعتذارا
هو الرجل الذى نسبت قريش فصار المجد منها حيث صارا
وأنضاء تحن الى سعيد طروقا ثم عجّلن ابتكارا
على أكوارهن بنو سبيـل قليل نومهـم الا غرارا
حمدن مزاره ولقين منـه عطاء لم يكن عدةً ضمارا(١)

وأولها وفيه غناء

ألم تسأل بعـارمة الديارا عن الحى المفارق أين سارا
بلى ساءلتهـا فأبت جوابا وكيف سؤالك الدِّمن القفارا

وكان الراعي يقضى للفرزدق على جرير ويفضله حتى قال فيه جرير قصيدته التى يقول فيها

فغضَّ الطرف انك من نُمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

فأسكته ، ومرَّ بعد ذلك به راكب وهو يتغنى

وعاوٍ عوى من غير شيء رميته بقافية أنفاذها تقطر الدما
خـروج بأفواه الرواة كأنهـا قَرا هُنْدُوانى اذا هُزَّ صمّما

والشعر لجرير فقال الراعى ألام أن يغلبنى هـذا ؟ والله لو اجتمع الانس والجن على صاحب هذين البيتين ما أغنوا فيه شيئاً

قال محمد بن سلام كان الراعى من رجال العرب ووجوه قومه وكان يقال له فى شعره كأنه يعتسف الفلاة بغير دليل ، أى انه لا يحتذى شعر شاعر ولا يعارضه وكان مع ذلك بذياً هجاء لعشيرته

جاور الراعى بني سعد بن زيد مناة فنَسب بامرأة منهم من بني عبدشمس ثم أحد بنى وابش فقال

(١) الضمار كل ما لا تكون منه على ثقة

بني وابش انا هَوِينا جِوارَكم ... وما جمعتنا نِيّةٌ قبلها معا
خليطين من حيين شتّى تجاورا ... جميعا وكانا بالتفرق أضيعا
أرى أهل ليلى لا يبالى أسيرهم ... على حالة المحزون أن يتصدعا

وقال فيها أيضا

تذكر هذا القلب هند بني سعد ... سفاها وجهلا ما تذكر من هند
تذكر عهدا كان بينى وبينها ... قديما وهل أبقت لك الحرب من عهد

فلما بلغهم شعره أزعجوه وأصابوه بأذى فخرج عنهم وقال فيهم

أرى ابلى تكلأ راعياها ... مخافة جارها الدَّنس الذميم
وقد جاورتهم فرأيت سعدا ... شعاع الأمر عازبة الحلوم
فأمّى أرض قومك ان سعدا ... تحملت المخازى عن تميم

ومن قوله يهجو عديّ بن الرّقاع

لو كنت من أحد يُهجَى هجوتكمُ ... يا ابن الرّقاع ولكن لستَ من أحد
تأبى قُضاعة لم تعرف لكم نسبا ... وابنا نِزار وأنتم بيضة البلد

لما أنشد الراعى عبد الملك بن مرْوان قوله

فان رفعت بهم رأسا نعشتهمُ ... وان لقوا مثلها من قابل فسدوا

قال له عبد الملك فتريد ماذا ؟ قال ترد عليهم صدقاتهم فتُنعشهم ، قال هذا كثير ، قال أنت أكثر منه ، قال قد فعلت ، فسلنى حاجة تخصك ، قال قد قضيت حاجتى ، قال سل حاجة لنفسك ، قال ما كنت لأفسد هذه المكرمة

وجندل بن الراعى شاعر وهو الذي يقول

طلبت الهوى الغوْريّ حتى بلغته ... وصيرت فى نجْديّه ما كفانيا
وقلت لحلمى لا تُزِعْنى عن الصبا ... وللشيب لا تذْعَر على الغوانيا

أبوحية النميرى

هو الهيثم بن الربيع بن زُرارة النميرى شاعر مجيد مقدم من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية وقد مدح الخلفاء فيهما جيعا وكان فصيحاً مُقَصِّداً راجزاً من ساكنى البصرة وكان أهوج جبانا بخيلا كذابا معروفا بذلك أجمع ، وكان أبوعمرو بن العلاء يقدمه على الراعى . وقال الأصمعى أبوحية فى الشعراء كالرجل الرَّبعة لا يعد طويلا ولا قصيراً وقد أدرك هشام بن عبد الملك

دخل على المنصور وقد امتدحه وهجا بنى حسن بقصيدته

عوجا نُحيِّ ديار الحى بالسَّند — وهل بتلك الديار اليوم من أحد

يقول فيها

أجبن شيم فلم يترك لهم ترة — سيف تقلده الرِّئبال ذو اللِّبد

سللتموه عليكم يابنى حسن — ماان لكم من فلاح آخر الأبد

قد أصبحت لبنى العباس صافية — لجذع آناف أهل البغي والحسد

وأصبحت كلهاة(١) الليث فى فمه — ومن يحاول شيئا فى فم الاسد

ومن قوله وفيه غناء

ألا حى من أجل الحبيب المغانيا — لَبِسْنَ البِلي مما لبسن اللياليا

اذا ما تقاضى المرء يوم وليلة — تقاضاه شيء لا يَمَلّ التقاضيا

كان لأبى حية سيف يسميه لُعاب المنية ليس بينه و بين الخشبة فرق ، وكان من أجبن الناس ، فدخل ليلة الى بيته كلب فظنه لصا فانتضى سيفه وهو واقف وسط الدار وقال أيها المغتر بنا والمجترئ علينا ، بئس والله ما اخترت لنفسك ، خير قليل وسيف صقيل ، لُعاب المنية الذى سمعت به ، مشهورة ضربته لاتخاف

(١) اللهاة اللحمة المشرفة على الحلق

نبوته ، اخرج بالعفو عنك قبل أن أدخل بالعقوبة عليك ، انى والله ان أدْعُ قيسا اليك لاتقم لها ، وما قيس ؟ تملأ والله الفضاء خيلا ورَجْلا سبحان الله ما أكثرها وأطيبها ، فبينا هو كذلك اذا الكلب قد خرج فقال الحمد لله الذى مسخك كلبا وكفانى حربا

حدث سعيد بن مَسْعَدة الأخفش قال قال أبو حية النميرى أتدرى ما يقول القدريون ؟ قلت لا ، قال يقولون ان الله لم يكلف العباد مالا يطيقون ولم يسألهم مالا يجدون ، وصدق والله القدريون ولكن لا أقول كما يقولون

مزاحم العقيلى

هو مُزاحم بن عمرو بن الحرث من عُقَيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بدوى شاعر فصيح اسلامى صاحب قصيد ورجز كان فى زمن جرير والفرزدق وكان جرير يصفه ويقرظه ويقدمه، وكان يقول ما من بيتين كنت أحب أن أكون سبقت اليهما كبيتين من قول مزاحم

وَدِدتُ على ما كان من سَرَف(١) الهوى ... وغيِّ الأمانى ان ما شئت يفعل
فترجع أيام مضَيْنَ ولذة ... تولت وهل يُثْني من العيش أول

ومن قوله وكان اسحق الموصلى يستجيدها ويستحسنها

لصفراء فى قلبى من الحب شعْبَةٌ ... حمًى لم تُبحه الغانيات سَموم
بها حل بيت الحب ثم انثنى بها ... فبانت بيوت الحى وهو مقيم
بكت دارهم من نأيهم فتهللت ... دموعى فأىَّ الجازعين ألوم
أمستعبر يبكى من الحب والجوى ... أمَ آخر يبكى شَجْوه فيهم
تضمنه من حب صفراء بعد ما ... سلا هضباتُ الحب فهو كظيم
ومن يتهيَّض(٢) حبهنَّ فؤاده ... يمت أو يعش ما عاش وهو سقيم

(١) سرف الهوى خطؤه (٢) تهيضه الغرام عاوده مرة بعد أخرى

لحران صاد ذيد عن برد مشرب وعن بللات الريق فهو يحوم

خطب مزاحم بنت عمه دنية فمنعها لاملاقه وقلة ماله وانتظروا بها رجلا موسرا من قومها كان ذكرها ولم يحقق وهو يومئذ غائب ، فبلغ ذلك مزاحما من فعلهم فقال لعمه يا عم أتقطع رحمى وتختار علىّ غيرى لفضل أباعر تحوزها وطفيف من الحظ تحظى به ؟ وقد علمت انى أقرب اليك من خاطبها الذى تريده وأفصح منه لساناً وأجود كفاً وأمنع جانباً وأغنى عن العشيرة ، فقال لا عليك فانها اليك صائرة وانما أعلل أمها بهذا ويكون أمرها لك ، فوثق به ، وأقاموا مدة ، ثم ارتحلوا ومزاحم غائب وعاد الرجل الخاطب لها فذكروا أمرها فرغب فيها فأنكحوه إياها ، فبلغ ذلك مزاحماً فأنشأ يقول

نزلت بمفضى سيل حرسين(١) والضحى يلوح بأطراف المخارم آلها
بسقية الأجفان أكفر دمعها مقاربة الآلاف ثم زيالها
فلما نهاها اليأس أن تؤنس الحمى حمى البئر حلى عبرة الجفن جالها
أيا ليل ان تشحط بك الدار غربة سوانا ويعى النفس فيك احتيالها
فكم ثم كم من عبرة قد رددتها سريع على جيب القميص انهلالها
خليلىّ هل من حيلة تعلمانها يقرب من ليلى الينا احتيالها
فان بأعلى الأخشبين أراكة عدتني عنها الحرب دان ظلالها
وفى فرعها لو تستطاع جناتها جنى يجتنيه المجتني أو ينالها
هنيئاً لليلى مهجة ظفرت بها وتزويج ليلى حين حان ارتحالها
وقد حبسوها محبس البدن وابتغى بها الربح أقوام تساخف مالها
وأن مع الركب الذين تحملوا غمامة صيف زعزعتنا شمالها

وقع بينه وبين رجل من جعدة لحاء فى المال ، فتشاتما وتضاربا بعصيهما فشجه

(١) من مياه بنى عقيل بنجد والمخارم الطرق فى الغلظ

مزاحم شجة أمته (١) فاستعدت جعدة على مزاحم ، فحبس حبساً طويلاً ثم هرب من السجن فمكث فى قومه مدة وعزل ذلك الوالي وولى غيره فسأله ابن عم لمزاحم يقال له مغلس أماناً لمزاحم ، فكتب له ، وجاء مغلس والأمان معه ، ففر مزاحم وظنها حيلة من السلطان ، فهرب وقال

أتانى بقرطاس الأمير مغلس ... فأفزع قرطاس الأمير فؤاديا
فقلت له لا مرحبا بك مرسلا ... إليّ ولا لي من أميرك داعيا
أليست جبال القهر قعساً مكانها ... وعزوى وأجبال الوحاف كما هيا
أخاف ذنوبي أن تعدّ ببابه ... وما قد أزلّ الكاشحون أماميا
ولا أستريم عقبة الأمر بعد ما ... تورّط فى يهماء كعبي وساقيا

كان مزاحم يهوى امرأة من قومه ، فغاب غيبة من بلاده وقد زوجت فقال

أتانى بظهر الغيب أن قد تزوجت ... فظلت بى الأرض الفضاء تدور
وقد زايلت لبي وقد كان حاضراً ... وكاد جنانى عند ذاك يطير
فقلت وقد أيقنت أن ليس بيننا ... تلاق وعيني بالدموع تمور
أيا سرعة الأحباب حين تزوّجت ... فهل يأتيني بالطلاق بشير
ولست بمحض حب ليلى اسائل ... من الناس الا أن أقول كثير
لها فى سواد القلب تسعة أسهم ... وللناس طرًّا من هواى عشير
وتنشر نفسى بعد موتى بذكرها ... مراراً فموت مرة ونشور
عججت لربى عجة ماملكتها ... وربى بذي الشوق الحزين بصير
ليرحم ماأبقى ويعلم أنني ... له بالذى يسدى إليّ شكور
لئن كان يهدى برد أنيابها العلى ... لأحوج منى انني لفقير

دخل الفرزدق على عبد الملك بن مروان وبعض بنيه عنده ، فقال للفرزدق

(١) أمه أصاب أم رأسه وهى الجلدة الرقيقه التى على المخ

أتعرف أحداً أشعر منك ؟ قال لا الا أن غلاماً من بنى عقيل يركب أعجاز الابل وينعت الفلوات فيجيد ، ثم جاءه جرير ، فسأله عن مثل ما سأل عنه الفرزدق ، فأجابه بجوابه ، فلم يلبث أن جاءه ذو الرمة ، فقال له أأنت أشعر الناس ؟ قال لا ولكن غلام يقال له مزاحم من بنى عقيل يسكن الروضات يقول وحشياً من الشعر لا يقدر على مثله ، فقال أنشدنى بعض ما تحفظ من ذلك ، فأنشده قوله

خليليَّ عوجا بى على الدار نسأل ... متى عهدها بالظاعن المتحمل
فعجت وعاجوا فوق بيداء صفقت ... بها الرِّيح جولان التراب المنخَّل

حتى أتى على آخرها ، ثم قال ما أعرف أحداً يقول قولاً يواصل هذا

القحيف العقيلى

هو القُحيف بن خُمَيِّر أحد بنى قُشَيْر بن مالك بن خفاجه بن عقيل شاعر مقل من شعراء الاسلام وكان يشبب بخرقاء التى كان ذو الرمة يشبب بها ، وهى التى يقول فيها

لقد أرسلت خرْقاء نحوى جريها ... لتجعلنى خرقاء ممن أضلت
وخرقاء لا تزداد الا ملاحة ... ولو عُمِّرت تعمير نوح وجلت

كان القحيف يتحدث الى امرأة من بنى عبس وقد جاورهم وأقام عندهم شهراً وهام بها عشقا وكان يخبرها ان له نعَماً ومالاً ، وهَوِيته العبسية وكان أجمل الرجال وأشعرهم ، فلما طال عليها واستحيا من كذبه إياها فى ماله ارتحل عنهم وقال

تقول لي أُخت عَبْس ما أرى ابلا ... وأنت تزعم من والاك صنديد
فقلت يكفى مكان اللوم مُطَّرِد (١) ... فيه القَتِير بسُمْر القينْ مشدود
وشِكة صاغها وفْراء كاملة ... وصارم من سيوف الهند مقدود

(١) هو الرمح والقتير رءوس مسامير الدروع

انى ليرعى رجال لي سَوَامهم لى العقائل منها والقماحيد (١)

جمع المهير بن سَلْمَى الحنفى جموعا يريد بهم غزو بني عقيل و بني كلاب وسائر بطون عامر ، فقال القحيف

أمن أهل الأراك عفت ربوع نعم سَقْياً لهم لو تستطيع
زيارتهم ولكن أحضرتنا هموم ما يزال لها مُشيع
كأن البين جرعنى زُعافا دم الحيات مَطْمَعُه فظيع
وماء قد وردت على جباه حيام حمائم وقطاً وقوع
جعلت عمامتي صلة لبردى اليه حين لم ترد النُّسُوع
لأسقى فتيـــة ومنقّبات أضر بنقبها (٢) سفر وجيع
لقد جمع المهير لنا فقلنا أتحسبنا تُرَوّعنا الجموع
سترهبنا حنيفة ان رأتنا وفى أيماننا البيض اللموع
عقيل تعتزى وبنو قشير توارى عن سواعدها الدروع
وجَعْدة والحريش ليوث غاب لهم فى كل معركة صريع
فنعم القوم فى الأزبات قومى بنو كعب اذا جحد الربيع
كُهول معقِل الطرداء فيهم وفتيـــان غطارفة فروع
فمهلاً يامهير فأنت عبـــد لـكعب سامع لهم مطيع

وأرسل المهير رسولا أمره أن يأخذ صدقات بنى كعب جميعاً فقتلوا الرسول وصلبوه فقال القحيف فى ذلك

أتانا بالعتيق صريخ كعب فحن النَّبع والأسَل النِّهال
وحالفنا السيوف ومُضْمرات سواء هن فينا والعيال

(١) جمع قمحدوة وهى ما أشرف على القفا من عظم الرأس والهامة فوقها والقذال دونها مما يلى المقد (٢) النقب قرحة تخرج فى الجنب

تَعادَى فى الوغى مثل السَّعالى ومن زُبَرِ الحديد لها نعال

نظر بعض الفقهاء الى القحيف وهو يحد النظر الى امرأة فنهاه عن ذلك وقال له أما تتقى أن تنظر هذا النظر الى غير حرمة لك فقال القحيف

أقسمت لا أنسى وان شَطَّت النوى عَرانينهن الشُّمَّ والأعين النُّجلا
ولا المسك من أعطافهن ولا البُرى ضممن وقد لوينها قصباخَدْلا (١)
يقول لي المفتى وهن عشية بمكة يرحن المهدبة السُّحْلا (٢)
تَقِ الله لا تنظر اليهن يا فتى وما خلتنى فى الحج ملتمسا وصلا
وان صبا ابن الأربعين لسُبَّةٌ فكيف مع اللائي مثلن لنا مثلا
عوا كف بالبيت الحرام وربما رأيت عيون القوم من نحوها نجلا

وله وفيه غناء

خليليَّ ما صبرى على الزَّفَرات وما طاقتى بالهم والعبرات
تساقَطُ نفس كل يوم وليلة على اثر ما قد فاتها حسرات

ليلى وتوبة

ليلى بنت عبد الله بن الرَّحال بن شداد بن كعب بن معاوية وهو الأخْيَل بن عبادة بن عقيل ، وهى من النساء المتقدمات فى الشعر من شعراء الاسلام ، وتوبة هو ابن الحُمَيِّر بن حزم بن كعب بن خفاجة بن عمرو بن عقيل ، كان يتعشق ليلى ويقول فيها الشعر فخطبها الى أبيها فأبى أن يزوجه إياها وزوجها فى بنى الأَدْلَع ، فجاء يوماً كما كان يجىء لزيارتها فاذا هى سافرة ولم ير منها اليه بشاشة فعلم أن ذلك لأمر ما كان ، فرجع الى راحلته فركبها ومضى ، وبلغ بنى الأدلع أنه أتاها فتبعوه ففاتهم ، فقال توبة في ذلك

---

(١) الخدل الممتلىء والضخم والمراد الساق (٢) المهدبة ذات الهدب وهو خمل الثوب والسحل جمع السحل بالفتح وهو الثوب لايبرم غزله

نأتك بليلى دارها لا تزورها   وشطّت نواها واستمر مريرها

وهي طويلة يقول فيها

حمامة بطن الواديين ترنّمي   سقاك من الغرّ الغوادى مطيرها
أبيني لنا لا زال ريشك ناعماً   ولازلت فى خضراء دانٍ بريرها(١)
وأشرف بالقور(٢) اليفاع لعلني   أرى نار ليلى أو يرانى بصيرها
وكنت اذا ماجئت ليلى تبرقعت   فقد رابنى منها الغداة سفورها
عليَّ دماء البدن ان كان بعلها   يرى لي ذنباً غير انى أزورها
وأنى اذا ما زرتها قلت يا اسلمى   وما كان في قوله اسلمى ما يضيرها
وغيرنى ان كنت لما تغيرت   هواجر اذ تكفينها وأسيرها
وأدماء من حرّ المهارى كأنها   مهاة صحار غير مامس كورها
قطعت بها أجواز كل تنوفة   مخوف رداها كلما استن مورها(٣)
ترى ضعفاء القوم فيها كأنهم   دعاميص ماء جفّ عنها غديرها

خرج توبة إلى الشام فمر ببني عذرة فرأته بثينة فجعلت تنظر اليه فشق ذلك على جميل « وذلك قبل أن يظهر حبه لها » فقال له جميل من أنت ؟ قال أنا توبة ابن الحمير ، قال هل لك فى الصراع ؟ قال ذلك اليك ، فشدت عليه بثينة ملحفة مورّسة فاتزر بها ، ثم صارعه فصرعه جميل ، ثم قال هل لك فى النضال ؟ قال نعم ، فناضله فنضله جميل ، ثم قال له هل لك فى السباق ؟ فقال نعم ، فسابقه فسبقه جميل فقال له توبة ياهذا إنما تفعل ذلك بريح هذه الجالسة ولكن اهبط بنا بطن الوادى ، فصرعه توبة ونضله وسبقه

---

(١) البرير أول ما يظهر من ثمر الاراك (٢) القور جمع القارة وهى الاصاغر من الجبال والأعاظم من الآكام واليفاع التل المشرف (٣) جوز الشيء وسطه ومعظمه والجمع أجواز والمور التراب تثيره الريح

مقتل توبة

كان توبة يغير زمن معاوية بن أبي سفيان على قُضاعة وخَثْعَم ومَهْرة وبنى الحرث بن كعب ، وكانت بينهم وبين بني عقيل غارات ، فكان توبة اذا أراد الغارة عليهم حمل الماء معه فى الرَّوايا ثم دفنه فى بعض المفازة على مسيرة يوم منها ، فيصيب ماقدر عليه من إبلهم فيدخلها المفازة فيطلبهم القوم فاذا دخل المفازة أعجزهم فلم يقدروا عليه فانصرفوا عنه ، فمكث كذلك حيناً ، ثم انه أغارهو وأخوه عبدالله ابن الحمير ورجل يقال له قابض بن أبي عقيل فوجد القوم قدحذِروا فانصرف مُخْفقاً لم يصب شيئاً ، فمر برجل من بني عوف بن عامر بن عقيل منتحياً عن قومه فقتله توبة وقتل رجلا كان معه من رهطه وأطرد إبلهما ، ثم خرج عامداً يريد عبدالعزيز ابن زُرارة الكلابى ، وخرج ابن عم للمقتول الى بني عوف بن عامر فأخبرهم الخبر فركبوا فى طلب توبه فأدركوه فى أرض بنى خفاجة وقد أمن فى نفسه فنزل وقد كان أسرى يومه وليلته فاستظل ببُرْديه وألقى عنه درعه وخلى عن فرسه الخوصاء تتردد قريباً منه وجعل قابضاً ربيئة له ونام ، فأقبلت بنو عوف متقاطرين لئلايفطن لهم أحد ، فنظر قابض فأبصر رجلا منهم فأقبل الي توبة فأنبهه ، فقال توبةمارأيت ؟ قال رأيت شخص رجل واحد ، فنام ولم يكترث له وعاد قابض الى مكانه فغلبته عيناه فنام ، فأقبل القوم على تلك الحال فلم يشعر بهم قابض حتى غشوه ، فلما رآهم طار على فرسه وأقبل القوم الي توبة ، وكان أول من تقدم غلام أمرد يقال له يزيد ابن رويبة بن سالم على فرس عربى ثم تلاه ابن عمه عبد الله بن سالم ثم تتابعوا ، فلما سمع توبة وقع الخيل نهض وهو وَسْنان فلبس درعه على سيفه ثم صوَّت بفرسه الخوصاء فأتته ، فلما أراد أن يركبها أهوت ترمحه ثلاث مرات ، فلما رأى ذلك لطم وجهها فأدبرت وحال القوم بينه وبينها فأخذ رمحه وشد على يزيد بن رويبة فطعنه فأنفذ فخذيه جميعاً وشد على توبة ابن عم الغلام فطعنه فقتله وقطعوا رجل

عبد الله ، فلما رجع عبد الله بعد ذلك الي قومه لاموه وقالوا له فررت عن أخيك . فقال فى ذلك

تأوبني بغازيةَ الهموم ... كما يعتاد ذا الدين الغريم
كأن الهمَّ ليس يريد غيرى ... ولو أمسى له نَبَط ورُوم
علامَ تقول عاذلتى تلوم ... تؤنبنى وما انجاب الصريم (١)
فقلت لها رويداً كي تَجلّى ... غواشى النوم والليل البهيم
ألما تعلمى أنى قديماً ... اذا ما شئت أعصِى من يلوم
وأن المرء لا يدرى اذا ما ... يهم علام تحمله الهموم
وقد تُعدّى على الحاجات حَرْف ... كركب الرَّعْن ذعْلبة عقيم (٢)
مداخَلة الفقَار وذات لَوْث ... على الحرّات مقحمة غَشوم (٣)
كأن الرحل منها فوق جأْب (٤) ... بذات الحاذ معقله الصريم
طباه برجلة البقار برق ... فبات الليل منتصباً يَشيم (٥)
فبينا ذاك إذ هبطت عليه ... دَلوح المزن واهية هزيم (٦)
تَهُب لها الشَّمال فتمتريها ... ويمقبها بنافجة نسيم
يُلث إذا الرباب جرى عليه ... كما يُصغى الى الآسى الأميم (٧)
إذا ما قال أقشع جانباه ... نشت من كل ناحية غيوم

(١) الصريم الليل وتقول تظن (٢) الحرف الناقة الضامرة الصلبة شبهت بحرف الجبل فى شدتها وصلابتها والرعن أنف يتقدم الجبل والذعلبة السريعة (٣) الفقار ما تنضد من عظام الصلب من لدن الكاهل الى العجب وهو خرزات الظهر والمعنى أنها اكتنزت واشتد أسرها واللوث القوة والحرات جمع حرة وهى أرض ذات حجارة نخرة سود كأنها أحرقت بالنار وأقحم الفرس النهر أى دخله بعنف (٤) الجأب الغليظ من حمر الوحش وذات الحاذ موضع بنجد والصريم موضع بعينه (٥) شام البرق نظر اليه أين يقصد وأين يمطر ورجلة البقار موضع وطباه دعاه (٦) الدلوح السحابة الكثيرة الماء والغيث الهزيم الذى لا يستمسك
(٧) ألث المطر دام أياماً ولم يقلع والرباب السحاب الأبيض والآسى الطبيب والأميم المشجوج

فأشــــعر ليله أرقاً وقرّا يُسهّده كما أرق السليم
ألا من يشترى رجلا برجل تخوّنها الســــلاح فما تسوم
تلومك فى القتال بنو عقيل وكيف قتال أعرجَ لايقوم
ولو كنت القتيل وكان حيا لقاتل لا ألفَّ ولا سؤم
ولا جثّـامة ورع هيوب ولا ضَرِع إذا يمشى جثوم

ثم ان خفاجة رهط توبة جمعوا لبني عوف الذين قتلوا توبة ، فلما بلغهم الخبر لحقوا ببني الحرث بن كعب ، ثم افترقت بنو خفاجة فلما بلغ ذلك بني عوف رجعوا فجمعت لهم بنو خفاجة أيضاً قبائل عقيـل ، فلما رأت ذلك بنو عوف لحقوا بالجزيرة فنزلوها ، ثم ان بنى عامر بن صعصعة صاروا فى أمرهم الى مروان بن الحكم وهو والي المدينة لمعاوية فقالوا ننشدك الله أن تفرق جماعتنا ، فعقل توبة وعقل الآخرين معاقل العرب مائة من الابل فأدتها بنو عامر ، ولم يبق بالعالية من بنى عوف احد وأقامت بنو ربيعة بن عقيل وعروة بن عقيل وعبادة بن عقيل بمكانهم من البادية .

وقالت ليلى ترثيه

نظرت وركن من ُبوانة دوننا وأركان حِسْمى أىَّ نظرة ناظر
لآنس ان لم يقصُر الطرف عنهمُ فلم تقصر الأخبار والطرف قاصرى
فوارس أجلى شأْوُها عن عقيرة لعاقرها فيها عقَـيرة عاقر [1]
فآنست خيـلاً بالرُّقيِّ مغيرةً سوابقها مثل القطا المتواتر
قتيل بنى عوف [2] ويثبر دونه قتيل بنى عوف قتيـل لجابر
توارده أســـيافهم فكأنما تصادرن عن أقطاع أبيض باتر

(١) شـأوها سرعتها وهو الطلق وعقيرة تعنى توبة ولعاقرها يعنى لعاقر توبة عقيرة عاقر أى الهلاك (٢) هم بنو عوف بن عامر بن عقيل الذين قتلوا توبة

من الهِنْدُوانِيَّات فى كل قطعة ... دم زَلَّ عن أثر من السيف ظاهر
أتته المنايا دون زَغْف[(١)] حصينة ... وأسمر خَطِّى وخَوْصاء ضامر
على كل جَرْداء السَّراة وسابح ... لهن بشُبَّاك الحديد زوافر
عوابس تعدو الثَّعْلَبية ضُمَّرًا ... وهن سواج بالشكيم سواجر
فلا يبعدنك الله توبة انما ... لقاء المنايا دارعا مثل حاسر
فإلَّا تكُ القتلى بَواء[(٢)] فانكم ... ستلقَوْن يوما ورده غير صادر
وان السَّليل إذ يبالى قتيلكم ... كمرجومة من عركها[(٣)] غير طاهر
فان تكن القتلى بَوَاء فنكم ... فتى ما قتلتم آل عوف بن عامر
فتى لا تخطاه الرفاق ولا يرى ... لقِدْر عيالا دون جار مجاور
ولا تأخذ الكُوم الجلاد رماحها ... لتوبة فى نحس الشتاء الصَّنابر[(٤)]
اذا ما رأته قائماً بسلاحه اتــــقته الخِفاف بالثقال البهازر[(٥)]
اذا لم يجد منها برِسْل[(٦)] فقصره ... ذُرَى المرهفات والقِلاص النواجر
قِرى سيفه منهن شاسا وضيفه ... سنام البهاريس السياط المشافر
وتوبة أحيا من فتاة حييّة ... وأجرأ من ليث بخَفَّان خادر
ونعم فتى الدنيا اذا كان فاجرا ... وفوق الفتى ان كان ليس بفاجر
فتى يُنْهِل الحاجات ثم يُعلّها ... فيطلعها عنه ثَنايا المصادر
كأن فتى الفتيان توبة لم يُنِخْ ... قلائص يَفْحَصن الحصا بالكراكر[(٧)]
ولم يبن أبراداً عتاقاً لفتية ... كرام ويرحل قبل فىء الهواجر
ولم يتجل الصبح عنه وبطنه ... لطيف كطى السِّبّ[(٨)] ليس بحاذر

(١) الزغف الدرع الدقيقة حسنة السلاسل (٢) بواء متساوية فى القصاص
(٣) العرك الحيض (٤) صنابر الشتاء شدة برده والكوم جمع كوماء وهى الناقة الضخمة السنام (٥) البهزرة الناقة الجسيمة الضخمة الصفية والجمع بهازر
(٦) الرسل اللبن ما كان (٧) الكراكر جمع كركرة بالكسر وهى صدر كل ذى خف
(٨) السب شقة كتان رقيقة

فتى كان للمولى سَناء ورفعة ... وللطارق السارى قِرًى غير باسر (١)
ولم يُدْعَ يوماً للحفاظ وللعدا ... وللحرب يرمى نارها بالشراشر (٢)
وللبازل الكَوْماء يرغو حُوارها ... وللخيل تعدو بالكُماة المساعر
كأن لم تكن تقطع فلاة ولم تُنِخْ ... قلاصاً لذى بأو (٣) من الأرض غابر
وتصبح بمَوْماة كأن صريفها ... صريف خطاطيف المدى فى المحافر
طوت نقعها عنا كِلاب وآثرت ... بنا أجهلوها بين غاو وشاعر
وقد كان حقاً أن تقول سراتهم ... لما لأخينا عائشا غير عاثر
ودَوِّية قفر يَحارُ بها القطا ... تخطيتها بالناعجات (٤) الضوامر
فتالله تبنى بيتها أم عاصم ... على مثله احدى الليالي الغوابر
فليس شهاب الحرب توبة بعدها ... بغازٍ ولا غادٍ بركب مماهر
وقد كان طَلَّاع النِّجاد وبَيِّن اللسان ومِدْلاج السُّرى غير فاتر
وقد كان قبل الحادثات اذا انتحى ... وسائق (٥) أو مغبوطة لم يغادر
وكنت اذا مولاك خاف ظُلامةً ... دعاك ولم يَعدِل سواك بناصر
فان يك عبد الله آسى ابن أمه ... وآب بأسلاب الكَمِيِّ المغاور
فكان كذات البَوِّ تضرب عنده ... سباعاً وقد أُلقينه فى الجراجر (٦)
فان تك قد فارقته لك غادراً ... وأَنَّى لحى غدر من فى المقابر
فأقسمت أبكى بعد توبة هالكا ... وأُحفِلُ من نالت صروف المقادر
على مثل همام ولابن مطرف ... لتبك البواكى أو لبشر بن عامر
غلامان كانا استوردا كل سَوْرة ... من المجد ثم استوثقا فى المصادر

---

(١) بسر الانسان كلح فهو باسر (٢) ألقى عليه شراشره هو هواه الذى لا يريد أن يدعه من حاجته وألقى عليه شراشره أى أثقاله (٣) البأو الفخر
(٤) الناعجة الناقة السريعة يصاد عليها نعاج الوحش (٥) الوسيقة من الابل كالرفقة من الناس جمعه وسائق (٦) الجراجر العظام من الابل

ربيعين حياً كانا يفيض نداهما ... على كل مغمور تراه وغامر
كأن سنا ناريهما كل شتوة ... سنا البرق يبدو للعيون النواظر

وقالت أيضا وكان الأصمعى يعجب بها

أيا عين بكى توبة بن الحمير ... بسح كفيض الجدول المتفجر
لتبك عليه من خفاجة نسوة ... بماء شؤن العبرة المتحدر
سمعن بهيجا أرهقت فذكرنه ... ولا يبعث الأحزان مثل التذكر
كأن فتى الفتيان توبة لم يسر ... بنجد ولم يطلع من المتغور
ولم يرد الماء السدام (١) اذا بدا ... سنا الصبح فى بادى الحواشى منور
ولم يغلب الخصم الضجاج ويملأ الـ ... ـجفان سديفاً يوم نكباء صرصر
ولم يعل بالجرد الجياد يقودها ... بسبرة بين الاشمسات فيأسر
وصحراء موماة يحار بها القطا ... قطعت على هول الجنان بمنسر
يقودون قبا كالسراحين لاحها ... سراهم وسير الراكب المتهجر
فلما بدت أرض العدو سقيتها ... مجاج بقيات المزاد المغبر
ولما أهابوا بالنهاب حويتها ... بخاظى (٢) البضيع كره غير أعسر
يمر ككر الأندرى (٣) مثابر ... اذا ما ونين مهلب الشد محضر
فألوت بأعناق طوال وراعها ... صلاصل بيض سابغ وسنور (٤)
ألم تر أن العبد يقتل ربه ... فيظهر جد العبد من غير مظهر
قتلتم فتى لا يسقط الروع رمحه ... اذا الخيل جالت فى قنا متكسر
فيا توب للهيجا ويا توب للندى ... ويا توب للمستنبح المتنور
ألا رب مكروب أجبت ونائل ... بذلت ومعروف لديك ومنكر

(١) السدم من الماء بالتحريك المندفق جمعه أسدام وسدام أو الواحد والجمع سواء
(٢) خظا لحمه اكتنز والبضيع اللحم (٣) الاندرى الجبل الغليظ وأهلب الفرس تابع الجرى
(٤) السنور كل سلاح من حديد

وقالت ترثيه أيضا

أقسمت أرثى بعد توبة هالكاً ... وأحفل من دارت عليه الدوائر
لعمرك ما بالموت عار على الفتى ... اذا لم تصبه فى الحياة المعاير
وما أحد حى وان عاش سالماً ... بأخلد ممن غيبته المقابر
ومن كان مما يحدث الدهر جازعاً ... فلا بد يوما أن يُرَى وهو صابر
وليس لذى عيش عن الموت مقصر ... وليس على الأيام والدهر غابر
ولا الحى مما يحدث الدهر مُعْتَب ... ولا الميت ان لم يصبر الحىُّ ناشر
وكل شباب أو جديد الى بلًى ... وكل امرئ يوما الى الله صائر
وكل قرينى ألفة لتفرق ... شتاتا وان ضَنَّا وطال التعاشر
فلا يبعدنك الله حيا وميتا ... أخا الحرب ان دارت عليك الدوائر
فآليت لا أنفك أبكيك مادعت ... على فنن ورقاء أو طار طائر
قتيل بنى عوف فيالهفتا له ... وما كنت اياهم عليه أحاذر
ولكنما أخشى عليه قبيلة ... لها بدروب الروم باد وحاضر

وقالت ترثيه

كم هاتف بك من باك وباكية ... يا توب للضيف اذ تدعى وللجار
وتوب للخصم ان جاروا وان عندوا ... وبدلوا الأمر نقضاً بعد امرار
أن يصدروا الأمر تطلعه موارده ... أو يوردوا الأمر تحلله باصدار

وقالت ترثيه

هراقت بنو عوف دماً غير واحد ... له نبأ نجديه سيغور
تداعت له أفناء عوف ولم يكن ... له يوم هضب الرَّدْهتين نصير

وقالت ترثيه

ياعين بكي بدمع دائم السجم ... وابكي لتوبة عند الروع والبهم

على فتى من بني سعد فجعت به   ماذا أجنّ به فى الحفرة الرجم
من كل صافية صرف وقافية   مثل السنان وأمر غير مقتسم
ومصدر حين يُعْيي القوم مصدرهم   وجفنة عند نحس الكوكب الشَّم

سأل معاوية بن أبي سفيان ليلى عن توبة فقال ويحك يا ليلى أ كما يقول الناس كان توبة ؟ قالت يا أمير المؤمنين ليس كل ما يقول الناس حقاً والناس شجرة بغى يحسُدُون أهل النعم حيث كانت وعلى من كانت ، ولقد كان يا أمير المؤمنين سبْط البنان ، حديد اللسان ، شجىّ للأقران ، كريم المختبر ، عفيف المئزر ، جميل المنظر ، وهو يا أمير المؤمنين كما قلت له ، قال وما قلت له ؟ قالت قلت ولم أتعد الحق وعلى فيه

بعيد الثرى لا يبلغ القوم قعره   ألدّ مِلَدّ يغلب الحق باطله
اذا حل ركب فى ذراه وظله   ليمنعهم مـــــا تخاف نوازله
حماهم بنصل السيف من كل فادح   يخافونه حتى تموت خصائله [1]

فقال لها معاوية ويحك يزعم الناس أنه كان عاهراً خارباً [2] ، فقالت من ساعتها

معاذَ إلهي كان والله ســـيداً   جواداً على العلّات جمّا نوافله
أغرّ خفاجياً يرى البخل سبّة   تحلب كفاه الندى وأنامله
عفيفاً بعيد الهم صلْباً قناته   جميلاً مُحيّاه قليـــلاً غوائله
وقد علم الجوع الذى بات سارياً   على الضيف والجيران أنك قاتله
وأنك رحب الباع يا توْبَ بالقِرَى   اذا ما لئيم القوم ضاقت منازله
يبيت قرير العين من بات جارَه   ويضحى بخـير ضيفه ومُنازله

فقال لها معاوية ويحك لقد جزت بتوبة قدره ، فقالت والله يا أمير المؤمنين لو رأيته وخبرته لعرفت أنى مقصرة فى نعته وأنى لا أبلغ كنه ما هو أهله ، فقال لها معاوية من أى الرجال كان ؟ قالت

(١) الخصيلة كل لحمة فيها عصب والجمع خصائل (٢) الخارب اللص

أتته المنايا حين تم تمامه وأقصر عنه كل قِرْن يصاوله
وكان كليث الغاب يحمى عرينه وترضى به أشباله وحلائله
غضوب حليم حين يطلب حلمه وسم زُعاف لا تصاب مقاتله

فأمَرَ لها بجائزة وقال خبريني بأجود ما قلت فيه من الشعر ، قالت يا أمير المؤمنين ما قلت فيه شيئاً الا والذى فيه من خصال الخير أكثر منه ولقد أجدت حين قلت

جزى الله خيراً والجزاء بكفه فتى من عُقَيل ساد غير مكلف
فتى كانت الدنيا تهون بأسرها عليه ولا ينفك جَمَّ التصرف
ينال عليات الأمور بهَوْنة اذا هى أعيت كل خِرْق مُشَرَّف
هو الذوب بل أَرْىُ الضَّحالى شبته بدُرْياقة من خمر بِيسان قَرْقَف
فيا توب ما فى العيش خير ولا ندى يعد وقد أمسيت فى تُرب نَفْنَف
وما نلت منك النصف حتى ارتمت بك الـــمنايا بسهم صائب الوقع أعجف
فيا ألف ألف كنت حياً مسلماً لألقاك مثل القَسْوَر المتعارف
كما كنت اذ كنت المنجى من الردى اذا الخيل جالت بالقنا المتقصف
وكم من لَهِيف مُجْحَرَ قد أجبته بأبيض قطاع الضريبة مُرْهَف
فأنقذته والموت يحرق نابه عليه ولم يطعُن ولم يتنسف[1]

بينا الحجاج جالس اذ استؤذن لليلى ، فقال أدخلوها ، فدخلت امرأة طويلة دَعْجاء العينين ، حسنة المشية ، الى القوة ما هي ، حسنة الثغر ، فسلمت ، فرد الحجاج عليها ورحب بها ، فدنت ، فقال الحجاج وراءك ، ضع لها وسادة يا غلام فجلست ، فقال ما أعملك الينا ؟ قالت السلام على الأمير ، والقضاء لحقه والتعرض لمعروفه ، قال وكيف خلفت قومك ؟ قالت تركتهم فى حال خِصْب وأمن ودَعَة ،

(١) تنسف فى الصراع قبض بيده على خصمه ثم عرض له رجله فعثره

أما الخصب ففى الأموال والكلأ ، وأما الأمن فقد أمنهم الله عز وجل بك ، وأما الدّعة فقد خامرهم من خوفك ما أصلح بينهم ، ثم قالت ألا أُنشدك ؟ فقال اذا شئت ، فقالت

أحجاج لا يُفلَل سلاحك انها الــمنايا بكف الله حيث تراها
اذا هبط الحجاج أرضاً مريضة ... تتبع أقصى دائها فشــفاها
شفاها من الداء العُضال الذى بها ... غلام اذا هزّ القناة ســقاها
سقاها دماء المارقين وعلها ... اذا أجمحت يوماً وخيف أذاها
اذا سمع الحجاج صوت كتيبة ... أعد لها قبل النزال قِراها
أعد لها مصقولة فارســية ... بأيدى رجال يحسنون غذاها
أحجاج لا تعط العصاة مناهمُ ... ولا الله يعطى للعصاة مناها
ولا كل حلّاف تقلد بيعة ... فأعظم عهــد الله ثم شراها

فقال الحجاج ليحيى بن منقذ لله بلادُها ما أشعرها ، فقال مالي بشعرها علم ، فقال عليَّ بعبيدة بن وهب وكان حاجبه ، فقال أنشديه ، فأنشدته ، فقال عبيدة هذه الشاعرة الكريمة قد وجب حقها ، قال ما أغناها عن شفاعتك يا غلام مُرْ لها بخمسمائة درهم واكسها خمسة أثواب أحدها كساء خز وأدخلها على ابنة عمها هند بنت أسماء فقل لها حلّيها ، فقالت أصلح الله الأمير أضرّ بنا العريف في الصدقة وقد خربت بلادنا وانكسرت قلوبنا فأخذ خيار المال ، قال اكتبوا لها الى الحكم بن أيوب فليبتع لها خمسة أجمال وليجعل أحدها نجيباً واكتبوا الى صاحب اليمامة بعزل العريف الذى شكته ، فقال ابن وهب أصلح الله الأمير أأُصلها ؟ قال نعم ، فوصلها بأربعمئة درهم ، ثم قال لها الحجاج بالله يا ليلى أرأيتِ من توبة أمراً تكرهينه أو سألكِ شيئاً يعاب ؟ قالت لا والله الذى أسأله المغفرة ما كان ذلك منه قط ، فقال اذ لم يكن فيرحمنا الله وإياه

قال الحجاج لليلى ان شبابك قد ذهب واضمحل أمرك وأمر توبة فأقسم عليك الا صدقتني هل كانت بينكما ريبة قط ؟ أو خاطبك فى ذلك قط ، فقالت لا والله أيها الأمير الا أنه قال لي ليلة وقد خلونا كلمة ظننت أنه قد خضع فيها لبعض الأمر ، فقلت له

وذى حاجة قلنا له لا تَبُحْ بها　　　فليس اليها ما حييت سبيل
لنا صاحب لا ينبغى أن نخونه　　　وأنت لأخرى فارغ وخليل

فلا والله ما سمعت منه ريبة بعدها حتى فرَّق بيننا الموت ، قال لها الحجاج فما كان منه بعد ذلك ؟ قالت وجه صاحباً الى حاضرنا ، فقال اذا أتيت الحاضر من بني عبادة ابن عقيل فاعلُ شرفاً ، ثم اهتف بهذا البيت

عفا الله عنها هل أبيتن ليلة　　　من الدهر لا يسرى الىّ خيالها

فلما فعل الرجل ذلك عرفت المعنى ، فقلت له

وعنه عفا ربى وأحسن حفظه　　　عزيزٌ علينا حاجة لا ينالها

بشار بن برد العقيلي

يكنى أبا معاذ محله فى الشعر وتقدمه فى طبقات المحدثين فيه باجماع الرواة ورياسته عليهم من غير اختلاف فى ذلك يغني عن وصفه واطالة ذكر محله وهو من مخضرمى شعراء الدولتين العباسية والأموية قد شهر فيهما ومدح وهجا فأخذ سنيّ الجوائز مع الشعراء

ولاؤه لبني ربيعة بن عقيل ، سأله المهدى لما دخل عليه فقال له فيمن تعتد يا بشار ، فقال أما اللسان والزى فعربيان وأما الأصل فعجمى كما قلت فى شعرى يا أمير المؤمنين

ونبئت قوماً بهم جنَّة　　　يقولون من ذا وكنت العَلَم

ألا أيها السائلي جاهداً ليعرفني أنا أنف الكرم
نمت في الكرام بني عامر فروعي وأصلي قريش العجم
فاني لأغني مقام الفتى وأصبي الفتاة فما تعتصم

وكان أبو دلامة حاضراً ، فقال كلا لوجهك أقبح من ذلك ووجهي مع وجهك فقال بشار كلا والله ما رأيت رجلا أصدق على نفسه وأ كذب على جليسه منك والله انى لطويل القامة عظيم الهامة تام الالواح أسجح الخدين ولرب مسترخي المزورين للعين فيه مراد ، ثم قال له المهدي من أى العجم أصلك ؟ فقال من أ كثرها في الفرسان وأشدها على الأقران أهل طخارستان ، فقال بعض القوم أولئك الصُّغْد فقال لا الصغد تجار ، فلم يردد ذلك المهدي

وكان بشار كثير التلون في ولائه شديد التشعب والتعصب للعجم ، مرة يقول يفتخر بولائه في قيس

أمنت مضرة الفحشاء اني . أرى قيساً تَضُرّ ولا تضار
كأن الناس حين تغيب عنهم نبات الارض أخطأه القِطار
وقد كانت بتدمُر خيل قيس فكان لتدمُرٍ فيها دمار
بحي من بني عيلان شُوسٍ يسير الموت حيث يقال ساروا
وما نلقاهم إلا صدرنا بريٍّ منهم وهم حرار

ومرة يتبرأ من ولاء العرب فيقول :

أصبحت مولى ذي الجلال وبعضهم مولى العُرَيْب فخذ بفضلك فافخر
مولاك أكرم من تميم كلها أهل الفَعال ومن قريش المشعر
فارجع الى مولاك غير مدافع سبحان مولاك الأجل الا كبر

وقال يفتخر بولاء بني عَقيل

انى من بنى عُقَيل بن كعب موضع السيف من طُلَى الاعناق

وكان يلقب بالمُرَعَّث لقوله

قال ريم مُرَعَّث ساحر الطرف والنظر
لست والله نائلى قلت أو يغلب القدر
أنت إن رمت وصلنا فانجُ هل تدرك القمر

وولد بشار أعمى فما نظر الى الدنيا قط وكان يشبه الأشياء بعضها ببعض فى شعره فيأتى بما لا يقدر عليه البصراء أن يأتوا بمثله فقيل له يوماً وقد أنشد قوله

كأن مُثار النقع فوق رءوسنا وأسيافنا ليل تَهاوَى كواكبه

ما قال أحد أحسن من هذا التشبيه فمن أين لك هذا ولم تر الدنيا قط ولاشيئاً فيها ؟ فقال ان عدم النظر يقوى ذكاء القلب ويقطع عنه الشغل بما ينظر اليه من الأشياء فيتوفر حسه وتزكو قريحته ثم أنشدهم قوله

عَمِيت جنيناً والذكاء من العمى فجئت عجيب الظن للعلم موئلا
وغاض ضياء العين للعلم رافداً بقلب إذا ما ضيع الناس حصلا
وشعر كنَوْرِ الأرض لاءمت بينه بقول إذا ما أحزن الشعر أسهلا

وكان من أشد الناس تبرماً بالناس وكان يقول الحمد لله الذى ذهب ببصرى فقيل له ولم يا أبا معاذ ؟ قال لئلا أرى ما أبغض ، وكان يلبس قميصاً له لبنتان فاذا أراد أن ينزعه نزعه من أسفله

قال الأصمعى بشار خاتمة الشعراء والله لولا أن أيامه تأخرت لفضلته على كثير منهم

وقيل لابى عبيدة أمروان عندك أشعر أم بشار ، فقال حكم بشار لنفسه بالاستظهار انه قال ثلاثة عشر الف بيت جيد ولا يكون عدد الجيد من شعر شعراء الجاهلية والاسلام هذا العدد وما أحسبهم برزوا فى مثلها ومروان أمدح للملوك

قال التوّزى قل بشار أزرى بشعرى الأذان « يقول انه اسلامى » وقال

أبو عبيدة قال بشار الشعر ولم يبلغ عشر سنين ثم بلغ الحلم وهو مخشي معرة لسانه ، قال وكان بشار يقول هجوت جريراً فأعرض عني واستصغرني ولو أجابني لكنت أشعر الناس ، وكان الأصمعي يقول بشار خاتمة الشعراء والله لولا أن أيامه تأخرت لفضلته على كثير منهم ، قال أبوزيد كان راجزاً مقصداً ، قال بشار لي اثنا عشر الف بيت عين

وسئل الاصمعي عن بشار ومروان أيهما أشعر ؟ فقال بشار فسئل عن السبب في ذلك ، فقال لأن مروان سلك طريقاً كثر من يسلكه فلم يلحق بمن تقدمه وشركه فيه من كان في عصره وبشار سلك طريقاً لم يسلك وأحسن فيه وتفرد به وهو أكثر تصرفا وفنون شعر وأغزر وأوسع بديعاً ومروان لم يتجاوز مذهب الأوائل وقال ابن أبي حاتم سمعت الأصمعي وقد عاد الى البصرة من بغداد فسأله رجل عن مروان بن أبي حفصة فقال وجدت أهل بغداد وقد ختموا به الشعراء وبشار أحق بأن يختموهم به من مروان ، فقيل له ولم ؟ فقال وكيف لا يكون كذلك وما كان مروان في حياة بشار يقول شعراً حتى يصلحه له بشار ويقومه ، وهذا سلم الخاسر من طبقة مروان يزاحمه بين أيدي الخلفاء بالشعر ويساويه في الجوائز وسلم معترف بأنه تبع لبشار ، وقيل لأبي زيد أيما أشعر ؟ بشار أم مروان فقال بشار أشعر ومروان أكفر ، وقال مرة مروان أجد وبشار أهزل فحدث الأصمعي بذلك فقال بشار يصلح للجد والهزل ومروان لا يصلح الا لأحدهما

وقيل لبشار ليس لأحد من شعراء العرب شعر الاوقد قال فيه شيئا استنكرته العرب من ألفاظهم وشك فيه وانه ليس في شعرك ما يشك فيه ، قال ومن أين يأتيني الخطأ ؟ ولدت ههنا ونشأت في حجور ثمانين شيخاً من فصحاء بني عقيل ما فيهم أحد يعرف كلمة من الخطأ ، وان دخلت الى نسائهم فنساؤهم أفصح منهم ، وأيفعت فأبديت الى أن أدركت ، فمن أين يأتيني الخطأ ؟

كان بالبصرة رجل يقال له حمدان الخياط فاتخذ جاماً لانسان كان بشار عنده

فسأله بشار أن يتخذ له جاماً فيه صور طير تطير ، فاتخذه له وجاءه به ، فقال له مافي هذا الجام ؟ فقال صور طير تطير ، فقال كان ينبغي أن تتخذ فوق هذه الطير طائراً من الجوارح كأنه يريد صيدها فانه كان أحسن ، قال لم أعلم ، قال بلى قد علمت ولكن علمت انى أعمى لا أبصر شيئاً وتهدده بالهجاء ، فقال له حمدان لا تفعل فانك تندم قال أو تهددنى أيضاً ؟ قال نعم ، قال فأى شىء تستطيع أن تصنع بى ان هجوتك ؟ قال أصورك على باب دارى بصورتك هذه « وذكر مالا يجمل ذكره » حتى يراك الصادر والوارد ، فقال بشار اللهم اخزه أنا أمازحه وهو يأبى إلا الجد

كان جرير بن المنذر السدوسى يفاخر بشاراً فقال فيه بشار

أمثلُ بنى مُضَر وائل ... فقدتك من فاخر ، ما أجن
أفى النوم هذا أبا منذر ... فخيراً رأيت وخيراً يكن
رأيتك والفخر فى مثلها ... كعاجنة غير ما تَطَّحن

قال محمد بن الحجاج كنا عند بشار وعنده رجل ينازعه فى اليمانية والمضرية اذ أذن المؤذن فقال له بشار رويداً تفهم هذا الكلام ، فلما قال أشهد أن محمداً رسول الله قال له بشار أهذا الذى نودى باسمه مع اسم الله عز وجل من مضر هو أم من صُداء وعكّ وحمير ؟ فسكت الرجل

وقال قلت لبشار إنى أنشدت فلاناً قولك

إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ... ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه

فقال له ما كنت أظنه إلا لرجل كبير ، فقال بشار أفلا قلت له هو والله لأكبر الجن والانس ؟

كان بشار يهوى امرأة من أهل البصرة ، فراسلها يسألها زيارته ، فوعدته بذلك ثم أخلفته ، وجعل ينتظرها ليلة حتى أصبح ، فلما لم تأته أرسل اليها ليعاتبها فاعتذرت بمرض أصابها فكتب اليها بهذه الأبيات

يا ليلتى تزداد نكرا من حب من أحببت بكرا
حوراء ان نظرت اليك سقتك بالعينين خمرا
وكأن رجع حديثها قطع الرياض كسين زهرا
وكأن تحت لسانها هاروت ينفث فيه سحراً
وتخال ما جمعت عليه ثيابها ذهبا وعطرا
وكأنها برد الشرا ب صفا وصادف منك فطرا
جنية انسية أو بين ذاك أجل أمرا
وكفاك انى لم أحط بشكاة من أحببت خبْرا
إلا مقالة زائر نثرت لى الاحزان نثرا
متخشعاً تحت الهوى عشراً وتحت الموت عشرا

وكان اسحق الموصلى لايعتد ببشار ويقول هو كثير التخليط فى نثره وأشعاره مختلفة لا يشبه بعضها بعضاً ، أليس هو القائل ؟

إنما عظم سليمى حبتى قصب السكر لاعظم الجمل
وإذا أدنيت منها بصلا غلب المسك على ريح البصل

لو قال كل شىء جيد ثم أضيف اليه هذا لزيفه ، وكان يقدم عليه مروان ويقول هو أشد استواء شعر منه وكلامه ومذهبه أشبه بكلام العرب ومذاهبها وكان لايعد أبا نواس البتة ولا يرى فيه خيراً

قال الجاحظ كان بشار خطيباً صاحب منثور ومزدوج وسجع ورسائل وهو من المطبوعين أصحاب الابداع والاختراع المتفننين فى الشعر القائلين فى أكثر أجناسه وضروبه وقال الشعر في حياة جرير وتعرض له وحكى أنه قال هجوت جريرا فأعرض عني ولو هاجانى لكنت أشعر الناس وكان يدين بالرجعة ويكفر

جميع الأمة ويصوب رأى ابليس فى تقديم النار على الطين وذكر مثل ذلك فى شعره فقال

الأرض مظلمة والنار مشرقة والنار معبودة مذ كانت النار

وبلغه عن واصل بن عطاء انكار لقوله وهتف به، فقال يهجوه

مالي أشايع غزالا له عنق كنقنق الدوّ ان ولى وان مثلا
عنق الزرافة ما بالى وبالكم أتكفرون رجالا أكفروا رجلا

فلما تتابع على واصل منه ما يشهد على الحاده خطب به واصل وكان ألثغ على الراء فكان يجتنبها فى كلامه فقال أما هذا الملحد المكنى بأبي معاذ من يقتله، أما والله لولا أن الغيلة سجية من سجايا الغالية لدسست اليه من يبعج بطنه فى جوف منزله أو فى حفله ثم كان لا يتولى ذلك إلا عقيلى أو سدوسى ، وكان واصل قد بلغ من اقتداره على الكلام وتمكنه من العبارة أن حذف الراء من جميع كلامه وخطبه وجعل مكانها ما يقوم مقامها

وكانوا يقولون أحسن الناس ابتداء فى الجاهلية امرؤ القيس وفى الاسلام القطامى ومن المحدثين بشار حيث يقول

أبى طلل بالجزع أن يتكلما وماذا عليه لو أجاب متيما
وبالفرع آثار بقين وباللوى ملاعب لا يعرفن إلا توهما

وكان الأصمعى يعجب بشعر بشار لكثرة فنونه وسعة تصرفه، ويقول كان مطبوعا لا يكلف طبعه شيئاً متعذراً لا كمن يقول البيت ويحككه أياما ، وكان يشبه بشارا بالأعشى والنابغة الذبيانى ويشبه مروان بزهير والحطيئة ويقول هو متكلف ، وقال نجم بن النطاح عهدى بالبصرة وليس فيها غزل ولا غزلة الا يروى من شعر بشار ولا نائحة ولامغنية الا تتكسب به ولا ذو شرف إلا وهو يهابه ويخاف معرّة لسانه

وقال بعض الرواة لأبي عمرو من أبدع الناس بيتاً ؟ قال الذي يقول

لم يطل ليلي ولكن لم أنم ونفى عني الكرى طيف ألم
وإذا قلت لها جودي لنا خرجت بالصمت عن لا ونعم
روّحي يا عبدَ عني واعلمي أنني يا عبدَ من لحم ودم
ان في بُرْدَيَّ جسماً ناحلا لو توكأت عليه لانهدم

قال فمن أمدح الناس ؟ قال الذي يقول

لمست بكفي كفه أبتغي الغنى ولم أدر أن الجود من كفه يُعْدِي
فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغنى أفدت وأعداني فأتلفت ما عندي

وهذه الأبيات لبشار

ودخل بشار الى ابراهيم بن عبدالله بن حسن فأنشده قصيدة يهجو فيها المنصور ويشير عليه برأي يستعمله في أمره ، فلما قتل ابراهيم خاف بشار فقلب الكنية وأظهر أنه كان قالها في ابي مسلم وحذف منها أبياتاً وأولها

أبا جعفر ما طول عيش بدائم ولا سالم عما قليل بسالم

قلب هذا البيت فقال أبا مسلم

على الملك الجبار يقتحم الرَّدَى ويصرعه في المأزق المتلاحم
كأنك لم تسمع بقتل مُتَوَّج عظيم ولم تسمع بفتك الأعاجم
تقسم كسرى رهطُه بسيوفهم وأمسى أبو العباس أحلام نائم

يعني الوليد بن يزيد

وقد كان لا يخشى انقلاب مكيدة عليه ولا جرى النحوس الأشائم
مقيماً على اللذات حتى بدت له وجوه المنايا حاسرات العمائم
وقد تَرِدُ الأيام غُرّا وربما وردن كلوحا باديات الشَّكائم

ومَرْوانَ قد دارت على رأسه الرحا   وكان لما أجرمت نزر الجرائم
فأصبحت تجرى سادراً فى طريقهم   ولا تتقى أشباه تلك النقائم
تجردت للاسلام تعفو سبيله   وتُعْرى مطاه لليوث الضراغم
فما زلت حتى استنصر الدين أهله   عليك فعاذوا بالسيوف الصوارم
فرم وَزَراً ينجيك يا ابن سلامة   فلست بناج من مَضيم وضائم

جعل موضع يا ابن سلامة يا ابن وشيكة وهى أم أبى مسلم

لحا الله قوماً رأسوك عليهم   وما زلت مرؤساً خبيث المطاعم
أقول لبسام عليه جلالة   غدا أَرْيحيا عاشقاً للمكارم
من الفاطميين الدعاة الى الهدى   جهاراً ومن يهديك مثل ابن فاطم

هذا البيت حذفه بشار من الأبيات

سراج لعين المستضئ وتارة   يكون ظلاماً للعدو المزاحم
اذا بلغ الرأى المشورة فاستعن   برأى نصيح أو نصيحة حازم
ولا تجعل الشّورى عليك غضاضة   فان الخوافى قوة للقوادم
وما خير كف أمسك الغُلّ أختها   وما خير سيف لم يؤيد بقائم
وخل الهُوَيْنا للضعيف ولا تكن   نؤوماً فان الحزم ليس بنائم
وحارب اذا لم تُعْطَ إلا ظلامة   شَبا الحرب خير من قبول المظالم
وأَدْنِ على القربى المقرب نفسه   ولا تُشْهِد الشّورى امرأً غير كاتم
فانك لا تستطرد الهم بالمُنَى   ولا تبلغ العليا بغير المكارم
اذا كنت فرداً هرَّك القوم مقبلا   وان كنت أدنى لم تفز بالعزائم
وما قرع الاقوام مثل مشيع   أريب ولا جَلَّى العمى مثل عالم

قال أبو عبيدة ميمية بشار هذه أحب إلىَّ من ميميتي جرير والفرزدق ، وقال الأصمعى لبشار يا أبا معاذ ان الناس يعجبون من أبياتك فى المشورة فقال له

يا أبا سعيد ان المشاور بين صواب يفوز بثمرته أو خطأ يشارك فى مكروهه، فقال له أنت فى قولك هذا أشعر منك فى شعرك

توفى ابن لبشار فجزع عليه فقيل له أجر قدمته وفرط افترطته وذخر أحرزته، فقال ولد دفنته وثكل تعجلته وغيب وعدته فانتظرته والله لئن لم أجزع للنقص لا أفرح للزيادة وقال يرثيه

أجارتنا لا تجزعى وأنيبى ... أتانى من الموت المطلّ نصيبى
بنىّ على رغمى وسخطى رزئته ... وبدّل أحجارا وجال قليب
وكان كريحان العروس تخاله ... ذوى بعد اشراق يسر وطيب
أصبت به فى حين أورق غصنه ... وألقى عليّ الهم كل قريب
عجبت لاسراع المنية نحوه ... وما كان لو مليته بعجيب

قيل لبشار انك لتجئ بالشئ الهجين المتفاوت، قال وما ذاك؟ قيل بينما تقول شعراً يثير النقع وتخلع به القلوب مثل قولك

اذا ما غضبنا غضبة مضرية ... هتكنا حجاب الشمس أو تمطر الدما
اذا ما أعرنا سيداً من قبيلة ... ذرى منبر صلى علينا وسلما

تقول

ربابة ربّة البيت ... تصب الخل فى الزيت
لها عشر دجاجات ... وديك حسن الصوت

فقال لكل وجه فالقول الاول جد وهذا قلته فى ربابة جاريتى وأنا لا آكل البيض من السوق وربابة لها عشر دجاجات وديك فهى تجمع لي البيض فهذا عندها أحسن من « قفا نبك » عندك وسألته جارية مغنية لبعض ولد سليمان بن علي وكانت محسنة بارعة الظرف أن يذكرها فى قصيدة ولا يذكر فيها اسمها ولا اسم سيدها ويكتب بها اليه، فانصرف وكتب اليه

وذات دَلّ كأن البدر صورتها ... باتت تغنى عميد القلب سكرانا
« ان العيون التى فى طرفها حور ... قتلننا ثم لم يُحيين قتلانا »
فقلت أحسنت ياسؤلى ويا أملى ... فأسمعيني جزاك الله احسانا
« ياحبذا جبل الرَّيان من جبل ... وحبذا ساكن الريان من كانا »
قالت فهلاَّ فدتك النفس أحسن من ... هذا لمن كان صب القلب حيرانا
« ياقوم أذنى لبعض الحى عاشقه ... والأذن تعشق قبل العين أحيانا »
فقلت أحسنت أنت الشمس طالعةً ... أضرمت فى القلب والأحشاء نيرانا
فأسمعيني صوتاً مطربا هزَجا ... يزيد صبا محبا فيك أشجانا
ياليتنى كنت تفاحا مُفَلَّجة ... أو كنت من قُضُب الريحان ريحانا
حتى اذا وجدت ريحى فأعجبها ... ونحن فى خلوة مثلت انسانا
فحركت عودها ثم انثنت طربا ... تشدو به ثم لا تخفيه كتمانا
« أصبحت أطوع خلق الله كلهم ... لأكثر الخلق لى فى الحب عصيانا »
فقلت أطربتنا يازين مجلسنا ... فهات انك بالاحسان أولانا
لو كنت أعلم أن الحب يقتلني ... أعددت لى قبل أن ألقاك أكفانا
فغنت الشَّرب صوتا مُونقا رَمَلا ... يُذكى السرور ويبكى العين ألوانا
« لايقتل الله من دامت مودته ... والله يقتل أهل الغدر أحيانا »

قال هلال بن عطية وهو هلال الرأى لبشار وكان له صديقاً يمازحه ان الله لم يذهب بصر أحد الا عوضه بشىء فما عوضك ؟ قال الطويل العريض ، قال وما هذا ؟ قال ألا أراك ولا أمثالك من الثقلاء ، ثم قال له ياهلال أتطيعنى فى نصيحة أخصك بها ؟ قال نعم ، قال انك كنت تسرق الحمير زمانا ثم تبت وصرت رافضيا فعد الى سرقة الحمير فهى والله خير لك من الرفض وكان هلال يستثقل وفيه يقول بشار

وكيف يخف لي بصرى وسمعى ... وحولى عسكران من الثقال

قعوداً حول دَسْكرتي وعندي كأن لهم عليَّ فُضولَ مالي
اذا ماشئت صبحني هـلال وأى الناس أثقل من هـلال

ودخل عليه نسوة خمس وهو فى مجلس له ببيتـه يسميه البردان يسألنه أن يقول شعرا ينحن به فقال لست بقائل لكن حرفا أو تطعمن من طعامى وتشربن من شرابى فتما سكن ساعة ثم قالت واحدة منهن ماعليكن ؟ هو أعمى فـكان طعامه واشربن شرابه وخذن شعره فبلغ ذلك الحسن البصرى فعابه وهتف ببشار فبلغه ذلك وكان بشار يسمى الحسن القَس فقال

لمـا طلعن من الرقيـق على بالبردان خمسا
وكأنهن أهـلة تحت الثياب زففن شمسا
باكرن عطر لطيمـة وغمسن في الجادى غمسا
لمـا طلعـن حففنها وأصخن ما يهمسن همسا
ليت العيون الطارقا ت طُمسن عنا اليوم طمسا
فأصبن من طرف الحديـث لذاذة وخرجن قلسا
لو لا تعرضهن لي ياقَسّ كنت كأنت قَسّا

كان الزوار يسمَّوْن فى قديم الدهر الى أيام خالد بن برمك السُّؤَّال ، فقال خالد هذا والله اسم أستثقله لطلاب الخير وأرفع قدر الـكرم عن أن يسمى به أمثال هؤلاء المؤمنين لأن فيهم الأشراف والأحرار وأبناء النعيم ومن لعله خير ممن يقصد وأفضل أدباً ولـكننا نسميهم الزوار ، فقال بشار يمدحه بذلك

حذا خالد فى فعله حذو بَرْمَك فمجد له مسـتطرف وأصيل
وكان ذوو الآمال يدعوْن قبله بلفظ على الاعـدام فيه دليل
يسمَّوْن بالسُّؤَّال فى كل موطن وان كان فيهم نابه وجليل
فسماهم الزوار سـتراً عليهمُ فأستاره فى المهتدين سدول

وقال بشار هذا الشعر فى مجلس خالد فى الساعة التى تـكلم خالد بهذا فى أمر الزوار ، فأعطاه لـكل بيت ألف درهم

دخل بشار على عُقْبة بن سَلم فأنشده بعض مدائحه فيه وعنده عقبة بن رؤبة ينشده رجزاً يمدحه به ، فسمعه بشار وجعل يستحسن ما قاله الى أن فرغ ، ثم أقبل على بشار فقال هذا طِرَاز لا تحسنه أنت يا أبا معاذ ، فقال بشار ألى يقال هذا ؟ أنا والله أرجز منك ومن أبيك وجدك ، فقال له عقبة أنا وأبى فتحنا للناس باب الغريب وباب الرّجز وانى لخليق أن أسده عليهم ، فقال بشار ارحمهم رحمك الله ، ولما كان من غد غدا على عقبة بن سلم وعنده عقبة بن رؤبة ، فأنشده أرجوزته التى مدحه فيها

يا طَلَلَ الحى بذات الصَّمْدْ ... بالله خبر كيف كنتَ بعدى
أوحشتَ من دَعْدٍ وتِربِ دَعْدِ ... سَقياً لأسماء ابنة الأَشَدّ
قامت تراءى اذ رأتنى وحدى ... كالشمس تحت الزِّبْرِج المنقدّ
صدت بخد وجلت عن خد ... ثم انثنت كالنَّفَس المرتد
عهدى بها سقياً له من عهد ... تُخلف وعداً وتفى بوَعد
فنحن من جَهْد الهوى فى جهد ... وزاهر من سَبِط وجَعْد
أهدى له الدهر ولم يستهد ... أفواف نَوْر الحِبَرَ المجد
يلقى الضحى ريحانه بسَجْد ... بدلت من ذاك بُكًى لا يجدى
وافق حظاً من سعى بجِد ... ما ضر أهل النوك ضَعْفُ الجَد
الحر يُلحَى والعصا للعبد ... وليس للملحف مثل الرد
والنَّصف يكفيك من التعدى ... وصاحبٍ كالدُّمَّل المُمِدّ
حملته فى رقعة من جلدى ... أرقب منه مثل يوم الوِرْد
حتى مضى غير فقيد الفقد ... وما درى ما رغبتى من زهد
اسلم وحييت أبا الملَدّ ... مفتاح باب الحدث المنسد
مشترك النيل وَرِىّ الزَّند ... أغرّ لباس ثياب الحمد

ما كان مني لك غير الود ثم ثنـــاء مثل ريح الورد
نسـجته فى محكمات النـد فالبس طرازى غير مسترد
لله أيامك فى معـــــدِّ وفى بني قحطان غير عد
يوماً بذى طِخفة عند الحد ومثله أودعت أرض الهند
بالمرهفات والحديد السَّرْد والمقْرَبات المبعدات الجُرْد
اذا الحيا أكدى بها لا تُكْدِى تُلحم أمراً وأموراً تُسْدِى
وابن حكيم ان أتاك يَرْدِى أصم لا يسمع صوت الرعد
حييته بتحفة المعـــد فانهدَّ مثل الجبـل المنهد
كل امرىء رهن بما يؤدى ورب ذى تاج كريم الجد
كآل كسرى وكآل برد أنـكب جاف عن سبيل القصد
فصلته عن ماله والولد

فطرب عقبة بن مسلم وأجزل صلته ، وقام عقبة بن رؤبة فخرج عن المجلس بخزى وهرب من تحت ليلته فلم يعد اليه

قال الجاحظ فانظر الى سوء أدب عقبـة بن رؤبة وقد أجمل بشار محضره وعشرته ، فقابله بهذه المقابلة القبيحة وكان أبوه أعلم خلق الله به لأنه قال له وقد فاخره بشعره أنت يابنيَّ ذهبان الشعر ، اذا مت مات شعرك معك فلم يوجد من يرْويه بعدك ، فـكان كما قال له ما يعرف له بيت واحد ولا خبر غير هذا الخبر القبيح الا خبار عنه الدال على سخفه وسقوطه وسوء أدبه

وقال بشار فى هوى له كانت بالبصرة ، ثم خرجت مع زوجها الى عُمان

هوى صاحبي ريح الشمال اذا جرت وأشفى لقلبي أن تهبَّ جنوب
وما ذاك الا أنها حين تنتهى تناهى وفيها من عبيدة طيب
عذيرى من العذال اذ يعذُلوننى سفاها وما فى العاذلين لبيب

يقولون لو عزيت قلبك لارعوى فقلت وهل للعاشقين قلوب
اذا نطق القوم الجلوس فانني مكب كأنى فى الجميع غريب

جاء أبو الشمقمق الى بشار يشكو اليه الضيقة ويحلف له أنه ما عنده شيء ، فقال له بشار والله ما عندي مايغنيك ولكن قم معى الى عقبة بن سلم ، فقام معه ، فذكر له أبا الشمقمق وقال هو شاعر وله شكر وثناء ، فأمر له بخمسمائة درهم ، فقال له بشار

يا واحد العرب الذى أمسى وليس له نظير
لو كان مثلك آخراً ما كان فى الدنيا فقير

فأمر لبشار بألفى درهم ، فقال أبو الشمقمق نفعتنا ونفعناك يا أبا معاذ ، فجعل بشار يضحك

دخل يزيد بن منصور الحميرى على المهدى و بشار بين يديه ينشده قصيدة امتدحه بها ، فلما فرغ منها أقبل عليه يزيد وكانت فيه غفلة فقال ياشيخ ماصناعتك ؟ فقال أثقب اللؤلؤ ، فضحك المهدى ثم قال لبشار اغرب ويلك أتتنادر على خلى ؟ فقال له وما أصنع به ؟ يرى شيخاً أعمى ينشد الخليفة شعراً ويسأله عن صناعته

وقف على بشار بعض المجان وهو ينشد شعراً فقال له استر شعرك هذا كما تستر عورتك ، فصفق بشار بيديه وغضب ثم قال له : ومن أنت ويلك ؟ قال أنا أعزك الله رجل من باهلة ، وأخوالى سلول ، وأصهارى عُكْل ، واسمى كلب ، ومولدى باضاخ ، ومنزلى بظهر بلال ، فضحك بشار ، ثم قال اذهب ويلك فأنت عتيق لؤمك قد علم الله أنك استترت مني بحصون من حديد

مرّ بشار برجل قد رمحته بغلة وهو يقول الحمد لله شكراً ، فقال له بشار استزده يزدك ، ومر به قوم يحملون جنازة وهم يسرعون المشى بها فقال مالهم مسرعين ؟ أتراهم سرقوه فهم يخافون أن يلحقوا فيؤخذ منهم

رفع غلام بشار اليه فى حساب نفقته جلاء مرآة عشرة دراهم ، فصاح به بشار وقال والله مافي الدنيا أعجب من جلاء مرآة أعمى بعشرة دراهم والله لو صدئت عين الشمس حتى يبقى العالم فى ظلمة مابلغت أجرة من يجلوها عشرة دراهم

قال قدامة بن نوح كان بشار يحشو شعره إذا أعوزته القافية والمعنى بالأشياء التى لاحقيقة لها ، فمن ذلك أنه أنشد يوماً شعراً له فقال فيه « غنى للغريض ياابن قنان » فقيل له من ابن قنان هذا ؟ لسنا نعرفه من مغنى البصرة ، قال وما عليكم منه ؟ ألكم قبله دين فتطلبوه به أو ثار تريدون أن تدركوه أو كفلت لكم به فاذا غاب طالبتموني باحضاره ؟ قالوا ليس بيننا وبينه شيء من هذا وانما أردنا أن نعرفه ، فقال هو رجل يغني لى ولا يخرج من بيتى ، فقالوا له الى متى ؟ فقال مذ يوم ولد وإلى أن يموت ، وذكر أيضاً فى هذه القصيدة « البردان » فقيل له يا أبامعاذ أين البردان هذا ؟ لسنا نعرفه بالبصرة فقال هو بيت فى بيتى سميته بالبردان ، أفعليكم من تسميتى دارى وبيوتها شيء فتسألونى عنه ؟

دخل أعرابى على مجزأة بن ثور السدوسى و بشار عنده وعليه بزة الشعراء ، فقال الأعرابى من الرجل ؟ فقالوا رجل شاعر ، فقال أمولى هو أم عربى ؟ قالوا بل مولى ، فقال الأعرابى ، وما للموالي وللشعر ؟ فغضب بشار وسكت هنيهة ثم قال أتأذن لي يا أبا ثور ؟ قال قل ما شئت يا أبا معاذ ، فأنشأ بشار يقول .

خليلي لا أنام على اقتسار ... ولا آبى على مولى وجار

سأخبر فاخر الاعراب عنى ... وعنه حين تأذن بالفخار

أحين كسيت بعد العرى خزاً ... ونادمت الكرام على العقار

تفاخر يا ابن راعية وراع ... بنى الأحرار حسبك من خسار

وكنت إذا ظمئت إلى قراح ... تركت الكلب في ولغ الإطار

تريغ بخطبة كسر الموالى ... وينسيك المكارم صيد فار

وتغـدو للقنافذ تدَرّيهـا ولم تعقل بدرّاج الديار
وتتشـح الشمـل للابسيها وترعى الضأن بالبلد القفار
مقامك بيننا دنس علينا فليتك غائب فى حر نار
ونخرك بين خنزير وكلب على مثلى من الحدث الكبار

فقال مجزأة للأعرابى قبحك الله فأنت كسبت هذا الشر لنفسك ولأمثالك

قال جعفر بن محمد النوفلى وكان يروى شعر بشار كنت عند بشار ذات يوم فحدثني قال ماشعرت منذ أيام الا بقارع يقرع بابى مع الصبح ، فقلت ياجارية انظرى من هذا ، فرجعت وقالت هذا مالك بن دينار ، فقلت ماهو من أشكالي ولا أضرابي ثم قلت ائذنى له ، فدخل فقال يا أبا معاذ أتشتم أعراض الناس وتشبب بنسائهم ؟ فلم يكن عندى إلا أن دفعت عن نفسى وقلت لا أعود ، فخرج عنى وقلت فى أثره

غدا مالك بمـلاماته على وما بات من باليه
تناول خَوْداً هضيم الحشى من الحور محطوطة عالية
فقلت دع اللوم فى حبها فقبلك أعيت عذاليـه
وإنى لأ كتمهـم سرها غداة تقول لها الجاليـة
عبيـدة مالك مسلوبة وكنت معطرة حاليـة
فقالت على رِقْبـة اننى رهنت المرعث خلخاليه
بمجلس يوم سـأوفى به ولو أجلب الناس أحواليه

كان رجل يقال له سـعد بن القعقاع ينتدم بشاراً فى المجانة فقال لبشار وهو ينادمه ويحـك يا أبا معاذ قد نسبنا الناس إلى الزندقة فهل لك أن تحج بنا حجة تنفى ذلك عنـا ؟ قال نعم ما رأيت ، فاشتريا بعيراً ومحملا وركبا ، فلما مرا بزُرارة قال له ويحك يا أبا معاذ ثلاثمائة فرسخ متى نقطعها ، مل بنا إلى زُرارة نتنعم فيها فاذا قفل الحاج عارضناهم بالقادسـية وجززنا رءوسنا فلم يشك الناس أنا جئنا من

الحج ، فقال له بشار نعم ما رأيت لولا خبث لسانك وانى أخاف أن تفضحنا ، قال لا تخف ، فمالا إلى زُرارة فما زالا يشربان الخمر ، فلما نزل الحاج بالقادسية راجعين أخذا بعيراً ومحملا وجزا رءوسهما وأقبلا وتلقاهما الناس يهنونهما فقال سعد بن القعقاع

أَلم ترنى وبشاراً حججنا ... وكان الحج من خير التجارة
خرجنا طالبي سفر بعيد ... فمال بنا الطريق الى زُرارة
فآب الناس قد حجوا وبَرُّوا ... وأُبنا موقرين من الخسارة

ومن قول بشار فى جارية له سوداء

وغادة سوداء براقة ... كالماء فى طيب وفى لين
كأنهـا صيغت لمن نالها ... من عنبر بالمسك معجون

أنشد الأصمعى قول بشار يهجو باهلة

ودعانى معشر كلهمُ ... حمق دام لهم ذاك الحمق
ليس من جرم ولكن غاظهم ... شرفى العارض قد سد الافق

قالت امرأة لبشار أى رجل أنت لو كنت أسود اللحية والرأس ، قال أما علمت أن بيض البُزاة أشهر من سود الغربان ؟ فقالت له أما قولك فحسن فى السمع ومن لك بأن يحسن شيبك فى العين كما حسن قولك فى السمع ؟ فكان بشار يقول ما أفحمني قط غير هذه المرأة

دعا عقبة بن سلم بشاراً ودعا بحماد عجرد وأعشى باهلة فلما اجتمعوا عنده قال لهم انه خطر ببالى البارحة مثل يتمثله الناس « ذهب الحمار يطلب قرنين فجاء بلا أذنين » فأخرجوه من الشعر ومن أخرجه فله خمسة آلاف درهم وان لم تفعلوا جلدتكم كلكم خمسمائة جلدة ، فقال حماد أجلنا أعز الله الأمير شهراً وقال الأعشى أجلنا أسبوعين وبشار ساكت لا يتكلم ، فقال له عقبة مالك لا تتكلم أعمى الله

قلبك ، قال أصلح الله الأمير قد حضرنى شىء فان أمرت قلته ، قال قل ، فقال

شط بسلمى عاجل البين ... وجاورت أسد بني القَيْنُ

ورنت النفس لها رنة ... كادت لها تنشق نصفين

يا ابنة من لا أشتهى ذكره ... أخشى عليه علق الشين

والله لو ألقاكِ لا أتقى ... عيناً لقبّلتك ألفين

طالبتها دينى فراغت به ... وعلقت قلبي مع الدين

فصرت كالعير غدا طالباً ... قرناً فلم يرجع بأذنين

فانصرف بشار بالجائزة

حجَّ المنصور فاستقبل بالرَّضم الذى بين زُبالة والشقوق ، فلما رحل من الشقوق رحل فى وقت الهاجرة فلم يركب القبة وركب نجيبا ، فسار بين القوم فجعلت الشمس تضحك بين عينيه فقال إنى قائل بيتاً فمن أجازه وهبت له جبتى هذه ، ثم قال

وهاجرة نصبتُ لها جبينى ... يقطع ظهرها ظهر العِظاية

فبدر بشار فقال

وقفت بها القَلوص ففاض دمعي ... على خدي وأقصر واعظايه

فنزع الجبة وهو راكب فدفعها اليه

ومن أحاسن بشار قوله من القصيدة التى أولها

أخشاب حقاً أن داركِ تزعج ... وان الذى بيني وبينك ينهج

يقول فيها

فوا كبدا قد نضج الشوق نصفها ... ونصف على نار الصبابة يَنْضَج

وواحزنا منهن يحففن هودجاً ... وفى الهودج المحفوف بدر متوج

فإن جئتها بين النساء فقل لها ... عليك سلام مات من يتزوج

بكيت وما في الدمع منك خليقة ولكن أحزاني عليك توهج

دعاه رجل إلى منزله فأكل وشرب ولما أراد الانصراف قامت جارية للرجل وأخذت بيده فلما صار بالصحن أومأ اليها ليقبلها فأرسلت يدها من يده فجعل يجول فى العرصة وخرج مولى الجارية فقال ما لك يا أبا معاذ ؟ فقال أذنبت ذنباً ولا أبرح أو أقول شعراً ، فقال

أتوب اليك من السيئات وأستغفر الله من فعلتى

تناولت ما لم أرد نيله على جهل أمري وفى سكرتى

ووالله والله ما جئته لعمد ولا كان من همتى

وإلا فمتُّ اذاً ضائعاً وعذبنى الله فى ميتتى

فمن نال خيراً على قبلة فلا بارك الله فى قبلتى

لما أنشد بشار عقبة بن مسلم أرجوزته السابقة أمر له بخمسين الف درهم فأخرها وكيله ثلاثة أيام فأمر بشار غلامه أن يكتب على باب عقبة عن يمين الباب

ما زال ما منيتنى من همى والوعد غم فأزح من غمى

إن لم ترد حمدى فراقب ذمى

فلما خرج عقبة رأى ذلك فقال هذا من فعلات بشار ثم دعا بالقهرمان وأمره أن يعجل لبشار الجائزة وأن يزيد عليها عشرة آلاف درهم

لما كثر استهتار نساء البصرة وشبانها بشعر بشار وقال سوّار بن عبد الله ومالك بن دينار ما شئ أدعى لأهل هذه المدينة الى الفسق من أشعار هذا الأعمى وما زالا يعظانه وكان واصل بن عطا يقول ان من أخدع حبائل الشيطان وأغواها لكلمات هذا الأعمى الملحد ، فلما كثر ذلك وانتهى خبره إلى المهدى نهاه عن ذكر النساء وقول التشبيب ، وكان المهدى من أشد الناس غيرة ، فقال فى ذلك

يا منظراً حسناً رأيــــت بوجه جارية فديته
بعثت إليّ تسومني ثوب الشباب وقد طويته
والله رب محمــــد ما ان غدرت ولا نويته
أمسكت عنك وربما عرض البلاء وما ابتغيته
أن الخليفة قد أبى واذا أبى شيئاً أبيته
ومخضب رخص البنا ن بكى عليّ وما بكيته
ويشوقني بيت الحبيــــب اذا ادكرت وأين بيته
قام الخليفة دونه فصبرت عنه وما قليته
ونهانى الملك الهما م عن النساء وما عصيته
لا بل وفيت فلم أضع عهداً ولا نأياً رأيته
وأنا المطل على العدى واذا غلا الحمد اشتريته
أصفى الخليل اذا دنا واذا نأى عني نأيته
وأميل فى أنس النديــــم من الحياء وما اشتهيته

وكان الخليل بن احمد ينشد هذه الأبيات ويستحسنها ويعجب بها

وكان لبشار خمسة ندماء فمات منهم أربعة وبقي واحد يقال له البراء فركب فى زورق يريد عبور دجلة العوراء فغرق فكان بشار يقول ما خير فى الدنيا بعد الأصدقاء ثم رثى أصدقاءه بقوله

يا ابن موسى ماذا يقول الامام فى فتاة بالقلب منها أُوام
بت من حبها أوقر بالكأ س ويهفو على فؤادي الهيام
لم يكن بينها وبيني إلا كتب العاشقين والأحلام
يا ابن موسى اسقني ودع عنك سلمى ان سلمى حِمًى وفيَّ احتشام
رب كأس كالسَّلسبيل تعللــــتُ بها والعيون عني نِيــــام

حبست للشُراة فى بيت رأس عتقت عانساً عليها الختام

نفحت نفحة فهرّت نديمي بنسيم وانشق عنها الزُكام

وكأن المعلول منها اذا را ح شيـــخ فى لسانه برْسام

صـدمته الشَّمول حتى بعينيـــه انكسار وفى انفاصل خام

وهو باقى الأطراف حيِّت به الكأ س وماتت أوصاله والكلام

وفتى يشرب المـــدامة بالما ل ويمشي يروم ما لا يرام

أنفدت كأسـه الدنانير حتى ذهب العين واستمر السَّوام

تركته الصهباء يرنو بعين نام انسانها وليست تنـــام

جن من شربة تُعَلُّ بأخرى وبكى حين سار فيه المدام

كان لي صاحباً فأودى به الدهـــر وفارقتـه عليه السلام

بقى الناس بعـد هلك نداما ى وقوعا لم يشعروا ما الكلام

كجزور الأيسار لا كبد فيـــا لباغ ولا عليها سَنام

يا ابن موسى فقد الحبيب على العيـــن قذًى فى الفؤاد منه سقام

كيف يصفو لي النعيم وحيداً والأخـلاء في المقابر هام

نفستهم عليّ أم المنـــايا فأنامتْهمُ بعنف فنـــاموا

لا يغيض السجام عيني عليهم إنما غاية الحزين السجام

وقال فى نهى الخليفة له عن ذكر النساء

والله لولا رضا الخليفة ما أعطيت ضيماً عليَّ فى شجَن

وربما خير لابن آدم فى الكرْ ه وشق الهوى على البـدن

فاشرب على ابنة الزمان فما تلقى زماناً صفا من الأُبَن

الله يعطيكَ من فواضـله والمرء يغضى عيناً على الكمن

قد عشت بين الريحان والـــراح والزهر فى ظل مجلس حسن

وقد ملأت البلاد ما بين يغبور الى القيروان فاليمن
شعراً تصلي له العواتق والشيب صلاة الغواة للوثن
ثم نهاني المهدي فانصرفت نفسي صنيع الموفق اللقن
فالحمد لله لا شريك له ليس بباق شيء على الزمن

وأنشد المهدي قصيدته التي أولها

تجاللت عن فهر وعن جارتي فهر وودعت نعما بالسلام وبالبشر
وقالت سليمى فيك عنا جلادة محلك دانٍ والزيادة عن عفر
أخي في الهوى مالي أراك جفوتنا وقد كنت تقفونا على العسر واليسر
تثاقلت إلا عن يد أستفيدها وزورة أملاك أشد بها أزري
وأخرجني من وزر خمسين حجة فتى هاشمي يقشعر من الوزر
دفنت الهوى حياً فلست بزائر سليمى ولا صفراء ما قرقر القمري
ومصفرة بالزعفران جلودها اذا اجتليت مثل المفرطحة الصفر
فرب ثقال الردف هبت تلومني ولو شهدت قبري لصلت على قبري
تركت لمهديّ الأنام وصالها وراعيت عهداً بيننا ليس بالختر
ولولا أمير المؤمنين محمد لقبلت فاها أو لكان بها فطري
لعمري لقد أوقرت نفسي خطيئة فما أنا بالمزداد وقرا على وقر
تسلى عن الاحباب صرّام خلة ووصّال أخرى ما يقيم على أمر
وركاض أفراس الصبابة والهوى جرت حججاً ثم استقرت فلا تجري
فأصبحن ما يركبن إلا إلى الوغى وأصبحت لا يزرى عليّ ولا أزري
فهذا وإني قد شرعت مع التقى وماتت همومي الطارقات فما تسري

ثم قال يصف السفينة

وعذراء لا تجري بلحم ولا دم قليلة شكوى الأين ملجمة الدبر

اذا طعنت فيه الفلول تشخصت | بفرسانها لا فى وُعوث ولا وَعْر
وان قصدت زلّت على متنصب | ذليل القُوى لاشئ يَفرِى كما يفرى
تلاعب تيار(١) البحور وربما | رأيت نفوس القوم من جريها تجرى
الى ملك من هاشم فى نبوة | ومن حمْير فى الملك والعدد الدَّثْر
من المشترين الحمد تندى من الندى | يداه ويندى عارضاه من العطر
فألزمت حبلى حبل من لا تغبُّه | عُفاة الندى من حيث يدرى ولايدرى
بنى لك عبد الله بيت خلافة | نزلت بها بين الفراقد والنَّسر
وعندك عهد من وصاة محمد | فَرَعْتَ به الأملاك من ولد النَّضْر

ورد بشار على خالد بن برْمك وهو بفارس فامتدحه فوعده ومطله فوقف على طريقه وأنشد

أظلت علينا منك يوماً سحابة | أضاءت لنا برقاً وأبطا رشاشها
فلا غيمها يُجلى فييأس طامع | ولا غيثها يأتى فيُروَى عطاشها

فأمر له بعشرة آلاف درهم وقال لن تنصرف السحابة حتى تبلُّك ان شاء الله.
وقال بشار فى رجل استثقله

ربما يثقل الجليس وان كا | ن خفيفاً فى كفة الميزان
كيف لا تحمل الأمانة أرض | حملت فوقها أبا سفيان

وقال فيه أيضاً

هل لك فى مالي وعرضى معاً | وكل ما يملك جيرانيه
واذهب إلى أبعد ما ينتوى | لا ردك الله ولا ماليه

ولما أنشد لوليد بن يزيد قول بشار

أيها الساقيان صُبّا شرابى | واسقيانى من ريق بيضاء رُود

(١) كان قد قال قينان البحور فابه بذلك سيبويه بجمله تيار البحور

ان دائي الظما وان دوائي شربة من رُضاب ثغر بَرود
ولها مضحك كغرّ الأقاحي وحديث كالوشْي وشي البُرود
نزلت في السواد من حبة القلـ ـب ونالت زيادة المستزيد
ثم قالت نلقاك بعد ليال والليالي يُبْلِين كل جديد
عندها الصبر عن لقائي وعندي زفرات يأكلن قلب الحديد

طرب الوليد وقال من لي بمزج كأسي هذه من ريق سلمى فيروى ظمئى وتطفأ غلتى ، ثم بكي حتى مزج كأسه بدمعه ، وقال ان فاتنا ذاك فهذا

دخل بشار على المهدى وقد عرضت عليه جارية مغنية ، فسمع غناءها فأطربه وقال لبشار قل في صفتها شعراً فقال

ورائحة للعين فيها مخيلة اذا برقت لم تسق بطن صعيد
من المستهلات السرور على الفتى خفى برقها في عبقر وعقود
كأن لساناً ساحراً في كلامها أعين بصوت للقلوب صيود
تميت به ألبابنا وقلوبنا مرارا وتحييهن بعد همود

دخل بشار على عقبة بن سلم فأنشده

انما لذة الجواد ابن سَلْم في عطاء ومركب ولقاء
حرم الله أن ترى كابن سلم عقبة الخير مطعم الفقراء
ليس يعطيك للرجاء ولا الخو ف وانما يلذّ طعم العطاء
يسقط الطير حيث ينتثر الحـ ـب وتُغشى منازل الكرماء
لا أبالي صفح اللئيم ولا تجـ ـرى دموعى على الخؤون الصفاء
فعلى عقبة السلام مقيماً واذا سار تحت ظل اللواء

فوصله بعشرة آلاف درهم

قال الأصمعى كنت أشهد خلف بن أبي عمرو بن العلاء وخلفاً الاحمر يأتيان

بشاراً ويسلمان عليه بغاية التعظيم ثم يقولان يا أبا معاذ ما أحدثت ؟ فيخبرهما وينشدهما ويسألانه ويكتبان عنه متواضعين له حتى يأتي وقت الظهر ثم ينصرفان عنه ، فأتياه يوماً فقالا له ماهذه القصيدة التي أحدثتها في مسلم ابن قتيبة ؟ قال هي التي بلغتكما ، قالا بلغنا أنك أكثرت فيها من الغريب ، فقال نعم بلغني ان مسلماً يتباصر بالغريب فأحببت أن أورد عليه مالا يعرفه ، قالا فأنشدنا ، فأنشدهما

بكرا صاحبيّ قبل الهجير ... ان ذاك النجاح في التبكير

حتى فرغ منها ، فقال له خلف لو قلت يا أبا معاذ مكان ان ذاك النجاح « بكرا فالنجاح في التبكير » كان أحسن ، فقال بشار بنيتها أعرابية وحشية ، فقلت إن ذاك النجاح كما يقول الأعراب البدويون ولوقلت بكرا فالنجاح كان هذا من كلام المولدين ولا يشبه ذلك الكلام ولا يدخل في معنى القصيدة ، فقام خلف فقبل بين عينيه وقال له خلف بن أبي عمرو يمازحه لو كان علاثة ولدك يا أبا معاذ لفعلت كما فعل أخي ولكنك مولى ، فمد بشار يده فضرب بها فخذ خلف وقال له

ارفق بعمرو إذا حركت نسبته ... فانه عربي من قوارير

فقال له أتعلمها يا أبا معاذ ؟ وكان أبو عمرو يغمز في نسبه

مدح بشار خالد بن برمك فقال فيه

لعمري لقد أجدى عليّ ابن برمك ... وما كل من كان الغنى عنده يُجدي

حلبت بشعري راحتيه فدرّتا ... سماحاً كما در السحاب مع الرعد

إذا جئته للحمد أشرق وجهه ... اليك وأعطاك الكرامة بالحمد

له نعم في القوم لا يستثيبها ... جزاء وكيل التاجر المدّ بالمد

مفيد ومتلاف سبيل تراثه ... اذا ما غدا أو راح كالجزر والمد

أخالد إن الحمد يبقى لأهله ... جمالا ولا تبقى الكنوز على الكد

فأطعم وكل من عارة مستردة ... ولا تُبقها إن العوارى للرد

فأعطاه خالد ثلاثين الف درهم وكان قبل ذلك يعطيه فى كل وفادة خمسة آلاف درهم وأمر خالد أن يكتب هذان البيتان فى صدر مجلسه الذي كان يجلس فيه وقال ابنه يحيى بن خالد آخر ما أوصانى به أبى العمل بهذين البيتين

استمنح بشار العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس فلم يمنحه فقال يهجوه

ظل اليسار على العباس ممدود وقلبه أبداً فى البخل معقود
ان الكريم ليخفى عنك عسرته حتى تراه غنياً وهو مجهود
وللبخيل على أمواله علل زرق العيون عليها أوجه سود
اذا تكرهت أن تعطي القليل ولم تقدر علي سعة لم يظهر الجود
أورق بخير ترجى للنوال فما ترجى الثمار اذا لم يورق العود
بث النوال ولا تمنعك قلته فكل ماسد فقراً فهو محمود

وكان اسحق الموصلى يطعن على شعر بشار ويضع منه ويذكر أن كلامه مختلف لا يشبه بعضه بعضاً فقيل له أتقول هذا لمن يقول

إذا كنت فى كل الامور معاتباً صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
فعش واحداً أوصل أخاك فانه مقارف ذنب مرة ومجانبه
إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه

وهى من غرر قصائده مدح بها عمر بن هبيرة ومنها قوله

يخاف المنايا إن ترحلت صاحبى كأن المنايا فى المقام تناسبه
فقلت له إن العراق مقامه وخيم إذا هبت عليك جنائبه
لألقى بنى عيلان إن فعالهم تزيد على كل الفعال مراتبه
أزلاك الأولى شنوا العمى بسيوفهم عن العين حتى أبصر الحق طالبه
وجيش كجنح الليل يزحف بالحصا وبالشوك والخطي حمراً ثعالبه
غدونا له والشمس في خدر أمها تطالعنا والظل لم يجر ذائبه

بضرب يذوق الموت من ذاق طعمه ... وتدرك من نجى الفرار مثالبه
كأن مثار النقع فوق رؤسنا ... وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه
بعثنا لهم موت الفجاءة إننا ... بنو الموت خفاق علينا سبائبه
فراحوا فريق في الاسار ومثله ... قتيل ومثل لاذ بالبحر هاربه

ومنها

إذا الملك الجبار صعّر خده ... مشينا إليه بالسيوف نعاتبه
رويداً تصاهل بالعراق جيادنا ... كأنك بالضحاك قد قام نادبه
وسام لمروان ومن دونه الشّجا ... وهول كلج البحر جاشت غواربه
أحلت به أم المنايا بناتها ... بأسيافنا انا ردى من نحاربه
وكنا إذا دب العدو لسخطنا ... وراقبنا فى ظاهر لا نراقبه
ركبنا له جهراً بكل مثقف ... وأبيض تستسقى الدماء مضاربه

ومنها

فلما تولى الحي واعتصر الثرى ... لظى الصيف من نجم توقد لاهبه
وطارت عصافير الشقائق واكتسى ... من الآل أمثال المجرّة ناضبه
غدت عانة[1] تشكو بأبصارها الصّدى ... الى الجأب إلا أنها لا تخاطبه

ومن حسن شعره

لو كنت تلقين ما نلقى قسمت لنا ... يوماً نعيش به منكم ونبتهج
لاخير فى العيش إن كنا كذا أبداً ... ما فى التلاقى ولا في قبلة حرج
من راقب الناس لم يظفر بحاجته ... وفاز بالطيبات الفاتك اللهج
أشكو إلى الله هماً ما يفارقنى ... وشرّعاً فى فؤادى الدهر تعتلج

---

(١) العانة القطعة من الحمير والجأب ذكرها ومعنى شكواها الصدى بأبصارها أن العطش قد تبين فى أحداقها ففارت وهذا من أحسن ما وصف به الحمار والأتن

وفد على خالد بن برمك فأنشده

أخالد لم أخبط اليك بذمة   سوى أنني عافٍ وأنت جواد
أخالد بين الأجر والحمد حاجتي   فأيهما تأتي فأنت عماد
فان تعطني أفرغ عليك مدائحي   وان تأب لم يضرب علىّ سداد
ركابي على حرف وقلبي مشيَّع   ومالي بأرض الباخلين بلاد
اذا أنكرتني بلدة أو نكرتها   خرجت مع البازي علىّ سواد

فدعا خالد بأربعة آلاف دينار فى أربعة أكياس فوضع واحداً عن يمينه وواحداً عن شماله وآخر بين يديه وآخر خلفه وقال يا أبا معاذ هل استقل العماد ؟ فلمس الاكياس ثم قال استقل والله أيها الامير

قال أبان بن عبد الحميد نزل فى ظاهر البصرة قوم من أعراب قيس بن عيلان وكان فيهم بيان وفصاحة، فكان بشار يأتيهم وينشدهم أشعاره التى يمدح بها قيساً فيجلونه لذلك ويعظمونه ، وكان نساؤهم يجلسن معه ويتحدثن اليه وينشدهن أشعاره فى الغزل وكنت كثيراً ما آتى فى ذلك الموضع فأسمع منه ومنهم فأتيتهم يوماً فاذا هم ارتحلوا ، فجئت الى بشار فقلت يا أبا معاذ أعلمت أن القوم قد ارتحلوا ؟ قال لا ، فقلت فاعلم ، قال قد علمت لا علمت ، ومضيت ، فلما كان بعد ذلك بأيام سمعت الناس ينشدون

دعا فرق من تهوى أبان   ففاض الدمع واحترق الجنان
كأن شرارة وقعت بقلبي   لها فى مقلتى ودمى استنان
اذا أنشدت أو نسمت عليها   رياح الصيف هاج لها دخان

فعلمت أنها لبشار ، فأتيته فقلت يا أبا معاذ ما ذنبي اليك ؟ قال ذنب غراب البين ، فقلت هل ذكرتني بغير هذا ؟ قال لا ، فقلت أنشدك الله ألا تزيد ، فقال امض لشأنك فقد تركتك

أنشد بشار جعفر بن سليمان

أقلي فانا لاحقون وانما يؤخرنا أنا يعد لنا عدا
وما كنت الا كالأغر ابن جعفر رأى المال لا يبقى فأبقى به حمدا

فقال له من ابن جعفر ؟ قال الطيار فى الجنة ، فقال له لقد ساميت غير مسامي فقال والله ما يقعدنى عن شأوه بعد النسب ولكن قلة النَّشَب ، وانى لأجود بالقليل وان لم يكن عندى الكثير وما علي من جاد بما يملك ألاَّ يهب البدور ، فقال له جعفر لقد هززت يا أبا معاذ ، ثم دعا بكيس فدفعه اليه

قيل لبشار انك لكثير الهجاء ، فقال انى وجدت الهجاء المؤلم آخذ بضبع الشاعر من المديح الرائع ومن أراد من الشعراء أن يكرم في دهر اللئام على المديح فليستعد للفقر والا فليبالغ فى الهجاء ليخاف فيعطى

قال أبو حاتم كان الأخفش قد طعن على بشار فى قوله

فالآن أقصر عن سُمية باطلى وأشار بالوَجَلَى على مشير

وفى قوله

على الغَزَلى منى السلام فربما لهوت بها فى ظل مرءومة زهر

وفى قوله فى صفة سفينة

تلاعب نينان البحور وربما رأيت نفوس القوم من جريها تجرى

وقال لم يسمع من الوجل والغزل فعلى ولم أسمع بنون ونينان ، فبلغ ذلك بشاراً فقال ويلي على القصارين متى كانت الفصاحة فى بيوت القصارين دعونى وإياه ، فبلغ ذلك الأخفش فبكى وجزع ، فقيل له ما يبكيك ؟ فقال ومالي لا أبكي وقد وقعت فى لسان بشار الأعمى ، فذهب أصحابه الى بشار فكذبوا عنه واستوهبوا منه عرضه وسألوه ألاَّ يهجوه ، وكان الأخفش بعد ذلك يحتج بشعره فى كتبه ، فكف عن ذكره

مرَّ بعض أهل الكوفة ببشار وهو متبطح في دهليزه كأنه جاموس ، فقال يا أبا معاذ من القائل

في حلتي جسم فتى ناحل　　لو هبت الريح به طاحا

قال أنا ، قال الكوفي ما حملك على هذا الكذب والله انى لأرى أن لو بعث الله الرياح التى أهلكت الأمم الخالية ما حركتك من موضعك ، فقال بشار من أين أنت ، قال من أهل الكوفة ، فقال يا أهل الكوفة لا تدعون ثقلكم ومقتكم على كل حال

مدح بشار المهدي فلم يعطه شيئاً ، فقيل له لم يستجد شعرك ، فقال والله لقد قلت فيه شعراً لو قيل فى الدهر لم يُخش صرفه على أحد ولكنا نكذب فى القول فنكذب فى الأمل

مدح بشار سليمان بن هشام بن عبد الملك وكان مقيما بحران وخرج اليه ، وأنشده قوله فيه

نأتك على طول التجاور زينب　　وما شعرت أن النوى سوف يشعب
يرى الناس ما تلقى بزينب اذ نأت　　عجيباً وما تُخْفي بزينب أعجب
وقائلة لي حين جد رحيلنا　　وأجفان عينيها تجود وتسكب
أغاد الى حران فى غير شيمة　　وذلك شأو عن هواها مغرِّب
فقلت لها كلفتنى طلب الغنى　　وليس وراء ابن الخليفة مذهب
سيكفى فتى من سعيه حد سيفه　　وكور علافى ووجناء ذعلب
اذا استوغرت دار عليه رمى بها　　بنات الصوى منهار كوب ومصعب
فعدى الى يوم ارتحلت وسائلى　　بزورك والرحال من جاء يضرب
لعلك أن تستيقنى أن زورتى　　سليمان من سير الهواجر تعقب
أغر هشامى القناة اذا انتمى　　نمته بدور ليس فيهن كوكب

وما قصدت يوماً فحيلين خيله فتصرف الا عن دماء تصبب

فوصله سليمان بخمسة آلاف درهم ، وكان يبخل ، فلم يرضها ، وانصرف عنه مغضباً ، فقال

ان أمس منقبض اليدين عن الندى وعن العدو مخيس الشيطان
فلقد أروح على اللئام مسلطاً ثلج المقيل منعم الندمان
فى ظل عيش عشيرة محمودة تندى يدي ويخاف فرط لسانى
أزمان خيبنى الشباب مطاوع واذ الامير علىّ من حرّان
ريم بأحوية العراق اذا بدا برقت عليه أكلّة المرجان
فاكحل بعبدة مقلتيك من القذى وبوشك رؤيتها من الهملان
فلقرب من تهوى وأنت متيم أشفى لدائك من بنى مروان

قدم بشار على المهدي بالرصافة فدخل عليه في البستان فأنشده مديحاً فيه تشبيب حسن فنهاه عن التشبيب لغيرة شديدة كانت فيه فأنشده مديحاً يقول فيه

كأنما جئته أبشره ولم أجئ راغباً ومحتلباً
يزين المنبر الأشم بعطفيه وأقواله اذا خطبا
تشم نعلاه فى الندىّ كما يشم ماء الريحان منتهبا

قال وقد طلب منه أن ينشده شيئا من غزله

وقائل هات شوقنا فقلت له أنائم أنت ياعمرو بن سمعان
أماسمعت بما قدشاع فى مضر وفى الحليفين من بكر وقحطان
قال الخليفة لا تنسب بجارية اياك اياك أن تشقى بعصيان

وقال له المهدى قل فى الحب شعرا ولا تطل واجعل الحب قاضياً بين المحبين لا تسم أحداً فقال

اجعل الحب بين حبى وبينى قاضياً انني به اليوم راض

فاجتمعنا فقلت ياحِبَّ نفسى ... ان عينى قليلة الاغماض
أنت عذبتنى وأنحلت جسمى ... فارحم اليوم دائم الأمراض
قال لي لا يحل حكمى عليها ... أنت أولي بالسقم والاعراض
قلت لما أجابني بهواها ... شَمَلَ الجورفى الهوى كل قاض

فبعث اليه المهدى حكمت علينا ووافقنا ذلك فأمر له بالف دينار

وكان بشار صديقاً لواصل بن عطاء وكان قد مدحه وذكرخطبته التى خطبها فنزع منها كلها الراء وكانت على البديهة وهى أطول من خطبتى خالد بن صفوان وشبيب بن شبة فقال

تكلف القول والأقوام قد حفلوا ... وحبروا خطباً ناهيك من خطب
فقام مرتجلا تلفى بداهته ... كمِرجل القَينْ لما حُفَّ باللَّهب
وجانب الراء لم يشعر به أحد ... قبل التفصح والاغراق في الطلب

فلما دان بشار بالرجعة وأكفر الامة انقلبت صداقة واصل الى عداوة

ومن شعر بشار

لقد كاد ما اخفى من الوجد والهوى ... يكون جوًى بين الجوانح أو خبلا
إذا قال مهلاً ذو القرابة زادنى ... وَلوعاً بذكراها ووجداً بها مهلا
فلا يحسب البيض الأوانس أن فى ... فؤادي سوى سُعدي لغانية فضلا
فأقسم إن كان الهوى غير بالغ ... بى القتل من سعدى لقد جاوز القتلا
فياصاح خبرنى الذى أنت صانع ... بقاتلتى ظلماً وما طلبت ذَحلا
سوى اننى فى الحب بينى وبينها ... شددت على اكتمام سر لها قفلا

وحدث احمد بن خالد عن أبيه قال كنت أكلم بشاراً وأرد عليه سوء مذهبه بميله الى الالحاد فكان يقول لا أعرف إلا ما عاينته أو عاينت مثله وكان الكلام يطول بيننا فقال لي ما أظن الامر يا أبا خالد إلا كما تقول وان الذى نحن فيه خذلان ولذلك أقول

طبعت على ما فيَّ غير مخير ... هواى ولو خيرت كنت المهذبا
أريد فلا أُعطى وأُعطى فلا أُرد ... وقصر على أن أنال المغيبا
فأصرف عن قصدى وعلمى مقصر ... وأُمسى وما أعقبت إلا التعجبا

رثى بشار بنتاً له فقال

يابنت من لم يك يهوى بنتا ... ما كنت إلا خمسة أو ستا
حتى حللت فى الهوى وحتى ... فتتّ قلبي من جوى فانفتا
لأنت خير من غلام بتا ... يصبح سكران ويمسي بهتا

كان نافع بن عقبة بن سلم جواداً ممدحاً وكان بشار منقطعاً الى أبيه فلما مات أبوه وفد اليه وقد ولى مكان أبيه فمدحه بقوله

ولنافع فضل على أكفائه ... إن الكريم أحق بالتفضيل
يانافع الشّبرات حين تناوحت ... هوج الرياح وأعقبت بوُبول
أشبهت عقبة غير ما متشبه ... ونشأت فى حلم وحسن قبول
ووليت فينا أشهراً فكفيتنا ... عَنَت المريب وسلة التضليل
تدعى هلالا فى الزمان ونافعاً ... ولسلم نعم أبوة المأمول

فأعطاه مثل ما كان أبوه يعطيه فى كل سنة إذا وفد عليه

جاء بشار أصحابه يوماً مغتماً فسئل مالك مغتماً فقال مات حمارى فرأيته فى النوم فقلت له لم مت ألم أكن أحسن اليك ؟ فقال

سيدى خذ بى أتانا ... عند باب الاصبهانى
تيمتني ببنان ... وبدَلّ قد شجانى
تيمتني يوم رحنا ... بثناياها الحسان
وبغُنج ودلال ... سل جسمى وبرانى
ولها خد أسيل ... مثل خد الشيفرانى

فلذا مت ولو عشـــت اذاً طال هواني

فقيل له ما الشيفراني فقال مايدريني ؟ هـذا من غريب الحمير فاذا رأيت حماراً فاسأله

وقال بشار في عشق السمع

ياقوم أُذني لبعض الحي عاشقة — والأُذن تعشق قبل العين أحيانا
قالوا بمن لاترى تهذي فقلت لهم — الأذن مثل العين توفي القلب أحيانا
هل من دواء لمشغوف بجارية — يلقى بلقيانهـا روحاً وريحانا

وقال في مثل ذلك

قالت عقيل بن كعب اذ تعقلها — قلبي فأضحى به من حبها أثر
أنَّى ولم ترها تَهذِي فقلت لهم — إن الفؤاد يرى مالا يرى البصر
أصبحت كالحائم الحيران مجتنباً — لم يقض ورداً ولا يرجى له صدر

وقال

يزهدني في حب عبدة معشر — قلوبهمُ فيهـا مخالفـة قلبي
فقلت دعوا قلبي وما اختار وارتضى — فبالقلب لا بالعين يبصر ذو الحب
فما تبصر العينان في موضع الهوى — ولا تسمع الأذنان إلا من القلب
وما الحسن الا كل حسن دعا الصبا — وألف بين العشق والعاشق الصب

وقال

يا قلب مالي أراك لاتقر — اياك أعني وعنـدك الخبر
أذعت بعد الأولى مضوا حرقاً — أماضاع مااستودعوك اذ بكروا

وقال

ان سليمى والله يكلؤهـا — كالسكر يزداد على السكر
بلغت عنها شكلا فأعجبني — والسمع يكفيك غيبة البصر

وقال وقدح المهدى بحرمه

خليلى ان العسر سوف يُفيق ... وان يساراً فى غد لخليق
وما كنت الا كالزمان اذا صحا ... صحوت وان ماق الزمان أموق
أأدماء لا أسطيع فى قلة الثرى ... خزوزاً ووشياً والقليل محيق
خذى من يدى ماقل ان زماننا ... شَموس ومعروف الرجال رفيق
خليلىّ ان المال ليس بنافع ... اذا لم ينل منه أخ وصديق
وكنت اذا ضاقت علىّ محلة ... تيممت أخرى ما علىّ تضيق
وماخاب بين الله والناس عامل ... له فى التقى أو فى المحامد سوق
وما ضاق فضل الله عن متعفف ... ولكن أخلاق الرجال تضيق

هجا بشار يعقوب بن داود وزير المهدى فقال

بنى أمية هبوا طال نومكمُ ... ان الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم ياقوم فالتمسوا ... خليفة الله بين الناى والعود

فاتهمه عند المهدى بالزندقة وقال انه قد هجا المهدى فأمر فضرب بالسياط حتى مات

تم الجزء الرابع

ويليه الجزء الخامس وأوله

شعراء خندف

فهرس الكتاب

تابع الفهرست

مهذب الأغاني

صنفه

محمد الخضري

المفتش بوزارة المعارف

الجزء الخامس

في الشعراء الاسلاميين

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية

١٦٤١/٢٥/٢٠٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

شعراء خندف

شعراء عكل

سويد بن كراع العكلي

شاعر فارس مقدم من شعراء الدولة الأموية ، وكان رجل بنى عُكل وذا الرأى والتقدم فيهم ، وعُكل وضَبَّة وعدىّ وتَيْم هم الرَّباب

كان بين بني السِّيد بن مالك من ضَبَّة وبين بني عدىّ بن عبد مَناة تَرامٍ على خَبْراء [1] بالصَّمَّان يقال لها ذات الزِّجاج فرمى عمرو بن حشفة أخو بنى شُيَيْم فمات ، ورمت بنو السيد رجلاً منهم يُقال له مُدْلج بن ضمرة العدوى فمكث أياما لم يمت ، فمر رجل من بنى عدى يقال له معقل على بنى السيد فأخذوه وشدوه وثاقاً فأفلت منهم ومشى بينهم عصمة بن وثير التيمى سفيراً فقال اسالم بن فلان العدوى لو رهنتهم نفسك فان مات مدلج كان رجل برجل وان لم يمت حملت دية صاحبهم، ففعل ذلك سالم وعدت عليه بنو السيد فقتلوه فقال فى ذلك خالد بن علقمة أخو عبد الله بن دارم

أسالم ما منتك نفسك بعـد ما ... أتيت بنى السِّيد الغُواة الا شائما

أسالم قـــد منتك نفسك انما ... تكون دِيات ثم ترجع سالمـــا

---

(١) الخُبراء القاع الذى ينبت السدر والعضاه

كذبت ولكن ثائر متبسل ... يلقّيك مصقول الحديدة صارما

أسالم ما أعطى ابن مامة مثلها ... ولا حاتم فيما بلا الناس حاتما

أسالم ان أفلتَ من شر هذه ... فوائل [1] فراراً انما كنت حالما

وقد أسلمت تَيْمٌ عديا فأربعت ... ودَلَّت [2] لأسباب المنية سالما

فأجابه سويد بن كراع

أشاعرَ عبدِ الله ان كنت لائما ... فانى لما تأتى من الأمر لائم

تحضض أفناء الرَّباب سفاهة ... وعرضك موفور وليلك نائم

وهل عجب أن تدرك السيِّد وترها ... وتصبر للحق السَّراة الأكارم

رأيتك لم تمنع طُهَيَّة حكمها ... وأعطيت يربوعا وأنفك راغم

وأنت امرؤ لا تقبل النصح طائعا ... ولكن متى تقهر فانك رائم

وقال فى ذلك

أرى آل يربوع وأفناء [3] مالك ... أعضُّوك فى الحرب الحديد المنقبا

همُ رفعوا فأس [4] اللجام فأدركت ... لهاتك حتى لم تدعْ لك مشربا

فان عدت عادوا بالتي ليس فوقها ... من الشر الا أن تبيت محجبا

وتصبح تدري [5] الكُعْكُبية قاعدا ... وينتف من ليتيك ما كان أزغبا

فهل سألونا خصلة غير حقهم ... وهل نحن أعطينا سواء فنعجبا

فاستعدت بنو عبد الله سعيد بن عثمان بن عفان على سُوَيد فى هجائه إياهم فطلبه فهرب ولم يزل متوارياً حتى كلم فيه فأمنه على ألاّ يعاود فقال

تقول ابنة العوفى ليلى ألا ترى ... الى ابن كُراع لا يزال مفزَّعا

مخافةُ هذين الاميرين سهّدت ... رقادى وغشّتنى بياضا تقرعا

---

(١) وائل طلب النجاة (٢) دلاه أرسله (٣) اخلاط الناس واحدها فنو بالكسر (٤) فأس اللجام الحديدة القائمة فى الحنك (٥) تدرى تمشط والكعكبية ضرب من المشط والليت صفحة العنق

علي غير جُرْم غير أن جار ظالم ... عليَّ فجهزت القصـــيد المفرعا
وقد هابنى الأقوام لمـا رميتهم ... بفاقرة ان همّ ان يتشجعا
أبيت بأبواب القوافى كأنمـا ... أُصادى بها سِرْبًا من الوحش نُزَّعا
أكالؤها حتى أعرس بعد ما ... يكون سُحَيرٌ أو بعيد فأهجعا
فجشّمنى خوفُ ابن عثمان ردها ... ورِعْيتها صيفا جـديدا ومَرْبعا
نهانى ابن عثمان الامام وقدمضت ... نوافذ لو تَرْدِى الصفا لتصدعا
عوارق ما يتركن لحما بعظمـه ... ولا عظمَ لحمٍ دون أن يتمزعا
أحقاً هـداك الله أن جار ظالم ... فأنكر مظلوم بأن يؤخـذا معا
وأنت ابن حكام أقاموا وقوموا ... قروناً وأعطوا نائلا غير أقطعـا

ومن شعره يمدح بغيض بن عامر بن شماس بن لأَى

ارتعت للزَّوْر اذ حيا وأرَّقني ... ولم يكن دانياً منا ولا صَدَدا(١)
ودونه سَبْسَبٌ تُنْضِى(٢) المطىُّ به ... حتى ترى العَنْس تُلْقِى رحلها الأُجُدا
اذا ذكرتك فاضت عبرتى دِرَرا ... وكاد مكتوم قلبى يَصْدَع الكبـدا
وذاك منى هوى قد كان أضمره ... قلبي فما ازداد من نقص ولا نَفِدا
وقد أرانا وحال النـاس صالحة ... نحتل مربوعـة أُدْمان أو بَرَدَى
ليت الشباب وذاك العصر راجعنا ... فلم نزل كالذى كنا به أبدا
أيام أعلم كم أعملت نحـــوكم ... من عِرْمِس(٣) عاقد لم تَرْأَم الولدا
تُصيخ عند السُّرَى فى البِيد سامية ... سطعاء(٤) تنهض فى مَبْنَاتها صُعُدا

---

(١) دارى صدد داره أى قبالته والزور الزائر (٢) أنضى بعيره هزله بكثرة السير والاجد القوية الموثقة الخلق المتصلة فقار الظهر وهو من صفة العنس وهى الناقة الصلبة

(٣) العرمس الناقة الصلبة والناقة العاقد هى التى أقرت باللقاح وذلك حين تعقد بذيلها فيعلم انها قد حملت ورأمت الناقة ولدها عطفت عليه ولزمته (٤) ناقة سطعاء طويلة العنق والمبناة القبة من الأدم شبهت بها الناقة لسمنها وكثرة لحمها

كأن رحلى على حُمْش قوائمه ... تزيل غرثان أمسى طاويا وَحدا [١]

هاجت عليه من الجوزاء سارية ... وَطفاء [٢] تحمل جوناً مُرْدفا نَضدا

فألجأته الى أرطاةَ [٣] عاتكة ... فيحاء ينهال منها تُربُ ما التبدا

تخال عِطفَيه من جوْل الرَّذاذ به ... منظما بيـــدى دارية فَردا

حتى اذا ما انجلت عنه دُجنّته ... وكشف الصبح عنه الليل فاطَّردا

غدا كذى التاج حلّته أساورة ... كأنما اجتاب فى حر الضحى سَنَدا

يقول فيها

لا يُبعد الله اذ ودعت أرضهم ... أخى بغيضاً ولـكن غيره بَعِدا

لا يُبعد الله من يعطى الجزيل ومن ... يحبو الخليل وما أكدى وما صلَدا

ومن تلاقيـــه بالمعروف معترفا ... اذا اجرَهَدَّ [٤] صفا المذموم أو صلدا

لاقيتـه مُفْضلا تَنْدَى أنامله ... ان يعطك اليوم لا يمنعك ذاك غدا

تجئ عفواً اذا جاءت عطيتـه ... ولا تخـالط ترنيقاً ولا زهـدا

أولاه بالمفخر الأعلى وأعظمه ... خلقاً وأوسعه خـيراً ومنتقدا

اذا تكلف أقوام صنائعـــه ... لاقوْا ولم يظلموا من دونها صُعُدا [٥]

بحر اذا نكس الاقوام أو ضَجِروا ... لاقيت خـير يديه دائماً رَغَدا

لا يحسب المدح خدعا حين تمدحه ... ولا يرى البخـل منهاة له أبدا

انى لرافـده ودى ومنصرتى ... وحافظ غيبه ان غاب أو شهدا

---

(١) الوحد المنفرد والغرثان الجائع والحمش جمع الاحمش وهو دقيق الساقين يشبه ناقته به

(٢) سحابة وطفاء مسترخية لكثرة مائها والنضد من السحاب ما تراكم وتراكب

(٣) الأرطاة واحدة الأرطى وهو شجر نوره كنور الخلاف وثمرته كالعناب مرة يأكلها الابل غضة وعروقه حمر وعاتكة شديدة الحمرة (٤) اجرهدت السنة اشتدت وصعبت ومكان صلد لا ينبت وقد صلد (٥) جمع صعود وهو العقبة الشاقة

ومن شعره وفيه غناء

خليلىّ قوما فى عطالة فانظرا أناراً أرى من نحو يبزين أم برقا
فان يك برقا فهو فى مُشْمَخِرَّة تغادر ماء لا قليلاً ولا طِرقا
وان تك ناراً فهى نار بملتقى من الريح تسفيها وتصفقها صفقا
لأم على أوقدتها طماعة لأوْبة سفْر أن تكون لهم وفقا

السمهرى العكلى

هو السَّمْهَرِىّ بن بشر بن أُقيش العكلى يكنى أبا الدّيل

لقى هو وبَهْدل ومَرْوان ابنا قِرْقة الطائيان عونَ بن جعْدة بن هُبَيْرة المخزومى ومعه خاله أحد بني حارثة بن لأم بالثعلبية وهو يريد الحج من الكوفة فرماه بهدل فأقصده ، فلما قتلوه ندموا فهربوا ، وبلغ الخبر عبد الملك بن مروان فكتب الى الحجاج بن يوسف وهو عامله على العراق ، والى هشام بن اسمعيل وهو عامله على المدينة ، والى عامل اليمامة أن يطلبوا قتلة عون ويبالغوا فى ذلك وأن يأخذوا السّعاة به أشد أخذ ويجعلوا لمن دل عليه جُعْله ، وانشام (١) السمهرى فى بلاد غطفان ماشاء الله ، ثم مر بنخل فقالت عجوز من بنى فزارة أظن والله هذا العكلى الذى قتل عوناً ، فوثبوا عليه فأخذوه ، ومر أيوب بن سلمة المخزومى بهم فقالت له بنو فزارة هذا العكلى قاتل ابن عمك فأخذه منهم فأتى به هشام بن اسمعيل المخزومى عامل المدينة فجحد وأبى أن يقر ، فرفعه الى السجن فحبسه ، فلما كان في يوم جمعة والامام يخطب فك احدى حلْقتى قيده ورمى بنفسه من فوق السجن والناس فى صلاتهم وقال فى هربه

نجوت ونفسى عند ليلَى رهينة وقد غمنى داجٍ من الليل دامس

(١) دخل

وغامست عن نفسى بأخلق مقصل ولاخير فى نفس امرئٍ لاتغامس
ولو أن ليـلى أبصرتني غدوة ومطْواى والصف الذين أمارس
اذاً لبكت ليلى عليَّ وأعولت وما نالت الثوب الذىأنا لابس

ثم مر بابنى قائد بن حبيب من بني أسد ثم من بنى فَقْعس ، فأخذاه وانطلقا به الى عثمان بن حيّان المرى أمير المدينة فكتب فيه الى الخليفة ، فأمره أن يدفعه الى ابن أخى عون ، فقال السمهرى أتقتلني وأنت لا تدرى أقاتل عمك أنا أم لا ؟ أُدْنُ أخبرك ، فأراد الدنو منه فَحَذِر ، وانما أراد أن يقطع أنفه ، فقتله ، ولما حبسه ابن حيان فى السجن قال يحكى ما كان بينه وبين لهبى عائف

ألا أيها البيت الذى أنا هاجره فلا البيت منسى ولا أنا زائره
ألا طرقت ليلى وساق رهينة بأشهبَ مشدودٌ عليَّ مسامره
فان أنجُ يا ليـلى فرب فتى نجا وان تكن الاخرى فشيء أُحاذره
وما أصدق الطير التى برحت لنا وما أعيف اللّهبي لا عز ناصره
رأيت غرابا ساقطاً فوق بانة يُنَشْنِش أعلى ريشه ويطايره
فقال غراب باغتراب من النوى وبانٌ ببين من حبيب نحاذره
فكان اغتراب بالغراب ونيةً وبالبـان بين بيّن لك طائره

وقال السمهرى فى السجن يحرض أخاه مالـكا على ابن قائد

فمن مبلغٌ عني خليلي ومالـكاً رسالة مشدود الوثاق غريب
ومن مبلغٌ حزماً وتيماً ومالـكاً وأرباب حامى الحفر رهط شبيب
ليبكوا التى قالت بصحراء مَنْعَج لي الشرك يا ابنى قائد بن حبيب
أتضرب فى لحمى بسهم ولم يكن لهـا فى سهام المسلمين نصيبى

وقال يرقق بنى أسد

تمنت سليمى أن أقيل بأرضها وأنّى لسلمى وَيْبَها ما تمنت

ألا ليت شعري هل أزورن ساجراً ... وقد رويت ماء الغوادي وعلّت
بني أسد هل فيكم من هوادة ... فيغفر إن كانت بي النعل زلّت

وقال في الحبس يذم قومه

لقد جمع الحدّاد بين عصابة ... تسائل في الأقياد ماذا ذنوبها
بمنزلة أما اللئيم فشامت ... بها وكرام القوم باد شحوبها
إذا حرسي قعقع الباب أرعدت ... فرائص أقوام وطارت قلوبها
ألا ليتني من غير عكل قبيلتي ... ولم أدر ما شبان عكل وشيبها
قبيّلة لا يقرع الباب وفدها ... لخير ولا يهدي الصواب خطيبها
ترى الباب لا تستطيع شيأً وراءه ... كأنا قنيّ أسلمتها كعوبها
وان تك عكل سرها ما أصابني ... فقد كنت مصبوباً على ما يريبها

وقال أيضاً في الحبس

ألا حيّ ليلى إذ ألم لمامها ... وكان مع القوم الأعادي كلامها
تعلل بليلى انما أنت هامة ... من الغد يدنو كل يوم حمامها
وبادر بليلى أوجه الركب انهم ... متى يرجعوا يحرم عليك كلامها
وكيف ترجّيها وقد حيل دونها ... وأقسم أقوام مخوف قسامها
لأجتنبنها أو ليبتدرنّني ... ببيض عليها الأثر فعم كلامها
لقد طرقت ليلى ورجلي رهينة ... فما راعني في السجن إلا لمامها
فلما انتبهت للخيال الذي سرى ... إذا الارض قفر قد علاها قتامها
فلا تكن ليلى طوتك فانه ... شبيه بليلى حسنها وقوامها
ألا ليتنا نحيا جميعاً بغبطة ... وتبلى عظامي حين تبلى عظامها

وقال أيضاً

ألا طرقت ليلى وساقي رهينة ... بأسمر مشدود عليّ ثقيل

فما البين يا سلمى بأن تشحط النوى ... ولكنّ بيناً ما يريد عقيل
فان أنج منها أنج من ذى عظيمة ... وان كانت الأخرى فتلك سبيل

وقال وهو طريد

فلا تيأسا من رحمة الله وانظرا ... بوادي جبونا أن تهبّ شمال
ولا تيأسا أن ترزقا أريحية ... كعين المها أعناقهن طوال
من الحارثيين الذين دماؤهم ... حرام وأما مالهم فحلال

وقال أيضاً

ألم ترأنى وابن أبيض قد هفت ... بنا الارض إلا أن نؤمّ الفيافيا
طريدين من حيين شتى أشدنا ... مخافتنا حتى نحلنا النصافيا
وما لمته فى أمر حزم ونجدة ... وما لامني فى مرّتى واحتياليا
وقلت له اذ حل يسقى ويستقى ... وقد كان ضوء الصبح لليل حاديا
لعمري لقد لاقت ركابك مشربا ... لئن هي لم تصبح عليهن عاليا

ثم أخذ بهدل ومروان فقتلا أيضاً وقالت بنت بهدل ترثيه

فيا ضيعة الفتيان اذ يعتلونه ... ببطن الثرى مثل الفنيق المسدّم (١)
دعا دعوة لما أتى أرض مالك ... ومن لا يجب عند الحفيظة يسلم
أما كان فى قيس من ابن حفيظة ... من القوم طلاب الترات غشمشم
فيقتل جبراً بامرئ لم يكن له ... بواء ولكن لا تكايل بالدم

وكان دعا يال مالك لينزعوه فلم يجبه أحد

---

(١) المسدم الهائج والفنيق الفحل المكرم لا يؤذى لكرامته ولا يركب

شعراء تميم

مالك بن الريب

هو مالك بن الريب بن حوط المازني من مازن بن مالك بن عمرو بن تميم ابن مر بن أُدّ بن طابخة بن الياس

شاعر فاتك لص ، منشؤه فى بادية بني تميم بالبصرة ، من شعراء الاسلام فى أول أيام بنى أمية

كان هو ورفيقان له يقطعون الطريق فساموا الناس شراً ، وطلبهم مروان ابن الحكم ، عامل المدينة فهربوا ، فكتب الى الحارث بن حاطب الجمحي وهو عامله على بنى عمرو بن حنظلة يطلبهم ، فهربوا منه ، وبلغ مالك بن الريب أن الحارث يتوعده فقال

تألَّى حلفة فى غير جُرْم ... أميرى حارث شبه الضِّرار
عليَّ لأُجْلَدَنْ فى غير جُرْم ... ولا أدنى فينفعني اعتذارى
وقلت وقد ضممت إليَّ جأشى ... تحلَّل لا تألَّ علىَّ حارِ
فانى سوف يكفينيك عزمى ... ونصُّ العيس بالبلد القفار
وعَنْس ذات مَعْجَمة أمون ... عَلَنْدَاة موثَّقـة الفقار (١)
تَزِيف (٢) اذا تواهقت المطايا ... كما زاف المشرف للخِطار
وان ضربت بلَحْيَيها وعامت ... تفصم عنهما حَلَق السِّعار

(١) العنس الناقة الصلبة القوية وذات معجمة أى قوة وسمن وبقية على السير والأمون المأمونة الكلال والعثار والعلنداة الضخمة الطويلة الشديدة (٢) تزف تسرع في تمايل والمواهقة فى السير المواظبة ومد الاعناق

مِراحاً غير ماضِغِن ولـكن   لَجاجاً حين تشتبه الصحارى
اذا ما استقبلت جوْناً بهيماً   تفرج عن مُخَيَّسة [١] حضار
اذاماحال روض رُباب [٢] دوني   وتَثْليث فشأنك بالبكار
وأنيابى سيُخْلفهن سيفى   وشدَّات الـكَمِيِّ على التِّجار
فان أسطع أُرِحْ منه أُناسى   لضربة فاتك غير اعتذار
وان يُقْلت فانى سوف أبغى   بنيه بالمدينـة أو صِرار [٣]
ولا جزع من الحدثان يوماً   ولـكنى أرود لـكم وَبار [٤]
بهزمار تراد العيس فيهـا   اذا أشفقن من قلق الصغار
وهن يُحشْن بالأعناق حوشاً   كأن عظامهن قِداح بار
كأن الرحل أسأر [٥] من قراها   هلال عشـــية بعد السِّرار
رأيت وقد أتى نجران دونى   لليلى بالعميم ضوء نار
اذا ما قلت قد خمدت زهاها   عِصِيُّ الرَّنْد والعُصُف السَّوارى
يُشَبّ وقودها ويلوح وهناً   كما لاح الشَّبوب من الصُّوار [٦]
كأن النار اذ شبت لليلى   أضاءت جيـد مُغْزِلة نَوار
وتصطاد القلوب على مَطَاها   بلا جعد القرون ولا قصار
وتَبْسِم عن نقى اللون عذب   كما شيف الأُقاحى بالقطار
أتجزع أن عرفت ببطن قَوٍّ   وصحراء الأُديهم رسمَ دار
وأن حل الخليط ولست فيهم   مرابع بين دَحْلَ الى سَرار

---

(١) خيس البعير راضه وذلّـه بالركوب والحضار هجان الابل
(٢) أرض بين ديار بنى عامر وبلحارث بن كعب   (٣) موضع على ثلاثة أميال من المدينة
(٤) أرض لم يطأ أحد ثراها   (٥) أسأر أبقى والقرا الظهر   (٦) الشبوب الشاب من الثيران والغنم والصوار القطيع من البقر

اذا حلوا بمانجـــة خلاء يقطف كور جنوبها العرار

ثم سار الى فارس مع ثلة من أصحابه ، وفى ذلك يقول

أحقاً على السلطان أما الذى له فيُعطَى وأما ما يراد فيمنع
اذا ما جعلت الرمل بينى وبينه وأعرض سهب بين يبرين بلقع
من الأدمى لا يستجم بها القطا تكل الرياح دونه فتقطع
فشأنكمُ يا آل مروان فاطلبوا سِقاطى فما فيه لباغيه مطمع
وما أنا كالعيز المقيم لأهله على القيد فى بُحبوحة الضيم يرتع
ولولا رسول الله أن كان منكم تبين من بالنّصف يرضى ويقنع

وقال أيضاً

لو كنتمُ تنكرون العذر قلت لكم يا آل مرْوان جارى منكم الحكم
وأتقيكم بيمين الله ضاحية عند الشهود وقد توفى به الذمم
لا كنت أحدث سوءاً فى امارتكم ولا الذى فات مني قبل ينتقم
نحن الذين اذا خفتم مجللة قلتم لنا اننا منكم لتعتصموا
حتى اذا انفرجت عنكم دُجُنّتها صرتم كجرم فلا إلٌّ ولا رحم

بينا مالك ذات ليلة فى بعض هناته وهو نائم ، وكان لا ينام الا متوشحاً بالسيف اذ هو بشيء قد جثم عليه لا يدرى ما هو ، فانتفض به مالك فسقط عنه ثم انتحى له بالسيف فقدّه نصفين ، ثم نظر اليه فاذا هو رجل أسود كان يقطع الطريق فى تلك الناحية ، فقال مالك فى ذلك

أدلجت فى مَهْمه ما ان أرى أحداً حتى اذا حان تعريس[1] لمن نزلا
وضعت جنبي وقلت الله يكلؤنى مهما تنم عنك من ليل فما غفلا
والسيف بيني وبين الثوب مشعره أخشى الحوادث انى لم أكن وكلا

(١) التعريس نزول السفر آخر الليل للاستراحة

ما نمت الا قليلاً نمته شئزا (١) حتى وجدت على جثماني الثقلا
داهيةً من دواهي الليل يبتني مجاهداً يبتغي نفسي وما ختلا
أهويت نفحاً له والليل ساتره الا توخيته والجرس (٢) فانخزلا
لما ثنى الله عني شر عدوته رقدت لا مؤنساً ذُعراً ولا بعلا (٣)
أما ترى الدار قفراً لا أنيس بها الا الوحوش وأمسى أهلها احتملا
بين المنيفة (٤) حيث استنّ مدفعها وبين فرْدة من وحشيها قبلا
وقد تقول وما تخفى لجارتها انى أرى مالك بن الريب قد نحلا
من يشهد الحرب يصْلاها ويسْعرها تراه مما كسته شاحياً وجلا
خذها واني لضراب اذا اختلفت أيدي الرجال بضرب يختلي البصلا (٥)

وقال فى ذلك أيضاً

يا عاملاً تحت الظلام مطيه متخايلاً لا أبل (٦) غير مخائل
إني أنحت لشابك أنيابه مستأنس بدُجى الظلام منازل
لم يدر ما غُرف القصور وفيؤها طيباً ونخل سوادها المتمايل
يعظ الفؤاد اذا القلوب تآنست جزعا ووثبة كل أروع باسل
حيث الدجى متطلعاً لغفوله كالذئب فى غلس الظلام الخاتل
فوجدته ثَبْت الجنان مُشيَّعاً ركاب مَدْسج كل أمر هائل
فقراك أبيض كالعقيقة صارماً ذا رونق يغشى الضريبة فاصل
فركبت رَدْعك بين ثَدْيي فائز يملو به أثر الدماء وسائل

ولما ولى معاوية سعيد بن عثمان بن عفان خراسان لقى فى طريقه مالك بن الريب وكان من أجمل الناس وجهاً وأحسنهم ثياباً ، فلما رآه سعيد أعجبه ، وقال له مالك

(١) شئز الرحل قلق (٢) الجرس الصوت أو خفيه (٣) بعل الرجل بأمره دهش وفرق وبرم فلم يدر ما يصنع (٤) المنيفة وفردة ماءان (٥) البصل البيض بالفتح (٦) الأبل الممتنع

ويحك ؟ تفسد نفسك بقطع الطريق وما يدعوك الى ما يبلغني عنك من العبث والفساد وفيك هذا الفضل ؟ قال يدعونى اليه العجز عن المعالي ومساواة ذوى المروءات ومكافأة الاخوان ، قال فان أنا أغنيتك واستصحبتك أتكف عما تفعل ؟ قال إى والله أيها الأمير أكف كفاً لم يكف أحد أحسن منه ، فاستصحبه وأجرى له خمسمائة درهم فى كل شهر ، ولما خرج تعلقت بنته بثوبه وبكت وقالت له أخشى أن يطول سفرك أو يحول الموت بيننا فلا نلتقى ، فبكى وأنشأ يقول

ولقد قلت لابنتي وهى تبكي　　بدخيل الهموم قلباً كئيبا
وهى تذرى من الدموع على الخد　　ين من لوعة الفراق غروبا
عبرات يكدن يجرحن ماجز　　ن به أو يدعن فيه ندوبا
حذر الحتف أن يصيب أباها　　ويلاقى فى غير أهل شعوبا
اسكتي قد حززت بالدمع قلبي　　طالما حزّ دمعكن القلوبا
فعسى الله أن يدافع عني　　ريبَ ما تحذرين حتى أؤوبا
ليس شيء يشاؤه ذو المعالي　　بعزيز عليه فادعى المجيبا
ودعى أن يقطّع الآن قلبي　　أو تريني فى رحلتي تعذيبا
أنا فى قبضة الاله اذا كنـ　　ـت بعيداً أو كنت منك قريبا
كم رأينا امرأ أتى من بعيد　　ومقيماً على الفراش أصيبا
فدعيني من انتحابك إنى　　لا أبالي اذا اعتزمت النحيبا
حسبي الله ثم قربت للسـ　　ـير علاة أنجب بها مركوبا

علم سعيد بن عثمان أن مالكاً يجيد الحلاب ، فطلب اليه أن يقوم بأمر ابله ، فقال

وانى لأستحيي الفوارس أن أرى　　بأرض العدا بوّ المخاض الروائم

واني لأستحيي اذا الحرب شمرت أن ارفض دون الحرب ثوب المسالم
وما أنا بالنائي الحفيظة في الوغى ولا الملتقي في السلم جرَّ الجرائم
ولا المتأني في العواقب للذي أهُمُّ به من فاتكات العزائم
ولكنني مستوحد العزم مقْدِم على غمرات الحادث المتفاقم
قليل اختلاف الرأي في الحرب باسل جميع الفؤاد عند حل العظائم

بينا مالك نائم في بعض مغاراته اذ بيته ذئب فزجره فلم يزدجر فأعاد فلم يبرح فوثب اليه بالسيف فضربه فقتله وقال

أذئب الغضا قد صرت للناس ضُحْكة تغادي بك الركبان شرقاً الى غرب
فأنت وان كنت الجريء جنانهُ منِيت بضِرغام من الأُسد الغُلُب
بمن لا ينام الليل الا وسيفه رهينة أقوام سِراع الى الشَّغْب
ألم ترني يا ذئب اذ جئت طارقاً تخاتلني أني امرؤ وافر اللب
زجرتك مرات فلما غلبتني ولم تنزجر نهنهت غرْبك بالضرب
فصرت لقًى(١) لما علاك ابن حرة بأبيض قطّاع ينجي من الكرب
ألا رب يوم رَيْبُ لو كنت شاهداً لهالك ذكرى عند معمعة الحرب
ولست ترى الا كمِياً مُجدَّلا يداه جميعاً تثبتان من التُّرب
وآخر يهوِي طائر القلب هارباً وكنت امرأ في الهيج مجتمع القلب
أصول بذي الزِّرين أمشي عِرَضْنة(٢) الى الموت والأقران كالأبل الجُرُب
أرى الموت لا أنحاش عنه تكرماً ولو شئت لم أركب على المركب الصعب
ولكن أبت نفسي وكانت أبيّة تقاعس أو ينصاع قوم من الرعب

ومرض مالك عند قفول سعيد من خراسان ، فلما أشرف على الموت تخلف عليه مرة الكاتب ورجل آخر من بني تميم ، فقال يذكر مرضه وغربته

(١) اللقى الشيء الملقى المطروح (٢) العرضنة البغي في المشي من النشاط

أيا صاحبي رحلي دنا الموت فانزلا ... برابية إني مقيم لياليا
وخطا بأطراف الأسنة مضجعي ... وردا على عيني فضل ردائيا
ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... بجنب الغَضَى (١) أُزجي القِلاص النواجيا
فليت (٢) الغضى لم يقطع الركب عرضه ... وليت الغضى ماشى الركاب لياليا
لقد كان في أهل الغضى لو دنا الغضى ... مزار ولكن الغضى ليس دانيا
ألم ترني بعت الضلالة بالهدى ... وأصبحت في جيش ابن عفان غازيا
وأصبحت في أرض الاعادي بعيدما ... أراني عن أرض الاعادي قاصيا
دعاني الهوى من أهل أُوَد (٣) وصحبتي ... بذي الطَّبَسَيْن فالتفت ورائيا
أجبت الهوى لما دعاني بزفرة ... تقنعت منها أن أُلام ردائيا (٤)
أقول وقد حالت قُرَى الكرد بيننا ... جزى الله عمراً خير ما كان جازيا
ان الله يَرْجعني من الغزو لا أُرى ... وان قل مالي طالباً ما ورائيا
تقول ابنتي لما رأت طول رحلتي ... سفارك هذا تاركي لا أباليا
لعمري لئن غالت خُراسان هامتي (٥) ... لقد كنت عن بابي خُراسان نائيا
فان أنج عن بابي خُراسان لا أعد ... اليها وان منيتموني الأمانيا
فلله دَرّي يوم أترك طائعاً ... بَنيّ بأعلى الرَّقمتين وماليا
ودر الظباء السانحات عشية ... يخبرن أني هالك من ورائيا
ودَرّ كبيريّ اللذين كلاهما ... عليّ شفيق ناصح لو نهانيا
ودَرّ الرجال الشاهدين تفتكي ... بأمري ألّا يَقصُروا من وَثاقيا

---

(١) الغضا شجر ينبت في الرمل وأزجي أسوق والنواجي السراع (٢) يقول ليته طال عليهم الاسترواح اليه والشوق (٣) أود موضع ببلاد مازن والطبسين كورتان بخراسان
(٤) يقول استعبرت فاستحييت فتقنعت بردائي لكيلا يرى ذلك مني
(٥) يقول أهلكت هامتي

ودر الهوي من حيث يدعو صحابتي ... ودر لجاجاتي ودر انتهائيا
تذكرت من يبكي عليَّ فلم أجد ... سوى السيف والرمح الرُّديني باكيا
وأشقر محبوك(١) يجر لجامه ... الى الماء لم يترك له الموت ساقيا
ولكن بأكناف السُّمينة(٢) نسوة ... عزيز عليهن العشية ما بيا
صريع على أيدي الرجال بقفرة ... يسوون لحدي حيث حُمَّ قضائيا
ولما تراءت عند مَرْوَ(٣) منيتي ... وخل بها جسمي وحانت وفاتيا
أقول لأصحابي ارفعوني فانه ... يقَرّ بعيني أن سُهَيل بدا ليا
فياصاحبيْ رحلي دنا الموت فانزلا ... برابية أنى مقيم لياليا
أقيما عليَّ اليوم أو بعض ليلة ... ولا تُعجلاني قد تبين شانيا
وقوما اذا ما استُلّ روحي فهيآ ... ليَ السِّدْر والاكفان عند فنائيا
وخُطَّا بأطراف الأسنة مضجعي ... وردا على عينيّ فضل ردائيا
ولا تحسداني بارك الله فيكما ... من الأرض ذات العرض أن توسعاليا
خذاني فجراني ببردي اليكما ... فقد كان قبل اليوم صعباً قياديا
وقد كنت عطَّافاً اذا الخيل أدبرت ... سريعاً الى الهيجا الى من دعانيا
وقد كنت صباراً على القِرْن في الوغى ... وعن شتمي ابن العم والجار وانيا
فطوراً تراني في ظلال ونعمة ... وطوراً تراني والعتاق ركابيا
ويوماً تراني في رحى مستديرة(٤) ... تخرق أطراف الرماح ثيابيا
وقوما على بئر السُّمينة أسمعا ... بها الغُرَّ والبيض الحسان الرَّوانيا
بأنكما خلفتماني بقفرة ... تَهيل عليَّ الريحُ فيها السوافيا
ولا تنسيا عهدي خليليَّ بعدما ... تقطع أوصالي وتبلَى عظاميا

(١) المحبوك الفرس القوى (٢) السمينة موضع قريب من أود (٣) مرو حاضرة خراسان ، وخل بمعنى اختل (٤) الرحا موضع الحرب ومستديرة حيث يستدير القوم للقتال

ولن يعدم الوالون بثاً[1] يصيبهم ... ولن يعدم الميراثَ منى المواليا
يقولون لا تبْعَدْ وهم يدفنوننى ... وأين مكان البعد الا مكانيا
غداة غد يا لهْفَ نفسي على غد ... اذا أدلجوا عنى وأصبحت ثاويا
وأصبح مالي من طريف وتالد ... لغيرى وكان المال بالامس ماليا
فياليت شعري هل تغيرت الرحا ... رحا[2] المثْل أو أمست بفَلْج كما هيا
اذ الحى حلوها جميعاً وأنزلوا ... بها بقرا حُمَّ العيون سواجيا[3]
رَعَيْنَ وقد كان الظلام يجنها ... يَسفُن الخُزامَى مرَّة والأَقاحيا
وهل أترك العيس العوالي بالضحي ... بركبانها تعلو المِتان الفيافيا[4]
اذا عُصَب الركبان بين عُنَيْزَة ... وبولان عاجوا المبقيات النواجيا[5]
فياليت شعرى هل بكت أم مالك ... كما كنت لوعا لوْا نعيَّك باكيا
اذا مت فاعتادى القبور فسلمى ... على الرَّمس أسقيت السحاب الغواديا
على جَدَث قد جرت الريح فوقه ... تراباً كسحق المَرْنبانيّ هابيا[6]
رهينة أحجار وترب تضمنت ... قرارتهـا منى العظام البواليا
فيا صاحبي اما عرَضت فبلغاً ... بنى مازن والرَّيب ألاَّ تلاقيا
وعطل قلوصى فى الركاب . فانها ... ستفلق أكباداً وتُبكي بواكيا
وأبصرت نار المازنيات انها ... بعلياء يُثْني دونها الطرف رائيا
بعود ألَنْجُوج أضاء وقودها ... مَهاً فى ظلال السدر حوراً جوازيا
غريب بعيد الدار ثاو بقفرة ... يَدَ[7] الدهر معروفاً بألاَّ تدانيا

---

(١) البت أشد الحزن (٢) رحا المثل موضع بفلج وفلج موضع بديار مازن وهو فى طريق البصرة الى مكة (٣) السواجى السواكن وحم العيون سودها (٤) المتان جمع متن وهو ما صلب من الارض (٥) عنيزة قارة سوداء فى وادى بطن فلج والمبقيات التى تبقى سيرها (٦) المرنبانى كساء من خز ويقال مطرف من وبر الابل (٧) يقال يد الدهر ومدى الدهر وأبد الدهر وكله واحد

أقلب طرفى حول رحلى فلا أرى ... به من عيون المؤنسات مراعيا
وبالرحل منا نسوة لو شهدنني ... بكين وفدين الطبيب المداويا
وما كان عهد الرمل عندى وأهله ... ذميما ولا ودعت بالرمل قاليا
فمنهن أمى وابنتاها وخالتى ... وباكية أخرى تهيج البواكيا

هلال بن الأسعر المازنى

شاعر إسلامى من شعراء الدولة الأموية وأظنه قد أدرك الدولة العباسية، وكان رجلاً شديداً عظيم الخلق أكولا معدوداً من الأكلة قال أبو عمرو كان فارساً شجاعاً شديد البأس والبطش أكثر الناس أكلاً وأعظمهم فى حرب غناء، وعمر عمراً طويلاً ومات بعد بلايا عظام مرت على رأسه وكان رجل من قومه يعوله ويفضل عليه ويحتمل ثقله وثقل عياله وهو المغيرة بن قنبر فهلك فقال يرثيه

ألا ليت المغيرة كان حيا ... وأفنى قبله الناس الفناء
ليبك على المغيرة كل خيل ... اذا أفنى عرائكها اللقاء
ويبك على المغيرة كل كل ... فقير كان ينعشه العطاء
ويبك على المغيرة كل جيش ... تمور لدى معاركه الدماء
فتى الفتيان فارس كل حرب ... اذا شالت وقد رفع اللواء
لقد وارى جديد الأرض منه ... خصالا عقد عصمتها الوفاء
فصبراً للنوائب ان ألمت ... اذا ما ضاق بالحدث الفضاء
هزبر تنجلى الغمرات عنه ... نقى العرض همته العلاء
اذا شهد الكريهة خاض منها ... بحوراً لا تكدرها الدلاء
جسور لا يروع عند روع ... ولا يثنى عزيمته ارتقاء
عليم فى مشاهده إذا ما ... حبا الحلماء أطلقها المراء

حميد في عشيرته فقيد — يطيب عليه في الملأ الثناء
فان تكن المنية أقصدته — وحُمَّ عليه بالتلف القضاء
فقد أودى به كرم وخير — وعود بالفضائل وابتداء
وجود لا يضم اليه جودا — مراهنه اذا جد الجِراء

وكان هلال ضربه رجل من بني عنزة ثم من بني جِلاَّن يقال له عبيد بن حرى في شئ كان بينهما فشجه ومضى على ذلك زمن طويل ثم ان عبيداً قدم الوقبي فتخوف هلالا فاستجار بمعاذة بن جعدة المازنى وهو غائب فرآه هلال ولم يعلم باستجارته فضربه فصرعه وقيذا إلا انه لم يمت ولما علم هلال انه كان مستجيراً بمعاذة فرهاربا فلحقه معاذة بن جعدة واخوته وهم يومئذ تسعة فأدركوه بعد أن أعيا وأتوا به والجلانى لم يمت بعد فسلموه الى بنى جلان وقالوا لهم لا تحدثوا فيه شيئاً قبل أن يموت عبيد، فأخذه الجلانيون الى بلادهم فهرب منهم حتى أتى بلاد اليمن، ولما طال عليه الزمن أرسل الى عشيرته من بنى رزام بشعر يعاتبهم فيه فقاموا ليحملوا عنه دية جار معاذة فأبى معاذة الا أن يحمل ثلاث ديات دية للقتيل ودية للجوار ودية لاقامة هلال وسطهم فقال هلال

بنى مازن لا تطردونى فاننى — أخوكم وان جرت جرائرها يدى
ولا تُثلجوا أكباد بكر بن وائل — بترك أخيكم كالخليع المطرَّد
ولا تجعلوا حفظى بظهر وتحفظوا — بعيداً ببغضاء تروح وتغتدى
فان القريب حيث كان قريبكم — وكيف بقطع الكف من سائر اليد
وان البعيد ان دنا فهو جاركم — وان شط عنكم فهو أبعد أبعد
وانى وان أوجدتمونى لحافظ — لكم حفظ راض عنكمُ غير موجَد
سيحمى حماكم بى وان كنت غائبا — أغرّ اذا ماريعَ لم يتبلد
وتعلم بكر أنكم حيث كنتمُ — وكنت من الأرض الغريبة مجتدى

وأنى ثقيل حيث كنت على العدى ... وأنى وان أوحدت لست بأوحد
وانهم لما أرادوا هضيمتى ... مُنوا بجميع القلب عَضْب مهند
حسام متى يعزم على الأمر يأته ... ولم يتوقف للعواقب فى غد
وهم بدؤا بالبغى حتى اذا جزوا ... بأفعالهم قالوا لجارهمُ قد
فلم يك منهم فى البديهة مُنْصِف ... ولم يك فيهم فى العواقب مهتد
ولم يفعلوا فعل الحليم فيحلموا ... ولم يفعلوا فعل العزيز المؤيد
فان يَسْر لي ايعاد بكر فربما ... منعت الكرى بالغيظ من متوعد
ورب حمى قوم أبحت ومورد ... وردت بفتيان الصباح ومورد
وسَجْف دَجُوجِيّ من الليل حالك ... رفعت بعَجْلِي الرجل موّارة اليد
سفينة خواض بحور همومه ... قليل ثبات العزم عند التردد
جسور على الأمر المَهيب اذا ونى ... أخو الفتك ركاب قَرَا المتهدد

وقال وهو بأرض اليمن

أقول وقد جاوزت نعمى وناقتى ... تحن الى جنبى فُلَيج مع الفجر
سقى الله يا ناق البلاد التى بها ... هواك وان عنا نأت سُبُل القطر
فما عن قِلًى منا لها خفت النوى ... بنا عن مراعيها وكُثبانها العُفْر
ولكن صروف الدهر فرقن بيننا ... وبين الأدانى والفتى غرض الدهر
فسقيا لصحراء الإهالة مَرْبَعا ... وللوقَبَى من منزل دَمِثٍ مُرْ
وسقيا ورعيا حيث حلت لمازن ... وأيامها الغُرّ المحجلة الزهر

ولم يزل كذلك حتى حمل عنه ديسم بن المنهال المازنى ما أراد معاذة فقال هلال

ان ابن كابية (١) المُرَزَّأ ديْسَما ... وارى الزناد بعيد ضوء النار
من كان يحمل ما تحمل ديْسَم ... من حائل فُنُق (٢) وام حوار

(١) هى أم ديسم (٢) الفنق الناقة الفتية السمينة

عُنيت بنو عمرو بحمل هنائه فيها العِشار(١) مُلابئ الأبكار
حتى تلافاها كريم سابق بالخير حل منازل الأخيار
حتى اذا وردت جميعاً أرزمت جِلّان بعد تشمس ونفار
ترعى بصحراء الإهالة روبة والعنظوان منابت الجرْجار

وقال وقد استغاث به قير بن سعد فأنجده

دعاني قـــير دعوة فأجبته فأي امرئ في الحرب حين دعاني
معي مخذم قد أخلص القين حده يخفض عند الروع روع جناني
وما زلت مذ شدت يميني حجزتي أحارب او في ظل حرب تراني

ومن شعره وفيه غناء

يا ربع سلمى لقد هيجت لي الطربا زدت الفؤاد على علّاته وصبا
ربع تبدل ممن كان يسكنه عُفْر الظباء وظُلْمانا به عُصَبا

مسعود بن خرشة

هو أحد بني حُرْقوص بن مازن شاعر اسلامي بدوي من لصوص بني تميم وكان يَهْوَى امرأة يقال لها جُمْل بنت شراحيل أخت تمام بن شراحيل المازني الشاعر فانتجع قومها ونأوْا عن بلادهم فقال مسعود

كلانا يرى الجوزاء يا جُمْل أذ بدت ونجم الثُّرَيَّا والمزار بعيـد
فكيف بكم يا جمل أهلا ودونكم بحور يقمصن السفين وبِيـدُ
اذا قلت قد حان القفول يصدنا سليمان عن أهوائنا وسعيد

ومن قوله وقد طلبه والي اليمامة فلجأ الى موضع فيه ماء وعُشْب

ألا ليت شعري هل أبيتنَّ ليلة بوَغْساء فيها للظباء مكانس

(١) عشار ملابىء دنا نتاجها والهنيدة اسم لمائة من الابل

وهل أنْجُون من ذى لبيه بن جابر ... كأن بنات المـاء فيه المجالس
وهل أسمعن صوت القطا تندب القطا ... الى الماء منه رابع وخوامس

سرق إبلا من مالك بن سفيان بن عمرو القَعْنَبى هو ورفقاء له فأتوا بها اليمامة ليبيعوها فاعترض عليهم أمير كان بها من بني أسد ثم عزل وولى مكانه رجل من عقيل فقال مسعود

يقول المرجفون أجاء عهد ... كفى عهداً بتنفيذ القِلاص
أتى عهد الامارة من عقيل ... أغر الوجه رُكّب فى النواصى
حصون بنى عقيل كل عَضْب ... اذا فزعوا وسابغة الدِّلاص
وما الجارات عند المحل فيهم ... ولو كثر الدوارج بالخِماص

قطرى بن الفجاءة المازنى

هو أمير المؤمنين للخوارج ومقامه فى الحرب لا يجهل ، من شعره فى وقعة دولاب

لعمرك انى فى الحيـاة لزاهد ... وفى العيش ما لم ألقَ أم حَكيم
من الخَفِرات البيض لم أر مثلها ... شـفاء لذى بَثّ ولا لسقيم
لعمرك انى يوم ألطم وجهها ... على نائبات الدهر جِدّ لئيم
ولو شهدتني يوم دُولاب (١) أبصرت ... طعان فتى فى الحرب غير ذميم
غداة طفَتْ عَلْماء بكر بن وائل ... وألافها من حمـير وسَليم
ومال الحجازيون نحو بلادهم ... وعُجْنا صدور الخيل نحو تميم
وكان لعبد القيس أول جدها ... وولت شيوخ الأزْد فهى تعوم
فلم أر يوماً كان أكثر مقْعَصا ... يَمُجّ دماً من فائظ وكَليم

(١) قرية بينها وبين الاهواز أربعة فراسخ

وضاربة خداً كريماً على فتى | أغرّ نجيب الأمهات كريم
أُصيب بدُولاب ولم يك موطنا | له أرض دُولاب ودَيْر حميم (١)
فلو شهدتنا يوم ذاك وخيلنا | تبيح من الكفار كل حريم
رأت فتية باعوا الاله نفوسهم | بجنات عدن عنده ونعيم

وكانت بدولاب حرب بين الأزارقة و بين مسلم بن عُبَيس بن كُرَيز وكان من حديثها ان نافع بن الازرق لما تفرقت آراء الخوارج ومذاهبهم فى أصول مقالتهم أقام بسوق الأهواز وأعمالها لا يعترض الناس وقد كان متشككا فى ذلك فقالت له امرأته ان كنت قد كفرت بعد ايمانك وشككت فيه فدَعْ نحلتك ودعوتك وان كنت قد خرجت من الكفر الى الايمان فاقتل الكفار حيث لقيتهم وأثخن فى النساء والصبيان كما قال نوح « رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديَّارا » فقبل قولها واستعرض الناس وبسط سيفه فقتل الرجال والنساء والولدان وجعل يقول ان هؤلاء اذا كبروا كانوا مثل آبائهم ، واذا وطئ بلداً فعل مثل هذا به الى أن يجيبه أهله جميعاً ويدخلوا فى ملته فيرفع السيف ويضع الجباية فيجبى الخراج ، فعظم أمره واشتدت شوكته وفشا عماله فى السواد ، فارتاع لذلك أهل البصرة ومشوا الى الأحنف بن قيس فشكوا اليه أمرهم وقالوا له ليس بيننا وبين القوم الا ليلتان وسيرتهم كما ترى ، فقال لهم الأحنف ان سيرتهم فى مصركم ان ظفروا به مثل سيرتهم فى سوادكم فخذوا فى جهاد عدوكم ، وحرضهم الأحنف ، فاجتمع اليه عشرة آلاف رجل فى السلاح ، فأتاه عبد الله بن الحرث بن نوفل وسأله أن يؤمر عليهم أميراً ، فاختار لهم مسلم بن عُبَيس بن كُرَيز بن ربيعة ، وكان فارساً شجاعاً دينا فأمره عليهم وشيعه ، فلما نفذ من جسر البصرة أقبل على الناس وقال انى ما خرجت لامتيار ذهب ولا فضة وانى لأحارب قوماً ان ظفرت بهم فما وراءهم

(١) موضع بالاهواز

الا سيوفهم ورماحهم فمن كان من شأنه الجهاد فلينهض ومن أحب الحياة فليرجع ، فرجع نفر يسير ومضى الباقون معه ، فلما صار بدُولاب خرج اليهم نافع بن الأزرق فاقتتلوا قتالا شديداً حتى تكسرت الرماح وعقرت الخيل وكثرت الجراح والقتلى وتضاربوا بالسيوف والعَمَد فقتل فى المعركة ابن عبيس وهو على أهل البصرة « وذلك فى جمادى الآخرة سنة خمس وستين » وقتل نافع بن الأزرق يومئذ أيضاً فعجب الناس من ذلك وان الفريقين تصابروا حتى قتل منهم خلق كثير وقتل رئيسا العسكرين ، والشُراة يومئذ ستمائة رجل ، فكانت الحدة يومئذ وبأس الشراة واقعاً بين تميم وبنى سدوس ، وأُتى بابن عُبيس وهو يجود بنفسه فاستخلف على الناس الربيع بن عمرو الغُدانى وكان يقال له الأجذم كانت يده أصيبت بكابُل مع عبد الرحمن بن سمُرة ، واستخلف نافع بن الأزرق عبيد الله بن بشير بن الماحوز أحد بنى سَليط بن يَرْبوع فكان رئيسا المسلمين والخوارج جميعاً من بنى يربوع ، رئيس المسلمين من بني غُدانة بن يربوع ورئيس الشُراة من بنى سَليط بن يَرْبوع فاتصلت الحرب بينهم عشرين يوماً ، وادعى قتل نافع بن الأزرق رجل من باهلة يقال له سلامة وتحدث بعد ذلك قال كنت لما قتلته على برذون وَرْد فاذا أنا برجل ينادى وأنا واقف فى خُمس بنى تميم فاذا به يعرض عليّ المبارزة ، فتغافلت عنه ، وجعل يطلبنى وأنا أنتقل من خمس الى خمس وليس يزايلنى ، فصرت الى رحالى ثم رجعت فدعانى الى المبارزة فلما أكثر خرجت اليه فاختلفنا ضربتين فضربته فصرعته ونزلت فأخذت رأسه وسلبته فاذا هى امرأة قد رأتني حين قتلت نافعاً فخرجت لتثأر به ، فلما قتل نافع وابن عبيس ولى الجيش ربيع بن عمرو ، ولم يزل يقاتل الشراة نيفا وعشرين يوماً ، ثم أصبح ذات يوم فقال لأصحابه انى مقتول لا محالة ، قالوا وكيف ذلك ؟ قال انى رأيت البارحة كأن يدى التى أصيبت بكابُل انحطت من السماء فاستشلتنى[1] ، فلما كان الغد قاتل الى الليل ثم عاد فقتل يومئذ ،

(١) أى أخذتنى اليها واستنقذتنى

فلما قتل تدافع أهل البصرة الراية حتى خافوا العطب اذ لم يكن لهم رئيس ، ثم أجمعوا على الحجاج بن باب الحميرى وقد اقتتل الناس يومئذ وقبله بيومين قتالا شديداً لم يقتتلوا مثله ، تطاعنوا بالرماح حتى تقصفت ثم تضاربوا بالسيوف والعمد حتى لم يبق لأحد منهم قوة وحتى كان الرجل منهم يضرب الرجل فلم يغن شيئاً من الاعياء وحتى كانوا يترامون بالحجارة ويتكادمون [1] بالأفواه ، فلما تدافع القوم الراية وأبوها واتفقوا على الحجاج بن باب امتنع من أخذها ، فقال له كُرَيب ابن عبدالرحمن خذها فانها مكرمة ، فقال انها لراية مشئومة ما أخذها أحد الا قتل ، فقال له كريب يا أعور تقارعت العرب على أمرها ثم صيروها اليك فتأبى خوف القتل خذ اللواء ويحك فان حضر أجلك قتلت ان كانت معك أو لم تكن ، فأخذ اللواء وناهضهم ، فاقتتلوا حتى انتقضت الصفوف وصاروا كراديس والخوارج أقوى عدة بالدروع والجواشن [2] وجعل الحجاج يغمض عينيه ويحمل حتى يغيب فى الشُّراة ويطعن فيهم ويقتل حتى يظن أنه قد قتل ثم يرفع رأسه وسيفه يقطر دما ويفتح عينيه فيرى الناس كراديس يقاتل كل قوم فى ناحية ، ثم ان الحجاج بن باب وعمران بن الحرث الراسبى التقيا فاختلفا ضربتين كل واحد منهما قتل صاحبه وجال الناس بينهما جولة ثم تحاجزوا وأصبح أهل البصرة وقد هرب عامتهم وولوا حارثة ابن بدر الغُدانى أمرهم ليس لهم طرف الا بالخوارج فقالت امرأة من الشُّراة وهى أم عمران قاتل الحجاج بن باب وقتيله ترثى ابنها عمران

الله أيد عمـــرانا وطهره ... وكان عمران يدعو الله فى السَّحَرِ
يدعوه سراً واعـــلاناً ليرزقه ... شهادة بيـــدَىْ مِلْحادة غُدُرِ
ولى صحابتـــه عن حَرِّ مَلْحمة ... وشد عمران كالضِّرغامة الهَصِرِ [3]

(١) يعض بعضهم بعضاً (٢) الجواشن الدروع (٣) الهصر الذى يهصر كل شيء أى يثنيه

فلما عقدوا لحارثة بن بدر الرياسة وسلموا اليه الراية نادى فيهم بأن يثبتوا ، فاذا فتح الله عليهم فللعرب زيادة فريضتين وللموالي زيادة فريضة ، فندب الناس فالتقوا وليس بأحد منهم طرف وقد فشت فيهم الجراحات فلهم أنين وما تطأ الخيل الا على القتلى ، فبينما هم كذلك اذ أقبل من اليمامة جمع من الشراة يقول المكثر انهم مائتان والمقلل انهم أربعون ، فاجتمعوا وهم مريحون مع أصحابهم واجتمعوا كبكبة واحدة فحملوا على المسلمين ، فلما رآهم حارثة بن بدر نكص برايته فانهزم وقال

كرنبوا (١) ودَوْلبوا وحيث شئتم فاذهبوا

وتتابع الناس على أثره منهزمين وتبعتهم الخوارج ، فألقوا أنفسهم فى دُجيل ، فغرق منهم خلق كثير وسلمت بقيتهم ، وكان ممن غرق دَغْفَل بن حنظلة أحد بنى عمرو بن شيبان ، ولحقت قطعة من الشُّراة خيل عبد القيس فأكبوا عليهم فعطفت عليهم خيل من بنى تميم ، فعاونوهم وقاتلوا الشُّراة حتى كشفوهم وانصرفوا الى أصحابهم وعبرت بقية الناس ، فصار حارثة ومن معه بنهر تِيرَى والشراة بالأهواز فأقاموا ثلاثة أيام ، وكان على الأزد يومئذ قبيصة بن أبى صفرة وهو أخو المهلب ، وغرق يومْئذ من الأزد خلق كثير ، فقال شاعر الأزارقة

يرى من جاء ينظر من دجيل شيوخ الأزد طافية لحاها

وقال شاعر آخر منهم

شَمِتَ ابنُ بدر والحوادث جمّة والظالمون بنافع بن الأزرق
والموت حتم لا محالة واقع من لا يصبحه نهاراً يطرُق
فلئن أمير المؤمنين أصابه ريب المنون فمن تصبه يَغْلَق

قال خلاد بن الأرقط كان الشراة والمسلمون يتواقفون ويتساءلون بينهم عن

(١) اذهبوا الى كرنبي موضع فى الاهواز ودولبوا أقيموا بدولاب

أمر الدين وغير ذلك على أمان وسكون فلا يهيج بعضهم بعضاً ، فتواقف يوماً عبيدة بن هلال اليشكرى وأبو حزابة التميمى وهما فى الحرب ، فقال عبيدة يا أبا حزابة إني سائلك عن أشياء أفتصدقني في الجواب عنها ؟ قال نعم ان تضمنت لي مثل ذلك ، قال قد فعلت ، قال سل عما بدا لك ، قال ما تقول فى أئمتكم ؟ قال يبيحون الدم الحرام والمال الحرام والفرج الحرام ، قال ويحك فكيف فعلهم فى المال ؟ قال يجبونه من غير حله وينفقونه فى غير حقه ، قال فكيف فعلهم فى اليتيم ؟ قال يظلمونه ماله ويمنعونه حقه وينكحون أمه ، قال ويلك يا أبا حزابة أفمثل هؤلاء تتبع ؟ قال قد أجبت فاسمع سؤالي ودع عنك عتابى على رأيى ، قال قل ، قال أى الخمر أطيب أخمر السهل أم خمر الجبل ؟ قال ويلك أتسأل مثلي عن هذا ؟ قال قد أوجبت على نفسك أن تجيب ، قال اذا أبيت فان خمر الجبل أقوى وأسكر وخمر السهل أحسن وأسلس ، قال أبو حزابة فأى الزوانى أفره أزوانى رامهرمز أم زوانى أرجان ؟ قال ويلك ان مثلي لا يسأل عن مثل هذا ، قال لابد من الجواب أو تغدر ، فقال أما اذا أبيت فزوانى رامهرمز أرق أبشارا وزوانى أرجان أحسن أبداناً ، قال فأى الرجلين أشعر أجرير أم الفرزدق ؟ قال عليك وعليهما لعنة الله ، أيهما الذى يقول

وطوى الطراد مع القياد بطونها ... طي التجـــار بحضرموت برودا

قال جرير ، قال فهو أشعرهما ، وكان الناس قد تجاذبوا فى أمر جرير والفرزدق حتى تواثبوا وصاروا الى المهلب محكمين له فى ذلك ، فقال أردتم أن أحكم بين هذين الكلبين المتهارشين فيمتضغانى ، ما كنت لأحكم بينهما ولكنى أدلكم على من يحكم بينهما ثم يهون عليه سبابهما عليكم بالشراة فسلوهم اذا تواقفتم ، فلما تواقفوا سأل أبو حزابة عبيدة بن هلال عن ذلك ، فأجابه بهذا الجواب ، وقال ميمون بن مهران حدثت أن امرأة من الخوارج كانت مع قطرىّ بن الفُجاءة يقال لها أم حكيم ، وكانت من أشجع الناس وأجملهم وجهاً وأحسنهم بدينهم تمسكاً

وخطبها جماعة منهم فردتهم ولم تجب الى ذلك ، فأخبرنى من شهدها أنها كانت تحمل على الناس وترتجز

أحمل رأساً قد سئمت حمله وقد مللت دهنه وغسله

ألا فتى يحمل عنى ثقله

وهم يفدونها بالآباء والأمهات ، فما رأيت قبلها ولا بعدها مثلها ، وقال الهيثم ابن عدي كان عبيدة بن هلال اذا تكاف الناس ناداهم ليخرج الى بعضكم ، فيخرج اليه فتيان من العسكر فيقول لهم أيما أحب اليكم أقرأ عليكم القرآن أو أنشدكم الشعر ؟ فيقولون له أما القرآن فقد عرفناه مثل معرفتك فأنشدنا ، فيقول لهم يا فسقة والله لقد علمت أنكم تختارون الشعر على القرآن ، ثم لا يزال ينشدهم حتى يملوا ثم يفترقون

وورد ذكر أم حكيم فى أبيات ثلاثة وليست من قصيدة قطرى وهى

اذا قلت تسلو النفس أو ينتهى المنى أبى القلب الا حب أم حكيم

منعمـــة صفراء حلو دلالها أبيت بها بعـــد الهدو أهيم

قطوف الخطا محطوطة المتن زانها مع الحسن خلق فى الجمال عميم

مرة بن محكان السعدى

شاعر مقلّ إسلامى من شعراء الدولة الأموية ، وكان فى عصر جرير والفرزدق فأخملا ذكره لنباهتهما فى الشعر ، وكان مرة شريفاً جواداً وهو أحد من حبس فى المناحرة والاطعام ، حبسه زياد بن أبى سفيان

ومن شعره

يا ربة البيت قومى غير صاغرة ضمي اليك رحال القوم والقُرُبا

في ليلة من جمادى ذات أندية لا يبصر الكلب من ظلمائها الطُنُبا

لا ينبح الكلب فيها غير واحدة حتى يلُفَّ على خيشومه الذنَبا

كان الضيف اذا نزل بالعرب فى الجاهلية ضموا اليهم رحله وبقى سلاحه معه لا يؤخذ خوفاً من البيات ، فقال مرة يخاطب امرأته ضمي اليك رحال هؤلاء الضيفان وسلاحهم فانهم عندى فى عز وأمن من الغارات والبيات فليسوا ممن يحتاج أن يبيت لابساً سلاحه

ومن قوله للحرث بن أبى ربيعة والي البصرة أيام ابن الزبير حين أراد إمضاء حكم عليه

أحارِ تثبت فى القضـــاء فانه   اذا ما إمام جار فى الحكم أقصدا
وانك موقوف على الحكم فاحتفظ   ومهما تُصبه اليوم تدرك به غدا
فانى مما أدرك الأمر بالأنى   وأقطع فى رأس الأمير المهندا

فلما ولى مصعب بن الزبير دعاه فأنشده الأبيات ، فقال أما والله لأقطعن السيف فى رأسك قبل أن تقطعه فى رأسي وأمر به فحبس ، ثم دس اليه من قتله

رؤبة

هو رؤبة بن العجاج بن رؤبة السعدى التميمى يكنى أبا الجحاف والعجاج ، من رُجّاز الاسلام وفصحائهم والمذكورين المقدمين منهم ، نزل البصرة ، وهو من مخضرمى الدولتين مدح بنى أمية وبني العباس ، ومات فى أيام المنصور ، وقد أخذ عنه وجوه أهل اللغة وكانوا يقتدون به ويحتجون بشعره ويجعلونه إماماً

قال محمد بن سلام ليونس هل رأيت عربياً أفصح من رؤبة ؟ قال لا ، ما كان معدّ بن عدنان أفصح منه ، وقد روى رؤبة الحديث المسند عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواه أبوه أيضاً

روى عن أبيه قال أنشدت أباهريرة

الحمد لله الذى استقلت   باذنه السماء واطمأنت
باذنه الارض وما تعنّت   وحى لهــا القرار فاستقرت

وشدها بالراسيات الثُّبَّت　　رب البلاد والعباد القُنَّت

والجاعل الغيث غياث المسنت　　والجامع الناس ليوم الموقت

فقال أبو هريرة أشهد أنك تؤمن بيوم الحساب

وروى عنه قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فى سفر وحاد يحدو

طاف الخيالان فهاجا سقما　　خيال لُبْنَى وخيال تُكْتَما

قامت تريك خشية أن تصرما　　ساقا بَخَنْداة وكعباً أَدْرما

والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع ولا ينكر

وروى عن أبي عبيدة قال السواك يذهب وَضَر الطعام

وكان رؤبة يأكل الفأر فقيل له فى ذلك وعوتب ، فقال هو والله أنظف من دواجنكم ودجاجكم اللواتى يأكلن القذر وهل يأكل الفأر الا فى البر ولباب الطعام

قال رؤبة لما ولي الوليد بن عبد الملك الخلافة بعثنى الحجاج مع أبي لنلقاه ، فاستقبلنا الشمال حتى صرنا بباب الفراديس ، وكان خروجنا فى عام مُخْصِب وكنت أصلى الغداة وأجتنى من الكمأة ما شئت ثم لا أجاوز الا قليلا حتى أرى خيراً منها فأرمى بها وآخذ الأخرى حتى نزلنا بعض المياه فاهدى لنا حَمل خُرْفج (١) ووَطْب لبن غليظ وزبدة كأنها رأس نعجة حوشية (٢) فقطعنا الحمل آراباً وكررنا عليه اللبن والزبدة حتى اذا بلغ إناه انتشلنا اللحم بغير خبز ثم شربت من مرقه شربة لم تزل ذفرياى ترشحان حتى رجعنا الى حجز (٣) فكان أول من لقينا من الشعراء جريراً فاستعهدنا ألا نعين عليه ، فكان أول من أذن له من الشعراء أبي ثم أنا ، فأقبل الوليد على جرير فقال له ويلك ألا تكون مثل هذين ، عفدا الشفاه عن أعراض الناس ، فقال انى أظلم فلا أصبر ، ثم لقينا بعد ذلك جرير فقال يابنى أم العجاج

(١) سمين　(٢) وحشية　(٣) مدينة اليمامة

والله لئن وضعت كلكلي عليكما ما أغنت عنكما مقطعاتكما ، فقلنا لا والله ما بلغه عنا شيء ولكنه حسدنا لما أذن لنا قبله واستنشدنا قبله

قيل ليونس من أشعر الناس ؟ قال العجاج ورؤبة ، فقيل له لم ولم نعن الرجاز؟ فقال هم أشعر من أهل القصيد ، انما الشعر كلام فأجوده أشعره ، قد قال العجاج « قد جبر الدينَ الالهُ فجبر » وهى نحو من مائتى بيت موقوفة القوافى ولو أطلقت قوافيها لكانت كلها منصوبة ، وكذلك عامة أراجيزهما

قال أبو زيد الأنصارى والحكم بن قنبر كنا نقعد الى رؤبة يوم الجمعة فى رحبة بنى تميم فاجتمعنا يوماً فقطعنا الطريق ومرت بنا عجوز فلم تقدر أن تجوز فى طريقها فقال رؤبة

تنحّ للعجوز عن طريقها   اذ أقبلت رائحة من سوقها
دعها فما النحوى من صديقها

قال يونس غدوت يوماً أنا وابراهيم العطاردى على رؤبة فخرج الينا كأنه نسر فقال له نوح أصبحت والله كقولك

كالكُرَز[1] المشدود بين الاوتاد   ساقط منه الريش قبل الابراد
لَفحُ الصَّلا من وَغرَقيظ وقاد

فقال له رؤبة والله يا ابن نوح ما زلت لك ماقتا ، فقلت بل أصبحت يا أبا الجحاف كما قال الآخر

فأبقين منى وأبقى الطرا   د بطناً خميصاً وصُلباً سمينا

فضحك وقال هات حاجتك

بعث اليه أبو مسلم لما أفضت الخلافة الى بني هاشم فلما دخل عليه رأى منه جزعاً فقال له اسكن فلا بأس عليك ما هذا الجزع الذى ظهر منك ؟ قال أخافك ،

(١) الكرز البازى وقيل الذى يشعر بسقط ريشه

قال ولم ؟ قال لأنه بلغنى أنك تقتل الناس ، قال انما أقتل من يقاتلني ويريد قتلى أفأنت منهم ؟ قال لا ، قال فهل ترى بأساً ؟ قال لا ، فأقبل أبو مسلم على جلسائه ضاحكا ثم قال أما أبو العجاج فقد رخص لنا ، ثم قال أنشدنى قولك — وقاتم الأعماق خاوى المخترق — فقال أو أنشدك أصلحك الله أحسن منه ؟ قال هات فأنشده

قلت ونسجى مستجد حوكا　　لبيك اذ دعوتنى لبيكا
أحمد رباً ساقنى اليكا　　الحمد والنعمة في يديكا

قال هات كلتك الاولى ، قال أو أنشدك أحسن منها ؟ قال هات فأنشده

ما زال يبني خندقاً وتهدمه　　ويستجيش عسكرا وتهزمه
ومغنماً تجمعه وتقسمه　　مروان لما أن تهاوت أنجمه
وخانه فى حكمه منجمه　　فى بطنه غاشية تتممه

قال دع هذا وأنشدنى وقاتم الأعماق قال أو أحسن منه ؟ قال هات فأنشده

رفعت بيتاً وخفضت بيتا　　وشدت ركن الدين اذ بنيتا
فى الأكرمين من قريش بيتا

قال هات ما سألتك عنه ، فأنشده

مازال يأتى الأمر من أقطاره　　على اليمين وعلى يساره
مشمراً لا يصطلى بناره　　حتى أقر الملك في قراره
وفر مروانُ علي حماره

قال ويحك هات مادعوتك له وأمرتك بانشاده ولا تنشد غيره ، فأنشد وقاتم الاعماق خاوى المخترق (١)

(١) أرجوزة لرؤبة عدتها اثنتان وسبعون ومائة بيت والقاتم الأسود والأعماق جمع عمق وهو ما بعد من أطرف المفازة ومخترق الرياح مهبها وخواؤه خلوه

فلما صار الى قوله

يرمى الجلاميد بجُلْمود مِدَق

قال قاتلك الله لشد ما استصلبت الحافر ، ثم قال حسبك أنا ذلك الجلمود المدق ، وجيء بمنديل فيه مال فوضع بين يدى رؤبة ، فقال أبو مسلم يا رؤبة انك أتيتنا والاموال مشفوهة وان لك لعودةً الينا وعلينا مُعَوَّلا والدهر أطرق مستتب فلا تجعل بجنبيك الأَسدَّة ، قال رؤبة فأَخذت المنديل منه وتالله ما رأيت أعجمياً أفصح منه وماظننت أن أحداً يعرف هذا الكلام غيري وغير أبي

ومما يغنى فيه من رجزه

داينت أروى والديون تُقْضَى فمطلت بعضاً وأدت بعضا

ياليت أروى اذ لوتك قرضا جاءت بقرض فشكرت القرضا

قال ابن عون ما شبهت لهجة الحسن البصرى الا بلهجة رُؤبة ولم يوجد له ولا لأبيه فى شعرهما حرف مدغم قط . قال الخليل بن أحمد يوم مات رؤبة دفنا الشعر واللغة والفصاحة اليوم

أبو نخيلة الحمانى

هو أبو نُخَيلة بن حزْن بن زائدة الِحمَّانى من حِمَّان بن عبد العزى ثم من سعد ابن زيد التميمى وكنيته أبو الجنيد ، كان عاقًّا بأبيه فنفاه أبوه عن نفسه ، فخرج الى الشام وأقام هناك الى أن مات أبوه ، ثم عاد وبقى مشكوكاً فى نسبه مطعوناً عليه ، وكان الأغلب عليه الرجز وله قصيد ليس بالكثير ، ولما خرج الى الشام اتصل بمَسْلَمة بن عبد الملك فاصطنعه وأحسن اليه وأوصله الى الخلفاء واحداً بعد واحد واستماحهم له فأَغنَوْه وكان بعد ذلك قليل الوفاء لهم انقطع الى بنى هاشم ولقب نفسه شاعر بني هاشم ، فمدح الخلفاء من بنى العباس وهجا بنى أمية فأكثر وكان طامعاً فحمله ذلك على أن قال فى المنصور أراجيز يغريه فيها بخلع عيسى بن موسى و بعقد

العهد لابنه محمد المهدى ، فوصله المنصور بألفى درهم وأمره أن ينشدها بحضرة عيسى بن موسى ، ففعل ، فطلبه عيسى فهرب منه وبعث فى طلبه مولى له فأدركه فى طريق خراسان فذبحه وسلخ جلده

قال يحيى بن نجيم لما انتفى أبو نخيلة من أبيه خرج يطلب الرزق لنفسه فتأدب بالبادية حتى شعر وقال رجزاً كثيراً وقصيداً صالحاً وشهر بهما وسار شعره فى البدو والحضر ورواه الناس ، ثم وفد الى مسلمة بن عبد الملك فمدحه ولم يزل به حتى أغناه ، قال يحيى فحدثنى أبو نخيلة قال وردت على مسلمة فمدحته وقلت له

أمسلم انى يا ابن كل خليفة ... ويا جبل الدنيا ويا مالك الأرض
شكرتك ان الشكر حظ من التقى ... وما كل من أوليته نعمة يقضى
وألقيت لما أن أتيتك زائراً ... عليَّ لحافاً سابغ الطول والعرض
وأحييت لي ذكرى وما كان خاملاً ... ولكن بعض الذكر أنبه من بعض

فقال له مسلمة ممن أنت ؟ فقلت من بنى سعد ، فقال ما لكم يا بنى سعد والقصيد وانما حظكم فى الرجز ، فقلت له أنا والله أرجز العرب ، قال فأنشدنى من رجزك ، فكأنى والله لما قال ذلك لم أقل رجزاً قط أنسانيه الله كله فما ذكرت منه ولا من غيره شيئاً الا أرجوزة لرؤبة قد كان قالها فى تلك السنة ، فظننت أنها لم تبلغ مسلمة ، فأنشدته إياها فنكس وتعتعت ، فرفع رأسه إليَّ وقال لا تتعب نفسك فأنا أروى لها منك ، فانصرفت وأنا أكذب الناس عنده وأخزاهم عند نفسى حتى استضلعت بعد ذلك ومدحته برجز كثير ، فعرفنى وقربنى وما رأيت ذلك فيه يرحمه الله ولا قرعنى به حتى افترقنا ، وقال أبو نخيلة لما انصرف مسلمة من حرب يزيد بن المهلب تلقيته ، فلما عاينته صحت به

مَسْلَمَ يا مسلمة الحروب ... أنت المصفَّى من أذى العيوب
مُصاصة من كرم وطيب ... لولا ثقاف ليس بالتذبيب
تَفْرِى به عن حُجُب القلوب ... لأمست الأمَّة شاء الذيب

قال أبو نخيلة وفدت على هشام بن عبد الملك فصادفت مسلمة قد مات وكنت بأخلاق هشام غراً وأنا غريب ، فسألت عن أخص الناس به ، فذكر لي رجلان أحدهما من قيس والآخر من اليمن ، فعدلت الى القيسى ، قلت هو أقربهما إليَّ وأجدرهما بما أحب ، فجلست اليه ثم وضعت يدى على ذراعه وقلت له انى مستثيبك لتمسنى رحمك أنا رجل غريب شاعر من عشيرتك وأنا غير عارف بأخلاق هذا الخليفة وأحببت أن ترشدنى الى ما أعمل فينفعنى عنده وعلى أن تشفع لي وتوصلنى اليه ، فقال ذلك كله لك عليَّ وفى الرجل شدة لا كمن عهدت من أهله ، واذا سئل وخلط مدحه بطلب حرم الطالب ، فأخلص له المدح فان ذا أجدر أن ينفعك واغدُ اليه غداً فانى منتظرك بالباب حتى أوصلك والله يعينك ، فصرت من غد الى باب هشام ، فاذا الرجل ينتظرنى ، فأدخلنى معه واذا بأبي النجم قد سبقنى فبدأ فأنشده قوله

الى هشام والي مروان بيتان ما مثلها بيتان
كفاك بالجود تباريان كما تبارى فرسا رهان
مال علىّ حدب الزمان وبيع ما يغلو من الغلمان
بالثمن الوكس من الأثمان والمهر بعد المهر والحصان

فأطال فيها وأكثر المسألة حتى ضجر هشام وتبينت الكراهة فى وجهه ، ثم استأذنت فأذن لي فأنشدته

لما أتتنى نَغْية (١) كالشُّهد كالعسل الممزوج بعد الرَّقد
يا بردها لمشتف بالبرد رفعت من أطمار مستعد
وقلت للعيس اغتدى وجدى فهى تَخَدّى أبرح التّخدي (٢)
كم قد تعسفت بها من نَجْد ومُجْرَهِدّ بعد مجرهد (٣)

(١) النغية مثل النغمة (٢) خدى البعير يخدى أسرع وزج بقوائمه (٣) المجرهد الطريق امتد

قد ادّرعن فى مسير سَمْدْ[1] ليلا كلون الطّيلسان الجَرْد

الى أمير المؤمنين المجدى رب مَعَدّ وسوى معـد

ممن دعا من أصْيَد ونَجْد ذى المجدوالتشريف بعدالمجد

فى وجهه بدر بدا بالسعد أنت الهمام القرْم عند الجد

طُوِّقتها مجتمع الأشُدّ فاهنأ لما قمت صوت الرعد

حتى أتيت عليها وهممت أن أسأله ثم عزفت نفسى وقلت قد استنصحت رجلا وأخشى أن أخالفه فأخطىء وحانت مني التفاتة فرأيت وجه هشام منطلقاً فلما فرغت أقبل على جلسائه فقال الغلام السعدي أشعر من الشيخ العجلى ، وخرجت فلما كان بعد أيام أتتنى جائزته ثم دخلت عليه بعد ذلك وقد مدحته بقصيدة فألقى علىَّ جبة خز من جبابه مبطنة بسمور ثم دخلت عليه يوماً آخر فكسانى دراجا كان عليه من خز أحمر مبطن بسمور ، ثم دخلت عليه يوماً ثالثاً فلم يأمر لى بشىء فحملتنى نفسى على أن قلت له

كسوتنيهافهى كالتّجفاف[2] من خزك المصونة الكثاف

كأننى فيهـا وفى اللحاف من عبدشمس أو بني مناف

والخز مشتاق الى الأفواف[3]

فضحك وأدخل يده فيها ونزعها ورمى بها الىّ وقال خذها فلا بارك الله لك فيها ، فلما أفضت الخلافة الى السفاح نقلها اليه وغيرهاوجعلها فيه « يعني الأرجوزة الدالية » فهى الآن تنسب فى شعره الى السفاح

لما حبس عمر بن هبيرة وهو أمير العراق الفرزدق أبى أن يشفع فيه أحد ، فدخل عليه أبو نخيلة فى يوم فطر فوقف بين يديه وأنشأ يقول

(١) سمدت الابل فى مسيرها جدت والجرد الخلق (٢) التجفاف آلة للحرب تلبسها الفرس كأنها درع للحرب (٣) الفوف بالضم نوع من برود اليمن وجمعه أفواف

أطلقت بالأمس أسير بكر — فهل فداك نفرى ووفرى

من سبب أوحجة أوعذر — يُنجي التميمى القليل الشكر

من حلَق القيد الثِّقال السُّمر — هبه لأخوالك يوم الفطر

فأمر باطلاقه وكان قد أطلق قبله رجلا من عجل جيء به من عين التمر قد أفسد فشفعت فيه بكر بن وائل فأطلقه واياه عني أبو نخيلة

حج أبو نخيلة ومعه جريب من سوِيق قد حلاه بقنْد ، فنزل منزلا فى طريقه فأتاه أعرابي من بني تميم وهو يقلب ذلك السويق واستحيا منه فعرض عليه فتناول ما أعطاه فأتى عليه ثم قال زدنى فقال أبو نخيلة

لما نزلنا منزلا ممقوتا — نريد أن نرحل أو نبيتا

جئت ولم ندر من أين جيتا — اذا سقيت المزبد السحتيتا[1]

قلت ألا زدنى وقد رويتا

فقام الاعرابى وهو يسبه

دخل أبو نخيلة على السفاح فسلم واستأذن فى الانشاد فقال له لاحاجة لنا فى شعرك انما تنشدنا فضلات بنى مرْوان فقال يا أمير المؤمنين

كنا اناساً نرْهب الأملاكا — اذ ركبوا الأعناق والأوراكا

قد ارتجينا زمناً أباكا — ثم ارتجينا بعده أخاكا

ثم ارتجينا بعده اياكا — وكان ما قلت لمن سواكا

زوراً فقد كفَّر هذا ذاكا

فضحك السفاح وأجازه جائزة سنية وقال له أنت شاعر وطالب خير ومازال الناس يمدحون الملوك فى دولهم والتوبة تكفر الخطيئة والظفر يزيل الحقد وقد عفونا عنك واستأنفنا الصنيعة لك وأنت الآن شاعرنا فاتسم بذلك فيزول عنك وسم بنى مروان فقد كفر هذا ذاك

---

(١) السحتيت السويق الدقاق

قدم أبو نخيلة على المهاجر بن عبد الله الكلابى وكان أشبه خلق الله به وجهاً وجسماً وقامة لايكاد الناظر أحدهما يفرّق بينه وبين الآخر فدخل عليه فأنشده قوله فيه

يا دار أم مالك ألا اسلمي ... على التنائى من مقام وانعمى
كيف أنا ان أنت لم تكلّمى ... بالوحى أو كيف بأن تحمحمى
تقول لى بنتي ملام اللوّم ... يا أبتا انك يوماً مؤتمى
فقلت كلّاً فاعلمى ثم اعلمى ... انى لميقات كتاب محكم
لو كنت فى ظلمة شعب مظلم ... أو فى السماء أرتقى بسلم
لانصبّ مقدار الى مجرنثمى(١) ... انى ورب الراقصات الرسّم
ورب حوض زمزم وزمزم ... لأثنينّ الخير عند مقدمى
وعند ترحالى وعند مخيمى ... على ابن عبد الله قرم الأقرم
فاننى والعلم ذو ترسم ... لم أدر ما مهاجر التكرم
حتى تبثثت قضايا الغشّم ... مهاجر ياذا النوال الخضرم
أنت اذا انتجعت خير مغنم ... مشترك النائل جمّ الأنعم
ولتميم منك خير مقسم ... اذا التقوا ستاً معاً كالهيّم
قد علم الشام وكل موسم ... أنك تحلو لي كحلو المعجم
طوراً وطوراً أنت مثل العلقم

فوصله فقال له أبو نخيلة هذه صلة المديح فأين صلة الشبه فان التشابه فى الناس نسب ، فوصله حتى أرضاه فلم يزل يمدحه بعد ذلك حتى مات ورثاه بعد وفاته فقال

خليلىّ مالى باليمامة مقعد ... ولا قرة للعين بعد المهاجر
مضى ما مضى من صالح العيش فاربعا ... على ابن سبيل مزمع البين عابر
فان تك فى ملحودة يا ابن وائل ... فقد كنت زين الوفد زين المنابر

وقد كنت لولا سلك السيف لم ينم مقيم ولم تأمن سبيل المسافر
لعز على الحيين قيس وخندف بمبكى علي والوليد وجابر
هوى قمر من بينهم فكأنما هوى البدر من بين النجوم الزواهر

تزوج أبو نخيلة امرأة من عشيرته فولدت بنتاً فغمه ذلك فطلقها تطليقة ثم ندم فراجعها ، فبينا هو في بيته يوماً إذ سمع صوت ابنته وامها تلاعبها فحركه ذلك ورق لها فقام اليها فأخذها وجعل يُنَزِّيها ويقول

بابنت من لم يك يهوى بنتا ما كنت الا خمسة أو ستا
حتى هلكت فى الحشى وحتى فتت في القلب جوًى فانفتا
لأنت خير من غلام أنتا يصبح مخموراً أو يمسى سبتا(١)

كان أبو نخيلة مداحاً للجنيد بن عبد الرحمن المرى وكان الجنيد له محباً يكثر رفده ويقرب مجلسه ويحن اليه فلما مات الجنيد بمرو قال أبو نخيلة يرثيه

لعمرى لئن ركب الجنيد تحملت الى الشام من مرو وراحت كتائبه
لقد غادر الركب الشآمون خلفهم فتى غطفانيا تعلل جادبه
فتى كان يسرى للعدو كأنما عجاج القطا فى كل يوم كتائبه
وكان كأن البدر تحت لوائه اذا راح فى جيش وراحت عصائبه

ابتاع أبو نخيلة داراً فى بني حمان ليصحح بها نسبه وسأل في بنائها فأعطاه الناس اتقاء للسانه وشره ، فسأل شبيب بن شبة فلم يعطه شيئاً واعتذر اليه فقال

يا قوم لاتسودوا شبيبا الملذان الخائن الكذوبا
هل تلد الذيبة إلا ذيبا

فقال شبيب ما كنت لأعطيه على هذا القول فانه قد جعل احدى يديه سطحاً وملأ الاخرى سلحاً وقال من وضع شيئاً فى سطحى والا ملأته بسلحى من أجل

(١) أى سبوتاً وهو من به السبات أى النوم

دار يريد أن يصحح بها نسبه ، فسفر بينهما مشايخ الحى حتى يعطيه ، فأبى شبيب أن يعطيه شيئاً وحلف أبو نخيلة ألاَّ يكف عن عرضه أو يأخذ منه شيئاً يستعين به ، فلما رأى شبيب ذلك خافه فبعث اليه بما سأل ، وغدا أبو نخيلة عليه وهو جالس فى مجلسه مع قومه فوقف عليهم ثم أنشأ يقول

اذا غدت سعد على شبيبها   على فتاها وعلى خطيبها
من مطلع الشمس الى مغيبها   عجبت من كثرتها وطيبها

دخل أبو نخيلة على عمر بن هُبَيْرة وعنده رؤبة قد قام من مجلسه فاضطجع خلف ستر فأنشد أبو نخيلة مديحه له ، ثم قال ابن هبيرة يا أبا نخيلة أي شيء أحدثت بعدنا ؟ فاندفع ينشد أرجوزة لرؤبة ، فلما توسطها كشف رؤبة الستر وأخرج رأسه من تحته فقال له كيف أنت يا أبا نخيلة ؟ ألم نهك ألا تعرض لشعرى اذا كنت حاضراً فاذا ماغبت فشأنك به ؟ فضحك أبو نخيلة وقال هل أنا الا حسنة من حسناتك وتابع لك وحامل عنك ؟ فعاد رؤبة الى موضعه فاضجطع ولم يراجعه حرفا

اعتل أبو نخيلة وهو عند القعقاع بن ضرار فقال له أصبحت والله بَشِما أمرت خبازك فأتانى بهذا الرقاق الذى هو كالثياب المبلولة قد غمسه فى الشحم غمساً وأتبعه بزُبْد كرأس النعجة الخرَسية وتمر كأنه عنز رابضة اذا أخذت التمرة من موضعها تبعها من الرُّبّ كالسلوك الممدودة ، فأمعنت فى ذلك وأعجبني حتى بَشِمت فهل من أقداح جياد ؟ وبين يدى القعقاع حجام واقف وصفرة موضوعة فيها المواسى ، فاذا أتى بشرَّاب النبيذ حلق رءوسهم ولحاهم ، فقال له القعقاع أتطلب مني النبيذ وأنت ترى ما أصنع بشرابه ؟ عليك بالعسل والماء البارد ، فوثب ثم قال

قد علم المظَلّ والمبيت   أنى من القعقاع فيما شيت
اذا أتت مائدة أتيت   ببدع ليست بها غُذيت
وليت فاستشفعت واستُعديت   كأنني كنت الذى وليت

ولو تمنيت الذى أُعطيت ما ازددت شيئاً فوق ما لقِيت

أيا ابن بيت دونه البيوت أقصر فقد فوق القِرى قُرِيت

ما عن شرابي عسل منعوت ولا فُرات صَرِد بيُّوت

لكنني فى القوم قد أُريت رطل نبيذ مُخْفِس (١) سُقيت

صلباً اذا جاوزته رَوِيت

فغمزه على ابن أخيه وأومأ الى اسمعيل فأخذ بيده ومضى الى منزله فسقاه حتى صلح

دخل أبو نخيلة على السفاح وعنده أبو صَفْوان اسحق بن مسلم العقيلى فأنشده قوله

صادتك يوم الرملتين شعْفَر وقد يصيد القانصُ المزعفر

يا صورة حسنها المصور للرِّيم منها جيدُها والمحجرِ

يقول فيها فى مدح أبى العباس

حتى اذا ما الأوصياء عسكروا وقام من تبْز النبي الجوهر

ومن بني العباس نبْعٌ أصفر يَنْميه فرع طيب وعُنْصُر

أقبل بالناس الهوى المشهر وصاح فى الليل نهار أنور

أنا الذى لو قيل أنى أشعر جَلَّى الضَّبابَ الرجز المحبر

لما مضت لي أشهر وأشهر قلت لنفس تزدهى فتصبر

لا يستخفنَّك ركب يَصْدُر لا منجد يمضى ولا مُغَوِّر

وخالق الأنباء فهى المحشر أو يسمع الخليفة المطهر

منى فانى كل جنح أَحْضُر وان بالأنبار غيثاً يهمر

والغيث يرجى والديار تَنْضَر ما كان الا أن أتاها العسكر

حتى زهاها مسجد ومنبر لم يبق من مرْوان عين تنظر

(١) سريع الاسكار

لا غائب ولا أناس حضَّر ... هيهات أودى النَّعم المعقَّر
وأمست الأنْبار دارا تعمر ... وخربت من الشآم أدْوُر

ومنها

وأين مَرْوان وأين الأشقر ... وأين فَلّ لم يفت محبر
وأين عاديُكمُ المجمهر ... وعامر وعامر وأعْصُر

يعنى عامر بن صعصعة وعامر بن ربيعة وأعْصُر باهلة وغنى

ولما أراد المنصور أن يصرف ولاية العهد عن عيسى بن موسى الى ابنه محمد المهدى قال أبو نخيلة

لم يُنْسِنى يا ابنة آل معْبَد ... ذكراك تكرار الليالى العُوَّد
ولا ذوات العَصَب المورد ... ولو طَلَبْنَ الود بالتودد
ورُحْنَ فى الدُّر وفى الزَّبَرْجَد ... هيهات منهن وان لم نعهد
نجدية ذات معان منجد ... كأن ريّاها بُعَيْد المرقـــد
ريَّا الخُزَامَى فى ثرًى جعندد ... كيف التصابى فعل من لم يهتدى
وقد علتنى ذُرْأة[1] بادِى بَدِى ... ورَثْية تنهض فى تشـــدد
بعد انتهاضى فى الشباب الأمْلَد

يقول فيها

الى أمير المؤمنين فاعمدى ... الى الذى يَنْدَى ولايندى نَدِ
سيرى الى بحر البحار المُزْبد ... الى الذى ان نفِدت لا ينْفَد
اذ أثمدت شراعها[2] لم يُثْمد

---

(١) ذرىء رأسه يذرأ اذا علته ذرأة أي شيب والذرأة بالضم الشمط وبادى بدى أى أول كل شيء والرثية انحلال الركب والمفاصل

(٢) الشراع المواضع التى ينحدر الماء منها وأثمد قل

ويقول فى ذكر البيعة لمحمد

ليس وليّ عهدنا بالأسعد ... عيسى فزحلقها الى محمد
من عند عيسى معهداً عن معهد ... حتى تؤدى من يد الى يد
فقد رضينا بالغلام الأمرد ... وقد فرغنا غير أن لم تُشهد
وغير أن العقد لم يؤكد ... فلو سمعنا قولك امدد امدد
كانت لنا كدعكة الورد الصّدى ... فناد للبيعة جمعاً نَحْشُد
فى يومنا الحاضر هذا أو غد ... واصنع كما شئت ورد يردد
وردّه منك رداء يرتد ... فهو رداء السابق المقلَّد
وكان يُرْوَى أنها كأنْ قدِ ... عادت ولو قد نقلت لم تردد
أقول فى كرى أحاديث الغد ... لله دَرّى من أخ ومنشد
لو نلت حظ الحبشى الأسود(١)

قال المدائنى ان أبا نخيلة أظهر هذه القصيدة التى رواها الخدم والخاصة وتناشدتها العامة ، فبلغت المنصور فدعا به وعيسى بن موسى عنده جالساً عن يمينه فأنشده إياها وأنصت له حتى سمعها الى آخرها ، قال أبو نخيلة فجعلت أرى فيه السرور ، ثم قال لعيسى بن موسى لئن كان عن رأيك لقد سررت عمك وبلغت من مرضاته أقصى ما يبلغه الولد البار السار ، فقال عيسى لقد ضللت إذاً وما أنا من المهتدين ، قال أبو نخيلة فلما خرجت لحقنى عقال بن شبّة فقال أما أنت فقد سررت أمير المؤمنين ولئن تمّ الأمر فلعمرى لتصيبنّ خيراً ولئن لم يتم فابتغ نفقاً فى الأرض أو سلماً فى السماء ، فقلت له « علقت معالقها وصرّ الجندُب »

قال بعض موالى المنصور لما أراد المنصور أن يعقد للمهدى أحب أن تقول الشعراء فى ذلك وكان أبو نخيلة قدم على أبى جعفر فأقام ببابه شهراً لا يصل اليه ،

(١) يريد اباد لامه

فقال له عبد الله بن الربيع الحارثى يا أبا نخيلة ان أمير المؤمنين يريد أن يقدم المهدى بين يدى عيسى بن موسى فلو قلت شيئاً تحثه على ما يريد ، فقال

ما ذا على شحط النوى غشاكا   أم ما جرى دمعك من ذكراكا

وقد تبكيت فما أبكاكا

وذكر أرجوزة طويلة يقول فيها

خليفة الله وأنت ذاكا   أسند الى محمد عصاكا

فأحفظ الناس لها أدناكا   وابنك ما استكفيته كفاكا

وكلنا منتظر لذاكا   لوقلت هاتوا قلت ها كا هاكا

فأنشده إياها ، فوصله بألفى درهم وقال له احذر عيسى بن موسى فانى أخاف عليك أن يغتالك ، قال المدائنى وخلع أبو جعفر عيسى بن موسى ، فبعث عيسى فى طلب أبى نخيلة فهرب منه وخرج يريد خراسان ، فبلغ عيسى خبره فجرد خلفه مولى له يقال قطرى معه عدة من مواليه وقال له نفسك أن يفوتك أبو نخيلة ، فخرج في طلبه مُغِذًّا للسير فلحقه فى طريقه الى خراسان ، فقتله وسلخ وجهه وألقى جسمه الى النسور وأقسم لا يريم مكانه حتى تمزق السباع والطيور لحمه ، فأقام حتى لم يبق الا عظامه ، ثم انصرف

قال الأصمعى قلت لأبى الأبرش مات أبو نخيلة ، قال حتف أنفه ؟ قلت لا بل اغتيل فقتل ، فقال الحمد لله الذى قطع قلبه وقبض روحه وسفك دمه وأراحنى منه وأحيانى بعده ، وكان أبو نخيلة يهاجى الأبرش فغلبه أبو نخيلة

حارثة بن بدر

هو حارثة بن بدر بن حصين الغُدانى من غدانة بن يربوع ، من فرسان بنى تميم ووجوهها وساداتها وأحسب أنه قد أدرك النبي صلى الله عليه وسلم فى حال صباه

وحداثته وليس بمعدود في فحول الشعراء ولكنه كان يعارض نظراءه الشعر وله من ذلك أشياء كثيرة ليست مما يلحقه بالمتقدمين فى الشعر والمتصرفين فى فنونه

كان زياد بن أبي سفيان مكرما لحارثة قابلا لرأيه محتملا لما يعلمه من تناوله الشراب فلما ولي عبيد الله بن زياد أخر حارثة بعض التأخير فعاتبه على ذلك ، فقال له عبيد الله انك تتناول الشراب ، فقال له قد كان أبوك يعلم هذا مني ويقربني ويكرمني ، فقال له ان أبي كان لا يخاف من القالة فى تقريبك ما أخاف وان اللسان الى فيك لأسرع منه الى أبي فقال حارثة

وكم من أمير قد تجبر بعد ما ... مريت له الدنيا بسيفى فدرّت
اذا ما هى احلوْلت نفى حق مقسمى ... ويقسم لي منها اذا ما أمرّت
اذا زبنته عن فُواق (١) يريده ... دعيت ولا أُدعى اذا ما أقرّت

وقال وقد شاوره عبيد الله فى أمر

اهان وأُقصى ثم ينتصحوننى ... ومن ذا الذى يعطى نصيحته قسرا
رأيت أكفّ المصلتين عليكمُ ... ملاء وكفى من عطاياكمُ صفرا
متى تسألونى ما عليّ وتمنعوا الـ ... ـذى لي لا أسطع على ذلكم صبرا
رأيتكمُ تعطون من ترهبونه ... زرابيّة قد وشحت خلعاً صفرا
وانى مع الساعى اليكم بسلعة ... اذا عظمكم يوماً رأيت به كسرا

وقال وقد أحرقت داره بالبصرة أحرقها بعض أعدائه

رأيت المنايا بادئات وعوّدا ... الى دارنا سهلا اليها طريقها
لها سعة كانت تقينا فروعها ... فقد تلفت الا قليلا عروقها

وقال حارثة فى أنس بن زنيم الليثى

تبدلت من أنس انه ... كذوب المودة خوّانها

(١) الفواق ما بين فتح يد الحالب وقبضها على الضرع وزبنته دفعته

أراه بصيراً بضر الخليل وشر الأخلاء عُوارنها

فأجابه أنس فقال

وان الخيانة شر الخليل والكفر عندك ديوانها
بَصُرت به فى قديم الزمان كما يُبْصَر العين انسانها

فأجابه حارثة فقال

ألِكْني الى أنس انه عظيم الحواشة عندى مهيب
فما أبتغى عثرات الخليل ولا أبتغى عليه الوثوب

فقال أنس

وما ان أرى ماله مغنما من الدهر ان أعوزتنى الكُسوب
أحارِ بن بدر وأنت امرؤ لعمرى المتاع الىّ الحبيب
متى كان مالك لى مغنما من الدهر ان أعوزتنى الكسوب
وشر الأخلاء عند البلاء وعند الرزية خل كذوب

فتهاديا الشعر زمناً عند عبيد الله بن زياد ووقع بينهما شر حتى قدم مسلم بن زياد عاملا على خُراسانَ وسِجِسْتان فعرض على انس صحبته وجعل له أن يستعمله على كورة فاستمهله وكتب أنس الى عبيدالله

ألم ترنى خُيِّرت والامر واقع فما كنت لما قلت بالمتخيِّر
رضاك على شئ سواه ولم يكن اذا اختار ذا حزم من الامر يظفر
قعدت لترضى عن جهاد وصاحب شفيق قديم الود كان مُؤَمَّرى
على أحد الثغرين ثم تركته وقد كنت فى تأميره غير مُمتر
فأمسكتُ عن سَلْم عِنانى وصحبتى ليعرف وجه العذر قبل التعذر
فان كنت لمَّا تدر ماهى شيمتى فسل بىَ أكفائى وسل بى معشرى

ألست مع الاحسان والجود ذا غنى ... وبأس اذا ما كفروا فى التسعر
ورائى وقد أعصي الهوى خشية الردى ... وأعرف غِبَّ الأمر قبل التدبر
وما كنت لولا ذاك ترتد بغيتى ... عليَّ ارتداد المظـــلم المتحير

فرد عليه حارثة بأمر عبيد الله

ألِكْنى الى من قال هذا وقل له ... كذبت فما ان انت بالمتخير
وانك لو صاحبت سَلْما وجدته ... كعهدك عهد السوء لم يتغير
أتنصح لي يوماً ولست بناصح ... لنفسك فاغْشُشْ ما بدا لك أو ذر
كذبت ولكن أنت رهن بخزية ... ويوم كأيام عبوس مذكر
كأشقر أضحى بين رمحين ان مضى ... على الرمح يُنْحَرَ أو تأخر يُعْقَرَ

وأعجبت عبيد الله وقال لعمرى لقد أجبته على ارادتى وأمسكها عبيد الله في يده فلما دخل عليه أنس دفعهـا اليه فنظر فيها ثم قال لعبيد الله لقد رد على من لا أستطيع جوابه وظن أن عبيد الله قالهـا ، وخرج أنس والصحيفة في يده فلقيه عبد الرحمن بن رألان فدفعهـا اليه أنس فلما قرأها قال هذا شعر حارثة بن بدر أعرفه ، فقال له أنس صدقت والله ثم قال لحارثة

عجبت لهوج من زمان مضلل ... رأى لألباب الرجال مغير
ومن عقبة عزجا غُول تلبست ... على الناس جلد الأربد المتنمر
فلا يعرف المعروف فيه لأهله ... وان قيل فيه منكر لم ينكر
لحارثة المهدى الخنا لي ظالما ... ولم أر مثلى مُدَّر صيد مُدَّر
لحارثة بن بدر قد أتتني مقالة ... فما بال نُكْر منك من غير منكر
أيروى عليك الناس مالا تقوله ... فتعذر أم أنت امرؤ غير معذر
فان يك حقاً مايقال فلا يكن ... دبيباً وجاهرنى فما من تستر
أقلذك ان كنت امرأ صان عرضه ... قوافى من باقى الكلام المشهر

وقد كنت قبل اليوم جربت أنني ... أشق على ذى الشعر والمتشعر
وان لساني بالقصائد ماهر ... تَعِنّ له عُنّ القوافي وتسبرى
أصادفها حيناً يسيراً وأبتغى ... لها مرة شزْراً اذا لم تيسر
تناولني بالشتم فى غير كنهه ... فمهلاً أبا الخيماء وابن المعذَّر
هجرت وقد ساماك فى الشرخطة الـــذليل ولم يفعل كأفعال منكر

وقال له أيضاً

سل أميرى ما الذى غيره ... عن وصالي اليوم حتى ودعه
لا تُهِنِّى بعد اكرامك لى ... فشديد عادة منتزعة
لا يكن وعدك برقاً خُلَّبا ... ان خير البرق ماالغيث معه

قال حارثة لعبيد الله بن زياد بن ظَبيان وكانا فى عرس هل لك فى شراب ؟ فقال نعم ، فأتيا بنبيذ من زبيب وعسل فأخذ ابن ظَبيان العُسَّ فكرع حتى كاد يأتى عليه ثم ناوله حارثة ، فقال له حارثة انك لطَبٌّ بحسوها ، فقال أجل والله انى لأشربها حلالا وأجاهر بها اذ أخفى غيرى شرب الحرام ، فقال له حارثة من غيرك هذا ؟ قال سائلى عن هذا الامر ، فقال حارثة

اذا كنت نَدْمانى تخذها واسقنى ... ودع عنك من راءك يكرع فى الخمر
فانى امرؤ لا أشرب الخمر فى الدُّجى ... ولكنني أحسو النبيذ من التمر
حيــاً وتُقَى لله والله عالم ... بكل الذى نأتيه فى السر والجهر
ومثلك قد جربته وخبرته ... أبا مطر والحَيْن أسبابه تجرى
حساها كمستدمى الغزال عتيقةً ... اذا شعشعت بالماء طيبة النشر
أقام عليها دهره كل ليلة ... يشافهها حتى يرى وَضَح الفجر
فأصبح ميتاً ميتة الكلب ضُحْكة ... لاصحابه حتى يُدَهْدَه فى القبر
فما ان بكاه غير دَنّ ومِزْهَر ... وغانية كالبدر واضحة الثغر

وباطية كانت له خدن زنية يعاهرها والليل معتكر الستر

عاتب الأحنف حارثة بن بدر على معاقرة الشراب وقال له قد فضحت نفسك وأسقطت قدرك وأوجه عتاباً ، فقال له انى سأعتبك ، فانصرف الأحنف طامعاً فى صلاحه ، فلما أمسى راح اليه فقال له اسمع يا أبا بحر ما قلت لك ، فقال هات ، فأنشده

يذم أبو بحر أموراً يريدها ويكرهها للأريحى المسوّد
فان كنت عيّاباً فقل ما تريده ودع عنك شربى لست فيه بأوحد
سأشربها صهباء كالمسك ريحها وأشربها فى كل نادٍ ومشهد
فنفسك فانصح يا ابن قيس وخلّني ورأيى فما رأيى برأى مفنّد
وقائلة يا حار هل أنت ممسك عليك من التبذير؟ قلت لها اقصدى
ولا تأمرينى بالسداد فانني رأيت الكثير المال غير مخلد
ولا عيب لي الا اصطباحى قهوة متى يمزجها الماء فى الكأس تزبد
معتقة صهباء كالمسك ريحها اذا هى فاحت أذهبت غلّة الصدى
ألا انما الرشد المبين طريقه خلاف الذي قد قلت اذ أنت مرشدى
سأشربها ما حج لله راكب مجاهرة وحدى ومع كل مسعد
وأسعد ندمانى وأتبع شهوتى وأبذل عفواً كل ما ملكت يدى
كذا العيش لا عيش ابن قيس وصحبه من الشرب للماء القراح المصرّد

فقال له الأحنف حسبك انى أراك غير مقلع عن غيك ولن أعاتبك بعدها أبداً ثم كان بعد ذلك بين الأحنف وحارثة كلام وخصومة فافترقا عن مجلسهما متخاصمين فبلغ حارثة أن الأحنف قال والله لولا ما يعلم لقلت فيه ما هو أهله ، فقال حارثة وهل يقدر على أن يذمني بأكثر من الشراب وحبي له ؛ وذلك أمر لست أعتذر منه الى أحد ، ثم قال فى ذلك

وكم لائم لي فى الشراب زجرته فقلت له دعني وما أنا شارب
فلست عن الصهباء ماعشتُ مقْصِراً وان لامني فيها اللئام الأشائب (١)
أأترك لذاتي وآتي هواكمُ ألا ليس مثلي يا ابن قيس يخالبُ
أنا الليث معـدواً عليه وعادياً إذا سلَّت البيض الرِّقاق القواضب
فأنت حليم تزجر الناس عن هوى نفوسهمُ جهلاً وحلمك عازب
فحلمك صنْهُ لا تُذِله وخلّني وشأني واركب كل ماأنت راكب
فاني امرؤ عودت نفسى عادة وكل امرئ لاشك ما اعتاد طالب
أجود بمـالى ما حَيِيت سماحة وأنت بخيل يجتويك المصاحب
فما أنت أو ما غيٌّ من كان غاويا اذا أنت لم تُسْدَد عليك المذاهب

قال زياد يوماً لحارثة من أخطب النـاس أنا أو أنت ؟ فقال الأمير أخطب مني اذا توعد ووعد وأعطى ومنع وبَرَق ورَعَدَ وأنا أخطب منـه فى الوفادة وفى الثناء والتحبير وأنا أكذِب اذا خطبت فأحْشُو كلامى بزيادة مليحة شهيَّة والأمير يقصِد الى الحق وميزان العدل ولا يزيد فيه شعيرة ولا ينقص منه، فقال له زياد قاتلك الله فلقد أجدت تخليص صفتك وصفتى من حيث أعطيت نفسك الخطابة كلهـا وأرضيتنى وتخلصت

شرب زياد ليلة الى الصبح فأكثر وصرَف ومزجوا ، فلما أن غدا على زياد كان وجهه شديد الحمرة ففطن له زياد فقال مالك ياحارثة ، قال أكلت البارحة رماناً فأكثرت ، قال قد عرفت مع من أكلته ولكنهم قشروه وأكلته بقشره فأصارك الى ما ترى

وقال يرثى زياداً

ان الرزية فى قـبر بمنزلة تجرى عليها بظهر الكوفة المور

---

(١) جمع أشابة بالضم وهم أخلاط الناس

أدت اليه قريش نعش سيدها ... فيه النَّدى والحِجا والحزم مقبور

أبا المغيرة والدنيا مغيرة ... وان من غُرَّ بالدنيا لمغرور

قد كان عندك للمعروف منزلة ... وكان عندك للنَّكراء تنكير

وكنت تؤتى فتعطي الخير عن سَعَة ... فاليوم بابك دون الهجر مهجور

ولا تلين اذا عوسرت مقتسراً ... وكل أمرك ما يوسرت ميسور

وكان الذي أتاه بنَعِيه مسعود بن عمرو الأزدي فقال حارثة

لقد جاء مسعود أخو الأزد غدوة ... بداهية غراء بادٍ حجولها

من الشر ظل الناس فيها كأنهم ... وقد جاء بالأخبار من لا يحيلها

دخل حارثة على عبيد الله بن زياد وعنده سعد بن رابية اليربوعي وكان شريراً يضحك ابن زياد ويلهيه فقال لحارثة أينع الكرم، قال نعم واستودع ماءه الأصيص فمه؟ قال اني لم أرد بأساً، قال أجل ولست من أهل البأس ولكن هل لك علم بالأتان اذا اعتاص رحمها كيف يسطى عليها أ كما يسطى على الفرس أم كيف؟ قال واحدة بواحدة والبادي أظلم سألتني عما لا علم لي به وسألتك عما تعلم، قال أنت بما سألتك عنه أعلم مني بما سألتني عنه ولكن من شاء جهل نفسه وأنكر ما يعرف وقال يهجو سعداً

لا ترج مني يا ابن سعد هوادة ... ولا صحبة ما أرزمت أم حائل

أعند الأمير ابن الأمير تعيبني ... وأنت ابن عمرو مضحك في القبائل

ولو غيرنا ياسعد رمت حريمه ... بمَخْسَف لقد غودرت لحماً لآكل

فشالت بك العنقاء أو صرت لحمة ... لأغبس عوَّاء العشيات عامل

وكان حارثة يوم فتنة مسعود على خيل حنظلة بازاء بكر بن وائل وكان عَبْس بن طَلْق الصَّريمي على الخيل بحيال الأزد معه سعد والرباب والاساورة فقال حارثة

سيكفيك عبس أخو كَهْمَس ... مقارعة الأزد بالمِرْبد

ويكفيك عمرو وأشياعها لُكَيْزَ بن أفصى وما عددوا
وأكفيك بكراً اذا أقبلت بطعن يشيب له الأمرد

فلما اصطف الناس أرسل مالك بن مسمع الى ضرار بن القعقاع يسأله الصلح على أن يعطيه ما أحب ، فقال حارثة انه والله ما أرسل اليك نظراً لك ولا ابقاء عليك ولكنه أراد أن يغرى بينك وبين سعد ، فمضى ضرار الى راية الأحنف فحملها وحمل على مالك فهزمه وفقئت عينه يومئذ

قال الأصمعي كان حارثة يجالس مالك بن مسمع فاذا جاء وقت يشرب فيه قام ، فأراد مالك أن يعلم من حضره انه قام ليشرب فقال له الى أين تمضي يا أبا العنبس ؟ قال أمضى فأفقأ عين عباد بن الحصين لآخذ لك بثارك

عرض لحارثة رجل من الخلج فى أمر كرهه عند زياد فقال فيه

لقد عجبت وكم للدهر من عجب ممـا تزيَّد فى أنسابها الخُلُجُ
كانوا خساً(١) أوزكاً من دون أربعة لم يخلفوا وحدود الناس تنبلج

ومن قوله

وكان لنـا نَبْعٌ تقينا عروقه فقد بلغت الا قليلا حلوقها
وشيب رأسي واستخف حلومنا رعود المنـايا فوقنا وبروقها
وانا لتستحلى المنايا نفوسنا وتترك أخرى مرة ما نذوقها
رأيت المنايا بادئات وعوَّدا الى دارنا سهلا اليها طريقها
لقد قسمت نفسى فريقين منهما فريق مع الموتى وعندى فريقها

قال أبو اليقظان حول زياد دعوة حارثة بن بدر وديوانه فى قريش لمكانه منه ، فقال رجل من كليب يهجوه بذلك

شهدت بأن حارثة بن بدر غُدانيّ اللَّهازم والكلام

(١) الخسا الفرد والزكا الزوج

سجاح فى كتاب الله أدنى   له من نوفل وبنى هشام

يعني سَجاح التى ادعت النبوة وهى امرأة من بنى تميم

أجرى الوليد بن عبد الملك الخيل وعنده حارثة وهو حينئذ فى ألف وستمائة من العطاء فسبق الوليد ، فقال حارثة هذه فُرْصة فقام فهنأه ودعا له ثم قال

الى الألفين مُطَّلع قريب   زيادة أربع لي قد بقينا

فان أهلك فهن لكم والا   فهن من المتاع لكم سنينا

فقال الوليد فتشاطرنى ذلك لك مئتان ولي مئتان ، فصير عطاءه ألفاً وثمانى مائة ، ثم أجرى الوليد الخيل فسبق أيضاً ، فقال حارثة هذه فرصة فقام فهنأه ودعا له ثم قال

وما احتجب الألفان الا بهين   هما الآن أدنى منهما قبل ذلكا

فجد بهما تفديك نفسى فاننى   معلق آمالي ببعض حبالكا

فأمر الوليد له بالمئتين ، فانصرف وعطاؤه ألفان

استعمل عبيدالله بن زياد حارثة على نَيسابور فغاب عنه أشهراً ثم قَدِم فدخل عليه ، فقال ما جاء بك ولم أُكتب اليك ؟ قال استنظفت خراجك وجئت به وليس لي عمل فما مقامى ؟ قال أو بذلك أُمرت ؟ ارجع فاردد عليهم الخراج وخذه منهم نجوماً حتى تنقضى السنة وقد فرغت من ذلك فانه أرفق بالرعية وبك ، واحذر أن تحملهم على بيع غلاتهم ومواشيهم ولا التعنيف عليهم ، فرجع فرد الخراج عليهم وأقام يستخرجه منهم نجوماً حتى مضت السنة

قال الأحنف ما غبت عن أمر قط فحضر حارثة بن بدر الا وثقت باحكامه وجودة عقده له « وكان حارثة من الدُّهاة »

كان حارثة يصيب من الشراب وكان حظيا عند زياد فعوتب زياد على رأيه فيه فقال أتلوموننى على حارثة ؟ فوالله ما تفل فى مجلسى قط ، ولا حك ركابه ركابى ،

ولا سار معي في علاوة الريح فغبر عليّ ، ولا دعوته قط فاحتجت الى تجشم الالتفات اليه حتى يوازيني ، ولا شاورته في شيء الا نصحني ، ولا سألته عن شيء من أمر العرب وأخبارها الا وجدته به بصيرا

قال المغيرة بن المنتشر أنا عند عبيد الله بن زياد وعنده الأحنف بن قيس وحارثة بن بدر ، وكان حارثة يتهم بالشراب ، فقال له عبيد الله أى الشراب أطيب؟ قال برة طيسارية بأقطة عَنْزية بسَمْنة عربية بسكرة سوسية ، فتبسم عبيد الله ، ثم قال للأحنف يا أبا بحر أى الشراب أطيب ؟ قال الخمر ، فقال له عبيد الله وما يدريك ولست من أهلها ؟ قال رأيت من يستحلها لا يعدوها الى غيرها ومن يحرمها يتأول فيها حتى يشربها ، فضحك عبيد الله ،

كان حارثة بكوارا من أردشير خُرّة فقال

ألم تر أن حارثة بن بدر　　أقام بدير أبلق من كوارا

ثم قال لجند كانوا معه من أجاز هذا البيت فله حكمه ، فقال له رجل منهم أنا أجيزه على أن تجعل لي الأمان من غضبك وتجعلني رسولك الى البصرة وتطلب لي القفَل من الأمير ، قال ذلك لك ، ثم رد عليه نشيد البيت فقال الرجل

مقيما يشرب الصهباء صرْفا　　اذا ما قلت تصرعه استدارا

فقال له حارثة لك شرطك ولو كنت قلت لنا شيئاً يسرنا لسررناك

قدم الأبيرد الرياحي على حارثة فقال له اكسني ثوبين أدخل بهما على الأمير ، فكساه ثوبين لم يرضهما ، فقال فيه

أحارث أمسك فضل بُرْديك انما　　أجاع وأعرى الله من كنت كاسيا

وكنت اذا استمطرت منك سحابة　　لتمطرني عادت عَجاجا وسافيا

أحارث عاود شربك الخمر انني　　رأيت زياداً عنك أصبح لاهيا

فبلغت زيادا و بلغت حارثة فقال قبحه الله لقد شهد بما لا يعلم ولم أدع جوابه الا لما يعلم

قال القحدمي كان حارثة بن بدر فصيحاً بليغاً عارفاً بأخبار الناس وأيامهم حلواً شاعراً ذا فكاهة فكان زياد يأنس به طول حياته ، فلما مات وولي ابنه عبيد الله كان يجفوه ، فدخل اليه في جمهور الناس فجلس متوارياً منه حتى خف الناس ، ثم قام فأذكره بحقوقه على زياد وأنسه به ، فقال له ما أعرفني به غير أن أبي كان قد عرفه الناس وعرفوا سيرته فلم يكن يلصق به أهل الريبة مثل ما يلحقني مع الشباب وقرب العهد بالامارة ، فاما إن قلت ما قلت فاختر مجالستي ان شئت ليلاً وإن شئت نهاراً ، فقال الليل أحب اليَّ ، فكان يدعوه ليلاً فيسامره ، فلما عرفه استحلاه فغلب عليه ليله ونهاره حتى كان يغيب فيبعث من يحضره ، فجاءه ليلة وبوجهه آثار فقال ما هذا يا حار؟ قال ركبت فرسي الأشقر فلجج بي مضيقا فسحجني ، قال لكنك لو ركبت أحد الأشهبين لم يصبك شيء من هذا « يعني اللبن والماء »

خرج حارثة الى سلم بن زياد بخراسان فأوصى رجلاً من غُدانة أن يتعاهد امرأته الشماء ويقوم بأمرها ، فكان الغداني يأتيها فيتحدث عندها ويطيل حتى أحبها وصبا بها فكتب الى حارثة يخبره أنها فسدت عليه وتغيرت ويشير عليه بفراقها ويقول انها قد فضحتك من تلعب الرجال بها ، فكتب اليها بطلاقها وكتب في آخر كتابه

ألا آذنا شمّاء بالبين انه أبي أَوَد الشماء أن يتقوما

فلما طلقها وقضت عدتها خطبها الغداني فتزوجها « وكان حارثة شديد الحب لها » وبلغه ذلك وما صنعت فقال

لعمرك ما فارقت شماء عن قِلَى ولكن أطلت النأى عنها فملَّت
مقيما بمَرْو الرُّوذ لا أنا قافل إليها ولا تدنو اذا هى حلت

تزوج حارثة ميسة بنت جابر وكانت تذكر بجمال وعقل ولسان ، فلما هلك حارثة تزوجها بشر بن شعاف بعده فلم تحمده فقالت ترثى حارثة

بدلت بشراً شقاء أو معاقبة　　من فارس كان قدما غير عوار
ياليتني قبل بشر كان عاجلني　　داع من الله او داع من النار

وقالت أيضاً فيه

ما خار لي ذو العرش لما استخرته　　وعذبني أن صرت لابن شعاف
فما كان لي بعلا وما كان مثله　　يكون حليفاً أو ينال الافى
فيارب قد أوقعتنى ببلية　　فكن لي حصناً منه رب وكاف
ونج إلهي ربقتي من يد امرئ　　شتيم محياه لكل مصاف
هو السوءة السوآء لا خير عنده　　لطالب خير غير حذ قواف
يرى أكلة إن نلتها قلع ضرسه　　وما تلك زُلفى يال عبد مناف
وان حادثٌ عضَّ الشعاف لم يكن　　صليباً ولا ذا تُدْرأ وقذاف

مرَّ سليمان بن عمرو بن مرثد بحارثة بن بدر وهو بفارس يريد خُراسان فأنزله وقراه وقرى أصحابه وحملهم وإياه ، فلما ركبوا للمسير قال سليمان

قريت فأحسنت القرى وسقيتنا　　معتقة صهباء كالعنبر الرطب
وواسيتنا فيما ملكت تبرعاً　　وكنت ابن بدر نعم ذو منزل الركب
وأنت لعمرى فى تميم عمادها　　اذا ما تداعت للعلا موضع القطب
وفارسها فى كل يوم كريهة　　وملجؤها ان حل خطْب من الخطب
وعندكمُ نال الغنى من أراده　　اذا ما خطرتم كالضراغمة الغُلْب
يرى الحلق الماذىّ فوق حُماتهم　　اذا الحرب شبت بالمهندة القُضْب
وعند الرخا والأمن غيث ورحمة　　لمن يعتريهم خائفاً صولة الحرب
وجدتهمُ جوداً صباحاً وجوههم　　كراماً على العلات فى فادح الخطْب
كأن دنانيراً على قسماتهم　　اذا جئتهم قد خفت نكباً من النكب

فقال حارثة يجيبه

وأسْحَم ملآن جررت لفتية كرام أبوهم خير بكر بن وائل
وأطولهم كفاً وأصدقهم حياً وأكرمهم عند اختلاف المناصل
من المرْثديين الذين اذا انتدَوْا رأيت نَدِيًا جده غير خامل
فعالهم زين لهم ووجوههم يزين الذي يأتونه فى المحافل
فسقيا ورعيا لابن عمرو بن مرْثد سليمان ذى المجد التَّليد الحُلاحل
فتى لم يزل يسمو الى كل نجدة فيدرك ما أعيت يد المتناول
فحسبك بى علماً به وبفضله اذا ذكر الأقوام أهل الفضائل

دخل أنس بن زنيم على عبيد الله بن زياد وعنده حارثة بن بدر ، فلما خرج أنس قال عبيد الله لحارثة أى رجل هو أنس عندك ؟ قال هو عندى أصلح الله الأمير كما قلت فيه

يبيت بطيناً من لحوم صديقه خميصاً من التقوى ومن طلب الحمد
ينام اذا ما الليل جَنَّ ظلامه ليسرى الى حاجاته نومة الفهد
يراعى عذارَى قومه كلما دجا له الليل والسوءات كالأسد الوَرْد
جريئا على أكل الحرام وفعله جبانا عن الأقران معترم الكَرْد

فلما كان من الغد دخل أنس على عبيد الله فقال له عبيد الله بحضرة حارثة إنى سألت هذا عنك فأخبرنى بما كرهته لك ولم أكن اخالك كما نعتّ لي ، فقال أصلح الله الأمير ان يكن قال خيراً فأنا أهله ، وان قال غير ذلك فلم يَعْدُ ما هو أولى به ، أما والله لو كان أصلح الله الامير حقاً لحفظت غيبتي فلقد أوليته حسن الثناء بما ليس أهله والله يعلم أنى كنت كاذباً وما اخال ما قاله فيَّ الا عقوبة فان عقوبة الكذب حاضرة وثمرة الكذب الندامة فقد لعمرى أجنيتها بكذبى وقولي فيه ما ليس فيه وهو عندى كما أقول أصلح الله الأمير

يحلى لي الطرف ابن بدر وانني — لأعرف في وجه ابن بدر لي البغضا
وأني شجى في حلقه ما يسيغه — فما ان يزال الدهر يجرض بي جرضا
وما لي من ذنب اليه علمته — سوى أن رآني في عشيرته محضا
وان ابن بدر في تميم مكركس (١) — اذا سيم خسفا أو مشنعة أغضى
تعيب الرجال الصالحين وفعلهم — وتبذل بخلا دون ما نلته العرضا
وترضي بما لا يرتضى الحر مثله — وذو الحلم بالتخسيس والذل لا يرضى

وقال أيضاً فيه

أحار ابن بدر باكر الراح انها — تنسيك ما قدمت في سالف الدهر
تنسيك أسباباً عظاماً ركبتها — وأنت على عمياء في سنن تجرى
أتذكر ما أسديت واخترت فعله — وجئت من المكروه والشر والنكر
اذا قلت مهلا نلت عرضي فما الذي — تعيب على مثلي هبلت أبا عمرو
أليس عظيما أن تكايد حرة — مهفهفة الكشحين طيبة النشر
فان كنت قد أزمعت بشرك بالذي — عرفت به اذ أنت تجزي ولا تدرى
فدع عنك شرب الخمر وارجع الى التي — بها يرتضى أهل النباهة والذكر
عليك نبيذ التمر ان كنت شاربا — فان نبيذ التمر خير من الخمر
ألا ان شرب الخمر يزري بذي الحجا — ويذهب بالمال التلاد وبالوفر
فصبراً عن الصهباء واعلم بأنني — نصيح واني قد كبرت عن الزجر
وانك ان كفكفتني عن نصيحة — تركتك يا حار بن بدر الى الحشر
أأبذل نصحى ثم تعصي نصيحتى — وتهجرني عنها هبلت أبا بدر

لما ولى حارثة سرق خرج معه المشيعون من البصرة وفيهم أبو الاسود الدؤلي، فلما انصرف المشيعون دنا منه أبو الاسود فقال

(١) المكركس من ولدته الاماء

أحار بن بدر قد وليت أمارة فكن جرُذاً فيها تخون وتسرق
ولا تحقرن يا حار شيئاً تصيبه فحظك من ملك العراقين سُرَّق
فان جميع الناس اما مكذب يقول بما يَهْوَى واما مصدق
يقولون أقوالا بظن وشبهة فان قيل هاتوا حققوا لم يحققوا
فلا تعجزن فالعجز أبطأ مركب وما كل من يدعى الى الرزق يرزق
وكاثر تميما بالغني ان للغني لساناً به يسطو العَيِيّ وينطق

فقال له حارثة

جزاك مليك الناس خير جزائه فقد قلت معروفاً وأوصيت كافيا
أمرت بحزم لو أمرت بغيره لألفيتني فيه لرأيك عاصيا
ستلقى أخاً يصفيك بالود حاضراً ويوليك حفظ الغيب ان كنت نائيا

لما هزم حارثة في حرب الخوارج قال غوث بن الحباب يهجوه

أحار بن بدر دونك الكأس انها بمثلك أولى من قراع الكتائب
عليك بها صهباء كالمسك ريحها يظل أخوها للعدى غير هائب
فدع عنك أقواماً وَليت قتالهم فلست صبوراً عند وقع القواضب
وخذها كعين الديك تشفي من الجَوى وتترك ذا التهمام حصر المذاهب
اذا شعْشعت بالماء خلت حَبابها نظائم در أو عيون الجنادب
كأنك اذ تحسو ثلاثة أكؤس من التيه قَرْم من قروم المرازب
ودع عنك أبناء الحروب وشدهم اذا خطروا مثل الجمال المصاعب

كانت في تميم حمالتان فاجتمعوا في مقبرة بني شيبان ، فقال لهم الأحنف لا تعجلوا حتى يحضر سيدكم ، فقالوا من سيدنا غيرك ؟ قال حارثة بن بدر ، وقدم حارثة من الأهواز بمال كثير فبلغه ما قال الاحنف فقال أغرمنيها والله ابن الزافرية ، ثم أتاهم كأنه لم يعلم فيم اجتمعوا ، وقال لا تلقوا فيهما أحداً ثم أتى الى منزله فقال

خلت البلاد فسدت غير مسوَّد ومن الشقاء تفردي بالسودد

كان حارثة سعى فى الأرض فساداً فأهدر على بن أبى طالب عليه السلام دمه فهرب فاستجار بأشراف الناس فلم يُجِزْه أحد ، فقيل له عليك بسعيد بن قيس الهَمْدانى فلعله يجيرك ، فطلب سعيداً فلم يجده فجلس فى طلبه حتى جاء فأخذ بلجامه فقال أجرنى أجارك الله ، قال ويحك مالك ؟ قال أهدر أمير المؤمنين دمى ، قال وفيمه ؟ قال سعيت فى الارض فساداً ، قال ومن أنت ؟ قال حارثة بن بدر الغُدانى ، قال أقم ، وانصرف الي على عليه السلام فوجده قائما على المنبر يخطب فقال يا أمير المؤمنين ما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعَوْن في الأرض فساداً ؟ قال: أن يقتَّلوا أو يصلَّبوا أو تُقَطَّع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض ، قال يا أمير المؤمنين الا مَنْ ؟ قال الا من تاب ، قال فهذا حارثة بن بدر قد جاء تائباً وقد أجرته ، قال أنت رجل من المسلمين وقد أجرنا من أجرت ، ثم قال على عليه السلام وهو على المنبر انى كنت نذرت دم حارثة بن بدر فمن لقيه فلا يعرض له ، فانصرف اليه سعيد بن قيس فأعلمه وحمله وكساه وأجازه بجائزة سنية فقال فيه حارثة

الله يجزى سعيد الخير نافلة أعني سعيد بن قيس قَرْم هَمْدان
أنقذنى من شفا غبراء مظلمة لولا شفاعته أُلبست أكفانى
قالت تميم بن مرٍّ لا تخاطبه وقد أبت ذلكم قيس بن عيْلان
أساغ فى الحلق ريقاً كان يجرضنى وأظهر الله سرى بعد كتمان
انى تداركنى عفٌّ شمائله آباؤه حين ينمي خير قحطان
ينميه قيس وزيد والفتى كَرِب وذو جبائر من أولاد عثمان
وذو رُعين وسيف وابن ذى يَزَن وعَلْقم قبلهم أعني ابن نبهان

فلما أراد الانصراف الى البصرة شيعه سعيد بن قيس الى نهر النصرين فى ألف راكب وحمله وجهزه فقال حارثة

لقد سررت غداة النهر اذ برزت ... أشياخ هَمْدان فيها المجد والخير
يقودهم ملك جزْل مواهبه ... واري الزّناد لدي الخيرات مذكور
أعني سعيد بن قيس خير ذي يَزَن ... سامي العماد لدى السلطان مجبور
ما ان يلين اذا ما سيمَ منقصة ... لكن له غضب فيها وتنكير
أغرّ أبلج يُستسقى الغمام به ... جنابه الدهرَ يُضْحِي وهو ممطور

لقي أنس بن زنيم حارثة فقال له يا حارثة قد قلت لك ابياتاً فاسمعها ، قال هاتها ، فأنشده

فتى متى أنت ابن بدر مخيم ... وصحبك يحسون الحليب من الكرْم
فان كان شراً فالهُ عنه وخله ... لغيرك من أهل التخبط والظلم
وان كان غنما يا ابن بدر فقد أرى ... سئمت من الاكثار من ذلك الغنم
وان كنت ذا علم بها واحتسائها ... فمالك تأتى ما يشينك عن علم
تقِ الله واقبل يا ابن بدر نصيحتى ... ودعها لمن أمسى بعيدا من الحزم
فلو أنها كانت شراباً محللا ... وقلت لي اتركها لأوضعت فى الحكم
وأيقنت أن القول ماقلت فانتفع ... بقولي ولا تجعل مقالي من الجرم
فرب نصيح الجيب رد انتصاحه ... عليه بلا ذنب وعوجل بالشتم

فقال له حارثة لقد قلت فأحسنت ونصحت فأبلغت جزيت الخير أبا زنيم ، فلما رجع الى منزله أتاه ندماؤه فذكر لهم ما قال ابن زنيم فقالوا والله ما نرى ذلك الا حسداً ، ثم قال حارثة لابن زنيم

يعيب عليّ الراح من لو يذوقها ... لَجُنّ بها حتى يُغَيَّبَ فى القبر
فدعها أو امدحها فانا نحبها ... صُراحاً كما أغراك ربك بالهجر
علام تذم الراح والراح كاسمها ... تريح الفتى من همه آخر الدهر
فلمنى فان اللوم مما يزيدنى ... غراماً بها ان الملامة قد تُغْرِي

وبالله أُولى صادقاً لو شربتها | لأقصرت عن عذلي وملت الى عذري
وان شئت جربها وذقها عتيقة | لها أرَج كالمسك محمودة الخبر
فان أنت لم تخلع عِذارك فَلْحِني | وقل لي لحاكَ الله من عاجز غمر
وقبلك ما قد لامنى فى اصطباحها | وفى شربها بدر فأعرضت عن بدر
وحاسيتها قوماً كأن وجوههم | دنانير فى اللأْواء والزمن النكر
فدعنى من التعـذال فيها فاننى | خلقت أبياً لا ألين على قسْر
أجود وأُعطى المنفسات تبرعاً | وأُغلى بها عند اليَسارة والعُسُر
وأشربها حتى أخِرّ مجـدلا | معتقة صهبـاء طيبة النشر
ولولا النهى لم أصْحُ ماعشت ساعة | ولـكننى نهنهت نفسى عن الهجر
فقصرت عنها بعد طُول لجَاجة | وحب لهـا في سر أمرى والجهر
وحق لمثلى أن يكف عن الخنَا | ويقصر عن بعض الغواية والنكر

كان الحـكم بن المنذر بن الجارود يشرب الشراب فقيـل له فى ذلك وعوتب وعرف أن الصَّلَتان العبدي هجاه فقال فيه

ترك الأشياء طراً والخنـا | يشرب الصهباء من ماء العنب
لا يخاف الناس قد أدمنها | وهى تُزرى باللئيم المؤتشب
وهى بالأشراف أزرى والى | غاية الأنيب تدعو ذا الحسب
فدع الخمر أبا حرب وسد | قومك الاذنين من بين العرب

فقال لعنه الله والله ما ترك للصلح موضعاً ولقد صدق ولولا الشرب لـكنت الرجل الـكامل وما يخفى علىّ قبيحه وسوء القالة فيه ولـكني سمعت حارثة بن بدر أنشد أبياتاً يوماً فحملتنى على المجاهرة بالشراب وان كان ذلك الىّ بغيضاً ، قيل له وما الأبيات ؟ قال سمعته ينشد

أذهب عنى الغمّ والهم والذى | به تطرد الأحداث شربُ المروّق

فوالله ما أنفك بالراح مُهْتِراً ولو لام فيها كل حر موفق

فما لأمي فيها وان كان ناصحاً بأعلم مني بالرَّحيق المعتَّق

ولكنَّ قلبي مستهام بحبها وحب القِيان رأى كل محقَّق

أحب التي لا أملك الدهر بغضها وذلك فعل معجب كلَّ أخرق

سأشربها صِرْفاً وأُسقي صحابتي وأطلب غِرّات الغزال المَنطَّق

كان لحارثة نديم من قريش يصيب معه الشراب ولا يفارقه اذا شرب وقال فيه

وأبيض من أولاد سعد بن مالك سقيت من الصهباء حتى تقطرا

وحتى رأى الشخص القريب بسكره شخوصاً فنادى يالَسعد وكبرا

فقالت أسكران ؟ فقال مكابراً أبى الله لي أن أستخف وأسكرا

فقلت له اشرب هذه بابلية تخال بها مسكاً ذكياً وعنبرا

فلما حساها هزّها ثم انه تماسك شيئاً واجماً متفكرا

وقال أعدها قلت صبراً سويعة فهوَّم شيئاً ثم قام فبربرا

كان أبو صخر مخارق بن صخر أحد بني ربيعة بن مالك شاعراً وكان صديقاً لحارثة فدخل عليه يوماً وهو مصطبح فعاتبه وقال قد أسقطت الخمر قدرك ومروءتك، فقال له دع عنك هذا الجنون وهلم نتساعد واسمع ما قلت ، قال هاته فأنشده

غدا ناصحاً لم يَألُ جهداً مخارق يلوم على شرب السُّلاف المعتَّق

فقلت أبا صخر دع الناس يجهلوا ودونكها صهباء ذات تألُّق

تراها اذا ما الماء خالط جسمها تَخايلُ في كف الوصيف المنطَّق

لها أَرَج كالمسك يذهب ريحُها عمَاية حاسيها بحسن ترفق

وكم لائم فيها بصير بفضلها رمته بسهم صائب متزلق

فظل لريّاها يعضّ ندامة يديه وأرعى بعد طول تمطق
وقال لك العذر ابن بدر على التى تسلى همـــوم المستهام المشوق
فلست ابن صخر تاركا شرب قهوة لقول لئيم جاهل متحـذلق
يعيب عليّ الشرب والشرب همه ليُحسب ذا رأى أصيل مصدق
فما أنا بالغِر ابن صخر ولا الذى يُصمم فى شئ من الأمر موبق

فقال له مخارق انما عاتبتك لأن الناس قد أكثروا فيك ورأيت النصيحة لله واجبة عليّ وكرهت أن تضع لذتك قدرك فان أطعتنى فى تركها والا فلا تجاهر بها فانك قادر أن تبلغ حاجتك فى ستر ، فقال حارثة ما عندى غير ما سمعت ، فتركه وانصرف

ذكر حلم الأحنف عند عبيد الله بن زياد وعنده حارثة فنفس عليه حارثة ذلك فقال لعبيد الله أيها الأمير ما يبلغ حلم من لا قدرة له ولا يملك لعدوه ضراً ولا لصديقه نفعاً وانما يتكلف الدخول فيما لا يعنيه ؟ فبلغ ذلك من قوله الأحنف فقال أهون بحارثة وكلامه وما حارثة ومقداره ؟ أليس الذى يقول قبح الله رأيه فى قوله ؟

اذا ما شربت الراح أبدت مكارمى وجُدت بما حازت يداي من الوفر
وان سبنى جهلا نديمى لم أزد على اشرب سقاك الله طيبة النشر
أرى ذاك حقاً واجباً لمنادمى اذا قال لي غير الجميل من السكر

كان لحارثة جارية يقال لها ميسه وكان بها شغوفاً فلما مات تزوجت بعده بشر بن شعاف ، وفيها يقول حارثة

خليلي لولا حب ميسة لم أبل أفي اليوم لاقيت المنيـة أم غدا
خليلى ان أفشيت سرى اليكما فلا تجعلا سرى حديثاً مبددا
وان أنتما أفشيتماه فلا رأت عيونكما يوم الحساب محمـدا

ولا زلتما فى شقوة ما بقيتما تذوقان عيشاً سيئ الحال أنكدا

ومن قوله وهو فى الموت لمولاه كعب

يا كعب مهلا فلا تجزع على أحد يا كعب لم يبق منا غير أجساد

يا كعب ما راح من قوم ولا بكروا الا وللموت فى آثارهم حاد

يا كعب ما طلعت شمس ولا غربت الا تقرب آجالا لميعاد

يا كعب كم من حمى قوم نزلت به على صواعق من زجر وايعاد

فان لقيت بواد حية ذكرا فاذهب ودعنى أمارس حية الوادى

جرير

هو جرير بن عطية بن الخَطَفَى اليربوعى من كليب بن يربوع بن حنظلة ، يكنى أبا حَزْرة وهو والفرزدق والأخطل المقدمون على شعراء الاسلام الذين لم يدركوا الجاهلية جميعاً ومختلف فى أيهم المتقدم ولم يبق من شعراء عصرهم إلا تعرض لهم فافتضح وسقط وبقوا يتصاولون على أن الاخطل انما دخل بين جرير والفَرَزْدق فى آخر أمرهما وقد أسن ونَفِدَ أكثر عمره وهو وان كان له فضل وتقدم فليس نَجْره من نجاز هذين فى شىء

قال عمر بن شَبَّة اتفقت العرب على أن أشعر أهل الاسلام ثلاثة جرير والفرزدق والأخطل واختلفوا فى تقديم بعضهم على بعض ، قال محمد بن سلام والراعى معهم فى طبقتهم ولكنه آخرهم ، والمخالف في ذلك قليل ، وقد سمعت يونس يقول ما شهدت مشهداً قط قد ذكر فيه جرير والفرزدق فاجتمع أهل المجلس على أحدهما وكان يونس فرزدقياً ، وكان أبو عمرو يشبه جريراً بالأعشى والفرزدق بزهير والأخطل بالنابغة

قال أبو عبيدة يحتج من قدم جريراً بأنه كان أكثرهم فنون شعر وأسهلهم

ألفاظاً وأقلهم تسكفاً وأرقهم نسيباً وكان ديّناً عفيفاً ، وقال العلاء بن جرير اذا لم يجىء الأخطل سابقاً فهو سُكَّيت والفرزدق لا يجيء سابقاً ولاسكيتاً وجرير يجيء سابقاً ومصلياً وسكيتاً ، قال محمد بن سلام رأيت أعرابياً من بني أسد أعجبني ظرفه وروايته ، فقلت له أيهما عندكم أشعر ؟ قال بيوت الشعر أربعة فخر ومديح وهجاء ونسيب ، وفي كلها غلب جرير قال في الفخر

اذا غضبت عليك بنو تميم   حسبت الناس كلهمُ غضابا

والمديح قوله

ألستم خير من ركب المطايا   وأندى العالمين بطون راح

والهجاء قوله

فغض الطرف انك من نُمَيْرٍ   فلا كعباً بلغت ولا كلابا

والنسيب قوله

ان العيون التي في طرفها حَوَر   قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

قال محمد بن سلام وبيت النسيب عندي

فلما التقى الحيان أُلقيت العصا   ومات الهوى لما أُصيبت مقاتله

وفضل عبيدة بن هلال اليشكري جريراً بقوله

انا لنذْعر يا فقير عدونا   بالخيل لاحقة الأياطل قُودا

وتحوط حَوْزتنا وتحمي سَرْحنا   جُرْد ترى لمغارها أُخدودا

أجرى قلائدها وقدَّد لحمها   ألَّا يذقن مع الشكائم عودا

وطوى القياد مع الطراد متونها   طيَّ التجار بحضرموت برودا

قال الأصمعي وذكر جريراً فقال كان ينهشه ثلاثة وأربعون شاعراً فينبذهم وراء ظهره ويرمي بهم واحداً واحداً ومنهم من كان ينفخه فيرمي به وثبت له الفرزدق والأخطل ، وقال زيرك بن هبيرة كان جرير ميدان الشعر من لم يجر فيه

لم يَرْوِ شيئاً وكان من هاجى جريراً فغلبه جرير أرجح عندهم ممن هاجى شاعراً آخر غير جرير فغَلَب

قال عكرمة بن جرير لأبيه يا أبت من أشعر الناس ؟ فقال الجاهلية تريد أم الاسلام ؟ قلت أخبرنى عن الجاهلية ، قال شاعر الجاهلية زهير ، قلت فالاسلام ؟ قال نبعة الشعر الفرزدق ، قلت فالأخطل ، قال يجيد صفة الملوك ويصيب نعت الخمر ، قلت وما تركت لنفسك ؟ قال دعني فانى بحرت الشعر بحراً

قال ابن سلام وسألت بشاراً أيّ الثلاثة أشعر ؟ فقال لم يكن الأخطل مثلهما ولكن ربيعة تعصبت له وأفرطت فيه ، قلت فهذان ؟ قال كانت لجرير ضروب من الشعر لا يحسنها الفرزدق ، ولقد ماتت النوّار فقاموا ينوحون عليها بشعر جرير ، قلت لبشار وأيّ شيء لجرير من المراثى الا التى رثى بها امرأته ، فأنشدنى لجرير يرثى ابنه سوادة ومات بالشام وكان به معجباً

فارقتني حين كف الدهر من بصرى ... وحين صرت كعظم الرُّمَّة البالى
أمسى سوادة يجلو مقلتى لَحِمٍ ... بازٍ يُصَرْصِر فوق المَرْبأ العالى
قد كنت أعرفه منى اذا غَلِقَت ... رُهُن الجياد ومد الغاية الغالي
ان الثويّ بذى الزيتون فاحتسبي ... قد أسرع الموت فى عقلى وفى حالى
إلّا تكن لك بالدَّيرين مُعْوِلة ... فرب باكيـــة بالرمل مِعْوال
كأم بَوّ عجول عند معهده ... حنَّت الى جلد منه وأوصال
حتى اذا عرفت الّا حياة به ... ردت هماهم حرَّى الجوف مِشْكال
زادت على وجدها وجداً فلو رجعت ... فى الصدر منها خطوب ذات بلبال

نزل الفرزدق على الأحوص حين قدم المدينة ، فقال الأحوص ما تشتهى ؟ قال شواء وطِلاء وغناء ، قال ذلك لك ومضى به الى قينة بالمدينة فغنته

ألا حيّ الديار بسـعد انى ... أحب لحب فاطمة الديارا

أراد الظاعنون ليحزنوني فهاجوا صدع قلبي فاستطارا

فقال الفرزدق ما أرق أشعاركم يا أهل الحجاز وأملحها ، قال أوما تدري لمن هذا الشعر ؟ قال لا والله ، قال فهو والله لجرير يهجوك به ، فقال ويل ابن المراغة ما كان أحوجه مع عفافه الى صلابة شعرى وأحوجني مع شهواتى الى رقة شعره

قال رجل للفرزدق يا أبا فراس هل تعلم اليوم أحداً يرمى معك ؟ فقال لا والله ما أعرف نابحاً الا وقد استكان ولا ناهشاً الا وقد انجحر الا الذى يقول

فان لم أجد فى القرب والبعد حاجتى تشأمت أو حولت وجهى يمانيا
فردى جمال الحى ثم تحملى فما لك فيهم من مقام ولاليا
فانى لمغرور أعلّل بالمنى ليالى أرجو أن مالك ماليا
وقائلة والدمع يحدر كحلها أبعد جرير تكرمون المواليا
بأى نجاد تحمل السيف بعد ما قطعت القُوَى من محمل كان باقيا
لسانى وسيفى صارمان كلاهما وللسيف أشوَى وقعةً من لسانيا

وهذا الشعر لجرير

قال جرير وفدت الى يزيد بن معاوية وانا شاب فاستؤذن لي عليه فى جملة الشعراء ، فخرج الحاجب إليَّ وقال يقول لك أمير المؤمنين انه لا يصل الينا شاعر ولا نعرفه بشيء من شعره وما سمعنا لك بشيء فنأذن لك على بصيرة ، فقلت له تقول لأمير المؤمنين أنا القائل

وانى لعفّ الفقر مشترك الغنى سريع اذا لم أرض دارى انتقاليا
جرىء الجنان لا أهاب من الردى اذا ما جعلت السيف قبض بنانيا
وليس لسيفى فى العظام بقية وللسيف أشوَى وقعةً من لسانيا

فدخل الحاجب اليه فأنشده الأبيات ثم خرج إليَّ وأذن لي وأنشدته وأخذت الجائزة مع الشعراء فكانت أول جائزة أخذتها من خليفة وقال لي فارق أبى الدنيا وما يظن أن أبياتك التى توسلت بها إليَّ إلا لي

دخل الفرزدق على سُكَينة بنت الحسين ، فقالت له من أشعر الناس ؟ قال أنا ، قالت كذبت أشعر منك الذى يقول

بنفسي من تجنبه عزيز   عليَّ ومن زيارته لِمام
ومن أُمسى وأُصبح لاأراه   ويطرُقنى اذا هجع النيام

ثم دخل عليها في اليوم الثانى ، فقالت له من أشعر الناس ؟ قال أنا ، قالت كذبت أشعر منك الذى يقول

لولا الحياء لهاجني استعبار   ولزُرت قبرك والحبيب يُزار
كانت اذا هجر الضجيع فراشها   كتم الحديث وعفَّت الأسرار
لا يلبث القُرناء أن يتفرقوا   ليـــل يكرُّ عليهم ونهار

ثم دخل عليها فى اليوم الثالث ، فأعادت السؤال ، وأعاد الجواب ، فقالت أشعر منك الذى يقول

ان العيون التى فى طرفها مرض   قتلننا ثم لم يحيين قتـــلانا
يصرعن ذا اللب حتى لاحَراك به   وهن أضعف خلق الله إنسانا
أتبعتهم مقلة إنسانها غرق   هل ما ترى تارك للعين إنسانا

لما استُخلف عمر بن عبد العزيز جاء الشعراء فجملوا لا يصلون اليه ، فجاء عون ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود وعليه عمامة قد أرخى طرفيها فدخل ، فصاح به جرير وقال

يأيها القارىء المُرخى عمامته   هذا زمانك إنى قد مضى زمنى
أبلغ خليفتنا ان كنت لاقيه   أنى لدى الباب كالمصفود في قَرَن

فدخل على عمر فاستأذن له ، فدخل عليه وكان قد هيأ له شعراً ، فلما دخل غيره وقال

انا لنرجو اذا ما الغيث أخلفنا   من الخليفة ما نرجو من المطر

نال الخلافة او كانت له قدرا   كما أتى ربَّهُ موسى على قَدَرِ
أأذكر الجهد والبلوى التي نزلت   أم تكتفي بالذي بُلِّغت من خبري
ما زلت بعدك في دار تُعَرِّقُني   قد طال بعدك إصعادي ومنحدري
لا ينفع الحاضر المجهود باديَنا   ولا يجود لنا بادٍ على حضَرِ
كم بالمواسم من شعثاء أرملة   ومن يتيم ضعيف الصوت والبصر
يدعوك دعوة ملهوف كأن به   خبْلاً من الجن أو مسّاً من البشر
ممن يعدك تكفي فقد والده   كالفرخ في العش لم ينهض ولم يطر

فبكى عمر ثم قال يا ابن الخطفى أمن أبناء المهاجرين أنت فنعرف لهم حقهم، أم من أبناء الانصار فيجب لك ما يجب لهم، أم من فقراء المسلمين فنأمر صاحب صدقات قومك فيصلك بمثل ما يصل به قومك؟ فقال جرير يا أمير المؤمنين فاني ابن سبيل، قال لك ما لأبناء السبيل زادك ونفقة تبلغك وتبدل راحلتك ان لم تحملك، فألحَّ عليه، فقالت له بنو أمية مهلاً يا أبا حزرة عن أمير المؤمنين ونحن نرضيك من أموالنا عنه، فخرج وجمعت له بنو أمية مالاً عظيماً، فما خرج من عند خليفة بأكثر مما خرج من عند عمر

جلس جرير يملي على رجل قوله

ودع أمامة حان منك رحيل   ان الوداع لمن تحب قليل

فمرّوا عليه بجنازة، فقطع الإنشاد وجعل يبكي ثم قال شيبتني هذه الجنازة، فقال له أبو عمرو بن العلاء فعلامَ تقذف المحصنات منذ كذا وكذا؟ فقال انهم يبدءونني ثم لا أعفو

دخل جرير على المهاجر بن عبد الله وهو والي اليمامة وعنده ذو الرُّمَّة ينشده، فقال المهاجر لجرير كيف ترى؟ قال لقد قال وما أنعم، فغضب ذو الرمة ونهض وهو يقول

أنا أبو الحارث واسمي غَيْلَان

فنهض جرير وقال

إني امرؤ خلقت شَكْساً أَشْوَسا ... ان تَضْرِسانى تضرسا مُضَرَّسا

قد لبس الدهرَ وأبقى ملبسا ... من شاء من نار الجحيم اقتبسا

فجلس ذو الرمة وحاد عنه فلم يجبه ، وكان ذو الرمة ممن أعان على جرير ولم يُصْحر له ، فقال جرير فيه

أقول نُصاحة لبني عدىّ ... ثيابكمُ ونضح دم القتيل

وكانوا يتعاونون عليه ولا يُصْحِرون

ومن قول جرير وهو بالكوفة

لقد قادني من حب ماويّة الهوى ... وما كنت ألقى للجنيبة أقودا

أحب ثرى نجد وبالغَوْر حاجة ... فغار الهوى يا عبد قيس وأنجدا

أقول له يا عبد قيس صبابة ... بأىّ ترى مستوقد النار أوقدا

فقال أرى ناراً يشب وقودها ... بحيث استفاض الجزع شيحاً وغَرْقدا

قدم جرير على الحكم بن أيوب الثقفي وهو خليفة للحجاج يومئذ ، فمدحه جرير فقال

أقبلن من ثهلان[1] أوجنبي خِيَم ... على قِلاص مثل خيطان السَّلَم

قد طُويت بطونها طىّ الأَدَم ... يبحثن بحثاً كمضلات الخدم

اذا قطعن عَلَماً بدا عَلَم ... حتى تناهينا الى باب الحكم

خليفة الحجاج غير المتهم ... فى معقِد العز وبُؤْبُوء الكرم

بعد انفضاخ[2] البدن واللحم زِيَم

(١) ثهلان جبل كان لباهلة ثم غلبت عليه نمير وخيم جبل يناوحه من طرفه الأقصى فيما بين ركنه الأقصى وبين مطلع الشمس به ماء ونخل (٢) انفضخ سنام البعير انشدخ وزيم قطع

فلما قدم عليه استنطقه فأعجبه ظرفه وشعره ، فكتب الى الحجاج انه قدم على أعرابي شيطان من الشياطين ، فكتب اليه أن ابعث اليّ به ، ففعل ، فقدم عليه فأكرمه الحجاج وكساه جبة حبرية وأنزله فمكث أياماً ، ثم أرسل اليه بعد نومه ، فقالوا أجب الأمير ، فقال ألبس ثيابي ، فقالوا لا والله لقد أمرنا أن نأتيه بك على الحال التي نجدك عليها ، ففزع جرير وعليه قميص غليظ وملاءة صفراء ، فلما رأى ما به رجل من الرسل دنا منه وقال لا بأس عليك انما دعاك للحديث ، قال جرير فلما دخلت عليه قال إيه يا عدو الله علام تشتم الناس وتظلمهم ؟ فقلت جعلني الله فداء الأمير والله انى ما أظلمهم ولكنهم يظلمونني فأنتصر مالى ولابن أم غسان ؟ ومالي وللبعيث ؟ ومالي وللفرزدق ؟ ومالي وللأخطل ؟ ومالي وللتيمن ؟ حتى عدهم واحداً واحداً ، فقال الحجاج ما أدرى مالك ولهم ، قال أخبر الأمير أعزه الله . أما غسان بن ذُهَيل فانه من قومى هجانى وهجا عشيرتى وكان شاعراً ، قال فقال لك ماذا ؟ قال قال لي

لعمرى لئن كانت بَجيلة زانها ... جرير[1] لقد أخزى كُلَيباً جريرها
رميتَ نِضالاً عن كليب فقصرت ... مراميك[2] حتى عاد صفراً جفيرها
ولا يذبحون الشاة الا بميسر ... طويلا تناجيها صغاراً قدورها

قال فما قلت له ؟ قال قلت

ألا ليت شعرى عن سَليط أَلم تجد ... سَليط سوى غَسَّان جاراً يجيرها
فقد ضَمَّنوا الأحساب صاحب سوءة ... يناجى بها نفساً خبيثاً ضميرها
كأن سليطاً فى جواشنها الخُصى[3] ... اذا حل بين الأملحين وقيرها
أَضِجُّوا[4] الروايا بالمزاد فانكم ... ستَلقَوْن ركض الخيل تدمَى نحورها

(١) هو جرير بن عبد الله البجلي (٢) المرامى السهام واحداها مرماة والجفير الجعبة
(٣) أى هم عظام الصدور والأملحين ماءان أو جبلان لسليط والوقير الغنم فيها حماران أو أحمرة (٤) ألحوا عليها بالاستقاء

كأن السَّليطيين أنقاض[1] كَمْأَة لأول جان بالعصا يستثيرها
عضاريط[2] يشوون الفراسنَ بالضحى اذا ما السرايا حثّ ركضاً مغيرها
فما فى سليط فارس ذو حفيظة ومعقلها يوم الهياج جعورها
عجبت من الداعى جحيشا وصائدا وعيساء يسعى بالعِلاب نفيرها[3]

قال ثم من ؟ قال البعيث ، قال مالك وله ؟ قال اعترض دون ابن أم غسان يفضله عليَّ ويعينه ، قال فما قال لك ؟ قال قال لي

كليب لئام الناس قد يعلمونه وأنت اذا عدت كليب لئيمها
لقى مقعَد الأحساب منقطع به اذا القوم راموا خطة لا يرومها
أترجو كليب أن يجئ حديثها بخير وقد أعيا كليباً قديمها

قال فما قلت له ؟ قال قلت

ألم تر أنى قد رميت ابن فرتني بصمَّاء لا يرجو الحياة أميمها
له أم سوء بئسما قـــدمت له اذا فُرُط الأحساب عد قديمها

قال ثم من ؟ قلت الفرزدق ، قال وما لك وله ؟ قلت أعان البعيث عليَّ قال فما قلت له ؟ قال قلت

تمنى رجال من تميم ليَ الرَّدَى وماذاد عن أحسابهم ذائد مثلى
كأنهمُ لا يعلمون مواطني وقد جربوا أنى أنا السابق المُجلي
فلو شاء قومى كان حلمى فيهم وكان على جهال أعدائهم جهلى
وقد زعموا أن الفرزدق حيـة وما قتل الحيات من أحد قبلى

قال ثم من ؟ قلت الأخطل ، قال مالك وله ؟ قلت رشاه محمد بن عُمَير بن عُطارد زِقًا من خمر وكساه حلة على أن يفضل عليَّ الفرزدق ويهجونى ، قال فما قال لك ؟ قال قال

---

(١) النقض ما خرج من رأس الكمأة اذا انشقت عنها الأرض (٢) العضاريط الأتباع والفراسن أخفاف الابل (٣) عيساء جدة غسان والعلاب جمع علبة وهى التى يحلب فيها

اخسأ اليك كليبُ ان مجُاشعا … وأبا الفوارس نَهشَلا أخوان

واذا وردت الماء كان لدارم … جمّاته (١) وسُهولة الأعطان

واذا قذفت أباك فى ميزانهم … رجحوا وشال أبوك فى الميزان

قال فما قلت له ؟ قال قلت

ياذا الغباوة ان بِشْرا قد قضى … ألاّ تجوز حكومة النَّشوان

فدعوا الحكومة لستمُ من أهلها … ان الحكومة فى بنى شيبان

قتلوا كليبكمُ بلِقْحة جارهم … ياخُزْر تَغْلِب لستمُ بهِجان

قال ثم من ؟ قلت عمر بن لجأ التيمى ، قال وما لك وله ؟ قال قلت بيتاً من شعر فقبحه وقاله على غير ما قلته ، قلت

لَقومىَ أحْمَى للحقيقة منكمُ … وأضرب للجبار والنَّقْع ساطع

وأوثق عند المُرْهَقات عشية … لحاقاً اذا ما جرد السيف لامع

فزعم أنى قلت

وأوثق عند المُرْدَفات عشية … لَحَاقاً اذا ما جرد السيف لامع

فقال لحقتهن عند العشِيّ وقد أخذن غدوة والله ما يُمْسين حتى يفضحن ، قال فما قلت له ؟ قال قلت

يا تَيْمُ تيم عدى لا أبالكمُ … لا يوقعنكمُ فى سَوْءة عمر

خل الطريق لمن يبنى المناربه … وابرز ببَرْزَة حيث اضطرك القدر (٢)

حتى أتى على الشعر ، قال ثم من ؟ قال سراقة بن مِرْداس البارقى ، قال مالك وله ؟ قال قلت لا شئ حمله بشر بن مروان وأكرهه على هجائى ، ثم بعث الىّ رسولا وأمرنى أن أجيبه ، قال فما قال لك ؟ قال قال

ان الفرزدق بَرَّزت أعراقه … عفواً وغودر في الغبار جرير

(١) الجمة مجتمع ماء البئر (٢) برزة أمه

ما كنت أول مُخْمَل قعدت به مسعاته ان الائيم عثور
هـذا قضاء البارق وانه بالميل فى ميزانكم لبصير

قال فما قلت له ؟ قال قلت

يا بشر حقّ لوجهك التبشير هلا غضبت لنا وأنت أمير
بشر أبو مرْوان ان عاسرته عسر وعند يساره ميسور
ان الكريمة ينصر الكرم ابنها وابن اللئيمة للئام نصور
قد كان حقك أن تقول لبارق ياآل بارق فيم سُبَّ جرير

قال ثم من ؟ قلت المستنير بن سَبْرة العنبرى، قال مالك وله ؟ قلت أعان على ابن لَجأ ، قال فما قال لك ؟ قلت قال

ان التي زينت لما طلقت قعدت على جحش المراغة تمرغ
أتعيب من رضيت قريش صهره وأبوك عبد بالخورنق أولغ

قال فما قلت له ؟ قال قلت

فما مستنير الخبث الا فراشة هوت بين مرتج الحريقين ساطع
نهيت بنات المستنير عن الرُّقَى وعن مشيهن الليل بين المزارع

قال ثم من ؟ قلت راعى الابل النميرى ، قال مالك وله ؟ قلت قدمت البصرة وكان بلغنى أنه قال لي

يا صاحبي دنا الرواح فسيرا غلب الفرزدق فى الهجاء جريرا

وقال أيضاً

رأيت الجحش جحش بنى كليب تيمم حوض دجلة ثم هابا

فقلت يا أبا جندل انك شيخ مضر وشاعرها وقد بلغني أنك تفضل على الفرزدق وأنت يسمع قولك وهو ابن عمى دونك فان كان لا بد من تفضيل فأنا أحق به لمدحى قومك وذكرى إياهم ، قال وابنه جندَل على فرس له فأقبل يسير

بفرسه حتى ضرب عجز دابتي وأنا قائم فكاد يقطع اصبع رجلي وقال لا أراك واقفاً على هذا الكلب من بني كليب ، فمضى وناديته ، ان أهلك بعثوك مائراً من هبّود وبئس المائر وانما بعثني أهلي لأقعد على قارعة هذا المربد فلا يسبهم أحد الا سببته وان عليّ نذراً ان جعلت في عيني غمضاً حتى أخزيك قال فما أصبحت حتى هجوته فقلت

ألم ترني صُببت على عبيد وقد فارت أبا جله وشابا
أُعدّ له مواسم حاميات فيشفى حرّ شعلتها الجرابا
فغض الطرف انك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا

فغدوت عليه من الغد فأخذت بعنانه فما فارقته حتى أنشدته إياها

قال ثم من ؟ قلت العباس بن يزيد الكندى ، قال مالك وله ، قلت لما قلت

اذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهمُ غضابا

قال

ألا رغمت أنوف بنى تميم فساة التمر ان كانوا غضابا
لقد غضبت عليك بنو تميم فما نكأت بغضبتها ذبابا
لو اطلع الغراب على تميم وما فيها من السوءات شابا

فتركته خمس سنين لا أهجوه ثم قدمت الكوفة فأتيت مجلس كندة فطلبت اليهم أن يكفوه عنى ، فقالوا ما نكفه وانه لشاعر وأوعدونى ، فقلت

ألا أبلغ بنى حجر بن وهب بأن التمر حلو فى الشتاء
فعودوا للنخيل فأبّروها وعيشوا بالمشقّر فالصفاء

ثم مكثت قليلا ثم بعثوا اليّ راكباً فأخبرونى بمثالبه وجواره فى طيئ حيث جاور عتابا ثم رحل بخزية فقلت

اذا جهـــل الشقى ولم يقدر لبعض الامر أوشك أن يصابا

أعبداً حل فى شُعَبَى غريباً ألؤماً لا أبالك واغترابا

قال ثم من ؟ قلت جفنة الهِزّانى ، قال ومالك وله ؟ قلت أقبل سائلا حتى أتانى وأنا أَمْدُر حوضاً لي ، فقال يا جرير قم اليّ ههنا ، قلت نعم ثم أتيته فقلت ما حاجتك ؟ قال مدحتك فاستمع مني ، قلت أنشدنى فأنشد . فقلت قد والله أحسنت وأجملت فما حاجتك ؟ قال تكسونى الحلة التى كساكها الوليد بن عبد الملك العام ، فقلت انى لم أقف فيها بالموسم ولا بد من أن أقف فيها العام ولكنى أكسوك حلة خيراً منها كان كسانيها الوليد عام أول ، فقال ما أقبل غيرها بعينها ؟ فقلت بلى فاقبل وأزيدك معها دنانير نفقة ، فقال ما أفعل ومضى فأتى المرار بن منقذ أحد بنى العدوية فحمله على ناقة يقال لها القصواء فقال جفنة

لعمرك للمرَّار يوم لقيته على الشحط خير من جرير وأكرم

قال فما قلت له ؟ قال قلت

لقد بعثت هِزَّان جفنة مائرا فآب وأجدى قومه شر مغنم
فيارا كب القصواء ما أنت قائل لهِزَّان اذ أسلمتها شر مُسْلَم
أظن نحاف النبس هزان طالباً علالة سباق الأضاميم مِرْجَم
كأن بنى هزان حين رأيتهم وبار تضاغت تحت غار مهدم
بنى عبد عمرو قد فزعت اليكم وقد طال زجرى لونها وتقدمى

قال ثم من ؟ قلت المرار بن منقذ ، قال مالك وله ؟ قلت أعان على الفرزدق ، قال فما قلت له ؟ قال قلت

بنى منقذ لا صلح حتى تضمكم من الحرب صمّاء القناة زبون
وحتى تذوقوا كأس من كان قبلكم ويسلح منكم فى الحبال قرين
فان كنتم كَلْبَى فعندى شفاؤكم وللجن ان كان اعتراك جنون

قال ثم من ؟ قلت حكيم بن مُعَيَّة ، قال ومالك وله ؟ قال بلغنى أنه أعان على غسان السليطى ، قال فما قلت له ، قال قلت

اذا طلع الركبان نجداً وغوروا بهـا فزجرا يا ابنى مُعَيَّة أودعا
ألا انما كانت غضوب محاميا غداة اللِّوى لم تدفع الضيم مدفعا

قال ثم من ؟ قلت الاشهب بن رُمَيْلة النهشلى ، قال مالك وله ؟ قلت أعان علىَّ الفرزدق ، قال فما قلت له ؟ قال قلت

سيخزى اذا ضمت جلابيب مالك نوير ويخـزى عاصم وجميع
وقبلك ما أعيا الرماة اذا رموا صفًا ليس فى قاراتهن صدوع

قال ثم من ؟ قلت الدَّلهَمْس ، قال مالك وله ؟ قلت أعان على الفرزدق ، قال فما قلت له ؟ قال قلت

لقد نفخت منك الوريد ابن عجلة خبيثـة ريح المنكبين قبوع
ولو أنجبت أم الدلهمس لم تعب فوارسنا ، لا مات وهو جميع
فلا تدنيا رجل الدلهمس انهـا بصير بما يأتى الرجال سميع
هو النخبة الخوار ما دون قلبه حجاب ولا حول الحجاب ضلوع

ثم مررت على مجلس لهم فاعتذرت اليهم فلم يقبلوا عذرى وأنشدونى شعراً لم يخبرونى من قاله

غضبت علينا أن علاك ابن غالب فهلا على جديك فى ذاك تغضب
هما اذ علا بالمرء لمسعاة قومه أناخا فشـداك العقال المؤرَّب

فعلمت أنه شعر قبضة الكلبى فجمعتهم فى شعرى فقلت

أكثر ما كانت ربيعة أنها حيان شتى لا أنيس ولا قفر
محالفهم فقر شديد وذلة وبئس الحليفان المذلة والفقر
فصبراً على ذل ربيع بن مالك وكل ذليل خير عادته الصبر

قال ثم من ؟ قلت هُبَيْرة بن الصَّلْت الرَّبعى كان يروى شعر الفرزدق ، قال فماذا قلت له ؟ قال قلت

يمشى هُبيرة بعد مقتل شيخه   مشى المراسل أوذنت بطلاق
ماذا أردت الىّ حين تحرقت   نارى وشمر متزرى عن ساقى
ان القِراف بمنخريك لبين   وسواد وجهك يا ابن أم عقاق
سيروا فرب مسبحين وقائل   هــذا شقا لبنى ربيعة باق
أبنى ربيعة قد أخس بحظهم   لؤم الجدود ودقة الاخلاق

قال ثم من ؟ قلت الطُّهوى كان يروى شـعر الفرزدق ، قال ما قلت له ؟ قال قلت

فما تتقون الشر حتى يصيبكم   ولا تعرفون الأمر الا تدبرا
ألا رب أعشى ظالم متخمط   جعلت لعينيــه جلاء فأبصرا

قال ثم من ؟ قلت عقبة بن السميع الطُّهوى وكان نذر دمى ، قال فما قلت له ؟ قال قلت

يا عقبَ يا ابن سميع ليس عنــدكمُ   مأوى الرفاق ولا ذو الراية العادى
يا عقب يا ابن سميع بعضَ قولكم   ان الوثاب لـكم عندى بمرصاد
ماظنكم ببنى ميثاء [1] ان فزعوا   ليلا وشد عليهم حيـة الوادى
يغدو علىّ أبو ليلى ليقتلنى   جهـلا علىّ ولم يثأر بشداد
ردوا علىّ وأرضوا بى صديقكمُ   واستسمعوا يا بنى ميثاء انشادى

قال ثم من ؟ قلت شحمة الاعور النبهانى كانت له امرأة من طيء ولدت فى بنى سليط فأعطوه وحملوه علىّ فسألنى فاشتط ولم يكن عندى فحرمته فقال

أقول لأصحابى النجاء فانه   كفى الذم أن يأتى الضيوف جرير
وهل يكرم الاضياف كلب لـكلبة   لها عند أطناب البيوت هرير
فلو عند غسان السَّليطى عرست   لعاقرن منها وهي كأس عقير

(١) ميثاء هى بنت زهير بن شداد الطهوى وأم عوف بن أبى سود بن مالك بن حنظلة

فتى هو خير منك نفساً ووالداً عليك اذا كان الجوار يجير

فقلت له

وجدنا بني نبهان أذناب طيء وللناس أذناب ترى وصدور

سنأتى بني نبهان منى قصائد تطلع من سلمى وهن وعور

ترى قدم المعزى مهور نسائكم وفى قدم المعزى لهن مهور

قال وطلع الصبح فنهض ونهضت ، قال فأخبرنى من كان قاعداً معه أنه قال قاتله الله أعرابياً انه لجرو هراش

أقبل راكب من اليمامة فمر بالفرزدق وهو جالس بالمربد فقال له من أين أقبلت ؟ قال من اليمامة ، قال فهل رأيت ابن المراغة ؟ قال نعم ، قال فأى شيء أحدث بعدى ؟ فأنشده

هاج الهوى لفؤادك المهتاج

فقال الفرزدق

فانظر بتوضح باكر الأحداج

فأنشد الرجل

هذا هوى شغف الفؤاد مُبَرِّح

فقال الفرزدق

ونوى تقاذف غير ذات خِلاج

فأنشد الرجل

ان الغراب بما كرهت لمولع

فقال الفرزدق

بنوى الأحبة دائم التشحاج

فقال الرجل هكذا والله قال أفسمعتها من غيري ؟ قال لا ولكن هكذا

ينبغي أن يقال أو ما علمت أن شيطاننا واحد ثم قال أمدح بهذا الحجاج ؟ قال نعم ، قال اياه أراد

التقى جرير والفرزدق بمنى وهما حاجان فقال الفرزدق لجرير

فانك لاق بالمنازل من منى فخاراً فخبرني بمن أنت فاخر

فقال له جرير « لبيك اللهم لبيك » قال اسحاق فكان أصحابنا يستحسنون هذا الجواب من جرير ويعجبون منه

قال حجنا بن جرير لأبيه يا أبت ماهجوت قوماً قط الا أفسدتهم سوى التيم ، فقال اني لم أجد حسباً أضعه ولا بناء أهدمه

كان لجرير أخوان هما عمرو وأبو الورد ، فأما أبو الورد فكان يحسد جريراً ، فذهبت لجرير ابل فشَمِتَ به أبو الورد فقال له جرير

أبا الورد أبقى الله منها بقية كفت كل لوّام خذول وحاسد

وأما عمرو فكان أكبر من جرير وكان يقارضه الشعر فقال له جرير

أعمرو قد كرهت عتاب عمرو وقد كثر المعاتب والذنوب

وقد صدّعت صخرة من رماكم وقد يُرمَى بيَ الحجر الصليب

وقد قطع الحديد فلا تماروا فِرِنْدٌ لا يُفَلّ ولا يذوب

أتى الفرزدق مجلس بنى الهُجَيم فى مسجدهم فأنشدهم ، وبلغ ذلك جريراً فأتاهم من الغد لينشدهم كما أنشدهم الفرزدق فقال له شيخ منهم يا هذا اتق الله فان هذا المسجد انما بنى لذكر الله والصلاة ، فقال جرير أقررتم للفرزدق ومنعتمونى وخرج مغضبا وهو يقول

ان الهُجَيم قبيلة ملعونة حُصُّ اللِّحى متشابهو الالوان

هم يتركون بنيهمُ وبناتهم صُعْرَ الانوف لريح كل دخان

لو يسمعون بأكلة أو شربة بعمان أصبح كلهم بعُمان

وخفة اللحى فى بنى الهُجَيم ظاهرة ، وقيـل لرجل منهم ما بالـكم يا بنى الهجيم حُصَّ اللحى ؟ قال ان الفحل واحد

قال عبد الملك أو الوليد ابنه لجرير من أشعر الناس ؟ فقال ابن العشرين ، قال فما رأيك فى ابنى أبى سُلْمى ؟ قال شعرهما نير يا أمير المؤمنين ، قال فما تقول فى امرىء القيس ؟ قال قد اتخذ الخبيث الشعر نعلين وأقسم بالله لو أدركته لرفعت ذلاذله ، قال فما تقول فى ذى الرُّمَّة ؟ قال قدر من ظريف الشعر وغريبه وحسنه مالم يقدر عليه أحد ، قال فما تقول فى الأخطل ؟ قال ما أخرج ابن النصرانية مافي صدره من الشعر حتى مات ، قال فما تقول فى الفرزدق ؟ قال فى يده والله يا أمير المؤمنين نَبْعَة من الشعر قد قبض عليها ، قال فما أراك أبقيت لنفسك شيئاً ، قال بلى والله يا أمير المؤمنين انى لمدينة الشعر التى منها يخرج واليها يعود ، نَسَبْت فأَطربت ، وهجوت فأَرديت ، ومدحت فسنَيت ، وأرملت فأَغزرت ، ورجزت فأَبحرت ، فأَنا قلب ضروب الشعر كلها وكل واحد منهم قال نوعا منها ، قال صدقت

قال جرير ما عشقت قط ولو عشقت لنسبت نسيباً تسمعه العجوز فتبكي على مافات من شبابها

قال سعيد بن بيهس الجرمى قدم جرير علي عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك وهو نازل بدير مِرّان فكنا نغدو اليه بكراً فيخرج الينا ويجلس فى برنس خز له لايكلمنا كلمة حتى يجيء طباخ عبد العزيز اليه بقدح من طلا مسخن يفور وبكتلة من سمن كأنهـا هامة رجل فيخوصها فيه ثم يدفعه اليه فيأتى عليه ويقبل علينا ويحدثنا فى كل فن وينشدنا لنفسه ولغيره حتى يحضر غداء عبد العزيز فنقوم اليه جميعاً وكان يختم مجلسه بالتسبيح فيطيل ، فقال له رجل ما يغنى عنك هذا التسبيح مع قذفك للمحصنات ؟ فتبسم وقال يا ابن أخى « خلطوا عملا صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم » انهم والله يا ابن أخى يبدؤنى ثم أحلم

أبق غلامان لرجل من دارم فحدث فقال خرجت في طلبهما وأنا على ناقة لى عَيْساء كَوْماء أريد اليمامة فلما صرت فى ماء لبنى حنيفة يقال له الصرصران ارتفعت سحابة فرعدت وبرقت وأرخت عزاليها فعدلت الى بعض ديارهم وسألت القِرى فأجابوا فدخلت داراً لهم وأنخت الناقة وجلست تحت ظلة لهم من جريد النخل وفى الدار جويرية لهم سوداء اذ دخلت جارية كأنها سبيكة من فضة وكأن عينيها كوكبان دُرّيان ، فسألت الجارية لمن هذه العَيْساء ؟ « تعنى ناقتى » فقالت لضيفكم هذا ، فعدلت الى فقالت السلام عليكم ، فرددت عليها السلام فقالت ممن الرجل ؟ فقلت من بنى حنظلة ، فقالت من أيهم ؟ فقلت من بنى نَهْشَل ، فتبسمت وقالت أنت اذاً ممن عناه الفرزدق بقوله

ان الذى سمك السماء بنى لنا ... بيتاً دعائمه أعز وأطول
بيتاً بناه لنا المليك وما بني ... ملك السماء فانه لا يُنْقَل
بيتا زُرارة مُحْتبٍ بفنائه ... ومجاشع وأبو الفوارس نَهْشَل

فقلت نعم جعلت فداك وأعجبنى ما سمعت منها ، فضحكت وقالت فان ابن الخَطَفى قد هدم عليكم بيتكم هذا الذى فخرتم به حيث يقول

أخزي الذي رفع السماء مجاشعاً ... وبنى بناء بالحضيض الأسفل
بيتاً يحمم قينكم بفنائه ... دنساً مقاعده خبيث المدخل

فوَجَمْت ، فلما رأت ذلك فى وجهى قالت لا عليك فان الناس يقال فيهم ويقولون ، ثم قالت أين تؤم ؟ قلت اليمامة ، فتنفست الصُعَداء ثم قالت هاهى تلك أمامك ، ثم أنشأت تقول

تذكرنى بلاداً خير أهلى ... بها أهل المروءة والكرامة
ألا فسقى الاله أجَشَّ صوبا ... يسحّ بدُرّهم بلد اليمامة
وحيا بالسلام أبا نجيد ... فأهل للتحية والسلامة

فأنست بها وقلت لها أذات خِدْن أم ذات بعل ؟ فأنشأت تقول

اذا رقد النيام فان عمراً   تؤرقه الهموم الى الصباح
تقطع قلبه الذكرى وقلبى   فلا هو بالخلى ولا بصاح
سقى الله اليمامة دار قوم   بها عمرو يحن الى الرواح

فقلت لها من عمرو هذا ؟ فأنشأت تقول

سألت ولو علمت كففت عنه   ومن لك بالجواب سوى الخبير
فان تك ذا قبول ان عمراً   هو القمر انضىء لمستنير
ومالي بالتبعل مستراح   ولو رد التبعل لي أسيرى

ثم سكتت سكتة كأنها تستمع الى كلام ثم تهانفت وأنشأت تقول

يخيل لي هيا عمرو بن كعب   كأنك قد حملت على سرير
يسير بك الهوينا القوم لما   رماك الحب بالغلق اليسير
فان تك هكذا يا عمرو انى   مبكرة عليك الى القبور

ثم شهقت شهقة نخرت ميتة ، فقلت لهم من هذه ؟ فقالوا عقيلة بنت الضحاك ابن عمرو بن محرق بن النعمان بن المنذر بن ماء السماء ، فقلت لهم فمن عمرو هذا ؟ قالوا ابن عمها عمرو بن كعب بن محرق ، فارتحلت من عندهم ، فلما دخلت اليمامة سألت عن عمرو هذا فاذا هو قد دفن فى ذلك الوقت الذى قالت فيه ما قالت

وقف جرير على باب عبد الملك بن مروان والأخطل داخل عنده وقد كانا تهاجيا ولم يلق أحدهما صاحبه ، فلما استأذنوا لجرير أذن له فسلم وجلس وقد عرفه الأخطل ، فطمح بصر جرير اليه ، فقال له من أنت ؟ فقال أنا الذى منعت نومك وهضمت قومك ، فقال له جرير ذلك أشقى لك كائناً من كنت ، ثم أقبل على عبد الملك فقال من هذا يا أمير المؤمنين ؟ فضحك وقال هذا الأخطل يا أبا حزْرة ، فرد بصره اليه وقال فلا حياك الله يا ابن النصرانية ، أما منعك نومى فلو نمت عنك

لكان خيراً لك وأما تهضمك قومي فكيف تهضمهم وأنت ممن ضربت عليه الذلة والمسكنة وباء بغضب من الله ائذن لي يا أمير المؤمنين فى ابن النصرانية ، فقال لا يكون ذلك بين يدي ، فوثب جرير مغضباً ، فقال عبد الملك قم يا أخطل واتبع صاحبك فانما قام غضباً علينا فيك ، فنهض الأخطل ، فقال عبد الملك لخادم له انظر ما يصنعان اذا برز له الأخطل ، فخرج جرير فدعا بغلام له فقدم اليه حصاناً له أدهم فركبه وهدر والفرس يهتز من تحته وخرج الأخطل فلاذ بالباب وتوارى خلفه ولم يزل واقفاً حتى مضى جرير ، فدخل الخادم الى عبد الملك فأخبره فضحك وقال قاتل الله جريراً ما أفحله ، أما والله لو كان النصرانى برز اليه لأكله

قيل لأبى مهدى الباهلى وكان من علماء العرب أيما أشعر أجرير أم الفرزدق؟ فغضب ثم قال جرير أشعر العرب كلها ثم قال لا يزال الشعراء موقوفين يوم القيامة حتى يأتى جرير فيحكم بينهم

أتى الحجاج بجارية بيضاء مديدة القامة ، فقال لجرير ان أصبت صفتها فهى لك ، فقال ما اسمها ؟ قال أمامة ، فأنشأ يقول

ودع أمامة حان منك رحيل ان الوداع لمن تحب قليل
مثل الكثيب تميلت أعطافه فالريح تجبر متنه وتميل
تلك القلوب صواديا تيمتها وأرى الشفاء وما اليه سبيل

فقال خذ بيدها ، فبكت الجارية وانتحبت ، فقال ادفعوها اليه بمتاعها وبغلها ورحالها

قال الحجاج لجرير والفرزدق وهو في قصره بالبصرة ائتيانى فى لباس آبائكما فى الجاهلية ، فلبس الفرزدق الديباج والخز وقعد فى قبة ، وشاور جرير دهاة بنى يربوع ، فقالوا له ما لباس آبائنا الا الحديد ، فلبس جرير درعاً وتقلد سيفاً وأخذ رمحاً وركب فرساً لعباد بن الحصين يقال له المنحاز وأقبل فى أربعين فارساً من بنى يربوع ، وجاء الفرزدق فى هيئته ، فقال جرير

لبست سلاحى والفرزدق لعبة عليه وشاحا كُرَّج وخلاخله

أعدوا مع الخز المَلاَبَ فانما جرير لكم بعل وأنتم حلائله

ثم رجعا فوقف جرير فى مقبرة بني حصين ووقف الفرزدق فى المِرْبَد

لقى الفرزدق عمر بن عطية أخا جرير وهو حينئذ يهاجى ابن لَجأ فقال له ويلك قل لأخيك ثكلتك أمك ائت التيمى من عل كما أصنع بك أنا ، وكان الفرزدق قد أنف لجرير وحمى من أن يتعلق به التيمى ، قال ابن سلام فأنشدنى له خَلَف الأحمر يقوله للتيمى

وما أنت ان قَرْما تميم تساميا أخا التيم الا كالوشيظة في العظم

فلو كنت مولى العز أو فى ظلاله ظلمت ولكن لايدَىْ لك بالظلم

فقال له التيمى

كذبت أنا القرم الذى دق مالكاً وأفناء يَرْبوع وما أنت بالقَرْم

قال ابن سلام فحدثني أبو العراف أن رجال تميم مشت بين جرير والتيمى وقالوا والله ما شعراؤنا الا بلاء علينا ينشرون مساوينا ويهجون أحياءنا وموتانا ، فلم يزالوا بهما حتى أصلحوا بينهما بالعهد والمواثيق المغلظة ألا يعودا فى هجاء ، فكف التيمى وكان جرير لا يزال يقول الواحدة بعد الواحدة فيه ، فيقول التيمى والله ما نقضت هذه ولا سمعتها فيقول جرير هذه كانت قبل الصلح ، قال عبد الرحمن بن حرملة لما ورد علينا هجاء جرير والتيمى قال سعيد بن المسيب أتروى شيئاً مما قالا ؟ فأتيته وقد استقبل القبلة يريد أن يكبر ، فقال لي أرويت ؟ قلت نعم ، فأقبل عليَّ بوجهه ، فأنشدته للتيمى وهو يقول هيه هيه ، ثم أنشدته لجرير ، فقال أكله أكله

قال جرير لرجل من بنى طُهَيَّة أيما أشعر أنا أم الفرزدق ؟ فقال له أنت عند العامة وهو عند العلماء ، فصاح به جرير أنا أبو حزرة غلبته ورب الكعبة ما فى كل مائة رجل عالم واحد

قال أبو الأخضر الخارق بن الأخضر القيسى انى كنت والله الذى لا إله إلا هو أخص الناس بجرير وكان ينزل اذا قدم على عبد الملك بن سعيد بن عبد الله بن خالد بن أسيد وكان عدىّ بن الرقاع خصاً بالوليد مداحاً له ، وكان جرير يجيء الى باب الوليد فلا يجالس أحداً من النزارية ولا يجلس الا الى رجل من اليمن بحيث يقرب من مجلس ابن الرقاع الى أن يأذن الوليد للناس فيدخل ، فقلت له يا أبا حزرة اختصصت عدوك بمجلسك ، فقال انى والله ما أجلس اليه الا لأُنشده أشعاراً تخزيه وتخزى قومه قال ولم يكن ينشـده شيئاً من شعره وانما كان ينشد شعر غيره ليذله ويخوفه نفسه ، فأذن الوليد للناس ذات عشية ، فدخلوا ودخلنا ، فأخذ الناس مجالسهم وتخلف جرير فلم يدخل حتى دخل الناس وأخذوا مجالسهم واطمأنوا فيها ، فبينما هم كذلك اذا بجرير قد مثَلَ بين السماطين يقول السـلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله ان رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي فى ابن الرُّقاع المتفرقة أؤلف بعضها الى بعض ، وأنا جالس أسمع ، فقال الوليد والله لهممت أن أخرجه على ظهرك الى الناس ، فقال جرير وهو قائم كما هو

فان تنهني عنه فسمعاً وطاعة   والا فانى عُرْضَـــة للمراجم

فقال الوليد له لا أكثر الله فى الناس أمثالك ، فقال له جرير يا أمير المؤمنين انما أنا واحد قد سعرت الأُمة ، فلو كثر أمثالي لأكلوا الناس أكلاً ، قال فنظرت والله الى الوليد تبسم حتى بدت ثناياه تعجباً من جرير وجلده ، ثم أمره فجلس

قال جرير ما ندمت على هجائى بنى نمير قط الا مرة واحدة فانى خرجت الى الشام فنزلت بقوم نزول فى قصر لهم فى ضيعة من ضياعهم وقد نظرت اليه من بين القصور مشيداً حسناً وسألت عن صاحبه ، فقيل لي هو لرجل من بنى نمير ، فقلت هذا شآم وأنا بدوي لا يعرفني ، فجئت فاستضفت ، فلما أذن ودخلت عليه عرفني وقرانى أحسن القِرَى ليلتين ، فلما أصبحت جلست ودعا بنية له فضمها اليه وترشفها فاذا هى أحسن الناس وجهاً ولها نشر لم أَشَمّ أطيب منه فنظرت الى عينيها فقلت

تالله ما رأيت أحسن من عيني هذه الصبية ولا من حورها قط وعوذتها ، فقال يا أبا حزرة أسوداء المحاجر هي ؟ فذهبت أصف طيب رائحتها ، فقال أمن وبر هي ؟ فقلت يرحمك الله ان الشاعر ليقول ووالله لقد ساءني ما قلته ولكن صاحبكم بدأني فانتصرت وذهبت أعتذر ، فقال دع ذا عنك أبا حزرة فوالله مالك عندي الا ما تحب قال وأحسن والله إليَّ وزوّدني وكساني ، فانصرفت وأنا أندم الناس على ما سلف مني الى قومه ، يشير الرجل بسؤاله الى قول جرير في بائيته يذم نساء بني نمير

وخضراء المغابن من نُمَير ... يشين سوادُ مَحْجِرها النقابا

تَطَلَّى وهي سيئة المُعَرَّى ... بصِنّ الوَبْر تحسبه مَلَابا

نازع جرير بني حِمّان في رَكِيّة لهم فصاروا الى ابراهيم بن عدى باليمامة يتحاكمون اليه فقال جرير

أعوذ بالأمير غير الجبار ... من ظلم حِمّان وتحويل الدار

ما كان قبل حفرنا من محفار ... وضربي المنقار بعد المنقار

في جبل أصَمَّ غير خَوَّار ... يصيح بالحب صياح الصَرَّار

له صليل كصليل الأمهار ... فاسأل أبا عصم ورهط الجرار

والسلميين العظام الأخطار ... والجار قد يخبر عن دار الجار

فقال الحِمّاني

ما لكليب من حمى ولا دار ... غير مُقام أُتُن وأعيار

قُعْس الظهور داميات الأثفار

فقال جرير فعن مقامهن جعلت فداك أجادل ، فقال ابن عدى للحماني لقد أقررت لخصمك وحكم بها لجرير

بينا جرير يسير براحلته اذ هجم على أبيات من مازن وهلال وهما بطنان من ضبة فخافهم لسوء أثره في ضبة فقال

فلا خوف عليك ولن تُراعى لعقوة مازن وبني هلال
هما الحيان ان فزعا يطيرا الي جُرْد كأمثال السَّعالى
أمازنُ يا ابن كعب ان قلبي لكم طول الحياة اغير قال
غطاريف يبيت الجار فيهم قرير العين من أهل ومال

قالوا أجل يا أبا حَزْرة فلا خوف عليك

قال هشام بن عبد الملك لشَبَّة بن عقال وعنده جرير والفرزدق والأخطل وهو يومئذ أمير ألا تخبرنى عن هؤلاء الذين مزقوا أعراضهم وهتكوا أستارهم وأغرَوْا بين عشائرهم فى غير خير ولا بر ولا نفع أيهم أشعر ؟ فقال شَبَّة أما جرير فيغرف من بحر وأما الفرزدق فينحت من صخر وأما الأخطل فيجيد المدح والفخر فقال هشام مافسرت لنا شيئاً نحصله ، فقال ما عندى غير ما قلت ، فقال لخالد بن صفوان صفهم لنا يا ابن الأهتَم فقال — أما أعظمهم فخراً وأبعدهم ذكراً وأحسنهم عذراً وأشدهم ميلا وأقلهم غزَلا وأحلاهم عللا الطامى اذا زخر والحامى اذا زَأَر والسامى اذا خطر الذي ان هدر قال وان خطر صال الفصيح اللسان الطويل العنان فالفرزدق . وأما أحسنهم نعتا وأمدحهم بيتا وأقلهم فوتا الذى ان هجا وضع وان مدح رفع فالأخطل . وأما أغزرهم بحراً وأرقهم شعراً وأهتكهم لعدوه سترا الأغر الأبلق الذى ان طَلب لم يُسبق وان طُلب لم يلحق فجرير ، وكلهم ذكى الفؤاد رفيع العماد وارى الزِّناد ، فقال له مسلمة بن عبد الملك ما سمعنا بمثلك يا خالد فى الأولين ولا رأينا فى الآخرين وأشهد أنك أحسنهم وصفاً وألينهم عطفاً وأعفهم مقالا وأكرمهم فعالا ، فقال خالد أتم الله عليكم نعمه وأجزل لديكم قسمه وآنس بكم الغربة وفرج بكم الكربة وأنت والله ماعلمت أيها الامير لكريم الغِراس عالم بالناس جواد فى المحْل بسّام عند البذل حليم عند الطيش فى ذروة قريش ولُباب عبد شمس ويومك خير من أمس ، فضحك هشام وقال مارأيت كتخلصك يا ابن صفوان فى مدح هؤلاء ووصفهم حتى أرضيتهم جميعاً وسلمت عليهم

قال محمد بن المهاجر دخلنا على جرير في نفر من قريش فى علته التى مات فيها فالتفت الينا فقال

أهلا وسهلا بقوم زينوا حسبى ... وان مرضت فهم أهلى وعوادى
ان تجر طير بأمر فيه عافية ... أو بالفراق فقد أحسنتمُ زادى
لو أن ليثاً أبا شبلين أوعدنى ... لم يسلمونى لليث الغابة العادى

الشمردل اليربوعى

هو الشَّمردل بن شريك اليربوعى من يربوع بن حنظلة

شاعر اسلامى من شعراء الدولة الأموية كان فى أيام جرير والفرزدق

خرج هو واخوته حكم ووائل وقدامة الى خراسان مع وكيع بن أبى سود ، فبعث وكيع أخاه وائلا فى بعث لحرب الترك ، وبعث أخاه قدامة الى فارس فى بعث آخر ، وبعث أخاه حكماً فى بعث الى سِجستان ، فقال له الشمردل ان رأيت أيها الامير أن تنفذنا معاً في وجه واحد فانا اذا اجتمعنا تعاونا وتناصرنا وتناسبنا فلم يفعل ما سأله وأنفذهم الى الوجوه التي أرادها فقال الشمردل يهجوه وكتب بها الى أخيه حكم مع رجل من بنى جشم بن أد بن طابخة

انى اليك اذا كتبت قصيدة ... لم يأتني لجوابها مرجوع
أيضيعها الجُشَمى فيما بيننا ... أم هل اذا وصلت اليك تضيع
ولقد علمت وأنت عنى نازح ... فيما أتى كبد الحمار وكيع
وبنو غُدانة كان معروفاً لهم ... أن يهضموا ويضيمهم يربوع
وعمارة العبد المبين انه ... واللؤم فى بدن القميص جميع

ولم ينشب أن جاءه نعى أخيه قدامة من فارس قتله جيش لقوهم بها ثم تلاه نعى أخيه وائل بعده بثلاثة أيام فقال يرثيهما

أعاذلَ كم من رَوْعة قد شهدتها وغُصّة حزن فى فراق أخ جزْل
اذا وقعت بين الحيازيم أسدفت علىّ الضحى حتى تُنَسِّينى أهلى
وما أنا الا مثل من ضربت له أُسَى الدهر عن إبنى أب فارقا مثلى
أقول اذا عزيت نفسى باخوة مضَوْا لاضعافٍ فى الحياة ولا عُزْل
أبى الموت إلا فَجْعَ كل بنى أب سيُمْسُون شتّى غير مجتمعى الشّمل
سبيل حبيبىّ اللذين تبرضا دموعى حتى أسرع الحزن فى عقلى
كأن لم نسر يوماً ونحن بغبطة جميعاً ولم ينزل برحلهما رحلى
فعينىّ ان أفضلتما بعد وائل وصاحبه دمعاً فعودا على الفضل
خليليَّ من دون الأخلاء أصبحا رهينىْ وفاء من وفاة ومن قتل
فلا يبعدا للداعيين اليهما اذا اغبر آفاق السماء من المَحْل
فقد عدِم الأضياف بعدهما القرى وأخمد نار الليل كل فتى وَغْل
وكانا اذا أيدى الغضاب تحطمت لواغر صدر أو ضغائنَ من تَبْل
تحاجز ايد جهل القول عنهما اذا أتعب الحلم التبرع بالجهل
كميثا سدى عرِّيسه لهما بها حمى هابه من بالحزونة والسهل

وقال يرثى أخاه وائلا وهى من من مختار المراثى وجيد شعره

لعمرى لئن غالت أخى دار فرقة وآب الينا سيفه ورواحله
وحلت به أثقالها الارض وانتهت بمثواه منها وهو عفٌّ مآكله
لقد ضمنتْ جلْد القُوى كان يتقى به جانب الثغر المخوف زلازله
وَصول اذا استغنى وان كان مقتراً من المال لم يُحفِ الصديقَ مسائله
محل لأضياف الشتاء كأنما همُ عنده أيتامه وأرامله
رخيص نضيج اللحم مغل بنيئه اذا بَرَدت عند الصِّلاء أنامله
أقول وقد زممت عنه فأسرعت إلىّ بأخبار اليقين محاصله

الى الله أشكو لا الى الناس فقده ولوعة حزن أوجع القلب داخله
وتحقيق رؤيا فى المنام رأيتها فكان أخى رمحاً ترفص عامله (١)
سقى جدثاً أعراق غمرة دونه ببيشة ديمات الربيع ووابله
بمثوى غريب ليس منا مزاره بدان ولا ذى الود منا مواصله
اذا ما أتى يوم من الدهر دونه فحياك عنا شرقه وأصائله
سنا صبح اشراق أضاء ومغرب من الشمس وافى جنح ليل أوائله
تحية من أدى الرسالة حببت اليه ولم ترجع بشيء رسائله
أبى الصبر أن العين بعدك لم يزل يخالط جفنيها قذى لا يزايله
تبرض بعد الجهد من عبراتها بقية دمع شجوها لك باذله
وكنت أعير الدمع قبلك من بكى فأنت على من مات بعدك شاغله
يذكرنى هيف الجنوب ومنتهى مسير الصبا رمساً عليه جنادله
وهتافة فوق الغصون تفجعت لفقد حمام أفردتها حبائله
من الورق بالأضياف نواحة الضحى اذا الفرقة التفت عليه غياطله
وسورة أيدى القوم اذ حلت الحبا حبا الشيب واستغوى أخا الحلم جاهله
فعينى اذ أبكاكما الدهر فابكيا لمن نصره قد بان منا ونائله
اذا استعربت عوذ النساء وشمرت مآزر يوم ما توارى خلاخله
وأصبح بيت الهجر قد حال دونه وغال أمرأ ما كان يخشى غوائله
وثقن به عند الحفيظة فارعوى الى صوته جاراته وحلائله
الى ذائد فى الحرب لم يك خاملا اذا عاذ بالسيف المجرد حامله
كما ذاد عن عريسة الغيل مخدر يخاف الردى ركبانه ورواحله
فما كنت ألقى لامرئ عند موطن أخاً بأخ لو كان حياً أبادله

(١) رأى فيما يرى النائم كأن سنان رمحه سقط

وكنت به أغشى القتال فعزّني … عليه من المقدار من لا أقاتله
لعمرك ان الموت منا لمولعَ … بمن كان يرجى نفعه ونوافله
فما البعد الا أننا بعد صحبة … كأن لم تبايت وائلا وتقابله
سقى الصقَرات الغيثُ ما دام ثاوياً … بهن وجادت أهل شوك مخايله
وما بي حب الارض الا جوارها … صداه وقول ظن أني قائله

ثم قتل أخوه حكم أيضاً في وجهه وبرز بعض عشيرته الى قاتله فقتله وأتى أخاه الشمردل أيضاً نعيه ، فقال يرثيه

يقولون احتسب حكما وراحوا … بأبيض لا أراه ولا يراني
وقبل فراقه أيقنت أني … وكل بني أب متفارقان
أخ لي لو دعوت أجاب صوتي … وكنت مجيبه أنى دعاني
فقد أفنى البكاء عليه دمعي … ولو أني الفقيد اذاً بكاني
مضى لسبيله لم يُعْطَ ضَيْماً … ولم ترهب غوائله الأداني
قتلنا عنه قاتله وكنا … نصول به لدى الحرب العوان
قتيلا ليس مثل أخي اذا ما … بدا الخَفِرات مذهول الجنان
وكنت سنان رمحي من قناتي … وليس الرمح الا بالسنان
وكنت بنان كفي من يميني … وكيف صلاحها بعد البنان
وكان يهابك الأعداء فينا … ولا أخشى وراءك من رماني
فقد أبدَوْا ضغائنهم وشدوا … اليّ الطرف واغتمزوا ليانى
فذاك أخ نبا عنه غناه … ومولى لا تصول له يدان

كان الشمردل مغرماً بالشراب وكان له نديمان يعاشرانه في حانات الخمارين بخراسان أحدهما يقال له ديكل من قومه والآخر من بني شيبان يقال له قبيصة فاجتمعوا يوماً على جزور ونحروه وشربوا حتي سكروا وانصرف قبيصة حافياً وترك نعله عندهم وأنسيها من السكر فقال الشمردل

شربت ونادمت الملوك فلم أجد ... على الكأس ندماناً لها مثل ديكل
أقل مِكاساً فى الجزور وان غلت ... وأسرع انضاجاً وانزال مرجل
ترى البازل الكوماء فوق خوانه ... مفصلة أعضاؤها لم تفصل
سقيناه بعد الرى حتى كأنما ... ترى حين أمسى أبرقىْ ذات مأسل
عشية أنسينا قبيصة فعله ... فراح الفتى البكرى غير منعّل

مدح الشمردل هلال بن أحوز المازنى واستماحه فوعده الرِّفد ثم ردده زماناً طويلا حتى ضجر ثم أمر له بعشرين درهما فدفعها اليه وكيله غلة فردها وقال يهجوه

يقول هلال كلما جئت زائراً ... ولا خير عند المازنى أعاوده
ألا ليتنى أُمسى و بيني و بينه ... بعيد مَناط الماء غُبْرٌ فدافده
غدًا نصفَ حول منه ان قال لي غدا ... و بعد غد منه كحول أراصده
ولو أنني خيرت بين غَدَاته ... و بين برازى دَيْلميًا أجالده
تعوضت من ساقى عشرين درهما ... أتانى بها من غلة السوق ناقده
ولو قيل مثلا كنز قارون عنده ... وقيل التمس موعوده لا أعاوده
ومثلك منقوص اليدين رددته ... الى محتد قد كان حيناً يجاحده

كان ضَبّى نازلا فى بني دارم وكان عدواً للشمردل ثم خرج فى البعث الذى فيه اخوه الشمردل فلما قتلوا بلغ الشمردل سرور الضَّبِّي بذلك وشماته بمصيبته فقال

يأيها المبتغى شتمى لأشتمه ... ان كنت أعمى فانى عنك غير عَمِ
ما ارضعت مُرضع سَخْلًا أعق بها ... فى الناس لا عرب فيها ولا عجم
من ابن حنكلة[1] كانت وان عربت ... مذالة لقدور الناس والكرم
عوى ليكسبها شراً فقلت له ... من يكسب الشر ثديى أمه يُلَم
ومن تعرض شتمى يلق معطسه ... من النشوق الذى يشفى من اللمم

(١) الحنكلة الدميمة السوداء من النساء

أولا تحسبك رهطا أن يفيدهم لا يغدرون ولا يوفون بالذمم
متى أجئك وتسمع ما عُنيتُ به تُطرق على قذعٍ أو ترض بالسَّلَم
ليسوا كثعلبة المغبوط جارهم كأنه في ذرى ثهلان أو خِيَمَ
يشبهون قريشاً من تكلمهم وطول أَنْضية[1] الأعناق واللمم
اذا غدا المسك يجري في مفارقهم راحوا كأنهمُ مرضى من الكرم
جزوا النواصي من عجل وقد وطئوا بالخيل رهط أبي الصهباء والحُطَمَ
ويوم أفلتهن الحَوْفَزان وقد شالت عليه أكف القوم بالخدم
اني وان كنت لا أنسى مُصابهمُ لم أدفع الموت عن ريق ولا حكم
لا يبْعَدَنَّ فتى جود ومكرمة لدفع ضيم وقتل الجوع والقَرَم
والبعد غالهم عني بمنزلة فيها تفرق أحياء ومخترم
وما بناء وان سدت دعائمه الا سيصبح يوماً خاوي الدِّعَم[2]
لئن نجوت من الأجداث أو سلمت منهن نفسك لم تسلم من الهَرَم

ومن شعره يرثي عمر بن يزيد الأسدي وكان صديقاً له ومحسناً اليه كثير البر به والرفد له

لبث الصباح وأسلمته ليلة طالت كأن نجومها لا تبرح
من صولة يحتاج أخرى مثلها حتى ترى السَّدَف[3] القيام النوح
عطلن أيديهن ثم تفجعت ليل التمام بهن عبرى تصدح
وحليلة رزئت وأخت وابنة كالبدر تنظره عيون لُمَّح
لا يَبْعَد ابن يزيد سيد قومه عند الحفاظ وحاجة تستنجح
حامي الحقيقة لا تزال جياده تغدو مُسَوَّمة به وتُرَوَّح
ساد العراق وكان أول رافد تأتي الملوك به المهاري الطُّلَّح

---

(١) جمع نضي وهو عظم العنق (٢) جمع دعام وهو عماد البيت (٣) السدف ظلمة الليل

يعطى الغلاء بكل مجد يشترى ان المغالى بالمكارم أربح

كان ذئب قد لازم مرعى غنم للشمردل فلا يزال يفرس منها الشاة بعد الشاة فرصده ليلة حتى جاء لعادته ثم رماه بسهم فقتله وقال فيه

هل خبر السرحان اذ يستخبر عنى وقد نام الصحاب السمَّر
لما رأيت الضأن منه تنفر نهضت وسنان وطاب المئزر
وراع منها مرح مستبهر كأنه إعصار ريح أغبر
فلم أزل أطرده ويعكر حتى اذا استيقنته لا أعذر
وان عقرى غنمي ستكثر طار بكفى وفؤادي أوجر
ثمت أهويت له لا أزجر سهما فولى وهو عنه يعثر
وبت ليلي آمناً أكبر

وأنشد له الاصمعي وكان يستحسنها ويقول انها لمن ظريف الكلام

ثم استقل منعمات كالدمى شُمُس العتاب قليلة الأحقاد
كذُب المواعد ما يقال أخو الهوى منهن بين مودة وبعاد
حتى ينال حبالهن معلقا عقل الشريد وهن غير شراد
والحب يصلح بعد هجر بيننا ويهيج معتبة بغير بعاد

الأُبيرد

هو الأُبيرد بن المعذَّر بن عبد قيس الرياحى من رياح بن يربوع

شاعر فصيح بدوى من شعراء الاسلام وأول دولة بني أمية وليس بمكثر ولا ممن وفد الي الخلفاء فمدحهم

كان يهوى امرأة من قومه ويجن بها حتى شهر ما بينهما فحجبت عنه وخطبها فأبوا أن يزوجوها اياه ، ثم خطبها رجل من ولد حاجب بن زُرارة فزوجته فقال الأبيرد فى ذلك

اذا ما أردت الحسن فانظر الى التى تبغى لقيط قومه وتخيرا
لها بشر لو يدرج الذر فوقه لبان مكان الذر فيه فأثرا
لعمري لقد أمكنت منا عدونا وأقررت للوادى فأحيا وأزهرا

هجا حارثة بن بدر فقال

ألا ليت حظى من غدانة أنها تكون كفافاً لا عليَّ ولا ليا
أبى الله أن يهدى غدانة للهدى وألَّا تكون الدهر إلا مواليا
ولو أنني ألقى ابن بدر بموطن يعينه من أولينا المساعيا
تقاصر حتى يستفيد وبذه قروم تسامى من رياح تساميا
أبى فارط الحى الذى قد حشا لكم من المجد أنهاء[1] ملاء الخوابيا
وعمى الذى فك السميدع عنوة فلست بنعمى يا ابن عقرب جازيا
كلانا غني عن أخيه حياته ونحن اذا متنا أشد تغانيا
ألم ترنا اذ سقت قومك سائلا ذوى عدد للسائلين معاطيا
بني الردف[2] حمالين كل عظيمة اذا طلعت والمترعين الجوابيا
وانا لنعطى النصف من لو نضيمه أقر ولكنا نحب العوافيا

تفاخر مرة بن محكان السعدى وابن عم له يقال له عُرادة فغلبه مرة فبعث عبيد الله بن زياد فأخذ مرة فحبسه ، ووقع بعد ذلك من قومه لحاء فكانت بينهم شجاج ثم تكافأوا وتواتقوا على الديات فأتى مرة وهو محبوس فعرف ذلك فتحمل جميعها فى ماله فقال فيه الأبيرد

فلله عينا من رأى من مكبَّل كمرَّة إذ شُدَّت عليه الأداهم

(١) جمع نهى بالكسر والفتح وهو الغدير (٢) الردف الذى عناه هو جده عتاب بن هرمى بن رياح كان ردف النعمان بن المنذر اذا ركب ركب وراءه واذا جلس جلس عن يمينه واذا غزا كان له المرباع واذا شرب الملك سقى بكأسه بعده وكان بعد ابنه قيس بن عتاب يردف النعمان

فأبلغ عبيد الله منى رسالة   فانك قاض بالحكومة عالم
حسبت كريماً أن يجود بماله   ستعرف ما فى قومة من تفاقم
فان أنت عاقبت ابن محكاز فى الندى   فعاقب هداك الله أعظُم حاتم
تعاقب خرقا أن يجود بماله   سعى في ثَأْى من قومة فى تفاقم
كأن دماء القوم اذ علقت به   على مكفهرٍ من ثنايا المخارم

ومما رثى به الأبيرد أخاه بريداً وهى من جيد الشعر ومختار المراثى

تطاول ليلي لم أنمه تقلباً   كأن فراشى حال من دونه الجمر
أراقب من ليل السماء تمامه   لدن غاب قرن الشمس حتى بدا الفجر
تذكرت قرماً بان منا بنصره   ونائله يا حبذا ذلك الذكر
فان تكن الأيام فرقن بيننا   فقد عذرتنا فى صحابتنا العُذْر
وكنت أرى هجراً فراقك ساعة   ألا لا بل الموت التفرق والهجر
أحقاً عباد الله أن لست لاقياً   بُرَيْداً طوال الدهر ما لألأ[1] العفْر
فتى ان هو استغنى تخرق[2] فى الغنى   فان قل مالاً لم يؤُدْ متنه الفقر
وسامى جسيمات الامور فنالها   على العسر حتى يدرك العُسْرَة اليُسْر
ترى القوم فى العزّاء[3] ينتظرونه   اذا ضل رأى القوم أو حزب الامر
فليتك كنت الحى فى الناس باقياً   وكنت أنا الميت الذى غيَّب القبر
فتى يشترى حسن الثناء بماله   اذا السنة الشهباء[4] قل بها القطر
كأن لم يصاحبنا بُرَيْد بغبطة   ولم تأتنا يوماً بأخباره البُشْر
لعمري لنعم المرء عالى نَعِيَّه   لنا ابن عرين بعد ما جنح العصر

(١) لألأ حرك أى حرك ذنبه (٢) تخرق توسع ويؤد يثقل (٣) العزاء الذى يعزك أى يغلبك ويقهرك (٤) الشهباء السنة التى يكثر الجليد فيها من شدة البرد، وهذا أكثر ما يكون عندهم من الشمال لانها فى بلادهم باردة يابسة تفرق السحاب

تمضت به الأخبار حتى تغلغلت ولم تثنه الأطباع [1] عنا ولا الجدر
ولما نعى الناعى بريداً تغوّلت بى الأرض فرط الحزن وانقطع الظهر
عساكر تغشى النفس حتى كأنني أخو سكرة طارت بهامته الخمر
الى الله أشكو فى بريد مصيبتى وبثى وأحزاناً تضمنها الصدر
وقد كنت أستعفى الهى اذا شكا من الأجر لى فيه وان سرنى الأجر
وما زال فى عينيّ بعد غشاوة وسمعى عما كنت أسمعه وقر
على اننى أقنى الحياء وأتقى شماتة أعداء عيونهم خزر
فحياك عنى الليل والصبح إذ بدا وهُوجٌ من الارواح غدوتها شهر
سقى جدثاً لو أستطيع سقيته بأوْدَ فرواه الرواعد والقطر
ولا زال يسقى من بلاد ثوى بها نبات اذا صاب الربيع بها نضر
حلفت برب الرافعين أكفهم ورب الهدايا حيث حل بها النحر
ومجتمع الحجاج حيث توافقت رفاق من الآفاق تكبيرها جأر
يمين امرىء آلى وليس بكاذب وما فى يمين قالها صادق وزر
لئن كان أمسى ابن المعذّر قد ثوى بُرَيْد لنعم المرء غيبه القبر
هو المرء للمعروف والبر والندى ومِسعَر حرب لا كهام ولا غمر
أقام فنادي أهله فتحملوا وصُرّمت الاسباب واختلط النجْز
فتى كان يُغلى اللحم نيئاً ولحمه رخيص بكفيه اذا ينزل القدر
فتى الحى والاضياف ان روّحتهم بليل وزاد السفْر ان أرمل السفر
اذا جارة حلّت لديه وفى لها فبانت ولم يهتك لجارته ستر
عفيف عن السوْءات ما التبست به صليب فما يلفى لعود له كسر
سلكت سبيل العالمين فما لهم وراء الذى لاقيت معْدى ولا قصْر

(١) يريد بالاطباع الخواتم والطابع الخاتم فحذف الزائد فصار طبعا فجمعه على أطباع ويروى الاصناع جمع صنع بالكسر وهو محبس الماء

وكل امرىء يوماً سيلقى حِمامه — وان نأت الدعوى وطال به العمر
وأبليت خيراً فى الحياة وانما — ثوابك عندى اليوم أن ينطق الشعر

وقال يرثيه أيضاً وهى قصيدة طويلة

اذا ذكرت نفسى بُرَيدا تحاملت — الي ولم أملك لعينى مدمعا
وذكرنيك الناس حين تحاملوا — عليَّ وأضحوْا جلد أجرب مولعا
فلا يبعدنك الله خير أخى امرىء — فقد كنت طلّاع النِّجاد سَمَيْدَعا
وصولا لذى القربى بعيداً عن الخنا — اذا ارتادك الجادى من الناس أمرعا
أخو ثقة لاينتحى القوم دونه — اذا القوم جالوا أورجا الناس مطمعا
ولا يركب الوَجْناء دون رفيقه — اذا القوم أزجَوْهن حَسْرى وظُلَّعا

كانت بنو عجل قد جاورت بنى يَرْبوع فى سنة أصابت عِجْلاً ، فكان الأبيرد يعاشر رجلاً منهم يقال له سعد ويجالسه ، وكان قصده امرأة سعد هذا ، فمالت اليه فومقته ، وكان الأبيرد جميلاً شاباً ظريفاً طريراً ، وكان سعد شيخاً هِمّاً ، فذهب بها كل مذهب حتى ظهر أمرهما ، وتحدث الناس بهما ، واتهم الأبيرد بها ، فشكاه الى قومه واستعذرهم منه ، فقالوا له مالك تتحدث الى امرأة الرجل ؟ فقال وما بأس بذلك ؟ وهل خلا عربى منه ؟ قالوا قد قيل فيكما ما لا قرار عليه ، فاجتنب محادثتها وإياك أن تعاودها ، فقال الأبيرد ان سعداً لا خير فيه لزوجته ، فقالوا له وما عليك من ذلك ؟ دع الرجل وامرأته ولا تعاودها ولا تجلس اليها ، فقال الأبيرد فى ذلك

ألم ترَ أن ابن المعذر قد صحا — وودع ما يَلْحَى عليه عواذله
غدا ذو خلاخيل عليَّ يلومني — وما لوم عذّال عليه خلاخله
فدع عنك هذا الحلى ان كنت لائما — فانى امرؤ لا تزدهيني صلاصله
اذا خطرت عَنْس به شَدَنيّة (١) — بمطّرِد الأرواح ناء مناهله

(١) الشدنيات من النوق منسوبة الى موضع باليمن أو فحل كريم

فبين أقوام سفاهة رأيهم ترحل عنهم وهو عف منازله
تبرأت من سعد وخلة بيننا فلا هو معطيني ولا أنا سائله

فاعترضه سلمان العجلى فهجاه وهجا بنى رياح ، فقال

لعمرك انني وبنى رياح لكالعاوى فصادف سهم رام
يسوقون ابن وجرة مزبئرا (١) ليحميهم وليس لهم بحام
وكم من شاعر لبنى تميم قصير الباع من بقر نيام
كسوباً اذ يخرق ملبسيه دواء يبتزين (٢) من العظام
وان يذكر طعامهم بشر فان طعامهم شر الطعام
وسوداء المغابن من رياح على الكردوس كالفأس الكهام (٣)

فقال الأبيرد مجيباً له

عوى سلمان من جو فلاقى أخو أهل اليمامة سهم رام
عوى من جنبه وشقى عجل عواء الذئب مختلط الظلام
بنو عجل أذل من المطايا ومن لحم الجزور على الثمام
تحيا المسلمون اذا تلاقوا وعجل ما تحيا بالسلام
اذا عجلية ولدت غلاماً الى عجل فقبح من غلام
يمص بثديها فرخ لئيم سلالة أعبد ورضيع آم (٤)
خبيث الريح ينشأ بالمخازى لئيم بين أبناء لئام
أنا ابن الأكرمين بنى تميم ذوى الآطال والهمم العظام
وكائن من رئيس قطرته عواملنا ومن ملك همام
وجيش قد ربعناه وقوم صبحناهم بذي لجب لهام

(١) ازبأر للشر تهيأ (٢) ابتراه مثل براه (٣) الكراديس رءوس الأنقاء وهى القصب ذوات المخ (٤) جمع أمة

وقال أيضاً مجيباً له

أخذنا بآفاق السماء فلم ندع لسلمان سلمان اليمامة منظرا

وأفلح عجلى كأن مخطه نواجذ خنزير اذا ما تكشرا

يزل النوى عن ضرسه فيرده الى عارض فيه القوادح أبخرا

اذا شرب العجلى نجس كأسه وظلت بكفى جانب غير أزهرا

شديد سواد الوجه تحسب وجهه من الدم بين الشاربين مغيرا

اذا ماحساها لم تزده سماحة ولكن أرته أن يصر ويحضرا

فلا يشربن فى الحى عجل فانه اذاشرب العجلى أخنى[1] وأهجرا

يقاسى نداماهم ويلقى ألوفهم من الجوع عندالكأس أمراً أمذكرا

ولم تك في الاشراك عجل تذوقها ليالى يسبيها متاول حميرا

وينفق فيها الحنظليون مالهم اذا ما سعى منهم سفيه تجبرا

ولكنها هانت وحرم شربها فمالت بنو عجل لما كان أكفرا

لعمرى لئن أزننتم أو صحوتم لبئس الندامى كنتم آل أبجرا

أتى رجل الأبيرد وابن عمه الأحوص « وهما من رهط رُدْف الملك من بنى رياح » يطلب منهما قطراناً لابله ، فقالا له انأنت بلغت سُحيم بن وثيل الرياحى هذا الشعر أعطيناك قطراناً ، فقال قولا ، فقالا اذهب فقل له

فان بُداهتى[2] وجراء حولي لذوشق على الحطم الحرون

فلما أتاه وأنشده الشعر أخذ عصاه وانحدر فى الوادي وجعل يقبل فيه ويدبر ويهمهم بالشعر ثم قال اذهب فقل لهما

فان عُلالتى[3] وجراء حولي لذوشق على الضرع الظنون

---

(١) أخنى أفحش وأفسد (٢) البداهة أول جرى الفرس والجراء مصدر جارى والشق المشقة والحطم الفرس الهرم والحرون الفرس الذى لاينقاد (٣) العلالة بقية جرى الفرس والضرع الضعيف والظنون الرجل الضعيف والقليل الحيلة

أنا ابن الغرِّ من سلفَيْ رياح (١) كنصل السيف وضاح الجبين
انا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفونى
وان مكاننا من حِمْيَرِيٍّ (٢) مكان الليث من وسط العرين
وان قناتنا مَشِظٌ (٣) شظاها شديد مدها عنُقُ القرين
وانى لا يعود إليَّ قِرْنى غداة الغِبِّ (٤) الا في قرين
بذى لِبَد يصد الركبَ عنه ولا تؤتى فريسته لحين
عذرت البُزْل (٥) ان هى صاولتنى فما بالي وبال ابني لبون
وما ذا تبتغى الشعراء منى وقد جاوزت حد الأربعين
أخو خمسين مجتمع أشدى (٦) ونَجَّذَنى مُداورة الشؤون
سأحيا ما حييت وان ظهرى لذو سند الى نَضَد أمين

فأتياه فاعتذرا اليه ، فقال ان أحدكم لا يرى أن يصنع شيئاً حتى يقيس شعره بشعرنا وحسبه بحسبنا ويستطيف بنا استطافة المهر الأرِن ، فقالا له فهل الى النزع من سبيل ؟ فقال اننا لم نبلغ أنسابنا

أبو الهندى

هو غالب بن عبد القدوس بن شَبَث بن رِبعِيّ الرِّياحى من رياح بن يربوع كان شاعراً مطبوعاً وقد أدرك الدولتين دولة بنى أمية وأول دولة بنى العباس وكان جزل الشعر ، حسن الألفاظ ، لطيف المعانى ، وانما أخمله وأمات ذكره

(١) هو ابن يربوع (٢) حميرى أحد أجداده والعرين مأوى الأسد
(٣) المشظ الذى يدخل فى اليد من الشوك اذا مس والشظى الشظية وعنق القرين منصوب بمدها والقرين القرن (٤) ورود الابل الماء فى اليوم الثانى وغداة الغب اليوم الذى يسوقون ابلهم فيه والقرين المقارن والمصاحب وفى بمعنى مع (٥) جمع بازل وهو البعير المسن وابن اللبون ولد الناقة اذا استكمل السنة الثانية ودخل فى الثالثة (٦) اجتماع الأشد عبارة عن كمال القوى فى البدن والعقل ونجذنى هذبنى والمداورة بمعنى المعالجة والمزاولة

بعده من بلاد العرب ومُقامه بسِجِستان وبخراسان ، وشغفه بالشراب ومعاقرته إياه ، وفسقه ، وما كان يتهم به من فساد الدين ، واستفرغ شعره بصفة الخمر ، وهو أول من وصفها من شعراء الاسلام ، فجعل وصفها وَكده وقصده

ومن مشهور قوله فيها ومختاره

سَقيتُ أبا المطرَّح اذ أتانى وذو الرَّعثات منتصب يصيح
شرابا يهرب الذِّبّان منه ويَلثَغ حين يشربه الفصيح

أنشد اسحاق الموصلى شعراً لأبى الهندى فى صفة الخمر فاستحسنه وقرظه ، فذكر عنده أبو نواس فقال ومن أين أخذ أبو نواس معانيه الا من هذه الطبقة وأنا أوجدكم سلخ هذه المعانى كلها فى شعره فجعل ينشد بيتاً بيتاً من شعر أبى الهندى ثم يستخرج المعنى والموضع الذى سرقه الحسن فيه حتى أتى على الأبيات كلها واستخرجها من شعره .

ومن قوله فيها

سيغنى أبا الهندى عن وَطْب سالم أباريق لم يَعْلَق بها وَضَرُ الزُّبد
مفدَّمة قزنا كأن رقابها رقاب بنات الماء تفزع للرعد
جلتها الجوالى حين طاب مِزاجها وطينها بالمسك والعنبر الورد
تمج سلافا فى الأباريق خالصاً وفى كل كأس من مهاً حسن القدّ

ومن قوله وهو مما يغنى به

لما سمعت الديك صاح بسُحْرة وتوسط النَّسْران بطن العقرب
وبدا سُهيل فى السماء كأنه نور وعارضه عجان الرَّبْرب
نبهت ندْمانى وقلت له اصطبح يا ابن الكرام من الشراب الطيب
صفراء تبدو فى الزُّجاج كأنها حدَق الجرادة أو لُعاب الجُنْدَب

حج نصر بن سيار وأخرج معه أبا الهندى فلما حضرت أيام الموسم قال له

يا أبا الهندى انا بحيث ترى وفد الله وزوار بيته فهب لي النبيذ في هذه الايام واحتكم عليّ فلولا ما ترى ما منعتك، فضمن له ذلك وغلظ عليه الاحتكام ووكل به نصر ابن سيار، فلما انقضى الأجل مضى فى السحر قبل أن يلقى نصراً فجلس فى أكمة يُشرف منها على فضاء واسع فجلس عليها ووضع بين يديه إداوة وأقبل يشرب ويبكي ويقول

أديرا على الكأس انى فقدتها ... كما فقد المفطوم درّ المراضع
حليف مُدام فارق الروح روحه ... فظل عليهـــا مستهل المدامع

وعاتبه قوم على فسقه ومعاقرته الشراب فقال

اذا صليت خمساً كل يوم ... فإن الله يغفر لي فسوقى
ولم أُشرك برب الناس شيئاً ... فقد أمسكت بالدين الوثيق
وجاهدت العدو ونلت مالا ... يبلغنى الى البيت العتيـــق
فهــذا الدين ليس به خفاء ... دعونى من بُنَيَّات الطريق

اشتهى أبو الهندى الصَّبوح فى الحانة ذات يوم فأتى خماراً بسجستان فى محلة يقال لها كوه زيان[١] يباع فيها الخمر ويأوى اليها كل خرب، فدخل الى الخمار فقال له اسقنى وأعطاه ديناراً فكال له وجعل يشرب حتى سكر، وجاء قوم يسألون عنه فصادفوه على تلك الحال فقالوا للخمار ألحقنا به، فسقاهم حتى سكروا، فانتبه وسأل عنهم فعرفه الخمار خبرهم فقال له هذا الآن وقت السكر الآن طاب ألحقني بهم، فجعل يشرب حتى سكر وانتبهوا فقالوا للخمار ويحك هذا نائم بعد، فقال لا ولقد انتبه فلما عرف خبركم شرب حتى سكر، فقالوا ألحقنا به، فسقاهم حتى سكروا، وانتبه فسأل عن خبرهم فعرفه فقال والله لألحقن بهم، فشرب حتى سكر، ولم يزل ذلك دأبه ودأبهم ثلاثة أيام لم يلتقوا وهم فى موضع واحد، ثم تركوا هم الشراب عمداً حتى أفاق فلقوه[٢] وفى ذلك يقول

---

(١) تفسيره جبل الشيطان (٢) هذا الخبر بعينه يحكى لوالبة بن الحباب مع أبي نواس والصحيح أنه لأبى الهندى.

نَدامَى بعد ثالثة تلاقَوْا　　يضمهمُ بكُوه زيان راح
وقد باكرتها فتركت منها　　قتيلاً ما أصابتني جراح
وقالوا أيها الخمار من ذا　　فقال أخ تخوَّنه اصطباح
فقالوا هات راحك ألحقنَّا　　به وتعـالوا ثم استراحوا
فما ان لبّثتهم أن رمتهم　　بحد سلاحها ولها سلاح
وحان تنبهى فسألت عنهم　　فقال أناحهم قَدَر مُتـاح
رأوك مُجدَّلا فاستخبرونى　　فحركهم الى الشرب ارتياح
فقلت بهم فألحقني فهبُّوا　　فقالوا هل تنبه حين راحوا
فقال نعم، فقالوا ألحقنا　　به قد لاح للرائى صباح
فما ان زال ذاك الدَّأب منا　　ثلاثا يستغب ويستباح

خطب أبو الهندى الى رجل من بنى تميم فقال لو كنت مثل أبيك لزوجتك، فقال له أبو الهندى لـكنك لو كنت مثل أبيك ما خطبت اليك

مرَّ نصر بن سيار بأبي الهندى وهو سكران يتمايل فوقف عليه فعذله وسبه وقال ضيعت شرفك وفضحت أسلافك، فلما طال عتابه التفت اليه فقال لولا أنى ضيعت شرفى لم تكن أنت على خُراسان، فانصرف نصر خجلا، وكان أبو الهندى أسرع الناس جوابا

قال اسحاق المُوصلى فى وفاة أبى الهندى انه خرج وهو سكران فى ليلة باردة من حانة خمار وهو ريان فأصابه ثلج فقتله فوجد من غد ميتاً على الطريق، ووجد على قبره مكتوبا

اجعلوا ان مت يوماً كفنى　　ورق الكرْم وقبرى معصرة
اننى أرجو من الله غدا　　بعد شرب الراح حسن المغفرة

فكان الفتيان بعد ذلك يجيئون الى قبره ويشربون ويصبون القدح اذا انتهى اليه على قبره

المغيرة بن حبناء

هو المغيرة بن حَبْناء بن عمرو الحنظلي من ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم وحَبْناء لقب غلب على أبيه واسمه جُبَيْر

شاعر اسلامي من شعراء الدولة الأموية وأبوه حبناء بن عمرو شاعر وأخوه صخر شاعر وكان يهاجيه ، ولهما قصائد يتناقضانها كثيرة ، سأذكر طرفاً منها ، وكان قد هاجى زيادا الأعجم فأكثر كل واحد منهما على صاحبه وأفحش ، ولم يغلب أحد منهما صاحبه ، كانا متكافئين فى مهاجاتهما ينتصف كل واحد منهما من صاحبه

قدم المغيرة على طلحة الطلحات الخزاعى ، فأنشده قوله فيه

لقد كنت أسعى فى هواك وأبتغي ... رضاك وأرجو منك ما لست لاقيا
وأبذل نفسى فى مواطن غيرُها ... أحب وأعصى في هواك الأدانيا
حِفاظاً وتمسيكاً لما كان بيننا ... لتجزيني ما لا إخالك جازيا
رأيتك ما تنفك منك رغيبة ... تُقَصِّرُ دونى أو تَحُلُّ ورائيا
أرانى اذا استمطرت منك رغيبة ... لتمطُرنى عادت عَجاجاً وسافيا
وأدليت دلوى فى دِلاء كثيرة ... فأُبْن ملاء غير دلوى كما هيا
ولست بلاقٍ ذا حفاظ ونجدة ... من القوم حرًّا بالخسيسة راضيا
فان تَدْنُ مني تدن منك مودتى ... وان تنأ عنى تُلْفِني عنك نائيا

فأجازه جائزة سنية ، فمدحه فقال

أرى الناس قد ملّوا الفَعال ولا أرى ... بنى خَلَف الا رِواءَ الموارد
اذا نفعوا عادوا لمن ينفعونه ... وكائن ترى من نافع غير عائد
اذا ما انجلت عنهم غمامة غمرة ... من الموت أجلَتْ عن كرام مذاود

تسود غطاريفَ الملوكِ ملوكُهم ... وماجدُهم يعلو على كل ماجد

لما هزم المهلبُ بن أبي صفرة قطَرِيّ بن الفُجاءة جلس للناس ، فدخل اليه وجوههم يهنئونه وقامت الخطباء فأثنت عليه ومدحته الشعراء ، ثم قام المغيرة في أخرياتهم فقال

حال الشجا دون طعم العيش والسهرُ ... واعتاد عينك من ادمانها الدرر

واستحقبتك أمور كنت تكرهها ... لو كان ينفع منها النأى والحذر

وفي الموارد للأقوام تهلُكة ... اذا الموارد لم يعلم لها صَدَر

ليس العزيز بمن تُغشَى محارمه ... ولا الكريم بمن يُجفَى ويحتقر

حتى انتهى الى قوله

أمسى العباد بشر لا غياث لهم ... الا المهلَّب بعد الله والمطر

كلاهما طيب ترجى نوافله ... مُبارَكٌ سَيْبُهُ يُرْجَى وينتظر

لا يجمُدان عليهم عند جهدهمُ ... كلاهما نافع فيه اذا افتقروا

هذا يذود ويحمى عن ذِمارهمُ ... وذا يعيش به الأنعام والشجر

واستسلم الناس اذ حل العدو بهم ... فلا ربيعتهم تُرْجَى ولا مُضَر

وأنت رأس لأهل الدين منتخب ... والرأس فيه يكون السمع والبصر

ان المهلَّب في الأيام فضله ... على منازل أقوام اذا ذكروا

حزمٌ وجودٌ وأيامٌ له سلفت ... فيها يُعَدّ جسيم الأمر والخطَر

ماض على الهول ما ينفك مرتحلا ... أسباب مُعْضلة يعيا بها البشر

سهل الخلائق يعفو عند قدرته ... منه الحياء ومن أخلاقه الخفَر

شهاب حرب اذا حلت بساحته ... يُخْزِى به الله أقواماً اذا غدروا

تزيده الحرب والأهوال ان حضرت ... حزماً وعزماً ويجلو وجهه السفر

ما ان يزال على أرجاء مظلمة ... لولا يكفكفها عن مصرهم دمروا

سهل اليهم حليم عن مجاهلهم ... كأنما بينهم عثمان أو عمر
كهف يلوذون من ذل الحياة به ... اذا تكنفهم من هولها ضرر
أمن لخائفهم فيض لسائلهم ... ينتاب نائله البادون والحضر

فلما أتى على آخرها قال المهلب هذا والله الشعر لا ما نُعلَّل به وأمر له بعشرة آلاف درهم وفرس جواد ، وزاد فى عطائه خمسمائة درهم

ومن قول المغيرة يمدح المهلب أولها

أمن رسوم ديار هاجك القِدَم ... أقوت وأقفر منها الطَّفُّ والعلم
وما يهيجك من أطلال منزلة ... عفَّى معالمها الأرواح والدِّيَم
بئس الخليفة من جار تضَمَّن به ... اذا طربت أنا في القِدْر والحُمَم
دار التى كاد قلبي أن يجن بها ... اذا ألمَّ به من ذكرها لمم
اذا تذكرها قلبى تضيَّفه ... هم تضيق به الأحشاء والكظم
والبين حين يروع القلب طائفُه ... يبدى ويظهر منهم بعض ماكتموا
انى امرؤ كفني ربى وأكرمني ... عن الأمور التى فى غبِّها وَخَم
وانما أنا إنسان أعيش كما ... عاش الرجال وعاشت قبلي الأمم

وكان سبب قوله إياها أن المهلب كان أنفذ بعض بنيه فى جيش لقتال الأزارقة وكان فيهم المغيرة فلما طال مقامه واستقر الجيش لحق بأهله فأقام عندهم شهراً ثم عاود وقد قفل الجيش الى المهلب فقيل له ان الكتاب خطوا على اسمه وكتب الى المهلب انه عصى وفارق مكتبه بغير اذن ، فمضى الى المهلب فلما لقيه أنشده هذه القصيدة واعتذر اليه فعذره وأمر باطلاق عطائه وازالة العتب عنه وفيها يقول يذكر قدومه الى أهله بغير اذن

ما عاقنى عن قُفول الجند اذ قفلوا ... عِيٌّ بما صنعوا حولي ولا صمم
ولو أردت قفولا ما تجهمني ... اذن الامير ولا الكتاب إذ رقموا

انى ليعرفنى راعى سريرهم | والمحرجون اذا ما ابتلت الحزم
والطالبون الى السلطان حاجتهم | اذا جفا عنهم السلطان أو كرموا
فسوف تبلغك الأنباء إن سلمت | لك الشواحج والأنقاس والأدم
إن المهلب إن أشتق لرؤيته | أو أمتدحه فان الناس قد علموا
إن الكريم من الأقوام قد علموا | أبو سعيد اذا ما عدت النعم
والقائل الفاعل الميمون طائره | أبو سعيد وإن أعداؤه رَغموا
كم قد شهدت كراماً من مواطنه | ليست بغيب ولا تقوالهم زعموا
أيامَ أيام اذ عض الزمان بهم | واذ تمنى رجال أنهم هزموا
وإذ يقولون ليت الله يهلكهم | والله يعلم لو زلّت بهم قدم
أيام سابور اذ ضاعت رباعتهم | لولاه ما أوطنوا داراً ولا انتقموا
اذ ليس شىء من الدنيا نصول به | إلا المغافر والأبدان واللُّجُم
وعاترات من الخطِّي مقصدة | نفضى بهن اليهم ثم ندّعم

وكان السبب فى مهاجاته زياداً الأعجم ان زياداً والمغيرة وكعباً الأشقرى اجتمعوا عند المهلب وقد مدحوه فأمر لهم بجوائز وفضل زياداً عليهم ووهب له غلاماً فصيحاً ينشد شعره لان زياداً كان ألكن لا يفصح فكان راويته ينشد عنه ما يقوله فيتكلف له مؤنة ويجعل له سهماً في صلاته فسأل المهلب يومئذ أن يهب له غلاماً كان له يعرفه زياد بالفصاحة والأدب، فوهبه له، فنفسوا عليه ما فضل به، فانتدب له المغيرة من بينهم فقال للمهلب أصلح الله الأمير ما السبب فى تفضيل الأمير زياداً علينا؟ فوالله ما يغنى غناءنا فى الحرب ولا هو بأفضلنا شعراً ولا أصدقنا وداً ولا أشرفنا أباً ولا أفصحنا لساناً، فقال له المهلب أما انى والله ماجهلت شيئاً مما قلت وان الأمر فيكم عندى لمتساو ولكن زياداً يكرم لسنه وشعره وموضعه من قومه وكلكم كذلك عندى وما فضلته بما ينفس به وأنا أعوضكم بعد هذا بما يزيد على ما فضلته به، فانصرف، وبلغ زياداً ما كان منه فهجاه، فقال المغيرة يرد عليه

أزيادُ إنك والذى أنا عبده ... مادون آدم من أب لك يعلم
فالحق بأرضك يا زياد ولا ترم ... مالا تطيق وأنت عِلج أعجم
أظننت لؤمك يا زياد يسده ... قوس سترت به قَفاك وأسهم
عِلج تعصب ثم راق بقوسه ... والعلج تعرفه إذا يتعجم
ألقِ العصابة يا زياد فانما ... أخزاك ربى إذ غدوت ترنم
تهجو الكرام وأنت ألأم من مشى ... نسباً وأنت العلج حين تكلم
ولقد سألت بنى نزار كلهم ... والعالمين من الكهول فأقسموا
بالله مالك فى معد كلها ... حسب وانك يازياد مُوَذَّم (١)

رجع المغيرة الى أهله وقد ملأ كفيه بجوائز المهلب وصلاته والفوائد منه وكان أخوه صخر أصغر منه فكان يأخذ على يديه وينهاه عن الأمر ينكر مثله ولا يزال يتعتب عليه فى الشىء بعد الشىء مما ينكره عليه فقال فيه صخر

رأيتك لما نلت مالاً وعضنا ... زمان نرى فى حد أنيابه شَغْبا
تجنَّى على الدهرَ انى مذنب ... فأمسك ولاتجعل غناك لنا ذنبا

فقال المغيرة يجيبه

لحى اللهُ أنَّا ناعن الضيف بالقِرى ... وأقصرنا عن عرض والده ذبا
أأنبأك الأفاك عنى أننى ... أحرك عرضى أن لعبت به لعبا

جاءت أخت المغيرة اليه تشكو أخاها صخراً أنه أسرع فى مالها وأتلفه وأنها منعته شيئاً يسيراً بقى لها فمد يده اليها وضربها فقال له المغيرة معنفاً

ألا مَنْ مبلغٌ صخر ابن ليلى ... فانى قد أتانى من نثا كا
رسالة ناصح لك مستجيب ... اذا لم ترعَ حرمته رعا كا
وصول لو يراك وأنت رهن ... تباع بماله يوماً فدا كا

(١) الموذم بالتحريك الفضل والزيادة وقد وذم أى فضل وزاد يريد أنه ليس فى قومه بشىء

يرى خيراً إذا ما نلت خيراً ... ويَشجَى في الأمور بما شجاكا
فانك لا ترى أسماء أختاً ... ولا ترَينَّني أبداً أخاكا
فان تعنُف بها أو لا تصلها ... فان لأمها ولداً سواكا
يَبَرّ ويستجيب إذا دعته ... وان عاصيته فيها عصاكا
وكنت أرى بها شرفاً وفضلاً ... على بعض الرجال وفوق ذاكا
جزاني الله منك وقد جزاني ... ومني في معاتبنا جزاكا
وأعتبَ أصدق الخصمين قولاً ... وولى اللؤم أولانا بذاكا
فلا والله لولم تعص أمري ... لكنت بمعزل عما هناكا

فأجابه أخوه صخر بقوله

أتاني عن مغيرة قول زور ... تعمده فقلت له كذاكا
يعم به بني ليلى جميعاً ... فول هجاءهم رجلا سواكا
فان تك قد قطعت الوصل مني ... فهذا حين أخلفني مناكا
تمنّيني إذا ما غبت عني ... وتُخلفني مُناىَ اذا أراكا
وتوليني ملامة أهل بيتي ... ولا تعطي الأقارب غير ذاكا
فان تك أختنا عتبت علينا ... فلا تَضرِم لظنَّتها أخاكا
وان تك قد عتبت عليَّ جهلا ... فلا والله لا أبغي رضاكا
فقد أعلنت قولك اذ أتاني ... فأعلن من مقالي ما أتاكا
سيغُنيني عنك صخراً ربُّ صخر ... كما أغناك عن صخر غناكا
ويغنيني الذى أغناك عني ... ويكفيني الاله كما كفاكا
ألم ترني أجود لكم بمالي ... وأرمي بالفواقر من رماكا
واني لا أقود اليك حرباً ... ولا أعصيك ان رجل عصاكا
ولكني وراءك شمَّرِيٌّ ... أحامي قد علمت على حماكا

وأدفع ألسن الاعداء عنكم ويعنيني العدو اذا عناكا
وقد كانت قريبة ذات حق عليك فلم تطالعها بذاكا
رأيت الخير يقصر منك دوني وتبلغني القوارص من أذاكا

كان حبناء بن عمرو قد غضب على قومه فى بعض الأمر فانتقل الى نجْران. وحمل معه أهله وولده ، فنظرت امرأته سلمى الى غلام من أهل نجران يضرب ابنه المغيرة وهو يومئذ غلام فقالت لحبناء قد كنت غنياً عن هذا الذل وكان مقامك بالعراق فى قومك أوفى حي قريب من قومك فقال حبناء

تقول سليمى الحنظلية لابنها غلام بنجْران الغداةَ غريب
رأت غِلْمة ثاروا اليه بأرضهم كما هر كلباً فى الديار كليب
فقالت لقد أجرى أبوك لما ترى وأنت عزيز بالعراق مَهيب

وقال أيضاً

لعمرك ما تدرى أشيء تريده يليك أم الشيء الذى لا تحاوله
متى ما يشأ مستقبس الشر يَلْقَه سريعاً وتجمعه اليه أنامله

قال الأصمعى لم يقل أحد فى تفضيل أخ على أخيه وهما لأب وأم مثل ماقال. المغيرة لأخيه صخر

أبوك أبى وأنت أخى ولكن تفاضلت الطبائع والظروف
وأمك حين تنسب أم صدق ولكن لابنها طبع سخيف

وكان عبد الملك بن مرْوان اذا نظر الى أخيه معاوية « وكان ضعيفاً » يتمثل. بهذين البيتين

نظر الحجاج الى يزيد بن المهلب يخطِر فى مشيته فقال لعن الله المغيرة بن. حبناء حيث يقول

جميل المحيّا بَخْترِيّ اذا مشى وفى الدرع ضخم المنكبين شِناق (١)

(١) الشناق الطويل

فالتفت اليه يزيد فقال انه يقول فيها

شديد القوى من أهل بيت اذا وهى من الدين فتق حُمّلوا فأطاقوا

مراجيح فى اللأواء ان نزلت بهم ميامين قد قادوا الجيوش وساقوا

حدث من حضر ابن حبناء لما قتل انه وهو يجود بنفسه أخذ بيده من دمه وكتب بيده على صدره أنا المغيرة بن حبناء ، ثم مات

أبو حزابة

هو الوليد بن حنيفة التميمى أحد بني ربيعة بن حنظلة وكنيته أبو حُزابة

شاعر من شعراء الدولة الأموية بدوى حَضَر وسكن البصرة ثم اكتتب فى في الديوان وضرب عليه البعث الى سجستان فكان بها مدة وعاد الى البصرة. وخرج مع ابن الأشعث وأظنه قتل معه وكان شاعراً راجزاً فصيحاً خبيث اللسان هجاء.

دخل على طلحة الطلحات الخزاعى وقد استعمله يزيد بن معاوية على سجستان وكان أبو حُزابة قد مدحه فأبطأت عليه الجائزة ورأى ما يعطى غيره من الجوائز فأنشده.

وأدليت[1] دلوى فى دلاء كثيرة فجئن ملاء غير دلوى كما هيا

وأهلكني ألاّ تزال رغيبة تقصر دونى أو تحُل ورائيا

أرانى اذا استمطرت منك سحابة لتمطرنى عادت عجاجاً وسافيا

فرماه طلحة بحق فيه درة فأصاب صدره ووقعت فى حجره . مات طلحة بسجستان وولي من بعده رجل من بنى عبد شمس يقال له عبد الله بن على وكان شحيحاً فقال أبو حزابة

يا ابن على برح الخفاء قد علم الجيران والأكفاء

انك أنت البدل اللَّفاء[2] أنت لعين طلحة القذاء

(١) انظر ص ١٠٨ (٢) اللذاء الخسيس

بنو عـــدى كلهم سواء كأنهم ربيبـــة حذاء

ثم وليها بعد عبد الله بن على بن عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن كريز فى أيام الفتنة فاستأذنه أبو حزابة ان يأتى البصرة ، فأذن له فقدمها ، وكان الناس يحضرون المربد ويتناشدون الأشعار ويتحادثون ساعة من النهار فشهدهم أبو حزابه وأنشدهم مرثية له فى طلحة الطلحات يضمنها ذماً لعبد الله بن على وهى قوله

هيهات هيهات الجناب الأخضر والنائل الغَمْر الذى لا ينزُر
واراه عنا الجَـــدَث المغوَّر قد علم القوم غداة استعبروا
والقبر بين الطَّلَحـات يحفر أن لن يروا مثلك حتى ينشروا
انا أتانا جـــزر محمر أنكره سريرنا والمنبر
والمســـجد المحتضر المطهر أقل من شبرين حين يُشبَرَ
بليـــة يا ربنا لا تسخَرَ وخلف يا طَلْحَ منك أعور
مثل أبى القعواء لا بل أصغر

وأبو القعواء حاجب لطلحة كان قصيراً ، فقال له عون بن عبد الرحمن بن سلامة وسلامة أمه ما قلت ؟ أتشاهر الناس بشتم قريش ؟ فقال له انى لم أعم انما سميت رجلا واحداً ، فأغلظ له عون حتى انصرف عن ذلك الموضع ، ثم أمر عون ابن أخ له فدعا أبا حزابة فأطعمه وسقاه وخلط فى شرابه شبُرُماً فسلحه فخرج أبو حزابة وقد أخذ بطنه فسلح على بابه وفى طريقه حتى بلغ أهله ومرض أشهراً ، ثم عوفي فركب فرساً له ثم أتى المربد فاذا عون بن سلامة واقف فصاح به فوقف ، لو لم يقف كان أخف لهجائه ، قال أبو حزابة

يا عون قف واستمع الملامة لا سلم الله على ســـلامة
زنجية تحســـبها نعامة شكاء شان جسمها دمامة

ومما مدح به طلحة الطلحات قوله

يا طلح يأبى مجدك الإخلافا والبخل لا يعترف اعترافا
ان لنا أحمرة عِجافا يأكلن كل ليلة إكافا

فأمر له بابل ودراهم وقال هذه مكان أحمرتك

قيل لأبي حزابة لو أتيت يزيد بن معاوية لفرض لك وشرفك وألحقك بعلية أصحابه فلست دونهم وكان أبو حزابة يومئذ غلاماً حدثاً ، وكان معاوية حياً ويزيد أميراً يومئذ ، فلما أكثر قومه عليه فى ذلك وفى قولهم أنك ستشرف بمصيرك اليه قال

يشرفني سيفي وقلب مجانب لكل لئيم باخل ومُعلهج
وكرى على الأبطال طِرفاً كأنه ظليم وضربي فوق رأس المدجَّج
وقولي اذا ما النفس جاشت وأجهشت مخافة يوم شرة متأجج
عليكِ غُمار الموت يا نفس انني جرىء على درء الشجاع المهجهج

فلما أكثروا عليه فى ذلك وعنفوه فى تأخره رحل الى يزيد فأقام ببابه شهراً لا يصل اليه ، فرجع وقال والله لا يراني ما حملت عيني الماء الا أسيراً أو قتيلاً ، ثم أنشأ يقول

فوالله لا آتي يزيد ولو حوت أنامله ما بين شرق الى غرب
لأن يزيدَ غيَّرَ الله ما به جَنُوح الى السَّوْءى مصر على الذنب
فقل لبني حرب تقَوا الله وحده ولا تُسعدوه فى البطالة واللعب
ولا تأمنوا التغيير ان دام فعله ولم ينهه عن ذاك شيخ بني حَرْب
أيشربها صرفاً اذا الليل جَنَّه معتقة كالمسك تختال فى القلب
ويَلْحَى عليها شاربيها وقلبه يهيم بها ان غاب يوماً عن الشرب

مدح عبد الله بن على العبشمى وهو على سجستان فلم يثبه ، فقال يهجوه

هبَّتْ تعاتبني أُما … مة فى السماحة والفضال
وأَبَيْتُ عنـد عتابها … الا خلائق ذى النوال
أُعطى أخى وأحوطه … جهدى وأبذل جل مالي
وأَقِيه عند تشاجر الـأبطال بالأَسَل النهال
حفظاً له ورعاية … للخاليات من الليالى
اذ نحن نشرب قهوة … دُرْيَاقة كدم الغزال
حمراء يذهب ريحها … ما فى الرؤوس من الخبال
واذا تشعشع فى الانا … ء رمت أخاها باغتيال
وعلا الحُباب نخلته … عقدا ينظم من لآل
تشفى السقيم بريحها … وتميته قبل الاجال
تلك التي تركت فؤا … دَ أبى حزابة فى ضلال
لا يستفيق ولا يفيـق يشوقها فى كل حال
واذا الكماة تنازلوا … ومشى الرجال الى الرجال
وبدت كتائب تمترى … مُهَج الكتائب بالعوالى
فأبو حُزابة عند ذا … ك أخو الكريهة والنزال
يمشى الهُوَيْنَى مُعْلما … بالسيف مشياً غير آل
كالليث يترك قِرْنه … متجدلا بين المجال
انى نذير بنى تميـم من أخى قيل وقال
من لا يجود ولا يسو … د ولا يجير من الهُزال
وتراه حين يجيئه السُّؤَّال يولَع بالسعال
متشاغلا متنحنحا … كالكاب جمّع للعظال

يعنى عبد الله بن على العبشى

وقال يثني على قومه بني تميم

لله عينا من رأى من فوارس أكرَّ على المكروه منهم وأصبرا
وأكرم لو لاقوا سواداً مقاربا ولكن لقوا طمّاً من البحر أخضرا
فما برحوا حتى أعضوا سيوفهم ذُرَى الهام منهم والحديد المسمرا
وحتى حسبناهم فوارس كهمس حيُوا بعدما ماتوا من الدهر أعصرا

وله يرثي ناشرة اليربوعي التميمي وقتل بسجستان في فتنة ابن الزبير

لعمري لقد هدت قريش عروشنا بأبيض نفّاح العشيات أزهرا
وكان حصاداً للمنايا زرعنه فهلا تركن النبت ما كان أخضرا
لحى الله قوماً أسلموك وجردوا عناجيج أعطتها يمينك ضُمَّرا
أما كان فيهم ماجد ذو حفيظة يرى الموت في بعض المواطن أنفرا
يكُرّ كما كرّ الكُلَيبي مُهْرَه وما كرّ الا خشية أن يعيرا
فلا صلح حتى تزحف الخيل والقنا بناو بكم أن يصدر الامر مصدرا

لما خرج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث على الحجاج وكان معه أبو حزابة نفروا بدَستَبَي وبها مستراد الصناجة وكان لا يبيت بها أحد الا بمائتي درهم ، فبات بها أبو حزابة ورهن عندها سرجه ، فلما أصبح وقف لعبد الرحمن فلما أقبل صاح به وقال

أمر عُضال نابني في العجّ كأنني مطالب بخَرْج
ومستراد ذهبت بالسرج في فتنة الناس وهذا الهرْج

فعرف ابن الاشعث القصة وضحك وأمر بأن يفتك له سرجه ويعطى معه ألف درهم وبلغت القصة الحجاج فقال أيجاهر في عسكره بالفجور فيضحك ولا ينكر ؟ ظفرت به ان شاء الله..

أبو نفيس

هو يحيى بن يعلَى بن مُنْيَة ومنية أم يعلى وهى بنت غَزْوان أخت عتْبة بن غزَوان وأبوه أمية بن عبدة من بني زيد مناة بن تميم ، وكان يعلى حليفاً لبنى أمية وعديداً لهم وبينه وبينهم صهر ومناسبة وقد أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وسمع حديثاً كثيراً وروى عنه ، وعمر بعد ، وكان مع عائشة يوم الجمل على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام

وأبو نفيس هو الذى يقول وفيه غناء

لعمرك أيها الرجل ... لأى الشكل تنتقل

أتهجر آل زينبَ أم ... تزورهمُ فتعتـــدل

همُ ركب لقُوا ركباً ... كما قد تجمع السبل

فذلك دأبنــا وبذا ... كـ تجرى بيننا الرسل

مسكين

هو ربيعة بن عامر بن أنيف الدارمى ومسكين لقب غلب عليه لقوله

أنا مسكين لمن أنكرنى ... ولمن يعرفنى جدّ نطق

لا أبيع الناس عرضى اننى ... لو أبيع الناس عرضى لنفَق

وقال أيضاً

سميت مسكيناً وكانت لجاجة ... وانى لمسكين الى الله راغب

وقال

إن أُدعَ مسكيناً فليس بمنكر ... وهل ينكرن الشمس ذر شعاعها

لعمرك ما الأسماء إلا علامة ... منار ومن خير المنار ارتفاعها

شاعر شريف من سادات قومه ، هاجى الفرزدق ثم كافه فكان الفرزدق يعد ذلك فى الشدائد التى أفلت منها

كان زياد قد أرعى مسكيناً حمى له بناحية العُذَيب فى عام قحط حتى أخصب الناس وأحيوا ثم كتب له ببر وتمر وكساه فلما مات زياد رثاه مسكين فقال

رأيت زيادة الاسلام ولت جهاراً حين ودعنا زياد

فعارضه الفرزدق وكان منحرفا عن زياد لطلبه إياه واخافته له فقال

أمسكين أبكى الله عينك انما جرى فى ضلال دمعها فتحدرا
بكيت على علج بمَيْسان كافر ككسرى على عِداته أو كقيصرا
أقول له لمــا أتانى نعيُه به لا بظبى بالصريمة أعفرا

فقال مسكين يجيبه

ألا أيهــا المرء الذى لست قاعداً ولا قائماً فى القوم إلا انبرى ليــا
فجئنى بعم مثل عمى أو أب كمثل أبى أو خال صدق كخاليا
كعمرو بن عمرو أو زُرارة ذى الندى أو البشر (١) من كل فرَعت الروابيا

فأمسك عنه الفرزدق فلم يجبه وتكافا

واتقاه الفرزدق أن يعين عليه جريراً واتقاه مسكين أن يعين عليه عبد الرحمن ابن حسان

قال أبو عبيدة أشعر ما قيل فى الغيرة قول مسكين

ألا أيهــا الغائر المستشــيط فيم تغار اذا لم تُغِر (٢)
فمــا خير عرْس اذا خفتها وما خير عرس اذا لم تُزَر
تغار على الناس أن ينظروا وهل يفتن الصالحات النظر
وانى لأُخلى لهــا بيتها فتحفظ لي نفسها أو تذر

---

(١) خال لمسكين من النمر بن قاسط (٢) أغار الرجل أهله تزوج عليها فغارت عليه

اذا الله لم يعطني حبها فلن يعطي الحب سوط مُمَرّ

لما قدم مسكين على معاوية سأله أن يفرض له فأبى عليه وكان لا يفرض إلا لليمن فخرج من عنده وهو يقول

أخاك أخاك إن من لا أخا له كساع الى الهيجا بغير سلاح
وان ابن عم المرء فاعلم جناحه وهل ينهض البازى بغير جناح
وما طالب الحاجات إلا مغرر وما نال شيئاً طالب كنجاح

فلم يزل معاوية كذلك حتى غزت اليمن وكثرت وضعضعت عدنان ، فبلغ معاوية أن رجلا من أهل اليمن قال يوماً لهممت ألاَّ أدع بالشام أحداً من مُضَر بل هممت ألاَّ أحلّ حبوتى حتى أخرج كل نزارى بالشام ، فبلغت معاوية ففرض من وقته لأربعة آلاف رجل من قيس سوى خِنِدف ، وقدم على تفيئة ذلك عُطارد ابن حاجب على معاوية فقال له مافعل الفتى الدارمى الصبيح الوجه الفصيح اللسان ؟ يعنى مسكيناً ، فقال صالح يا أمير المؤمنين ، قال أعلمه انى قد فرضت له فى شرف العطاء وهو فى بلاده فان شاء أن يقيم بها أو عندنا فليفعل فان عطاءه سيأتيه وبشره أنى قد فرضت لأربعة آلاف من قومه من خِنْدِف ، وكان معاوية بعد ذلك يُغْزِى اليمن فى البحر ويغزى قيساً فى البر فقال شاعر اليمن

ألا أيها القوم الذين تجمعوا بعكا أناس أنتمُ أم أباعر
أتترك قيس آمنين بدارهم ونركب ظهر البحر والبحر زاخر
فوالله ما أدرى وانى لسائل أهمْدان يحمى ضيمها أم يُحابر
أم الشرف الأعلى من اولاد حمير بنو مالك إذ تستمر المرائر
أأوصى أبوهم بينهم أن تواصلوا وأوصى أبوكم بينكم أن تدابروا

فلما بلغت هذه الأبيات معاوية بعث الى اليمن فاعتذر اليهم وقال ما أغزيتكم البحر إلا أنى أتيمن بكم وإن فى قيس نكداً وأخلاقاً لا يحتملها الثغر وأنا عارف

بطاعتكم ونصحكم فاما إذ قد ظننتم غير ذلك فأنا أجمع بينكم و بين قيس فتكونوا جميعاً فيه وأجعل الغزو فيه عقباً بينكم ، فرضوا ، وفعل ذلك فيما بعد

كان أصاغر ولد مروان فى حجر ابنه عبد العزيز فكتب عبد العزيز الى بشر كتابا وهو يومئذ على العراق ، فورد عليه وهو ثَمِل ، وكان فيه كلام أحفظه ، فأمر بشر كاتبه فأجاب عبد العزيز جواباً قبيحاً ، فلما ورد عليه علم أنه كتبه وهو سكران فجفاه وقطع مكاتبته زماناً و بلغ بشراً عتبه عليه فكتب اليه « لولا الهفوة لم أحتج الى العذر ، ولم يكن لك فى قبوله مني الفضل ، ولو احتمل الكتاب أكثر مما ضممته لزدت فيه ، وبقية الأكابر على الأصاغر من شيمة الأكارم ، ولقد أحسن مسكين الدارمى حيث يقول « أخاك أخاك البيتين » فلما وصل كتابه الى عبدالعزيز دمعت عينه وقال ان أخى كان منتشياً لما جرى منه ماجرى فسلوا عمن شهد ذلك المجلس ، فسئل عنهم فأخبر بهم ، فقبل عذره وأقسم عليه ألا يعاشر أحداً من ندمائه الذين حضروا ذلك المجلس وأن يعزل كاتبه عن كتابته ، ففعل

قال الفرزدق نجوت من ثلاثة أشياء لا أخاف بعدها شيئاً ، نجوت من ابن زياد حين طلبني ، ونجوت من ابني رُمَيلة وقد نذرا دمى وما فاتهما أحدطلباه قط ، ونجوت من مهاجاة مسكين الدارمى لانه لو هجانى اضطرنى أن أهدم شطر حسبي وفخرى لانه كان من بحبوحة نسبي وأشراف عشيرتى ، فكان جرير حينئذ ينتصف منى بيدى ولساني

خطب مسكين فتاة من قومه فكرهته لسواد لونه وقلة ماله وتزوجت رجلا من قومه ذا يسار ليس له مثل نسب مسكين ، فمر بهما مسكين ذات يوم وتلك المرأة جالسة مع زوجها فقال

أنا مسكين لمن يعرفنى   لونى السمرة ألوان العرب
من رأى ظبياً عليه لؤلؤ   واضح الخدين مقروناً بضَبّ

أكسبته الوَرِق البيض أبا ولقد كان وما يدعى لأب
رب مهزول سمين بيته وسمين البيت مهزول النسب
أصبحت ترزق من شحم الذرى وتخال اللؤم دُرّاً ينتهب
لا تَلُمْها انها من نسوة صَخِبات ملحها فوق الركب
كشموس الخيل يبدو شغْبها كلما قيل لها هال وهَبْ

كان يزيد بن معاوية يؤثر مسكيناً ويصله ويقوم بحوائجه عند أبيه ، فلما أراد معاوية البيعة ليزيد تهيب ذلك وخاف ألاّ يمالئه عليه الناس لحسن البقية فيهم وكثرة من يرشح للخلافة و بلغه في ذلك ذَرَوٌ كلام كرهه من سعيد بن العاصي ومروان ابن الحكم وعبد الله بن عامر ، فأمر يزيد مسكيناً أن يقول أبياتاً وينشدها معاوية فى مجلسه اذا كان حافلا وحضر وجوه بنى أمية فلما اتفق ذلك دخل مسكين اليه وهو جالس وابنه يزيد عن يمينه وبنو أمية حواليه وأشراف الناس فى مجلسه فمثل بين يديه وأنشأ يقول

إن أُدعَ مسكيناً فانى ابن معشر من الناس أحمي عنهمُ وأذود
اليك أميرَ المؤمنين رَحلْتها تثير القَطا ليلاً وهن هجود
وهاجرة ظلت كأن ظباءها اذا ما اتقتها بالقرون سجود
ألا ليت شعري ما يقول ابن عامر ومَرْوان أم ماذا يقول سعيد
بني خلفاء الله مهلاً فانما يبوّئها الرحمن حيث يريد
اذا المنبر الغربى خلاه ربه فان أمير المؤمنين يزيد
على الطائر الميمون والجد صاعد لكل أناس طائر وجدود
فلا زلت أعلى الناس كعباً ولا تزل وفود تساميها اليك وفود
ولا زال بيت الملك فوقك عالياً تشيد أطناب له وعمود
قُدُور ابن حرب كالجَوَابي وتحتها أثافٍ كأمثال الرئال ركود

فقال له معاوية ننظر فيما قلت يامسكين ونستخير الله ولم يتكلم أحد من بني أمية فى ذلك

كان لمسكين امرأة من مِنقَر وكانت فاركاً كثيرة الخصومة والمماظّة ، فجازت به وهو ينشد قوله فى نادى قومه

ان أكُ مسكيناً فما قصرت قِدرى بيوت الحى والجُدر

فوقفت عليه تسمع حتى اذا بلغ

نارى ونار الجار واحدة واليه قبلى تنزل القِدر

قالت له صدقت والله يجلس جارك فيطبخ قدره فتصطلى بناره ، ثم ينزلها فيجلس يأكل وأنت بحذائه كالكلب ، فاذا شبع أطعمك ، أجل والله ان القدر لتنزل اليه قبلك ، فأعرض عنها ومرّ في قصيدته حتى بلغ قوله

ماضر جارا لي أجاوره ألاّ يكون لبيته ستر

فقالت له أجل ان كان له ستر هتكته ، فوثب اليها يضربها ، وجعل قومه يضحكون منهما

سعيد الدارمى

هو سعيد الدارمى من ولد سويد بن زيد ، كان فى أيام عمر بن عبد العزيز وكانت له أشعار ونوادر وكان من ظرفاء أهل مكة وهو الذى يقول

ولما رأيتك أوليتنى الـ ـقبيح وأبعدت عنى الجميلا

تركت وصالك فى جانب وصادفت فى الناس خلاً بديلا

قدم تاجر المدينة بخُمُر فباعها وكسدت السوق منها فشكا ذلك للدرامى وكان صديقه وقد كان نَسَك وترك الغناء وقول الشعر فقال لا تهتم بذلك فأنى سأنفقها لك حتى تبيعها أجمع ثم قال

قل للمليحة فى الخمار الأسود ماذا صنعت براهب متعبد

قد كان شمر للصلاة ثيابه حتى وقفت له بباب المسجد

وغنى فيه فشاع فى الناس وقالوا فتك الدارمى ورجع عن نسكه فلم تبق فى المدينة ظريفة الا ابتاعت خماراً أسود حتى نفد ما كان مع التاجر فلما علم بذلك الدارمى رجع الى نسكه

ومن شعره وهو مما غُنِّى فيه

أفق يادارمىُّ فقد بليتا وانك سوف توشك أن تموتا

أراك تزيد عشقاً كل يوم اذا ماقلت انك قد بريتا

كان الدارمى عند عبدالصمد بن على يحدثه فأغفى عبد الصمد فعطس الدارمى عطسة هائلة ففزع عبدالصمد فزعاً شديداً وغضب غضباً شديداً ثم استوى جالساً وقال ويلك أتفزعنى ؟ قال لا والله ولكن هكذا عُطاسى ، قال والله لأنقعنك فى دمك أو تأتينى ببينة على ذلك ، فخرج ومعه حرسىّ لا يدرى أين يذهب به ، فلقيه ابن الريان المكى فسأله فقال أنا أشهد لك ، فمضى حتى دخل على عبدالصمد ، فقال له بم تشهد لهذا ؟ قال أشهد أنى رأيته مرة عطس عطسة سقط منها ضرسه ، فضحك عبد الصمد وخلى سبيله

قال محمد بن ابراهيم الامام للدارمى لو صلحت عليك ثيابى لكسوتك ، قال فديتك ان لم تصلح علىّ ثيابك صلحت علىّ دنانيرك

خرج الدارمى مع السعاة فصادف جماعة منهم قد نزلوا على الماء فسألهم فأعطوه دراهم ، فأتى بها فى ثوبه وأحاط به أعرابيات فجعلن يسألنه وألححن عليه وهو يردهن ، فعرفته صبية منهن فقالت يا أخواتى أتدرين من تسألن منذ اليوم ؟ هذا الدارمى السآل ، ثم أنشدت

اذا كنت لا بد مستطعما فدع عنك من كان يستطعم

فولى الدارمي هارباً منهن وهن يتضاحكن به

مدح الدارمى عبد الصمد بن على بقصيدة واستأذنه فى الانشاد فأذن ، فلما فرغ أدخل عليه رجل من الشُّراة فقال لغلامه أعط هذا مائة دينار واضرب عنق هذا ، فوثب الدارمي فقال بأبى أنت وأمى برك وعقوبتك جميعاً نقد فان رأيت أن تبدأ بقتل هذا فاذا فرغ منه أمرته فأعطانى فانى لن أريم من حضرتك حتى يفعل ذلك ، قال ولم ويلك ؟ قال أخشى أن يغلط فيما بيننا والغلط فى هذا لا يستقال، فضحك وأجابه الى ما سأل

الفرزدق

همام بن غالب بن صعصعة الدارمى من دارم بن مالك بن حنظلة أمه لينة بنت قرظة الضبية وجده صعصعة يقال له محيي الموءودات وكان جعل على نفسه ألاَّ يسمع بمؤودة إلا فداها ، وقد فخر بذلك الفرزدق في عدة قصائد من شعره ، ومنها قصيدته التى أولها

أبى أحد الغيثين صعصعة الذى ... متى تُخْلِف الجوزاء والدلو يَمطر
أجار بنات الوائدين ومن يُجِزْ ... على الفقر يَعلم أنه غير مُخفَرِ
على حين لا تحيا البنات واذ همُ ... عكوفاً على الأصنام حول المدوَّر
أنا ابن الذى رد المنية فضله ... فما حسب دافعت عنه بمعور
وفارق ليلى فى نساء أتت أبى ... تمارس ريحاً لها غير مقمر
فقال اجر لي ما ولدت فانني ... أتيتك من هزل الحمولة مقتر
رأى الأرض منها راحة فرمى بها ... الى جدد منها الى شر محفر
فقال لها فيئى فانى بذمتى ... لبنتك جار من أبيها القنور

ووفد غالب الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخبره بفعله فى الموءودات ،

فاستحسنه وسأله هل لي فى ذلك من أجر ؟ قال نعم ، وعمر حتى لحق أمير المؤمنين علياً صلوات الله عليه بالبصرة وأظنه مات فى امارة يزيد وملك معاوية.

قال صعصعة بن ناجية جد الفرزدق ، قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم فعرض عليَّ الاسلام فأسلمت وعلمنى آيات من القرآن، فقلت يا رسول الله انى عملت أعمالاً فى الجاهلية هل فيها من أجر ؟ فقال وما عملت ؟ فقال انى أضللت ناقتين لي عُشَراوين ، نخرجت أبغيهما على جمل ، فرفع لي بيتان فى فضاء الأرض ، فقصدت قصدهما ، فوجدت في أحدهما شيخاً كبيراً ، فقلت له هل أحسست من ناقتين عُشَرَاوين ؟ قال وما نارهما ؟ (يعنى السِّمة) ، فقلت ميسم بنى دارم ، فقال قد أصبت ناقتيك ونتجناها وظأرنا على أولادهما ونعش الله بهما أهل بيت من قومك من العرب من مُضَر ، فبينا هو يخاطبنى اذ نادته امرأة من البيت الآخر قد ولدت ، فقال وما ولدت ؟ ان كان غلاماً فقد شركنا فى قوتنا وان كانت جارية فادفنوها ، فقالت هى جارية أفأئدها ؟ فقلت وما هـذا المولود ؟ قال بنت لي ، فقلت إنى أشتريها منك ، فقال يا أخا بنى تميم أتقول لى أتبيعنى ابنتك وقد أخبرتك أنى من العرب من مضر ، فقلت انى لا أشترى منك رقبتها وانما أشترى دمها لئلا تقتلها ، فقال وبمَ تشتريها ؟ فقلت بناقتي هاتين وولديهما ، قال لا حتى تزيدنى هذا البعير الذى تركبه ، قلت نعم على أن ترسل معى رسولاً ، فاذا بلغت أهلى رددت اليك البعير ، فلما كان فى بعض الليل فكرت في نفسى فقلت ان هذه مكرمة ما سبقنى اليها أحد من العرب فظهر الاسلام وقد أحييت ثلثمائة وستين موءودة أشترى كل واحدة منهن بناقتين عشراوين وجمل فهل لي فى ذلك من أجر يا رسول الله ؟ فقال عليه السلام هذا باب من البر ولك أجره اذ من الله عليك بالاسلام ، ومصداق ذلك قول الفرزدق

وجدي الذى منع الوائدات ... وأحيا الوئيـــد فلم توءد

وروى أبو عبيدة أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم انى حملت حمالات في الجاهلية والاسلام وعليَّ منها الف بعير فأديت من ذلك سبعمائة ، فقال له ان الاسلام أمر بالوفاء ونهى عن الغدر ، فقال حسبي حسبي ووفى بها ، وكان صعصعة شاعرا وهو الذى يقول

إذا المرء عادى من يوَدُّك صدره ... وكان لمن عاداك خِدْناً مصافيا
فلا تسألن عما لديه فانه ... هو الداء لا يخفى بذلك خافيا

تراهن ثلاثة نفر من كلب على أن يختاروا من تميم وبكر نفراً ليسألوهم فأيهم أعطى ولم يسألهم عن نسبهم من هم فهو أفضلهم ، فاختاروا عمير بن السُّلَيك بن قيس ابن مسعود الشيباني وطلبة بن قيس بن عاصم المِنْقَرى وغالب بن صعصعة أبا الفرزدق فأتوا ابن السليك فسألوه مائة ناقة فقال من أنتم ؟ فانصرفوا عنه ثم أتوا طلبة بن قيس فقال لهم مثل قول الشيباني ، فأتوا غالباً فسألوه فأعطاهم مائة ناقة وراعيها ولم يسألهم من هم ، فساروا ليلة ثم ردوها وأخذ صاحب غالب الرهن

وفى ذلك يقول الفرزدق

واذ نادَبَتْ كلب على الناس أيُّهم ... أحق بتاج الماجد المتكرم
على نفَرٍ هم من نزارٍ ذوى العلا ... وأهل الجراثيم التي لم تَهَدَّم
فلم يَجْزِ عن أحسابهم غير غالب ... جرَى لعِنانٍ كل أبيض مِخذَم

أجدبت بلاد تميم وأصابت بنى حنظلة سنة في خلافة عثمان فبلغهم خِصْب عن بلاد كلب بن وَبْرة فانتجعها بنو حنظلة فنزلوا أقصى الوادى ، وتسرع غالب بن صعصعة وحده دون بني مالك فنحر ناقته فأطعمهم إياها فلما غادرت ابل سُحَيم ابن وَثيل الرِّياحى حبس منها ناقة فنحرها من غد ، فقيل لغالب انما نحر سحيم مواءمة لك « أى مساواة لك » فضحك غالب وقال كلا ولكنه امرؤ كريم وسوف أنظر ذلك ، فلما وردت إبل غالب حبس منها ناقتين فنحرهما فأطعمهما بني يربوع

فعقر سحيم ناقتين ، فقال غالب الآن علمت أنه يوائمني ، فعقر غالب عشراً فأطعمها بني يربوع فعقر سحيم عشراً ، فلما بلغ غالباً فعله ضحك وكانت ابله ترد لخمس ، فلما وردت عقرها كلها عن آخرها فالمكثر يقول كانت أربعمائة والمقل يقول كانت مائة فأمسك سحيم حينئذ ثم انه عقر في خلافة على بن أبي طالب صلوات الله عليه في كناسة الكوفة مائتي ناقة و بعير فخرج الناس بالزنابيل والأطباق والحبال لأخذ اللحم ورآهم على عليه السلام فقال يأيها الناس لا يحل لكم انما أهل به لغير الله عز وجل ، وكان الفرزدق يومئذ مع أبيه وهو غلام فجعل غالب يقول يا بني اردد عليّ والفرزدق يردها عليه ويقول يا أبت اعقر ، قال جهم فلم يغن عن سحيم فعله ولم يجعل كغالب اذ لم يطق فعله

ومات غالب في أول أيام معاوية ودفن بكاظمة فقال الفرزدق يرثيه

لقد ضمت الأكفان من آل دارم فتى فائض الكفين محض الضرائب

درجة الفرزدق في الشعر

جاء غالب أبو الفرزدق الى على بن أبي طالب صلوات الله عليه بالفرزدق بعد الجمل بالبصرة فقال ان بُنَيَّ هذا من شعراء مُضَر فاسمع منه ، قال علمه القرآن ، فكان ذلك في نفس الفرزدق فقيد نفسه في وقت وآلى ألَّا يحل قيده حتى يحفظ القرآن ، قال محمد بن يحيى فقد صح لنا أن الفرزدق كان شاعراً موصوفاً أربعاً وسبعين سنة وندع ما قبل ذلك لان مجيئه بعد الجمل على الاستظهار كان في سنة ست وثلاثين. وتوفى الفرزدق في سنة عشر ومائة في خلافة هشام هو وجرير والحسن وابن سيرين في ستة أشهر ، وقال الفرزدق كنت أجيد الهجاء في أيام عثمان ، قيل للمفضل الضبي الفرزدق أشعر أم جرير ؟ قال الفرزدق ، قيل ولم ؟ قال لانه قال بيتاً هجا فيه قبيلتين ومدح قبيلتين فقال

عجبت لعجل إذ تُهاجِي عبيدها كما آل يربوع هجَوا آل دارم

فقيل له قد قال جرير

ان الفرزدق والبعيث وأمه وأبا البعيث لشر ما إستار

فقال وأي شيء أهون من أن يقول الانسان فلان وفلان وفلان والناس كلهم بنو الفاعلة ، وقال أبو عبيدة كان الشعراء فى الجاهلية من قيس وليس فى الاسلام مثل حظ تميم في الشعر وأشعر تميم جرير والفرزدق ، قال يونس بن حبيب ماذكر جرير والفرزدق في مجلس شهدته قط فاتفق المجلس على أحدهما ، وكان يونس فرزدقياً ، وقال الفرزدق لحماد الراوية أأنا أشعر أم جرير ؟ قال أنت فى بعض وهو فى بعض ، قال لم تناصحنى ، فقال هو أشعر منك اذا أرخى من خناقه وأنت أشعر منه اذا خفت أو وجوت ، قال وهل الشعر إلا في الخير والشر ، وقال جرير لابى الزناد يا أبا عبد الرحمن أنا أشعر أم هذا الخبيث ؟ « يعنى الفرزدق » وناشده ليخبرنه ، فقال لا والله ما يشاركك ولا يتعلق بك فى النسيب ، قل أوه قضيت والله له عليّ أنا والله أخبرك مادهانى الا أنى هاجيت كذا وكذا شاعراً فسمى عدداً كثيراً وانه تفرد لي وحده ، قال ابن سلام وكان الفرزدق أكثرهم بيتاً مقلّداً والمقلّد البيت المستغنى بنفسه المشهور الذى يضرب به المثل ، فمن ذلك قوله

فيا عجباً حتى كليب تسبنى كأن أباها نَهْشَل أو مجاشع

وقوله

وكنا اذا الجبار صعَّر خده ضربناه حتى تستقيم الأخادع

وقوله

وكنت كذئب السّوء لما رأى دماً بصاحبه يوماً أحال على الدم

وقوله

ترجى ربيع أن يجيء صغارها بخير وقد أعيا ربيعاً كبارها

وقوله

أكلت دوابرَها الإكام فمشيها مما وُجِئن كمشية الاعياء

وقوله

قوارص تأتيني ويحتقرونها　　وقد يملأ القطر الاناء فيفعم

وقوله

أحلامنا تزن الجبال رزانة　　وتخالنا جناً اذا ما نجهل

وقوله

فان تنج مني تنج من ذي عظيمة　　والا فاني لا إخالك ناجيا

وقوله

ترى كل مظلوم إلينا فراره　　ويهرب منا جهده كل ظالم

وقوله

فسيف بني عبس وقد ضربوا به　　نبا بيدي ورقاء عن رأس خالد

كذاك سيوف الهند تنبو ظُباتها　　وتقطعن أحياناً مناط القلائد

وقوله

ترى الناس ماسرنا يسيرون خلفنا　　وان نحن أومأنا الى الناس وقّفوا

وقوله

وانك اذ تسعى لتدرك دارماً　　لأنت المعنَّى يا جرير المكلف

وقوله

ولو خيُر السِّيدي بين غَوَاية　　ورشد أبى السيدي ما كان غاوياً

وقوله

والشيب ينهض في السواد كأنه　　ليل يصيح بجانبيـــه نهار

وكان يداخل الكلام ، وكان ذلك يعجب أصحاب النحو ، من ذلك قوله يمدح هشام بن اسمعيل المخزومي خال هشام بن عبد الملك

وما مثله في الناس الا مُملَّكاً　　أبو أمِّـــه حي أبوه يقاربه

وقوله

تالله قد سفهت أمية رأيها فاستجهلت سفهاؤها حلماءها

وقوله

ألستم عائجين بنا لعنّا نرى العَرَصات أو أثر الخيام
فقالوا ان فعلت فأغن عنا دموعاً غير راقئة السجام

وقوله

فهل أنت إن فاتت أتانك راحل الى آل بسطام بن قيس فخاطب

وقوله

تعال فان عاهدتني لا تخونني نكن مثل من « يا ذئب » يصطحبان

وقوله

إنا وإياك إن بلغن أرحلنا كمن بواديه بعد المحل ممطور

وقوله

بنى الفاروق أمك وابن أرْوَى به عثمان مروان المصابا

وقوله

الي ملك ما أمه من محارب أبوه ولا كانت قريش تصاهره

وقوله

اليك أمير المؤمنين رمت بنا هموم المنايا الهَوْجل المتعسف
وعض زمان يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحتاً أو مجلَّف

وقوله

ولقد دنت لك بالتخلف اذ دنت منها بلا بخل ولا مبذول
وكأن لون رُضاب فيها اذ بدا برد بفرع بشامة مصقول

وقوله فيها لمالك بن المنذر

أن ابن ضَبَاريّ ربيعة مالكاً　　لله سيف ضبيعة مسلول

ما نال من آل المعلَّى قبله　　سيف لكل خليفة ورسول

قال أبو الفرج والفرزدق مقدم على الشعراء الاسلاميين هو وجرير والأخطل ومحله في الشعر أكبر من أن ينبه عليه بقول أو يدل على مكانه بوصف لأن الخاص والعام يعرفانه بالاسم ويعلمان تقدمه بالخبر الشائع علماً يستغنى به عن الاطالة فى الوصف ، وقد تكلم الناس فى هذا قديماً وحديثاً وتعصبوا واحتجوا بما لامزيد فيه واختلفوا بعد اجتماعهم على تقديم هذه الطبقة فى أيهم أحق بالتقدم على سائرها ، فأما قدماء أهل العلم والرواة فلم يسووا بينهما وبين الأخطل لانه لم يلحق شأوهما في الشعر ولا له مثل مالهما من فنونه ولا تصرف كتصرفهما فى سائره وزعموا أن ربيعة أفرطت فيه حتى ألحقته بهما وهم فى ذلك طبقتان أما من كان يميل الي جزالة الشعر وفخامته وشدة أسْره فيقدم الفرزدق وأما من كان يميل الى أشعار المطبوعين والى الكلام السَّمْح السهل الغزل فيقدم جريراً

وسئل ابن دأب عن جرير والفرزدق فقال الفرزدق أشعر خاصة وجرير أشعر عامة ، وسئل أبو البيداء عن ذلك فقال ألم تسمع الفرزدق يقول

ماحملت ناقة من معشر رجلا　　مثلى اذا الريح لفتنى على الكُور

إلا قريشاً فان الله فضلها　　مع النبوة بالاسلام والخِير

ويقول جرير

لا تحسبن مراس الحرب إذ لقحت　　شرب الكسيس[1] وأكل الخبز بالصير

سلح والله أبو حزرة ، وقال الفرزدق كنت أهاجى شعراء قومى وأنا غلام فى خلافة عثمان بن عفان فكان قومى يخشون معرة لسانى منذ يومئذ ، قيل للفرزدق مالك وللشعر ؟ فوالله ما كان أبوك غالب شاعراً ولا كان صعصعة شاعراً فمن أين لك هذا ؟ قال من قبل خالي العلاء بن قَرَظة الذي يقول

(١) شراب يتخذ من الذرة والشعير

اذا ما الدهر جرّ على أناس بكلكله أناخ بآخرينا
فقل للشامتين بنا أفيقوا سيلقي الشامتون كما لقينا

غارة الفرزدق على الشعراء

قال أبو عبيدة مر ذو الرمة فاستوقفه أصحابه فوقف ينشدهم قصيدته التى يقول فيها

أحين أعاذت بى تميم نساءها وجرّدت تجريد اليمانى من الغمد
ومدّ بضبعيَّ الرِّباب ودارم وجاشت ورامت من ورائى بنو سعد

فقال له الفرزدق إياك أن يسمعهما منك أحد فأنا أحق بهما منك، فجعل ذوالرمة يقول أنشدك الله فى شعري، فقال اغرب، فأخذهما الفرزدق فما يعرفان الا له وكف ذو الرمة عنهما

قال عمر بن شبة كان الفرزدق مهيباً تخافه الشعراء فمر يوماً بالشمردل اليربوعى وهو ينشد قصيدة حتى بلغ الى قوله

وما بين من لم يعط سمعاً وطاعة وبين تميم غير حز الغلاصم

فقال والله لتتركن هذا البيت أو لتتركن عرضك، فقال خذه على كره منى لا بارك الله لك فيه فجعله الفرزدق فى قصيدته التي أولها

تحن بزوراء المدينة ناقتى حنين عجول تبتغى البوّ رائم

وقال محمد بن سلام بلغ الفرزدق قول ابن ميادة

لو آن جميع الناس كانوا بتلعة وجئت بجدى ظالم وابن ظالم
لظلت رقاب الناس خاضعة لنا سجوداً على أقدامنا بالجماجم

فقال الفرزدق وددت أنى سبقت الى هذين البيتين قبلُ، قيل له فكنت تقول ماذا؟ قال كنت أقول «وجئت بجدى دارم وابن دارم» ثم أدخلهما بعد فى شعره وقال أبو سهيل ان قول الفرزدق فى رائيته التى يناقض بها جريراً حين يقول

كم من أب لي يا جرير كأنه قمر المجرة أو سراج نهار
لا تدركوا كرمي بلؤم أبيكم وأوابدي بتنحل الأشعار

ان هذين البيتين للراعي وان الفرزدق انتحلهما فصارا له

وقال موهوب بن رشيد الكلابي قدم الفرزدق المدينة فمر بجماعة من الناس قد استكفُّوا على جميل وهو ينشد ، فوقف بين الناس يستمع له حتى قال

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا وان نحن أومأنا الى الناس وقفَّوا

فصاح به الفرزدق أنا أحق بهذا البيت منك ، فرفع جميل رأسه فعرفه فقال أنشدك الله يا أبا فراس ، قال نحن أولى به منك وانصرف فانتحله ، وقال احمد بن أبي طاهر قال النابغة الجعدي

وصهباء لا تخفي القذى وهي دونه تُصفَّق في راووقها ثم تُقْطَب
تمززتها والديك يدعو صباحه اذا ما بنو نعش دنَوْا فتصوبوا

فقال الفرزدق وأخذه نسخا

وإجَّانة ريَّا الشراب كأنها اذا صُفقت فيها الزجاجة كوكب
تمززتها والديك يدعو صباحه اذا ما بنو نعش دنَوْا فتصوبوا

حديث النوَّار

النوَّار بنت أعْيَن بن صعصعة وهي ابنة عم الفرزدق ، خطبها رجل من بني عبد الله بن دارم فرضيته ، وكان الفرزدق وليها فأرسلت اليه أن زوِّجني من هذا الرجل ، فقال لا أفعل أو تُشهدي أنك قد رضيت بمن زوَّجتك ، ففعلت ، فلما توثق منها قال أرسلي الى القوم فليأْتوا ، فجاءت بنو عبد الله بن دارم فشحنوا مسجد بني مجاشع ، وجاء الفرزدق فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال هل علمتم أن النوار قد ولتني أمرها وأشهدكم أني قد تزوجتها على مائة ناقة حمراء سود الحدقة ،

فنفرت من ذلك وأرادت الشخوص الى ابن الزبير حين أعياها أهل البصرة ألا يطلقوها من الفرزدق حتى يشهد لها الشهود وأعياها الشهود أن يشهدوا لها اتقاء الفرزدق ، وابن الزبير يومئذ أمير الحجاز والعراق يدعى له بالخلافة ، فلم تجد من يحملها ، وأتت فتية من بني عديّ بن عبد مناة بن ادّ يقال لهم بنو أم النُّسير ، فسألتهم برحم تجمعهم ، وكانت بينها وبينهم قرابة ، فأقسمت عليهم أمها ليحملُنَّها ، فحملوها ، فبلغ ذلك الفرزدق ، فاستنهض عدة من أهل البصرة ، فأنهضوه وأوقروا له عدة من الابل وأعين بنفقه فتبع النوار ، فقال

لعمرى لقد أردى النوار وساقها ... الى البوْر أحلام خِفاف عقولها
أطاعت بني أم النُّسير فأصبحت ... على قتَب يعلو الفَلَاة دليلها
وقد سخطت مني النوار الذى ارتضت ... به قبلها الأزواج خاب رحيلها
وان امرأ أمسى يُخبّب زوجتى ... كساع الى أسد الشَّرى يستبيلها
ومن دون أبوال الأسود بسالة ... وبسطة أيدٍ يمنع الضيمَ طولها
وإن أمير المؤمنين لعالم ... بتأويل ما وصى العباد رسولها
فدونكها يا ابن الزبير فانها ... مولعة يوهى الحجارة قيلها
وما جادل الأقوام من ذى خصومة ... كوَرْهاء مشنوء اليها حليلها

فأدركها وقد قدمت مكة ، فاستجارت بخَوْلة بنت منظور بن زَبَّان الفزاري ، وكانت عند عبد الله بن الزبير ، فلما قدم الفرزدق مكة اشرأبَّ الناس اليه ونزل على بنى عبد الله بن الزبير ، فاستنشدوه واستحدثوه ثم شفعوا له الى أبيهم ، فجعل يشفعهم فى الظاهر حتى اذا صار الى خَوْلة قلبته عن رأيه ، فمال الى النوار ، فقال الفرزدق فى ذلك

أما بنوه فلم تقبل شفاعتهم ... وشُفِّعت بنت منظور بن زَبَّانا
ليس الشفيع الذى يأتيك مؤتزراً ... مثل الشفيع الذى يأتيك عريانا

ومدح حمزة بن الزبير فقال

أمسيت قد نزلت بحمزة ناقتي　　ان المنوه باسمه الموثوق
بأبي عمارة خير من وطيء الحصا　　وجرت له فى الصالحين عروق
بين الحواري الأغرّ وهاشم　　ثم الخليفة بعد والصديق

وقال له

يا حمز هل لك فى ذى حاجة عرضت　　أنصاره بمكان غير ممطور
فأنت أحرى قريش أن تكون لها　　وأنت بين أبى بكر ومنظور
بين الحوارىّ والصديق فى شعب　　ثبتين فى طُنُب الاسلام والخير

وسفر بين الفرزدق والنوار رجال من بني تميم كانوا بمكة ، فاصطلحا على أن يرجعا الى البصرة ولا يجمعهما ظلّ ولا كِنّ حتى يجمعا فى أمرهما ذلك بنى تميم ، ويصيرا على حكمهم ، ففعلا ، فلما صارا الى البصرة رجعت اليه النوار بحكم عشيرتها ، ويروى أن ابن الزبير قال للفرزدق جئنى بصداقها والا فرقت بينكما ، فقال الفرزدق أنا فى بلاد غربة فكيف أصنع ؟ قالوا له عليك بسلم بن زياد فانه محبوس فى السجن يطالبه ابن الزبير ، فذهب اليه فقص عليه قصته ، قال كم صداقها ؟ قال أربعة آلاف ، فأمر له بها وبألفين للنفقة ، فقال الفرزدق

دعى مغلق الأبواب دون فعالهم　　ولكن تمشّى بى هُبلت الى سَلْم
الى من يرى المعروف سهلا سبيله　　ويفعل أفعال الرجال التى تنمِى

ومكثت النوار عنده زماناً ترضى عنه أحياناً وتخاصمه أحياناً ، وكانت النوار امرأة صالحة ، فلم تزل تشمئز منه وتقول له ويحك أنت تعلم أنك انما تزوجت بى ضغطة وعلى خدعة ثم لا تزال فى كل ذلك حتى حلفت بيمين موثقة ثم حنثت ، وتجنبت فراشه فتزوج عليها امرأة يقال لها جُهَيمة من النمر بن قاسط حلفاء لجرير ابن عباد بن ضبيعة فجعل يأتى النوار وبه رَدْع وعليه الأثر ، فقالت له النوار هل يزوجتها الاهدادية ؟ تعنى حيا من أزد عمان ، فقال الفرزدق فى ذلك

تريك نجوم الليل والشمس حية ... زِحام بنات الحرث بن عِباد
أبوها الذي قاد النعامة بعدما ... أبت وائل في الحرب غير تماد
نساء أبوهن الأغر ولم تكن ... من الأزد في جاراتها وهِداد
ولم يك في الحي الغموض محلها ... ولا في العُمانيين رهط زياد
عدلتُ بها ميلَ النوار فأصبحت ... وقد رضيت بالنصف بعد بعاد

فلم تزل النوار ترققه وتستعطفه حتى أجابها الى طلاقها وأخذ عليها بألاّ تفارقه ولا تبرح من منزله ولا تتزوج رجلا بعده ولا تمنعه من مالها ما كانت تبذله له وأخذت عليه أن يشهد الحسن البصري على طلاقها ففعل ذلك ، قال أبو شقفل راوية الفرزدق ما استصحب الفرزدق أحداً غيري وغير راوية آخر وقد صحبت النوارُ رجالا كثيرة إلا أنهم كانوا يلوذون بالسواري خوفاً من أن يراهم الفرزدق فأتيا الحسن فقال له الفرزدق يا أبا سعيد ، قال له الحسن ماتشاء ؟ قال اشهد أن النوار طالق ثلاثاً ، فقال الحسن قد شهدنا ، فلما انصرفنا قال يا أبا شقفل قد ندمت ، فقلت والله انى لأظن أن دمك يترقرق أتدري من أشهدت ؟ والله لئن رجعت لترجَمَنَّ بأحجارك فمضى وهو يقول

ندمت ندامة الكُسَعيّ لما ... غدت مني مطلقة نوار
ولو أني ملكت يدي وقلبي ... لكان عليَّ للقدر الخيار
وكانت جنتي فخرجت منها ... كآدم حين أخرجه الضرار
وكنت كفاقىء عينيه عمداً ... فأصبح ما يضيء له النهار

تزوج الفرزدق حدراء بنت زيق بن بسطام بن قيس الشيباني وخاصمته النوار وأخذت بلحيته فجاءت بها وخرج وهو يقول

قامت نوار الىّ تنتف لحيتى ... تنتاف جعدة لحية الخشخاش
كلتاهما أسد اذا ما أغضبت ... واذا رضين فهن خير معاش

والخشخاش رجل من عنزة ، وجعدة امرأته ، فجاءت جعدة الى النوار فقالت ُما يريد منى الفرزدق أما وجد لامرأته أسوة غيرى ، وقال الفرزق للنوار يفضل عليها حذراء

لعمرى لأعرابيــة فى مظلة تظل بروقَيْ بيتها الريح تخفق

أحب الينا من ضِناك (١) مفنّة اذا وضعت عنها المراوح تعرق

كريم غزال أو كدرة غائص تكاد اذا مرت لها الارض تشرق

فلما سمعت النوار ذلك أرسلت الى جرير وقالت للفرزدق والله لأخزينك يافاسق ، فجاء جرير فقالت أما ترى ماقال الفاسق ؟ وشكته وأنشدته شعره ، فقال جرير أنا أكفيك وأنشأ يقول

ولست بمعطى الحكم عن شفّ منصب ولا عن بنات الحنظليين راغب

أراهن ماء المزن يشفى به الصدا وكانت ملاحاً غيرهن المشارب

لقد كنت أهلاً اذ تسوق دياتكم الى آل زيق أن يعيبك عائب

وما عدلت ذات الصليب ظعينة عتيبة والرّدفان منها وحاجب

أأهديت يازيق بن زيق غريبة الى شر ما تهدى اليه الغرائب

فأجابه الفرزدق فقال

تقول كليب حين مثت سبالها وأخصب من مرّوتها (٢) كل جانب

ألست اذا القعساء أنسل ظهرها الى آل بسطام بن قيس بخاطب

وقالوا سمعنا ان حدراء زوجت على مائة شمّ الذرى والغوارب

فلو كنت من أكفاء حدرة لم تلُم على دارمى بين ليــلى وغالب

وانى لأخشى إن خطبت اليهمُ عليك الذى لاقى يَسار الكواعب

---

(١) الضناك الموثق الخلق الشديد للذكر والانثى والمرأة المكتنزة الثقيلة العجز ، ورجل مفن يأتى بالعجائب وامرأة مفنة (٢) المروت واد بالعالية

ولو تُنكح الشمسُ النجومَ بناتِها　　اذاً لنكحناهن قبل الكواكب

دخل الفرزدق على الحجاج لما تزوج حدراء التميمية يستميحه مهرها، فقال له تزوجت أعرابية على مائة بعير، فقال له عنبسة بن سعيد انما هي فرائض قيمتها ألفا درهم، فقال له الحجاج ليس غيرها، يا كعب أعط الفرزدق ألفي درهم، وقدم الفضيل العنزى بصدقات بكر بن وائل فقال الفرزدق قد اشتريت منه مائة بعير بألفين وخمسمائة على أن يحتسب له فان رأى الأمير أن يأمر لي بانبائها له فعل، فأمر أبا كعب أن يثبت للفضيل ألفين وخمسمائة درهم ونسي ما كان أمر له به، فلما جاء الفرزدق بالابل قالت له النوار خسرت صفقتك أتتزوج أعرابية نصرانية سوداء مهزولة حمشاء الساقين على مائة من الابل فقال يعرض بالنوار وكانت أمها وليدة

لَجارية بين السليل عروقها　　وبين أبى الصهباء من آل خالد

أحق باغلاء المهور من التي　　ربت تتردى فى حجور الولائد

فأبت النوار عليه أن يسوقها كلها فحبس بعضها وامتار عليه ما يحتاج اليه أهل البادية ومضى حتى اذا وقف على نادى زيق وهو جالس فرحب به وقال له انزل فان حدراء قد ماتت، وكان زيق نصرانياً، فقال قد عرفنا أن نصيبك من ميراثها فى دينكم النصف وهو لك عندنا، فقال الفرزدق والله لا أرزؤك منه قطميرا، فقال زيق يا بني دارم ما صاهرنا أكرم منكم فى الحياة ولا أكرم منكم شركة فى الممات، فقال الفرزدق

عجبت لحادينا المقسم سيره　　بنا موجفات من كلال وظُلَّعا

ليُدنينا ممن الينا لقاؤه　　حبيب ومن دار أردنا لتجمعا

ولو نعلم الغيب الذى من أمامنا　　لكرّ بنا الحادى المطىَّ فأسرعا

يقولون زر حدراء والترب دونها　　وكيف بشىءٍ وصله قد تقطعا

ولست وان عزت إليّ بزائر　　ترابا على مرموسة قد تضعضعا

تزوج الفرزدق ظبية ابنة حالم من مجاشع بعد أن أسن فضعف وتركها عند أمها بالبادية سنة ولم يكن صداقها عنده فكتب الى أبان بن الوليد البجلي وهو على فارس عامل لخالد بن عبد الله القَسْرى فأعطاه فقال يمدحه

فلو جمعوا من الخـلان ألفا ... فقالوا أعطنـــا بهمُ أبانا

لقلت لهم اذا ما تغبنــونى ... وكيف أبيع من شرط الزمانا

خليل لا يرى المائة الصفايا ... ولا الخيل الجياد ولا القِيانا

عطاء دون أضعاف عليها ... ويطعم ضيفه العُبُطَ (١) السمانا

فما أرجو لظبية غـير ربى ... وغير أبي الوليـد بما أعانا

أعان بهجمـة ورضا أباها ... وكانت عنده غلقا رهانا

وقال أيضاً

لقد طالما استودعت ظبية أمها ... وهذا زمان رد فيـه الودائع

وقال حين أراد أن يبني بها

أبادر سؤالا بظبيــــة انني ... أتتني بها الأهوال من كل جانب

ثمالية المجلين لو أن ميتاً ... ولو كان في الأموات تحت النصائب

دعته لألقى الترب عند انتفاضه ... ولو كان تحت الراسيات الرواسب

وقد نشزت منه ظبية ونافرته الى المهاجر وبلغه قول جرير

لو قد علقت من المهاجر سلما ... لنجوت منه بالقضاء الفاصل

فقال لو أتتني بالملائكة معها لقضيت للفرزدق عليها ،

وكان للفرزدق ابنة يقال لها مكية وكانت زنجية وكان اذا حمي الوطيس وبلغ منه الهجاء يكتني بها ويقول

ذا كم اذا ما كنت ذا محمية ... بدارمى أمـــه ضبِّية

صَمَخْمَخ يكنى أبا مكيـة

---

(١) العبط الابل التى لا وجع بها

وقال في أم مكية

فان يك خالها من آل كسرى ... فكسرى كان خيراً من عقال
وأكثر جزية تُهدى اليه ... وأصبر عند مختلف العوالي

وكانت أم النوار خراسانية فقال لها فى أم مكية

أغرك منها لَوْنَة عربيـة ... علت لونها ان البِجادى أحمر

وكانت له جارية حملت منه ثم ماتت فبكاها و بكى ولده منها فقال

وجفن سلاح قد رزئت فلم أَنُح ... عليه ولم أبعث عليه البواكيا
وفى جفنه من دارم ذو حفيظة ... لو ان المنايا أنسأته لياليا
ولكن ريب الدهر يعثر بالفتى ... فلم يستطع رداً لما كان جائيا

وكان للفرزدق ثلاثة أولاد لبطة وحنظلة وسبطة ، وكان لبطة من العققة ، فقال له الفرزدق

أأن أرعشت كفا أبيك وأصبحت ... يداك يدى ليث فانك جاذبه
اذا غالب ابن الشباب أبا له ... كبيراً فان الله لا بد غالبه
رأيت تباشير العقوق هي التى ... من ابن امرئ ما ان يزال يعاتبه
ولما رآنى قد كبرت وأننى ... أخو الحى واستغنى عن المسح شاربه
أصاخ لغربان النجى وانه ... لأزورُ عن بعض المقالة جانبه

أتى الفرزدق عبد الله بن سلم الباهلى فسأله فثقل عليه الكثير وخشيه فى القليل وعنده عمرو بن عفراء الضبي فقال لعبد الله لا يهولنك أمره أنا أرضيه عنك بدون ما كان هم له به فأعطاه ثلاثمائة درهم فقبلها الفرزدق ورضى فبلغه صنيع عمرو فقال

ستعلم يا عمرو بن عفرا من الذى ... يلام اذا ما الأمر غبّت عواقبه
فلو كنت ضبياً صفحت ولو سرت ... على قدمى حياته وعقاربه
ولكن ديافي أبوه وأمه ... بحوران يعصرن السليط أقاربه

ولما رأى الدهنا رمته جبالها — وقالت ديافى مع الشام جانبه
فان تغضب الدهنا عليك فما بها — طريق لمرتاد تقاد ركائبه
تضن بمال الباهلى كأنما — تضن على المال الذى أنت كاسبه
وان امرأ يغتابنى لم أطأ له — حريماً ولا ينهاه عنى أقاربه
كمحتطب يوماً أساود هضبة — أتاه بها فى ظلمة الليل حاطبه
أحين التقى نابای وابيض مسحلى — وأطرق اطراق الكرى من يجانبه

ومن قوله يمدح سليمان بن عبد الملك

وكم أطلقت كفاك من غُلّ بائس — ومن عقدة ما كان يرجى انحلالها
كثير من الايدى التى قد تكتفت — فظلت وأعناقاً عليها غلالها

لما عزل مسلمة بن عبد الملك عن العراق بعمر بن هُبيرة قال الفرزدق

ولت بمسلمة الركاب مودعا — فارعَىْ فزارة لا هناك المرتع
فسد الزمان وبدلت أعلامه — حتى أمية عن فزارة تنزع
ولقد علمت اذا فزارة أمرت — أن سوف تطمع في الامارة أشجع
وخلق مثلك ماهمُ ولمثلهم — فى مثل ما نالت فزارة مطمع
عزل ابن بشر[1] وابن عمرو قبله[2] — وأخو هراة[3] لمثلها يتوقع

ولما عزل ابن هبيرة بخالد بن عبد الله القسرى حبسه خالد فى السجن فنقب له سرب فخرج منه فهرب الى الشأم فقال فيه الفرزدق

لما رأيت الارض قد سد ظهرها — ولم تر الا بطنها لك مخرجا
دعوت الذى ناداه يونس بعدما — ثوى فى ثلاث مظلمات ففرجا
فأصبحت تحت الارض قد سرت ليلة — وما سار سار مثلها حين أدلجا

---

(١) عبد الملك بن بشر بن مروان كان على البصرة (٢) سعيد بن حذيفة بن عمرو بن الوليد بن عقبة (٣) عبد العزيز بن الحكم بن أبى العاص

خرجت ولم تمنن عليك شفاعة — سوى ربذ[1] التقريب من آل أعوجا
أغر من اللاحق اللهاميم اذ جرى — جرى بك محبوك القرى غير أفحجا
جرى بك عريان الحماتين ليله — به عنك أرخى الله ما كان أشرجا[2]
وما احتال محتال كحيلته التى — بها نفسه تحت الصريحة أولجا
وظلماء تحت الارض قد خضت هولها — وليل كلون الطيلسانى أدعجا
هما ظلمتا ليـل وأرض تلاقتا — على جامع من همـه ما تعرجا

وقال فى خالد وقد حفر النهر الذى سماه المبارك وأمر على شرطة البصرة مالك بن المنذر فقال الفرزدق

أهلكت مال الله فى غير حقه — على النهر المشئوم غير المبارك
وتضرب أقواماً صحاحا ظهورهم — وتترك حق الله فى ظهر مالك
أإنفاق مال الله فى غير كنهه — ومنعاً لحق المرملات الضرائك

دخل الفرزدق على سعيد بن العاص وهو والي المدينة لمعاوية فأنشده

ترى الغر الجحاجح من قريش — اذا ما الخطب فى الحدثان غالا
وقوفاً ينظرون الى سعيـد — كأنهم يرون به هلالا

ومن فخره

وما قوم اذا العلماء عدت — عروق الأكرمين الى تراب
بمختلفين ان فضلتمونا — عليهم فى القديم ولا غضاب
ولو رفع السحاب اليه قوماً — علونا فى السماء الى السحاب

ولما ذكر فى شعره خالدا القسرى ومالك بن المنذر حبسه خالد ، فمدحهما وهو محبوس مديحاً كثيراً منه

(١) الربذ خفة القوائم فى المشى وأعوج فرس مشهور (٢) أشرجه شده بالشرج وهو العرى

يا مال هل هو مهلكي ما لم أقل ولیعلمن من القصائد قيلي
یا مال هل لك فى كبير قد أتت تسعون فوق يديه غير قليل
فتجير ناصيتي وتفرج كربتي عنى وتطلق لي يداك كبولي
ولقد بنى لكم المعلى ذروة رفعت بناءك فى أشم طويل
والخيل تعلم فى جذيمة أنها تردى بكل سميذع بهلول
فاسقوا فقد ملأ المعلى حوضكم بذنوب ملتهم الرباب سجيل

وقال لابنه لبطة وهو محبوس اشخص الى هشام ومدحه بقصيدة وقال استعن بالقيسية ولا يمنعك قولي فيهم فانهم سيغضبون لك وقال

بكت عين محزون ففاض سجامها وطالت ليالى حادث لا ينامها
فان تبك لا تبك المصيبات اذ نأى بها الدهر والأيام جم خصامها
ولكنما تبكى تهتك خالد محارم منا لا يحل حرامها

فأعانته القيسية وقالوا كلما كان فى قيس ناب أو شاعر أو سيد وثب عليه خالد

وقال الفرزدق أبياتاً كتب بها الى سعيد بن الوليد الأبرش

الى الأبرش الكلبي أسندت حاجة تواكلها حيا تميم ووائل
على حين ان زلت بي النعل زلة فأخلف ظنى كل حاف وناعل
فدونكمُ يا ابن الوليد فانها مفضلة أصحابها فى المحافل
ودونكها يا ابن الوليد فقم بها قيام امرىء فى قومه غير خامل

فكلم هشاماً فأمر بتخليته ، فقال يمدح الأبرش

لقد وثب الكلبي وثبة حازم إلى خير خلق الله نفساً وعنصرا
الى خير أبناء الخليفة لم يجد لحاجته من دونها متأخرا
أبي حلف كلب فى تميم وعقدها كما سنت الآباء أن يتغيرا

وكان هذا الحلف حلفاً قديماً بين تميم وكلب فى الجاهلية

وقال

ألم تر قيساً قيس عيلان شمرت ... لنصرى وحاطتنى هناك قرومها
فقد حالفت قيس على الناس كلهم ... تميما فهم منها ومنها تميمها
وعادت عدوى ان قيساً لأسرتى ... وقومى اذا ما الناس عد صميمها

وقال يمدح بني المهلب

فلأمدحن بني يزيد مدحة ... غرَّاء قاهرة على الأشعار
مثل النجوم أمامها قمراؤها ... تجلو العمى وتضىء ليل السارى
ورثوا الطعان عن المهلب والقرى ... وخلائقاً كتدفق الأنهار
كان المهلب للعراق وقاية ... وحيا الرَّبيع ومعقل الكرار
واذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم ... خضع الرقاب نوا كس الأبصار
ما زال مذ شد الازار بكفه ... ودنا فأدرك خمسة الأشبار
أيزيد انك للمهلب أدركت ... كفاك خير خلائق الأخيار

دخل الفرزدق على بعض خلفاء بنى مروان ، ففاخره قوم من الشعراء فقال

ما حملت ناقة من معشر رجلاً ... مثلى اذا الريح لفتنى على الكور
أعز قوماً وأوفى عند مكرمة ... معظم من دماء القوم مهجور
الا قريشاً فان الله فضلها ... على البرية بالاسلام والخير
تلقى وجوه بنى مروان تحسبها ... عند اللقاء مشوفات الدنانير

غضب زياد على الفرزدق وأخافه ، فأتى عيسى بن خصيلة البهزى السلمى ، فرحب به وأعطاه ناقة أرحبية يركبها الى الشام ، فركب الناقة وخرج من عنده ليلاً ، وقال يمدحه

كفانى بها البَهزِىّ حُملان من أبى ... من الناس والجانى تخاف جرائمه
فتى الجود عيسى ذو المكارم والعلا ... اذا المال لم ترفع بخيلا كرائمه

ومن كان يا عيسى يؤنب ضيفه فضيفك يا عيسى هنيئاً مطاعمه
وقال تعلَّمْ أنها أرْحَبِيَّة وأن لك الليل الذى أنت جاشمه
فأصبحت والملقى ورائى وحنبل وما صدرت حتى تلا الليل عاتمه
تمرت على أهل الحُفَيْر كأنها ظليم تبارى جنح ليل نعائمه
رأت بين عينيها رُوَيّة وانجلى لها الصبح عن صمل أسيل مخاطمه

وقال

تداركني أسباب عيسى من الرَّدَى ومن يك مولاه فليس بواحد
نمته النواصى من سُلَيم الى العلا وأعراق صدق بين نصر وخالد
سأُثنى بما أوليتني وأرُبّه اذا القوم عدوا فضلهم فى المشاهد

وسار الى المدينة وعليها سعيد بن العاصى بن سعيد بن العاصى بن أمية فأمنه، فبلغ الفرزدق أن زياداً قال لو أتانى أمنته وأعطيته فقال فى كلمة له

دعانى زياد للعطاء ولم أكن لآتيه ما ساق ذو حسب وفرا
وعنده زياد لو أراد عطاءهم رجال كثير قد يرى بهمُ فقرا
قعود لدى الابواب طلاب حاجة عوانٍ من الحاجات أو حاجة بكرا
فلما خشيت أن يكون عطاؤه أداهم سودا أو مُحدْرجة سمرا
نميت الى حرف أضر بِنَيِّها سُرَى الليل واستعراضها البلد القفرا

وقال فى سعيد بن العاص

ألا من مبلغ عنى زياداً مغلغلة يَخُبُّ بها البريد
بأنى قد فررت الى سعيد ولا يُسْطاع ما يحمى سعيد
فررت اليه من ليث هِزَبْر تفادى عن فريسته الأُسود
فان شئت انتميت الى النصارى وناسبني وناسبت العبيد
وان شئت انتميت الى فُقَيم وناسبني وناسبت القرود

وأبغضهم إليّ بنو فُقَيم ولكن سوف آتي ما تريد

مرّ أسماء بن خارجة الفزارى على الفرزدق وهو يهنأ بعيراً له بنفسه ، فقال له أسماء أكسد شعرك واطّرحتك الملوك فصرت الى مهنة ابلك ؟ فقد أمرت لك بمائة بعير فقال الفرزدق يمدحه

ان السماح الذى فى الناس كلهمُ قد حازه الله للمفضال أسماء

يعطى الجزيل بلا من يكدره عفواً ويُتبع آلاء بنعماء

ماضر قوماً إذا أمسي يجاورهم ألا يكونوا ذوى إبْل ولا شاء

وفد الحُتات عم الفرزدق على معاوية فمات ، فأمر معاوية بماله فأدخل بيت المال فخرج الفرزدق الى معاوية وهو غلام فمثل بين يديه وقال

أبوك وعمي يا معاوى أورثا تراثاً فيحتاز التراب أقاربه

فما بال ميراث الحتات أكلته وميراث حرب جامد لك ذائبه

فلو كان هذا الأمر فى جاهلية علمت مَن للولى القليل حلائبه

ولو كان هذا الأمر فى ملك غيركم لأداه لي أو غص بالماء شاربه

فقال له معاوية من أنت ؟ قال أنا الفرزدق ، قال ادفعوا اليه ميراث عمه الحتات وكان الف دينار ، فدفع اليه

حج الفرزدق بعد ما كبر وقد أتت له سبعون سنة وكان هشام بن عبد الملك قد حج فى ذلك العام فرأى على بن الحسين فى غُمار الناس فى الطواف فقال من هذا الشاب الذى تبرُق أسرّة وجهه كأنه مرآة صينية تتراءى فيها عذارَى الحي وجوهَها ؟ فقالوا هذا على بن الحسين بن على بن أبي طالب صلوات الله عليهم ، فقال الفرزدق

هذا الذى تعرف البطحاء وطأتَه والبيت يعرفه والحلّ والحرم

هذا ابن خير عباد الله كلهمُ هذا التقى النقي الطاهر العلَم

هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله … بجده أنبياء الله قد ختموا
وليس قولك من هـذا بضائره … العُرب تعرف من أنكرت والعجم
اذا رأته قريش قال قائلها … الى مكارم هذا ينتهى الكرم
يُغضِى حياء ويُغْضَى من مهابته … فما يكلم إلا حين يبتسم
بكفه خيزُران ريحها عَبِق … من كف أروَعَ فى عِرنينه شمم
يكاد يمسكه عرفانَ راحته … ركنُ الحطيم اذا ماجاء يستلم
الله شرفه قِدْماً وعظمه … جرى بذاك له فى لوحه القلم
أى الخلائق ليست فى رقابهم … لأولية هـذا أو له نعم
من يشكر الله يشكر أولية ذا … فالدين من بيت هذا ناله الأُمم
ينمِى إلى ذروة الدين التى قصُرَت … عنها الأكف وعن ادراكها القدم
مَنْ جده دان فضل الأنبياء له … وفضل أمته دانت له الأُمم
مشتقة من رسول الله نبعته … طابت مغارسه والخيم والشيم
ينشق ثوب الدُجَى عن نور غُرّته … كالشمس تنجاب عن اشراقها الظلم
من معشر حبهم دين وبغضهمُ … كفر وقربهمُ مَنْجًى ومعتصَم
مقدم بعد ذكر الله ذكرهمُ … فى كل بدء ومختوم به الكلم
ان عد أهل التقى كانوا أئمتهم … أوقيل من خير أهل الارض؟ قيل هم
لا يستطيع جواد بعدُ جودَهمُ … ولا يدانيهمُ قوم وان كرموا
يستدفع الشر والبلوى بحبهمُ … ويسترب به الاحسان والنعم

فغضب هشام فحبسه بين مكة والمدينه فقال

أتحبسنى بين المدينة والتى … اليها قلوب الناس يهوى منيبها
يقلب رأساً لم يكن رأس سيد … وعيناً له حوْلاء بادٍ عيوبها

فبلغ شعره هشاماً فأطلقه

كان فتى فى بني حرام بن سماك شويعر قد هجا الفرزدق فأخذه قومه فأتوا به الفرزدق وقالوا هو بين يديك فان شئت فاضرب وان شئت فاحلق لا عَدْوَى عليك ولا قصاص نخلى عنه وقال

فمن يك خائفاً لأذاة قولى   فقد أمن الهجاء بنو حَرام
همُ قادوا سفيههمُ وخافوا   قلائد مثل أطواق الحمام

الفرزدق وزياد

كان سبب هرب الفرزدق من زياد وهو على العراق أنه كان هجا بنى فُقَيم فقال فيهم

وآب الوفد وفد بني فُقَيم   بأخبث ما تؤوب به الوفود
أتونا بالقرود معادليها   فصار المجد للجد السعيد

وقال يهجو زيد بن مسعود الفُقَيمى والأشهب بن رُمَيلة بأبيات منها قوله

تمنى ابن مسعود لقائى سفاهة   لقد قال مينا يوم ذاك ومنكرا
غَناء قليل عن فُقَيم ونَهْشَل   مُقام هجين ساعة ثم أدبرا

يعنى الأشهب بن رميلة ، وكان الأشهب خطب الى بنى فقيم فردوه وقالوا له اهج الفرزدق حتى نزوجك ، فرجز به الأشهب فقال

ياعجبا هل يركب القَيْنُ الفرس   وعرق القين على الخيل نجس
وانما سلاحــه اذا حبس   الكلبتان والعلاة والقبس

فلما بلغ الفرزدق قوله هجاه فأرفث له وألح الفرزدق على النهشليين بالهجاء فشكوه الى زياد وكان يزيد بن مسعود ذا منزلة عنده ، فطلبه زياد فهرب فأتى بكر ابن وائل فأجاروه ، فقال الفرزدق

انى وان كانت تميم عمارتى   وكنت الى القُدْموس منها التقاقم

لَمُنْنٍ على أفناء بكر بن وائل   ثناء يوافى ركبهم فى المواسم
هم يوم ذى قار أناخوا فجالدوا   برأس به تدمَى رؤس الصَّلادم

وهرب حتى أتى سعيد بن العاصى فأقام بالمدينة يشرب ويدخل الى القيان وقال

اذا شئت غنانى من العاج قاصف   على معصم ريَّان لم يتخدد
لبيضاء من أهل المدينة لم تعش   ببؤس ولم تتبع حمولة مجحد
وقامت تخشيني زياداً وأجفلت   حواليَّ فى برد يمان ومجسد
فقلت دعيني من زياد فانني   أرى الموت وقافا على كل مرصد

فبلغ شعره مروان فدعاه وتوعده وأجله ثلاثاً وقال اخرج عني ، فأنشأ يقول

دعانا ثم أجلنا ثلاثاً   كما وعدت لمهلكها ثمود

قال مروان قولوا له عنى انى أجبته فقلت

قل للفرزدق والسفاهة كاسمها   ان كنت تارك ما أمرتك فاجلس
ودع المدينة انها محظورة   والحق بمكة أو ببيت المقدس

وعزم على الشخوص الى مكة فكتب له مروان الى بعض عماله ما بين مكة والمدينة بمائتي دينار فارتاب بكتاب مروان فجاء به اليه وقال

مروانُ ان مطيتى محبوسة   ترجو الحباء وربها لم ييأس
وأتيتنى بصحيفة مختومة   يخشى علىَّ بها حباء النقرس
ألق الصحيفة يا فرزدق لا تكن   نكداً كمثل صحيفة المتلمس

ورمى بها الى مروان ، فضحك وقال ويحك انك أمّيّ لا تقرأ فاذهب بها الى من يقرؤها ثم ردها حتى أختمها ، فذهب بها ، فلما قرئت اذا فيها جائزة ، فردها الى مروان فختمها ، وأمر له الحسين بن على عليهما السلام بمائتي دينار .

لما ولي خالد بن عبدالله العراق ولى مالك بن المنذر شرطة البصرة فقال الفرزدق

يبغض فينا شرطة البصر أننى   رأيت عليها مالكا عقب الكلب

فقال مالك عليّ به ، فمضوا به اليه فقال

أقول لنفسي اذ تغصّ بريقها ألا ليت شعري مالها عند مالك

فسمع قوله حائك يطّلع من طرازه فقال

لها عنده أن يرجع الله ريقها اليها وتنجو من عظيم المهالك

فقال الفرزدق هذا أشعر الناس وليعودن مجنوناً يصيح الناس فى أثره ، فلما أتوا مالك بن المنذر بالفرزدق قال هيه « عقب الكاب » قال ليس هذا قلت ، وانما قلت

ألم ترني ناديت بالصوت مالكاً ليسمع لما غصّ من ريقه الفم

أعوذ بقبر فيه أكفان منذر فهن لأيدي المستجيرين محرم

قال قد عذت بمعاذ وخلى سبيله

قال ابراهيم بن محمد بن سعيد بن وقاص قدم الفرزدق المدينة فى امارة أبان بن عثمان فأتى الفرزدق وكثير عزة ، فبينا هما يتناشدان الأشعار اذ طلع عليهما غلام شخت رقيق الأدمة فى ثوبين ممصرين فقصد نحونا ولم يسلم وقال أيكم الفرزدق ؟ فقلت مخافة أن يكون من قريش أهكذا تقول لسيد العرب وشاعرها ؟ فقال لو كان كذلك لم أقل هذا ، فقال له الفرزدق من أنت لا أم لك ؟ قال رجل من الأنصار ثم من بنى النجار ثم أنا ابن أبى بكر بن حزْم بلغنى أنك تزعم أنك أشعر العرب وتزعمه مضر وقد قال شاعرنا حسان بن ثابت شعراً فأردت أن أعرضه عليك وأؤجلك سنة فان قلت مثله فأنت أشعر العرب كما قيل والا فأنت منتحل كذاب ثم أنشده « ألم تسأل الربع الجديد التكلما » حتى بلغ الى قوله

وأبقى لنا مر الحروب ورزؤها سيوفاً وأدراعاً وجمعاً عرمرما

لنا حاضر فعم وباد كأنه شماريخ رضوى عزة وتكرما

متى ما تردنا من معدّ عصابة وغسان نمنع حوضنا أن يهدما

بكل فتى عارى الأشاجع لاحه قراع الكماة يرشح المسك والدما

ولدنا بنى العنقاء وابني محرق ... فأكرم بنا خالا وأكرم بنا ابنما

نسوّد ذا المال القليل اذا بدت ... مروءته فينا وان كان مُعْدِما

وانا لنقرى الضيف ان جاء طارقاً ... من الشحم ما أمسى صحيحاً مسلما

لنا الجفنات الغرّ يلمعن في الضحى ... وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

فأنشده القصيدة وهي نيف وثلاثون بيتاً وقال له قد أجلتك فى جوابها حولا، فانصرف الفرزدق مغضباً يسحب رداءه وما يدرى أين يضع طرفه حتى خرج من المسجد ، فأقبل على كثير فقال قاتل الله الأنصار ما أفصح لهجتهم وأوضح حججهم وأجود شعرهم ، فلم نزل فى حديث الأنصار والفرزدق بقية يومنا حتى اذا كان من الغد خرجت من منزلي الى المسجد الذى كنت فيه بالأمس فأتى كثير فجلس معى وانا لنتذاكر الفرزدق ونقول ليت شعرى ما صنع اذ طلع علينا في حلة أفواف قد أرخى غديرته حتى جلس فى مجلسه بالأمس ثم قال ما فعل الأنصارى ؟ فنلنا منه وشتمناه ، فقال قاتله الله ما مُنيت بمثله ولا سمعت بمثل شعره ، فارقته وأتيت منزلي فأقبلت أُصعِّد وأُصوِّب فى كل فن من الشعر فكأنى مُفْحَم لم أقل شعراً قط حتى اذا نادى المنادى بالفجر رحلت ناقتى وأخذت بزمامها حتى أتيت ريانا «وهو جبل بالمدينة» ثم ناديت بأعلى صوتى أخاكم أخاكم « يعنى شيطانه » فجاش صدرى كما يجيش المرجل فعقلت ناقتى وتوسدت ذراعها فما سكت حتى قلت مائة بيت من الشعر وثلاثة عشر بيتاً ، فبينا هو ينشد اذ طلع الأنصارى حتى اذا انتهى الينا سلم علينا ثم قال انى لم آتك لأعجلك عن الأجل الذى وقّته لك ولكني أحببت ألاّ أراك الا سألتك إيش صنعت ، فقال اجلس وأنشده قوله

عزفت بأعشاش وما كدت تعزف ... وأنكرت من حدراء ما كنت تعرف

ولج بك الهجران حتى كأنما ... ترى الموت فى البيت الذى كنت تألف

حتى بلغ الى قوله

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا ... وان نحن أومأنا الى الناس وقفوا

وأنشدها الفرزدق حتى بلغ الى آخرها ، فقام الأنصارى كئيباً ، فلما توارى طلع أبوه أبو بكر بن حزم فى مشيخة من الأنصار فسلموا عليه وقالوا يا أبا فِراس قد عرفت حالنا ومكاننا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بلغنا أن سفيهاً من سفهائنا تعرض لك فنسألك بحق الله وحق رسوله لما حفظت فينا وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ووهبتنا له ولم تفضحنا ، قال محمد بن ابراهيم فأقبلت عليه أكلمه فلما أكثرنا عليه قال اذهبوا فقد وهبتكم لهذا القرشى

يقول مهذب الأغانى هذه القصيدة من غرر قصائد الفرزدق وعيون أشعاره وهى مائة وتسعة عشر بيتاً يقول فيها

سيعلم من سامى تميما اذا هوت	قوائمه فى البحر من يتخلف
قسعد جبال العز والبحرُ مالك	فلا حضَن يَبْلَى ولا البحر يُنْزَف
لنا العزة العلياء والعدد الذى	عليه اذا عدّ الحصا يتحالف
ولا عز الا عزنا قاهر له	ويسألنا النِّصف الذليل فينصف
ومنا الذى لا ينطق الناس عنده	ولكن هو المستأذن المتنصف
تراهم قعوداً حوله وعيونهم	مكسرة أبصارها ما تصَرّف
وبيتان بيت الله نحن وُلاته	وبيت بأعلى إيلياء مشرف
لنا حيث آفاق البرية تلتقى	عميد الحصى والقسورى المخندف
اذا هبط الناس المحصَّب من منى	عشية يوم النحر من حيث عرّفوا
ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا	وان نحن أومأنا الى الناس وقّفوا
ألوف ألوف من دروع ومن قنًا	وخيل كرَيْعان الجراد وحَرْشَف
وان نكثوا يوماً ضربنا رقابهم	على الدين حتى يقبل المتألف
فانك اذ تسعى لتدرك دارما	لأنت المعنَّى يا جرير المكلَّف

قدم الفرزدق الشام وبها جرير فقال له جرير ما ظننتك تقدم بلداً أنا فيه، فقال له الفرزدق انى طالما أخلفت ظن العاجز

مر الفرزدق بمحمد بن وكيع بن أبي سود وهو على ناقة فقال له غدني، قال ما يحضرني غداء: قال فاسقني سويقاً، قال ما هو عندي، قال فاسقني نبيذاً، قال أوصاحب نبيذ عهدتني؟ قال فما يقعدك في الظل؟ قال فما أصنع؟ قال اطل وجهك بدبس ثم تحول الى الشمس وامتد فيها حتى يشبه لونك لون أبيك الذي تزعمه، قال أبو عمرو فما زال ولد محمد يسبون بذلك من قول الفرزدق

شهد الفرزدق عند اياس بن معاوية فقال أجزنا شهادة الفرزدق أبي فراس وزيدونا شهوداً، فقام الفرزدق فرحاً، فقيل له انه والله ما أجاز شهادتك، قال بلى قد سمعته يقول قد قبلنا شهادة أبي فراس، قالوا أفما سمعته يستزيد شاهداً آخر؟ فقال وما يمنعه ألاَّ يقبل شهادتي وقد قذفت ألف محصنة

كان رجل من قضاعة ثم من بني القَيْن على السِّنْد وفي حبسه رجل يقال له حبيش أو خنيس وطالت غيبته عن أهله، فأتت أمه قبر غالب بكاظمة وقامت عليه حتى علم الفرزدق بمكانها، ثم انها أتت فطلبت اليه في أمر ابنها فكتب الى تميم القضاعي

هَبْ لي خُنَيساً واتخذ فيه منة ... لغُصة أم ما يسوغ شرابها
أتتني فعاذت يا تميم بغالب ... وبالحفرة السافي عليها ترابها
تميم بن زيد لا تكونن حاجتي ... بظهر فلا يخفى عليَّ جوابها

فلما أتاه الكتاب لم يدر أخنيس أم حبيش فأطلقهما جميعاً

ضرب مكاتب لبني مِنْقَر خيمة على قبر غالب فقدم الناس على الفرزدق فأخبروه انهم رأوا بناء على قبر غالب أبيه ثم قدم عليه وهو بالمِرْبد فقال

بقبر ابن ليلى غالب عذت بعدما ... خشيت الردى أو أن أرد على قَسْر

يخاطبني قبر ابن ليلى وقال لى   فكاكك أن تلقى الفرزدق بالمصر

فقال له الفرزدق صدق أبي أنخ أنخ ثم طاف فى الناس حتى جمع له كتابته وفضلا

قال ابن عياش لقيت الفرزدق فقلت له يا أبا فراس أنت الذى تقول

فليت الأكف الدافنات ابن يوسف   يقطعن اذ غيبن تحت السقائف

فقال نعم أنا ، فقلت له ثم قلت بعد ذلك له

لئن نفر الحجاج آل مُعَتِّب   لقُوا دولة كان العدو يُدالُها

لقد أصبح الأحياء منهم أذلة   وفى الناس موتاهم كلوحا سِبالها

فقال الفرزدق نعم نكون مع الواحد منهم ما كان الله معه فاذا تخلى عنه انقلبنا عليه

دخل قوم من بنى ضبة على الفرزدق فقالوا له قبحك الله من ابن أخت قد عرضتنا لهذا الكلب السفيه « يعنون جريراً » حتى يشتم أعراضنا ويذكر نساءنا فغضب الفرزدق وقال بل قبحكم الله من أخوال فوالله لقد شرفكم من فخرى أكثر مما غضكم أفأنا ويحكم عرضتكم لسويد بن أبي كاهل حيث يقول

لقد زَرِقت عيناك يا ابن مُكَعْبَر   كما كل ضَبّيٍ من اللؤم أزرق

ترى اللؤم فيهم لائحاً فى وجوههم   كما لاح فى خيل الحلائب أبلق

أو أنا عرضتكم للأغلب العجلى حيث يقول

لن تجد الضبى إلا فلا   عبداً اذانا وقواما ذلا

مثل قفا المدية أو أذلاّ   حتى يكون الألأم الأقلا

أو أنا عرضتكم لمالك بن نُوَيرة حيث يقول

ولو يذبح الضَّبى بالسيف لم تجد   من اللؤم للضبى لحماً ولا دما

والله لما ذكرت من شرفكم وأظهرت من أيامكم أكثر ألست القائل

وأنا ابن حنظلة الأغر واننى   فى آل ضبة للمُعِمّ المُخوِل

فرعان قد بلغ السماء ذراهما ... واليهما من كل خوف يعقل

دخل الفرزدق على قوم يشربون عند رجل بالبصرة وفى صدر مجلسهم فتى أسود وعلى رأسه اكليل فلم يحفل بالفرزدق ولم يُخفِ تهاوناً فغضب الفرزدق من ذلك وقال

جلوسك فى صدر المكان مذلة ... ورأسك فى الاكليل إحدى الكبائر

وما نطفت كأس ولا لذ طعمها ... ضربت على حافاتها بالمشافر

لما مات وكيع بن أبى سود أقبل الفرزدق حين أخرج وعليه قميص أسود وقد شقه الى سرته وهو يقول

فان الذى نادى وكيعاً فناله ... تناول صديق النبي أبا بكر

فمات ولم يوتر وما من قبيلة ... من الناس إلا قد أبات على وتر

فعلق الناس الشعر فجعلوا ينشدونه حتى دفن وتركوا الاستغفار له

دخل الفرزدق على بلال بن أبى بردة فأنشده قصيدته المشهورة التى يقول فيها

فان أبا موسى خليل محمد ... وكفاه يمنى للهدى وشمالها

فقال ابن أبى بردة هلكت والله يا أبا فراس ، فارتاع الشيخ وقال كيف ذاك ؟ قال ذهب شعرك ، أين مثل شعرك فى سعيد وفى العباس بن الوليد ؟ « وسمى قوماً » فقال جئني بحسب مثل أحسابهم حتى أقول فيك كقولهم ، فغضب بلال حتى دعى له بطشت فيه ماء بارد فوضع يده فيه حتى سكن ، فكلمه جلساؤه وقالوا قد كفاك الشيخ نفسه وقلما يبقى حتى يموت

لقى الفرزدق الحسين بن على عليهما السلام متوجهاً الى الكوفة خارجا من مكة فى اليوم السادس من ذى الحجة فقال الحسين صلوات الله عليه وعلى آله ما وراءك ؟ قال يا ابن رسول الله أنفس الناس معك وأيديهم عليك ، قال ويحك معى وَقْر بعير من كتبهم يدعوننى ويناشدوننى الله ، فلما قتل الحسين صلوات الله

عليه قال الفرزدق ان غضبت العرب لابن سيدها وخيرها فاعلموا انه سيدوم عزها وتبقى هيبتها وان صبرت عليه ولم تغير لم يزدها الله الا ذلاً الى آخر الدهر وأنشد فى ذلك

فان أنتمُ لم تثأروا لابن خيركم فألقوا السلاح واغزلوا بالمغازل

سمع الفرزدق رجلا يقرأ « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله » والله غفور رحيم ، فقال لا ينبغى أن يكون هذا هكذا فقيل انما هو « والله عزيز حكيم » فقال هكذا ينبغى أن يكون

قدم الفرزدق المدينة فى سنة مجدبة ، فمشى أهل المدينة الى عمر بن عبد العزيز فقالوا له أيها الأمير ان الفرزدق قدم مدينتنا هذه فى هذه السنة المجدبة التى قد أهلكت عامة الأموال التى لأهل المدينة وليس عند أحد منهم ما يعطيه شاعراً فلو أن الأمير بعث اليه فأرضاه وتقدم اليه ألاَّ يعرض لأحد بمدح ولا هجاء ، فبعث اليه عمر انك يافرزدق قدمت مدينتنا هذه فى هذه السنة الجدبة وليس عند أحد منهم ما يعطيه شاعراً ، وقد أمرت لك بأربعة آلاف درهم فخذها ولا تعرض لأحد بمدح ولا هجاء ، فأخذها الفرزدق ومرَّ بعبد الله بن عمرو بن عثمان وهو جالس فى سقيفة داره عليه مُطْرَف خز أحمر وجبة خز أحمر ، فوقف عليه فقال

أعبد الله أنت أحق ماش وساع بالجماهير الكبار
نما الفاروق أمك وابن أروَى أبوك فأنت منصدع النهار
هما قمرا السماء وأنت نجم به فى الليل يُدْلج كل سار

فخلع عليه الجبة والعمامة والمطرف وأمر له بعشرة آلاف درهم ، فخرج رجل كان حضر عبد الله والفرزدق عنده ورأى ما أعطاه إياه وسمع ما أمره به عمر من ألا يعرض لأحد ، فدخل على عمر بن عبد العزيز فأخبره ، فبعث اليه عمر ألم أتقدم اليك يافرزدق ألاَّ تعرض لأحد بمدح ولا هجاء ؟ اخرج فقد أجلتك ثلاثاً فان وجدتك بعد ثلاث نكلت بك ، فخرج وهو يقول

فأجلني وواعدني ثلاثاً كما وعدت لمهلكها ثمود

وقال جرير فى ذلك

نفاك الأغرّ ابن عبد العزيز ومثلك ينفى من المسجد

وشبهت نفسك أشقى ثمود فقالوا ضللت ولم تهتد

كان عطية بن جُعال الغُدَانى صديقاً ونديماً للفرزدق ، فبلغ الفرزدق أن رجلاً من بنى غُدَانة هجاه وعاون جريراً عليه وأنه أراد أن يهجو بني غدانة فأتاه عطية بن جعال فسأله أن يصفح له عن قومه ويهب له أعراضهم ، ففعل ثم قال

أبنى غُدَانة انني حررتكم ووهبتكم لعطية بن جُعال

لولا عطية لاجتدعت أنوفكم من بين ألأم آنف وسبال

فبلغ ذلك عطية ، فقال ما أسرع ما ارتجع أخى هبتـه ، قبحها الله من هبة ممنونة مرتجعة

روى المرزبانى عن أبى الخطاب الأخفش وكان أعلم الناس بالشعر وأنقدهم له وأحسن الرواة ديناً وثقة ، قال لم يهجُ جرير الفرزدق الا بثلاثة أشياء يكررها في شعره كلها كذب ، منها جعثن والزبير والقين ، فأما جعثن فكانت من خير نسائها احتال بنو منقر ، فأقعدوا انساناً فى طريقها ، وقد خرجت لبعض أمرها ، فرمى بها فوقعت ومضى يعدو ليزيلوا عن أنفسهم شيئاً زعموا أن الفرزدق فعله بهم ، وأما الزبير فانه وقف على مسجد بنى مجاشع فسأل عن عياض بن حمار بن أبى حمار فقال النعر بن زمّام المجاشعى هو بوادى السباع ، فمضى الزبير يريده وخرج النعر مع الزبير رحمه الله حتى بلغ النحّيت ثم رجع ، فتبعه عمرو بن جُرْموز فقتله قبل أن ينتهي الى عياض ، وخبر القين أن رجلاً استعان بالفرزدق فسأله أن يمشى معه الى موالي بني سعد فى حاجة ، فقال الفرزدق للمستعين به ان عمتى كان لها قين ، فلما هجانى جرير جعلني قيناً بذلك السبب وان الرجل الذى تستعين بى عليه صاحب

سماد ولئن بلغ جريراً أني مشيت معك ليجعلني كسَّاحاً ، فلم يمش معه ، فهذه قصة القين ، قال أبو الخطاب فلم يهجه الا من ثلاث جهات كاذبات فردد ذلك وكرره فى شعره ، فمن ذلك قوله

انى تذكرنى الزبير حمامة ... تدعو بمجمع نخلتين هديلا
أفتى الندى وفتى الطعان قتلتمُ ... وفتى الرياح اذا تهبّ بليلا
لو كنت حراً يا ابن قَيْنٍ مجاشع ... شيعت ضيفك فرسخين وميلا
قتل الزبير وأنتمُ جيرانه ... تبًّا لمن قتل الزبيرَ طويلا
قالت قريش ما أذل مجاشعاً ... جاراً وأكرم ذا القتيلَ قتيلا

حج سليمان بن عبد الملك ومعه الشعراء فمرّ بالمدينة منصرفاً فأتى بأسرى من الروم نحو من أربع ، فقعد سليمان وعنده عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي عليهم السلام وعليه ثوبان ممصران وهو أقربهم منه مجلساً فأدنوا اليه بطريقهم وهو فى جامعة فقال لعبد الله بن الحسن قم فاضرب عنقه ، فقام فما أعطاه أحد سيفاً حتى دفع اليه حرسي سيفاً كليلاً فضربه فأبان عنقه وذراعه وأطنّ ساعده و بعض الغلّ ، فقال له سليمان اجلس فوالله ماضربته بسيفك ولكن بحسبك ، وجعل يدفع الأسرى الى الوجوه فيقتلونهم حتى دفع الى جرير رجلا فدست له بنو عبس سيفاً قاطعاً فى قراب أبيض ، فضربه فأبان رأسه ، ودفع الى الفرزدق أسيراً ، فدست اليه القيسية سيفاً كليلاً ، فضرب به الأسير ضربات فلم يصنع شيئاً ، فضحك سليمان وضحك الناس معه ، وقد ذكر ذلك الفرزدق فى قصيدته التي يذكر فيها قتل قتيبة بن مسلم الباهلي ، قتله وكيع بن حسان بن قيس بن أبى سود اليربوعى وأولها

تحنّ بزوراء المدينة ناقتى ... حنين عجول تبتغى البوّ رائم

يقول فيها

فلا نقتل الاسرى ولكن نفكهم ... اذا أثقل الأعناق حملُ المغارم

فهل ضربة الرومى جاعلة لكم　　أباً عن كليب أو أباً مثل دارم
كذاك سيوف الهند تنبو ظباتها　　ويقطعن أحياناً مناط التمائم

فأجابه جرير بقصيدته التى أولها

ألا حى ربع المنزل المتقادم　　وما حلّ مذ حلت به أم سالم

يقول فيها

تُرانى اذا ما الناس عدوا قديمهم　　وفضلَ المساعي مسفراً غير واجم
بأيام قومى ما لقومك مثلها　　بها سهلوا عني خبار الجرائم
اذا ألجمت قيس عناجيج كالقنا　　مُجَجْنَ دماً من طول علك الشكائم
سبَوْا نسوة النعمان وابني مُحَرِّق　　وعمران قادوا عَنْوَة بالخزائم
وهم أنزلوا الجَوْنين فى حومة الوغَى　　ولم يمنع الجونين عقد التمائم
كأنك لم تشهد لقيطاً وحاجباً　　وعمرو بن عمرو اذ دعَوْا يا لدارم
ولم تشهد الجَوْنين والشِّعبَ ذا الصفا　　وشدَّات قيس يوم دير الجماجم
أكلفت قيساً أن نبا سيف غالب　　وشاعت له أُحدوثة فى المواسم
بسيف أبى رَغْوان سيف مجاشع　　ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم
ضربت به عند الامام فأُرعشت　　يداك وقالوا مُحْدَث غير صارم
ضربت به عرقوب ناب بصوءر　　ولا تضربون البيض تحت الغماغم
عنيف بهز السيف قَيْنُ مجاشع　　رفيق بأخرات الفؤس الكرازم
ستخبر يا ابن القَيْن أن رماحنا　　أباحت لنا ما بين فَلْج وعاسم

وقال الفرزدق يعرض بسليمان ويعيره بنبو سيف ورقاء بن زهير العبسى عن خالد بن جعفر وبنو عبس أخوال عبد الملك

فان يك سيف خان أو قدر أتى　　بتعجيل نفس حتفها غير شاهد
فسيف بني عبس وقد ضربوا به　　نبا بيدي ورقاء عن رأس خالد

كذاك سيوف الهند تنبو ظُباتها وتقطع أحياناً مناط القلائد

موت الفرزدق

أصابته ذات الجنب فكانت سبب وفاته ووصف له أن يشرب النفط الأبيض، فجعل فى قدح وسقيه ، فقال لابنه يا بنىّ عجلت لأبيك شراب أهل النار ، فقال له يا أبت قلْ لا إله الا الله وجعل يكررها ، فنظر اليه وجعل يقول

فظلت تغالي باليفَاع كأنها رماح نحاها وجهة الريح راكز

فكان ذا هِجّيراه حتى مات ، ودخل عليه بلال بن أبي بردة فى مرضه الذى مات فيه وهو يقول

أرونى من يقوم لـكم مقامى اذا ما الأمر جل عن الخطاب
الى من تفزعون اذا حثوتم بأيديكم عليَّ من التراب

فقال بلال الى الله الى الله ، وقال عوانة قيل للفرزدق فى المرض الذى مات فيه أوص ، فقال

أوصي تميماً ان قضاعة ساقها ندى الغيث عن دار بدُومة أوجدْب
فانكم الأكفاء والغيث دُولة يكون بشرق من بلاد ومن غرب
اذا انتجعت كلب عليكم فوسعوا لها الدار فى سهل المقامة والرحب
فأعظم من أحلام عاد حلومهم وأكثرهم عند العديد من الترب
أشـــد حبال بعد حبين مِرّة حبال أُمِرَّت من تميم ومن كلب

وتوفى للفرزدق ابن صغير له قبل وفاته بأيام وصلى عليه ثم التفت الى الناس فقال

وما نحن الا مثلهم غير أننا أقمنا قليلا بعدهم وتقدموا

فلم يلبث أياماً حتى مات ، قال ابنه لبطة أغمى على أبي فبكينا ففتح عينيه وقال أعلىَّ تبكون ؟ قلنا نعم فعلى ابن المراغة نبكي ؟ فقال ويحكم أهذا موضع ذكره؟ وقال

إذا ما دبت الأفيـاء فوقى   وصاح صدَى علىَّ من الظلام
فقد شمتت أعاديكم وقالت   أدانيكم من آين لنا المحامى

مات الفرزدق فى سنة أربع عشرة ومائة وقبره بالبصرة وكان أسن حتى قارب المائة ورثاه أبو ليلى المجاشعى فقال

لعمرى لقد أشجى تميماً وهدّها   على نكبات الدهر موت الفرزدق
عشـية قدنا للفرزدق نعشه   الي جدَث فى هوَّة الارض مُعْمَق
لقد غيبوا فى اللحد من كان ينتمى   الى كل بدر فى السماء محلِّق
ثوى حامل الأثقال عن كل مُثْقَل   ودفاع سلطان الغشوم السَّمَلَّق
لسان تميم كلها وعمـــادها   وناطقها المعروف عند المُخَنَّق
فمن لتميم بعـد موت ابن غالب   اذا حل يوم مظلم غـير مشرق
لتبك النساء المعولات ابن غالب   لجان وعانٍ فى السلاسل موثق

شعراء عدىّ بن عبد مناة

ذو الرمة

هو غيلان بن عقبة بن مسعود من بنى عديّ بن عبد مناة بن أدّ ويكنى أبا الحارث وذو الرُّمَّة لقب له يقال لقبته به ميَّة وكان اجتاز بخبائها وهى جالسة الى جنب أمها فاستسقاها ماء فقالت قومى فاسقيه ، فقامت فأتته بماء وكانت على كتفه رُمّة وهى قطعة من حبل فقالت اشرب ياذا الرمة ، فلقب بذلك ، وكان له اخوة لأبيه وأمه شعراء منهم مسعود وهو الذى يقول يرثى أخاه ذا الرمة ويذكر ليلى بنته

الى الله أشكو لا إلى الناس أننى — وليلى كلانا موجع مات وافده

ولمسعود يقول ذو الرمة

أقول لمسعود بجرعاء مالك — وقد همّ دمعى ان تسحّ أوائله
ألاهل لذى الأظعان جاوزن مُشْرفاً — من الرمل أو سالت بهن سلاسله (١)

ومسعود الذى يقول يرثى أخاه أيضاً ذا الرمة ويرثى أوفى بن دلهم ابن عمه وأوفى هذا أحد من يروى عنهم الحديث

نعى الركب أوفى حين آبت ركابهم — لعمرى لقد جاؤا بشر فأوجعوا
نعوا باسق الأخلاق لا يخلفونه — تكاد الجبال الصمّ منه تصدّع
خوى المسجد المعمور بعد ابن دلهم — فأضحى بأوفى قومه قد تضعضعوا
تعزيت عن أوفى بغيلان بعده — عزاء وجفن العين ملآن مترع
ولم تنسني أوفى المصيبات بعده — ولكن نكء القرح بالقرح أوجع

(١) سلاسل الرمل ما انعقد واتصل

وأخوه الآخر هشام وهو رباه وكان شاعراً ولذى الرمة يقول

أغيلان ان ترجع قوى الود بيننا فكل الذى ولّى من العيش راجع
فكن مثل أقصى الناس عندى فانني بطول التنائى من أخى السوء قانع

وقال ذو الرمة لهشام أخيه

أغرّ هشاما من أخيه ابن أمه قوادم ضأن أقبلت وربيع
وهل تُخلف الضأن الغزار أخا الفتى اذا حل أمر في الصدور فظيع

فأجابه هشام فقال

اذا بان مالي من سوامك لم يكن اليك ورب العالمين رجوع
فأنت الفتى ما اهتز في الزهر الندى وأنت اذا اشتد الزمان منوع

خرج ذو الرمة يسير مع أخيه مسعود بأرض الدّهناء فسنحت لهما ظبية فقال ذو الرمة

أقول لدَهناوية عوْهج(١) جرت لنا بين أعلى عُرْفة بالصّرائم
أيا ظبية الوَعْساء بين جلاجلٍ وبين النَّقا آأنت أم أم سالم

وقال مسعود

فلو تحسن التشبيه والنعت لم تقل لشاة النقا آأنت أم أم سالم
جعلت لها قرنين فوق قصاصها وظلفين مسودّين تحت القوادم

فقال ذو الرمة

هى الشبه الا مِدْرَيها(٢) وأذنها سواء والا مَشْقَةً فى القوائم

وكان ذو الرمة كثيراً ما يأتى الحضر فيقيم بالكوفة والبصرة وكان طفيلياً وكان مدور الوجه حسن الشعرة جيدها أقنى أنْزَع خفيف العارضين أكحل حسن

---

(١) عوهج طويلة العنق وعرفة موضع والصرائم الرمال (٢) مدريها يعنى قرنيها والمشقة الرقة

الصورة مفوّها اذا كلمك كلمك أبلغ الناس، يضع لسانه حيث يشاء ، قال أبو عمرو ختم الشعر بذى الرمة وختم الرجز برُؤْبة وقال الاصمعي كان ذو الرمة أشعر الناس اذا شَبه ولم يكن بالمُفْلق

وقف الفرزدق على ذى الرمة وهو ينشد قصيدته التى يقول فيها

اذا ارفضّ(١) أطراف السياط وهُلّلت جُروم المطايا عذبتهن صيدح

فقال ذو الرمة كيف تسمع يا أبا فراس ؟ قال أسمع حسناً ، قال فمالي لا أعد في الفحول من الشعراء ؟ قال يمنعك من ذلك ويباعدك ذكر الأبعار وبكاؤك الديار ثم قال

ودَوّية لو ذو الرُّميمة أمها لقصر عنها ذو الرميم وصيدح
قطعت الى معروفها منكراتها اذا اشتد آل الأمعز المتوضح

وكان هوى ذى الرمة مع الفرزدق على جرير وذلك لما كان بين جرير وابن لجأ التيمى ، وتيم وعدى اخوان من الرّباب ، وعُكْل أخوهم ولذلك يقول جرير لعكل

فلا يَضْغَمَنّ الليث عكلا بغرة وعكل يسمّون الفريس المنيبا

الفريس ههنا ابن لجأ وكذلك يفعل السبع اذا ضغم شاة ثم طرد عنها أو سبقته أقبلت الغنم تَشَمّ موضع الضغم فيفترسها السبع وهى تَشَمّ ولذلك قال جرير لبنى عدى

وقلت نصاحة لبني عدى ثيابكم ونضح دم القتيل

يحذر عديا مالقى ابن لجأ

مَرّ ذو الرمة بمنزل لامرىء القيس بن زيد مناة يقال له مُرّان به نَخْل فلم ينزلوه ولم يقروه فقال

نزلنا وقد غار النهار وأوقدت علينا حصى المَعْزاء شمس تنالها

---

(١) ارفض تنزى من الضرب به والجروم الجسد وهلت جرومها كالاهلة من الهزال وصيدح ناقته

فلما دخلنا جوف مرأة غلقت ... دساكر لم تُرفع لخير ظلالها
بنينا علينا ظل أبراد يُمْنة ... على سَمْك أسياف قديم صقالها
وقد سميت باسم امرىء القيس قرية ... كرامٌ صواديها لئام رجالها

فلج الهجاء بين ذى الرمة وبين هشام المرى فمر الفرزدق بذي الرمة وهو ينشد

وقفت على ربع لمية ناقتي ... فما زلت أبكي عنده وأخاطبه
وأسقيه حتى كاد مما أبثُّه ... تكلمني أحجاره وملاعبه

فقال الفرزدق ألهاك البكاء فى الديار والعبد يرتجز بك فى المقابر « يعنى هشاماً »
وكان ذو الرمة مستعلياً هشاماً حتى لقى جرير هشاماً فقال عليك العبد «يعنى ذا الرمة»
قال فما أصنع يا أبا حَزْرة وأنا راجز وهو يقصد والرجز لا يقوم للقصيد فى الهجاء ؟ ولو
رفدتنى ، فقال جرير لتهمته ذا الرمة بالميل الى الفرزدق قل له

غضبت لرَجْل من عديّ تشمسوا ... وفى أي يوم لم تشمس رجالها
وفيم عديّ عند تيم من العلا ... وأيامنا اللاتى تعد فعالها
وضبة عمي يا ابن خل فلا ترم ... مساعي قوم ليس منك سجالها
يماشى عدياً لُؤْمها لا تُجِنُّه ... من الناس ما مست عدياً ظلالها
فقل لعديّ تستعن بنسائها ... عليَّ فقد أعيا عدياً كبارها
أذا الرِّمّ قد قلدت قومك رُمَّة ... بطيئاً بأمر المطلقين انحلالها

فلما بلغت هذه الأبيات ذا الرمة قال والله ما هذا بكلام هشام ولكنه كلام
ابن الأتان ، فلما كان بعد ذلك لقى ذو الرمة جريراً فقال تعصبت (1) على خالك
للمرئى ، فقال جرير حيث فعلت ماذا ؟ قال حين تقول للمرئى كذا وكذا ، فقال
جرير لأنك ألهاك البكاء فى دار مية حتى أبحنه محارمك ، فقال ذو الرمة لا ولكن

(1) ذلك لأن النوار بنت خل ام حنظلة بن مالك من رهط ذى الرمة

اتهمتني بالميل مع الفرزدق عليك ، قال كذلك هو ، قال فوالله ما فعلت وحلف له بما يرضيه ، قال فأنشدني ما هجوت به المرئي ، فأنشده قوله

نبت (١) عيناك عن طلل بحزوى ... عفته الريح وامتنح القطارا

فأطال جداً ، فقال له جرير ما صنعت شيئاً أفأرفدك ؟ قال نعم ، قال قل له

يعد الناسبون الى تميم ... بيوت العز أربعة كبارا

يعدون الرباب لهم وعمراً ... وسعداً ثم حنظلة الخيارا

ويهلك بينها المرئي (٢) لغواً ... كما ألغيت في الدية الحوارا

فغلبه ذو الرمة بها ، ومرّ ذو الرمة بالفرزدق فقال له أنشدني أحدث ما قلت في المرئي ، فأنشده هذه الأبيات ، فأطرق الفرزدق ساعة ثم قال أعد ، فأعاد ، فقال كذبت وايم الله ما هذا لك ولقد قاله أشد لحيين منك وما هذا الا شعر ابن الأتان ، فلما سمعها المرئي جعل يلطم وجهه ويصرخ ويدعو بويله ويقول قتلني جرير قتله الله هذا والله شعره الذي لو نقطت منه نقطة في البحر لكدرته قتلني وفضحني ، فلما استعلى ذو الرمة هشاماً أتى هشام وقومه جريراً فقالوا يا أبا حزرة عادتك الحسنى ، فقال هيهات ظلمت أخوالي قد أتاني ذو الرمة فاعتذر إليّ وحلف فلست أعين عليهم ، فلما يئسوا من عنده أتوا لهذا المكاتب وقد طلع بمكاتبته فأعطوه عشرة أعنز وأعانوه على مكاتبته فقال أبياتاً عينية يفضل فيها بني امرىء القيس على بني عدي وهشاماً على ذي الرمة ، ومات ذو الرمة في تلك الأيام ، فقال الناس غلبه هشام وانما مات ذو الرمة بعقب ارفاد جرير إياه على المرئي ، فقال الناس غلبه ولم يغلبه ، انما مات قبل الجواب

---

(١) نبت عيناك أي أنكرته ، وعفته درسته ، وامتنح من المنحة وهي العطية

(٢) المرئي نسبة الى امرىء القيس والغيت أهملت والحوار لا يؤخذ في الدية

ذو الرمة ومَيّ

كان ذو الرمة يشبب بمَيّ بنت طلبة بن قيس بن عاصم المِنْقَرى ، وكان أول ماقاد المودة بينهما أنه خرج هو وأخوه وابن عمه في بُغاء إبل لهم ، قال بينا نحن نسير إذ وردنا على ماء وقد أجهدنا العطش فعدلنا الى حواء عظيم فقال لى أخى وابن عمى ائت الحواء فاستسق لنا ، فأتيته وبين يديه فى رواقه عجوز فاستسقيت فالتفتت وراءها فقالت يامَيّ اسق الغلام ، فدخلت عليها فاذا هى تسبح علقة لها وهى تقول

يا من يرى برقاً يمر حينا　　زمزم رعـداً وانتحى يمينا
كأن فى حافاته حنينا　　أو صوت خيل ضُمّر يَرْدينا

ثم قامت تصب فى شكوتى ماء وعليها شوذب لها ، فلما انحطت على القربة رأيت مولَّى لم أر أحسن منه ، فلهوت بالنظر اليها وأقبلت تصب الماء فى شكوتى والماء يذهب يميناً وشمالا ، فأقبلت على العجوز فقالت أما والله ليطولن هُيامك بهاء وملأت شكوتى وأتيت أخى وابن عمى ولففت رأسى فانتبذت ناحية وقد كانت مَيّ قالت لقد كلفك أهلك السفر على ما أرى من صغرك وحداثة سنك فأنشأت أقول

قد سخرت أخت بنى لبيد　　وهربت منى ومن مسعود
رأت غلامى سفر بعيـد　　يَدَّرعان الليـل ذا السدود
مثل ادّراع اليلْمَق الجـديد

وهو أول قصيدة قلتها ثم أتممتها

هل تعرف المنزل بالوحيـد　　قفراً محاه أبَدُ الأبيد
والدهر يُبلى جدَّة الجديد　　لم يُبقِ غير مُثّل [1] رُكود
على ثلاث باقيـات سود　　وغيرَ باقى ملعب الوليـد

---

(١) منتصبات يعنى الأثافى — ركود مقيمات

وغير مرضوخ[1] القفا موتود ... أشعث باقى رُمّة التقليد
نعم فأنت اليوم كالمعمود ... من الهوى أو شبه المورود[2]
يا مى ذات المبسم المبرود ... بعد الرقاد والحشا المخضود[3]
والمقلتين وبياض الجيد ... والكَشح من أُدمانة عنود[4]
عن الظباء متْبِع فرود ... أهلكتنا باللوم والتفنيد
رأت شحوبى ورأت تخديدى ... من مُجحفات زمن مريد[5]
نقحن جسمى عن نُضار العود ... بعد اهتزاز الغُصُن الأملود[6]
لا بل قطعتُ الوصل بالصدود ... قد عجبت أخت بنى لبيد

ضاف ذو الرمة زوج مى فى ليلة ظلماء وهو طامع فى ألا يعرفه زوجها فيدخله بيته فيقرب به فيراها ويكلمها ففطن له الزوج وعرفه فلم يدخله وأخرج اليه قِراه وتركه بالعراء وقد عرفته مية ، فلما كان في جوف الليل تغنى غناء الركبان فقال

أراجعة يامى أيامنا الأولى ... بذى الأثْل أم مالهن رجوع

فغضب زوجها وقال قومى فصيحي به يا ابن الفاعلة وأى أيام كانت لي معك بذى الأثل ؟ فقالت ياسبحان الله ضيف والشاعر يقول ، فانتضى السيف وقال والله لأضربنك به حتى آتى عليك أو تقولي ، فصاحت به كما أمرها زوجها ، فنهض على راحلته فركبها وانصرف عنها مغضباً يريد أن يصرف مودته عنها الى غيرها فمر بفلج فى ركب وبعض أصحابه يريد أن يرقع خفه فاذا هو بجوار خارجات من بيت يردن آخر واذا خرقاء فيهن وهى امرأة من بنى عامر فاذا جارية حلوة شهلاء

(١) مرضوخ مدقوق يعنى الوتد والرمة القطعة من الحبل فى هذا الوتد لم تنزع
(٢) المورود المحمومة والمعمود ما انضمت عليه الضلوع من البطن والمعمود الذى ضعف
(٣) المخضود أيبس الرطب والخضد الغض اذا كسرته (٤) العنود من النوق التى ترعى ناحية (٥) الشحوب تغير اللون والتخديد المطوى الجلد والمريد المتكبر
(٦) الأملود الأملس

فوقعت عين ذى الرمة عليها فقالت لها جارية أترقعين لهذا الرجل خفه ؟ فقالت تهزأ به أنا خرقاء لا أحسن أعمل ، فسماها خرقاء ، وترك ذكر مى يريد أن يغيظ بذلك مياً فقال فيها قصيدتين أو ثلاثاً ثم لم يلبث أن مات ، قال ابن سلام كانت خرقاء تحل فلجا ويمر بها الحاج فتقعد لهم وتحادثهم وتهاديهم وكانت تجلس معها فاطمة بنتها فحدثني من رآها فلم تكن فاطمة مثلها وكانت تقول أنا منسك من مناسك الحج « لقول ذى الرمة فيها »

تمام الحج أن تقف المطايا على خرقاء واضعة اللثام

نزل ركب بأبي خرقاء فأمر لهم بلبن فسقوه وقصر عن شاب منهم فأعطته خرقاء صبوحها وهى لا تعرفه فشربه ومضوا فركبوا فقال لها أبوها هل تعرفين الرجل الذى سقيته صبوحك ؟ قالت لا والله ، قال هو ذو الرمة القائل فيك الأقاويل ، فوضعت يدها على رأسها وقالت واسوءتاه وابؤساه ودخلت بيتها فما رآها أبوها ثلاثاً

ومن قول ذي الرمة يشبب بخرقاء

أقول بذى الأرطى عشية أتلعت — الى الركب أعناق الظباء الخواذل
لأدمانة من وحش بين سويقة — وبين الجبال العفر ذات السلاسل
أرى فيك من خرقاء يا ظبية اللوى — مشابه جنبت اعتقال الحبائل
فعيناك عيناها ولونك لونها — وجيدك الا أنها غير عاطل

قالت كثيرة أم ذي الرمة

على وجه مى مسحة من ملاحة — وتحت الثياب الخزى لو كان باديا
ألم تر أن المـــاء يخبث طعمه — ولو كان لون الماء فى العين صافيا

ونحلتهما ذا الرمة فامتعض من ذلك وحلف بجهد أيمانه ماقالها ، قال وكيف أقول هذا وقد قطعت دهري وأفنيت شبابي أشبب بها وأمدحها ثم أقول هذا ؟ ثم اطلع على أن كثيرة قالتهما ونحلتهما إياه

قال أبو سوار الغنوى رأيت مية واذا معها بنون لها صغاراً ، فقال له محمد بن سلام صفها لي ، فقال مسنونة الوجه طويلة الخد شمَّاء الأنف عليها وسم جمال ، قال أفكانت تنشدك شيئاً مما قاله ذو الرمة فيها ؟ قال نعم كانت تسح سحا ما رأى أبوك مثله

قال صالح بن الهذيل خرجت أريد الحج ، فمررت بالمنزل الذى تنزله خرقاء ، فأتيتها فاذا امرأة جزْلة عندها سماطان من الاعراب تحدثهم وتناشدهم ، فسلمت ، ونسبتني ، فانتسبت لها وهى تنزلني حتىانتسبت الى أبى ، فقالت حسبك أكرمت ما شئت ما اسمك ؟ قلت صباح ، قالت وأبو من ؟ قلت أبو المغلس ، قالت أخذت أول الليل وآخره قال فما كان لي همة الا الذهاب عنها

وقال محمد بن الحجاج التميمى حججت فلما صرت بمران منصرفاً اذا أنا بغلام أشعث الذؤابة قد أورد غنيمات له ، فجئته ، فاستنشدته ، فقال لي اليك عني فانى مشغول عنك وألححت عليه ، فقال أرشدك الى بعض ما تحب ، انظر الى ذلك البيت الذى يلقاك فان فيه حاجتك ، هذا بيت خرقاء ذي الرمة ، فمضيت نحوه ، فطوحت بالسلام من بعيد ، فقالت ادْنُه ، فدنوت ، فقالت انك لحضرى فمن أنت ؟ قلت من بنى تميم وأنا أحسب أنها لا معرفة لها بالناس ، قالت من أى تميم ؟ فأعلمتها ، فلم تزل تنزلنى حتى انتسبت الى أبى فقالت الحجاج بن عمير بن يزيد ؟ قالت رحم الله أبا المثني قد كنا نرجو أن يكون خلفاً من عمير بن يزيد فعاجلته المنية شاباً ، حياك الله يا بنىّ وقربك من أين أقبلت ؟ قلت من الحج ، قالت فمالك لا تمر بى وأنا أحد مناسك الحج ان حجك ناقص فأقم حتى تحج أو تكفر بعتق ، قلت وكيف ذلك ؟ قالت أما سمعت قول غيلان عمك ؟

تمام الحج أن تقف المطايا ... على خرقاء واضعة اللثام

وكانت وهى قاعدة بفناء البيت كأنها قائمة من طولها بيضاء شهلاء فخمة الوجه ،

فسألتها عن سنها ، فقالت لا أدرى الا أنى كنت أذكر شمر بن ذى الجوشن حين قتل الحسين عليه السلام مرَّ بنا وأنا جارية ومعه كسوة فقسمها فى قومه ، وكان أبى قد أدرك الجاهلية وحمل فيها حَمالات ، قال ولما أنشدتني خرقاء بيت ذي الرمة فيها قلت هيهات يا عمة ذهب ذلك منك ، قالت لا تقل يا بنىَّ أما سمعت قول قُحَيْف فيَّ

وخرقاء لا تزداد الا ملاحة ولو عمرت تعمير نوح وجلت

ثم قالت رحم الله ذا الرمة فقد كان رقيق البشرة عذب المنطق حسن الوصف مقارب الرصف عفيف الطرف ، فقلت لها لقد أحسنت الوصف ، فقالت هيهات أن يدركه وصف رحمه الله ورحم من سماه اسمه ، فقلت ومن سماه ؟ قالت سيد بنى عديّ الحصين بن عبدة بن نعيم ، ثم أنشدتني لنفسها فى ذي الرمة

لقد أصبحت فى فرعى معَدّ مكان النجم فى فلك السماء

اذا ذكرت محاسنه تدرت بحار الجود من نحو السماء

حصين شاد باسمك غير شك فأنت غياث مَحْل بالفناء

اذا ضلت سحابة ماء مُزْن تثج بحار جودك بارتواء

لقد نضرت باسمك أرض قحط كما نُضِرت عدى بالثراء

فقلت أحسنت يا خرقاء فهل سمع ذلك منك ذو الرمة ؟ قالت إى وربى ، قلت فماذا قال ؟ قالت قال شكر الله لك ياخرقاء نعمة بيت شكرها من ذكرها ، فقالت أثقلنا حقها ثم قالت اللهم غفرا هذا فى اللفظ ونحتاج الى العمل

قال صالح بن سليمان كان الفرزدق وجرير يحسدان ذا الرمة وأهل البادية يعجبهم شعره ، وكان صالح بن سليمان راوية شعر ذى الرمة فأنشد يوماً قصيدة له وأعرابى من بنى عدى يسمع فقال أشهد عنك انك لفقيه تحسن ما تلو وكان يحسبه قرآنا

قال حماد الراوية قال الكميت حيث سمع قول ذى الرمة

أعاذل قد أكثرت من قول قائل وعيب على ذى الود لوم العواذل

هذا والله ملهم وما علم بدقائق الفطنة وذخائر كنز العقل المعد لأولى الألباب مثله ، أحسن ثم أحسن ، ولما أنشد قوله فى هذه القصيدة

دعانى وما داعى الهوى من بلادها اذا ما نأت خرقاء عنى بغافل

قال لله بلاد هذا الغلام ما أحسن قوله وما أجود وصفه ولقد شفع البيت الأول بمثله فى جودة الفهم والفطنة وقال قول مستسلم ، وقال حماد ما أخر القوم ذكره الا لحداثة سنه وأنهم حسدوه ، وقالوا لم يكن أحد من القوم في زمانه أبلغ من ذى الرمة ولا أحسن جواباً ، كان كلامه أكثر من شعره ؟ وقال الأصمعى ما أعلم أحداً من العشاق الحضريين وغيرهم شكا حباً أحسن من شكوى ذى الرمة مع عفة وعقل رصين ، وقال أبوعبيدة ذو الرمة يخبر فيحسن الخبر ثم يرد على نفسه الحجة من صاحبه فيحسن الرد ثم يعتذر فيحسن التخلص مع حسن انصاف وعفاف فى الحكم ، وقال عمارة بن عقيل كان جرير عند بعض الخلفاء فسأله عن ذى الرمة فقال أخذ من طريف الشعر وحسنه مالم يسبقه اليه أحد غيره ، وقال حماد الراوية قدم علينا ذو الرمة الكوفة فلم أر أفصح ولا أعلم بغريب منه ، وقال أبو عمرو ختم الشعر بذى الرمة وختم الرجز برؤبة ، فقيل له فما تقول فى هؤلاء الذين يقولون ؟ قال كَلٌّ على غيرهم ان قالوا حسناً فقد سبقوا اليه وان قالوا قبيحاً فمن عندهم ، وقال حماد أحسن الجاهلية تشبيهاً امرؤ القيس وذو الرمة أحسن أهل الاسلام تشبيهاً ، وقال ابن شُبْرُمة سمعت ذا الرمة يقول اذا قلت كأن ثم لم أجد مخرجاً فقطع الله لسانى ، وقال الأصمعى كان ذو الرمة أشعر الناس اذا شبه ولم يكن بالمفلق ، وسئل جرير عن شعر ذى الرمة فقال بعر ظباء ونقط عروس تضمحل عن قليل

قال ذو الرمة من شعرى ما طاوعنى فيه القول وساعدنى ، ومنه ما أجهدت نفسي فيه ، ومنه ما جننت به جنوناً ، فأما ما طاوعني القول فيه فقولي

خليلى عوجا من صدور الرواحل بجمهور[١] حزْوَى فابكيا فى المنازل

وبعده

لعل انحـدار الدمع يُعقب راحة من الوجد أو يشفى نَجيَّ البلابل

وأما ما أجهدت نفسى فيه فقولى

أأن توسمت من خرقاء منزلة ماء الصبابة من عينيك مسجوم

وبعده

كأنها بعد أحوال مضين لها بالأشيَمين[٢] يمانٍ فيه تسهيم

وأما ما جننت به جنونًا فقولى

ما بال عينيك منها الماء ينسكب كأنه من كُلَى[٣] مَفْرِيَّة سرب

وكان جرير يقول ما أحببت أن ينسب الىّ من شعر ذى الرمة الا قوله « ما بال عينك » فان شيطانه كان له فيها ناصحًا.

قال سلمة بن محارب كان ذو الرمة يقرأ ويكتب ويكتم ذلك ، وقال عيسى ابن عمر قال لى ذو الرمة ارفع هذا الحرف ، فقلت له أتكتب ؟ فقال بيده على فيه اكتم عليّ فانه عندنا عيب

قيل لذى الرمة انما أنت راوية الراعى ، فقال أما والله لئن قيل ذاك ما مثلى ومثله الا شاب صحب شيخًا فسلك به طرقا ثم فارقه فسلك الشاب بعـده شعابًا وأودية لم يسلكها الشيخ قط ، وقال الأصمعى انما وضع من ذى الرمة أنه كان لا يحسن أن يهجو ولا يمدح وقد مدح بلال بن أبى بردة فقال

رأيت الناس ينتجعون غيثًا فقلت لصيدح انتجعى بلالا

فلما أنشده قال له أولم ينتجعنى غير صيدح ؟ ياغلام أعطه حبـل قتّ لصيدح ، فأخجله

(١) الجمهور العظيم من الرمل (٢) الأشيمان حبلان من حبل الرمل بالدهناء واليمانى البرد وفيه تسهيم اى تخطيط (١) الـكلى جمع كلية وهى رقعة تكون فى أصل عروة المزادة ومفرية أى متطوعة على وجه الاصلاح وسرب سائل.

عاب الحكم بن عوانة الكلبي ذا الرمة فى بعض قوله فقال فيه

وجدتك من كلب اذا ما نسبتها ... بمنزلة الحيتان من ولد الضب

فلو كنت من كلب صحيحاً هجوتها ... جميعاً ولكن لا إخالك من كلب

ولكننى أُخبرت انك مُلصَق ... كما أُلصقت من غيرها ثُلمة القَعْب

تدهدى نخرت ثُلمة من صحيحه ... فلُزّ بأخري بالغراء وبالشَّعب

دخل ذو الرمة على بلال بن أبى بردة وكان بلال راوية فصيحاً أديباً فأنشده بلال أبيات حاتم طيء

لحا الله صُعلوكا مناه وهمه ... من العيش أن يلقى لبوساً ومطعما

يرى الخمس تعذيباً وان نال شبعة ... يبت قلبه من قلة الهم مبهما

هكذا أنشد بلال ، فقال ذو الرمة يرى الخمص تعذيباً وانما الخمس للابل وانما هو خمص البطن ، فضحك بلال ، وكان ضحاكا ، وقال هكذا أنشدنيه رواة طيء فرد عليه ذو الرمة ، فضحك ، ودخل أبو عمرو بن العلاء فقال له بلال كيف تنشدها ؟ وعرف أبو عمرو الذى به فقال كلا الوجهين جائز ، فقال أتأخذون عن ذى الرمة ؟ فقال انه لفصيح وانا لنأخذ ، بتمريض ، وخرجا من عنده فقال ذو الرمة لأبى عمرو والله لولا أنى أعلم أنك حطبت فى حبله وملت مع هواه لهجوتك هجاء لا يقعد اليك اثنان بعده

قيل لبلال بن جرير أى شعر ذى الرمة أجود ؟ فقال « هل حبل خرقاء بعد اليوم مرموم » انها لمدينة الشعر ، أقول هو من قصيدة لذى الرمة أولها

أعن ترسمت(١) من خرقاء منزلة ... ماء الصبابة من عينيك مسجوم

كأنها بعد أحوال مضين لها ... بالأشيمين(٢) يمانٍ فيه تسهيم

أودى بها كل عراص(٣) ألثّ بها ... وجائل من عجاج الصيف مهجوم

(١) ترسم نظر وسومها ومسجوم مصبوب صباً (٢) الاشيمان حبلان من حبال الرمل الرمل بالدهناء واليماني بردفيه تسهيم أى تخطيط (٣) العراص السحاب الكثير البرق . ألث أقام ومهجوم هجم عليه

ودمنة (١) هيجت شوقى معالمها ... كأنها بالهِدَمْلات الرواسيم
منازل الحى اذ لا الدار نازحة ... بالاصفياء واذ لا العيش مذموم
كادت بها العين تنبو (٢) ثم ثبتها ... معارف الدار والجُون اليَحاميم
هل حبل خرقاء بعد الهجر مرموم ... أم هل لها آخر الأيام تكليم
أم نازح الوصل مخلاف بشيمته ... لونان منقطع منه فمصروم
لا غيرَ أنا كأنا من تذكرها ... وطول ما قد نأتنا (٣) نُزَّع هيم
تعتادني زفرات من تذكرها ... تكاد تنفضّ منهن الحيازيم (٤)
كأنني من هوى خرقاء مطرَّف (٥) ... دامى الأَظَلِّ بعيد السَّأْو مهيوم

وهى أربعة وثمانون بيتاً

وقال ابن سلام كان ذو الرمة من جرير والفرزدق بمنزلة قتادة من الحسن وابن سيرين كان يروي عنهما ويروى عن الصحابة وكذلك ذو الرمة وهو دونهما ويساويهما في بعض شعره

قال عنبسة النحوي قلت لذى الرمة وسمعته ينشد ويقول

وعينان قال الله كونا فكانتا ... فعولين بالألباب ما تفعل الخمر

هلا قلت فعولان ، فقال لو قلت سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر كان خيراً لك ، أى انك أردت القدر وأراد ذو الرمة كونا فعولين وأراد عنبسة وعينان فعولان

قدم ذو الرمة الكوفة فوقف ينشد الناس بالكناسة قصيدته الحائية حتى أتى على قوله

---

(١) دمنة عطف على منزلة والهدملات رمال مشرفات والرواسيم الطوابع (٢) تنبو ترتفع لا تكاد تعرفها والجون السود يعنى الاثافى واليحاميم السود أيضاً (٣) نأتنا بعدت عنا ونزع مشتاقون وهيم عطاش (٤) الحيازيم الصدور وما اشتملت عليه (٥) المطرف بعير قد اشترى حديثا والاظل أصل الخف والسأو الهمة والمهيوم من الهيام وهو داء تستحسر منه جلود الابل تأخذها كالحمى تشرب فلا تروى

اذا غير النأى المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح

فناداه ابن شبرمة يا غيلان أراه قد برح ، فشق ناقته وجعل يتأخر بها و يفكر ثم عاد فأنشد « اذا غير النأى المحبين لم أجد » فقيل أخطأ ابن شبرمة حين أنكر على ذى الرمة ما أنشده وأخطأ ذو الرمة حين غير شعره لقول ابن شبرمة انما هذا مثل قول الله عز وجل « ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها » وانما معناه لم يرها ولم يكد

قال رؤبة لبلال بن أبي بردة علام تعطى ذا الرمة ؟ فوالله انه ليعمد الى مقطعاتنا فيصلها فيمدحك بها ، فقال والله لولم أعطه إلا على تأليفه لأعطيته وأمر له بعشرة آلاف درهم

قال الأصمعى قال رجل رأيت ذا الرمة بمربد البصرة وعليه جماعة مجتمعة وهو قائم وعليه برد قيمته مائتا دينار وهو ينشد ودموعه تجرى على لحيته « مابال عينيك منها الماء ينسكب » فلما انتهى الى قوله

تُصغى اذا شدها بالكور جانحة حتى اذا ما استوى فى غَرْزها تثب

قلت يا أخا بني تميم ما هكذا قال عمك ، قال وأى أعمامى يرحمك الله ؟ قلت الراعى ، قال وما قال ؟ قلت قوله

فلا تُعجل المرء عند البرو ك وهى بركبته أبصر
وهى اذا قام فى غرزها كمثل السفينة أو أوْقر
ومُصغية خدها بالزما م فالرأس فيها له أصعر
حتى اذا ما استوى طبقت كما طبق المِسْحَل الأغبر

فأُرْتج عليه ساعة ثم قال انه نعت ناقة ملك ونعتّ ناقة سوقة ، فخرج منهما على رؤس الناس

قال محمد بن الحجاج الأسيدى مررت على ميّة وقد أسنت فوقفت عليها وأنا شاب فقلت يامية ما أرى ذا الرمة إلا قد ضيع فيك قوله

أما أنت عن ذكراك ميَّةَ مقْصر ولا أنت ناسى العهد منها فتذكر
تهيم بها ما تستفيق ودونها حجاب وأبواب وستر مستر

فضحكت وقالت رأيتنى يا ابن أخي وقد وليت وذهبت محاسنى ويرحم الله غيلان فلقد قال هذا فيَّ وأنا أحسن من النار الموقدة فى الليلة القرَّة في عين المقرور ، ولن تبرح حتى أقيم عنـدك عذره ثم صاحت يا أسماء اخرجى ، فخرجت جارية كالمهاة مارأيت مثلها فقالت أما لمن شبب بهذه وهوِيها عذر ؟ فقلت بلى ، فقالت والله لقد كنت أزمان كنت مثلها أحسن منها ، ولو رأيتني يومئذ لازدريت هـذه ازدراءك اياى اليوم ، انصرف راشداً

ومما قاله فى مى

هى البرء والاسقام والبر والمنى وموت الهوى فى القلب منى المبرح
وكان الهوى بالنأى يمحى فيمتحى وحبك عنـدى يستجد ويربح
اذا غير النأى المحبين لم أجد رسيس الهوى من حب مية يبرح

أرسلت خرقاء الى القُحَيف العقيلى تسأله أن يشبب بها فقال

لقد أرسلت خرقاء نحوي حُويها لتجعلني خرقاء فيمن أضلت
وخرقاء لا تزداد الا ملاحـة ولو عمرت تعمير نوح وجلت

قال رجل من بنى النجار خرجت أمشى فى ناحية البادية فمررت على فتاة قائمة على باب بيت فقمت أكلمها ، فنادتنى عجوز من ناحية الخباء ما يقيمك على هذا الغزال النجدى؟ فوالله ما تنال خيراً منه ولا ينفعك ، قال وتقول هى دعيه يا أماه يكن كما قال ذو الرمة

وان لم يكن إلا معُرَّس ساعة قليـل فانى نافع لي قليلها

فسألت عنهما فقيل لي العجوز خرقاء ذى الرمة والفتاة بنتها

ومما يغني به فى قصيدته العينية

أمنزلتى مى ســـلام عليكما هل الا زمن اللائى مضين رواجع
وهل يرجع التسليم أو يكشف العمى ثلاثُ الأثافى والديار البلاقع
توهمتهـا يوماً فقلت لصاحبى وليس بها إلا الظباء الخواضع
ومَوْشيَّة سُحْم الصَّياصى كأنها مُجلَّلة حوٌّ عليهـا البراقع
قفِ العيس ننظر نظرة فى ديارها فهـل ذاك من داء الصبابة نافع
فقال أما تغشى لميـة منزلا من الأرض إلا قلت هل أنا راجع
وقلّ إلى أطلال مى تحيـة تحيا بها أو أن تُرشَّ المدامع

ومما أنشده لجمع فيهن مى

نظرت إلى أظعان مى كأنهـا ذرى النخل أو أثل تميل ذوائبه
فأسبلت العينان والقلب كاتم بمغرورق نمت عليه سوا كبه
بكاء الفتى خاف الفراق ولم تجل جوائلها أسراره ومعـــاتبه
وقد حلفت بالله ميـة ما الذى أحدثهـا الا الذى أنا كاذبه
اذاً فرمانى الله من حيث لا أرى ولا زال في أرضي عدو أحاربه

فقالت مية ويحك ياذا الرمة خف الله وعواقبه ثم أنشد حتى بلغ قوله

اذا سرحت من حب مى سوارح على القلب أمته جميعاً عوازبه

فقالت لها احداهن قتلته قتلك الله ، فقالت مية ما أصحه وهنيئاً له فتنفس ذو الرمة تنفسة كاد حرها يطير بلحية عصمة بن مالك راوى الحديث ثم أنشد حتى أتى على قوله

اذا نازعتك القول مية أو بدا لك الوجه فيها أو نضا الدرع سالبه
فيا شئت من خد أسيل ومنطق رخيم ومن خلق تعلل جاذبه

فقالت احداهن فقد بدا لك الوجه وتنوزع القول فمن لنا بأن ينضو الدرع سالبه؟ فقالت لها مية قاتلك الله فماذا تأتين به؟

وعما يغنى به من شعره

اذا هبت الأرواح من أي جانب   به أهل مى هاج قلبى هبوبها
هوى تذرف العينان منه وانما   هوى كل نفس حيث كان حبيبها

توفى ذو الرمة فى خلافة هشام بن عبد الملك وله أربعون سنة ودفن بحُزْوَى وهى الرملة التى كان يذكرها فى شعره وكان يريد هشاماً وقال فى طريقه ذلك

بلاد بها أهلون لست ابن أهلها   وأخرى بها أهلون ليس بها أهل

قال جبر بن رباط أنشد ذو الرمة الناس شعراً له وصف فيه الفلاة بالثعلبية ، فقال له حَلبس الأسدي انك لتنعت الفلاة نعتاً لا تكون منيتك الا بها ، قال وصدر ذو الرمة على أحد جفْرى بني تميم وهما على طريق الحاج من البصرة ، فلما أشرف على البصرة قال

انى لعاليها وانى لخائف   لما قال يوم الثعلبية حلبس

ويقال ان هذا آخر شعر قاله ، فلما توسط الفلاة نزل عن راحلته فنفرت منه ولم تكن تنفر منه وعليها شرابه وطعامه ، فلما دنا منها نفرت حتى مات ، فيقال انه قال عند ذلك

ألا أبلغ الفتيان عني رسالة   أهينوا المطايا هن أهل هوان
فقد تركتني صيدح بمضلة   لسانى ملتاث من الطَّلوان (١)

فوردت ناقته على أهله فى مياههم فركبها أخوه وقص أثره حتى وجده ميتاً وعليه خلع الخليفة ووجد هذين البيتين مكتوبين على قوسه ، وكانا آخر ما قاله

يارب قد أشرفت نفسى وقد علمت   علماً يقيناً لقد أحصيت آثارى
يامخرج الروح من جسمى اذا احتضرت   وفارج الكرب زحزحني عن النار

(١) بياض يعلو اللسان من مرض أو عطش ويقال الطليان

عمرو بن الحصين

هو عمرو بن الحصين مولى تميم من شعراء الشراة

حديث طالب الحق

هو عبد الله بن يحيى الكندي الذى تسميه الخوارج طالب الحق

كان عبد الله بن يحيى من حضْرَموْت ، وكان مجتهداً عابداً ، فرأى باليمن جوْراً ظاهراً وعَسْفاً شديداً وسيرة في الناس قبيحة ، فقال لأصحابه مايحل لنا المقام على ما نرى ولا يسعنا الصبر عليه ، وكتب الى أبي عبيدة ومسلمة بن أبي كريمة الذى يقال له كودين مولى بنى تميم وكان ينزل في الأزد والى غيره من الإباضية بالبصرة يشاورهم فى الخروج ، فكتبوا اليه « إن استطعت ألاّ تقيم يوماً واحداً فافعل فان المبادرة بالعمل الصالح أفضل ولست تدرى متى يأتى عليك أجلك ولله خيرة من عباده يبعثهم اذا شاء لنصرة دينه ويخص بالشهادة منهم من يشاء » وشخص اليه أبو حمزة المختار بن عوف الأزدى وغيره من الإباضية فبايعوه وقصدوا دار الامارة ، وعلى حضرموت ابراهيم بن جبلة بن مَخْرَمة الكِنْدِي فأخذوه فحبسوه يوماً ثم أطلقوه ، أقام عبد الله بن يحيى بحضرموت وكثر جمعه وسموه طالب الحق ، ثم توجه الى صنعاء سنة تسع وعشرين ومائة في الفين وبلغ القاسمَ بن عمر أخا يوسف ابن عمر وهو عامل مرْوان بن محمد على صنْعاء مسير عبدالله بن يحيى فخرج يريده فى سلاح ظاهر وعدة وجمع كثير فلقيه عبد الله بالَحجْ قريباً من أبْيَن فهزمه ومضى الى صنعاء فدخلها بعد حرب شديدة وخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ووعظ وذكر وحذر ثم قال « انا ندعوكم الى كتاب الله تعالى وسنة نبيه وإجابة من دعا اليه ، الاسلام ديننا ومحمد نبينا والكعبة قبلتنا والقرآن امامنا ، رضينا بالحلال حلالا لا نبغى به بديلا ولا نشترى به شيئاً قليلا ،

وحرمنا الحرام ونبذناه وراء ظهورنا ولا حول ولا قوة الا بالله والى الله المشتكى وعليه المعول ، من زنى فهو كافر ومن سرق فهو كافر ومن شرب الخمر فهو كافر ومن شك فى أنه كافر فهو كافر ، ندعوكم الى فرائض بينات وآيات محكمات وآثار مقتدى بها ، ونشهد أن الله صادق فيما وعد عدل فيما حكم وندعو الى توحيد رب العالمين واليقين بالوعيد والوعد وأداء الفرائض والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والولاية لأهل ولاية الله والعداوة لأعداء الله ، أيها الناس ان من رحمة الله ان جعل فى كل فترة بقايا من أهل العلم يدعون من ضل من أهل الهوى ويصبرون على الألم فى جنب الله تعالى يقتلون على الحق فى سالف الدهور شهداء فما نسيهم ربك وما كان ربك نسيًا أوصيكم بتقوى الله وحسن القيام على ما وكلكم الله بالقيام به فأبلوا لله بلاء حسناً فى أمره وذكره أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم ،
وأقام بصنعاء أشهراً يحسن السيرة فيهم ويلين جانبه ويكف عن الناس فكثر جمعه وأتته الشراة من كل جانب ، ولما جاء وقت الحج وجه أبا حمزة المختار بن عوف وبَلْج بن عقبة وأبرهة بن الصباح فى تسعمائة وأمره ان يقيم بمكة اذا صدر الناس ويوجه بلجا الى الشام فقدم المختار مكة يوم التروية وعليها عبد الواحد بن سليمان ابن عبد الملك فكره قتالهم ودعاهم الى الهدنة ، فقالوا نحن بحجنا أضن وعليه أشح ، فصالحهم على أنهم جميعاً آمنون بعضهم من بعض حتى ينفر الناس النفر الأخير ، فلما كان النفر الأول نفر عبد الواحد وخلى مكة لأبى حمزة فدخلها بغير قتال وسار الى المدينة وجهز جيشاً الى الخوارج فساروا حتى نزلوا قديد ، فلم يرعهم الا القوم قد خرجوا عليهم فقاتلهم الشراة وأكثروا القتل فيهم ولم يفلت منهم كثير أحد وكانت الموقعة لتسع أو لسبع خلون من صفر سنة ثلاثين ومائة وبلغت قتلى قديد ألفين ومائتين وثلاثين رجلا منهم من قريش ٤٥٠ ومن الأنصار ٨٠ ومن القبائل والموالى ٧٠٠ ودخل الشراة المدينة بدون قتال فدخل أهلها فى طاعته وكف عنهم وقالت نائحة أهل المدينة تبكي قتلى قديد

ما للزمان وماليه أننت قديد رجاليه
فلأبكين سريرة ولأبكين علانيه
ولأبكين اذا خلو ت مع الكلاب العاوية
ولأثنين على قديد يسوء ما أبلانيه

وقال عمرو بن الحصين الكوفي مولى بني تميم

ما بال همك ليس عنك بعازب يمري سوابق دمعك المتساكب
وتبيت تكتلئ النجوم بمقلة عبرى تسر بكل نجم دائب
حذر المنية أن تجيء بداهة لم أقض من تبع الشراة ماربي
فأقود فيهم للعدا شنج النسا عبل الشوى أسوان ضمر الخالب
متحدراً كالسيد أخلص لونه ماء الحسيك مع الجلال اللاتب
أرمي به من جمع قومي معشراً بوراً الى جبرية ومعايب
في فتيـة صبر ألفهم به لف القداح يد المفيض الضارب
فندير نحن وهم فيما بيننا كأس المنون تقول هل من شارب
فنظل نسقيهم ونشرب من قنا سمر ومرهفة النصول قواضب
بينا كذلك نحن جات طعنة نجلاء بين لها وبين ترائب
جوفاء منهرة (١) ترى تامورها ظبتا سنان كالشهاب الثاقب
أهوى لها شق الشمال كأنني حفض (٢) ألقي تحت العجاج العاصب
يارب أوجبها ولا تعلقن نفسي المنون لدى أكف قرائب
كم من أولي مقة صحبتهم شروا فخذاتهم ولبئس فعل الصاحب
متأوهين كأن في أجوافهم ناراً تسعرها أكف حواطب
تلقـاهم فتراهم من راكع أو ساجد متضرع أو ناحب

(١) أنهر الطعنة وسعها والتامور الدم (٢) الحفض المتاع

يتلو قوارع تمترى عبراته ... فيجودها مَرْىَ المرىء الحالب
سُبُز مجانفـــة الأمور أطبَّة ... للصَّدع ذى النبأ الجليل مذائب
ومبرئين من المعايب أحرزوا ... خُصَل المكارم أتقياء أطايب
عدوا صوارم للجلاد وباشروا ... حد الظُّبات بآنف وحواجب
ناطوا أمورهمُ بأمر أخ لهم ... فرمى بهم قُحَم الطريق اللاحب
متسربلى حلَق الحديد كأنهم ... أسد على لُحُق البطون سلاهب
قيدت من اعلى حضرموت فلم تزل ... تنفى عِداها جانباً عن جانب
تحمى أعِنَّتها وتحوى نهجها ... لله أكرم فتيـــة وأشايب
حتى وردن حياض مكة قُطَّنا ... يحكين واردة اليمام القارب (١)
ما ان أتين على أخى جبرية ... الا تركنهم كأمس الذاهب
فى كل معترك لهم من هامهم ... فلق وأيدٍ علِّقت بمناكب
سائل بيوم قُدَيْدَ عن وقعاتها ... تخبرك عن وقعاتها بعجائب

دخل أبو حمزة المدينة سنة ١٣٠ ، فرقى المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال «يا أهل المدينة سألناكم عن وُلاتكم هؤلاء فأسأتم لعمر الله فيهم القول ، وسألناكم هل يقتلون بالظن فقلتم نعم ، وسألناكم هل يستحلون المال الحرام والفرج الحرام فقلتم نعم ، فقلنا لكم تعالوا نحن وأنتم فنناشدهم الله أن يتنحَّوا عنا وعنكم ليختار المسلمون لأنفسهم فقلتم لا ، فقلنا لكم تعالوا نحن وأنتم نلقاهم فان نظهر نحن وأنتم نأت بمن يقيم فينا كتاب الله وسنة نبيه فقلتم لا ، فقلنا لكم خلوا بيننا وبينهم فان نظفر نعدل فى أحكامكم ونحملكم على سنة نبيكم ونقسم فيأكم بينكم فأبيتم وقاتلتمونا دونهم ، فقاتلناكم فأبعدكم الله وأسحقكم ، يا أهل المدينة مررت بكم فى أزمان الأحول هشام بن عبد الملك وقد أصابتكم عاهة فى ثماركم فركبتم اليه تسألونه

---

(١) القارب طالب الماء ليلا

أن يضع خراجكم عنكم فكتب بوضعها عنكم ، فزاد الغني غنى والفقير فقراً ، فقلتم جزاك الله خيراً فلا جزاه الله خيراً ولا جزاكم » وانتخب مروان من عسكره أربعة آلاف استعمل عليهم عبد الملك بن عطية السعدي أحد بنى سعد بن بكر ، وقال أبو صخر حين بلغه قدوم ابن عطية

قل للذين استُضعِفوا لا تعجلوا   أتاكم النصر وجيش جحفَلْ
عشرون ألفاً كلهم مُسَرْبَل   يَقْدُمهم جلد القوى مستبسل
دونكمُ ذاك يمين فاقبـــلوا   وواجهوا القوم ولا تستخجلوا
عبد المليك القُلّيّ الحوّل   أقسم لا يفلى ولا يُرجَّل
حتى يبيـد الأعور المضلّل   ويقتل المصباح والمفضـــل

الأعور عبد الله بن يحيى رئيسهم ، وبعث أبو حمزة بلج بن عقبة فى ستمائة ليقاتل ابن عطية ، فلقيه بوادي القرى لأيام خلت من جمادى الأولى سنة ١٣٠ ، فقتل بلج وأكثر أصحابه ولم يرجع الى أبي حمزة الا ثلاثون رجلاً ، وخرج أبو حمزة من المدينة الى مكة واستخلف رجلاً يقال له المفضل عليها فدعا عبد الرحمن ابن أسيد الى قتالهم ، فالتف عليه البربر والزنج وأهل السوق والعبيد ، فقاتل بهم الشراة فقتل المفضل وعامة أصحابه فلم يبق بالمدينة منهم أحد ، وأتى ابن عقبة المدينة فأقام بها شهراً ، ثم توجه الى مكة فلقى جنود أبي حمزة فقهرهم وقتل أبو حمزة وقتلت معه امرأته وهي ترتجز وتقول

أنا الجعيـداء وبنت الأعلمْ   من سال عن إسمى فاسمى مريم
بعت سواريَّ بسيف مِخْذَم

وذهب فلّ الشراة الى عبد الله بن يحيى فأقبل من صنعاء معه أصحابه يريد قتال ابن عطية ، وبلغ ابن عطية خبره فشخص اليه ، فالتقوا ، فأكثر أهل الشام القتل فيهم ولم يزالوا حتى قتل عبد الله بن يحيى وأكثر من معه ، فقال عمرو بن الحصين يرثيه وأبا حمزة

هبّت قبيل تبلج الفجر ... هند تقول ودمعها يجرى
أن أبصرت عيني مدامعها ... ينهل وا كفها على النحر
أنّى اعتراك وكنت عهدي لا ... سرب الدموع وكنت ذا صبر
أقذًى بعينك ما يفارقها ... أم عائر أم مالها تذري
أم ذكر اخوان فجعت بهم ... سلكوا سبيلهم على خبر
فأجبتها بل ذكر مصرعهم ... لا غيره عبراتها يمري
يا رب أسلكني سبيلهم ... ذا العرش واشدد بالتقى أزرى
فى فتية صبروا نفوسهم ... للمشرفية والقنا السمر
تالله ألقى الدهر مثلهم ... حتى أكون رهينة القبر
أوفى بذمتهم اذا عقدوا ... وأعف عند العسر واليسر
متأهلين لكل صالحة ... ناهون من لاقوا عن النكر
صمت اذا احتضروا مجالسهم ... وزن لقول خطيبهم وقر
الا تجيبهم فانهم ... رجف القلوب بحضرة الذكر
متأوهون كأن جمر غضى ... للخوف بين ضلوعهم يسرى
تلقاهم إلا كأنهم ... لخشوعهم صدروا عن الحشر
فهم كأن بهم جوى مرض ... أو مسهم طرف من السحر
لا ليلهم ليل فيلبسهم ... فيه غواشى النوم بالسكر
إلا كذا خلسا وآونة ... حذر العقاب وهم على ذعر
كم من أخ لك قد فجعت به ... قوّام ليلته الى الفجر
متأوه يتلو قوارع من ... آى القران مفزّع الصدر
نصب تجيش بنات مهجته ... من خوف جيش مشاشة القدر
ظمآن وقدة كل هاجرة ... ترّاك لذته على قدر

تراكِ ما تهوى النفوس اذا رُغَبُ النفوس دعت الى النزر
والمصطلى بالحرب يسعرها بغبارها وبفتية سُعُر
يجتاحها بأفلّ ذى شُطَب عضْب المضارب قاطع يَفْرى
لا شئ يلقاه أمر له من طعنة فى ثُغرة النحر
منْهِرة منه تجيش بما كانت عواصى جوفه تجرى
كخليلك المختار أذْكِ به من معتد فى الله أو مُسْر
خواض غمرة كل متلفة فى الله تحت العِثْيرِ الكَدْر
تراكِ ذى النَّخوات مختضبا بنجيعه بالطعنة الشَّزْر
وابن الحصين وهل له شبه فى العرف أنّى كان والنُّكر
بشهامة لم تحْنِ أضلعه لذوى أخوته على غِمر
طلْق اللسان بكل محكمة رأّب صدع العظم ذى الوقر
لم ينفكك في جوفه حزن تغلِى حرارته وتستشرى
ترقى وآونة يخفضها بتنفس الصُّعَداء والزَّفر
ومخالطى بلْج وخالصتى سَمّ العدو وجابرى الكسر
نكل الخصوم اذا هم شغبوا وسداد ثُلْمة عورة الثَّغْر
والخائض الغمرات يخطر فى وسط الأعادى أيما خَطْر
بمُشطَّب أو غير ذى شُطَب هام العدى بذُبابه يَفْرى
وأخيك أبرهة الهجان أخى الحرب العوان ملقح الجمر
بمُرِشَّة (١) فرْغا تشج دما نَجّ الغوى سُلافة الخمر
والضارب الأخدود ليس لها أحد ينهنها عن السَّحْر (٢)

---

(١) المرشة الطعنة ورشاشها دمها والفرغاء الواسعة (٢) الضربة الاخدود هى التى تخد فى الجلد أى بشق والسحر الرئة

وولى حكمهم فجعت به | عمرو فوا كبدى على عمرو
قوال محكمة وذى فهم | عفّ الهوى متثبت الأمر
ومسيب فاذكر وصيته | لا تنسها ما كنت ذا ذكر
فكلاهما قد كان محتسبا | لله ذا تقوى وذا برّ
فى مُخْبِتين ولم أسمهمُ | كانوا يدى وهم أولو نصرى
وهمُ مساعر فى الوغى رُجُح | وخيار من يمشى على العفر
حتى وفَوْا لله حيث لقُوا | بعهود لا كذب ولا غدر
فتخالسوا مهجات أنفسهم | وعداتهم بقواضب بتْر
وأسنة ركبن فى لُدُن | خطية بأكفهم زهر
تحت العَجاج وفوقهم خِرَق | يخفقن من سود ومن حمر
فتفرجت عنهم كأنهمُ | لم يغمضوا عيناً على وِتْر
فشعارهم نيران حربهمُ | ما بين أعلى الشّحر فالحِجر (١)
صَرْعَى تحالجة تنوبهمُ | وجوامع (٢) لحماتهم تفرى

ثم ذهب ابن عطية الى صنعاء فأنقاها من الخوارج

(١) الشحر صقع بين عدن وعمان والحجر ديار ثمود بوادى القرى (٢) الجامعة الغل

شعراء أسد

أيمن بن خريم

هو أيمن بن خُرَيم بن فاتك الأسدي من أسد بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر

شاعر اسلامى أموى ، وكان يتشيع ، وكان أبوه أحد من اعتزل حرب الجمل وصفّين وما بعدهما من الأحداث فلم يحضرها

وقعت بين عمرو بن سعيد وعبد العزيز بن مروان منازعة ، فعصب لكل واحد منهما أخواله وكان أيمن حاضراً فاعتزل هو ورجل من قومه يقال له ابن كوز وقل

أأقتل بين حجاج ابن عمرو ... وبين خصيمه عبد العزيز
أنقتل ضلّة فى غير شىء ... ويبقى بعدنا أهل الكنوز
لعمر أبيك ما أوتيت رشدي ... ولا وفقت للحرز الحريز
فانى تارك لما جميعاً ... ومعتزل كما اعتزل ابن كوز

أصاب يحيى بن الحكم جارية فى غزاة وبها وضح ، فقال أعطوها أيمن بن خريم وكان موضحاً ، فأنشأ يقول

تركت بني مروان تندَى أكفهم ... وصاحبت يحيى ضلّة من ضلاليا
فانك لو أشبهت مروان لم تقل ... لقومى هجرا ان أتوك ولا ليا

قال عبد الملك بن مروان يا معشر الشعراء تشبهوننا مرة بالأسد الأبخر ومرة بالجبل الأوعر ومرة بالبحر الأجاج ، ألا قلتم كما قال أيمن بن خريم فى بني هاشم ؟

نهاركمُ مكابدة وصوم ... وليلكمُ صلاة واقتراء

وليتم بالقران وبالتزكى — فأسرع فيكمُ ذاك البلاء
بكى نجد غداة غد عليكم — ومكة والمدينة والجواء
وحق لكل أرض فارقوها — عليكم لا أبالكم البكاء
أأجعلكم وأقواماً سواء — وبينكمُ وبينهم الهواء
وهم أرض لأرجلكم وأنتم — لأرؤسهم وأعينهم سماء

دخل نصيب يوماً الى عبد العزيز بن مروان فأنشده قصيدة له امتدحه بها ، فأعجبته وأقبل على أيمن بن خريم ، فقال كيف ترى شعر مولاى ؟ قال هو أشعر أهل جلدته ، فقال هو أشعر والله منك ، قال أمنّى أيها الأمير ؟ فقال إى والله ، قال لا والله ولكنك طرِف ملول ، فقال له لو كنت كذلك ما صبرت على مؤاكلتك منذ سنة وبك من البرص ما بك ، فقال له ائذن لي أيها الأمير فى الانصراف ، قال ذلك اليك ، فمضى لوجهه حتى لحق ببشر بن مروان وقال فيه

ركبت من المقطَّم فى جُمادَى — الى بشر بن مَرْوان البريدا
ولو أعطاك بشر ألف ألف — رأى حقاً عليه أن يزيدا
أمير المؤمنين أقم ببشر — عمود الدين ان له عمودا
ودع بشراً يقوِّمهم ويُحدِثْ — لأهل الزيغ إسلاماً جديدا
وانا قد وجدنا أم بشر — كأم الأسد مِذْكاراً ولودا
كأن التاج تاج أبى هِرَقْل — جلوه لأعظم الأيام عيدا
يخالف لونه ديباج بشر — اذا الألوان خالفت الخدودا

يعرض بنمش كان بوجه عبد العزيز ، ولما أتى بشراً نظر الناس يدخلون عليه أفواجاً ، فقال من يؤذن لنا الأمير أو يستأذن لنا عليه ؟ فقيل له ليس على الأمير حجاب ولا ستر ، فدخل وهو يقول

يُرَى بارزاً للناس بشر كأنه — اذا لاح فى أثوابه قمر بدر

ولو شاء بشر أغلق الباب دونه   طماطم (١) سود أو صقالبة شُقْر
أبى ذا ولكن سهل الاذن للتى   يكون له فى غِبها الحمد والشكر

فضحك اليه بشر وقال إنا قوم نحجب الحرم وأما الأموال والطعام فلا ، وأمر له بعشرة آلاف درهم

لما طالت الحرب بين غزالة وأهل العراق وهم لا يُغنون شيئاً قال أيمن

أُتينـا بهم مائتى فارس   من السافكين الحرام العبيطا
وخمسون من مارقات النساء   يسحبن للمنديات (٢) المروطا
وهم مائتا ألفِ ذوى قوْنس   يئطّ العراقان منهم أطيطا
رأيت غزالة ان طرّحت   بمكة هودجها والغبيطا
سمت للعراقين فى جمعها   فلاقى العراقان منها البَطيطا (٣)
ألا يستحى الله أهل العرا   ق أن قلدوا الغانيات السموطا
وخيل غزالة تسبى النساء   وتحوي النهاب وتحوي النبيطا

ومن قوله

وصهباء جُرْجانية لم يَطُفْ بها   حنيف ولم تنغَر (٤) بها ساعة قدر
ولم يشهد القسُّ المهينم نارها   طروقاً ولا صلى على طبخها حبر
أتانى بها يحيى وقد نمت نومة   وقد غابت الجوزاء وانحدر النَّسر
فقلت اصطبحها أو لغيري أسقها   فما أنا بعد الشيب ويحك والخمر
تعففت عنها فى العصور التى خلت   فكيف التصابى بعد ما كلأ (٥) العمر
اذا المرء وفّى الاربعين ولم يكن   له دون ما يأتى حجاب ولا ستر
فدعه ولا تنفس عليه الذي أتى   ولو مد أسباب الحياة له العمر

(١) الطمطم بالكسر من فى لسانه عجمة لا يفصح (٢) المنديات المخزيات
(٣) البطيط الأمر العجيب (٤) تغلى (٥) كلأ انتهى الى آخره وأقصاه

كان عبد الملك شديد الشغف بالنساء فلما أسن ضعف وازداد غرامه بهن فدخل اليه يوماً أيمن فقال كيف أنت ؟ فقال بخير يا أمير المؤمنين ؟ قال فكيف بقوتك ؟ فقال كما أحب ولله الحمد انى لآكل الجذعة من الضأن بالصاع من البر وأشرب العُسَّ المملوء وأرتحل البعير الصعب وأنصبه وأركب المهر الأرِن فأذلله وأفترع العذراء ولا يقعدنى عنها الكبر ولا يمنعنى عنها الحصر ولا يُرْوينى منها الغَمَرُ ولا ينقص مني الوطر ، فغاظ عبد الملك قوله وحسده فمنعه العطاء وحجبه وقصده بما كره حتى أثر ذلك فى حاله ، فقالت له امرأته ويحك اصْدُقني عن حالك هل لك جرم ؟ قال لا والله ، قالت فأى شيء دار بينك وبين أمير المؤمنين آخر مالقيته ؟ فأخبرها ، فقالت انا لله من ههنا أتيت ، أنا أحتال لك فى ذلك حتى أزيل ماجرى عليك فقد حسدك الرجل على ما وصفت به نفسك ، فتهيأت ولبست ثيابها ودخلت على عاتكة زوجه فقالت أسألك أن تستعدى لى أمير المؤمنين على زوجى ، قالت وماله ؟ قالت والله ما أدرى أنا مع رجل أو حائط وان له لسنين ما يعرف فراشي فسليه أن يفرق بينى وبينه ، فخرجت عاتكة الى عبد الملك فذكرت ذلك له وسألته فى أمرها ، فوجه الى أيمن بن خريم فحضر فسأله عما شكت منه فاعترف به ، فقال أولم أسألك عاماً أول عن حالك فوصفت كيت وكيت ؟ فقال يا أمير المؤمنين ان الرجل ليتجمل عند سلطانه ويتجلد على أعدائه بأكثر مما وصفت نفسى به وأنا القائل

لقيت من الغانيات العُجابا ... لوَ ٱدركُ منى الغوانى الشبابا

ولكن جمع النساء الحسان ... عناء شديد اذا المرء شابا

ولو كِلْتَ بالمد للغانيات ... وضاعفت فوق الثياب الثيابا

اذا لم تنلهن من ذاك ذاك ... جحدنك عند الأمير الكتابا

يَذُدن بكل عصا ذائد ... ويصبحن كل غداة صعابا

إذا لم يخالطن كل الخلا ط أصبحن مُخرنطمات غضابا
علام يكحلن حور العيون ويحدثن بعد الخضاب الخضابا
ويعركن بالمسك أجيادهن ويدنين عند الحجال العيابا
ويبرقن إلا لما تعلمون فلا تحرموا الغانيات الضِّرابا

فجعل عبد الملك يضحك من قوله ، ثم قال أولى لك يا ابن خُريم لقد لقيت منهن تَرَحاً فما ترى أن نصنع فيما بينك وبين زوجك ؟ قال تستأجلها سنة وأداريها لعلى أستطيع امساكها ، قال أفعل ذلك وردها اليه وأمر له بما فات من عطائه وعاد الى بره وتقريبه

الحكم بن عبدل

هو الحكم بن عبْدل الأسدى من غاضرة بن مالك ثم من بني أسد بن خزيمة شاعر مجيد مقدم فى طبقته هجّاء خبيث اللسان من شعراء الدولة الأُموية وكان أعرج أحدب ومنزله ومنشؤه الكوفة . من شعره وفيه غناء

لقد حثّوا الجمال ليهـرُبوا منا فلم يئلوا
على آثارهن مقلَّـص السربال معتمل
وفيهم قلبك المتبو ل بالحسناء مختبل
مخففة بحمل حما ئل الديباج والحلل
أسائل عاصما فى السـر أين تراهمُ نزلوا
فقال همُ قريب منـك لو نفعوك اذ رحلوا

كان للحكم حاجة الى عبد الملك بن بشر بن مروان فجعل يدخل عليه ولا يتهيأ له الكلام حتى جاء رجل فقال انى رأيت لك رؤيا ، فقال هاتها ، فقصها عليه ، فقال ابن عبدل وأنا قد رأيت أيضاً ، قال هات ما رأيت ، فقال

أغفيت قبل الصبح نوم مُسهَّد ... في ساعة ما كنت قبل أنامها

فحبوتني فيما أرى بوليـدة ... مغنوجة حسن عليَّ قيامها

وببَدْرة حملت إليَّ وبغلة ... شهباء ناجيةٍ يصلُّ لجامها

ليت المنابر يا ابن بشر أصبحت ... ترقى وأنت خطيبها وامامها

فأعطاه عبد الملك كل ما ذكر

دخل على ابن هبيرة وكان بخيلا فأقبل حتى وقف بين يديه ثم قال

أتيتك في أمر من آمر عشيرتى ... وأعمى الأمور المفظعات جسيمها

فان قلت لى فى حاجتى أنا فاعل ... فقد ثلجت نفسى وولى همومها

قال أنا فاعل ان اقتصدت فما حاجتك ؟ قال غرم لزمني فى حمالة ، قال وكم هى ؟ قال أربعة آلاف ، قال نحن مناصفوكها ، قال أصلح الله الامير أتخاف علىَّ التخمة ان أتممتها ؟ قال أكره أن أعود الناس هـذه العادة ، قال فأعطني جميعها سراً وامنعنى جميعها ظاهراً حتي تعود الناس المنع وإلا فالضرر عليك واقع ان عوضتهم نصف مايطلبون ، فضحك ابن هبيرة وقال ماعندنا غير ما بذلناه لك ، فجثا بين يديه وقال امرأته طالق لا أخذت أقل من أربعة آلاف أو أنصرف وأنا غضبان، قال أعطوه إياها قبحه الله فانه ما علمت حلاف مهين ، فأخذها وانصرف

وقع طاعون بالكوفة أفنى بنى غاضرة ومنهم زِرّ بن حيش وكانوا ظرفاء فقال الحكم بن عبدل يرثيهم

أبعد بني زِرّ وبعد ابن جنْدل ... وعمرو أرجّي لذة العيش فى خفض

مضوْا وبقينا نأمُل العيش بعدهم ... ألا ان من يبقى على إثر من يمضى

فقد كان حولى من جياد وسالم ... كهول مَساعير وكل فتى بضّ

يرى الشح عاراً والسماحة رفعة ... أغرّ كعود البانة الناعم الغض

سأل محمد بن حسان حاجة لرجل سأله مسألته اياها وهى أن يضع عنه ثلاثين

درهماً من خراجه ، فقال أماتنى الله ان كنت أقدر أن أضع من خراج أمير المؤمنين شيئاً ، فقال فيه

رأيت محمداً شرهاً ظلوماً　　وكنت أراه ذا وَرَع وقصد
يقول أماتنى ربى خداعاً　　أمات الله حسان بن سعد
فلولا كسبه لوُجِدتَ فَسْلاً　　لئيم الكسب شأنك شأن عبد
ركبت اليه فى رجل أتانى　　كريم يبتغى المعروف عندى
فقلت له و بعض القول نصح　　ومنه ما أسر له وأبدى
تَوَقَّ كرائم البكرى انى　　أخاف عليك عاقبة التعدى
أقرب كل آصرة ليدنو　　فما يزداد منى غير بعد
فأقسم غير مستثن يميناً　　أبا بجر لتتخمن ردى

واشتهرت هذه القصيدة حتى ان كان المُكارى يسوق بغله أو حماره فيقول عدَّ أمات الله حسان بن سعد فاذا سمع ذلك أبوه قال بل أمات الله ابنى محمدا فهو عرضني لهذا البلاء فى ثلاثين درهماً

كان الحكم صديقاً لبشر بن مروان فرأى منه جفاء لشغل عرض له فغاب عنه شهراً ثم التقيا فقال يا ابن عبدل مالك تركتنا وقد كنت لنا زواراً ؟ فقال

كنت أثنى عليك خيراً فلما　　أضمر القلب من نوالك يأسا
كنت ذا منصب فَنَيت حيائى　　لم أقل غير أن هجرتك باسا
لم أُطق ما أردت بى يا ابن مروا　　ن ستلقى اذا أردت أناسا
يقبلون الخسيس منك ويُثنو　　ن ثناء مُدَخْمَساً دخماسا

فقال له لانسومك الخسيس ولا نريد منك ثناء مدخمساً ووصله وحمله وكساه ولما مات بشر رثاه بقوله

أصبحت جَمَّ بلابل الصدر　　متعجباً لتصرف الدهر

ما زلت أطلب فى البلاد فتى ليكون لي ذُخراً من الذُّخر
ويكون يُسعدنى واسعده فى كل نائبة من الأمر
حتى اذا ظفرت يداى به جاء القضاء بحَيْنِه يجرى
انى لفى هم يبيا كرنى منه وهم طارق يسرى
فلأصبرن وما رأيت دوا للهمّ غير عزيمة الصبر
والله ما استعظمت فرقته حتى أحاط بفضله خُبرى

كان الحكم أعرج لا تفارقه العصا فترك الوقوف بأبواب الملوك ، وكان يكتب على عصاه حاجته ويبعث بها مع رسله ، فلا يحبس له رسول ، ولا تؤخر له حاجة ، فقال فى ذلك يحيى بن نوفل

عصا حكم فى الدار أول داخل ونحن على الأبواب نقصى ونحجب
وكانت عصا موسى لفرعون آية وهذى لعمر الله أدهى وأعجب
تطاع فلا تعصى ويحذر سخطها ويرغب فى المرضاة منها ويرهب

فشاعت هذه الأبيات بالكوفة وضحك الناس منها ، فكان ابن عبدل بعد ذلك يقول ليحيى ما أردت من عصاى حتى صيرتها ضحكة ؟ واجتنب أن يكتب عليها كما كان يفعل ، وكاتب الناس بحوائجه في الرقاع

كان للحكم صديق أعمى يقال له أبو عُلية ، وكان ابن عبدل قد أقعد ، فخرجا ليلة من منزلها الى منزل بعض اخوانهما ، والحكم يُحمل ، وأبو علية يقاد ، فلقيهما صاحب العَسَس بالكوفة فأخذهما فحبسهما ، فلما استقرا فى الحبس نظر الحكم الى عصا أبى علية موضوعة الى جانب عصاه ، فضحك وأنشأ يقول

حبسي وحبس أبى عليـــة من أعاجيب الزمان
أعمى يقاد ومقعـــد لا الرجل منه ولا اليدان
هذا بلا بصر هنـــا ك وبي يَخُبّ الحاملان

يا من رأى ضَبَّ الفلا ... ة قرين حوت في مكان

طرْفي وطرف أبي علية ... دهرنا متوافقان

من يفتخر بجواده ... فجوادنا عكازتان

طرْفان لا علفاهما ... يشرى ولا يتصاولان

هبني وإياه الحريق ... أكان يسطع بالدخان

وكان اسم أبي علية يحيى ، فقال فيه الحكم أيضاً

أقول ليحيى ليلة الحبس سادرا ... ونومي به نوم الأسير المقيد

أعنّي على رعي النجوم ولحظها ... أُعنك على تحبير شعر مقصَّد

ففي حالتينا عبرة وتفكر ... وأعجب شيء حبس اعمى ومقعد

كلانا اذا العكاز فارق كفه ... ينيخ صريعاً أو على الوجه يسجد

فعكازه يهدى الى السبل أكمها ... وأخرى مقام الرجل قامت مع اليد

ولي الشُّرطة بالكوفة رجل أعرج ، ثم ولي الامارة آخر أعرج ، وخرج ابن عبدل وكان أعرج ، فلقي سائلاً أعرج وقد تعرض للأمير يسأله ، فقال ابن عبدل للسائل

ألق العصا ودع التحامق والتمس ... عملاً فهذي دولة العُرْجان

لأميرنا وأمير شرطتنا معاً ... ياقومنا لكليهما رجلان

فاذا يكون أميرنا ووزيرنا ... وأنا فان الربع للشيطان

فبلغت أبياته ذلك الأمير ، فبعث اليه بمائتي درهم وسأله أن يكف عنه

صحب ابن عبدل معروف بن بشر حيناً ، فأبطأ عنه بصلته ، فتغيب عنه أياماً ثم أتاه ، فقال أين كنت ؟ قال أصلح الله الأمير خطبت بنت عم لي فأرسلت إليَّ إن لي أشاوى (١) على الناس وديونا فانطلق فاجمع ذلك ثم ائتني أفعل ، ففعلت ، فلما أتيتها بحاجتها كتبت إليَّ تؤيِّسني وتقول

(٢) أشاوى جمع أشياء

سيخطئك الذى أملت مني إذا انقضت عليك قُوَى حبالى
كما أخطاك معروف بن بشر وكنت تعده لك رأس مال
فلا والله لو كرهت شمالى يميني ماوصلت بها شمالى

فضحك ابن بشر وقال ما ألطف ما سألت ، وأمر له بعشرة آلاف درهم

أراد عمر بن هُبيرة أن يُغْزِىَ الحكم فاعتل بالزَّمانة ، فحمل وألقى بين يديه فجرده فاذا هوأعرج مفلوج فوضع عنه الغزو وضمه اليه وشخص به معه الى واسط ، فقال الحكم

لعمري لقد جردتني فوجدتني كثير العيوب سيء المتجرد
فأعفيتني لما رأيت زمانتي ووفقت مني للقضاء المسدد

خرج يزيد بن عمر بن هبيرة يسير بالكوفة فانتهى الى مسجد بني غاضرة ، وقد أقيمت الصلاة ، فنزل يصلي ، واجتمع الناس لمكانه فى الطريق ، وأشرف النساء من السطوح ، فلما قضى صلاته قال لمن هذا المسجد ؟ قالوا لبني غاضرة ، فتمثل قول الشاعر .

ما إن تركن من الغواضر مُعْصِراً الا قصمن بساقها خلخالا

فقالت له امرأة من المشرفات

ولقد عطفن على فزارة عَطفة كرَّ المنيح وجلن ثم مجالا

فقال يزيد من هذه ؟ فقالوا بنت الحكم بن عبدل ، فقال هل تلد الحية الا حية ؟ وقام خجلاً

كان ابن عبدل أعرج أحدب وكان من أطيب الناس وأملحهم ، فلقيه صاحب العَسَس ليلة وهو سكران محمول في مَحَفَّة ، فقال له من أنت ؟ فقال يا بغيض أنت أعرف بي من أن تسألني من أنا ، فاذهب الى شغلك ، فانك تعلم أن اللصوص لا يخرجون بالليل للسرقة محمولين في محفة ، فضحك الرجل وانصرف عنه

دخل ابن عبدل على ابن هُبيرة فقال له أنشدني شيئاً ، فقال أنشدك مقولة أيها الأمير ، قال هات ، فأنشده هذه الأبيات وهي قديمة ، وقد تمثل بها ابن الأشعث حين خرج ، ويروي أنها لأعشى همدان

نجمّ ولا نعطَى وتعطى جيوشهم — وقد ملؤا من مالنا ذا الأكارع
وقد كفونا عدّة وروائعـــــا — فقد وأبى رُعنا كُمْ بالروائع
ونحن جلبنا الخيل من ألف فرسخ — اليكم بمحمر من الموت ناقع

فغضب ابن هبيرة من تعريضه وقال له والله لولا أني قد أمنتك واستنشدتك لضربت عنقك

كانت للحكم جارية سوداء وقد كان يميل اليها ، فولدت ابناً أسود ، وكان من أعرم الصبيان ، فقال فيه

يارب خال لك مسود القفا — لا يشتكي من رجله مس الحفا
كأن عينيـــــه اذا تشوفا — عينا غراب فوق نيق[1] أشرفا

ولد للحكم ابن فسماه بشراً ، ودخل على بشر بن مروان فقال

سميت بشراً ببشر الندى — فلا تفضحني بتصداقهـا
اذا ما قريش قريش البطا — ح عند تجمع آفاقها
تسامت قرومهم للندى — تبارى الرياح بأوراقها
فمـالك أنفع أموالهـا — وخلقك أكرم أخلاقها

فأمر له بألفي درهم وقال له استعن بهذه على أمرك

اقترض ابن عبدل مالا من التجار وحلف لهم بالطلاق ثلاثاً أن يقضيهم المال عند طلوع الهلال ، فلما بقي من الشهر يومان قال

قد بات همي قريناً أكابده — كأنما مضجعي على حجر

(١) النيق أرفع موضع في الجبل

من رهبة أن يرى هلال غد ... فان رأوه فحق لي حذري
وفقد بيضاء غادة كملت ... كأنها صورة من الصور
أصبحت من أهلِ الغداة ومن ... مالي على مثل ليلة القدَر

فبلغ خبره عبد الملك بن بشر فأعطاهم مالهم عليه وأضعفه له فقال

لما أتاه الذى أصبت به ... وأنشدوه إياه فى شعرى
جاد بضعفى ماحل من غرمى ... عفواً فزالت حرارة الصدر
لأشكرن الذى مننت به ... مادمت حياً وطال لي عمري

اجتمع الشعراء الى الحجاج وفيهم ابن عبدل ، فقالوا للحجاج انما شعر ابن عبدل كله هجاء وشعر سخيف ، فقال قد سمعت قولهم فاستمع مني ، قال هات ، فأنشده قوله

وانى لأستغنى فما أبطرُ الغنى ... وأعرض ميسوري لمن يبتغي قرضى
وأعسر أحياناً فتشتد عسرتى ... فادرك ميسور الغنى ومعى عِرضى
وما نالنى حتى تجلت فأسفرت ... أخو ثقة فيها بقرض ولا فرض
ولكنه سيب الاله ورحلتى ... وشدي حيازيم المطية بالغَرْض (١)
لأكرم نفسى أن أُرَى متخشعاً ... لذى منة يعطى القليل على النَحْض (٢)
قد امضيت هذا فى وصية عَبْدَل ... ومثل الذى أوصى به والدى أمضى
أكفّ الأذى عن أسرتي وأذوده ... على انني أجزى المقارض بالقرض
وأبذل معروفي وتصفو خليقتى ... اذا كُدِّرت أخلاق كل فتى مَحْض
وأقضى على نفسي اذا الحق نابني ... وفى الناس من يُقْضَى عليه ولا يقضى
وأمضى همومى بالزَّماع لوجهها ... اذا ما الهموم لم يَكَد بعضها يَمضي
وأستنقذ المولى من الأمر بعدما ... يزِلّ كمازلّ البعير عن الدَّحض (٣)

(١) الغرض حزام الرحل (٢) النحض اللحم (٣) الدحض الزلق

وأمنحه مالي وودى ونصرتي ... وان كان محنىَّ الضلوع على بغض
ويغمره سيبي ولو شئت ناله ... قوارع تبرى العظم من كلم مَضَّ (١)
ولست بذى وجهين فيمن عرفته ... ولا البخل فاعلم من سمائى ولا أرضى

فلما سمع الحجاج هذا البيت فضله على الشعراء بجائزة ألف درهم فى كل مرة يعطيهم

الكميت

هو الكُميت بن زيد بن خُنيس الأسدى من ثعلبة بن دُودان بن أسد شاعر مقدم عالم بلغات العرب، خبير بأيامها من شعراء مضر وألسنتها والمتعصبين على القحطانية المقارنين المقارعين لشعرائهم العلماء بالمثالب والأيام المفاخرين بها ، وكان فى أيام بنى أمية ولم يدرك بنى العباس وكان معروفا بالتشيع لبني هاشم مشهوراً بذلك وقصائده الهاشميات من جيد شعره ومختاره ، ولم تزل عصبيته للعدنانية ومهاجاته شعراء اليمن متصلة والمناقضة بينه وبينهم شائعة فى حياته وبعد وفاته حتى ناقض دعبل وابن أبى عُيَينة قصيدته المذهبة بعدوفاته وأجابهما أبو الذلفاء البصرى مولى بني هاشم عنها ، وكانت بينه وبين الطِّرماح خُلْطة ومودة لم تكن بين اثنين، على تفاوت المذهب والعصبية والديانة ، كان الكميت شيعياً عصبياً عدنانياً من شعراء مُضَر متعصباً لأهل الكوفة والطرماح خارجى صُفْرى قحطانى عصبي لقحطان من شعراء اليمن متعصب لأهل الشام ، فقيل لهما ففيم اتفقتما هذا الاتفاق مع اختلاف سائر الأهواء ؟ قال اتفقنا على بغض العامة

لما قال قصيدته التى مطلعها — ألا حييت عنا يا مدينا — وهجا فيها قبائل قحطان غضب عليه خالد القَسْرى فاشترى جوارى روَّاهن قصائد الكُميت الهاشميات ودسهن الى هشام بن عبد الملك فلما سمع تلك القصائد منهن وعلم قائلها كتب الى

(١) المض مصدر مضه يمضه مضاً فأقام المصدر مقام الفاعل كما قالو رجل عدل أى عادل

خالد أن يقطع لسان الكميت ويده فهرب الى الشام واستجار بمَسْلَمة بن هشام واستجار أيضاً بقبر معاوية بن هشام وكان قد مات حديثاً فكلم أبناؤه فيه جدهم فأحضره هشام وقال له يا كميت أنت القائل

والا تقولوا غيرها تتعرفوا　　نواصيها تردي بنا وهي شُزَّب

فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ثم قال أما بعد فاني كنت أتدهدى فى غمرة ، وأعوم في بحر غواية ، أخنى عليَّ خطلها ، واستفزنى وهلُها ، فتحيرت فى الضلالة وتسكعت فى الجهالة ، مهرِعاً عن الحق ، جائراً عن القصد ، أقول الباطل ضلالا ، وأفوه بالبهتان وبالا ، وهـذا مقام العائذ مبصر الهدى ورافض العماية ، فاغسل عني يا أمير المؤمنين الحوْبة بالتوبة ، واصفح عن الزَّلة ، واعف عن الجرمة ، ثم قال

كم قال قائلكم لعاً　　لكَ عند عثرته لعاثر
وغفرتم لذوي الذنو　　ب من الأكابر والأصاغر
أبني أميــــة انكم　　أهل الوسائل والأوامر
ثقتى لكل ملمـــة　　وعشيرتى دون العشائر
أنتم معاون للخلا　　فة كابراً من بعد كابر
بالتسعة المتابعيـــن خلائفاً وبخير عاشر
والى القيامة لا تزا　　ل لشافع منكم وواتر

ثم قطع الانشاد وعاد الى خطبته فقال إغضاء أمير المؤمنين وسماحته وصباحته ، ومناط المنتجعين بحبله ، من لا تحل حبوته لاساءة المذنبين ، فضلا عن استشاطة غضبه بجهل الجاهلين — فقال له ويلك يا كميت من زين لك الغَواية ، ودلَّاك فى العماية ؟ قال الذى أخرج أبانا من الجنة وأنساه العهد فلم يجد عزما — فقال ايه أنت القائل

فياموقداً ناراً لغيرك ضوؤها ... ويا حاطباً فى غير حبلك تحطب

فقال بل أنا القائل

الى آل بيت أبى مالك ... مناخ هو الأرحب الأسهل
نَمُتَّ بأرحامنا الداخلا ... ت من حيث لا ينكر المدخل
بمرة والنضر والمالكيـ ... ـن رهط هم الأنبل الأنبل
وبارى خُزَيمة بدر السما ... ح والشمس مفتاح ما نأمل
وجدنا قريشاً قريش البطاح ... على ما بنى الأول الأول
بهم صلحَ الناس بعد الفساد ... وحِيص من الفتق ما رَعبلوا[1]

فقال له وأنت القائل

لا كعبد المليك أو كوليد ... أو سليمان بعدُ أو كهشام
من يمت لا يمت فقيداً ومن ... يَحْيَ فلا ذو إلّة ولا ذو ذِمام

ويلك يا كميت جعلتنا ممن لا يَرْقُب فى مؤمن إلاًّ ولا ذمة ، فقال بل أنا القائل يا أمير المؤمنين

فالآن صرت الى أميـ ... ـة والامور الى مصاير
والآن صرت بها المصيـ ... ـب كمهتد بالامس حائر
يا ابن العقائل للمقا ... ئل والجحاجحة الأخاير
من عبد شمس والاكا ... بر من أمية فالاكابر
ان الخلافة والإلا ... ف برغم ذى حسد وواغر
دَلفا من الشرف التَّليـ ... ـد اليك بالرفد الموافر
فحللت مُعْتَلَج البطا ... ح وحل غيرك بالظواهر

فقال له ايه أنت القائل

فقل لبنى أمية حيث حلوا ... وان خفت المهنَّد والقطيعا

(١) رعبل الثوب مزقه وحاص الثوب خاطه بلا رقعة

أجاع الله من أشبعتموه وأشبع من بجَوْركمُ أُجيعا

بمرضىِّ السياسة هاشمي يكون حياً لأمته ربيعا

فقال له لا تثريب يا أمير المؤمنين ان رأيت أن تمحو عني قولي الكاذب قال بماذا ؟ قال بقولي الصادق

أورثته الحِصان أم هشام حسباً ثاقباً ووجهاً نضيرا

وتعاطى به ابن عائشة البد ر فأمسى له رقيباً نظيرا

وكساه أبو الخلائف مروا ن سنيَّ المكارم المأثورا

لم تجهَّم له البطاح ولكن وجدتها له معاناً (١) ودورا

وكان هشام متكئاً فاستوى جالساً وقال هكذا فليكن الشعر ، يقولها لسالم ابن عبد الله بن عمر وكان الى جانبه ، ثم قال قد رضيت عنك يا كميت ، فقبل يده وقال يا أمير المؤمنين ان رأيت أن تزيد فى تشريفي ولا تجعل لخالد علىّ امارة ، قال قد فعلت ، وكتب له بذلك وأمر له بأربعين الف درهم وثلاثين ثوباً هشامية

كان هشام قد اتهم خالد بن عبد الله وكان يقال انه يريد خلعك فوجد بباب هشام يوماً رقعة فيها شعر فدخل بها على هشام فقرئت عليه وهي

تألّق برق عندنا وتقابلت أثاف لقدر الحرب أخشى اقتبالها

فدونك قدر الحرب وهي مقرة لكفيك واجعل دون قدر جعالها

ولن تنتهي أو يبلغ الأمر حده فنلها برسل قبل الاّ تنالها

فتجشم منها ما جشمت من التي بسوراء هرّت نحو حالك حالها

تلاف أمور الناس قبل تفاقم بعقدة حزم لا تخاف انحلالها

فما أبرم الأقوام يوماً لحيلة من الأمر الا قلدوك احتيالها

وقد تخبر الحرب العوان بسرها وان لم تبح من لا يريد سؤالها

(١) المعان المنزل

فأمر هشام أن يجمع له من بحضرته من الرواة فجُمعوا ، فأمر بالأبيات فقرئت عليهم ، فقال شعر من تشبه هذه الأبيات ؟ فأجمعوا جميعاً من ساعتهم انه كلام الكميت ، فقال هشام نعم هذا الكميت ينذرني بخالد بن عبد الله

وفد الكميت على يزيد بن عبد الملك فدخل عليه يوماً وقد اشتريت له سلامة القس فأدخلت اليه والكميت حاضر ، فقال له يا أبا المستهل هذه جارية تباع أفترى أن نبتاعها ؟ قال إي والله يا أمير المؤمنين وما أرى ان لها مثلا في الدنيا فلا تفوتنك ، قال فصفها لي في شعر حتى أقبل رأيك ، فقال

هي شمس النهار في الحسن الا ... انها فضلت بقتـــل الظراف
غَضَّة بَضَّة رَخيم لعُوب ... وَعْثَة المتن شَخْتَة(١) الأطراف
زانها دلُّهـــا وثغر نقي ... وحديث مُرَتَّل غير جاف
خلقت فوق منيـــة المتمني ... فاقبل النصح يا ابن عبد مناف

فضحك يزيد وقال قد قبلنا نصحك يا أبا المستهل ، وأمر له بجائزة سنية .

جاء الكميت الى الفرزدق لما قدم الكوفة فقال له اني قد قلت شيئاً فاسمعه مني يا أبا فراس ، قال هاته فأنشده قوله

طربت وما شوقا الى البيض أطرَب ... ولا لعبا مني وذو الشوق يلعب
ولم تُلهني دار ولا رسم منزل ... ولم يتطربني بنان مخضب
ولا السانحات البارحات عشية ... أمر سليم القرن أم مرّ أعضب
ولكن الي أهل الفضائل والنهى ... وخير بني حواء والخير يطلب
الى النفر البيض الذين بحبهم ... الى الله فيما نابني أتقرب
بني هاشم رهط النبي فانني ... بهم ولهم أرضى مراراً وأغضب
خفضت لهم مني جناحي مودة ... الى كنف عِطفاه أهل ومرحب

(١) الشخت الدقيق الضامر من الأصل لا هزالا

وكنت لهم من هؤلاء وهؤلا ... محباً على انى أذم وأغضب
وأُرمى وأرمى بالعداوة أهلها ... وانى لأوذى فيهمُ وأؤنب

فقال له قد طربت الى شئ ما طرب اليه أحد قبلك ، فأما نحن فلا نطرب ولا طرب من كان قبلنا الا الي ما تركت أنت الطرب اليه ، وقال له يا ابن أخى أذع ثم أذع فأنت والله أشعر من مضى وأشعر من بقى

لما خرج زيد بن على كتب الى الكميت اخرج معنا ألست القائل

ما أبالي اذا حفظت أبا القا ... سم فيكم ملامة اللوام

فكتب اليه الكميت

تجود لكم نفسى بما دون وثبة ... تظل لها الغربان حولي تحجل

دخل الكميت على خالد القسرى فأنشده قوله فيه

لو قيل للجود من حليفك ما ... ان كان الا اليك ينتسب
أنت أخوه وأنت صورته ... والرأس منه وغيرك الذَّنب
أحرزت فضل النِّضال فى مَهَل ... فكل يوم بكفك القَصَب
لو أن كعباً وحاتماً نشرا ... كانا جميعاً من بعض ما تَهَب
لا تُخلف الوعد ان وعدت ولا ... أنت عن المعتفين تحتجب
ما دونك اليوم من نوال ولا ... خلفك للراغبين منقلب

فأمر له بمائة الف درهم

ومن شعره وفيه غناء

هلا سألت معالم الأطلال ... والرسم بعد تقادم الأحوال
دِمَناً تهيج رسومُها بعد البِلَى ... طربا وكيف سؤال أعجم بالي
يمشين مشى قَطا البِطاح تأوُّدا ... قُبَّ البطون رواجح الأكفال
من كل آنسة الحديث حيية ... ليست بفاحشة ولا متفْال

أقصى مذاهبها اذا لاقيتها ... فى الشهر بين أمرة وحجال
وتكون ريقتها اذا نبهتها ... كالشهد أو كسلافة الجريال

وهذا الشعر من قصيدة له يمدح بها مخلد بن يزيد المهلب يقول فيها

قاد الجيوش لخمس عشرة حجة ... ولداته عن ذاك في أشغال
قعدت بهم هماتهم وسمت به ... همم الملوك وسورة الأبطال
فكأنما عاش المهلب بينهم ... بأغر قاس مثاله بمثال
فى كفه قصبات كل مقلد ... يوم الرهان وقوت كل نصال
ومتى أزنك بمعشر وأزنهم ... بك ألف وزنك راجح الأثقال

قال ابن شبرمة للكميت انك قلت فى بنى هاشم فأحسنت وقلت فى بنى أمية أفضل ، قال انى اذا قلت أحببت أن أحسن

قال ابن كناسة كان الكميت طويلا أصم ولم يكن حسن الصوت ولا جيد الانشاد فكان اذا استنشد أمر ابنه المستهل فأنشد وكان فصيحاً حسن الانشاد

كان الكميت مداحاً لأبان بن الوليد البجلي وكان أبان له محباً واليه محسناً ، فمدح الكميت الحكم بن الصلت وهو يومئذ يخلف يوسف بن عمر بقصيدة أولها

طربت وهاجك الشوق الحثيث

فلما أنشده إياها وفرغ دعا الحكم بخازنه ليعطيه الجائزة ثم دعا بأبان بن الوليد فأدخل عليه وهو مكبل بالحديد فطالبه بالمال ، فالتفت الكميت فرآه فدمعت عيناه وأقبل على الحكم فقال أصلح الله الأمير اجعل جائزتى لأبان واحتسب بها له من هذا النجم ، فقال له الحكم قد فعلت ردوه الى السجن ، فقال له أبان يا أبا المستهل ماحل له على شيء بعد ، فقال الكميت للحكم أبى تسخر أصلح الله الأمير ؟ فقال الحكم كذب قد حل عليه المال ولولم يحل لاحتسبنا له مما يحل ، فقال له حوشب بن يزيد الشيبانى وكان خليفة الحكم أصلح الله الأمير أتشفع حمار بنى أسد فى عبد

بجيله ، فقال له الكميت لئن قلت ذاك فوالله ما فررنا عن آبائنا حتى قتلوا ولا نكحنا حلائل آبائنا بعد أن ماتوا ، وكان يقال ان حوشباً فر عن أبيه فى بعض الحروب فقتل أبوه ونجا هو وفيه يقول الشاعر

نجى حشاشته وأسلم شيخه   لما رأى وقع الأسنة حوشب

التقت ريّا بنت الكميت وفاطمة بنت أبان بن الوليد بمكة وهما حاجتان فتساءلتا حتى تعارفتا فدفعت بنت أبان الى بنت الكميت خلخالي ذهب كانا عليها ، فقالت لها بنت الكميت جزاكم الله خيراً يا آل أبان فما تتركون بركم بنا قديماً ولا حديثاً ، فقالت لها بنت أبان بل أنتم فجزاكم الله خيراً فانا أعطيناكم مايبيد ويفني وأعطيتمونا من المجد والشرف ما يبقى أبداً ولا يبيد يتناشده الناس فى المحافل فيحيي ميت الذكر ويرفع بقية العقب

دخل الكميت على أبي جعفر محمد بن على عليهما السلام فقال له يا كميت أنت القائل

فالآن صرت إلى أميـــة   والامور الى مصاير

قال نعم قد قلت ولا والله ما أردت به إلا الدنيا ولقد عرفت فضلكم ، قال أما ان قلت ذلك ان التقيَّة لتحل

سئل معاذ الهرّاء من أشعر الناس ؟ قال أمن الجاهليين أم من الاسلاميين ؟ قالوا بل من الجاهليين قال امرؤ القيس وزهير وعَبيد بن الابرص ؟ قالوا فمن الاسلاميين ؟ قال الفرزدق وجرير والاخطل والراعى ، فقيل له يا أبا محمد ما رأيناك ذكرت الكميت فيمن ذكرت ، قال ذاك أشعر الأولين والآخرين

لما أنشد هشام بن عبد الملك قول الكميت

فبهم صرتُ للبعيد ابن عم   واتهمت القريب أى اتهام

مبدياً صفحتى عن الموقف المعـــلم بالله قوتى واعتصامى

قال استقتل المرائي

كان سبب هجاء الكميت أهل اليمن أن شاعراً من أهل الشام يقال له حكيم ابن عياش الكلبي كان يهجو على بن أبي طالب عليه السلام و بنى هاشم جميعاً وكان منقطعاً الى بنى أمية فانتدب له الكميت فهجاه وسبه فأجابه ولج الهجاء بينهما ، وكان الكميت يخاف أن يفتضح فى شعره عن على عليه السلام لما وقع بينه وبين هشام وكان يظهر أن هجاءه اياه فى العصبية التى بين عدنان وقحطان ، فكان ولد اسماعيل بن الصباح بن الأشعث بن قيس وولد علقمة بن وائل الحضرمى يردون شعر الكلبي ، فهجا أهل اليمن جميعاً إلا هذين فانه قال فى آل علقمة

ولولا آل علقمة اجتدعنا بقايا من أنوف مصلمينا

وقال فى اسماعيل

فان لاسمعيل حقاً واننا له شاعبو الصدع المقارب للشعب

وكان لآل علقمة عنده يد لان علقمة آواه ليلة خرج الى الشام وأم اسمعيل من بنى أسد فكف عنهم لذلك

قال الكلبي

ما سرنى أن أمى من بنى أسد وأن ربى نجانى من النار
وأنهم زوجونى من بناتهمُ وان لي كل يوم الف دينار

فأجابه الكميت

يا كلب مالك أم من بني أسد معروفة فاحترق يا كلب بالنار
لكن أمك من قوم شنئت بهم قد قنعوك قناع الخزى والعار

فقال له الكلبي

لن يبرح اللؤم هذا الحى من أسد حتى يفرق بين السبت والأحد

قال المستهل بن الكميت لأبيه يا أبت انك هجوت الكلبي فقلت

ألا يا سلم من ترب | أفي أسماء من ترب
ألا يا سلم حييت | سلي عني وعن صحبي
ألا يا سلم غنينا | وان هيجتما حبي
على حادثة الأيا | م لي نصباً من النصب

وغمزت عليه ففخرت ببني أمية وكنت تشهد عليهم بالكفر فألا فخرت بعلى وبني هاشم الذين تتولاهم ؟ فقال يا بنى أنت تعلم انقطاع الكابى الى بني أمية وهم أعداء على عليه السلام فلو ذكرت علياً لترك ذكري وأقبل على هجائه فأكون قد عرضت علياً له ولا أجد له ناصراً من بنى أمية ، ففخرت عليه ببني أمية وقلت إن نقضها عليَّ قتلوه وان أمسك عن ذكرهم قتلته غماً وغلبته ، فكان كما قال أمسك الكابى عن جوابه فغلب عليه وأفحم الكابى

اجتمع الكميت وحماد الراوية في مسجد الكوفة فتذاكرا أشعار العرب وأيامها فخالفه حماد فى شيء ونازعه ، فقال الكميت أتظن أنك أعلم مني بأيام العرب وأشعارها ؟ قال وما هو الا الظن ؟ هذا والله اليقين ، فغضب الكميت ثم قال لِكَمْ شاعر بصير يقال له عمرو بن فلان تروى ؟ ولكم شاعر أعور أو أعمى اسمه فلان بن عمرو تروى ؟ فقال حماد قولاً لم يحفظه الراوى ، فجعل الكميت يذكر رجلاً رجلاً من صنف صنف ويسأل حماداً هل يعرفه ؟ فاذا قال لا أنشده من شعره جزءاً جزءاً حتى ضجر السامعون ، ثم قال له الكميت فانى سائلك عن شيء من الشعر فسأل عن قول الشاعر (يزيد بن طُعْمة الخطمى)

طرحوا أصحابهم فى ورطة | قذفك المقلة شطر المعترك

فلم يعلم حماد تفسيره فسأله عن قول الآخر

تَدْرِيننا بالقول حتى كأنما | تدرين ولداناً تصيد الرِّهادنا

فأفحم حماد ، فقال له قد أجلتك الى الجمعة الأخرى ، فجاء حماد ولم يأت

بتفسيرهما وسأل الكميت أن يفسرهما له ، فقال المقلة حصاة أو نواة من نوى المقل يحملها القوم معهم اذا سافروا وتوضع فى الاناء و يصب عليها الماء حتى يغمرها فيكون ذلك علامة يقتسمون بها الماء والشطر النصيب والمعترك الموضع الذى يختصمون فيه فى الماء فيلقونها هناك عند الشرب ، وقوله تدْرِينا يعنى النساء أى ختلننا فرميننا ، والرهادن طير بمكة كالعصافير

مات ورد أخو الكميت فقيل له ألا ترثى أخاك ؟ فقال مرثيته ومرزئته عندى سواء وانى لا أطيق أن أرثيه جزعاً عليه

وقد روى الكميت الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمما رواه عن عكرمة أن عبد الله بن عباس بعثه مع الحسين بن علي عليهما السلام فجعل يُهِل حتى رمى جمْرة العقَبة ، فسألته عن ذلك فأخبرنى أن أباه فعله ، فحدثت به ابن عباس فقال له لا أم لك أتسألنى عن شئ أخبرك به الحسين بن على عن أبيه والله انها لسنة ، وقال سألت أبا جعفر عن قول الله عز وجل « ان الذى فرض عليك القرآن لرادُّك الى معَاد » فقال دخلت أنا وأبى الى أبى سعيد الخُدْرى فسأله أبى عنها فقال معَاد آخرته الموت ،

دخل الكميت على أبى عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام فقال له جعلت فداك ألا انشدك ؟ قال انها أيام عظام ، قال انها فيكم ، قال هات ، وبعث أبو عبد الله الى بعض أهله فقرب ، فأنشده ، فكثر البكاء حين أتى على هذا البيت

يصيب به الرامون عن قوس غيرهم   فيا آخراً أسدى له الغَىَّ أول

فرفع أبو عبد الله عليه السلام يديه فقال اللهم اغفر للكميت ما قدم وما أخر ، وما أسرَّ وما أعلن وأعطه حتى يرضى ، ودخل عليه يوماً فأعطاه ألف دينار وكسوة فقال له الكميت والله ما أحببتكم للدنيا ، ولو أردت الدنيا لأتيت من هى فى يديه ، ولكنى أحببتكم للآخرة ، فأما الثياب التى أصابت أجسامكم فأنا أقبلها لبركاتها ،

وأما المال فلا أقبله ، فرده وقبل الثياب ، ودخل على فاطمة بنت الحسين عليهما السلام ، فقالت هذا شاعرنا أهل البيت وجاءت بقدح فيه سَويق ، فحركته بيدها وسقت الكميت ، فشربه ، ثم أمرت له بثلاثين ديناراً ومركب ، فهملت عيناه وقال والله لا أقبلها اني لم أحبكم للدنيا

لما قدم ذو الرمة أتاه الكميت ، فقال له اني قد قلت قصيدة عارضت بها قصيدتك « ما بال عينك منها الماء ينسكب » ، فقال له وأي شيء قلت ؟ فقال قلت

هل أنت عن طلب الأيفاع منقلب ⁂ أم كيف يحسن من ذي الشَّيْبة اللعب

حتى أنشده إياها ، فقال له ويحك انك لتقول قولاً ما يقدر انسان أن يقول لك أصبت ولا أخطأت ، وذلك أنك تصف الشيء فلا تجيء به ولا تقع بعيداً منه ، بل تقع قريباً منه ، قال أوَ تدري لِمَ ذلك ؟ قال لا ، قال لأنك تصف شيئاً رأيته بعينك ، وأنا أصف شيئاً وصف لي ، وليست المعاينة كالوصف ، فسكت

قال حماد الراوية كانت للكميت جدتان أدركتا الجاهلية ، فكانتا تصفان له البادية وأمورها وتخبرانه بأخبار الناس في الجاهلية فاذا شك فى شعر أو خبر عرضه عليهما ، فتخبرانه عنه ، فمن هناك كان علمه

خرجت الجعفرية على خالد بن عبد الله وهو يخطب على المنبر وهو لا يعلم بهم فخرجوا في التبابين[١] ينادون ، لبيك جعفر لبيك جعفر ، وعرف خالد خبرهم وهو يخطب على المنبر ، فدَهِش ، فلم يعلم ما يقول فزعاً ، فقال أطعموني ماء ، ثم خرج الناس اليهم فأخذوا ، فجعل يجيء بهم الى المسجد ويؤخذ طنّ قصب فيطلى بالنفط ويقال للرجل احتضنه ويضرب حتى يفعل ، ثم يحرق ، فحرقهم جميعاً ، فلما قدم يوسف بن عمر دخل عليه الكميت وقد مدحه بعد قتل زيد بن علي ، فأنشده قوله فيه

(١) التبان بالضم سراويل صغير يكون للملاحين والمصارعين

خرجت لهم تمشى البَراح ولم تكن ... كمن حصنه فيه الرِّتاج المضبب

وما خالد يستطعم الماء فاغراً ... بعدلك والداعى الى الموت ينعب

والجند قيام على رأس يوسف بن عمر ، فغضبوا لخالد ، فوضعوا ذباب سيوفهم فى بطن الكميت ، فوجؤه بها ، وقالوا أتنشد الأمير ولم تستأمره ؟ فلم يزل ينزفه الدم حتى مات

دخل المستهل بن الكميت على عبد الصمد بن علي فقال له من أنت ؟ فأخبره ، فقال لا حياك الله ولا حيا أباك هو الذى يقول

فالآن صرت الى أميـــة والأُمور الى مصاير

فأطرق استحياء مما قاله وعرف البيت ، ثم قال له ارفع رأسك يا بنيَّ فلئن قال هذا فلقد قال

لخاتمكم كرهاً تجوز أمورهم ... فلم أرَ غصباً مثله حين يغصب

فسلى بعض ما كان به ، وحادثه ساعة ، ثم قال ما يعجبك من النساء يا مستهل ؟ فقال

غرَّاء تسحب من قيام فرعها ... جثْلاً يزينـــه سواد أفحم

فكأنها فيه نهار مشرق ... وكأنه ليـــل عليها مظلم

قال يا بنيَّ هذه لا تصاب الا فى الفردوس ، وأمر له بجائزة

لما جاءت المسوِّدة سخروا بالمستهل وحملوا عليه حملاً ثقيلاً وضربوه ، فمرَّ ببني أسد فقال أترضوْن أن يفعل بى هذا الفعل ؟ قالوا له هؤلاء الذين يقول أبوك فيهم

والمصيبون باب ما أخطأ النا ... س ومرْسَى قواعد الاسلام

قد أصابوا فيك فلا نكذب أباك

أخذ العسس المستهل فى أيام أبى جعفر وكان الأمر صعباً ، فحبس ، فكتب الى أبى جعفر يشكو حاله ، وكتب فى آخر الرقعة

لئن نحن خفنا فى زمان عدوكم   وخفناكمُ ان البلاء لراكد

فلما قرأها أبو جعفر قال صدق المستهل وأمر بتخليته

حضر المستهل باب عيسى بن موسى ، وكان يكرمه ، فبلغه أنه قد غلب عليه الشراب فاستخف به ، وكان آخر من يدخل على عيسى بن موسى قوم يقال لهم الراشدون يؤذن لهم فى القعود ، فأدخل المستهل معهم فقال

ألم ترَ أنى لماحضرت دعيـــت فكنت مع الراشدينا

ففزت بأحسن أسمائهم   وأقبح منزلة الداخلينا

ولد الكميت أيام مقتل الحسين بن علي سنة ستين ومات فى سنة ست وعشرين ومائة فى خلافة مروان بن محمد ، وكان مبلغ شعره حين مات خمسة آلاف ومائتين وتسعة وثمانين بيتاً

قال المستهل حضرت أبى عند الموت وهو يجود بنفسه ثم أفاق ففتح عينيه ثم قال اللهم آل محمد اللهم آل محمد ثلاثاً ثم قال له يا بنىَّ وددت أنى لم أكن هجوت نساء بنى كلب فعممتهن قذفا بالفجور والله ما خرجت بليل قط الا خشيت أن أرمى بنجوم السماء لذلك ثم قال يا بنىَّ إنه بلغنى فى الروايات أنه يحفر بظهر الكوفة خندق يخرج منه الموتى من قبورهم وهم ينبشون منها فيحولون الى قبور غير قبورهم فلا تدفنى فى الظهر ولكن اذا مت فامض بى الى موضع يقال له مكران فادفنى فيه ، فدفن فى ذلك الموضع وكان أول من دفن فيه وهى مقبرة بنى أسد الى الساعة

اسمعيل بن عمار

هو اسماعيل بن عمار بن عيينة الأسدى من بنى مالك بن ثعلبة ثم من بنى أسد شاعر مقل مخضرم من شعراء الدولتين الأموية والهاشمية وكان ينزل الكوفة ومن قوله يرثى ابنا له اسمه معن

ياموت مالك مولعاً بضرارى   انى عليك وان صبرت لزار

تعدو عليَّ كأنني لك واتر ... وأؤول منك كما يؤول قراري
نفس البعيد اذا أردتَ قريبة ... ليست بناجيـة مع الأقدار
والمرء سوف وان تطاول عمره ... يوماً يصـير لحفرة الحفار
لما علا عظمى به فكأنه ... من حسن بنيته قضيب نُضار
فجعتنى بأعز أهلى كلهـم ... تعـدو عليه عداوة الجبار
هلا بنفسى أو ببعض قرابتى ... أوقعت أو ما كنت للمختار
وتركت ربتى التى من أجلها ... عفت الجهاد وصرت للامصار

قال له رجل من بني أسد هلم اركب معى الى يوسف بن عمر حتى أكلمه فيك يستعملك على عمل تنتفع به فقال له اسمعيل دعنى حتى يحول الحول فنظر الى عمال يوسف يعذبون فقال

رأيت صبيحة النَّيْروز أمراً ... فظيعاً عن امارتهم نهـانى
فررت من العمالة بعد يحيي ... وبعـد النَّهشلى أبى أبان
وبعد الزور وابن أبي كثير ... وبعـد أشيجع وأبى بطان
فخاب بها أبا عثمان غيرى ... فمـا شأن الامارة لي بشان
أحاذر أن أقصر فى خراجى ... الى النيروز أو في المهرجان
أعجل ان أنى أجلى بوقت ... وحسبي بالمحرَّجـة المثانى
فما عذرى اذا عرضت ظهرى ... لألف من سياط الشاهجان
تعـد ليوسف عداً صحيحاً ... ويحفظها عليـه الجالدان
وأُسحب فى سراويلى بقيدى ... الى حسان معتقل اللسان
فمنهم قائل بُعداً وسُحقاً ... ومنهم آخران يـعذبان
كفانى من امارتهم عطائى ... وما أخدمت من سبق الرهان
كفانى ذاك منهم ما بقينا ... كما فيما مضى لي قد كفانى

كانت لعبد الرحمن بن عنبسة بن سعيد بن العاص وصيفة مغنية يؤدبها ليهديها الى هشام بن عبد الملك يقال لها بوبة فقال فيها اسمعيل بن عمار

بُوبَ حييت عن جليسك بوبا   مخطئاً فى تحيتى أم مصيبا
ما رأينا قتيل حى حبا القا   تلَ بالوتْر أن يكون حبيبا
غير ما قدر زُقت يابوب منى   فهنيئاً وان أتيت عجيبا
غير مَنّ به عليك وان كنـــــتُ بقدر القِيان طَبا طبيبا
بنت عشر أديبة فى قريش   بخ فأكرم بهم أباً ونسيبا
أُدبت فى بنى أمية حتى   كملت فى حجورهم تأديبا

ثم أهداها ابن عنبسة الى هشام فقال اسمعيل

ألا حييت عنا ثـــم سقياً لك يا بوبة
وأكرم بك مهداة   وأحبب بك مطلوبة
لقد عاين من يلقا   ك من حسنك أعجوبة
ويا ويلى ويا عولي   فنفسى الدهر مكروبة
على هيفاء حوراء   على جيداء رُعبوبة

ومن قوله يرثى خالد بن خالد بن الوليد بن عقبة بن أبى مُعيط وكان اليه محسناً

ما لعين تفيض غـير جمود   ليس تَرْقا ولا لها من هجود
فاذا قرّت العيون استهلت   فاذا نمن أُولعت بالسهود
ألنعى ابن خالد خالد الخيـــــرات فى يوم زينة مشهود
سنحت لى يوم الخميس غداة الفطـــــر طير بالنحس لا بالسعود
فتعيفت أنهن لأمر   مفْظِعٍ ما جرينَ فى يوم عيد
فنعت خالد بن أروى وجل الخطـــــب فقدان خالد بن الوليد

كان فى جوار اسمعيل رجل من قومه ينهاه عن السكر وهجاء الناس ويعذله ،

وكان اسمعيل له مغضباً فبنى ذلك الرجل مسجداً يلاصق داراسمعيل وحسنه وشيده، وكان يجلس فيه هو وقومه وذوو التستر والصلاح منهم عامة نهارهم فلا يقدر اسمعيل أن يشرب فى داره ولا يدخل اليه أحد ممن كان يألفه من مغن أو مغنية أو غيرهما من أهل الريبة ، فقال اسمعيل يهجوه ، وكان الرجل يتولى شيئاً من الوقوف للقاضى بالكوفة

بنى مسجداً بنيانه من خيانة لعمرى لقد ما كنت غير موفق
كصاحبة الرمان لما تصدقت جرت مثلاً للخائن المتصدق
يقول لها أهل الصلاح نصيحة لك الويل لا تزنى ولا تتصدقى

ولى العسس رجل غاضرى فأخذ بنى مالك وهم رهط اسمعيل بن عمار بأن كانوا معه فطافوا الى الغداة ، فلما أصبح غدا على الوالي مستعدياً على الغاضرى ، فقال له الوالي وكان رجلاً من همْدَان ما ذا صنع بك ؟ فأنشأ يقول

عَسَّ بنا ليلته كلَّها ما نحن فى دنيا ولا آخره
يأمر أشياخ بنى مالك أن يحرسوا دون بني غاضره
والله لا يرضى بذا كائنا من حكم همْدَان الى الساهره

فقال له الوالي قد لعمرى صدقت ، ووظف على سائر البطون أن يطوفوا مع صاحب العَسَس فى عشائرهم ، ولا يتجاوزوا قبيلة الى قبيلة ، ويكون ذلك بنوائب بينهم

كان لاسمعيل جار يقال له عثمان بن درباس ، فكان يؤذيه ويسعى به الى السلطان فى كل حال ، ثم سعى به أنه يذهب مذهب الشُّراة ، فأخذ وحبس ، فقال يهجوه

من كان يحسدنى جارى ويغبطني من الأنام بعثمان بن درباس
فقرب الله منه مثله أبداً جاراً وأبعد منه صالح الناس

جار له باب ساج مغلق أبداً ... عليه من داخل حراس أحراس
عبد وعبد وبنتاه وخادمه ... يدعون مثلهمُ من ليس من ناس
صفر الوجوه كأن السل خامرهم ... وما بهم غير جهد الجوع من باس
له بنون كأطباء معلقة ... فى بطن خنزيرة فى دار كناس
ان يفتح الباب عنهم بعد عاشرة ... تظنهم خرجوا من قعر أرماس
فليت دار ابن درباس معلقة ... بالنجم بين سلاليم وأمراس
فكان آخر عهدي منهمُ أبداً ... وابتعت داراً بغلمانى وأفراسى

وقال فيه أيضاً

ليت برذونى وبغلى ... وجوادي وحمارى
كن فى الناس وأبدلت غداً جاراً بجار
جار صدق يا ابن درباس والا بعت دارى
فتبدلت به من ... يمن أو من نزار
بدلا يعرف ما اللّه وما حق الجوار
لو تبدلت سواه ... طاب ليلي ونهارى
واسترحنا من بلاياه صغار وكبار
لو جزيناه بها كنا جميعاً فى فجار
أو سكتنا كان ذلا ... داخلا تحت الشعار

فلما قال فيه الشعر استعدى عليه السلطان وذكر أنه من الشراة وانهم مجتمعون عنده وانه من دعاة عبد الله بن يحيى وأبى حمزة المختار فسجن فكتب من السجن الى ابن أخ له يقال له معان

أبلغ معاناً عنى واخوته ... قولا وما عالم كمن جهلا
بأننى والمصبحات منىً ... يعدون طوراً وتارة رملا

لخائف أن يكون ودكمُ إياى بعد الصفاء قد أفلا
أإن عرانى دهرى بنائبة أصبح منها الفؤاد مشتعلا
حاولتمُ الصَّرْمَ أو لعلكمُ ظننتمُ ما أصابني جللا
لا تغفلونا بنى أخى فلقد أصبحت لا أبتغى بكم بدلا
تمسكوا بالذى امتسكت به فان خير الاخوان من وصلا

فكتب اليه ابن أخيه

يا عم عوفيت من عذابهم النُّكرِ وفارقت سجنهم عجلا
كتبتَ تشكو بنى أخيك وقد أرسل من كان قبلنا مثلا
ابدأهمُ بالصُّراخ يهزموا فأنت ياعم تبتغى العللا
زعمت أنا نرى بلاءك فى دار بلاء مكبلا جللا
ياعم بئس الفتيان نحن إذاً أما وفى رجلك الكبُول فلا
عليَّ ان كنتَ صادقاً حجج للبيت عامين حافياً رجلا
أبعد عنك الهموم فارج من اللّه خلاصاً وأحسن الأملا

ثم ولي الحكم بن الصَّلت فأطلقه وأحسن اليه فلم يزل يشكره و يمدحه ثم عزل الحكم بعد ذلك فقال اسمعيل فيه

تباركَ اللّه كيف أوحشت الكو فة اذ لم يكن بها الحكم
الحكم العدل فى رعيته الكا مل فيه العفاف والفهم
فأصبح القبر والسريران والمنبر كالكل من أب يتموا
يذرى عليه السرير عبرته والمنبر الشرقى يلتدم
والناس من حسن سيرة الحكم بن الصلت يبكون كلما ظلموا
مثل السكارى فى فرط وجدهمُ إلَّا عدوا عليه يتهم
يوم جرى طائر النحوس لهم ينزع منه القرطاس والقلم

فأرغم الله حاسديه كما أرغم هُودَ القرود اذ رَغموا
فى سبتهم يوم ناب خطبهمُ والله ممن عصاه ينتقم
انا الى الله راجعون أما للناس عهد يوفى ولا ذمم
حول علينا وليلتان لنا من لذة العيش بئسما حكموا
لا حُكْم إلا لله يظهره يقضى لضيزائها التى قسموا
ماذا ترجى من عيشها مضر ان كان من شأنها الذى زعموا

قال محمد بن أنس الأسدي جلست الى اسمعيل بن عمار واذا هو يفتل أصابعه متأسفاً ، فقلت علام هذا التأسف والتلهف ؟ فقال

عيناى مشؤمتان ويحهما والقلب حرَّان مبتلًى بهما
عرَّفتاه الهوى لظلمهما ياليتنى قبل ذا عدمتهما
هما الى الحَيْن دلتا وهما دَلاَّ على من أحب دمعهما
سأعذِر القلب فى هواه وما سبب كل البلاء غيرهما

سمع اسمعيل رجلا ينشد أبياتاً للفرزدق يهجو بها عمر بن هبيرة الفزارى لما ولي العراق ويعجب من ولايته اياها وكان خالد القسرى قد ولى العراق في تلك الأيام فقال اسمعيل أعجب والله مما عجب منه الفرزدق من ولاية ابن هبيرة ما است أراه يعجب منه ، ولاية خالد القسرى وهو مخنث دَعِيّ ابن دعى ثم قال

عجب الفرزدق من فزارة أن رأى عنها أمية بالمشارق تنزع
فلقد رأى عجباً وأحدث بعده أمر تطير له القلوب وتجزع
بكت المنابر من فزارة شجوها فالآن من قَسْر تضج وتفزع
فملوك خندف أضرعونا للعدى لله دَرّ ملوكنا ما تصنع
كانوا كقاذفة بنيها ضلة سفهاً وغيرَهم تَرُبّ وترضع

كان فى الكوفة صاحب قيان يقال له ابن رامين قدمها من الحجاز فكان من يسمع الغناء ويشرب النبيذ يأتونه ويقيمون عنده ، وكان نازلا فى بنى أسد فى

جيران اسمعيل بن عمار ، فكان اسمعيل يغشاه ويشرب عنده ، ثم انتقل من جواره الى بني عائذ فكان اسمعيل يزوره هناك على مشقة لبعد ما بينهما ، وكان لابن رامين جوار يقال لهن سلامة الزرقاء وسعدة وربيحة وكن من أحسن الناس غناء ، واشترى بعد ذلك محمد بن سليمان سلامة الزرقاء التي يقول فيها محمد بن الاشعث

أمسى لسلاَّمة الزرقاء فى كبدى ... صدع مقيم طوال الدهر والأبد
لا يستطيع صَناع القوم يَشْعَبه ... وكيف يُشْعَب صدع الحب فى كبدى

وفى جواريه يقول اسمعيل

هل من شفاء لقلب لج محزون ... صب بغيب الى ريم ابنْ رامين
الى ربيحة ان الله فضلها ... بحسنها وسماع ذى أفانين
وهاج قلبى منها مضحك حسن ... ولثغة بعد فى راء وفى سين
نفسى تأبى لكم إلا طواعية ... وأنت تأبَيْنَ لؤماً أن تطيعيني
وتلك قسمة ضيزَى قد سمعت بها ... وأنت تتلينها ما ذاك فى الدين
أنت الطبيب لداء قد تلبس بى ... من الجوى فانفثِى في فىّ وارقيني
نعم شفاؤك منها أن تقول لها ... أضنيتنى يوم دير الملح فاشفيني
يارب ان ابن رامين له بقر ... عين وليس لنا الا براذيني
لو شئت أعطيته مالاً على قدَر ... يرضى به منك عَيْنَ الرّبربِ العِين
لا أنس سعدة والزرقاء يوم هما ... بالبلج شرقيه فوق الدكاكين
يغنيان ابن رامين على طرب ... للمسمعات بتشتيت المحبين
اذاك أنعم أم يوم ظَلِلت به ... فراشى الورد فى بستان شورين
يشوى لنا الشيخ شورين دواجنه ... بالجردناج وشحاج الشعانين
نسقى طلاء لعمران يعبقه ... يمشى الأصحاء منه كالمجانين
تزل أقدامنا من بعد صحتها ... كأنها ثقلا تقلعن من طين

نمشى وأرجلنـــا مطوية شللا مشى الإوز التى تأتى من الصين
أو مشى عميان غمٍّ لا دليل لهم سوى العصىّ الى يوم السعانين (١)
فى فتية من بنى تيم لهوت بهم تيم بن مرّة لا تيم العديين
حمر الوجوه كأنا من تحشمنا حسناء شمطاء وافت من فلسطين
يا عائذ الله لولا أنت من شجنى لولا ابن رامين لولا ما يمنينى
فى عائذ الله بيت ما مررت به الا وُجئت على قلبي بسكين
يا أسد القبة الخضراء أنت لنا أنس لانك فى دار ابن رامين
ما كنت أحسب أن الأسد تؤنسنى حتى رأيت اليك القلب يدعونى
لولاك تؤنسني بالقرب ما بقيت نفسى اليك ولو مثلت من طين

وحج ابن رامين وحج بجواريه معه وكان محمد بن سليمان اذ ذاك على الحجاز فاشترى منه سلامة الزرقاء بمائة ألف درهم فقال اسمعيل

أية حال يا ابن رامـين حال المحبـين المساكين
تركتهـم موتى وما موّتوا قد جرعوا منـك الأمرّين
وسرت فى ركب على طيِّة ركـب تهامٍ ويمانين
حججت بيت الله تبغى به الـــبر ولم ترث لمحزون
ياراعى الذود لقـد رعتهم ويلك من روع المحبـين
فرقت قوماً لا يرى مثلهم ما بين كوفات الى الصين

الزبير بن الأشيم الأسدى

هو والد عبد الله بن الزبير، كان شاعراً وهو الذى يقول

الا يا لقومى للرقاد المؤرق وللربع بعد الغبطة المتفرق
وهم الفتى بالأمر من دون نيله مراتب صعْبات على كل مرتق

(١) السعانين عيد للنصارى قبل الفصح باسبوع

ويوم بصحراء البديدين قبله — بمنزلة النعمان وابن محرّق
وذلك عيش قد مضى كان بعده — أمور أشابت كل شأن ومفرق
وغيّرما استنكرت يا أم واصل — حوادث إلا تكسر العظم تعرق
فراق حبيب أو تغير حالة — من الدهر أو رام لشخص مفوّق
على أنني جلد صبور مرزأ — وهل ترك الأيام شيئاً لمشفق

عبد الله بن الزبير

هو عبد الله بن الزّبير بن الأشيم الأسدي من منقذ بن طريف ثم من بني أسد شاعر كوفي المنشأ والمنزل من شعراء الدولة الأموية وكان من شيعة بني أمية وذوي الهوى فيهم والتعصب والنصرة على عدوهم ، فلما غلب مُصعَب بن الزبير على الكوفة اتى به أسيراً فمَنَّ عليه ووصله وأحسن اليه ، فمدحه وأكثر وانقطع اليه ، فلم يزل معه حتى قتل مصعب ، ثم عمى عبد الله بعد ذلك ومات في خلافة عبد الملك بن مروان ، وهو أحد الهجائين المرهوب شرهم

قال ابن الأعرابي كان عبد الرحمن بن أم الحكم على الكوفة من قبل خاله معاوية وكان ناس من بني علقمة بن قيس بن وهب بن الأعشى قتلوا رجلاً من بني الأشيم ابن الأعشى من رهط ابن الزّبير دِنْيَة ، فخرج عبد الرحمن بن أم الحكم وافداً الى معاوية ومعه ابن الزبير ورفيقان له من بني أسد ، فقال عبد الرحمن لابن الزبير خذ من بني عمك ديتين لقتيلك ، فأبى ، وكان عبد الرحمن يميل الى أهل القاتل ، فغضب على ابن الزبير ورده عن الوفد من منزل يقال له فياض فخالف ابن الزبير الطريق الى يزيد بن معاوية ، فعاذ به فأعاذه وقام بأمره ، وأمر يزيد أن يهجو عبد الرحمن وكان يزيد يُبغضه وينتقصه ويعيبه ، فقال فيه ابن الزبير

أبي الليل بالمرّان أن يتصرما — كأني أسوم العين نوماً محرما

وُرد بثنييه كأن نجومه ... صُوار (١) تناهى من أُراق فقوما
الى الله أشكو لا إلى الناس أنني ... أُمصُّ بنات الدهر ثدياً مُصرَّما (٢)
وسوق نساء يسلبون ثيابها ... تهب دونها همدان رقاً وخثعما
على أى شيء يا لؤى بن غالب ... تجيبون من أجرى علىَّ وألجما
وهاتوا فقصوا آية تقرؤنها ... أحلت بلادي أن تُباح وتظلما
والا فأقصى الله بيني وبينكم ... وولى كبير اللؤم من كان ألأما
بنو هاشم لو صادفوك نحرها ... مججت ولم يملك حيازيمك الدما
ستعلم ان زلت بك النعل زلة ... وكل امرىء لاقى الذى كان قدما
بأنك قد ماطلت أنياب حية ... تزجى بعينيها شجاعاً وأرقما
وكم من عدو قد أراد مساءتى ... بغيب ولو لاقيته لتندما
وأنتم بنى حام بن نوح أرى لكم ... شفاهاً كأذناب المشاجر ورّما
فان قلت خالي من قريش فلم أجد ... من الناس شراً من أبيك وألأما
صغيراً ضغا فى خرقة فأمضه ... مربيه حتى اذ أهمّ وأفطما
رأى جلدة من آل حام متينة ... ورأساً كأمثال الجريب مؤوما
وكنتم سقيطاً فى ثقيف مكانكم ... بنى العبد لا توفى دماؤكم دما

أول من أخذ بعينة فى الاسلام عمرو بن عثمان بن عفان أتاه عبد الله بن الزبير فرأى عمرو تحت ثيابه ثوباً رثا ، فدعا وكيله وقل اقترض لنا مالاً ، فقال هيهات ما يعطينا التجار شيئاً ، قال فأربحهم ما شاؤا ، فاقترض له أولاً ثمانية آلاف درهم وثانياً عشرة آلاف ، فوجه بها اليه مع تخت ثياب ، فقال عبد الله فى ذلك

سأشكر عمراً ما تراخت منيتي ... أيادى لم تُمنن وان هى جلت
فتى غير محجوب الغنى عن صديقه ... ولا مظهر الشكوى اذا النعل زلت

(١) الصوار القطيع من البقر وأراق موضع (٢) الثدى المصرم الذى يكوى لينقطع اللبن

رأى خلّتى من حيث يخفى مكانها فكانت قذى عينيه حتى تجلت

حبس ابن أم الحكم عبد الله بن الزبير وهو أمير فى جناية وضمها عليه وضربه ضرباً مبرحاً لهجائه إياه ، فاستغاث بأسماء بن خارجة ، فلم يزل يلطف فى أمره ويرضى خصومه ويشفع الى ابن أم الحكم فى أمره حتى يخلصه ، فأطلق بشفاعته وكساه أسماء ووصله وجعل له ولعياله جراية دائمة من ماله ، فقال فيه

ألم تر أن الجود أرسل فانتقى حليف صفاء وأتلى لا يزايله
تخير أسماء بن حصن فبطنت بفعل العلا أيمانه وشمائله
ولا مجد إلا مجد أسماء فوقه ولا جرى إلا جرى أسماء فاضله
ومحتملٍ ضغناً لأسماء لو جرى بسلحين من أسماء فارت أباجله
عوى يستجيش النابحات وانما بأنيابه صُمّ الصفا وجنادله
وأقصر عن مجراة أسماء سعيُه حسيراً كما يلقى من الترب ناخله
وفضّلَ أسماء بن حصن عليهم سماحة أسماء بن حصن ونائله
فمن مثل أسماء بن حصن اذا عدت شآبيبه أم أى شىء يعادله
وكنت اذا لاقيت منهم حطيطة لقيت أبا حسان تندَى أصائله
تَضيفُه غسّان يرجون سَيْبَه وذو يمن أحبوشه ومقاوله
فتى لايزال الدهر ما عاش مُخصباً ولو كان بالموتان يجدى رواحله
فأصبح ما فى الارض خلق علمته من الناس الا باع أسماء طائله
تراه اذا ما جئته متهللا كأنك تعطيه الذى أنت سائله
ترى الجند والأعراب يغشون بابه كما وردت ماء الكُلاب نواهله
اذا ما أتوا بابه قال مرحباً لجوا الباب حتى يقتل الجوع قاتله

ترى البازل البُختى فوق خوانه مقطعة أعضاؤه ومفاصله
اذا ما أتوا أسماء كان هو الذى تحلب كفاه الندى وأنامله

تراهم كثيراً حين يغشَوْن بابه ... فتسترهم جدرانه ومنـــازله

فأعطاه أسماء ألفي درهم

دخل ابن الزبير على عبيد الله بن زياد وعنده أسماء بن خارجة

حنت قلوصى وَهْناً بعد هدْأتها ... فهيجت مغرماً صباً على الطرب

حنت الى خير من حث المطى له ... كالبدر بين أبى سفيان والقنب

تذكرت بقُرَى البلقاء نائله ... لقد تذكرته من نازح غُرُب

والله ما كان بى لولا زيارته ... وأن ألاقى أبا حسان من أرب

حنت لترْجعنى خلفى فقلت لها ... هذا أمامك فالقيْهِ فتى العرب

لا يحسب الشر جاراً لا يفارقه ... ولا يعاقب عند الحلم بالغضب

من خير بيت علمناه وأكرمه ... كانت دماؤهم تشفى من الكلب (١)

أمر المختار بهدم دار أسماء فما تقدم عليها مضرى لموضع أسماء. وجلالة قدره فى قيس فتولت ربيعة واليمن هدمها وكانت بنو تيم الله وعبد القيس مع رجل من بنى عجل على شرطة المختار فقال ابن الزبير

تأوب عينَ ابن الزَّبِيرِ سُهودُها ... وولى على ماقد عراها هجودُها

كأن سواد العين أُبطن نخلة ... وعاودها ممـا تذكر عودها

مُخضَّرَة من نحْلِ جَيْحان صعبة ... أوى بجناحيها وليد يصيدها

من الليل وَهْناً أو شَظِيَّة سنبل ... أذاعت به الأرواح يذْرَى حصيدها

اذا طرقت أذرت دموعاً كأنهـا ... نفير جُمان بان عنها فريدها

وبتُّ كأن الصدر فيـه ذُبالة ... سنا حرها القنديل ذاكٍ وقودها

فقلت أناجى النفس بينى وبينها ... كذاك الليـالي نحسها وسعودها

---

(١) كانت العرب تقول من أصابه الكلب والجنون لايبرأ منه الا أن يسقى من دم ملك فيقول انه من أولاد الملوك

فلا تجزعى مما ألم فانى ... أرى سنة لم يبق الا شريدها
أتانى وعرض الشام بينى وبينها ... أحاديث والأنباء ينمى بعيدها
بأن أبا حسان تهدِمُ داره ... لُكيز سعت فساقها وعبيدها
جزت مضراً عنى الجوازى بفعلها ... ولا أصبحت الا بشر جدودها
فما خيركم لا سيداً تنصرونه ... ولا خائفاً ان جاء يوماً طريدها
أخذلانه فى كل يوم كريهة ... ومسئلة ما إن ينادى وليدها
لأمكمُ الويلات أنى أتيتمُ ... جماعة أقوام كثير عديدها
فياليتكم من بعد خذلانكم له ... جوارٍ على الأعناق منها عقودها
ألم تغضبوا تباً لكم اذ سطت بكم ... مجوس القُرَى فى دارها ويهودها
تركتم أبا حسان تهدم داره ... مشيدة أبوابها وحديدها
يُهَدمها العِجلى فيكم بشُرطة ... كما نبّ(١) فى شبل التيوس عتودها
لعمرى لقد لف اليهودى ثوبه ... على غدرة شنعاء بان نشيدها
فلو كان من قحطان أسماء شمرت ... كتائب من قَحطان صعْر خدودها
ففى رجب أو غرة الشهر بعده ... تزوركمُ حمر المنايا وسودها
ثمانون ألفاً دين عثمان دينهم ... كتائب فيها جبرئيل يقودها
فمن عاش منكم عاش عبداً ومن يمت ... ففى النار سقياه هناك صديدها

لما قدم ابن الزبير من الشام الى الكوفة دخل على عبيد الله بن زياد بكتاب من يزيد بن معاويه يأمره بصيانته واكرامه وقضاء دينه وحوائجه وادرار عطائه فأوصله اليه ثم استأذنه فى الانشاد فأذن له فأنشده

أصرمٌ بليلى حادث أم تجنُّب ... أم الحبل منها واهن متقضب
أم الود من ليلى كعهدى مكانه ... ولكن ليلى تستزيد وتَعتب
ألم تعلمى ياليل أنىَ لين ... هضوم وأنى عنبس(٢) حين أغضب

(١) نب التيس خاصة صاح عند الهياج والعتود الجدى الذى استكرش (٢) العنبس الاسد

وأني متى أنفق من المال طارفا فاني أرجو أن يثوب المثوب
أإن تلف المـال التلاد بحقه تشمّسُ ليلى عن كلامي وتغضب
عشية قالت والركاب مُناخـة بأكوارها مشدودة أين تذهب
أفي كل مصر نازح لك حاجة كذلك ما أمر الفتى المتشعب
فوالله مازالت تَلَبَّثُ ناقتى وتُقسم حتى كادت الشمس تغرب
دعيني ما للموت عني دافع ولا للذي وَلّى من العيش مطلب
اليك عبيد الله تهوى ركابنا تعسّفُ مجهول الفلاة وتدأب
وقد ضمرت حتى كأن عيونها نطاف قلات ماؤها متصبب
فقلت لها لا تشتكى الأين انه امامك قرم من أمية مُصْعَب
اذا ذكروا افضل امرئ كان قبله ففضل عبيد الله أثرى وأطيب
وانك لو تشفى بك القرح لم يعد وأنت على الأعداء ناب ومخلب
تصافى عبيد الله والمجد صفوة الـ خليلين ما أرسى ثبير ويثرب
وأنت الى الخيرات أول سابق فأبشر فقد أدركت ما كنت تطلب
أغثني بسجل من سجالك نافع ففى كل يوم قد سرى لك محلب
فانك لو اياى تطلب حاجة جرى لك أهل فى المقال ومرحب

فقال عبيد الله وقد ضحك من هذا البيت الأخير فانى لا أطلب اليك حاجة كم السجل الذى يُرْويك ؟ قال نوالك أيها الأمير يكفيني فأمر له بعشرة آلاف درهم

كان نعيم بن دُجانة صديقاً لابن الزّبير ثم تغير عليه وبلغه عنه قول قبيح فقال فى ذلك

ألا طرقت رُوَيمة بعد هدء تخطى هول أنمار واسـد
تجوس رحالنا حتى أتتنا طُروقا بين أعراب وجند
فقالت ما فعلت أبا كثير أصح الود أم أخلفت عهدى

كأن المسك ضُمّ على الخزامى الى أحشائها وقضيب رَنْد

ألا مَنْ مبلغٌ عنى نُعيما فسوف يجرب الاخوان بعدى

رأيتك كالشموس تُرى قريبا وتمنع مسح ناصية وخد

فانى ان أقع بك لا أُهلّل كوقع السيف ذى الأثر الفرِنْد

فأولى ثم أولى ثم أولى فهل للدّر يُحلب من مَرَدّ

كان عمرو بن الزُّبير صديقاً لابن الزُّبير ، فلما فعل عبد الله بن الزُّبير بأخيه عمرو ما فعل من العذاب حتى مات ، قال ابن الزبير يرثيه

أيا راكباً إما عرضت فبلغاً كبير بنى العوّام ان قيل من تعْنى

ستعلم ان جالت بك الحرب جوْله اذا فوّق الرامون أسهمهم من تُغْنى

فأصبحت الأرحام حين وليتها بكفيك أكراشاً تجرّ على دِمْن

عقدتم لعمرو عقدة وغدرتمُ بأبيض كالمصباح فى ليلة الدَّجْن

وكبلته حولا يجود بنفسه تنوء به فى ساقه حلَق اللبن

فما قال عمرو اذ يجود بنفسه لضاربه حتى قضى نحبه دعني

تحدث من لاقيت أنك عائذ وصرّعت قتلى بين زمزم والركن

جعلتم لضرب الظهر منه عِصيَّكم تراوحه والأَصْبَحية للبطن

تعذر منه الآن لما قتلته تفاوت أرجاء القليب من الشطن

جزى الله عنى خالداً شر ما جزى وعروة شراً من خليل ومن خدن

قتلتم أخاكم بالسياط سفاهة فيالك للرأى المضلل والأَفْن

فلو أنكم أجهزتمُ اذ قتلتمُ ولكن قتلتم بالسياط وبالسجن

وانى لأرجو ان أرى فيك ما ترى به من عقاب الله ما دونه يغنى

قطعت من الأرحام ما كان واشجا على الشيب وابتعت المخافة بالأمن

وأصبحت تسعى قاسطا بكتيبة تهدم ما حول الحطيم ولا تبنى

فلا تجزعن من سنة قد سننتها ... فما للدماء الدهرَ تُهرق من حقن

ومن قوله يرثى يعقوب بن طلحة وقد قتل يوم الحَرّة وجاء بنعيه رجل يقال له الكروس

لعمرى ما هذا بعيش فيبتغى ... هنى ولا موت يريح سريع

لعمرى لقد جاءك الكرَوَّس كاظما ... على أمر سوء حين شاع فظيع

نعى أسرة يعقوب منهم فأقفرت ... منازلهم من دُومة فبقيع

وكلهم غيث اذا قَحِطَ الورى ... ويعقوب منهم للأنام ربيع

عرض قوم من أهل المدراء لابن الزبير فى طريقه من الشام الى الكوفة وقد نزل بقرقيسيا فاستعدَوْا عليه زُفَر بن الحرث الكلابى وقالوا انه أموى الهوى وكانت قيس يومئذ زبيرية وقرقيسيا وما والاها فى يد ابن الزبير فحبسه زفر أياماً وقيده وكان معه رفيق من بنى أمية يقال له أبو الحدراء فرحل وتركه فى حبسه ثم تكلمت فيه جماعة من مضر فأطلق فقال فى ذلك

أغادٍ أبو الحَدْراء أم متروح ... كذاك النوى مما تجِدّ وتَمزح

لعمرى لقد كانت بلاد عريضة ... لى الروح فيها عنك والمتسرح

ولكنه يدنو البغيض ويبْعُد اا ... حبيب وينأى فى المزار وينزح

ألا ليت شعرى هل أتى أم واصل ... كُبول أعضُوها بساقىّ تجرح

اذا ما صرفت الكعب صاحت كأنها ... صريف خطاطيف بدلوين تُمتح

تبغى اباها فى الرماق وتنثنى ... وألوى به فى لجة البحر تمسح

أمرتحل وفد العراق وغودرت ... تحن بأبواب المدينة صيدح

فانك لا تدرين فيما أصابنى ... أُريْثُكَ أم تعجيل سيرك أنجح

أظن أبو الحدراء سجنى تجارة ... ترجَّى وما كل التجارة تربح

لما قدم الحجاج الكوفة والياً عليها صعد المنبر فخطبهم فقال « يا أهل الشقاق

والنفاق ، ومساوى الأخلاق ، ان الشيطان قد باض وفرخ فى صدوركم ، ودب ودرج فى حجوركم فأنتم له دين ، وهو لكم قرين ، ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قرينا » ثم حثهم على اللحاق بالمهلب بن أبى صفرة ، وأقسم ألا يجد منهم أحداً اسمه فى جريدة المهلب بعد ثالثة بالكوفة إلا قتله ، فجاء عمير بن ضابىء البرجمى فقال أيها الأمير انى شيخ لا فضل فى ولي ابن شاب جَلْد فاقبله بدلا منى ، فقال له عنبسة بن سعيد بن العاص هذا جاء الى عثمان وهو مقتول فرفسه وكسر ضلعين من أضلاعه وهو يقول « أين تركت ضابئاً يانعثل » فقال الحجاج هلا يومئذ بعثت بديلا ياحرسى اضرب عنقه ، وسمع الحجاج ضوضاء فقال ما هذا ؟ فقالوا هذه البراجم جاءت لتنصر عميراً فيما ذكرت ، فقال أتحفوهم برأسه ، فرموهم برأسه فولوا هاربين ، فازدحم الناس على الجسر للعبور الى المهلب حتى غرق بعضهم فقال عبد الله بن الزبير

أقول لابراهيم لما لقيته ... أرى الأمر أمسى واهياً متشعبا
تخير فاما أن تزور ابن ضابىء ... عميراً واما أن تزور المهلبا
هما خطتا خسف نجاؤك منهما ... ركوبك حَوْلياً من الثلج أشهبا
فأضحى ولو كانت خُراسان دونه ... رآها مكان السوق أو هى أقربا

دخل عبد الله على مصعب بن الزبير بالكوفة لما وليها وقد مدحه فاستأذنه فى الانشاد فلم يأذن له وقال ألم تسقط السماء علينا وتمنعنا قطرها فى مديحك لأسماء بن خارجة ؟ ثم قال لبعض من حضر أنشدها فأنشده

اذا مات ابن خارجة بن حصن ... فلا مَطَرت على الأرض السماء
ولا رجع الوفود بغُنْم جيش ... ولا حملت على الطُّهْر النساء
لَيوم منك خير من أناس ... كثير حولهم نعم وشاء
فبورك فى بنيك وفى أبيهم ... اذا ذكروا ونحن لك الفداء

فالتفت اليه مصعب وقال له اذهب الى أسماء فمالك عندنا شيء ، فانصرف وبلغ ذلك أسماء فعوضه حتى أرضاه ثم عوضه مصعب بعد ذلك وخص به وسمع مديحه وأحسن عليه ثوابه

لما ولي بشر بن مروان الكوفة أدنى عبد الله وبره وخصه بأنسه لعلمه بهواه فى بني أمية فقال يمدحه

ألم ترني والحمد لله أنني ... برئت وداواني بمعروفه بشر
رعي مارعى مرْوان مني قبله ... فصحّت له مني النصيحة والشكر
ففي كل عام عاشه الدهر صالحاً ... عليَّ لرب العالمين له نذر
اذا ما أبو مرْوان خلى مكانه ... فلاتهنأ الدنيا ولا يرسل القطر
ولا يهنيء الناس الولاية بينهم ... ولم يبق فوق الأرض من أهلها شعر
فليس البحور بالذي تخبرونني ... ولكن أبو مرْوان بشر هو البحر

دخل ابن الزبير على بشر بن مروان وعليه ثياب كان بشر خلعها عليه وكان قد بلغ بشراً عنه شيء يكرهه فجفاه ، فلما وصل اليه وقف بين يديه وجعل يتأمل من حواليه من بني أمية ويجيل بصره فيهم كالمتعجب من جمالهم وهيئتهم فقال له بشر ان نظرك يا ابن الزبير ليدل أن وراءه قولا ، فقال نعم ، قال قل ، فقال

كأن بني أمية حول بشر ... نجوم وسطها قمر منير
هو الفرع المقدم من قريش ... اذا أخذت مآخذها الأمور
لقد عمت نوافله فأضحى ... غنياً من نوافله الفقير
جبرت مهيضنا وعدلت فينا ... فعاش البائس الكَلُّ الفقير
فأنت الغيث قد علمت قريش ... لنا والوا كف الجَوْن المطير

فأمر له بخمسة آلاف درهم ورضى عنه فقال ابن الزبير

لبشر بن مرْوان على الناس نعمة ... تروح وتغدو لا يطاق ثوابها

به أمَّنَ اللهُ النفوسَ من الردى وكانت بحال لا تقر ذبابها
دمغت ذوي الأضغان يابشر عَنْوَةً بسيفك حتى ذَلَّ منها صعابها
وكنت لها كهفاً وحصناً ومَعْقِلاً اذا ما الفِتنة الصماء طارت عُقابها
وكم لك يا بشر بن مروان من يد مهذبة بيضاء راس ظِرابها
وطدت لنا دين النبي محمد بحلمك اذ هَرَّت سفاهاً كلابها
وسدت ابن مروان قريشاً وغيرها اذا السنة الشهباء قل سحابها
رأبت ثآنا واصطنعت أياديا الينا ونار الحرب ذاكٍ شهابها

دخل ابن الزبير على بشر بن مروان متعرضاً له ويسمعه شيئاً من شعره ، فقال بشر أراك متعرضاً لأن أسمع منك وهل أبقى أسماء بن خارجة منك أو من شعرك أو من ودك شيئاً لقد نزحت فيه دلوك يا ابن الزبير ، فقال أصلح الله الأمير ان أسماء بن خارجة كان للمدح أهلاً وكانت له عندى أياد كثيرة وكنت لمعروفه شاكراً وأيادي الأمير عندى أجلّ وأملي فيه أعظم وان كان قولى لا يحيط بها فى فضل الأمير على أوليائه ما قبل به ميسورهم وإن أذن لي فى الإنشاد رجوت أن أوفق للصواب ، فقال هات ، فقال

تداركني بشر بن مروان بعد ما تعاوت الى شِلْوى الذئاب البواسل
غياث الضعاف المرملين وعصمة الـ ـيتامى ومن تأوي اليه العباهل
قريع قريش والهمام الذى له أقرت بنو قحطان طراً ووائل
وقيس بن عيلان وخِنْدِف كلها أقرت وجن الأرض طراً وحابل
يداك ابن مروان يد تقتل العدى وفى يدك الأخرى غياث ونائل
اذا أمطرتنا منك يوماً سحابة رَوِينا بما جادت عليه الأنامل
فلا زلت يا بشر بن مروان سيداً يُهِلّ علينا منك طَلّ ووابل
فأنت المصفى يا ابن مروان والذى توافت اليه بالعطاء القبائل

يُرَجُّون فضل الله عند دعائكم ... اذا جمعتكم والحجيجَ المنازل
ولولا بنو مَرْوَان طاشت حلومنا ... وكنا فَرَاشاً أحرقتها الشمائل

فأمر له بجائزة سنية وكساه خلعة وقال له انى أريد أن أوفدك على أمير المؤمنين فتهيأ لذلك ، قال أنا فاعل أيها الأمير ، قال فماذا تقول اذا وفدت عليه وألفيته إن شاء الله ؟ فارتجل من وقته هذه القصيدة ، ثم قال

أقول أمير المؤمنين عصمتنا ... ببشر من الدهر الكثير الزلازل
وأطفأت عنا نار كل منافق ... بأبيض بُهْلول طويل الحمائل
نمته قروم من أمية للعلا ... اذا افتخر الأقوام وسط المحافل
هو القائد الميمون والعصمة التي ... أتى حقها فينا على كل باطل
أقام لنا الدين القويم بحلمه ... ورأى له فضل على كل قائل
أخوك أمير المؤمنين ومن به ... نُجادُ ونُسقى صوب أسحم هاطل
اذا ما سألنا رفده هطلت لنا ... سحابة كفيه بجود ووابل
حليم على الجهال منا ورحمة ... على كل حاف من معدّ وناعل

فقال بشر لجلسائه كيف تسمعون ؟ هذا والله الشعر وهذه القدرة عليه ، فقال حجار بن أبجر العجلي وكان من أشراف أهل الكوفة وكان عظيم المنزلة عند بشر هذا أصلح الله الأمير أشعر الناس وأحضرهم قولاً اذا أراد ، فقال محمد بن عُمير ابن عُطارد وكان عدواً لحجار ، أيها الأمير انه لشاعر وأشعر منه الذى يقول

لبشر بن مروان على كل حالة ... من الدهر فضل فى الرخاء وفى الجهد
قريع قريش والذى باع ماله ... ليكسب حمداً حين لا أحد يُجدى
ينافس بشر فى السماحة والندى ... ليحرز غايات المكارم بالحمد
فكم جبرت كفاك يا بشر من فتى ... ضريك وكم عيّلت قوماً على حمد
وصيرت ذا فقر غنياً ومثرياً ... فقيراً وكلا قد حذوت بلا وعد

فقال بشر من يقول هذا ؟ قال الفرزدق ، وكان بشر مغضباً عليه ، فقال ابعث اليه فأحضره ، فقال له هو غائب بالبصرة وانما قال هذه الأبيات وبعث بها لأُنشدكها ولترضى عنه ، فقال بشر هيهات لست راضياً عنه حتى يأتيني ، فكتب محمد بن عمير الى الفرزدق ، فتهيأ للقدوم على بشر ، ثم بلغه أن البصرة قد جمعت له مع الكوفة ، فأقام وانتظر قدومه ، فقام عبد الله بن الزَّبير يهجو محمد بن عمير في مجلسه ، وذلك بحضرة بشر ، فقال

بنى دارم هل تعرفون محمدا بدعوته فيكم اذا الأمر حققا
وساميتمُ قوماً كراماً بجدكم وجاء سُكَيْتاً آخر القوم مُخفقا
فأصلك دُهمان بن نصر فرِدْهمُ ولا تك وغداً فى تميم معلقا
فان تميماً لست منهم ولا لهم أخاً يا ابن دُهمان فلا تك أحمقا
ولولا أبو مَروان لاقيت وابلا من السوط ينسيك الرحيق المعتقا
أحين علاك الشيب أصبحت عاهراً وقلت اسقني الصهباء صِرفاً مُرَوَّقا
تركت شراب المسلمين ودينهم وصاحبت وغداً من فزارة أزرقا
تبيتان من شرب المدامة كالذى أُتيح له حبل فأضحى مخنقا

فقال بشر أقسمت عليك إلا كففت ، فقال أفعل أصلحك الله ، والله لولا مكانك لأنفذت حِضْنيه بالحق ، وكف ابن الزَّبير وأحسن بشر جائزته وكسوته ، وشمت حجار بن أبجر بمحمد بن عمير وكان عدوه ، وأقبلت بنو أسد على ابن الزَّبير فقالوا عليك غضب الله أشمت حجاراً بمحمد والله لا نرضى عنك حتى تهجوه هجاء يرضى به محمد بن عمير عنك ، أوَلست تعلم أن الفرزدق أشعر العرب ؟ قال بلى ولكن محمداً ظلمنى وتعرض لي ولم أكن لأحلم عنه اذ فعل ، فلم تزل به بنو أسد حتى هجا حجاراً ، فقال

سليلَ النصارى سدت عِجلاً ومن يكن كذلك أهل أن يسود بنى عِجل

ولكنهم كانوا لئـــاماً فسدتهم ومثلك من ساد اللئام بلا عقل
وكيف بعجل ان دنا الفصح واغتدت عليك بنو عجل ومرجلكم يغلى
وعندك قسيس النصارى وصلبها وغانية صهباء مثل جنى النحل

فلما بلغ حجاراً قوله شكاه الى بشر، فقال له بشر هجوت حجاراً ؟ فقال لا والله أعز الله الأمير ما هجوته ولكنه كذب عليَّ ، وأتاه ناس من بني عجل وتهددوه بالقتل فقال فيهم

تهددنى عجل وما خلت أننى خلاة لعجل والصليب لها بعل
وما خلتنى والدهر فيه عجائب أعمَّر حتى قد تهددُنى عجل
وتوعدنى بالقتـل منهم عصابة وليس لهم فى العز فرع ولا أصل
وعجل أسود فى الرخاء ثعالب اذا التقت الأبطال واختلف النبل
فان تلقنا عجل هناك فما لنا ولا لهمُ والموت منجى ولا وَعْل

لما منع عبد الرحمن بن أم الحكم عبدالله بن الزبير من الخروج الى الشام وأراد حبسه لجأ الى سويد بن مَنجوف واستجار به ، فأخرجه مع بني شيبان فى بلادهم ، فقال يمدحه

أليس ورائى ان بلاد تجهمت سويد بن منجوف وبكر بن وائل
حصون براها الله لم يُرَ مثلهـا طِوال أعاليهـا شداد الأسافل
همُ أصبحوا كنزى الذى لست تاركا ونَبْلى التى أعددتهـا للمناضل

أتى ابن الزبير ابراهيم بن الأشتر النخعَى ، فقال له انى قد مدحتك بأبيات فاسمعهن فقال انى لست أعطى الشعراء ، فقال اسمعها منى وترى رأيك ، قال هات ، فأنشده قوله

الله أعطاك المهـابة والتقى وأحل بيتك فى العديد الأكثر
وأقر عينك يوم وقعـة خازر والخيل تعثر بالقنـا المتكسر

انى مدحتك اذ نبابى منزلى وذممت اخوان الغنى من معشر
وعرفت أنك لا تخيب مدْ حتى ومتى أكن بسبيل خير أشكر
فهلم نحوى من يمينك منحة ان الزمان ألحَّ يا ابن الأشتر

فأمر له بعشرين الف درهم

لما قتل عبدالله بن الزُّبير صلب الحجاج جسمه و بعث برأسه الى عبدالملك فجلس على سريره وأذن للناس فدخلوا عليه ، فقام عبد الله بن الزَّبير الأسدى فاستأذنه فى الكلام ، فقال له تكلم ولا تقل الا خيراً وتوخ الحق فيما تقوله فأنشأ يقول

مشى ابن الزبير القهقرى فتقدمت أمية حتى أحرزوا القصبات
وجئت المجلَّى يا ابن مَرْوان سابقا أمام قريش تنفض العذرات
فلا زلت سباقاً الى كل غاية الى المجد نجاء من الغمرات

فقال له أحسنت ، فسل حاجتك ، فقال له أنت أعلى عينابها وأرحب صدراً يا أمير المؤمنين ، فأمر له بعشرين الف درهم و كسوة ثم قال له كيف قلت ؟ فذهب يعيد هذه الأبيات ، فقال لا ولكن أبياتك فى المحلّ وفىّ وفى الحجاج التى قلتها ، فأنشده

كأنى بعبد الله يركب رَدْعه وفيه سنان زاعبيّ مجرب
وقد فرَّ عنه الملحدون وحلَّقت به و بين أسناه شمّاء مغْرب
تولَّوا فخلوه فشال بشلوه طويل من الأجذاع عارٍ مشذَّب
بكفى غلام من ثقيف نمت به قريش وذو المجد التليد معتب

فقال له عبد الملك لا تقل غلام ولكن همام وكتب له الى الحجاج بعشرة آلاف درهم أخرى

قتل ابن الزُّبير من شيعة بني أمية قوماً بلغه أنهم يتجسسون لعبد الملك فقال فيه يهجوه و يعيره بفعله

أيها العائذ فى مكة كم · من دم أهرقته فى غير دم
أيذ عائذة مقصمة · ويد تقتل من حل الحرام

توفى عبد الله بن الزبير بالري

الزبير بن عبد الله بن الزبير الأسدى

هو القائل يمدح محمد بن عُيينة بن أسماء بن خارجة الفزارى

قالت عبيدة موهنا · أين اعتراك الهم أينه
هل تبلغن بك المنى · ما كنت تأمل فى عُيينة
بدر له الشيم الكرا · م كاملات فاعتلينه
والجوع يقتله الندى · منه اذا قحط ترينه
فهناك يحمده الورى · أخلاق غيركم اشتكينه

وهو القائل فى بعض بنى عمه

ومولى كداء البطن أو فوق دائه · يزيد موالى الصدق خيراً وينقص
تلومت أرجو أن يثوب بغير عوى · به الحلم حتى استيأس المتربص

المرار الفقعسى

هو المرار بن سعيد بن حبيب الفقعسى من فقعس بن طريف ثم من بنى أسد بن خزيمة ، كان قصيراً مفرط القصر ضئيل الجسم وفى ذلك يقول

عدوني الثعلب عند العدد · حتى استثاروا بى إحدى الأحد
ليثاً هزبراً ذا سلاح معتد · يرمى بطرف كالحريق الموقد

وكان يهاجى المساور بن هند بن قيس بن زهير العبسى وفيه يقول المرار

شقيت بنو سعد بشعر مساور · ان الشقى بكل حبل يخنق

والمساور القائل فيه

ماسرنى أن أمى من بنى أسد ... وأن ربى ينجينى من النار
أوأنهم زوجونى من بناتهمُ ... وأن لي كل يوم ألف دينار

والمرار من مخضرمى الدولتين وقيل انه لم يدرك الدولة العباسية

أتى المرار قوماً من بنى عَبْس فوقف على بيوتهم فجعل يحدث نساءهم وينشدهم الشعر فنظروا اليه وهم مجتمعون على الماء فظنوا أنه يعظهن ، ثم انصرف من عند النساء حتى وقف على الرجال فقال له بعضهم أنت يامرار تقف على أبياتنا وتنشد النساء الشعر ، فقال انما كنت أسألهن ، فجرى بينه وبينهم كلام غليظ فوثبوا عليه وضربوه وعقروا بعيره ، فانصرف من عندهم الى بني فقعس فأخبرهم الخبر فركبوا معه حتى أتوا بنى عبس فقاتلوهم فهزموهم وفقأت بنو فقعس من بنى عبس عيناً وقتلوا رجلا ثم انصرفوا ، فحمل أبوشداد النصري لبنى عبس مائتي بعير وغلظوا عليهم فى الدية ، ثم ان بدر بن سعيد أخا المرار قال قد استوفت عبس حقها فعلام أترك ضرب أخى وعقر جمله ، فخرج حتى أتى جمالا لبنى عبس فى المرعى فرمى بعضها فعقرها ثم انصرف فقال للمرار انه والله مايقنع بهـذا ولكن اخرج بنا فخرجا حتى أغارا على ابل لبني عبس فطرداها وتوجها بهـا نحو تيماء ، فلما كانا فى بعض الطريق انقطع بِطان راحلة بدرفندر عن رحله فقال له المرار يا أخى أطعنى وانصرف ودع هذه الابل فى النار ، فأبى عليه ، ثم سارا ، فلما كانا فى بعض الطريق عرض لهما ظبي أعْضَب أحد القرنين ، فقال المرار لبدر قد تطيرت من هذا السـفر ولا والله لا نرجع من هذا السفر أبداً ، فأبى عليه بدر ، فتفرقت عبس فرقتين فى طلب الابل ، فعمدت فرقة الى وادي القرُى وفرقة الى تيماء ، فصادفوا الابل بتيماء تباع فأخذوا المرار وبدراً ، فرفعوهما الى الوالي وعرفت سِمَات عبس على الابل فدفعت اليهم ورفع المرار وأخوه الى المـدينة ، فضربا وحبسا ، فمات بدر فى الحبس ،

فكلمت عدة من قريش زياد بن عبد الله النصرى فى المرار ، نخلاه ، وقال يرثى أخاه بدراً

ألا يالقومى للتجلد والصبر وللقدَر السارى اليك وما تدرى
وللشيء تنساه وتذكر غيره وللشيء لا تنساه الا على ذُكر
وما لكما بالغيب علم فتخبرا وما لكما فى أمر عثمان من أمر

وهى طويلة يقول فيها

ألا قاتل الله المقادير والمنى وطيراً جرت بين السُّعافات والحِبَرْ
وقاتل تكذيبى العيافة بعد ما زجرت فما أغنى اعتيافي ولا زجرى
تروح فقد طال الثواء وقضيت مشاريط[1] كانت نحوغايتها تجرى
وما لقفول بعد بدر بشاشة ولا الحى آتيهم ولا أوْبة السفْر
تذكرنى بدراً زعازع[2] جَحْرة اذا عصفت احدى عشياتها الغبُر
اذاشوْلنا[3] لم نؤت منها بمحلب قرى الضيف منها بالمهند ذى الأثر
وأضيافنا ان نبهونا ذكرته فكيف إذاً أنساه غابرة الدهر
اذا سلَّم السارى تهلل وجهه على كل حال من يسار ومن عسر
تذكرت بدراً بعد ما قيل عارف لما نابه يا لهف نفسى على بدر
اذا خطرت منه على النفس خطرة مَرَتْ دمع عيني فاستهلّ على نحرى
وما كنت بكّاء ولكن تهيجنى على ذكره طيبُ الخلائق والخُبْر
أعينىَّ انى شاكر ما فعلتما وحق لما أبليتمانىَ بالشكر
سألتكما أن تُسعدانى فجدتما عوانين بالتَّسجام ياقَذَيَى قطر
فلما شفانى اليأس عنه بسلوة وأعذرتما لا بل أجل من العذر

(١) علامات (٢) الشديدة الهبوب والجحرة السنة الشديدة المجدبة القليلة المطر
(٣) جمع شائلة وهى ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فارتفع ضرعها وجف لبنها

نهيتكما أن تُسهرانى فكنتما صبورين بعد اليأس طاويتى غبر
يقول طويتما أغبار دمعكما والأغبار البقايا كأغبار اللبن

كان المرار وأخوه بدر لصين وكان بدر أشهرهما بالسرقة وأكثر غارات على الناس ، فأغار بدر على ذَوْد لبعض بنى غَنْم بن دودان فطردها فأخذ ورفع الى الى عثمان بن حيان المرى وهو يومئذ على المدينة فحبسه ، وطرد المرار طريدة فأخذ معها وهو يبيعها بوادى القُرى ، فرفع الى عثمان فحبسه ، فاجتمعا ومكثا في السجن مدة ، ثم أفلت المرار وبقى بدر في السجن حتى مات محبوساً مقيداً ، فقال المرار وهو فى الحبس

أنارٌ بدت من كُوَّة السجن ضوءها عشية حل الحى بالجزْع فالعفْر
عشية حل الحى أرضاً خصيبة يصيب بها مَسّ الجنائب والقطر
فيا ويلتا سجن اليمامة أطلقا أسيركما ينظر الى البرق ما يفرى
فان تفعلا أحمدكما ولقد أرى بأنكما لا ينبغى لكما شكرى
ولو فارقت رجلي القيود وجدتنى رفيقاً بنص العيس في البلد القفر
جديراً اذا أمْسِى بأرض مضلة بتقويمها حتى يرى وَضَحُ الفجر

كان بين المرار وبين رجل من قومه لحاء فتقاذفا وتسابّا ثم صارا الى الضرب بالعصا ، فقال فى ذلك

ألم تربع فتخبرك المغانى فكيف وهن مذ حجج ثمان
برئتُ من المنازل غير شوق الى الدار التى بلوى أبان

ومن قوله فى ابتداء قصيدة

عَزَفْتَ ولم تصرِم وأنت صروم وكيف تصابى من يقال حليم
صددت فأطولت الصدود ولا أرى وصالاً على طول الصدود يدوم

وكان بدر بن سعيد أخو المرار شاعراً وهو الذى يقول

يا حبذا حين تمسي الريح باردة (١) وادي أُشَيَّ وفتيان به هُضُم
مُخَدَّمون كرام فى مجالسهم وفى الرجال اذا لاقيتهم خدم
وما أصاحب من قوم فأذ كرهم الا يزيدهم حباً الى همُ

الكميت بن معروف

هو الكميت بن معروف بن الكميت الأسدي من فَقْعَس بن طريف ثم من بنى أسد بن خزيمة

شاعر من شعراء الاسلام بدوى وهو أحد المعرقين فى الشعر أبوه معروف شاعر وأمه سعدة شاعرة وأخوه خيثمة أعشى بنى أسد شاعر وابنه معروف شاعر ومن قول الكميت وفيه غناء

نزل المشيب فما له تحويل ومضى الشباب فما اليه سبيل
ولقد أُرانى والشباب يقودنى ورداؤه حسن علىَّ جميل

معروف بن الكميت بن ثعلبة

من قوله لعبد الله بن المساور بن هند

وان مناخى أمس يا ابن مساور اليك لمن شرب القَراح المصرَّد
تباعدت فوق الحق من آل فقعس ولم ترج فيهم ردة اليوم أو غد
وقلت غنىًّ لا فقر في العيش بعده وكل فتى للنائبات بمَرْصد
كأنك لم تعلم محل بيوتكم مع الحى بين الغور والمتنجد
فلولا رجال من جذيمة نصرة عددت بلائى ثم قلت لها اعددى

(١) هذه القصيدة من مختار أبي تمام منسوبة الى زياد بن حمل بن سعد التميمي

سعدة أم الكميت

من قولها للكميت وقد تزوج بنت أبى مهوس على مراغمة لها وكراهة لذلك ، فغضبت سعدة وقالت فيه

عليك بأنقاض العراق فقد علت ... عليك بنجدين النساء الكرائم
لعمرى لقد راش ابن سعدة نفسه ... بريش الذُّنابى لا بريش القوادم
بنى لك معروف بناء هدمته ... وللشرف العادىّ بانٍ وهادم

وقالت ترثى ابنها

لأم البلاد الويل ماذا تضمنت ... بأكناف طورَى من عفاف ونائل
ومن وقعات بالرجال كأنها ... اذا عيَّت الأحداث وقع المناصل
يعزى المعزى للكميت فتنتهى ... مقالته والصدر جمّ البلابل

أعشى بنى أسد

هو خيثمة بن معروف أخو الكميت ، من قوله يرثى الكميت وغيره من أهل بيته

هون عليك فان الدهر منجذب ... كل امرىء عن أخيه سوف ينشعب
فلا يغرَّنك من دهر تقلبه ... ان الليالى بالفتيان تنقلب
نام الخلى وبتّ الليل مرتفقاً ... كما تزاور يحني دَفَّه النكب (١)
اذا رجعت الى نفسي أحدثها ... عمن تضمن من أصحابى القُلُب
من اخوة وبنى عم رُزئتهمُ ... والدهر فيه على مستعتب عتب
عاودت وجداً على وجد أكابده ... حتى تكاد بنات الصدر تلتهب
هل بعد صخر وهل بعد الكميت أخ ... أم هل يعود لنا صبر فنصطحب
لقد علمت ولو مليت بعدهمُ ... انى سأنهَل بالشرب الذى شربوا

(١) تزاور مال والدف الجنب والنكب من النكب وهو داء يأخذ الابل فى مناكبها فتظلع منه

معروف بن الكميت الأسدي

من قوله

قد كنت أحسبني جلْداً فهيجني بالشبب منزلة من أم عمار
كانت منازل لا وَرْهاء جافية على الحدوج ولا عطْلاء مقفار
وما تجاورنا اذ نحن ساكنها ولا تفرقنا الا بمقدار

الحسين بن مطير

هو الحسين بن مُطير بن مكمل مولى بنى أسد بن خزيمة من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية

شاعر مقدم فى القصيد والرجز ، فصيح قد مدح بنى أمية وبنى العباس ، وكان زيه وكلامه يشبه مذهب الاعراب وأهل البادية وذلك بين فى شعره

ومن رجزه يمدح معن بن زائدة

حديث ريّا حبذا دلالها تسأل عن حالي وما سؤالها
عن امرىء قد شفّه خيالها وهى شفاء النفس لو تنالها

يقول فيها يمدحه

سل سيوفاً محدَثاً صقالها صاب على أعدائه وبالها
وعند معْن ذى الندى أمثالها

أنشد الاصمعى رجل لدعبل

لا تعجبى يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى

فقال هذا سرقه من قول الحسين بن مُطَير

أين أهل القِباب بالدَّهناء أين جيرانُنا على الأحساء

فارقونا والأرض ملبسة نوْ رَ الأقاحي يُجاد بالأنواء
كل يوم بأقحوان جديد تضحك الأرض عن مَهَلّ السماء

قال المهدى للمفضل الضبى أسهرتني البارحة أبيات الحسين بن مطير الأسدى، قال وماهى يا أمير المؤمنين؟ قال قوله

وقد تغدر الدنيا فيُضْحى فقيرها غنياً ويغنى بعد بؤس فقيرها
فلا تقرُب الأمر الحرام فانه حلاوته تفنى ويبقى مَريرها
وكم قد رأينا من تغير عيشة وأخرى صفا بعد اكدرار غديرها

وقال فى المهدى قصيدته التي يقول فيها

اليك أمير المؤمنين تعسفت بنا البِيدَ هَوْجاء النَّجاء جنوب
ولولم يكن تَقْدامها ما تقاذفت جبال بها مُغْبَرة وسُهوب
فتى هو من غير التخلق ماجد ومن غير تأديب الرجال أديب
علا خلقه خلق الرجال وخُلقه اذا ضاق أخلاق الرجال رحيب
اذا شاهد القواد سار أمامهم جرىء على ما يتقون وثوب
وان غاب عنهم شاهدتهم مهابة بها يقهر الأعداء حين يغيب
يَعِفّ ويستحيي اذا كان خالياً كما عف واستحيا بحيث رقيب

فأمر له المهدى بسبعين الف درهم وحصان جواد، وقال فيه

لو يعبد الناس يا مهدى أفضلهم ما كان في الناس الا أنت معبود
أضحت يمينك من جود مصورة لا بل يمينك منها صور الجود
لو أن من نوره مثقال خردلة فى السود طراً اذاً لابيضت السود

ومن قوله يرثى معن بن زائدة

ألمَّا على مَعْن وقولا لقبره سقيت الغوادى مَرْبعاً ثم مربعا
أيا قبر معن كنت أول حفرة من الأرض خُطَّت للسماحة مضجعا

أيا قبر معن كيف واريت جوده   وقد كان منه البر والبحر مُتْرَعا
بلى قد وسعت الجود والجود ميت   ولو كان حياً ضقت حتى تصدعا
فتى عيش فى معروفه بعد موته   كما كان بعد الجود مجراه مُمْرِعا
أبى ذكر معن أن تموت فعاله   وان كان قد لاقى حماماً ومصرعا

قيل لأبى عبيدة ما تقول فى شعر الحسين بن مطير ؟ فقال والله لوددت أن الشعراء قاربته فى قوله

مُخَصَّرة الأوساط زانت عقودها   بأحسن مما زينتها عقودُها
بصُفر تراقيها وحمر أكفهُــــا   وسود نواصيها وبيض خدودها

ومن قوله يصف سحابة مكفهرة نشأت وتتابع منها الرعد والبرق وجاءت بمطر جوَد

مستضحك بلوامع مستعبر   بمدامع لم يَمْرِها الأقذاء
فله بلا حزن ولا بمسرة   ضحك يراوح نعيه وبكاء
وكأن بارقه حريق تلتقى   ريح عليه وعَرْفج وألاء
لو كان من لجج السواحل ماؤه   لم يبق فى لجج السواحل ماء

ومن قوله

أحبك يا سلمى على غير ريبة   وما خير حب لا تَعِف سرائره
أحبك حباً لا أُعَنِّف بعده   محباً ولكني اذا لِيمَ عاذره
وقد مات قبلى أول الحب فانقضى   ولومت أضحى الحب قدمات آخره
ولما تناهى الحب فى القلب وارداً   أقام وسُدَّت عنه يوما مصادره

شعراء كنانة

عبد الله بن علقمة الكنانى

هو عبد الله بن علقمة الكنانى أحد بني عامر بن عبد مناة بن كنانة خرج مع أمه وهو غلام يفَعَة لتزور جارة لها وكان لها بنت يقال لها حبيشة، فأعجبته ووقعت فى نفسه، ثم رآها مرة أخرى وقد زينت لأمر كان فى الحى، فازداد بها عجباً وانصرف بأمه فى غداة تمطر، فمشى معها شيئاً، ثم أنشأ يقول

وما أدري، بلى إنى لأدري   أصوب القَطر أحسن أم حُبَيش
حبيشـة والذى خلق الهدايا   وما عن بعدها للصب عيش

فسمعته أمه فتغافلت عنه وكرهت قوله، ثم مشيا ملياً فاذا هو بظبي على رَبْوة من الأرض، فقال

يا أمتا أخبريني غير كاذبة   وما يريد مَسُول الحق بالكذب
أتلك أحسن أم ظبى برابية   لا بل حُبَيشة فى عيني وفي أربى

فزجرته أمه وقالت ما أنت وهذا؟ نزوجك بنت عمك فهى أجمل من تلك، وأتت امرأة عمه فقالت زيني ابنتك له، ففعلت وأدخلتها عليه، فلما رآها أطرق فقالت له أمه أيهما الآن أحسن؟ فقال

اذا غيبت عني حبيشـــة مرة   من الدهر لم أملك عزاء ولاصبرا
كأن الحشى حر السعير يحُشه   وقود الغَضَى والقلب مستعر جمرا

وجعل يراسل الجارية وتراسله حتى علقته كما علقها، وكثر قوله للشعر فيها، فمن ذلك

حبيشة هل جدى وجدك جامع بشملكمُ شملى وأهلكمُ أهلى
وهل أنا ملتف بثوبك مرة بصحراء بين الأَلَّتين الى النخل
وهل أشتفى من ريق ثغرك مرة كراح ومسك خالطا ضرب النحل

فلما بلغ أهلها خبرها حجبوها عنه مدة ، وهو يزيد غراماً بها ، ويكثر قول الشعر فيها ، فأتوها وقالوا لها عديه السَّرحة ، فاذا أتاكِ فقولي له نشدتك الله ان كنت أحببتني فوالله ما على الأرض شيء أبغض إليَّ منك ونحن قريباً نستمع ما تقولين ، فوعدته وجلسوا قريباً يستمعون وجلست عند السرحة ، وأقبل عبدالله لوعدها ، فلما دنا منها دمعت عيناها والتفتت الى حيث أهلها جلوس ، فعرف أنهم قريب ، فرجع وبلغه ما قالوا لها أن تقوله ، فأنشأ يقول

لو قلتِ ما قالوا لزدت جوًى بكم على أنه لم يبق ستر ولا صبر
ولم يك حبي عن نوال بذلته فيُسْلِيَني عنه التجهم والهجر
وما أنس م الأشياء لا أنس دمعها ونظرتَها حتى يغيبني القبر

وبعث النبي صلى الله عليه وسلم على أثر ذلك خالد بن الوليد الى بني عامر بن عبد مناة بن كنانة وأمره أن يدعوهم الى الاسلام فان أجابوه والا قاتلهم ، فصبحهم خالد بن الوليد بالغُمَيْصاء ، فخافوه فظعنوا ، وكانوا قتلوا الفاكه بن الوليد وعمه الفاكه بن المغيرة فى الجاهلية ، وحديث ذلك أن نفراً من قريش بضعة عشر أقبلوا من اليمن حتى نزلوا على ماء من مياههم وكان يقال لهم لَعَقَة الدم وكانوا ذوي بأس شديد ، فجاءت بنو عامر ، فقالوا للقرشيين إياكم أن يكون معكم رجل من فَهْم لأنه كان له عندهم ذَحْل ، قالوا لا والله ما هو معنا ، وهو معهم ، فلما راحوا أدركهم العامريون ، ففتشوهم ، فوجدوا الفهمى معهم ، فقتلوه وقتلوهم ، وأخذوا أموالهم ، فقال راجزهم

ان قريشاً غدرت وعادة نحن قتلنا منهمُ بغادة
عشرين كهلاً مالهم زيادة

وكان فيمن قتل يومئذ عفان بن أبى العاصى أبو عثمان بن عفان وعوف بن عوف أبو عبد الرحمن بن عوف والفاكه بن المغيرة والفاكه بن الوليد بن المغيرة ، فأرادت قريش قتالهم حتى خذلتهم بنو الحرث بن عبد مناة فلم يفعلوا شيئاً ، وكان خالد بن عبيد الله أحد بني الحرث بن عبد مناة فيمن حضر الوقعة هو وضرار فأشار الى ذلك ضرار بن الخطاب بقوله

دعوت الى خطة خالداً من المجد ضيعها خالد
فوالله أدرى أضاهى بها من الغمم أم صدره بارد
ولو خالد عاد فى مثلها لتابعه عَنَقٌ وارد

وقال ضرار أيضاً

أرى ابني لؤي أسرعا ان يسالما وقد سلكت أبناؤها كل مسلك
فان أنتمُ لم تثأروا برجالكم فدوكوا الذى أنتم عليه بمِدْوك (١)
فان أداة الحرب ماقد جمعتمُ ومن يتق الأقوام بالشر يترك

فلما صبحهم خالد ومعه بنو سليم ، وكانت بنو سليم طلبتهم بمالك بن خالد ابن الشَّريد واخوته كُرْز وعمرو والحرث وكانوا قتلوهم فى موطن واحد ، فلما صبحهم خالد في ذلك اليوم ورأوا معه بني سليم زادهم ذلك نفوراً ، وقال لهم خالد أسلموا تسلموا ، قالوا نحن قوم مسلمون ، قال فألقوا سلاحكم وانزلوا ، قالوا لا والله ، فقال جذيمة بن الحرث أحد بني أقرم ياقوم لاتضعوا سلاحكم والله مابعد وضع السلاح الا القتل ، قالوا لا والله لا نلقى سلاحنا ولاننزل ما نحن منك ولا لمن

(١) المدوك حجر يسحق به الطيب

معك بآمنين ، قال خالد فلا أمان لـكم ان لم تنزلوا ، فنزلت فرقة منهم فأسرهم وتفرقت البقية فرقتين فأصعدت فرقة وسفلت أخرى ، قال عبد الله بن أبي حَدْرَد الأسلمى كنت يومئذ فى جند خالد فبعثنا فى أثر ظُعن مُصعدة يسوق بهن فتية ، فقال أدركوا أولئك ، فخرجنا فى أثرهم حتى أدركناهم وقد مضَوا ووقف لنا غلام شاب على الطريق ، فلما انتهينا اليه جعل يقاتلنا وهو يقول

رَخِّين أذلال المروط واربعن   مشي حَيِيَّات كأن لم يُفْزَعن

ان تمنع اليوم النساء تمنعن

فقاتلنا طويلاً فقتلناه ومضينا حتى لحقنا الظعن ، فخرج الينا غلام كأنه الاول فجعل يقاتلنا ويقول

أقسمت ما ان خادر ذو لِبْدَة   شَثْن البنان فى غداة بَرْدة

جَهْم المحيَّا ذو شبال وَرْدة   يُرْزم بين أيكة وجحدة

ضارٍ بتأكال الرجال وحده   بأصدق الغداة مني نَجْدَة

فقاتلناه حتى قتلناه وأدركنا الظعن فأخذناهن فاذا فيهن غلام وضيء به صفرة فى لونه كالمنهوك فربطناه بحبل وقدمناه لنقتله ، فقال لنا هل لـكم فى خير ؟ قلنا وما هو ؟ قال تدركون بى الظعن أسفل الوادى ، فلما كان بحيث يسمعن الصوت نادى بأعلى صوته « اسلمى يا حبيش عند نفاد العيش » فأقبلت اليه جارية بيضاء حسناء فقالت « وانت فاسلم على كثرة الأعداء وشدة البلاء » فقال « سلام عليكم دهرا وأنت بقيت عصرا » فقالت « وأنت سلام عليك عشرا وشفعاً تترى وثلاثاً وترا » فقال

ان يقتلونى يا حُبَيش فلم يدع   هواكِ لهم مني سوى غلة الصدر

وأنت التى أخليت لحمى من دمى   وعظمى وأسبلت الدموع على نحرى

فقالت له

ونحن بكينا من فراقك مرة وأخرى وآسيناك فى العسر واليسر
وأنت فلا تبعَد فنعم فتى الهوى جميل العفاف في المودة والستر

فقال لها

أريتك اذ طالبتكم فوجدتكم بحَلْيَة أو ألفيتكم بالخوانق
ألم يك أهلا أن ينول عاشق تكلف إدلاج السُّرَى والودائق
فلا ذنب لي قد قلت اذ أهلنا معا أثيبى بود قبل احدى البوائق
أثيبى بود قبل أن تشحط النوى وينأى الامير بالحبيب المفارق
فانى لا ضيعت سر أمانة ولا راق عيني عنك بعدك رائق
سوى أن ما نال العشيرة شاغل عن الود إلا أن يكون التوامق

قال ابن أبى حدرد فضربنا عنقه فتقحمت الجارية من خدرها حتى أتت نحوه ووضعت رأسه فى حجرها وجعلت ترشفه وتقول

لا تبعدن ياعمر حياً وهالكاً فحق بحسن المدح مثلك من مثلى
لا تبعدن ياعمر حياً وهالكاً فقد عشت محمود الثنا ماجد الفعل
فمن لطِراد الخيل تشجر بالقنا وللعجز يوماً عند قرقرة البُزْل

وجعلت تبكى وتردد هذه الأبيات وان رأسه لفى حجرها ، وأفلت من القوم غلام من بني أقرم يقال له السميدع حتى اقتحم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بما صنع خالد وشكاه ، فسأله هل أنكر عليه أحد ما صنع ؟ فقال نعم رجل أصفر رَبْعة ورجل أحمر طويل ، فقال عمر أنا والله يارسول الله أعرفهما ، أما الأول فهو ابنى عبد الله ، وأما الآخر فهو سالم مولى أبى حذيفة ، وكان خالد قد أمر كل من أسر أسيراً أن يضرب عنقه ، فأطلق عبد الله بن عمر وسالم مولى

أبي حذيفة أسيرين كانا معهما فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً رضى الله عنه بعد فراغه من حُنَين و بعث معه بابل وورق وأمره أن يَدِيَهم ، فوداهم ثم رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله ، فقال على قدمت عليهم فقلت لهم هل لكم أن تقبلوا هذا الجمل بما أصيب منكم من القتلى والجرحى وتحللوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مما علم ومما لا يعلم ؟ قالوا نعم ، فدفعته اليهم وجعلت أديهم حتى انى لأدى ميلغَةَ الكاب ، وفضلت فضلة فدفعتها اليهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفقبلوها ؟ قال نعم ، قال فوالذى أنا عبده لهى أحب إليّ من حمر النعم ، وقالت سلمى بنت عميس

وكم غادروا يوم الغُمَيصاء من فتى ... أصيب فلم يجرح وقد كان جارحا
ومن سيد كهل عليه مهابة ... أصيب ولما يملُه الشيب واضحا
أحاطت بخُطّاب الأيامى وطلقت ... غداة اذٍ من كان منهن ناكحا
ولولا مقال القوم للقوم أسلموا ... للاقت سليم يوم ذلك ناطحا

جويرية بنت خالد بن قرظ الكنانية

تُكني أم حكيم زوجة عبيدالله بن العباس . قالت فى ابنيها اللذين قتلهما بُسْر ابن أرطاة أحد بني عامر بن لؤى باليمن

ألا من بين الاخوين أمهما هى الثكلى
تسائل من رأى ابنيها وتستبغى فما تُبغى
فلما استيأست رجعت بعَبْرة واله حرّى
تتابع بين ولولة وبين مدامع تترى

وكانت قد أصابها وله على ابنيها فكانت لا تعقل ولا تصغى الا الى قول من أعلمها انهما قد قتلا ولا تزال تطوف فى المواسم تنشد ابنيها بهذه الابيات

يامن أحسّ بُنَيَّ اللذين همـا	كالدُّرتين تَشَظَّى عنهما الصَّدف
يامن أحس بنيَّ اللذين هما	سمعي وطرْفي فطرفي اليوم مختطف
يامن أحس بني اللذين هما	مخ العظام فمخى اليوم مزدهف
نبئت بُسْرا وما صدقت مازعموا	من قولهم ومن الافك الذى اقترفوا
أنحى على وَدَجَىْ طفلىَّ مرهفة	مشحوذة وعظيم الافك يقترف
حتى لقيت رجالا من أرومته	شم الأنوف لهم فى قولهم شرف
فالآن ألعن بسرا حق لعنته	هذا لعمر أبي بسر هو السَّرف
من دل والهـــة حرَّى مفجعة	على حبيبين غابا اذ مضى السلف

وكان من حديث ذلك ان معاوية بن أبي سفيان بعث بُسْر بن أرطاة بعد تحكيم الحكمين وعلى بن أبى طالب رضى الله عنه يومئـذ حي فى جيش، فر بسر لذلك على وجهه حتى انتهى الى المدينة فقتل بها ناساً من أصحاب على عليه السلام وأهل هواه وهدم بها دوراً ، ومضى الى مكة فقتل نفراً من آل أبى لهب ، ثم أتى السراة فقتل من بها من أصحابه ، وأتى نجْران فقتل عبد الله بن عبد المدان الحارثى وابنه وكانا من أصهار عبيد الله بن العباس عامل على عليه السلام ، ثم أتى اليمن وعليها عبيد الله وكان غائباً ، وقيل بل هرب لما بلغه خبر بُسْر فلم يصادفه بسر ووجد ابنين له صبيين فأخذهما بسر « لعنه الله » وذبحهما بيده بمدية كانت معه ، ثم انكفأ راجعاً الى معاوية ، وبعث معاوية غيره ففعلوا فعله فقصد الغامدى الى الأنبار فقتل ابن حسان البكرى وقتل رجالا ونساء من الشيعة ، فبلغ ذلك علياً فخرج حتى أتى المنبر فرقيه ، فحمد الله وأثنى عليـه وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال « أما بعد فان الجهاد باب من أبواب الجنة فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله الذل وسيمَ الخسف ودُيِّث (١) بالصَّغار ، وقد دعوتكم الى حرب هؤلاء القوم ليلا

(١) ذلل

ونهاراً وسراً واعلاناً وقلت لكم اغزوهم من قبل أن يغزوكم ، فو الذى نفسى بيده ما غزى قوم قط فى عقر (١) دارهم الا ذلوا ، فتخاذلتم وتواكلتم وثقل عليكم قولي واتخذتموه وراءكم ظهرياً حتى شنت عليكم الغارات ، هذا أخو غامد (٢) قد وردت خيله الأنبار وقتلوا حسان بن حسان ورجالا منهم كثيراً ونساء ، والذى نفسى بيده لقد بلغني أنه كان يُدخل على المرأة المسلمة والمعاهدة فتنتزع أحجالها (٣) ورُعثها ، ثم انصرفوا موفورين لم يُكلم (٤) أحد منهم كلما ، فلو أن امرأ مسلماً مات من دون هذا أسفاً ما كان عندى فيه ملوماً بل كان عندى به جديراً ، ياعجباً كل العجب عجب يميت القلب ويشغل الفهم ويكثر الأحزان من تضافر (٥) هؤلاء القوم على باطلهم وفشلكم عن حقكم حتى أصبحتم غرضاً تُرمون ولا ترمون ويُغار عليكم ولا تُغيرون ويُعصى الله عز وجل فيكم وترضوْن ، اذا قلت لكم اغزوهم فى الشتاء قلتم هذا أوان قُرّ وصِرّ (٦) ، وان قلت لكم اغزوهم فى الصيف قلتم هذه حمارّة (٧) القيظ أنظرنا ينصرم الحر عنا ، فاذا كنتم من الحر والبرد تفرون فأنتم والله من السيف أفرّ يا أشباه الرجال ولا رجال ويا طَغام (٨) الاحلام ويا عقول ربّات الحجال ، والله لقد أفسدتم عليّ رأيي بالعصيان ، ولقد ملأتم قلبى غيظاً حتى قالت قريش ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب ، لله درّهم ومن ذا يكون أعلم بها مني أو أشد لها مِراساً ؟ فوالله لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين ولقد نيفت اليوم على الستين ، ولكن لارأى لمن لايطاع ، يقولها ثلاثاً ، فقام اليه رجل ومعه أخوه فقال يا أمير المؤمنين أنا وأخي هذا كما قال الله تعالى « رب انى

---

(١) أصل (٢) هم بنو غامد بن نصر بن الازد (٣) الاحجال الخلاخيل واحدها حجل بالكسر والرعث هى الشنوف الواحدة رعثة بفتح الراء وسكون العين والجمع رعثات وجمع الجمع رعث (٤) لم يجرح (٥) التضافر التعاون والتظاهر (٦) الصر شدة البرد (٧) اشتداد حرارة الصيف (٨) الطغام من لا عقل له ولا معرفة عنده

لا أملك الا نفسي وأخي » فمرنا بأمرك فوالله لننتهين اليه ولو حال بيننا وبينه جمر الغضا وشوك القَتاد ، فدعا لهما بخير ثم قال لهما وأين تقعان مما أريد ؟ ثم نزل

وكتب عقيل بن أبي طالب الى أخيه علي عليه السلام « أما بعد فان الله جارك من كل سوء ، وعاصمك من المكروه ، انى خرجت معتمراً فلقيت عبد الله ابن أبي سَرْح فى نحو من أربعين شاباً من أبناء الطُّلقاء ، فقلت لهم وعرفت المنكر فى وجوههم : يا أبناء الطلقاء العداوة لنا منكم والله غير مستنكرة قديماً تريدون بها اطفاء نور الله وتغيير أمره ، فأسمعنى القوم وأسمعتهم ، ثم قدمت مكة وأهلها يتحدثون أن الضحاك بن قيس أغار على الحيرة فاحتمل من أموال أهلها ثم انكفأ راجعاً ، فأفٍّ لحياة فى دهر قد أمر عليكم الضحاك ، وما الضحاك ، وهل هو الا فقع قرقرة وقد طنّت ؟ وبلغني أن أنصارك قد خذلوك فاكتب الىّ يا ابن أمّ برأيك فان كنت الموتَ تريد تحملت اليك بنى أبيك وولد أخيك فعشنا ما عشت ومتنا معك ، فوالله ما أحب أن أبقى بعدك فُواقا ، فأقسم بالله الأعز الأجل ان عيشاً أعيشه فى هذه الدنيا بعدك لَعيش غير هنيء ولا مَريء ولا نجيع والسلام ، فأجابه على بن أبي طالب عليه السلام ، أما بعد كلأنا الله واياك كلاءة من يخشاه بالغيب انه حميد مجيد ، فقد قدم علىّ عبد الرحمن بن عبيد الأزدى بكتابك يذكر أنك لقيت ابن أبى سَرْح مقبلا من قُدَيد فى نحو أربعين شاباً من أبناء الطلقاء ، وانك تنبأ عن ابن أبى سَرْح طالما كاد الله ورسوله وكتابه وصد عن سبيله وبغاها عِوَجاً فدع ابن أبى سرح عنك ودع قريشاً وتَرْكاضهم فى الضلال وتَجوالهم فى الشقاق فان قريشاً قد أجمعت على حرب أخيك اجماعها على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل اليوم فأصبحوا قد جهلوا حقه وجهلوا فضله وكادوه بالعداوة ونصبوا له الحرب وجهدوا عليه كل الجهد وساقوا له جيش الأمرّين ، اللهم فاجز عني قريشاً

الجوازى فقد قطعت رحمى وتظاهرت عليَّ والحمد لله على كل حال ، وأما ماذكرت من غارة الضحاك بن قيس على الحِيرة فهو أقل وأذل من أن يقرب من الحيرة ، ولكنه جاء فى جريدة فأخذ على السماوة ومرَّ بواقصة وشراف وما الى ذلك الصقع فسرحت اليه جيشاً كثيفاً من المسلمين ، فلما بلغه ذلك جاز هارباً فاتبعوه فلحقوه ببعض الطريق وقد أمعن فى السير وقد طفلت الشمس للاياب ، فاقتتلوا شيئاً كلا ولا (١) فولى ولم يصبر وقتل من أصحابه بضعة عشر رجلاً ونجا جريضاً (٢) بعد ما أخذ منه بالمخنق (٣) ولم يبق منه الا الرمق فَلأْيا بلأى مانجا (٤) وأما ما سألت أن أكتب اليك فيه فرأيى قتال المحلين حتى ألقى الله ، لا يزيدنى كثرة الناس حولي عزة ، ولا تفرقهم عنى وحشة ، لانى محق والله مع الحق وأهله ، وما أكره الموت على الحق ، وما الخير كله الا بعد الموت لمن كان محقاً ، وأما ما عرضته عليَّ من مسيرك اليَّ ببنى أبيك وولد أخيك فلاحاجة لى فى ذلك ، فأقم راشداً مهدياً ، فوالله ما أُحب أن تهلكوا معى ان هلكت ، ولا تحسبن ابن أبيك لو أسلمه الزمان والناس متضرعاً متخشعاً ، ولا مقراً للضيم واهناً ، ولا سلس الزمام للقائد ، ولا وطىء الظهر للراكب المقتعد ، ولكنه كما قال أخو بني سليم

فان تسأليني كيف أنت فانني ... صبور على ريب الزمان صليب
يعز عليَّ أن ترى بى كآبة ... فيشمت باغ أو يسر حبيب

والسلام

---

(١) كناية عن السرعة التامة فان حرفين ثانيهما حرف لين سريعا الانقضاء عن السمع
(٢) الجريض المغموم (٣) المخنق الحلق محل ما يوضع الخناق
(٤) لأيا مصدر محذوف العامل ومعناه الشدة والعسر وما بعده مصدرية ونجا فى معنى المصدر أي عسرت نجاته عسراً بعد عسر

ثم ان بسرا كر راجعاً وانتهى خبره الى عليّ عليه السلام أنه قتل عبدالرحمن وقُثم ابني عبيد الله بن عباس ، فسرح حارثة بن قُدامة السعدى فى طلبه وأمره أن يَجِدَّ السير ، نخرج مسرعاً ، فلما وصل الى المدينة وانتهى اليه قتل علي وبيعة الحسن رضى الله تعالى عنه ركب فى السلاح ودعا أهل المدينة الى البيعة للحسن فامتنعوا ، فقال والله لتبايعُن ، فلما رأى أهل المدينة الجد منه بايعوا الحسن عليه السلام وكر راجعاً الى الكوفة ، ولما بلغ علياً قتل بسر للصبيين جزع لذلك جزعاً شديداً ودعا على بسر « لعنه الله » ، فقال اللهم اسلب دينه ولا تخرجه من الدنيا حتى تسلبه عقله ، فأصابه ذلك وفقد عقله ، وكان يَهْذِي بالسيف ويطلبه ، فيؤتى بسيف من خشب ويجعل بين يديه زق منفوخ فلا يزال يضربه حتى يسأم ، ثم مات « لعنه الله » ولما كانت الجماعة واستقر الأمر لمعاوية دخل عليه عبيد الله بن عباس وعنده بسر ، فقال له عبيد الله أأنت قاتل الصبيين أيها الشيخ ، قل بسر نعم أنا قاتلهما ، فقال عبيد الله أما والله لوَدِدتُ أن الأرض كانت أنبتتني عندك ، فقال بسر فقد أنبتتك الآن عندى ، فقال عبيد الله ألا سيف ؟ فقال له بسر هاك سيفى ، فلما أهوى عبيد الله الى السيف ليتناوله أخذه معاوية ثم قل لبسر أخزاك الله شيخاً قد قد كبرت وذهب عقلك ، ذاك رجل من بني هاشم قد وترته وقتلت ابنيه تدفع اليه سيفك انك لغافل عن قلوب بني هاشم ، والله لو تمكن منه لبدأ بى قبلك ، فقال عبيد الله أجلْ والله وكنت أثني به ، قال الأصمعى وسمع رجل من أهل اليمن وقد قدم مكة امرأة عبيد الله بن عباس تندب ابنيها « بالأبيات السابقة » فرقّ لها واتصل ببُسْر حتى وثق به ، ثم احتال لقتل ابنيه ، نخرج بهما الى وادى أوطاس فقتلهما وهرب وقال

يا بُسْر بسرَ بني أرطاةَ ما طلعت شمس النهار ولا غابت على الناس

خير من الهاشميين الذين هُمُ ... عين الهدى وسمام الأسوق القاسى
ماذا أردت الى طفلى مولهـة ... تبكي وتنشد من أثكلت فى الناس
إمّا قتلتهما ظلماً فقد شَرِقت ... من صاحبيك قناتى يوم أوطاس
فاشرب بكأسهما ثُكْلاً كما شربت ... أم الصبيين أو ذاق ابن عباس

تم الجزء الخامس

ويليه الجزء السادس وأوله

شعراء الديل بن بكر

فهرس الكتاب

تابع الفهرست

مُهذبُ الأغانى

صنفه

محمد الخضرى

المفتش بوزارة المعارف

الجزء السادس

فى الشعراء الاسلاميين

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية

٢٠١١/٢٥/٢٠٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

شعراء الديل[1] بن بكر

أبو الأسود الدؤلي

هو أبو الأسود ظالم بن عمرو الدُّؤلي من بني الديل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، من وجوه التابعين وفقهائهم ومحدثيهم ، وقد روى عن عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضى الله عنهما ، وروى عن ابن عباس وغيره ، واستعمله عمر وعثمان وعلي رضى الله عنهم واستعمله علي على البصرة بعد ابن عباس ، وهو كان الأصل فى بناء النحو وعقد أصوله ، دخل الى ابنته بالبصرة فقالت يا أبت ما أشدُّ الحر ، فظنها تسأله وتستفهم منه أي زمان الحر أشد ، فقال لها شهرا ناجر ، فقالت يا أبت انما أخبرتك ولم أسألك ، فأتى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، فقال يا أمير المؤمنين ذهبت لغة العرب لما خالطت العجم وأوشك ان تطاول عليها زمان أن تضمحل ، فقال له وما ذلك ؟ فأخبره خبر ابنته ، فأمره فاشترى صحفاً بدرهم وأملى عليه ان الكلام لا يخرج عن اسم وفعل وحرف جاء لمعنى « وهذا القول أول كتاب سيبويه » ثم رسم أصول النحو كلها ، فنقلها النحويون وفرعوها ، وروى المدائني قال أمر زياد أبا الأسود أن ينقط المصاحف ، فنقطها ورسم من النحو رسوماً ، ثم جاء بعده ميمون الأقرن فزاد عليه فى حدود العربية ، ثم زاد

---

(١) قال عيسى بن عمر الديل بن بكر انما هو الدئل بضم فكسر فترك أهل الحجاز همزه

فيها بعده عنبسة بن معدان المهري ، ثم جاء عبد الله بن أبي اسحق الحضرمي وأبو عمرو بن العلاء فزادا فيه ، ثم جاء الخليل بن احمد الأزدي « وكان صلمبة » فلحبه[1] ، ونجم علي بن حمزة الكسائي مولى بني كاهل من أسد فرسم للكوفيين رسوماً فهم الآن يعملون عليها

قيل لأبي الأسود من أين لك هذا العلم ؟ « يعنون النحو » فقال أخذت حدوده عن علي بن أبي طالب عليه السلام ، وقال عاصم بن أبي النجود أول من وضع النحو أبو الأسود الدؤلي جاء الى زياد بالبصرة فقال له أصلح الله الأمير اني أرى العرب قد خالطت هذه الأعاجم وتغيرت ألسنتهم أفتأذن لي أن أضع لهم علماً يقيمون به كلامهم ؟ قال لا ، ثم جاء زياداً رجل فقال مات أبانا وخلف بنون ، فقال زياد مات أبانا وخلف بنون ؟ ردوا الى أبا الأسود ، فرد اليه ، فقال ضع للناس ما نهيتك عنه ، فوضع لهم النحو ، ويروى أن هذه القصة كانت بين أبي الأسود وبين عبيد الله بن زياد ، وقال أبو حرب بن أبي الأسود أول باب وضعه أبي من النحو التعجب

قال الجاحظ أبو الأسود الدؤلي معدود في طبقات من الناس وهو في كلها مقدم مأثور عنه الفضل في جميعها كان معدوداً في التابعين ، والفقهاء ، والشعراء ، والمحدثين ، والأشراف ، والفرسان ، والأمراء ، والدهاة ، والنحويين ، والحاضري الجواب ، والشيعة ، والبخلاء ، والصلع الأشراف ، والبخر الأشراف

ومما رواه من الحديث مسنداً قال أتيت المدينة فوافقتها وقد وقع فيها مرض يموتون موتاً ذريعاً ، فجلست الى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، فمرت به جنازة ، فأثنى على صاحبها خيراً ، فقال عمر وجبت ، ثم مر بأخرى ، فأثنى على صاحبها شراً ، فقال عمر وجبت ، فقال أبو الأسود ما وجبت يا أمير المؤمنين ؟

(١) لحب الطريق أوضحه

فقال قد قلت كما قال رسول الله صلى الله عليه أيما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة ، فقلنا وثلاثة ، قال وثلاثة ، فقلنا واثنان ، قال واثنان ، ثم لم أسأله عن الواحد ، وقال خطب عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى الناس يوم الجمعة ، فقال ان نبيّ الله صلى الله عليه وسلم قال لا تزال طائفة من أمتى على الحق منصورة حتى يأتى أمر الله جل وعز ، وروى عن علي كرم الله وجهه أنه قال فى بول الجارية يغسل وفى بول الغلام ينضح ما لم يأكل الطعام

لما خرج ابن عباس رضى الله عنهما الى المدينة من البصرة تبعه أبو الأسود فى قومه ليرده ، فاعتصم عبد الله بأخواله من بنى هلال ، فمنعوه وكادت تكون بينهم حرب ، فقال لهم بنو هلال ننشدكم الله ألّا تسفكوا بيننا دماء تبقى معها العداوة الى آخر الأبد وأمير المؤمنين أولى بابن عمه فلا تدخلوا أنفسكم بينهما ، فرجعت كنانة ، وكتب أبو الأسود الى علي عليه السلام فأخبره بما جرى ، فولاه البصرة ، وكان أبو الأسود كاتباً لابن عباس على البصرة وهو الذى يقول

وإذا طلبت من الحوائج حاجة فادع الاله وأحسن الاعمالا
فليعطينَّك ما أراد بقدرة فهو اللطيف لما أراد فعالا
ان العباد وشأنهم وأمورهم بيد الاله يقلب الأحوالا
فدع العباد ولا تكن بطلابهم لهجا تضعضع للعباد سؤالا

كان أبو الأسود قد أسن وكان مع ذلك يركب الى المسجد والسوق ويزور أصدقاءه ، فقال له رجل يا أبا الأسود أراك تكثر الركوب وقد ضعفت عن الحركة وكبرت ولو لزمت منزلك كان أودع لك ، فقال له أبو الأسود صدقت ولكن الركوب يشد أعضائى وأسمع من أخبار الناس ما لم أسمعه فى بيتى وأستنشق الريح وألقى اخوانى ، ولو جلست فى بيتى لاغتم بى أهلي وأنس بى الصبى واجترأ عليّ الخادم وكلمنى من أهلي من يهاب كلامى لإلفهم إياى وجلوسهم عندي حتى لعل العنزات تبول عليّ فلا يقول لها أحد هُسْ

كان بين بني الديل وبين بني ليث منازعة ، فقتلت بنو الديل منهم رجلاً ثم اصطلحوا بعد ذلك على أن يؤدوا ديته ، فاجتمعوا الى أبي الأسود يسألونه المعاونة على أدائها ، وألحَّ عليه غلام منهم ذو بيان وعارضة ، فقال له يا أبا الأسود أنت شيخ العشيرة وسيدهم وما يمنعك من معاونتهم قلة ذات يد ولا سودد ، فلما أكثر أقبل عليه أبو الأسود ثم قال لقد أكثرت يا ابن أخي فاسمع مني ان الرجل والله ما يعطي ماله الا لاحدى ثلاث خلال ، اما رجل أعطى ماله رجاء مكافأة ممن يعطيه ، أو رجل خاف على نفسه فوقاها بماله ، أو رجل أراد وجه الله وما عنده في الآخرة أو رجل أحمق خدع عن ماله ، والله ما أنتم أحد هذه الطبقات ولا جئتم في شيء من هذا ولا عمك الرجل العاجز فينخدع لهؤلاء ، ولما أفدتك إياه في عقلك خير لك من مال أبي الأسود لو وصل الى بني الديل ، قوموا اذا شئتم ، فقاموا يبادرون الباب

كان طريق أبي الأسود الى المسجد والسوق في بني تيم الله بن ثعلبة وكان فيهم رجل متفحش يكثر الاستهزاء بمن يمر به ، فمر به أبو الأسود يوماً فقال لقومه كأن وجه أبي الأسود وجه عجوز راحت الى أهلها بطلاق ، فضحك القوم وأعرض عنهم أبو الأسود ، ثم مرَّ به مرة أخرى فقال كلمة أخرى فألقمه أبو الأسود وضحك القوم منه وقاموا الى أبي الأسود فاعتذروا اليه مما كان ولم يعاوده الرجل بعد ذلك ، وقال فيه أبو الأسود حين رجع الى أهله

وأهوجَ ملْحاح تصاممت قبله ... الى سمعه وما بسمعي من باس
ولو شئت قد أعرضت حتى أصيبه ... على أنفه حدْباء تُعضل بالآسي
فان لساني ليس أهون وقعة ... وأصغر آثاراً من النحت بالفاس
وذي إحنة لم يُبدها غير أنه ... كذي الخَبْل تأبى نفسه غير وسواس
صفحت له صفحاً جميلا كصفحه ... وعيني وما تدرى عليه واحراسى

وعندى له ان فار فوَّار صدره فحاً جبلى لا يعاوده الحاسى
وضبٌّ لحوم الناس أكثر زاده كثير الخنا صعب المحالة هماس
تركت له لحمى وأبقيت لحمه لمن نابه من حاضرى الجن والناس
فكرّ قليلا ثم صدّ كأنما يعضّ بصُمّ من صدى جبل راسى

خرج أبو الأسود ومعه جماعة أصحاب له الى الصيد ، فجاءه أعرابى فقال له السلام عليك ، فقال أبو الأسود كلمة مقولة ، قال أأدخل ؟ قال وراءك أوسع لك ، قال ان الرمضاء قد أحرقت رجلى ، قال بُلْ عليها أو ائت الجبل يفيء عليك ، قال هل عندك شىء تطعمنيه ؟ قال نأكل ونطعم العيال فان فضل شىء فأنت أحق به من الكلب ، قال الأعرابى ما رأيت قط ألأم منك ، قال أبو الأسود قد رأيتك ولكنك قد أنسيت

خطب أبو الأسود امرأة من عبد القيس يقال لها أسماء بنت زياد ، فأسرّ أمرها الى صديق له من الأزد يقال له الهيثم بن زياد ، فحدث ابن عم له كان يخطبها ، وكان لها مال عند أهلها ، فمشى ابن عمها الخاطب لها الى أهلها الذين مالها عندهم ، فأخبرهم خبر أبى الأسود وسألهم أن يمنعوها من نكاحه ومن مالها الذى في أيديهم ، ففعلوا ذلك وضارّوها حتى تزوجت بابن عمها ، فقال أبو الأسود فى ذلك

لعمرى لقد أفشيت يوماً فخانني الى بعض من لم أخش سراً ممنعا
فمزقه مزق العمى وهو غافل ونادى بما أخفيت منه فأسمعا
فقلت ولم أُفحش لعلك عاثر وقد يعثر الساعى اذا كان مسرعا
ولست بجازيك الملامة اننى أرى العفو أدنى للرشاد وأوسعا
ولكن تعلم أنه عهد بيننا فبن غير مذموم ولكن مودعا
حديثاً أضعناه كلانا فلا أُرى وأنت نجياً آخر الدهر أجمعا
وكنت اذا ضيعت سرك لم تجد سواك له الا أشت وأضيعا

وقال فيه

أمنت امرأ فى السر لم يك حازماً ولكنه فى النصح غير مريب
أذاع به فى الناس حتى كأنه بعلياء نار أوقدت بثقوب (١)
وكنت متى لم ترع سرك تلتبس قوارعه من مخطئ ومصيب
فما كل ذى نصح بمؤتيك نصحه ولا كل مؤت نصحه بلبيب
ولكن اذا ما استجمعا عندواحد فحق له من طاعة بنصيب

اشترى أبو الأسود جارية فأعجبته وكانت حولاء، فعابها أهله عنده بالحول فقال فى ذلك

يعيبونها عندى ولا عيب عندها سوى أن فى العينين بعض التأخر
فان يك فى العينين سوء فانها مهفهفة الأعلى رداح المؤخر

كان لأبي الأسود صديق من بني تيم بن سعد يقال له مالك بن أصرم وكانت بينه وبين ابن عم له خصومة فى دار له وانهما اجتمعا عند أبي الأسود فحكماه بينهما، فقال له خصم صديقه انى بالذى بينك وبين هذا عارف فلا يحملنك هذا على أن تحيف عليّ في الحكم، وكان صديق أبي الأسود ظالماً، فقضى على صديقه لخصمه بالحق، فقال له صديقه والله ما بارك الله لى فى صداقتك ولا نفعنى بعلمك وفقهك ولقد قضيت عليّ بغير الحق فقال أبو الأسود

اذا كنت مظلوماً فلا تلف راضيا عن القوم حتى تأخذ النّصف واغضب
وان كنت أنت الظالم القوم فاطّرح مقالتهم واشغب بهم كل مشغب
وقارب بذى جهل وباعد بعالم جلوب عليك الحق من كل مجلب
فان حدبوا فاقعس وان هم تقاعسوا ليستمكنوا مما وراءك فاحدب
ولا تدعني للجور واصبر على التى بها كنت أقضى للبعيد على أبى

---

(١) الثقوب ما تشعل به النار من صغار العيدان

فانى امرؤ أخشى الهى وأتقى معادى وقد جربت مالم تجرب

وجه الى الحصين بن أبي الحر العنبرى وهو يلى بعض أعمال الخراج لزياد والى نعيم بن مسعود النهشلي وهو يلى مثل ذلك برسول وكتب معه اليهما وأراد أن يبرّاه ففعل ذلك نعيم بن مسعود ورمى الحصين بكتاب أبي الأسود وراء ظهره ، فأخبر أبو الأسود بذلك فقال

حسبتَ كتابي اذ أتاك تعرضا لسيبك ، لم يذهب رجائي هنالكا
وخبرني من كنت أرسلت أنما أخذت كتابي معرضا بشمالكا
نظرت الى عنوانه فنبذته كنبذك نعلاً أخلقت من نعالكا
نعيم بن مسعود أحق بما أتى وأنت بما تأتى حقيق بذلكا
يصيب ومايدري ويخطى ومادرى وكيف يكون النَّوْكُ إلا كذلكا

أراد الخروج الى فارس فقالت له ابنته يا أبت انك قد كبرت وهذا صميم الشتاء فانتظر حتى ينصرم ويسلك الطريق آمناً فانى أخشى عليك فقال

إذا كنت معنياً بأمر تريده فما للقضاء والتوكل من مثل
توكل وحمل أمرك الله ان ما تراد به آتيك فاقنع بذا الفضل
ولا تحسبن السير أقرب للرَّدى من الخفض في دار المقامة والثَّمل (١)
ولا تحسبيني يا ابنتى عن مذهبي بظنك ان الظن يكذب ذا العقل
وانى ملاق ما قضى الله فاصبري ولا تجعلى العلم المحقق كالجهل
وانك لا تدرين هل ما أخافه أبعديَ يأتى فى رحيلى أو قبلى
وكم قد رأيت حاذراً متحفظاً أصيب وألفته المنية فى الأهل

كان لأبي الأسود صديق من بني سليم يقال له نسيب بن حميد وكان يغشاه فى منزله ويتحدث اليه فى المسجد وكان كثيراً ما يحلف له أنه ليس بالبصرة أحد

(١) الثمل المقام والخفض

من قومه ولا من غيرهم آثر عنده منه ، فرأى أبو الأسود يوماً معه مُسْتُقة مُخملة[١] أصبهانية من صوف فقال له أبو الأسود ما تصنع بهذه المستقة ؟ فقال أريد بيعها فقال له أبو الأسود انظر ما تبلغ فعرفنيه حتى أبعث به اليك فانها من حاجتي ، قال لا بل أكسوكها ، فأبى أبو الاسود أن يقبلها الا بثمنها فبعث بها الى السوق فقومت بمائتي درهم ، فبعث اليه أبو الأسود بالدراهم فردها وقال لست أبيعها الا بمائتين وخمسين ، فقال

بعني نُسيبُ ولا تُثبني انني ... لا أستثيب، ولا أُثيب الواهبا
ان العطيـــة خير ما وجهتها ... وحسبتها حمداً وأجراً واجبا
ومن العطية ما يعود غرامة ... وملامـــة تبقى ومنّاً كاذبا
وبلوت أخبار الرجال وفعلهم ... فملئت علماً منهم وتجاربا
فأخذت منهم ما رضيت بأخذه ... وتركت عمداً ما هنالك خائبا
فاذا وعدت الوعد كنت كغارم ... دَيْناً أُقِرّ به وأحضر كاتبا
حتى أُنفـــذه على ما قلته ... وكفى عليَّ به لنفسي طالبا
واذا فعلت فعلت غير محاسب ... وكفى بربك جازياً ومحاسـبا
واذا منعت منعت منعاً بيناً ... وأرحت من طول العناء الراغبا
لا أشتري الحمد القليل بقاؤه ... يوماً بذم الدهر أجمع واصبا

كان أبو الأسود يحدث معاوية يوماً فتحرك فضرط ، فقال لمعاوية استرها علىّ ، فقال نعم ، فلما خرج حدث بها معاوية عمرو بن العاص ومروان بن الحكم فلما غدا عليه أبو الأسود قال عمرو ما فعلت ضرطتك يا أبا الأسود بالأمس ؟ قال ذهبت كما تذهب الريح مقبلة ومدبرة من شيخ ألان الدهر أعصابه ولحمه عن إمساكها

(١) المستقة فروة طويلة الكم - والمخملة التى لها خمل بالفتح وهو هدب القطيفة ونحوها مما ينسج وتفضل له فضول

وكل أجوف ضروط ، ثم أقبل على معاوية فقال ان امرأ ضعفت أمانته ومروءته عن كتمان ضرطة لحقيق بألاّ يؤمن على أمور المسلمين

كان يجلس الى فناء امرأة بالبصرة فيتحدث اليها وكانت بَرْزة جميلة ، فقالت له يا أبا الاسود هل لك فى أن أتزوجك فانى صَناع الكف حسنة التدبير قانعة بالميسور ؟ قال نعم ، فجمعت أهلها فتزوجته فوجد عندها خلاف ماقدره وأسرعت فى ماله ومدت يدها الى خيانته وأفشت سرّه ، فغدا على من كان حاضراً تزويجه إياها فسألهم أن يجتمعوا عنده ، ففعلوا ، فقال لهم

أرأيت امرأً كنت لم أَبْلُه ... أتانى فقال اتخذنى خليلا
فخاللته ثم أكرمته ... فلم أستفد من لدنه فتيلا
وألفيته حين جربته ... كذوب الحديث سروقاً بخيلا
فذكرته ثم عاتبته ... عتاباً رفيقاً وقولا جميلا
فألفيته غير مستعتب ... ولا ذاكر الله الا قليلا
ألست حقيقاً بتوديعه ... وإتباع ذلك صَرْماً طويلا

فقالوا بلى والله يا أبا الاسود ، قال تلك صاحبتكم وقد طلقتها لكم وأنا أحب أن أستر ما أنكرته من أمرها ، فانصرفت معهم

كان علي بن أبي طالب عليه السلام استعمل أبا الأسود على البصرة واستكتب زياد بن أبيه على الديوان والخراج ، فجعل زياد يشيع أبا الأسود عند علي ويقع فيه ويبغي عليه ، فلما بلغ ذلك أبا الأسود عنه قال

رأيت زياداً ينتحيني بشره ... وأعرض عنه وهو باد مقاتله
وكل امريء والله بالناس عالم ... له عادة قامت عليها شمائله
تعودها فيما مضى من شبابه ... كذلك يدعو كلَّ أمر أوائله
ويعجبني صفحي له وتجملي ... وذو الجهل يحذو الجهل من لايعاجله

فقلت له دعني وشأني اننا ... كلانا عليه معمل هو عامله

فلولا الذي قد يرتجى من رجائه ... لجربت مني بعض ماأنت جاهله

لجربت أني أمنح الغيَّ من غوَى ... على وأجزى ما جزى وأطاوله

وقال له

نبئت أن زياداً ظل يشتمني ... والقول يكتب عند الله والعمل

وقد لقيت زياداً ثم قلت له ... وقبل ذلك ما خبّت به الرسل

حتامَ تسرقني فى كل مجمعة ... عِرضي وأنت اذا ماشئت منتقل

كل امريء صائر يوماً لشيمته ... فى كل منزلة يبلى بها الرجل

فلما ادعى معاوية زياداً ولاه العراق وكان أبو الاسود يأتيه فيسأله حوائجه فربما قضاها وربما منعها لما يعلمه من رأيه وهواه فى على بن أبي طالب عليه السلام وما كان بينهما في تلك الأيام وهما عاملان فكان أبو الاسود يترضاه ويداريه ما استطاع ويقول فى ذلك

رأيت زياداً صدَّ عني بوجهه ... ولم يك مردوداً عن الخير سائله

ينفذ حاجات الرجال وحاجتي ... كداء الجَوَى فى جوفه لا يزايله

فلا أنا ناسٍ ما نسيت فآيس ... ولا أنا راءٍ ما أريت ففاعله

وفى اليأس حزم للبيب وراحة ... من الامر لاينسى ولا المرء نائله

نظر عبد الرحمن بن أبي بكرة الى أبي الأسود فى حالة رثة فبعث اليه بدنانير وثياب وسأله أن ينبسط اليه فى حوائجه ويستميحه اذا ضاق فقال يمدحه

أبو بحر أمنُّ الناس طراً ... علينا بعد حى أبى المغيرة

لقد أبقى لنا الحَدَثان منه ... أخا ثقة منافعه كثيرة

قريب الخير سهلاً غير وعرٍ ... وبعض الخير تمنعه الوُعورة

بصرت بأننا أصحاب حق ... نُدِلُّ به وإخوان وجيرة

وأهل مَضيعة فوُجدت خيراً ... من الخلان فينا والعشيرة
وانك قد علمتُ وكل نفس ... ترى صفحاتها ولها سريرة
لذو قلب بذي القربى رحيم ... وذو عين بما بلغت بصيرة
لعمرك ما حباك الله نفساً ... بها جَشَع ولا نفساً شريرة
ولكن أنت لا شَرِس غليظ ... ولا هشم تنازعه خُؤورة
كأنا اذ أتيناه نزلنـــا ... بجانب روضة ريَّا مطيرة

وكان يدخل الى عبيد الله بن زياد فيشكو اليه ان عليه ديناً لحقه لا يجد الى قضائه سبيلاً ، فيقول له اذا كان غد فارفع اليّ حاجتــك فانى أحب قضاءها ، فيدخل اليه من غد فيذكر له أمره ووعده فيتغافل عنه ثم يعاوده فلا يصنع فى أمره شيئاً فقال أبو الأسود

دعانى أميري كى أفوه بحاجتى ... فقلت فما رد الجواب ولا استمع
فقمت ولم أُحسِسْ بشيء ولم أصُن ... كلامى وخير القول ماصين أو نفع
وأجمعت يأساً لا لبانة بعــده ... ولَلياس أدنى للعفاف من الطمع

سأل رجل أبا الأسود شيئاً فمنعه ، فقال يا أبا الأسود ما أصبحت حاتمياً ، قال بلى قد أصبحت حاتمياً من حيث لاتدري أليس حاتم الذى يقول

أما ويّ إما مانع فبين ... واما عطاء لاينهنهه الزجر

كان لأبى الأسود جار يحســده وتبلغه عنه قوارص ، فلما باع أبو الأسود داره فى بنى الدِّيل وانتقل الي هُذَيل قال جار أبي الأسود لبعض جـيرانه من هذيل هل يسقيكم من ألبان لِقاحه ؟ وكانت لاتزال عنده لِقحة أو لقحتان ، وكان جاره هذا يصيب من الشراب فبلغ أبا الأسود قوله فقال فيه

ان امرأً نبأته من صديقنا ... يسائل هل أسقى من اللبن الجارا
وإنى لأسقى الجار فى قعر بيته ... وأشرب ما لا إثم فيه ولا عارا

شراباً حلالا ينزل المرء صاحياً ولا يتولى يقلس الاثم والعارا

كان لأبي الأسود صديق من بني قيس بن ثعلبة يقال له حوشرة بن سليم فاستعمله عبيد الله بن زياد على جيّ وأصبهان ، وكان أبو الأسود بفارس فلما بلغه خبره أتاه فلم يجد عنده ما يقدره وجفاه حوشرة فقال فيه أبو الأسود وفارقه

تروحتَ من رستاق جيّ عشية وخلفت فى رستاق جيّ أخاً لكا
إخالك ان طال التنائى وجدته نَسِيًّا وان طال التعاشر ملّكا
ولو كنتَ سيفاً يعجب الناسَ حدُّه وكنتَ له يوماً من الدهر فلَّكا
ولو كنت أهدى الناس ثم صحبته وطاوعته ضل الهدى وأضلكا
اذا جئته تبغي الهدى خالف الهدى وان جرت عن باب الغواية دلكا

كان لأبي الأسود جار يقال له وثاق من خزاعة وكان يحب اتخاذ اللقاح ويغالى بها ويصفها ، فأتى أبا الأسود وعنده لقحة غزيرة يقال لها الصعوف ، فقال له يا أبا الأسود ما بلقحتك بأس لولا عيب كذا وكذا فهل لك فى بيعها ؟ فقال أبو الأسود أعلى ما تذكر فيها من العيب ؟ فقال انى أغتفر ذلك لما أرجوه من غزارتها ، فقال له أبو الأسود بئست الخلتان فيك الحرص والخداع ، أنا لعيب مالي أشد اغتفاراً ، وقال فيه

يريد وثاق ناقتى ويعيبها يخادعني عنها وثاق بن جابر
فقلت تعلم يا وثاق بأنها عليك حمى أخرى الليالي الغوابر
بصرت بها كوماء حوساء جلدة من الموليات الهام حد الظوافر
فحاولت خدعى والظنون كواذب وكم طامع فى خدعتى غير ظافر

وكانت له لقحة أخرى يقال لها الطيفاء وكان يقول ما ملكت مالاً قط أحب إليّ منها ، فأتاه فيها رجل من بني سدوس يقال له أوس بن عامر ، فجعل يماكر أبا الأسود ويعيبها ، فألفاه بها بصيراً وفيها منافساً ، فبذل له فيها شيئاً وافياً ، فأبى أن يبيعه ، وقال فيه

أتانى في الطيفاء أوس بن عامر ليخدعني عنها بجن ضراسها
فسام قليلاً بائساً غير تاجر وأحضر نفساً واتمى بمكاسها
فأقسم لو أعطيت ما سمت مثله وضعفاً له لما غدوت براسها
أغرك منها ان نحرت حوارها لجيران أم السكن يوم نفاسها
فولى ولم يطمع وفى النفس حاجة يرددها مردودة بايأسها

سأل رجل أبا الأسود فرده، فألحّ عليه، فقال له «ليس للسائل الملحف مثل الرد الجامس» يعني بالجامس الجامد

خطب أبو الأسود امرأة من بني حنيفة، وكان قد رآها فأعجبته، فأجابته الى ذلك وأذنت له فى الدخول اليها، فدخل دارها فخاطبها بما أراد، فلما خرج لقيه ابن عم لها كان قد خطبها على أخيه، فقال له ما تصنع ههنا؟ فأخبره بخطبة المرأة، فنهاه عن التعرض لها، ووضع عليها ارصاداً، فكان أبو الأسود ربما مرّ بهم واجتاز بقبيلتهم، فدسوا اليه رجلاً يوبخه فى كل محفل يراه فيه، ففعل وأتاه وهو فى نادي قومه، فقال له يا أبا الأسود أنت رجل شريف ولك سن وخطر وعرض وما أرضى لك أن تلمّ بفلانة وليست لك بزوجة ولا قرابة فان أهلها قد أنكروا ذلك وتشكوه فإما أن تتزوجها أو تضرب عنها، فقال أبو الأسود

لقد جد فى سلمى الشكاة وللذى يقولون لو يبدو لك الرشد أرشدُ
يقولون لا تبذل بعرضك واصطنع معادك ان اليوم يتبعه غد
وإيك والقومَ الغضابَ فانهم بكل طريق حولهم تترصد
تُلام وتُلحَى كل يوم ولا تُرَى على اللوم الا حولها تتردد
أفادتْكها العين الطموح وقد تَرَى لك العين ما لا تستطيع لك اليد

وقال

دعوا آل سلمى ظِنَّتى وتعنتى وما زل مني ان ما فات فائت

ولا تُهلكوني بالملامة انما نطقت قليلاً ثم اني لساكت
سأسكت حتى تحسبوني أنني من الجهد فى مرضاتكم متماوت
ألم يكفكم أن قد منعتمْ بيوتكم كما منع الغيلَ الأسود البواهت
تصيبون عِرضى كل يوم كما علا نشيط بفاس معدن البِرْم ناحت

كان ابن عباس يكرم أبا الأسود لما كان عاملاً لعلي على البصرة ويقضى حوائجه فلما ولى ابن عامر جفاه وأبعده ومنعه حوائجه لما كان يعلمه من هواه فى علي بن أبى طالب عليه السلام ، فقال فيه أبو الأسود

ذكرت ابن عباس بباب ابن عامر وما مر من عيشى ذكرت وما فضَل
أميرين كانا صاحبيَّ كلاهما فكلٌّ جزاه الله عني بما فعل
فان كان شراً كان شراً جزاؤه وان كان خيراً كان خيراً اذا عدل

قال أبو الأسود لابنه أبي حرب وكان له صديق من باهلة يكثر زيارته فكان أبو الأسود يكرهه ويستريب منه

أحببْ اذا أحببت حباً مقارباً فانك لا تدري متى أنت نازع
وأبغض اذا أبغضت بغضاً مقارباً فانك لا تدري متى أنت راجع
وكن معدناً للحلم واصفح عن الخَنا فانك راء ما عملت وسامع

كان لأبي الأسود جار من بني حُليس بن يَعْمُر بن نُفاثة بن عدي بن الديل ، من رهطه دِنْية ، ومنزل أبى الأسود يومئذ فى بني الديل ، فأولع جاره برميه بالحجارة كلما أمسى ويؤذيه ، فشكا أبو الأسود ذلك الى قومه وغيرهم ، فكلموه ولاموه فكان ما اعتذر به اليهم أن قال لست أرميه وانما يرميه الله لقطعه الرحم وسرعته الى الظلم فى بخله بماله ، فقال أبو الأسود والله ما أجاور رجلاً يقطع رَحِمي ويكذب على ربى ، فباع داره واشترى داراً فى هُذَيل ، فقيل له يا أبا الأسود أبعت دارك ؟ قال لم أبع دارى وانما بعت جارى ، فأرسلها مثلا وقال فى ذلك

رماني جاري ظالماً برمية ... فقلت له مهلاً فأنكر ما أتى

وقال الذى يرميك ربك جازياً ... بذنبك والحوبات تعقب ما ترى

جزى الله شراً كل من نال سوءة ... وينحل فيها ربه الشر والأذى

وقال فيه

لحى الله مولى السوء لا أنت راغب ... اليه ولا رام به من تحاربه

وما قرب مولى السوء الا كبعده ... بل البعد خير من عدو تصاقبه

وقال فيه

واني لتثنيني عن الشتم والخنا ... وعن سب ذى القربى خلائق أربع

حياء واسلام ولطف وأنني ... كريم ومثلي قد يضر وينفع

فان أعف يوماً عن ذنوب أتيتها ... فان العصا كانت لمثلي تقرع

وشتان ما بيني وبينك انني ... على كل حال أستقيم وتظلع

كان لأبى الأسود جار في ظهر داره له باب الى قبيلة أخرى ، وكان بين دار أبى الأسود وبين داره باب مفتوح يخرج منه كل واحد منهما الى قبيلة صاحبه إذا أرادها ، وكان الرجل ابن عم أبى الأسود دنية وكان شرساً سيء الخلق ، فأراد سد ذلك الباب فقال له قومه لاتفعل فتضر بأبى الأسود وهو شيخ وليس عليك فى هذا الباب ضرر ولامؤنة ، فأبى إلا سده ، ثم ندم على ذلك لانه أضر فكان اذا أراد سلوك الطريق التى كان يسلكها منه بعد عليه ، فعزم على فتحه وبلغ ذلك أبا الاسود فمنعه وقال فيه

بليت بصاحب ان أدن شبراً ... يزدنى فى مباعدة ذراعا

وان أمدد له فى الوصل ذرعى ... يزدنى فوق قيس الذرع باعا

أبت نفسى له الا اتباعاً ... وتأبى نفسه الا امتناعا

كلانا جاهد أدنو وينأى ... فذلك ما استطعت وما استطاعا

وقال فيه

لنا جيرة سدوا المجازة بيننا ... فان أذكروك السدّ فالسدّ أكيس
ومن خير ما ألصقت بالجار حائط ... تزل به سفْع الخطاطيف أملس

وقال فى ذلك

أعصيت أمر أولى النهى ... وأطعت أمر ذوى الجهالة
أخطأت حين صرمتني ... والمرء يعجز لا محالة
والعبد يقرع بالعصا ... والحر تكفيه المقالة

ودخل على معاوية فقال له لقد أصبحت جميلاً يا أبا الأسود فلو تعلقت تميمة تنفى عنك ، فقال

أفنى الشبابَ الذى فارقت جدّته ... كرُّ الجديدين من آت ومنطلق
لم يتركا لي فى طول اختلافهما ... شيئاً تخاف عليه لذعة الحدق

كان أبو الاسود نازلا فى بني قُشَير وكانت بنو قشير عثمانية وكانت امرأته أم عوف منهم ، فكانوا يؤذونه ويسبونه وينالون من على عليه السلام بحضرته ليغيظوه به ، فاذا أصبح قال لهم أى جوار هذا ؟ فيقولون له لم نرمك انما رماك الله لسوء مذهبك وقبح دينك ، فقال في ذلك

يقول الأرذلون بنو قشير ... طوال الدهر لا تنسى عليا
فقلت لهم وكيف يكون تركي ... من الأعمال مفروضاً عليا
أحب محمداً حباً شديداً ... وعباساً وحمزة والوصيا
بني عم النبى وأقربيه ... أحب الناس كلهم إليا
فان يك حبهم رشداً أصبه ... ولست بمخطىء إن كان غيا
همُ أهل النصيحة غير شك ... وأهل مودتى ما دمت حيا
هوًى أُعطيته لما استدارت ... رحى الاسلام لم يعدل سويا

أحبهمُ لحب الله حتى	أجيء اذا بعثت على هوَيَّا
رأيت الله خالق كل شيء	هداهم واجتبى منهم نبيا
ولم يخصص بها أحداً سواهم	هنيئاً ما اصطفاه لهم مَرِيَّا

فقالت له بنو قُشير شككت يا أبا الأسود في صاحبك حيث تقول « فان يك حبهم رشداً أصبه » ، فقال أما سمعتم قول الله عز وجل « وانا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين » أفترى الله عز وجل شك فى نبيه ؟ وقد روى أن معاوية قال هذه المقالة فأجابه بهذا الجواب

كان أبو الأسود له على باب داره دكان يجلس عليه مرتفع عن الأرض الى قدر صدر الرجل ، فكان يوضع بين يديه خوانٌ على قدر الدكان فاذا مر به مار فدعاه الى الأكل لم يجد موضعاً يجلس فيه ، فمر به ذات يوم فتى فدعاه الى الغداء فأقبل فتناول الخوان فوضعه أسفل ثم قال له يا أبا الأسود إن عزمت على الغداء فانزل وجعل يأكل وأبو الأسود ينظر اليه مغتاظاً حتى أتى على الطعام ، فقال له أبو الأسود ما اسمك يافتى ؟ قال لقمان الحكيم ، قال لقد أصاب أهلك حقيقة اسمك

كان أبو الجارود سالم بن سلمة بن نوفل الهذلي صديقاً لأبى الأسود يهاديه الشعر ويجيب كل واحد منهما صاحبه ويتعاشران ويتزاوران ، فولى أبو الجارود ولاية فجفا أبا الأسود وقطعه ولم يبدأه بمكاتبة ولا أجابه عنها فقال فيه أبو الاسود

أبلغ أبا الجارود عنى رسالة	يروح بها الغادى لربعك أو يغدو
فيخبرنا ما بال صَرمك بعدما	رضيت وما غيرتُ من خُلُق بعد
أأن نلت خيراً سرنى أن تناله	تنكرت حتى قلتُ ذو لِبدَة ورْدُ
فعيناك عيناه وصوتك صوته	تمثله لى غير أنك لا تعدو
لئن كنت قد أزمعت بالصرم بيننا	لقد جعلت أشراطُ أوله تبدو
فانى اذا ما صاحب رَثَّ وصله	وأعرض عنى قلَّ منى له الوجد

كان لأبى الأسود صديق يقال له الحرث بن خليد ، وكان فى شرف من العطاء ، فقال لأبى الأسود ما يمنعك من طلب الديوان فان فيه غنى وخيراً ؟ فقال له قد أغنانى الله عنه بالقناعة والتجمل ، فقال كلا ولكنك تتركه اقامة على محبة ابن أبى طالب وبغض هؤلاء القوم ، وزاد الكلام بينهما حتي أغلظ له الحرث ، فهجره أبو الأسود وندم الحرث على ما فرط منه فسأل عشيرته أن تصلح بينهما ، فأتوا أبا الأسود فى ذلك وقالوا له قد اعتذر اليك الحرث مما فرط منه وهو رجل حديد فقال أبو الأسود

لنا صاحب لا كليل اللسان ... فيَصْمُتَ عنا ولا عارم
وشر الرجال على أهله ... وأصحابه الخَرِق العارم

وقال فيه

اذا كان شيء بيننا قيل انه ... حديد نخالف جهله وترفق
شنئت من الأصحاب من ليس بارحاً ... أزامله زَمْلَ السقّاء المخرق

كان معاوية بن صَعْصَعَة يلقَى أبا الأسود كثيراً فيحادثه ويظهر له المودة ، وكانت تبلغه عنه قوارص فيذ كرها له فيجحدها أو يحلف له أنه لم يفعل ، ثم يعاود ذلك فقال فيه أبو الأسود

ولى صاحب قد رابنى أو ظلمته ... كذلك ما الخصمان بَرّ وفاجر
وانى امرؤ عندى وعمداً أقوله ... لآتى ما يأتى امرؤ وهو خابر
لسانان معسول عليه حلاوة ... وآخر مسموم عليه الشّرائر
فقلت ولم أبخل عليه نصيحتى ... وللمرء ناهٍ لا يلام وزاجر
اذا أنت حاولت البراءة فاجتنب ... عواقب قول تعتريه المعاذر
فكم شاعرٍ أرداه أن قال قائل ... له فى اعتراض القول انك شاعر
عطفت عليه عطفة فتركته ... لما كان يرضى قبلها وهو حاقر

بقافية حَذَّاء سهلٍ رَوِيُّها ... وللقول أبواب تُرى ومحاضر
تعزى بها من نومه وهو ناعس ... اذا انتصف الليل المكلُّ المسافر
اذا ما قضاها عاد فيها كأنه ... للذته سكران أو متساكر

كان لأبي الأسود زوجتان قشيرية وقيسية فلما أسن وضعف كانت القشيرية موافقة له وصابرة عليه وهي التى يقول فيها

أبى القلب إلا أم عوف وحبها ... عجوزاً ومن يُحبب عجوزاً يفند
كسَحْقِ يمانٍ قد تقادم عهده ... ورُقعته ما شئت فى العين واليد

وأما القيسية وكانت أشبَّهما وأجملهما فالتوت عليه وتنكرت له وساءت عشرتها فقال فيها

تعاتبني عرسى على أن أطيعها ... لقد كَذَبتها نفسها ما تمنت
وظنت بأنى كل ما رضيت به ... رضيت به يا جهلها كيف ظنت
وصاحبتها ما لو صحبت بمثله ... على ذُعرها أُرْوِيَّةً لاطمأنت
وقد غرها منى على الشيب والبِلَى ... جنونى بها جنت حيالى وحنت[1]
ولا ذنب لى قد قلت فى بدء أمرنا ... ولو عَلِمت ما عُلِمت ما تَعنَّت
تَشَكَّى الى جاراتها وبناتها ... اذا لم تجد ذنباً علينا تجنت
ألم تعلمى أنى اذا خفت جفوة ... بمنزلة أبعدت عنها مطيتى
وأنى اذا شقت علىَّ حليلتى ... ذهبت ولم أحْنِنْ اذا هى حنت

وفيها يقول

أفاطم مهلاً بعضَ هذا التعبس ... وان كان منك الجد فالصَّرم مُونسى
تشتم لي لما رأتني أحبها ... كذى نعمة لم يُبدها غيرُ أبؤس
فان تنقضى العهد الذى كان بيننا ... وتُلْوى به فى ودك المتحلس[2]

(١) يقال جن وحن وهو من الاتباع كما يقال هش بش (٢) تحلس لكذا طاف له وحام به

فأنى فلا يغررك منى تجملى لأملى البعاد بالبعاد المكنس
وأعلم أن الارض فيها منادح[1] لمن كان لم تُسْدد عليه بمحبس
وكنت امرأ لا صحبة السوء أرتجى ولا أنا نوام بغير معرَّس

كان عبد الله بن عامر مكرماً لأبي الأسود ثم جفاه لما كان عليه من التشيع فقال فيه أبو الأسود

ألم تر ما بينى و بين ابن عامر من الود قد بالت عليه الثعالب
وأصبح باقى الود بيني و بينه كأن لم يكن والدهر فيه عجائب
اذا المرء لم يُحببك الا تكرهاً بدا لك من أخلاقه ما يغالب
فلَلمنأى خير من مقام على أذى ولا خير فيما يستقل المعاتب

كان لأبي الأسود مولى يقال له نافع ويكنى أبا الصباح ، فذكرت لأبي الأسود جارية تباع فركب فنظر اليها فأعجبته ، فأرسل نافعاً يشتريها له فاشتراها لنفسه وغدر بأبي الأسود فقال

اذا كنت تبغى للأمانة حاملاً فدع نافعاً وانظر لها من يطيقها
فان الفتى خبّ كذوب وانه له نفس سوء يجتويها صديقها
متى يخلُ يوماً وحده بأمانة تُغلّ جميعاً أو يغلّ فريقها
على أنه أبقى الرجال سمانة كما كل مسمان الكلاب سروقها

أتى أبا الاسود نعي أمير المؤمنين عليّ بن أبى طالب عليه السلام وبيعة الحسن عليه السلام فقام على المنبر فخطب الناس ونعى لهم علياً عليه السلام فقال فى خطبته «وان رجلا من أعداء الله المارقة عن دينه اغتال أمير المؤمنين علياً كرم الله وجهه ومثواه فى مسجده وهو خارج لتهجده فى ليلة يرجى فيها مصادفة ليلة القدر فقتله ،

(١) المندوحة ما اتسع من الارض والجمع مناذح

فيالله هو من قتيل ، وأكرم به وبمقتله وروحه من روح عرجت الى الله تعالى بالبر والتقى ، والايمان والاحسان ، لقد أطفأ منه نوراً لله فى أرضه لايبين بعده أبداً ، وهدم ركناً من أركان الله تعالى لايشاد مثله ، فانا لله وانا اليه راجعون ، وعند الله نحتسب مصيبتنا بأمير المؤمنين ، وعليه السلام يوم ولد ويوم قتل ويوم يبعث حياً » ثم بكى حتى اختلفت أضلاعه ، ثم قال « وقد أوصى بالأمامة بعده الى ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وابنه ، وسليله وشبيهه فى خلقه وهديه ، وانى لأرجو أن يجبر الله به ما وَهيَ ، ويسد به ما انثلم ، ويجمع به الشمل ، ويطفيء به نيران الفتنة ، فبايعوه ترشدوا » فبايعت الشيعة كلها وتوقف ناس ممن يرى رأى رأى العثمانية ولم يظهروا أنفسهم بذلك وهربوا الى معاوية مع رسول دسه اليه يعلمه أن الحسن عليه السلام قد راسله فى الصلح ويدعوه الى أخذ البيعة له بالبصرة ويعده ويمنيه فقال أبو الاسود

ألا أبلغ معاوية بن حرب　　فلا قرّت عيون الشامتينا
أفى شهر الصيام فجعتمونا　　بخير الناس طرًّا أجمعينا
قتلتم خير من ركب المطايا　　وخيّسها(١) ومن ركب السفينا
ومن لبس النعال ومن حذاها　　ومن قرأ المثانى والمئينا
اذا استقبلت وجه أبى حسين　　رأيت البدر راق الناظرينا
لقد علمت قريش حيث حلت　　بأنك خيرها حسباً ودينا

كان أبو حرب بن أبى الاسود قد لزم منزل أبيه بالبصرة لا ينتجع أرضاً ولا يطلب الرزق فى تجارة ولا غيرها فعاتبه أبوه على ذلك فقال أبو حرب ان كان لي رزق فسيأتينى فقال له

وما طلب المعيشة بالتمنى　　ولكن ألقِ دلوك فى الدلّاء

---

(١) خيس المطية ذللها

تجنك بماثها يوماً ويوماً تجنك بحمأة وقليل ماء

وقال يوصي ابنه

لا ترسلن رسالة مشهورة لاتستطيع اذا مضت ادراكها
أكرم صديق أبيك حيث لقيته واحب الكرامة من بدا فحباكها
لا تبدين نميمة حدثتها وتحفظن من الذى أنباكها

اعتذر الى زياد فى شيء جرى بينهما فكأنه لم يقبل عذره فقال

انني مجرم وأنت أحق النـــــاس أن تقبل الغداة اعتذارى
فاعف عني فقد سفهت وأنت المر ء تعفو عن الهنات الكبار

فتبسم زياد وقال أما اذا كان هذا قولك فقد قبلت عذرك وعفوت عن ذنبك

سئل أبو الاسود عن رجل واستشير فى أن يولى ولاية فقال أبو الاسود هو ماعلمته أهيس أليس (١) ألدّ ملحس ان أعطى انتهر وان سئل ازورّ

أوصى أبو الاسود كاتباً لعبد الله بن عامر بحاجة فضمن له قضاءها ثم لم يصنع فيها شيئاً فقال أبو الاسود

لعمرى لقد أوصيت أمس بحاجتى فتى غير ذى قصد عليّ ولا رؤف
ولا عارفاً ما كان بيني وبينه ومن خير ما أدلى به المرء ماعرف
وما كان ما أملت منه ففاتنى بأول خير من أخى ثقة قرف

توفى أبو الاسود فى الطاعون الجارف سنة ٦٩ وله خمس وثمانون سنة وقد قيل انه مات قبل ذلك وهو أشبه القوانين بالصواب لانا لم نسمع له فى فتنة مسعود وأمر المختار بذكر

---

(١) الاهيس الحاد ، ويقال ناقة ليساء اذا كانت لاتبرح من المبرك وهو مما يوصف به الشجاع

الحزين

هو عمرو بن عبيد بن وهيب الديلي الكناني من الدِّيل بن بكر بن عبد مناة ابن كنانة والحزين لقب غلب عليه ويكنى أبا الشعثاء من شعراء الدولة الأموية ، حجازى مطبوع ، ليس من فحول طبقته ، وكان هجاء خبيث اللسان ساقطاً يرضيه اليسير ويتكسب بالشر وهجاء الناس ، وليس ممن خدم الخلفاء ولا انتجعهم بمدح ولا كان يَريم الحجاز حتى مات

ومن قوله يمدح عبد الله بن عبد الملك بن مروان ، وكان من فتيان بني أمية وظرفائهم ، وكان حسن الوجه حسن المذهب

في كفه خَيْزُران ريحها عَبِق ... من كف أَرْوَعَ في عِرْنِينه شَمَم
يُغْضِي حياء ويُغْضَى من مهابته ... فما يكلم الا حين يبتسم

والناس يروون هـذين البيتين للفرزدق في أبياته التي يمدح بها علي بن الحسين التي أولها

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم

وهو غلط ممن رواهما [1] فيها وأبيات الحزين مؤتلفة منتظمة المعانى تنبيء عن نفسها وهي

الله يعلم أن قد جُبت ذا يمن ... ثم العراقين لا يثنيني السأم
ثم الجزيرةَ أعلاها وأسـفلها ... كذاك تَسرى على الأهوال بي القدم
ثم المواسم قد أوطأتها زمناً ... وحيث تُحْلَق عند الجمرة اللِّمَم
قلوا دمشق ينبيك الخبير بها ... ثم ائت مصر فثمَّ النائل العَمَم
لما وقفت عليها في الجموع ضحى ... وقد تعرضت الحجاب والخدم

(١) أنظر ص ١٥٠ من الجزء الخامس تر أبا الفرج رحمه الله رواهما للفرزدق

حييته بســـلام وهو مرتفق وضجة القوم عند الباب تزدحم

وبعده البيتان

ترى رءوس بني مَرْوان خاضعة يمشون حول ركابيه وما ظلموا
ان هَشَّ هشوا له واستبشروا جذلا وان همُ آنسوا إعراضــه وَجَموا
كلتا يديه ربيع عند ذى خلف بحر يفيض وهذى عارض هزِم

استشار الحزينَ ابنُ عم له فى امرأة يتزوجها ، فقال له ان لها اخوة مشائيم وقد ردوا عنها غير واحد وأخشى أن يردوك فيطلق عليك النساء ، فخطبها ، فردوه ، فقال الحزين

نهيتك عن أمر فلم تقبل النهى وحذرتك اليوم الغُواة الأشائما
فصرت الى ما لم أ كن منه آمناً وأشمتَ أعدائى وأنطقت لائما
وما بهمُ من رغبة عنك قل لهم فان تسألونى تسألوا بِيَ عالما

مرَّ الحزين على جعفر بن محمد وعليه أطمار ، فقال له يا ابن أبي الشعثاء الى أين أصبحت غادياً ؟ قال أمتع الله بك نزل عبد الله بن عبد الملك الحرَّة يريد الحج وقد كنت وفدت اليه بمصر فأحسن إليَّ ، قال أفما وجدت شيئاً تلبسه غير هذه الثياب ؟ قال قد استعرت من أهل المدينة فلم يعرنى أحد منهم غير هذه الثياب ، فدعا جعفر غلاماً فقال له ائتني بجبة صوف وقميص ورداء ، فجاء بذلك ، فقال أَبْلِ وأَخْلِق ، فلما ولى الحزين قال جلساء جعفر له ما صنعت ؟ انه يعمد الى هذه الثياب التى كسوته إياها فيبيعها ويفسد بثمنها ، قال ما أبالي اذا كافأْته بثيابه ما صنع بها ، فسمع الحزين قولهم وما رد عليهم ، ومضى حتى أتى عبد الله بن عبد الملك ، فأحسن اليه وكساه ، فلما أصبح أتى جعفراً ومعه القوم الذين لاموه بالأمس وأنشده

وما زال ينمو جعفر بن محمد الى المجد حتى عَبَّهلته (١) عواذله

(١) عبهله عاتبه

وقلن له هل من طريف وتالد | من المال الا أنت فى الحق باذله
يحاولنه عن شـــيمة قد علمنها | وفى نفسه أمر كريم يحاوله

ثم قال له بأبى أنت وأمى قد سمعت ما قالوا وما رددت عليهم

دخل الحزين على عمرو بن عمرو بن الزبير منزله فامتدحه وسأله حاجة ، فقال له ليس الى ما تطلب سبيل ولا نقدر على أن نملأ الناس معاذير وما كل من سألنا حاجة استحق أن نقضيها ولرب مستحق لها قد منعناه حاجته ، فقال الحزين أفمن المستحقين أنا ؟ قال لا والله كيف تكون مســتحقاً لشىء من الخير وأنت تشتم أعراض الناس وتهتك حريمهم وترميهم بالمعضِلات ! انما المستحق من كف أذاه وبذل نَداه وأرغم أعـداه ، قال له الحزين أفمن هؤلاء أنت ؟ فقال له عمرو أين تبعدنى لا أم لك من هذه المنزلة وأفضل منها ؟ فوثب الحزين من عنده وأنشأ يقول

حلفت وما صُبِرت على يمين | ولو أدعى الى أيمان صُبْر
برب الراقصات بشِعب قوم | يوافون الجِمار لصبح عشر
لو أن اللؤم كان مع الثُرَيا | لكان حليفه عمرو بن عمرو
ولو أنى عرفت بأن عمراً | حليف اللؤم ما ضيعت شعرى

وقال أيضاً يهجوه ويمدح محمد بن مروان بن الحكم ، وجاءه فشكا اليه عمراً فوصله وأحسن اليه

اذا لم يكن للمرء فضـــل يَزينه | سوى ما ادّعى يوماً فليس له فضل
وتلقى الفتى ضَخْماً جميلاً رُواؤه | يروعك فى النادى وليس له عقل
وآخرَ تنبو العين عنــه مهذَّب | يجود اذا ما الضخم نهنهه البخل
فيا راجياً عمرو بن عمرو وسَيْبه | أتعرف عمراً أم أتاك به الجهل
فان كنت ذا جهل فقد يخطىء الفتى | وان كنت ذا حزم اذا جازت النبل
جهلت ابن عمرو فالتمس سَيْب غيره | ودونك مرميّ ليس فى جدّه هزل

عليك ابنَ مَرْوان الأغرَّ محمدا نجده كريماً لا يطيش له نَبْلُ

فلما أنشد الحزين محمد بن مروان هذا الشعر أمر له بخمسة آلاف درهم وقال له اكفف عن عمرو بن عمرو ولك حكمك ، فقال لا والله ولا بحمر النعم وسودها لو أعطيتها ما كففت عنه لأنه ما علمت كثير الشر قليل الخير متسلط على صديقه فظ على أهله « وخير ابن عمرو بالثريا معلق » ، فقال له محمد بن مروان هذا شعر ، فقال بعد ساعة يصير شعراً ولو شئت لعجلته ، ثم قال

شر ابن عمرو حاضر لصديقه وخير ابن عمرو بالثريا معلق

ووجه ابن عمرو باسر ان طلبته نوالاً اذا جاد الكريم الموفق

فنفس الفتى عمرو بن عمرو اذا غدت كتائب هيجاء المنية تبْرُق

فلا زال عمرو للبلايا دريّةً تبا كره حتى يموت وتطرُق

يهِر هرير الكلب عمرو اذ رأى طعاماً فما ينفك يبكي ويشهق

فزجره محمد عنه وقال له أفّ لك فقد أكثرت فى الهجاء وأبلغت فى الشتيمة ، وقال فيه

لعمرك ما عمرو بن عمرو بماجد ولكنه كزّ اليدين بخيل

ينام عن التقوى ويوقظه الخنا فيخبط أثناء الظلام فَسول

فلا بشر من عمرو لجار ولا له ذمام ولكن للئام وَصول

مواعيد عمرو تُرّهات ووجهه على كل ما قد قلت فيه دليل

جبان وفحاش لئيم مذمم وأكذب خلق الله حين يقول

كلام ابن عمرو صوفة وسط بلقع وكف ابن عمرو في الرخاء تطول

فبلغ شعره عمراً فقال ماله لعنه الله ولعن من ولده ؟ لقد هجانى بنية صادقة ولسان صَنَع ذُلَق وما عدانى الى غيرى ، فلقى الحزين عروة بن أذينة فأنشده هذه الأبيات ، فقال له ويحك بعضها كان يكفيك فقد بنيتها ولم تقم أوَدها وداخلتها

وجعلت معانيها فى أكمنها ، قال الحزين ذلك والله أرغب للناس فيها ، فقال له عروة خير الناس من حلُم عن الجهال وما أراه الا قد حلم عنك ، فقال الحزين حلم والله عني شاء أو أبى برغمه وصغره ، ثم لقى شبان من ولد الزبير الحزين فتناولوه بألسنتهم وهموا بضربه ، فحال بينه وبينهم ولد مصعب ، فقال الحزين يهجوهم ويهجو جماعة من بني أسد بن عبد العزى سوى بنى مصعب الذين منعوهم منه قال

لحى الله قوماً من قريش تحالفوا ... على البخل بالمعروف والجود بالنكر
فصاروا لخلق الله فى اللؤم غاية ... بهم تضرب الأمثال فى النثر والشعر
فيا عمرو لو اشبهت عمراً ومُصعَباً ... حمدت ولكن أنت منقبض البشر
بني أسد سادت قريش بجودها ... معدًا وسادتكم مَعَد مدى الدهر
تجود قريش بالندى ورضيتمُ ... بني أسد باللؤم والذل والغدر
أعمرو بن عمرو لست ممن تعده ... قريش اذا ما هاتروا الناس بالفخر
أبت لك يا عمرو بن عمرو دناءة ... وخلق لئيم أن تَريش وأن تبرى

وقال الحزين لهلال بن يحيى بن طلحة

هلال ابن يحيى غرة لا خفا بها ... على الناس فى عسر الزمان ولا اليسر
وسعد [1] بن ابراهيم ظفر موسخ ... فهل يستريح الناس من وسخ الظفر

كان الحزين قد ضرب على كل رجل من قريش درهمين درهمين فى كل شهر منهم ابن أبي عَتيق ، فجاءه لأخذ درهميه وهو على حمار أعجَف ، وكثيّر مع ابن أبي عتيق ، فدعا ابن أبي عتيق للحزين بدرهمين ، فقال له الحزين من هذا معك ؟ قال هذا أبو صخر كثير بن أبي جمعة ، وكان قصيراً دميا ، فقال له الحزين أتأذن لي أن أهجوه ببيت ؟ قال لا لعمري لا آذن لك أن تهجو جليسى ولكن أشتري

(١) هو سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف وكان ولى قضاء المدينة من هشام بن عبد الملك فلم يعط الحزين شيئاً فهجاه

عرضه منك بدرهمين آخرين ، ودعا له بهما فأصغى ، ثم قال لا بد لي من هجائه ببيت ، قال أو أشتري ذلك منك بدرهمين آخرين ؟ ودعا له بهما ، فأخذهما وقال ما أنا بتاركه حتى أهجوه ، قال أو أشتري ذلك منك بدرهمين آخرين ؟ فقال له ائذن له وما عسى أن يقول فيَّ ؟ فأذن له ابن أبي عتيق ، فقال

قصير القميص فاحش عند بيته ... يعَضّ القراد باسته وهو قائم

فوثب كثير اليه فوكزه ، فسقط هو والحمار ، وخلص ابن أبي عتيق بينهما وقال لكثير قبحك الله أتأذن له وتبسط اليه يدك ؟ قال كثير وأنا ظننته يبلغ فيَّ هذا كله فى بيت واحد

صحب الحزين رجلاً من بني عامر بن لُؤَيّ يلقب بأبي بعرة ، وكان استعمل على سعايات فلم يصنع خيراً ، وكان قد صحب قبله عمرو بن مساحق وسعد بن نوفل فحمدهما ، فقال فى ذلك

صحبتك عاماً بعد سعد بن نوفل ... وعمرو فما أشبهت سعداً ولا عمرا
وجاداً كما قصرت فى طلب العلا ... فخرت به ذماً وحازا به شكرا
أولاك الجعاد البيض من آل مالك ... وأنتم بنو قَيْن لحقتم به نَزْرا (١)
يسوق بغُبوراً (٢) أميراً كأنما ... نسوق به فى كل مجمعة زبرا
فان يكن البغبور ذم رفيقهُ ... قِراه فقد كانت إمارته نكرا
ومتبع البغبور يرجو نواله ... فقد زاده البغبور فى فقره فقرا

كان على المدينة طائف يقال له صفوان مولى لآل مَخْرَمة بن نوفل ، فجاء الحزين الى شيخ من أهل المدينة فاستعاره حماره ، وذهب الى العقيق فشرب وأقبل على الحمار وقد سكر ، فجاء به الحمار حتى وقف على باب المسجد كما كان صاحبه عوده فمر به صفوان فأخذه وحبسه وحبس الحمار ، فأصبح والحمار محبوس معه فأنشأ يقول

(١) نصب نزرا على الحال كأنه قال لحقتم به نزرا قليلا من الرجال
(٢) البغبور الحجر الذى يذبح عليه القربان

أيا أهل المدينة خبرونى ... بأى جريرة حبس الحمار

فما للعيرِ من جرْمٍ اليكم ... وما بالعيرِ إن ظُلم انتصار

خرج مع ابن لسهيل بن عبد الرحمن بن عوف الى متنزه لهم ، فسكر الحزين وانصرف فبات في الطريق وسلب ثيابه ، فأرسل الى سهيل يخبره الخبر ويستمنحه فلم يمنحه ، وبلغ الخبر سفيان بن عاصم بن عبد العزيز بن مروان فأرسل اليه بجميع مايحتاج اليه وعوضه ثمن ثيابه فقال فى ذلك

هلا سهيلا أشبهت أو بعض أعـــمامك ماذي الخلائق الشَّكِسة

ضيعت ندْمانك الكريم ولم ... تشفق عليه من ليلة نَحِسة

ثم تعاللت إذ أتاك له ... صبحاً رسول بعلة طفِسه[1]

لكنَّ سفيان لم يكن وَ كَلا ... لما أتتنا صِلاته سلسة

سما به أروع ونفس فتى ... أروعَ ليست كنفسك الدنسة

مرَّ الحزين على مجلس لبني كعب بن خزاعة وهو سكران ، فضحكوا عليه ، فوقف عليهم وقال

لا بارك الله فى كعب ومجلسهم ... ماذا تجمع من لؤم ومن ضَرَع

لا يدرسون كتاب الله بينهمُ ... ولا يصومون من حرص على الشبع

فوثب اليه مشايخهم فاعتذروا اليه وسألوه الكف وألّا يزيد شيئاً على ماقاله ، فأجابهم وانصرف

كان الحزين سفيهاً نَذْلاً يمدح بالنزر اذا أعطيه ويهجو على مثله فنزل بعاصم ابن عمرو بن عثمان فلم يقْرِه ، فقال يهجوه

سيروا فقد جن الظلام عليكمُ ... فأنت الذى يرجو القري عند عاصم

ظَلِلنا عليه وهو كالتيس طامحاً ... نشد على أكبادنا بالعمائم

(١) الطفس القذر النجس

ومالي من ذنب اليه علمته سوى أنني قد جئته غير صائم

فقيل له ان عاصماً كثيراً ما تسمى به قريش ، فقال أما والله لأبيننهلم فقال

اليك ابن عثمان بن عفان عاصم بن عمرو سرت عيسي نخاب سُراها

فقد صادفت كزّ اليدين مبخلا جباناً اذا ما الحرب شب لَظاها

بخيلا بما فى رحله غير انه اذا ما خلت عِرس الخليل أتاها

أبو العباس الأعمى

هو السائب بن فرُّوخ مولى بني الديل من كنانة ، من شعراء بني أمية المعدودين المقدمين فى مدحهم والتشيع لهم وانصباب الهوى اليهم وهو الذى يقول في أبي الطفيل عامر بن واثلة صاحب على بن أبى طالب عليه السلام

لعمرك انني وأبا طفيل لمختلفان والله الشهيد

أرى عثمان مهتدياً ويأبى متابعتى وآبى ما يريد

قال أبو جعفر المنصور خرجت أريد الشام أيام مروان بن محمد فصحبني في الطريق رجل ضرير ، فسألته عن مقصده ، فأخبرنى أنه يريد مروان بشعر امتدحه به فاستنشدته إياه ، فأنشدنى

ليت شعرى أفاح رائحة المسك وما ان إخال بالخَيف أنسى

حين غابت بنو أُميَّة عنه والبَهاليل من بنى عبد شمس

خطباء على المنابر فرسا ن عليها وقالة غير خُرْس

لا يعابون صامتين وإن قا لوا أصابوا ولم يقولوا بلَبْس

بحلوم اذا الحلوم تقضت ووجوه مثل الدنانير ملس

فوالله ما فرغ من انشاده حتى توهمت أن العمى قد أدركني ، وافترقنا ، فلما أفضت الخلافة إليَّ خرجت حاجاً فنزلت أمشى بجبلى زَرود فبصرت بالضرير

ففرقت من كان معي ثم دنوت منه فقلت أتعرفني ؟ قال لا قلت أنا رفيقك وأنت تريد الشام أيام مروان فقال أوّه ،

آمت نساء بني أمية منهم ... وبناتهم بمَضيعة أيتام
نامت جدودهم وأُسقط نجمهم ... والنجم يسقط والجدود نيام
خلت المنابر والأسرّة منهم ... فعليهم حتى الممات سلام

فقلت وكم كان مروان أعطاك بأبي أنت ؟ قال أغناني أن أسأل أحداً بعده ، فهممت بقتله ثم ذكرت حق الاسترسال والصحبة فأمسكت ، وغاب عن عيني فأمرت بطلبه فكأنما البيداء بادت به

ومن قوله يحض بني أمية على عبد الله بن الزبير

أبني أمية لا أرى لكمُ ... شبهاً اذا ما التفت الشيَع
سعة وأحلاماً اذا نزعت ... أهل الحلوم فضرها النَزَع
وحفيظة في كل نائبة ... شهباء لا ينهى لها الربع
الله أعطاكم وان رَغمت ... من ذاك أنف معاشر رفعوا
أبني أمية غير انكمُ ... والناس فيما أُطمعوا طمعوا
أطمعتمُ فيكم عدوكمُ ... فسما بهم في ذاكمُ الطمع
فلو انكم كنتم كقومكمُ ... مثل الذى كانوا لكم رجعوا
عما كرهتم أو لَردهمُ ... حذرُ العقوبة انها تزَع

لما غلب عبد الله بن الزبير على الحجاز جعل يتتبع شيعة بني أمية فينفيهم عن المدينة ومكة حتى لم يبق بها أحد منهم ، ثم بلغه عن أبي العباس نبذ من كلام وانه يكاتب بني مروان بعوراته ويمدح عبد الملك وتجيئه جوائزه وصلاته ، فدعا به ثم أغلظ له وهم به ، ثم كلم فيه وقيل له رجل مضرور فعفا عنه ونفاه الى الطائف ، فأنشأ يهجوه ويهجو آل الزبير

بني أسَد لاتذكروا الفخر انكم ... متى تذكروه تُكذَبوا وتُحمَّقوا
بعيد المنال خيركم لصديقكم ... وشركمُ يغدو عليهم ويَطْرُق
متى تسألوا فضلا تضنّوا وتبخلوا ... ونيرانكم بالشر فيها تحرق
اذا استبقت يوماً قريش خرجتمُ ... بني أسد سُكْتاً وذو المجد يسبق
تجيئون خلف القوم سوداً وجوهكم ... اذا ما قريش للأضاميم أصفقوا
وما ذاك إلا أن للؤم طابعاً ... يلوح عليكم وسمه ليس يخلق

رأى ابن الزبير رجلا من بني أسد بن عبد العزى فى حالة رثَّة فكساه ثوبين وأمر له ببُر وتمر فقال أبو العباس فى ذلك

كست أسد اخوانها ولو انني ... ببلدة اخوانى اذاً لكسيت
فلم تر عينى مثل حى تحملوا ... الى الشام مظلومين منذ بريت

لما حج عبد الملك جلس للناس بمكة فدخلوا اليه على مراتبهم، وقامت الشعراء والخطباء فتكلموا، ودخل أبو العباس فلما رآه عبد الملك قال مرحباً مرحباً بك يا أبا العباس أخبرنى بخبر الملحد المحلِّ حيث كسا أشياعه ولم يكسك وأنشدنى ما قلت في ذلك، فأخبره بخبر ابن الزبير وأنه كسا بنى أسد وأحلافها ولم يكسه وأنشده الأبيات، فقال عبد الملك أقسم على كل من حضر من أوليائى وشيعتى على دعوتهم إلا كسا أبا العباس، فخلعت حلل الوشى والخز والقُوهىّ وجعلت ترمى عليه حتى اذا غطته نهض فجلس فوق ما اجتمع وطرح عليه، وأمر له عبد الملك بمائة الف درهم

قدم البَعيث المجاشعى مكة وكان أبو العباس لايكاد يفارقها، وكانت جوائز بنى أمية تأتيه من الشام، وكانت قريش كلها تبرّه للسانه وتقرباً الى بني أمية، فصلى البعيث مع الناس وسأل فى حَمالة كانت عليه وكان سؤولا مُلحًا شديد الطمع

وكان الرجل من قريش يأتيه بالشىء يحمله عنه فيقول لا أقبله إلا أن تجىء معى الى الصراف حتى ينقده ويزنه فان لم يفعل ذمه وهجاه ، فشكوه الى أبى العباس الأعمى ، فقال قودونى اليه ، ففعلوا ، فلما عرف مجلسه رفع عصاه فضرب بها رأسه وقال له

فهل أنت الا ملصق فى مجاشع نفك جرير فاضطُررت الى نجد
تظلّ اذا أعطيت شيئاً مسألته تطالب من أعطاك بالوزن والنقد
فلا تطمعن من بعد ذا فى عطية وثق بقبيح المنع والدفع والرد
فلست بمبق فى قريش خزاية تذم ولو أبعدت فيه مدى الجهد

فتضاحك به من حضر واستحيا ولم يحِر جواباً ، فلما جن عليه الليل هرب من مكة

قال عبد الملك بن مروان لأبى العباس أنشدنى مديحك مُصعَباً ، فاستعفاه ، فقال يا أمير المؤمنين انما رثيته بذلك لأنه كان صديقى ، وقد علمت أن هواى أموى ، قال صدقت ولكن أنشدنى ما قلته ، فأنشده

يرحم الله مُصعَباً فلقد ما ت كريماً ورام أمراً جسيما

فقال عبد الملك أَجَلْ لقد مات كريماً ، ثم تمثل

ولكنه رام التى لا يرومها من الناس الا كل حر معمم

قال عمر بن أبى ربيعة لأبى العباس

أفتني ان كنت ثقفاً شاعراً عن فتى أعرج أعمى مختلف
سيء السَّحنة كابٍ لونه مثل عود الخِروَع البالي القصف

فقال أبو العباس يرد عليه

أنت الفتى وابن الفتى وأخو الفتى وسيدنا لولا خلائق أربع

نكولك فى الهيجا وتقوالك الخنا　　وشتمك المولى وأنك تُبّع (١)

كان عمر بن أبي ربيعة يرامى جارية لأبي العباس ببنادق الغالية (٢) ، فبلغ أبا العباس ، فقال لقائده قِفْني على باب بني مخزوم فاذا مرَّ عمر بن أبي ربيعة فضع يدي عليه ، فلما مرَّ وضع يده عليه ، فأخذ بحُجْزَته فقال

ألا من يشتري جاراً نؤماً　　بجار لا ينـــام ولا يُنيم

ويلبَس بالنهار ثياب ناس　　وشطر الليل شيطان رجيم

فنهضت اليه بنو مخزوم فأمسكوا فمه وضمنوا له عن عمر ألا يعاود ما يكرهه

---

(١) يقال رجل تبع نساء وتبع نساء بالكسر اذا كان كلفاً بهن

(٢) الغالية نوع من الطيب والبنادق قطع صغيرة مستديرة منها

شعراء ليث بن بكر

أبو الطفيل

هو عامر بن واثلة بن عبد الله الليثى الكنانى من ليث بن بكر بن عبد مناة ابن كنانة ، له صحبة برسول الله صلى الله عليه وسلم ورواية عنه وعُمر بعده عمراً طويلا ، وكان مع أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام وروى عنه أيضاً ، وكان من وجوه شيعته وله منه محل خاص ، ثم خرج طالباً بدم الحسين مع المختار ابن أبي عبيد وكان معه حتى قتل وأفلت هو ، وعمر أيضاً بعد ذلك

ومن شعو أبي الطفيل وفيه غناء

أيدعونني شيخاً وقد عشت حقبة وهنّ من الأزواج نحوى نوازع

وما شاب رأسى من سنين تتابعت عليّ ولكن شيبته الوقائع

لما استقام الأمر لمعاوية لم يكن شيء أحب اليه من لقاء أبي الطفيل ، فلم يزل يكاتبه ويُلطف له حتى أتاه ، فلما قدِم عليه جعل يسائله عن أمر الجاهلية ودخل عليه عمرو بن العاصْ ونفر معه ، فقال لهم معاوية أما تعرفون هذا ؟ هذا خليل أبي الحسن ، ثم قال يا أبا الطفيل ما بلغ من حبك لعلى ؟ قال حب أم موسى موسى ، قال فما بلغ من بكائك عليه ؟ قال بكاء العجوز الثكلى والشيخ الرقوب(١) ، والى الله أشكو التقصير ، قال معاوية ان أصحابى هؤلاء لو كانوا سئلوا عنى ما قالوا فيَّ ماقلت لصاحبك ، قالوا اذاً والله لا نقول الباطل ، قال لهم معاوية لا والله ولا الحق تقولون ثم قال معاوية هو الذى يقول

الى رجب السبعين تعترفوننى مع السيف فى حوّاء جمّ عديدها

رَجوفٍ كمتن الطَّوْد فيها معاشر كغُلْب السباع نمْرُها وأسودها

(١) الرقوب الذى لا يبقى له ولد أو مات ولده

كهول وشبان وسادات معشر على الخيل فرسان قليل صدودها
كأن شعاع الشمس تحت لوائها اذا طلعت أعشى العيون حَديدها
يمورون مَوْرَ الريح أما ذَهِلتم وركت بأكفال الرجال لبودها
شِعارهمُ سيما النبي وراية بها انتقم الرحمن ممن يكيدها
تخطفهم آباؤهم عند ذكرهم كخطف ضوارى الطير صيداً تصيدها

فقال معاوية لجلسائه أعرفتموه ؟ قالوا نعم هذا أفحش شاعر وألأم جليس ، فقال معاوية يا أبا الطفيل أتعرفهم ؟ قال ما أعرفهم بخير ولا أبعدهم من شر ، وقام خزيمة الأسدى فأجابه فقال

الى رجب أو غُرّة الشهر بعده تصبحكم حمر المنايا وسودها
ثمانون ألفاً دين عثمان دينهم كتائب فيها جبرئيل يقودها
فمن عاش منكم عاش عبداً ومن يمت ففى النار سقياه هناك صديدها

لما حبس ابن الزبير محمد بن الحنفية فى سجن عارم خرج اليه جيش من الكوفة عليه أبو الطفيل فكسروا السجن وأخرجوه فكتب ابن الزبير الى أخيه مصعب أن يسير نساء كل من خرج لذلك ، فأخرج مصعب نساءهم وأخرج فيهم أم الطفيل امرأة أبى الطفيل وابنا له صغيراً اسمه يحيى فقال أبو الطفيل فى ذلك

إن يك سيرها مصعب فانى الى مصعب مُذْنب
أقود الكتيبة مستلئما كأنى أخو عُرّة أجرب
علىَّ دِلاص تخيرتها وفى الكف ذو رَونق يقضب

دخل عبد الله بن صفوان على عبد الله بن الزبير وهو يومئذ بمكة فقال أصبحت كما قال الشاعر

فان تصبك من الأيام جائحة لا أبك منك على دنيا ولا دين

قال وما ذاك يا أعرج ؟ قال هذا عبد الله بن عباس يفقه الناس وعبيد الله

أخوه يطعم الناس فما أبقيا لك ؟ فأحفظه ذلك فأرسل الى صاحب شرطته عبد الله ابن مطيع فقال له انطلق الى ابنى عباس فقل لهما أعمدتما الى راية ترابية قد وضعها الله فنصبتماها ؟ بددا عنى جمعكما ومن ضوى اليكما من ضلال أهل العراق والا فعلت ، فقال ابن عباس قل لابن الزبير ثكلتك أمك والله ما يأتينا من الناس غير طالب فقه وطالب فضل فأى هذين تمنع ؟ فقال ابن الطفيل فى ذلك

لا دَرَّ دَرُّ الليالي كيف تُضحكنا ... منها خطوب أعاجيب وتبكينا
ومثل ما تحدث الأيام من غير ... يا ابن الزبير عن الدنيا تُسلينا
كنا نجيء ابن عباس فيَقْبِسنا ... علماً ويَكْسِبنا خيراً ويهدينا
ولا يزال عبيد الله مُتْرَعة ... جفانُه مطعماً ضيفاً ومسكينا
فالبرّ والدين والدنيا بدارهما ... ننال منها الذى نبغى اذا شينا
ان النبى هو النور الذى كشفت ... به عمايات باقينا وماضينا
ورهطه عصمة فى ديننا ولهم ... فضل علينا وحق واجب فينا
ولست فاعلمه أولى منهما رَحِماً ... يا ابن الزبير ولا أَولَى به دينا
ففيم تمنعهم عنـــا وتمنعنا ... منهم وتُؤْذيهمُ فينا وتُؤذينا
لن يُؤْتى الله من أخزى ببغضهمُ ... فى الدين عزاً ولا فى الارض تمكينا

ومن قوله يرثى ابنا له

خلى طُفَيل علىَّ الهم وانشعبا ... وهد ذلك ركنى هَدَّةً عجبا
وابنى سُمَيَّة لا أنساهما أبداً ... فيمن نسيت وكل كان لى وَصَبا
فاملك عزاءك ان رُزْء بُليت به ... فلن يرد بكاء المرء ما ذهبا
وليس يَشفى حزيناً من تذكره ... الا البكاء اذا ما ناح وانتحبا
فاذ سلكت سبيلاً كنت سالكها ... ولا محالة أن يأتى الذى كتبا
فما لبطنِك من رِىّ ومن شبع ... ولا ظَلِلت بنا فى العيش مرتغبا

ومما روى أبو الطفيل أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوَداع يطوف بالبيت الحرام على ناقته ويستلم الركن بمِحْجنه ثم يقبل المحجن ، وقال سمعت علياً عليه السلام يخطب ، وقال سلونى قبل أن تفقِدونى ، فقام اليه ابن الكوَّاء فقال ما الذَّاريات ذَرْواً ؟ قال الرياح ، قال فالجاريات يُسْراً ؟ قال السفن ، قال فالحاملات وِقْراً ؟ قال السحاب ، قال فالمقَسِمات أمراً ؟ قال الملائكة ، قال فمن الذين بدلوا نعمة الله كفراً ؟ قال الأفجران من قريش بنو أمية وبنو مخزوم ، قال فما كان ذو القرْنين أنبياً أم مَلِكاً ؟ قال كان عبداً مؤمناً « أو قال صالحاً » أحب الله وأحبه ، ضرب ضربة على قَرْنه الأيمن فمات ، ثم بعث وضرب ضربة على قرنه الأيسر فمات وفيكم مثله

قال بشر بن مروان لأنس بن زنيم أنشدنى أفضل شعر قالته كنانة ، فأنشده قصيدة أبى الطفيل

أيدعونني شيخاً وقد عشت بَرْهة　　　وهن من الأزواج نحوي نوازع

فقال له بشر صدقت هذا أشعر شعرائكم ، وقال له الحجاج أنشدنى قول شاعركم « أيدعونني شيخاً » ، فأنشده ، فقال قاتله الله منافقاً ما أشعره

قال أبو الطفيل يوماً لم يبق من الشيعة غيري ، ثم تمثل

وخليت سهماً فى الكنانة واحداً　　　سيُرمَى به أو يكسر السهم كاسره

عروة بن أذينة

هو عروة بن أذينة يحيى بن مالك الليثى الكنانى من ليث بن بكر بن عبدمناة ابن كنانة ويكني أبا عامر

شاعر غَزِل مقدم من شعراء أهل المدينة وهو معدود فى الفقهاء والمحدثين ، روى عنه مالك بن أنس وعبد الله بن عمر العدوى وروى جده مالك بن الحرث

عن عليّ قال خرج مع عليّ بن أبي طالب عليه السلام رجل من قومي كان مصطلماً فخرجت في أثره وخشيت انقراض أهل بيته ، فأردت أن أستأذن له من عليّ ، فأدركت علياً بالبصرة وقد هزم الناس ودخل البصرة ، فجئته ، فقال مرحباً بك يا ابن الفقيمية أبدا لك فينا بَداء ؟ قلت والله ان نصرتك لحق واني لعلى ما عهدت أحب العزلة ، ثم ذاكرته أمر ابن عمي ذلك فلم يبعد عنه فكنت آتيه أتحدث اليه ، فركب يوماً يطوف وركبت معه فاني لأسير الى جانبه اذ مررنا بقبر طلحة فنظر اليه نظراً شديداً ، ثم أقبل عليّ فقال أمسى والله أبو محمد بهذا المكان غريباً ثم تمثل

وما تدري وان أزمعت أمراً بأى الأرض يدركك المقيل

والله اني لأكره أن تكون قريش قتلى تحت بطون الكواكب ، فوقع العراقيون يشتمون طلحة وسكت عليّ وسكتُّ حتى اذا فرغوا أقبل عليّ عليه السلام عليَّ فقال إيه يا ابن الفقيمية والله انه وان قلوا ما سمعت لكما قال أخو جُعْفِيّ

فتى كان يدنيه الغنى من صديقه اذا ما هو استغنى ويبعده الفقر

ثم أردت أن أكلمه بشيء ، فقلت يا أمير المؤمنين ، فقال وما منعك أن تقول يا أبا حسن ؟ فقلت أبيت ، فقال والله انها لأحبهما إليَّ لولا الحمق ، ولوددت أني خنقت بحبل قبل أن يفعل عثمان ما فعل ، وما أعتذر من قيام بحق ولكن العاقبة مما ترى كانت خيراً

قال عروة قدمت مع أبي مكة يوم احترقت الكعبة ، فرأيت الخشب وقد خلصت اليه النار ورأيت الركن قد اسود وتصدع من ثلاثة أمكنة ، فقلت ما أصاب الكعبة ؟ فأشاروا الى رجل من أصحاب ابن الزبير ، فقالوا هذا احترقت بسببه أخذ قبساً في رأس رمح فطيرت الرمح منه شيئاً ، فضربت أستار الكعبة فيما بين اليماني الى الأسود

أتى هو وجماعة من الشعراء هشام بن عبد الملك ، فنسبهم ، فلما عرف عروة قال له ألست القائل

لقد علمت وما الإسراف من خُلُقى ... أن الذى هو رزقى سوف يأتيني
أسعى له فيُعنّيني تطلبه ... ولو جلست أتانى لا يعنيني
وان حظ امرىء غيرى سيبلغه ... لابد لابد أن يحتازه دونى
لا أركب الأمر تزْرى بى عواقبه ... ولا يعاب به عرضي ولا ديني
كم من فقير غني النفس تعرفه ... ومن غني فقير النفس مسكين
ومن عدو رمانى لو قصدت له ... لم يأخذ النصف مني حين يرميني
ومن أخ لي طوى كَشْحاً فقلت له ... ان انطواءك عنى سوف يطوِيني
انى لأنطق فيما كان من أربى ... وأكثر الصمت فيما ليس يَعنينى
لا أبتغى وصل من يبغى مفارقتى ... ولا ألين لمن لا يشتهى لينى

فقال له ابن أذينة نعم ، أنا قائلها ، قال أفلا قعدت فى بيتك حتى يأتيك رزقك ، وغفل عنه هشام ، فخرج من وقته وركب راحلته ومضى منصرفاً ، ثم افتقده هشام فعرف خبره وأتبعه بجائزة وقال للرسول قل له أردت أن تكذبنا وتصدق نفسك ، فمضى الرسول فلحقه وأبلغه رسالته ودفع اليه الجائزة فقال قل له قد صدقني ربى

وقال له ابن عائشة المغنى قل لى أبياتاً هزجاً أغني فيها فقال

سليمى أجمعت بينا ... فأين تقولها أينا
وقد قالت لأتراب ... لها زُهْر تلاقينا
تعالَيْنَ فقد طاب ... لنا العيش تعالَيْنا
وغاب البَرَم الليلة والعين فلا عينا
فأقبلن اليها مسرعات يتهادينا

الى مثل مهاة الرمـــل تكسو المجلس الزينا
تمنين منـــاهن فكنـــا ما تمنينا

وقفت سكينة بنت الحسين على عروة بن أذينة فقالت يا أبا عامر أنت الذي تزعم أن لك مروءة وأن غزلك من وراء عفة وانك تقي ؟ قال نعم ، قالت أفأنت الذي تقول ؟

قالت وأبثثتها وجدي فبحت به ... قد كنت عندي تحب الستر فاستتر
ألست تبصر من حولي ؟ فقلت لها ... غطى هواك وما ألقى على بصري

قال لها بلى ، فقالت جواري حرائر ان كان هذا خرج من قلب سليم

ومرت به امرأة فقالت له أأنت الذي يقول الناس انك امرؤ صالح وأنت الذي تقول

اذا وجدت أوار الحب في كبدي ... عمدت نحو سقاء الماء أبترد
هبني بردت ببرد الماء ظاهره ... فمن لحر على الأحشاء يتقد

ومن شعره

ان التي زعمت فؤادك ملها ... جعلت هواك كما جعلت هوى لها
فبك الذي زعمت بها وكلا كما ... يبدي لصاحبه الصبابة كلها
ويبيت بين جوانحي حب لها ... لو كان تحت فراشها لأقلها
ولعمرها لو كان حبك فوقها ... يوماً وقد ضحيت اذاً لأظلها
واذا وجدت لها وساوس سلوة ... شفع الفؤاد الى الضمير فسلها
بيضاء باكرها النعيم فصاغها ... بلباقة فأدقهـــا وأجلها
لمـــا عرضت مسلماً لي حاجة ... أرجو معونتها وأخشى دلها
منعت تحيتها فقلت لصاحبي ... ما كان أكثرها لنا وأقلها
فدنا فقال لعلهـــا معذورة ... من أجل رقبتها ، فقلت لعلها

لما سمع هذا البيت أبو السائب المخزومى قال أحسن والله ، هـذا والله الدائم العهد الصادق الصبابة لا الذي يقول

ان كان أهلك يمنعونك رغبة عنى فأهلى بى أضنّ وأرغب

اذهب لا صحبك الله ولا وسع عليك (يعني قائل هـذا البيت) لقـد عدا الأعرابى طوره وانى لأرجو أن يغفر الله لعروة لحسن ظنه بها وطلب العذر لها

ومن قوله وفيه غناء

لبثوا ثلاث منًى بمنزل غِبطة وهمُ على غرض لعمرُك ماهمُ
ولهن بالبيت العتيق لُبـانة والبيت يعرفهن لو يتكلم
لو كان حيًا قبلهن ظعائناً حيًا الحطيمُ وجوههن وزمزم
وكأنهن وقد حسَرن لواغبا بَيْض بأكناف الحَطِيم مُركَّم

قيل لأبى السائب ما أحسن عروة حيث يقول (الابيات السابقة) فقال لا والله ما أحسن ولا أجمل ولـكنه أهجر وأخطل فى صفتهن بهذه الصفة ثم لا يندم على رحيلهن أهكذا قال كثير حيث يقول

تفرق أهواء الحجيج على منى وصدّعهم شعب النوى صبح أربع
فريقان منهم سالك بطن نخلة وآخر منهم سالك بطن تضرع
فلم أر داراً مثلها دار غبطة وملقًى اذا التف الحجيج بمجمع
أقل مقيماً راضـــياً بمكانه وأكثر جاراً ظاعناً لم يودع

انظر اليه كيف تقدمت شهادة علمه وكنى لسانه ببيانه ، وهـل يغتبط عاقل بمقام لايرضى به ، ولـكن مكره أخوك لا بطل ، والعرْجى كان أوفى منهما وأولى بالصواب حين تعرض لها نافرة من منى فقال لها عاتباً مستكيناً

عوجى علىّ فسلمى جبرُ فيم الصـدود وأنتم سفْر
ما نلتقى إلا ثلاث منى حتى يفرق بيننا النفر

قال خالد صامة قدمت على الوليد بن يزيد فدخلت اليه وهو بمجلس ناهيك به وهو على سرير فغنيته

سرى همي وهم المرء يسري   وغار النجم الا قِيدَ فِتْرِ
أراقب في المَجَرّة كل نجم   تعرض للمجرة كيف يجرى
لِهَمٍّ ما أزال له مُديماً   كأن القلب أُضرم حرَّ جمر
على بكر أخي ولي حميداً   وأى العيش يصلح بعد بكر

فقال لي الوليد أعد ياصام ، ففعلت ، فقال لي من يقول هذا الشعر ؟ قلت عروة بن أذينة يرثى أخاه بكراً ، فقال لى وأى العيش لايصفو بعده ؟ هذا العيش والله الذى نحن فيه على رغم أنفه والله لقد تحجر واسعا

وروى أن سكينة بنت الحسين عليه السلام أنشدت هذا الشعر فقالت من بكر هـذا ؟ أليس هو الأسود الدحداح الذى كان يمر بنا ؟ قالوا نعم ، فقالت لقد طاب كل شىء بعده حتى الخبز والزيت

المتوكل الليثى

هو المتوكل بن عبد الله الليثى الكنانى من ليث بن بكر يكنى أبا جهيمة شاعر من شعراء الاسلام وهو من أهل الكوفة ، كان فى عصر معاوية وابنه يزيد ومدحهما

قدم الأخطل الكوفة ، فنزل على قبيصة بن والق ، فقال المتوكل لرجل من قومه انطلق بنا الى الأخطل نستنشده ونسمع من شعره ، فأتياه فقالا أنشدنا يا أبا مالك ، فقال انى لخاثر يومى هذا ، فقال المتوكل أنشدنا أيها الرجل فوالله لا تنشدنى قصيدة الا أنشدتك مثلها أو أشعر منها من شعري ، قال ومن أنت ؟ قال أنا المتوكل ، قال أنشدنى ويحك من شعرك ، فأنشده

للغانيات بذي المجاز رسوم   فببطن مكة عهدهن قديم
فبمنحر البُدْن المقلد من منًى   حلل تلوح كأنهن نجوم
لا تنه عن خلق وتأتي مثله   عارٌ عليك اذا فعلت عظيم

وأنشده

الشعر لب المرء يعرضه   والقول مثل مواقع النَّبل
منها المقصر عن رَمِيَّته   ونوافذ يَذْهبن بالخُصُلْ

وأنشد

انا معشر خلقنا صدوراً   من يسوي الصدور بالأذناب

فقال له الأخطل ويحك يا متوكل لو نبحت الخمر في جوفك كنت أشعر الناس

كان للمتوكل امرأة يقال لها أم بكر ، فأقعدت ، فسألته الطلاق ، فقال لها ليس هذا حين طلاق ، فأبت عليه فطلقها ثم انها برئت بعد الطلاق فقال في ذلك

طربت وشاقني يا أم بكر   دعاء حمامة تدعو حماما
فبت وبات همي لي نجيًا   أعزى عنك قلباً مستهاما
اذا ذكرت لقلبك أم بكر   يبيت كأنما اغتبق المداما
خَدَلَّجة ترِفّ غروب فيها   وتكسو المتن ذا خُصَل سِخاما
أبى قلبي فما يهوى سواها   وان كانت مودتها غراما
ينام الليل كل خليّ هم   وتأتي العينَ منحدر سجاما
على حين ارعويت وكان رأسي   كأن على مفارقه ثغاما
سعى الواشون حتى أزعجوها   ورثّ الحبل فانجذم انجذاما
فلست بزائل ما دمت حياً   مُسِرًّا من تذكرها هُياما
ترجيها وقد شَحَطَت نواها   ومنَّتك المنى عاماً فعاما
خَدَلَّجة لها كفَل وثير   ينوء بها اذا قامت قياما

مُخَصَّرة ترى في الكشح منها على تثقيل أسفلها انهضاما
اذا ابتسمت تلألأ ضوء برق تهلل في الدُّجُنَّة ثم داما
وان قامت تأمل رائياها غمامة صَيِّف ولجت غماما
اذا تمشي تقول دَبيبُ شول تعرَّج ساعة ثم استقاما
وان جلست فدُمْيَة بيت عيد تصان ولا ترى الا لماما
فلو أشكو الذي أشكو إليها الى حجر لراجعني الكلاما
أحب دنوّها ونحب نأبي وتعتام التنائي لي اعتياما
كأني من تذكر أم بكر جريح أسنة يشكو كلاما
تساقط أنفساً نفسي عليها اذا شحطت وتغتم اغتماما
غَشيت لها منازل مقفراتٍ عفت الا الأَياصر والثُّماما
ونؤيا قد تهدم جانباه ومبناه بذي سلم خياما
صليني واعلمي أني كريم وان حلاوتي خلطت عُراما
واني ذو مُجامحة صليب خلقت لمن يعاكسني لجاما
فلا وأبيكِ لا أنساكِ حتى تجاوب هامتي في القبر هاما

وفي امرأته هذه يقول ويمدح حوشبا الشيباني

أجدّ اليوم جيرتك احتمالا وحث حداتهم بهمُ عِجالا
وفي الأظعان آنسة لعوب ترى قتلي بغير دم حلالا
أمية يوم دير القسّ ضنت علينا أن تنولنا نوالا
اذا وعدتك معروفاً لوته وعجلت التجرم والمطالا
لها بَشَر نقي اللون صافٍ ومَتْن خُطّ فاعتدل اعتدالا
اذا تمشي تأوّد جانباها وكاد الخصر ينخزل انخزالا
تنوء بها روادفها اذا ما وِشاحاها على المتنين جالا
فان تُصبح أميمة قد تولت وعاد الوصل صرماً واعتلالا

فقد تدنو النوى بعد اغتراب ... بها وتفرق الحي الحلالا
تعبس لي أميمة بعد أنس ... فما أدرى أسخطاً أم دلالا
أبيني لي فرب أخ مُصافٍ ... رزئت وما أحب به بدالا
أصَرْم منك هذا أم دلال ... فقد عَنّى الدلال إذاً وطالا
أم استبدلت بي ومَلِلْت وصلي ... فبوحي لى به ودعي المحالا
فلا وأبيكِ ما أهوى خليلا ... أقاتله على وصلى قتالا
وكم من كاشح يا أم بكر ... من البغضاء يأتكل ائتكالا
لبست على قناع من أذاه ... ولولا اللهُ كنت له نكالا
أنا الصقر الذى حدثتِ عنه ... عتاق الطير تندحل اندحالا
رأيت الغانيات صدفن لما ... رأين الشيب قد شمل القذالا
فلم يَلْوُوا اذا رحلوا ولكن ... تولت عِيرهم بهم عجالا

ومنها يهجو عكرمة بن رِبْعِيّ الذى يقال له الفياض ، وكان قد مدحه فحرمه علانية ، ثم بعث اليه بأربعة آلاف درهم ، فأبى أن يقبلها وقال حرمنى على رءوس الناس ويبعث إليَّ سراً

أقلنى يا ابن ربعى ثنائى ... وهبها ملحة ذهبت ضلالا
وهبها مدحة لم تغن شيئاً ... وقولاً عاد أكثره وبالا
وجدنا العز من أولاد بكر ... الى الذُهلين ترجع والفَعالا
أعكرمَ كنت كالمبتاع داء ... رأى بيع الندامة فاستقالا
بنو شيبان أكرم آل بكر ... وأمتنهم اذا عقدوا حبالا
رجال أُعطيت أحلام عاد ... اذا نطقوا وأيديها الطوالا
وتيم الله حى حى صدق ... ولكن الرحا تعلو الثِّفالا

هجا معن بن جميل أحد بنى لقيط بن يَعْمُر المتوكلَ الليثى ، وبلغ ذلك المتوكل فترفع على أن يجيبه ، ومكث معن سنين يهجوه ، والمتوكل معرض عنه ، ثم هجاه

بعد ذلك وهجا قومه من بنى الديل هجاء قذعاً استحيا منه وندم ، ثم قال المتوكل لقومه يعتذر ويمدح يزيد بن معاوية

خليلى عوجا اليوم وانتظرانى   فان الهوى والهم أمُّ أبان
هى الشمس يدنولى قريباً بعيدها   أرى الشمس ما أسطيعها وترانى
نأت بعد قرب دارها وتبدلت   بنا بدلاً والدهر ذو حدَثان
فهاج الهوى والشوق لى ذكر حرة   من المرجَحِنَّات الثقال حَصان
سيعلم قومى أننى كنت سورة   من المجد ان داعى المنون دعانى
ألا رب مسرور بموتى لو أنى   وآخر لو أُنعَى له لبكانى
خليلى مالام امرأ مثلُ نفسه   اذا هى قامت فاربعا ودعانى
ندمت على شتمى العشيرة بعدما   تغنى بها عود وحن يمانى
قلبت لهم ظهر المِجَنّ وليتنى   رجعت بفضل من يدى ولسانى
على أنى لم أرم فى الشعر مسلماً   ولم أَهجُ الامن روى وهجانى
همُ بطِروا الحلم الذى من سجيتى   وبدات قومى شدة بِلِيان
ولو شئتمُ أولاد وهب نزعتمُ   ونحن جميعاً شملنا أخوان
نهيتم أخاكم عن هجائى وقد مضى   له بعد حول كامل سنتان
فلجّ ومنّاه رجال رأيتهم   اذا صارمونى يكرهون قرانى
وكنت امرأ يأبى لى الضيم أننى   صَروم اذا الأمر المهم عنانى
وصول صروم لا أقول لمدبر   هلُمّ اذا ما اغتشّنى وعصانى
خليلى لو كنت امرأ بى سقطة   تضعضعت أو زلت بى القدمان
أعيش على بغى العداة ورغمهم   وآتى الذى أهوى على الشنآن
ولكننى ثبت المروءة حازم   اذا صاح طلابى ملأت عنانى
خليلى كم من كاشح قد رميته   بقافية مشهورة ورمانى

فكان كذات الحيض لم تبق ماءها ... ولم تُنق عنها غسلها لأوان

ثم أنه يقول فيها ليزيد بن معاوية

أبا خالد حنّتْ اليك مطيتي ... على بعد منتاب وهول جنان

أبا خالد فى الأرض نأى ومفسح ... لذى مِرَّة يرمى به الرَّجوان

فكيف ينلم الليل حر عطاوه ... ثلاث لرأس الحول أو مثنان

تنأت قلوصى بعد اساد ذى السرى ... الى ملك جزْل العطاء هِجان

ترى الناس أفواجاً ينوبون بابه ... لبِكْر من الحاجات أو لعوان

فأجابه معن بن جميل فقال

ندمت كذاك العبد يندم بعدما ... غُلبت وسار الشعر كل مكان

ولاقيت قرْماً فى أرومة ماجد ... كريماً عزيزاً دائم الخطَران

أنا الشاعر المعروف وجهى ونسبتى ... أعف وتحميني يدى ولسانى

وأغلب من هاجيت عفواً وانني ... الى معشر بيض الوجوه حسان

فهات اذاً يا ابن الأتان كصاحب الـــملوك ... أبى أوَ سيد كمهان

فهات كزيد أو كسيحان لاتجد ... لهم كفؤا أو يبعث الثقلان

قيس بن ذريح

هو قيس بن ذَرِيح الكنانى من ليث بن بكر

كان رضيع الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما أرضعته أم قيس ،
كان منزل قومه فى ظاهر المدينة وكان هو وأبوه من حاضرة المدينة

مرَّ لبعض حاجته بخيام بنى كعب بن خُزاعة فرأى لُبنى بنت الحباب الكعبية فاستسقى ماء فسقته وخرجت اليه ، وكانت امرأة مديدة القامة شهلاء حلوة المنظرِ والكلام ، فلما رآها وقعت فى نفسه ، وشرب الماء ، فقالت له أتنزل فتتبرد عندنا ؟

قال نعم ، فنزل بهم وجاء أبوها فنحر له وأكرمه ، فانصرف قيس وفي قلبه من لُبنى حر لا يطفأ ، فجعل ينطق بالشعر فيها حتى شاع ورُوِى ، ثم أتاها يوماً آخر وقد اشتد وجده بها ، فسلم ، فظهرت له وردت سلامه وتحفّت به ، فشكا اليها ما يجد منها وما يلقى من حبها وشكت اليه مثل ذلك فأطالت وعرف كل منهما ماله عند صاحبه ، فانصرف الى أبيه وأعلمه حاله وسأله أن يزوجه إياها ، فأبى عليه وقال يابني عليك باحدى بنات عمك فهن أحق بك ، وكان ذَرِيح كثير المال موسراً فأحب ألاَّ يخرج ابنه الى غريبة ، فانصرف قيس وقد ساءه ما خاطبه به أبوه فأتى أمه فشكا ذلك اليها ، واستعان بها على أبيه ، فلم يجد عندها مايحب ، فأتى الحسين بن على بن أبى طالب وابن أبي عتيق فشكا اليهما ما به ومارد عليه أبوه ، فقال له الحسين أنا أكفيك ، فمشى معه الى أبى لُبنى ، فلما بصر به أعظمه ووثب اليه وقال يا ابن رسول الله ما جاء بك ؟ ألا بعثت اليَّ فأتيتك ؟ قال ان الذى جئت فيه يوجب قصدك وقد أتيتك خاطباً ابنتك لبني لقيس بن ذَرِيح ، فقال يا ابن رسول الله ما كنا لنعصى لك أمراً ، وما بنا عن الفتى رغبة ولكن أحب الأمر الينا أن يخطبها أبوه ذَرِيح الينا أو أن يكون ذلك عن أمره ، فانا نخاف إن لم يسع أبوه فى ذلك أن يكون عاراً وسُبَّة علينا ، فأتى الحسين رضى الله عنه ذريحاً وقومه وهم مجتمعون فقاموا اليه اعظاماً له وقالوا له مثل قول الخزاعيين ، فقال لذريح أقسمت عليك ألا خطبت لبنى لابنك قيس ، قال السمع والطاعة لأمرك ، فخرج معه فى وجوه من قومه حتى أتوا لبنى فخطبها ذريح على ابنه الى أبيها فزوجه إياها وزُفت اليه بعد ذلك فأقامت معه مدة لا ينكر أحدهما من صاحبه شيئاً ، وكان أبرَّ الناس بأمه فألهته لُبنى وعكوفه عليها عن بعض ذلك ، فوجدت أمه فى نفسها وقالت لقد شغلت هذه المرأة ابني عن برّى ولم تر للكلام فى ذلك موضعاً حتى مرض قيس مرضاً شديداً ، فلما برأ من علته قالت أمه لأبيه لقد خشيت أن يموت قيس وما يترك خلفاً وقد حرم الولد من هذه المرأة وأنت ذو مال فيصير مالك الى

الـكلالة فزوجه بغيرها لعل الله أن يرزقه ولداً وألحت عليه فى ذلك ، فأمهل قيساً حتى اذا اجتمع قومه دعاه فقال ياقيس انك اعتللت هذه العلة نخفت عليك ولا ولد لك ولا لى سواك وهذه المرأة ليست بولود فتزوج احدى بنات عمك لعل الله أن يهب لك ولداً تقرّ به عينك وأعيننا ، فقال قيس لست متزوجاً غـيرها أبداً ، فقال له أبوه فان في مالي سعة فتسرَّ بالاماء ، قال ولا أسوءها بشيء أبداً والله ، قال أبوه فانى أقسم عليك إلاّ طلقتها ، فأبى وقال الموت والله أسهل علىَّ من ذلك ولـكنى أخيرك خصلة من ثلاث خصال ، قال وماهى ؟ قال تتزوج أنت فلعل الله يرزقك ولداً غيرى ، قال فما فيَّ فضلة لذلك ، قال فدعنى أرتحل عنك بأهلى واصنع ما كنت صانعاً لو متُّ فى علتى هـذه ، قال ولا هذه ، قال فأدَعُ لُبنى عنـدك وأرتحل عنك فلعلى أسلوها فاني ما أحب بعدُ أن تـكون نفسى طيبة انها في خيالى ، قال لا أرضى أو تطلقها وحلف لا يكنه سقف بيت أبداً حتى يطلق لبنى فـكان يخرج فيقف فى حر الشمس ويجيء قيس فيقف الى جانبه فيُظله بردائه ويَصْلَى هو بحر الشمس حتى يفَيء الفَيء فينصرف عنه ويدخل الى لبنى فيعانقها وتعانقه ويبكي وتبكي معه وتقول له ياقيس لاتطع أباك فتهلك وتهلـكنى ، فيقول ما كنت لأطيع فيك أحداً أبداً ، فيقال انه مكث كذلك سـنة ، ثم هجره أبواه فصار يستأذن عليهما فيردانه حتى طلقها ، فلما بانت لبنى بطلاقه اياها وفرغ من الـكلام لم يلبث حتى استطير عقله وذهب به ولحقه مثل الجنون وتذكر لبنى وحالها معه فأسف وجعل يبكي وينشج أحرَّ نشيج ، وبلغها الخبر فأرسلت الى أبيها ليحتملها ، فأقبل أبوها بهودج على ناقة وبابل تحمل أثاثها ، فلما رأى ذلك قيس أقبـل على جاريته فقال ويحك ما دهانى فيكم ؟ فقالت لا تسألنى وسل لبنى ، فذهب ليُلِمّ بخبائهـا فمنعه قومها ، فأقبلت عليه امرأة من قومه فقالت له مالك ويحك ، تسأل كأنك جاهل أو تتجاهل ، هذه لبنى ترتحل الليلة أو غداً ، فسقط مغشياً عليه لا يعقل ثم أفاق وهو يقول

وانى لمفن دمع عينى بالبكا　　حذار الذي قد كان أوهو كائن
وقالوا غداً أو بعد ذاك بليلة　　فراق حبيب لم يبن وهو بائن
وما كنت أخشى أن تكون منيتى　　بكفيك إلا أن ما حان حائن

وقال

يقولون لبنى فتنة كنت قبلها　　بخير فلا تندم عليها وطلق
فطاوعت أعدائى وعاصيت ناصحي　　وأقررت عين الشامت المتخلق
وددت وبيت الله أنى عصيتهم　　وحملت فى رضوانها كل موثق
وكلفت خوض البحر والبحر زاخر　　أبيت على أثباج موج مغرق
كأني أرى الناس المحبين بعدها　　عصارة ماء الحنظل المتفلق
فتنكر عينى بعدها كل منظر　　ويكره سمعى بعدها كل منطق

وسقط غراب قريباً منه فجعل ينعق مراراً فتطير منه وقال

لقد نادى الغراب ببين لبنى　　فطار القلب من حذر الغراب
وقال غدا تباعد دار لبنى　　وتنأى بعد ود واقتراب
فقلت تعست ويحك من غراب　　وكان الدهر سعيك فى تباب

وقال أيضاً وقد منعه قومه من الالمام بها

ألا ياغراب البين ويحك نبّنى　　بعلمك فى لبنى وأنت خبير
فان أنت لم تخبر بما قد علمته　　فلا طرت الا والجناح كسير
ودرت بأعداء حبيبك فيهم　　كما قد ترانى بالحبيب أدور

وقال أيضاً وقد أدخلت هودجها ورحلت وهى تبكى ويتبعها

ألايا غراب البين هل أنت مخبرى　　بخير كما خبرت بالنأى والشر
وقلت كذاك الدهر ما زال فاجعاً　　صدقت وهل شيء بباق على الدهر

فلما ارتحل قومها اتبعها ملياً ، ثم علم أن أباها سيمنعه من المسير معها فوقف

ينظر اليهم ويبكي حتى غابوا عن عينه فكر راجعاً ونظر الى أثر خف بعيرها فأكب عليه يقبله ورجع يقبل موضع مجلسها وأثر قدمها فليم على ذلك وعنفه قومه فقال

وما أحببت أرضكمُ ولكن أقبل إثر من وطىء الترابا
لقد لاقيت من كَلَفي بلبنى بلاء ما أُسيغ له شرابا
اذا نادى المنادى باسم لبنى عَيِيت فما أطيق له جوابا

وقال وقد نظر الى آثارها

ألا يا ربع لُبنى ما تقول أَبِنْ لي اليوم ما فعل الحُلول
فلو أن الديار تجيب صَبّاً لرد جوابي الربع المُحيل
ولو أني قدرت غداة قالت ودرت وماء مقلتها يسيل
نحرت النفس حين سمعت منها مقالتها وذاك لها قليل
شفيت غليل نفسى من فعالي ولم أغبر بلا عقل أجول
كأني واله بفراق لُبنى تهيم بفقد واحدها ثَكول
ألا ياقلب ويحك كن جليداً فقد رحلت وفات بها الذَّميل
فانك لاتُطيق رجوع لُبنى اذا رحلت وان كثر العويل
وكم قد عشت كم بالقرب منها ولكن الفراق هو السبيل
فصبرًا كل مؤتلفين يوماً من الأيام عيشهما يزول

فلما جن عليه الليل انفرد وأوى الى مضجعه لم يأخذه القرار وجعل يتململ فيه تململ السليم ، ثم وثب حتى أتى موضع خبائها ، فجعل يتمرغ فيه ويبكى ويقول

بت والهم يالُبينى ضجيعى وجرت مذ نأيت عني دموعى
وتنفست اذ ذكرتك حتى زالت اليوم عن فؤادى ضلوعى
أتناساك كى يَريع فؤادي ثم يشتد عند ذاك ولوعى
يالُبينى فدتك نفسى وأهلى هل لدهر مضى لنا من رجوع

ومما قاله فى ظعنها

أيا كبداً طارت صدوعاً نوافذاً ... ويا حسرتا ماذا تغلغل فى القلب
فأقسم ما عُمْشُ العيون شوارف ... روائم بَوٍّ حانمات على سَقْبِ
تشممنه لو يستطعن ارتشفنه ... اذا سُفْنه يزددن نكباً على نكب
رئمن فما تنحاش منهن شارف ... وحاولن حبساً فى المحول وفى الجدب
بأوجدَ مني يوم بانت حمولها ... وقدطلعت أولى الركاب من النقب
وكل ملمات الزمان وجدتها ... سوى فرقة الأحباب هينة الخطب

خرج قيس فى فتية من قومه واعتل على أبيه بالصيد فأتى بلاد لُبنى ، فجعل يتوقع أن يراها أو يرى من يرسل اليها ، فاشتغل الفتيان بالصيد ، فلما قضَوْا وطرهم منه رجعوا اليه وهو واقف ، فقالوا له قد عرفنا ما أردت باخراجنا معك وأنك لم تُرِد الصيد وانما أردت لقاء لبنى وقد تعذر عليك فانصرف الآن ، فقال

وما حائمات حُمْنَ يوماً وليلة ... على الماء يَغْشَيْنَ العصىَّ حوَانِ
عوافي لا يصدُرن عنه لوجهة ... ولا هن من برد الحياض دوان
يَرَيْن حباب الماء والموت دونه ... فهن لأصوات السُّقاة رَوان
بأجهدَ مني حرَّ شوق ولوعة ... عليك ولكن العدو عدانى
خليلى انى ميت أو مكلم ... لبينى بسرى فامضيا وذَرانى
أنَلْ حاجتي وحدى ويارب حاجة ... قضيت على هول وخوف جنان
فانى أحق الناس ألاَّ تجاورا ... وتطَّرحا من لو يشاء شفانى
ومن قادنى للموت حتى اذا صفت ... مشاربه السم الذُّعاف سقانى

وجعل قيس يعاتب نفسه فى طلاقه لبنى ويقول فألاَّ رحلت بها عن بلده فلم أرَ ما يفعل ولم يرَنى ؟ فكان اذا فقدنى أقلع عما يفعله واذا فقدته لم أخرج من فعله ، وما كان لو اعتزلته وأقمت فى حيها أو فى بعض بوادى العرب أو عصيته

فلم أطعه ، هذه جنايتي على نفسى فلا لوم على أحد وها أنا ذا ميت مما فعلته فمن يرد روحي إليَّ وهل سبيل الى لبنى بعد الطلاق ؟ وكلما قرع نفسه وأنبها بلون من التقريع والتأنيب بكى أحر بكاء، وألصق خده بالأرض ووضعه على آثارها وقال

ويلي وعولي عليها حين تلفتني — من بعد ما أحرزت كفي بها الظفرا
قد قال قلبي لطرفي وهو يعذله — هذا جزاؤك مني فا كدم الحجرا
قد كنت أنهاك عنها لو تطاوعني — فاصبر فما لك فيها أجر من صبرا

وقال أيضاً

بانت لبينى فأنت اليوم متبول — والرأى عندك بعد الحزم مخبول
أستودع الله لبنى اذ تفارقني — بالرغم مني وقول الشيخ مفعول
وقد أرانى بلبنى حق مقتنع — والشمل مجتمع والحبل موصول

وقال

ألا ليت لُبنى فى خلاء تزورنى — فأشكو اليها لوعتى ثم ترجع
صحا كل ذى لب وكل متيم — وقلبي بلُبنى ما حييت مروَّع
فيا من لقلب ما يُفيق من الهوى — ويا من لعين بالصبابة تدمع

وقال فى ليلته تلك

قد قلت للقلب لا لُبناك فاعترف — واقض اللُّبانة ما قضيت وانصرف
قد كنت أحلف جهداً لا أفارقها — أُفّ لكثرة ذاك القيل والحلف
حتى تكنفني الواشون فافتلتت — لا تأمنن أبداً من غش مكتنف
هيهات هيهات قد أمست مجاورة — أهل العقيق وأمسينا على سَرَف
حى يمانون والبطحاء منزلنا — هذا لعمرك شمل غير مؤتلف

فلما أصبح خرج متوجهاً نحو الطريق الذى سلكته يتنسم روائحها ، فسنحت له ظبية فقصدها ، فهربت منه ، فقال

ألا يا شبه لُبنى لا تُراعى ... ولا تتيمى قُلَل القلاع

وهى قصيدة طويلة يقول فيها

فوا كبدي وعاودنى ودَاعى ... وكان فراق لُبنى كالخداع

تكنفني الوشاة فأزعجونى ... فيا للَّهَ للواشى المطاع

فأصبحت الغداة ألوم نفسى ... على شيء وليس بمستطاع

كمغبون يعضّ على يديه ... تبين غَبْنه بعد البياع

بدار مَضيعة تركتك لُبنى ... كذاك الحَيْنُ يهْدِى للمضاع

وقد عشنا نلذّ العيش حيناً ... لو آن الدهر للانسان واع

ولكن الجميع الى افتراق ... وأسباب الحتوف لها دواع

وبعثت أمه بفتيات من قومه اليه يعبن اليه لُبنى ويعبنه بجزعه وبكائه، فأتينه فاجتمعن حواليه وجعلن يمازحنه ويعبن لُبنى عنده ويعيرنه بما يفعله، فلما أطلن أقبل عليهن وقال

يقرّ بعيني قربها ويزيدنى ... بها كَلَفاً من كان عندى يعيبها

وكم قائل قد قال تب فعصيته ... وتلك لعمرى توبة لا أتوبها

فيا نفس صبراً لست والله فاعلمي ... بأول نفس غاب عنها حبيبها

ثم اجتمع النسوة فأطلن الجلوس عنده ومحادثته وهو ساه عنهن، ثم نادى يا لُبنى، فقلن له مالك ويحك؟ فقال خَدِرت رجلى «ويقال ان دعاء الانسان باسم أحب الناس اليه يذهب عنه خَدَر الرجل فناديتها لذلك» وقال

اذا خَدِرت رجلى تذكرت من لها ... فناديت لُبنى باسمها ودعوت

دعوت التى لو أن نفسى تطيعني ... لفارقتها من حبها وقضيْت

بَرَت نبلها للصيد لبنى ورَيَّشتْ ... ورَيَّشتُ أخرى مثلها وبَرَيت

فلما رمتني أقصدتني بسهمها ... وأخطأتها بالسهم حين رميت

وفارقت لبنى ضلة فكأنني ... قربت الى العيّوق ثم هويت
فيا ليت أني مت قبل فراقها ... وهل ترجعن فوت القضية ليتُ
فصرت وشيخي كالذى عثّرت به ... غداة الوغى بين العداة كُميت
فقامت ولم تضرر هزالا سوية ... وفارسها تحت السنابك ميّت
فان يك تهيامى بلُبنى غواية ... فقد ياذَريح بن الحباب غويت
فلا أنت ما أملت فيَّ رأيته ... ولا أنا لبنى والحياةَ حويت
فوطن لهلكى منك نفساً فنني ... كأنك بى قد ياذريح قضيت

مرض قيس فسأل أبوه فتيات الحى أن يعدُنه ويحدثنه لعله يتسلى أو يعلق بعضهن ، ففعلن ذلك ودخل اليه طبيب ليداويه والفتيات معه ، فلما اجتمعن عنده جعلن يحادثنه وأطلن السؤال عن سبب علته ، فقال

عيد قيس من حب لبنى ولبنى ... داء قيس والحب داء شديد
واذا عادنى العوائد يوماً ... قالت العين لا أرى من أريد
ليت لبنى تعود ثم أقضّى ... انها لا تعود فيمن يعود
ويح قيس لقد تضمن منها ... داء خبل فالقلب منه عميد

فقال له الطبيب منذ كم هذه العلة ؟ ومنذ كم وجدت بهذه المرأة ما وجدت ؟ فقال قيس

تعلق روحى روحها قبل خلقنا ... ومن بعد ما كنا نطافاً وفى المهد
فزاد كما زدنا فأصبح نامياً ... وليس اذا متنا بمنصرم العهد
ولكنه باق على كل حادث ... وزائرنا فى ظلمة القبر واللحد

فقال له الطبيب ان مما يسليك عنها أن تتذكر ما فيها من المعايب والمساوى فان النفس تنبو حينئذ وتسلو ويخف ما بها ، فقال

اذا عبتها شبهتها البدر طالعاً ... وحسبك من عيب لها شبه البدر

لقد فضلت لُبنى على الناس مثل ما … على ألف شهر فضلت ليلة القدر

اذا ما مشت شبراً من الأرض أرجفت … من البهر حتى ما تزيد على شبر

لها كفل يرتج منها اذا مشت … ومتن كغصن البان مضطمر الخصر

ودخل عليه أبوه وهو يخاطب الطبيب بهذه المخاطبة ، فأنبه ولامه وقال له يا بنيّ اتق الله فى نفسك ان دمت على هذا الحال ، فقال

وفى عروة العذْرى ان مت أسوة … وعمرو بن عجلان الذى قتلت هند

وبى مثل ما ماتا به غير أنني … الى أجل لم يأتنى وقته بعد

هل الحب الا عبرة بعد زفرة … وحر على الأحشاء ليس له برد

وفيض دموع تستهل اذا بدا … لنا علم من أرضكم لم يكن يبدو

فلما طال على قيس ما به أشار قومه على أبيه بأنه يزوجه امرأة جميلة فلعله يسلو بها عن لُبنى ، فدعاه الى ذلك ، فأباه وقال

لقد خفت ألا تقنع النفس بعدها … بشيء من الدنيا وان كان مقنعا

وأزجر عنها النفس اذ حيل دونها … وتأبى اليها النفس الا تطلعا

فأعلمهم أبوه بما رد عليه ، قالوا فمره بالمسير فى أحياء العرب والنزول عليهم فلعل عينه تقع على امرأة تعجبه ، فأقسم عليه أبوه أن يفعل ، فسار حتى نزل بحى من فزارة ، فرأى هناك جارية حسناء قد حسرت برقع خزّ عن وجهها وهى كالبدر ليلة تمامه ، فقال لها ما اسمك يا جارية ؟ فقالت لُبنى ، فسقط على وجهه مغشياً عليه ، فنضحت على وجهه ماء وارتاعت لما عراه ، ثم قالت ان لم يكن هذا قيس بن ذريح انه لمجنون ، فأفاق ، فنسبته فانتسب ، فقالت قد علمت انك قيس ولكن نشدتك بالله وبحق لُبنى الا أصبت من طعامنا ، وقدمت اليه طعاماً ، فأصاب منه باصبعه وركب ، فأتى على أثره أخ له كان غائباً فرأى مناخ ناقته ، فسألهم عنه ، فأخبروه ، فركب حتى رده الى منزله وحلف عليه ليقيمن عنده شهراً ، فقال لقد شققت عليّ

ولكني سأتبع هواك والفزارى يزداد اعجاباً بحديثه وعقله وروايته ، فعرض عليه الصهر ، فقال ياهذا ان فيك لرغبة ولكني في شغل لاينتفع بى معه ، فلم يزل يعاوده والحى يلومونه ويقولون له قد خشينا أن يصير علينا فعلك سبة ، فقال دعونى ففى هذا الفتى يرغب الكرام ، فلم يزل به حتى أجابه وعقد الصهر بينه و بينه على أخته المسماة لبنى وقال أنا أسوق عنك صداقها ، فقال أنا والله يا أخى أكثر قومى مالاً فما حاجتك الى تكلف هذا ، وأنا سائر الى قومى وسائق اليها المهر ، ففعل وأعلم أباه الذى كان منه فسره وساق المهر عنه ورجع الى الفزاريين حتى أدخلت عليه زوجته فلم يروه هش اليها ولا دنا منها ولا خاطبها بحرف ولا نظر اليها وأقام على ذلك أياماً كثيرة ثم أعلمهم أنه يريد الخروج الى قومه أياماً فأذنوا له فى ذلك ، فمضى لوجهه الى المدينة ، وكان له صديق من الأنصار بها فأتاه فأعلمه الأنصاريّ أن خبر تزويجه بلغ لبنى فغمها وقالت انه لغدار ولقد كنت أمتنع من اجابة قومى الى التزويج فأنا الآن أجيبهم وقد كان أبوها شكا قيساً الى معاوية وأعلمه تعرضه لها بعد الطلاق فكتب الى مروان بن الحكم يهدر دمه ان تعرض لها وأمر أباها أن يزوجها رجلا يعرف بخالد بن حلزة من بنى عبد الله بن غطفان ، فزوجها أبوها منه ، فجعل نساء الحى يقلن ليلة زفافها

لبينى زوجها أصبح لاحر بواديه
له فضل على الناس بما باتت تناجيه
وقيس ميت حى صريع فى بواكيه
فلا يبعده الله وبعداً لنواعيه

فجزع قيس جزعاً شديداً وجعل ينشج أحرّ نشيج ويبكي أشد بكاء ثم ركب حتى أتى محلة قومها فناداه النساء ما تصنع الآن ههنا قد نقلت لبنى الى زوجها وجعل الفتيان يعارضونه بهذه المقالة وهو لا يجيبهم حتى أتى موضع خبائها فنزل عن

راحلته وجعل يتمعك موضعها ويمرغ خده على ترابها ويبكي أحر بكاء، ثم قال

الى الله أشكو فقد لبنى كما شكا ... الى الله فقدَ الوالدين يتيم
يتيم جفاه الأقربون فجسمه ... نحيل وعهد الوالدين قديم
بكت دارهم من نأيهم فتهللت ... دموعى فأىّ الجازعين ألوم
أمستعبر يبكي من الشوق والهوى ... أمَ آخر يبكي شجوه ويهيم
تهيّضني من حب لبنى علائق ... وأصناف حب هولهن عظيم
ومن يتعلق حب لبنى فؤاده ... يمت أو يعش ماعاش وهو كليم
فانى وان أجمعت عنك تجلداً ... على العهد فيما بيننا لمقيم
وان زماناً شتت الشمل بيننا ... وبينكمُ فيه العدا لمشوم
أفي الحق هذا أن قلبك فارغ ... صحيح وقلبى فى هواك سقيم

وقال فى رحيل لبنى عن وطنها وانتقالها الى زوجها بالمدينة وهو مقيم فى حيه

بانت لُبينى فهاج القلبَ من بانا ... وكان ما وعدت مطلاً وليّانا
وأخلفتك منًى قد كنت تأملها ... فأصبح القلب بعد البين حيرانا
الله يدرى وما يدرى به أحد ... ماذا أجمجم من ذكراك أحيانا
يا أكمل الناس من قرنٍ الى قدم ... وأحسن الناس ذا ثوب وعريانا
نعم الضجيع بعيد النوم تجلبه ... اليك ممتلئاً نوماً ويقظانا
لا بارك الله فيمن كان يحسبكم ... إلا على العهد حتى كان ما كانا
حتى استفقت أخيراً بعد ما نكحت ... فبت للشوق أذْرى الدمع تهتانا
إن تصرمى الحبل أو تمسى مفارقة ... فالدهر يحدث للانسان ألوانا
وما أرى مثلكم فى الناس من بشر ... فقد رأيت به حياً ونسوانا

وشكا أبو لبنى لمعاوية تعرض قيس لابنته بعد طلاقها فكتب معاوية الى الأمير يهدر دمه ان ألم بها وأن يشتد في ذلك فكتب مروان فى ذلك الى صاحب

الماء الذى ينزله أبو لبنى كتاباً وكيداً ووجهت لبنى رسولاً الى قيس تعلمه ما جرى وتحذره وبلغ أباه الخبر فعاتبه وتجهمه وقال له انتهى بك الأمر الى أن يهدر السلطان دمك فقال

فان يحجبوها أو يحلْ دون وصلها ... مقالة واش أو وعيد أمير
فلن يمنعوا عينىَّ من دائم البكا ... ولن يُذهبوا ماقد أُجنّ ضميرى
الى الله أشكو ما ألاقى من الهوى ... ومن حُرَقٍ تعتادنى وزفير
ومن حُرَق للحب فى باطن الحشى ... وليل طويل الحزن غير قصير
سأبكي على نفسي بعين غزيرة ... بكاء حزين فى الوثاق أسير
وكنا جميعاً قبل أن يظهر الهوى ... بأنعم حالي غبطةٍ وسرور
فما برح الواشون حتى بدت لهم ... بطون الهوى مقلوبةً لظهور
لقد كنت حسب النفس لو دام وصلنا ... ولكنما الدنيا متاع غرور

وقال فى إهدار معاوية دمه إن هو زارها

إن تك لُبنى قد أتى دون قربها ... حجاب منيع ما إليه سبيل
فان نسيم الجو يجمع بيننا ... ونُبصر قَرْن الشمس حين تزول
وأرواحنا بالليل فى الحى تلتقى ... ونعلم أيا بالنهار نقيل
وتجمعنا الارض القرار وفوقنا ... سماء نرى فيها النجوم تجول
الى أن يعود الدهر سَلْماً وتنقضى ... تِراتٌ بغاها عندنا وذُحول

وحج قيس سنة واتفق أن حجت لُبنى فى تلك السنة فرآها فدَهش و بقى واقفاً ومضت لسبيلها ثم أرسلت اليه بالسلام مع امرأة كانت معها فألفته جالساً وحده ينشد ويبكى

ويومَ منًى أعرضتِ عني فلم أقل ... لحاجة نفس عند لُبنى مقالها
وفى اليأس للنفس المريضة راحة ... اذا النفس رامت خطة لا تنالها

فصارت المرأة تحدثه عن لبنى فسألها أن تبلغها سلامه فامتنعت عليه فأنشأ يقول

اذا طلعت شمس النهار فسلمي ... فآيةُ تسليمي عليها طلوعها
بعشر تحيات اذا الشمس أشرقت ... وعشر اذا اصفرت وحان رجوعها
ولو أبلغتها جارة قوليَ اسلمي ... بكت جزعاً وارفضّ منها دموعها
وبان الذى تُخفى من الوجد فى الحَشَى ... اذا جاءها عنى حديث يروعها

ولما انصرف الناس من الحج مرض قيس مرضاً شديداً فلم يأته رسولها عائداً فقال

أُلبنى لقد جلّت عليك مصيبتى ... غداة غد اذ حل ما أتوقع
تُمنيننى نيلاً وتلوِيننى قِلَىً ... فنفسى شوقاً كل يوم تقطع
وقلبك قط لا يلين لما يرى ... فوا كبدى قد طال هذا التضرع
ألومك فى شأنى وأنت مُليمة ... لعمرى وأحفَى المحب وأقطع
أخبرت أنى فيك ميت حسرتى ... فما فاض من عينيك للوجد مدمع
ولكن لعمرى قد بكيتك جاهداً ... وان كان دائى كله منك أجمع
صبيحة جاء العائدات يعُدْننى ... فَظَلّت علىّ العائدات تَفَجَّع
فقائلة جئنا اليه وقد قضى ... وقائلة لا بل تركناه ينزع
فما غشيت عيناكِ من ذاك مدمع ... وعينى على مابى بذكراك تدمع
اذا أنت لم تبكى على جنازة ... لديك فلا تبكى غداً حين أرفع

فبلغتها الأبيات فجزعت جزعاً شديداً وبكت بكاء كثيراً ، ثم خرجت اليه ليلاً على موعد ، فاعتذرت وقالت انما أبقى عليك وأخشى أن تقتل فأنا أتحاماك لذلك ولولا هذا لما افترقنا وودعته وانصرفت

ويروى أنه بلغها أنه عليل لما به وأنه سيموت فى سفره هذا ، فقالت لهم اتدفعهم عن نفسها ما أراه الا كاذباً ومتعللاً لا عليلاً ، فبلغه ذلك فقال

تكاد بلاد الله يا أم معمر ... بما رحبت يوماً عليَّ تضيق
تكذبني بالود لبنى وليتها ... تكلَّفُ مني مثله فتذوق
ولو تعلمين الغيب أيقنت أنني ... لكم والهدايا المشْعَرات صديق
تتوق اليك النفس ثم أردها ... حياءً ومثلي بالحياء حقيق
أذود سوامَ النفس عنك وماله ... على أحد الا عليك طريق
فاني وان حاولت صرمي وهجرتي ... عليك منَ أحداث الردى لشفيق
ولم أرَ أياماً كأيامنا التي ... مررن علينا والزمان أنيق
ووعدك إيانا ، ولو قلت عاجل ، ... بعيد كما قد تعلمين سَحيق
وحدثتني ياقلب أنك صابر ... على البين من لُبنى فسوف تذوق
فمت كمداً أو عش سقياً فانما ... تكلفني ما لا أراك تُطيق
أطعت وشاة لم يكن لك فيهم ... خليل ولا جار عليك شفيق
فان تك لما تسلُ عنها فانني ... بها مغرم صب الفؤاد مشوق
بلُبنى أنادي عند أول غشية ... ويَثْني بها الداعي لها فأُفيق
شهدت على نفسي بأنك غادة ... رَداح وأن الوجه منك عتيق
وأنكِ لم تجزيني بصحابة ... ولا أنا للهجران منك مطيق
وأنك قسمت الفؤاد فنصفه ... رهين ونصف في الحبال وثيق
صَبوحي اذا ماذرَّت الشمس ذكركم ... ولي ذكركم عند المساء غَبوق
اذا أنا عزيت الهوى أو تركته ... أتت عبَرات بالدموع تسوق
كأن الهوى بين الحيازيم والحشى ... وبين التَّراقي واللَّهاة حريق
فان كنت لما تعلمي العلم فاسألي ... فبعض لبعض في الفعال فووق
سلي هل قلاني من عشير صحبته ... وهل مل رحلي في الرفاق رفيق
وهل يجتوي القوم الكرام صحابتي ... اذا اغبر مخشي الفجاج عميق

وأكتم أسرار الهوى فأميتها ... اذا باح مزاح بهن بروق
سعى الدهر والواشون بيني وبينها ... فقطع حبل الوصل وهو وثيق
هل الصبر الا أن أصد فلا أرى ... بأرضك الا أن يكون طريق

ثم أتى قومه فاقتطع قطعة من ابله ، وأعلم أباه أنه يريد المدينة ليبيعها ويمتار لأهله بثمنها ، فعرف أبوه أنه انما يريد لُبنى ، فعاتبه وزجره عن ذلك ، فلم يقبل منه وأخذ ابله وقدم بها المدينة ، فبينا هو يعرضها إذ ساومه زوج لُبنى بناقة منها وهما لايتعارفان ، فباعه إياها ، فقال له اذا كان غد فأتني في دار كثير بن الصلت فاقبض الثمن ، قال نعم ، ومضى زوج لُبنى اليها ، فقال لها اني ابتعت ناقة من رجل من أهل البادية وهو يأتينا غداً ليقبض ثمنها فأعدي له طعاماً ، ففعلت ، فلما كان الغد جاء قيس فصوت بالخادم قولي لسيدك صاحب الناقة بالباب ، فعرفت لبنى نغمته فلم تقل شيئاً ، فقال زوجها للخادم قولي له ادخل ، فدخل فجلس ، فقالت لُبنى للخادم قولي له يافتى مالك أشعث أغبر ؟ فقالت له ذلك ، فتنفس ثم قال لها هكذا تكون حال من فارق الأحبة واختار الموت على الحياة ، فقالت لها لبنى قولي له حدثنا حديثك ، فلما ابتدأ يحدث كشفت الحجاب وقالت حسبك قد عرفنا حديثك وأسبلت الحجاب ، فبهت ساعة لايتكلم ، ثم انفجر باكياً وخرج ، فناداه زوجها ويحك ما قصتك ؟ ارجع اقبض ثمن ناقتك وان شئت زدناك ، فلم يكلمه وخرج فاعترز في رحله ومضى ، وقالت لبنى لزوجها ويحك هذا قيس بن ذريح فما حملك على ما فعلت به ؟ قال ما عرفته ، وجعل قيس يبكي في طريقه ويندب نفسه ويوبخها على فعله ، ثم قال

أتبكي على لُبنى وأنت تركتها ... وأنت عليها بالملا أنت أقدر
فان تكن الدنيا بلُبنى تقلبت ... عليَّ فللدنيا بطون وأظهر
لقد كان فيها للأمانة موضع ... وللكف مُرْتاد وللعين منظَرَ

وللحائم العطشان رِيّ بريقها وللمرِح المختال خمر ومسكر
كأنى لها أُرجوحة بين أحبُل اذا ذُكْرة منها على القلب تخطِر

وعاد الى قومه بعد رؤيته إياها وقد أنكر نفسه وأسف ولحقه أمر عظيم، فأنكروه وسألوه عن حاله، فلم يخبرهم ومرض مرضاً شديداً أشرف منه على الموت فدخل اليه أبوه ورجال قومه فكلموه وعاتبوه وناشدوه الله، فقال ويحكم أترونى أمرَضت نفسى أو وجدت سلوة بعد اليأس فاخترت الهم والبلاء؟ أولى فى ذلك صنع؟ هذا ما اختاره لي أبواي وقتلاني به وقال

لقد عـذبتني يا حب لُبنى فقعْ إما بموت أو حياة
فان الموت أروح من حياة تدوم على التباعد والشتات
وقال الأقربون تعزَّ عنها فقلت لهم اذا حانت وفاتى

ودست اليه لُبنى بعد خروجه رسولاً وقالت له استنشده فان سألك عن نسبتك فانتسب له خزاعياً، فاذا أنشدك فقل له لِمَ تزوجت بعدها حتى أجابت الى أن تزوجت بعدك واحفظ ما يقول لك حتى ترده عليَّ، فأتاه الرسول، فسلم وانتسب خزاعياً وذكر أنه من أهل الشام واستنشده، فأنشده قوله «وقد ذكرت قبل»

فأقسم ما عُمْش العيون شوارف روائم بوّ حانيات على سقب

فقال له الرجل فلِمَ تزوجت بعدها؟ فأخبره الخبر، وحلف له أن عينه ما اكتحلت بالمرأة التى تزوجها وأنه لو رآها فى نسوة ما عرفها وأنه ما مد يده اليها ولا كلمها ولا كشف لها عن ثوب، فقال له الرجل فانى جار لها وانها من الوجد بك على حال قد تمنى زوجها معها أن تكون بقربها لتصلح حالها بك، فحمِّلني اليها ما شئت أؤده اليها، قال تعود اذا أردت الرحيل، فعاد اليه لما أراد الرحيل، فقال تقول لها

ألاحيِّ لُبنى اليوم ان كنت غاديا وألمم بها من قبل ألاَّ تلاقيا

وأهذِ لها منك النصيحة انها قليل ولا تخش الوشاة الأدانيا
وقل انني والراقصات الى منىً بأجبل جمع ينتظرن المناديا
أصونك عن بعض الأمور مضنةً وأخشى عليك الكاشحين الأعاديا
تساقط نفسى حين ألقاك أنفساً يردْنَ فما يصدُرْن الا صواديا
فان أحْىَ أو أهلك فلست بزائل لكم حافظاً ما بلَّ ريقى لسانيا
أقول اذا نفسي من الوجد أصعدت بها زَفْرةٌ تعتادنى هى ما هيا
وبين الحشى والنحر منى حرارة ولوعة وجد تترك القلب ساهيا
ألا ليت لُبنى لم تكن لِيَ خُلَّةً ولم ترنى لُبنى ولم أدرِ ماهيا
سلي الناس هل خبَّرتُ سرك منهم أخا ثقة أو ظاهر الغش باديا
يقول لي الواشون لما تظاهروا عليك وأضحى الحبل للبين واهيا
لعمرى لقَبْلَ اليوم حملت ماترى وأنذرت من لُبنى الذى كنت لاقيا
خليليَّ مالي قد بَليتُ ولا أرى لبينى على الهجران الا كما هيا
ألا يا غراب البين مالك كلما ذكرت لبينى طرت لي عن شماليا
أعندك علم الغيب أم لست مُخبرى عن الحى الا بالذى قد بدا ليا
جزعت عليها لو أرى لي مَجزَعاً وأفنيت دمع العين لو كان فانيا
حياتك لا تغلى عليهـــا فانه كفى بالذى تلقى لنفسك ما هيا
تمر الليالي والشهور ولا أرى ولوعى بها يزداد الا تماديا
فما عن نوال من لُبينى زيارتى ولا قلة الالمـام ان كنت قاليا
ولكنها صدت وحملت من هوى لها ما يؤود الشامخاتِ الرواسيا

وهذه القصيدة تخلط بقصيدة المجنون التى على وزنها وقافيتها لتشابههما فقلما يتميزان

قال يحيى بن على الكنانى شهر أمر قيس بالمدينة ، وغنى فى شعره الغَريض ومعبد ومالك وذووهم ، فلم يبق شريف ولا وضيع الا سمع بذلك فأطربه وحزن لقيس لما به ، وجاء زوجها فأنّبها على ذلك وعاتبها ، وقال قد فضحتني بذكرك ، فغضبت وقالت يا هذا انى والله ما تزوجتك رغبة فيك ولا فيما عندك ولا دُاس أمرى عليك ، ولقد علمت أنى كنت زوجته قبلك ، وأنه أُكره على طلاقى ، ووالله ما قبلت التزويج حتى أهدر دمه ان ألمّ بحينا نخشيت أن يحمله ما يجد على المخاطرة فيقتل ، فتزوجتك وأمرك الآن اليك ، ففارقني فلا حاجة بي اليك ، فأمسك عن جوابها وجعل يأتيها بجوارى المدينة يغنينها بشعر قيس كيما يستصلحها بذلك ، فلا تزداد الا تمادياً وبعداً ولا تزال تبكي كلما سمعت شيئاً من ذلك أحرّ بكاء وأشجاه ، وكانت امرأة من موالى بني زهرة يقال لها بريكة من أظرف النساء وأكرمهن وكان لها زوج من قريش له دار ضيافة ، فلما طالت علة قيس قال له أبوه انى لأعلم أن شفاءك فى القرب من لبنى ، فارحل الى المدينة ، فرحل اليها حتى أتى دار الضيافة التى لزوج بريكة ، فوثب غلمانه الى رحل قيس ليحطوه ، فقال لا تفعلوا فلست نازلاً أو ألقى بريكة فانى قصدتها فى حاجة فان وجدت لها عندها موضعاً نزلت بكم والا رحلت ، فأتوها فأخبروها ، نخرجت اليه ، فسلمت عليه ورحبت به وقالت حاجتك مقضية كائنة ما كانت فانزل ، فنزل ودنا منها فقال أأذكر حاجتى ؟ قالت إن شئت ، قال أنا قيس بن ذَرِيح ، قالت حياك الله وقربك ، ان ذكرك لجديد عندنا فى كل وقت ، قال وحاجتي أن أرى لُبنى ولو نظرة واحدة كيف شئت ، قالت ذلك لك ، فنزل بهم وأقام عندها وأخفت أمره ، ثم أهدى لها هدايا كثيرة وقال لاطفيها وزوجها بهذا حتى يأنس بك ، ففعلت وزارتها مراراً ثم قالت لزوجها أأنت خير من زوجى ؟ قال لا ، قالت أفلُبنى خير مني ؟ قال لا ، قالت فما بالي أزورها ولا تزورنى ؟ قال ذلك اليها ، فأتتها وسألتها الزيارة وأعلمتها

أن قيساً عندها ، فتسارعت الى ذلك وأتتها ، فلما رآها ورأته بكيا حتى كادا يتلفان ثم جعلت تسأله عن خبره وعلته فيخبرها ، ويسألها فتخبره ثم قالت أنشدني ما قلت في علتك ، فأنشدها قوله

أعالج من نفسي بقايا حُشاشة على رَمَق والعائدات تعود
فان ذكرت لُبنى هَشِشت لذكرها كما هش للثدى الدَّرور وليد
أجيب بلُبنى من دعاني تجلداً وبي زَفَرات تنجلي وتعود
تعيد الى روحي الحياة وانني بنفسي لو عاينتني لأجود

وفيها يقول

ألا ليت أياماً مضين تعود فان عُدْنَ يوْماً إنني لسعيد
سقى دار لُبنى حيث حلت وخيمت من الأرض منهلٌ الغمام رعيد

وتمامها

على كل حال ان دنت أو تباعدت فان تدْنُ منا فالدنو مزيد
فلا اليأس يسليني ولا القرب نافعي ولُبنى منوع ما تكاد تجود
كأني من لُبنى سليم مسهَّد يظلّ على أيدي الرجال يَميد
رمتني لُبنى في الفؤاد بسهمها وسهم لُبنى للفؤاد صَيود
سلا كل ذي شَجْو علمت مكانه وقلبي للُبْني ما حييت ودود
وقائلة قد مات أو هو ميت وللنفس مني أن تفِيض رصيد
أعالج من نفسي بقايا حُشاشة على رَمَق والعائدات تعود

وعاتبته على تزوجه فحلف أنه لم ينظر اليها ملء عينيه ثم قال

ولقد أردت الصبر عنك فعاقني عَلَق بقلبي من هواك قديم
يبقى على حدث الزمان وريبه وعلى جفائك انه لكريم
فصرمته وصَحَحْت وهو بدائه شتان بين مصحح وسقيم

وأريته زمناً فعــاذ بحلمه ان المحب عن الحبيب حليم

فلم يزل معها يحدثهــا ويشكو اليها أعفَّ شكوى وأ كرم حديث حتى أمسى فانصرفت ووعدته الرجوع اليه من غد فلم ترجع وشاع خبره فلم ترسل اليه رسولا فـكتب هذه الأبيات فى رقعة ودفعها الى بريكة وسألها أن توصلها اليها ورحل متوجهاً الى معاوية والأبيات

بنفسى من قلبي له الدهرَ ذاكر ومن هو عني معرض القلب صابر

ومن حبه يزداد عندى جدِّة وحبى لديه مُخلِق العهـد داثر

ثم ارتحل الى معاوية فدخل الى يزيد فشكا ما به اليه وامتدحه ، فرق له وقال له سـل ماشئت ، إن شئت أن أكتب الى زوجها فأحتم عليه أن يطلقها فعلت ، قال لا أريد ذلك ولـكن أحب أن أقيم بحيث تقيم من البلاد وأتعرف أخبارها وأقنع بذلك من غير أن يهدر دمى ، قال لو سألت هـذا من غير أن ترحل الينا فيه لما وجب أن تمنعه فأقم حيث شئت وأخذ كتاب أبيه له بأن يقيم حيث شاء وأحب ولا يعترض عليه أحد وأزال ما كان كتب به فى اهدار دمه ، فقدم الى بلده وبلغ الفزاريين خبره والمامه بلبنى فكاتبوه فى ذلك وعاتبوه ، فقال للرسول قل للفتى (يعنى أخا الجارية التى تزوجهـا) يا أخى ما غررتك من نفسى ولقد أعلمتك انى مشغول عن كل أحد وقد جعلت أمر أختك اليك فأمض فيه من حكمك مارأيت فتكرم الفتى عن أن يفرق بينهما ، فمكثت فى خباء له مدة ثم ماتت

ومن قوله فى لُبنى

اذا ذكرت لبنى تأوه واشتكى تأوه محموم عليه البلابل

يبيت ويُضحي تحت ظل منية به رَمَق تبكى عليه القبائل

قتيل للُبنى صدع الحب قلبه وفى الحب شغل للمحبين شاغل

وقال ابن أبى عَتيق لقيس يوماً أنشدنى أحر ما قلت في لُبنى ، فأنشده

وانى لأهوى النوم فى غير حينه لعل لقاء فى المنام يكون
تحدثني الأحلام أنى أراكم فيا ليت أحلام المنام يقين
شهدت بأنى لم أحلْ عن مودة وأنى بكم لو تعلمين ضنين
وأن فؤادى لايلين الى هوى سواك وان قالوا بلى سيلين

فقال ابن أبى عتيق لقل ما رضيت به منها يا قيس ، قال ذلك جهد المقل
وأنشد له أحمد بن يحيى ثعلب وكان يستحسن هذه الأبيات من شعره

سقى طَلَل الدار التى أنتمُ بها حياً ثم وَبْلٌ صَيّب وربيع
مضى زمن والناس يستشفعون بى فهل لى الى لبنى الغداة شفيع
سأصرم لبنى حبلك اليوم مُسجلا وان كان صَرْم الحبل منك يروع
وسوف أُسلى النفس عنك كماسلا عن البلد النائى البعيد نزيع
وان مسنى للضر منك كآبة وان نال جسمى للفراق خشوع
يقولون صبٌّ بالنساء موكل وما ذاك من فعل الرجال بديع
ندمت على ما كان منى ندامة كما ندم المغبون حين يبيع
فقدتك من نفس شعاع ألم أكن نهيتك عن هذا وأنت جميع
فقربت لي غير القريب وأشرقت هناك ثنايا ما لهن طلوع
الى الله أشكو نية شقت العصا هى اليوم شتى وهى أمسِ جميع
فيا حُجُرات الدار كيف تحملوا بذى سَلَم لا جادكن ربيع
فلولم يهِجنى الظاعنون لهاجنى حمائم وُرْق فى الديار وقوع
تداعَينَ فاستبكَينَ من كان ذا هوى نوائح لم تَقْطُرُ لهن دموع
اذا أمرتنى العاذلات بهجرها أبت كبد عما يقلن صديع
وكيف أطيع العاذلات وذكرها يؤرقنى والعاذلات هجوع

وقال عبد الملك بن عبد العزيز أنشدت أبا السائب المخزومي قول قيس

أحبك أصنافاً من الحب لم أجد ... لها مثلاً في سائر الناس يوصف
فمنهن حب للحبيب ورحمة ... بمعرفتي منه بما يتكلف
ومنهن ألّا يعرِض الدهرَ ذكرُها ... على القلب إلا كادت النفس تتلف
وحب بدا بالجسم واللون ظاهر ... وحب لدى نفسي من الروح ألطف

فقال أبو السائب لا جرَم والله لأُخلصن له الصفاء ، ولأُغضبن لغضبه ، ولأرضين لرضاه

وقصيدة قيس العينية من جيد شعره وهي

عفا سَرِف من أهله فسُراوع ... فجنبا أريك فالتلاع الدوافع (١)
فغَيْقة فالأخياف أخياف ظبية ... بها من لبينى مَخْرَف ومرابع (٢)
لعل لبينى أن يحل لقاؤها ... ببعض البلاد ان ما حُمَّ واقع (٣)
بجِزْع (٤) من الوادي خلاء أنيسه ... عفا وتخطته العيون الخوادع
ولما بدا منها الفراق كما بدا ... بظهر الصفا الصَّلْدِ الشقوق الشوائع (٥)
تمنيت أن تلقى لُبيناك والمنى ... تعاصيك أحياناً وحيناً تطاوع
وما من حبيب وامق لحبيبه ... ولا ذي هوى إلا له الدهرُ فاجع
وطار غراب البين وانشقت العصا (٦) ... ببَيْنٍ كما شق الأديم الصوانع
ألا يا غراب البين قد طرت بالذي ... أحاذر من لبنى فهل أنت واقع

---

(١) سرف وسراوع وأريك مواضع والتلاع واحده تلعة وهي مسيل ماء ارتفع من الارض الى بطن الوادي والدوافع جمع دافعة وهي التي تدفع الماء (٢) أخياف ظبية موضع والمخرف الذي يقيم فيه في الخريف والمربع الموضع الذي يقيم فيه في الربيع (٣) حم قدر
(٤) جزع الوادي منعطفه والخوادع واحدتها خادعة وهي التي لاتنام (٥) الصفا الصخر والصلد الصلب الذي اذا أصابه شيء صلد أي صوت والشوائع جمع شائعة وهي الظاهرة
(٦) أي تفرقت الجماعة

وانك لو أبلغتها قيلك اسلمى ... طوت حزناً وارفض منها المدامع
أتبكي على لُبنى وأنت تركتها ... وكنت كآت غيَّه وهو طائع
فلا تبكين فى إثر شيء ندامة ... اذا نزعته من يديك النوازع
فليس لأمر حاول الله جمعه ... مُشِتّ ولا ما فرق الله جامع
كأنك لم تَعْنَه اذا لم تلاقها ... وان تلقها فالقلب راض وقانع
فياقلب خبرنى اذا شطت النوى ... بلُبنى وصدت عنك ما أنت صانع
أتصبر للبين المُشِتّ مع الجوَى ... أمَ انت امرؤ ناسى الحياء فجازع
فما أنا ان بانت لبينى بهاجع ... اذا ما استقلت بالنيام المضاجع
وكيف ينام المرء مستشعر الجوى ... ضجيع الأسى فيه نِكاس روادع (١)
فلا خير فى الدنيا اذا لم تُواتنا ... لُبيني ولم يجمع لنا الشمل جامع
أليست لبينى تحت سقف يُكنّها ... واياى هـذا ان نأت لى نافع
ويلبسنا الليل البهيم اذا دجا (٢) ... ونُبصر ضوء الصبح والفجر ساطع
تطأ تحت رجليها بساطاً (٣) وبعضه ... أطاه برجلى ليس يطويه مانع
وأفرح أن تُمسى بخير وان يكن ... بها الحدث العادى ترعني الروائع (٤)
كأنك بِدْع لم تر الناس قبلها ... ولم يطَّلعك الدهر فيما تطالع
فقد كنت أبكى والنوى مطمئنة ... بنا وبكم من علم ما البين صانع
وأهجركم هجر البغيض وحبكم ... على كبدى منه كلوم صوادع
وأعجَل للاشفاق حتى يشفّني ... مخافة شحط الدار والشمل جامع
وأعمِد للارض التى من ورائكم ... لترجعنى يوماً عليك الرواجع

(١) المستشعر الذى لبس الشعار وهو الثوب الذى يلى الجسد والجوى الهوى الباطن والأسى الحزن ونكاس جمع نكس بالضم وروادع جمع رادعة وهى التى تردعه عن الحركة والتصرف (٢) دجا ألبس بظلمته كل شيء (٣) البساط الارض الواسعة
(٤) ترعني تفزعني

فيا قلب صبراً واعترافاً لما ترى ... ويا حبها قَعْ بالذى أنت واقع
لعمرى من أمسى وأنت ضجيعه ... من الناس ما اختيرت عليه المضاجع
ألا تلك لُبنى قد تراخى مزارها ... وللبين غم ما يزال ينازع
اذا لم يكن الا الجوى فكفى به ... جوًى حُرَق قد ضُمِّنَتْها الأضالع
أبائنة لبنى ولم تقطع المدى ... بوصل ولا صَرْم فييأس طامع
يظلّ نهار الواهين نهاره ... وتَهْذِنُه[1] فى النائمين المضاجع
سواي فليلى من نهارى وانما ... تقسّم بين الهالكين المصارع
ولولا رجاء القلب أن تعطف النوى ... لما حملته بينهن الأضالع
له وَجَبات[2] إثر لُبنى كأنها ... شقائق برق فى السحاب لوامع
نهارى نهار الناس حتى اذا دجا ... لى الليل هزتنى اليك المضاجع
أقضى نهارى بالحديث وبالمنى ... ويجمعنى والهم بالليل جامع
وقد نشأت فى القلب منك مودة ... كما نشأت فى الراحتين الأصابع
أبى الله أن يلقى الرشاد متيم ... ألا كل أمر حُمّ لا بد واقع
هما بَرَّحابى مُعْوِلَيْن كلاهما ... فؤاد وعين ماقُها[3] الدهرَ واسع
اذا نحن أنفدنا البكاء عشية ... فموعدنا قَرْن من الشمس طالع
وللحب آيات تبَيَّن بالفتى ... شحوب وتَعْرَى من يديه الأشاجع[4]
وما كل ما منتك نفسك خالياً ... تلاقى ولا كل الهوى أنت تابع
تداعت له الأحزان من كل وِجهة ... فحنّ كما حن الظُؤار السواجع[5]
وجانب قرب الناس يخلو بهمه ... وعاوده فيها هُيام مراجع

(١) تهذنه تسلته (٢) وجبات خفقات (٣) المأق من العين الجانب الذى يلى الانف
(٤) الاشاجع عروق ظاهر الكف (٥) الظؤار جمع ظئر وهى التى عطفت على ولد غيرها والسواجع جمع ساجعة وهى التى تمد حنينها على جهة واحدة

أراك اجتنبت الحى من غير بغضة ولو شئت لم يجنح اليك الأصابع
كأن بلاد الله ما لم تكن بها وان كان فيها الخلق قفر بلاقع
ألا انما أبكى لما هو واقع وهل جزع من وشك بينك نافع
أحال عليَّ الهم من كل جانب ودامت ولم تقلع على الفواجع
فمن كان محزوناً غداً لفراقنا فملآن فليبكى لما هو واقع
فليس محب دائماً لحبيبه ولا ثقة الا له الدهر فاجع

ذكر أكثر الرواة أن قيساً ولُبنى ماتا على افتراقهما ، فمنهم من قال انه مات قبلها فبلغها ذلك فماتت أسفاً عليه ، ومنهم من قال بل ماتت قبله ومات بعدها أسفاً عليها ، وقيل خرج ومعه جماعة من أهله ، فوقف على قبرها فقال

ماتت لُبينى فموتها موتى هل تنفعن حسرتى على الفوت
وسوف أبكى بكاء مكتئب قضى حياة وجداً على ميت

ثم أكب على القبر حتى أغمى عليه ، فرفعه أهله الى منزله وهو لا يعقل ، فلم يزل عليلاً لا يُفيق ولا يجيب مكلماً ثلاثاً حتى مات ، فدفن الى جنبها

مطيع بن إياس

هو مطيع بن إياس الديلى الكنانى من الديل بن بكر يكني أبا سلمى

شاعر من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية وليس من فحول الشعراء فى تلك ، ولكنه كان ظريفاً خليعاً ، حلو العشرة ، مليح النادرة ماجناً متهماً فى دينه بالزندقة ، ومولده ومنشؤه الكوفة ، وكان أبوه من أهل فِلَسطين الذين أمد بهم عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف فى وقت قتاله ابن الزبير وابن الأشعث ، فأقام بالكوفة وتزوج بها ، فولد له مطيع ، كان منقطعاً الى الوليد بن يزيد بن عبد الملك ومتصرفاً بعده فى دولتهم ومع أوليائهم وعمالهم وأقاربهم لا يكسد عند

أحد منهم ، ثم انقطع فى الدولة العباسية الى جعفر بن أبى جعفر المنصور ، فكان معه حتى مات ، ولم أسمع له مع أحد منهم خبراً الا حكاية بوفوده على سليمان بن علي ، وأنه ولاه عملا وأحسبه مات فى تلك الأيام

ومن قوله وفيه غناء وكان الوليد بن يزيد يستحسنه

إكليلها ألوان ووجهها فتّان
وخالها فريدٌ ليس لها جيران
اذا مشت تثنّت كأنها ثعبان
قد جُدِّلت فجاءت كأنها عنان

كان مطيع ويحيى بن زياد والحارثى وابن المقفع ووالبة بن الحُباب يتنادمون ، ولا يفترقون ، ولا يستأثر أحدهم على صاحبه بمال ولا ملك ، وكانوا جميعاً يرمَوْن بالزندقة

ومن قول مطيع يرثى يحيى بن زياد

يا أهل بكُّوا لقلبي القَرِح وللدموع الذوارف السُّفُح
راحوا بيحيى ولو تطاوعني الـ أقدار لم يبتكر ولم يَرُح
ياخير من يحسن البكاء له الـ يوم ومن كان أمسى للمدح

مرَّ مطيع بالرصافة فنظر الى جارية قد خرجت من قصر الرصافة كأنها الشمس حسناً وحواليها وصائف يرفعن أذيالها ، فوقف ينظر اليها الى أن غابت عنه ، ثم التفت الى رجل كان معه وهو يقول

لما خرجن من الرُّصا فة كالتماثيل الحسانِ
يَحْفُفْن أحور كالغزا ل يميس في جدَل العنانِ
قطعن قلبي حسرة وتقسما بين الأماني
ويلي على تلك الشما ئل واللطيف من المعاني

يا طول حرّ صبابتي　　بين الغوانى والقيان

رحل مطيع الى هشام بن عمرو وهو بالسِّند مستميحاً له ، فلما رأته ابنته قد صحح العزم على الرحيل بكت ، فقال لها

اسكتى قد حززت بالدمع قلبى　　طالما حز دمعكن القلوبا
دَعى أن تقطعى الآن قلبى　　وتُريني فى رحلتى تعذيبا
فعسى الله أن يدافع عني　　رَيب ما تحذرين حتى أؤوبا
ليس شىء يشاؤه ذو المعالى　　بعزيز عليه فادعى المجيبا
أنا فى قبضة الاله اذا ما　　كنت بعيداً أو كنت منك قريبا

مدح مطيع الغمر بن يزيد بقصيدته التى يقول فيها

لا تَلْحَ قلبك فى شقائه　　ودع المتيم فى بلائه
كفكف دموعك أن تفِيـض بناظرٍ غَرِق بمائه
ودع النسيب وذكره　　فبحسب مثلك من عنائه
كم لذة قد نلتها　　ونعيم عيش فى بهائه
بنواعم شبه الدُّمَى　　والليل فى ثِنْيَى عمائه
واذكر فتى بيمينه　　حَتْفُ الزمان لدى التوائه
واذا أمية حصلت　　كان المهذب فى انتمائه
واذا الأمور تفاقت　　عِظماً فمصدرها برائه
واذا أردت مديحه　　لم يُكْدِ قولُك فى بنائه
فى وجهه علم الهدى　　والمجد في عِطْفَي ردائه

فأمر له بعشرة آلاف درهم ، فكانت أول قصيدة أخذ بها جائزة سنية ، وحركته ورفعت من ذكره ثم وصله بأخيه الوليد فكان من ندمائه

وقال يستعطف يحيى بن زياد فى هجرة كانت بينهما وتباعد

يا مسمى باسم النبي الذى خص به الله عبده زكريا
فدعاه الاله يحيى ولم يجعل له الله قبل ذاك سميا
كن بصب أمسى يحبك برا ان يحيى كان برا تقيا

وقال يرثيه بعد وفاته

قد مضى يحيى وغودرت فردا نصب ما سرَّ عيون الأعادى
وأرى عينىَ مذ غاب يحيى بدلت من نومها بالسهاد
وسَدَته الكف مني ترابا ولقد أرثى له من وساد
بين جيران أقاموا صموتاً لا يُحيرون جواب المنادي
أيها المُزْن الذى جاد حتى أعشبت منه متون البوادى
اسق قبراً فيه يحيى فانى لك بالشكر موافٍ مغاد

وفد مطيع الى يزيد بن جرير بن خالد بن عبد الله القَسرى وقد مدحه بقصيدته

أمن آل ليلى عزمت البكورا ولم تلق ليلي فتشفى الضميرا
وقد كنت دهرك فيما خلا لليلى وجارات ليلى زؤرا
ليالىَ أنت بها مُعْجَبٌ تهيم اليها وتعصى الأميرا
واذ هى حوراء شبه الغزال تُبصر فى الطرْف منها فتورا
تقول ابنتي اذ رأت حالتى وقربتُ للبين عنساً وكُورا
الى من أراك وقتك الحتو فَ نفسى تجشمت هذا المسيرا
فقلت الى البَجَلىّ الذى يفُكّ العُناة ويُغنى الفقيرا
أخى العرف أشبه عند النَّدَى وحملِ المئين أباه جريرا
عشير الندى ليس يرضى الندى يدَ الدهر بعد جرير عشيرا
اذا استكثر المجتدون القليل للمعتفين استقل الكثيرا
اذا أعسر الخير في المجتدين كان لديه عتيداً يسيرا

وليس بمانع ذى حاجة ولا خاذل من أتى مستجيرا
فنفسى وقتـك أبا خالد اذا ما الكماة أغاروا النمورا
الى ابن يزيد أبي خالد أخي العرف أعملتها عَيْسجورا(١)
لنلقى فواضل من كفه فصادفت منه نوالا غزيرا
فان يكن الشكر حسن الثنا ء بالعرف مني تجدني شكورا
بصيراً بما يستلذ الرُّوا ة من مُحْكَم الشعرحتى يسيرا

فلما بلغ يزيد خبره دعا به ليلا ، ولم يعلم أحداً بحضوره ، ثم قال له قد عرفت خبرك وانى متعجل لك جائزتك ساعتى هذه فاذا حضرت غداً فانى سأخاطبك مخاطبة فيها جفاء وأزودك بنفقة طريقك وأصرفك لئلا يبلغ أبا جعفر خبرى فيهلكني فأمر له بمائتي دينار ، فلما أصبح أتاه فاستأذنه في الانشاد ، فقال له ياهذا لقد رميت بآمالك غيرمرمى ، وفى أى شىء أنا حتى ينتجعني الشعراء ؟ لقد أسأت إلىّ لأنى لا أستطيع تبليغك محابك ولا آمن سخطك وذمك ، فقال له تسمع ماقلت فانى أقبل ميسورك وأبسط عذرك ، فاستمع منه كالمتكلف المتكره فلما فرغ قال لغلامه كم مبلغ ما بقى من نفقتنا ؟ قال ثلثمائة درهم ، قال أعطه مائة لنفقة طريقه ومائة ينصرف بها الى أهله واحتبس لنفقتنا مائة درهم ، ففعل الغلام ذلك وانصرف مطيع عنه شاكراً ولم يعرف أبو جعفر خبره

ومن قوله

خليلى مُخلف أبدا يمنيني غداً فغدا
وبعد غد وبعد غد كذا لاينقضى أبدا
له جمر على كبدى اذا حركته وقدا
وليس بلابث جمرالـ ـغضى أن يحرق الكبدا

(١) الناقة السريعة القوية

سكر مطيع ليلة فعربد على يحيى بن زياد فهجره يحيى وحلف ألا يكلمه أبداً فكتب اليه مطيع

إن تصلني فمثلك اليوم يُرْجَى   عفوه الذنب عن أخيه ووصلُهُ
ولئن كنت قد هممت بهجرى   للذى قد فعلت انى لأهلُهْ
وأحق الرجال أن يغفر الذنـ   ـب لاخوانه الموفَّرُ عقله
الكريم الذى له الحسب الثا   قب فى قومه ومن طاب أصله
ولئن كنت لا تصاحب إلا   صاحباً لا يزِلّ ما عاش فعله
لا تجده وان جهدت وانى   بالذى لايكاد يوجد مثله
انما صاحبي الذى يغفر الذنـ   ـب ويكفيه من أخيه أقله
الذى يحفظ القديم من العهـ   ـد وان زلّ صاحب قلّ عذْله
ورعى ما مضي من العهد منه   حين يودى من الجهالة جهله
ليس من يظهر المودة افكا   واذا قال خالف القولَ فعله
وصله للصديق يوماً فان طا   ل فيومان ثم ينْبتّ حبله

فصالحه يحيى وعاد لعشرته

وقال أيضاً فى ذلك

كنت ويحيى كيد واحدة   نرمى جميعاً ونرامى معا
إن عضني الدهر فقد عضه   يوجعنا ما بعضنا أوجعا
أو نام نامت أعين أربع   منا وان أسهر فلن يهْجعا
يسرني الدهر اذا سره   وان رماه فلنا فجعا
حتى اذا ما الشيب فى مفْرَقى   لاح وفى عارضه أسرعا
سعى وشاة فشوْا بيننا   وكاد حبل الود أن يقطعا
فلم ألُمْ يحيى على فعله   ولم أقل ملّ ولا ضيعا

لكن أعداء لنا لم يكن شيطانهم يرى بنا مطمعا
بينا كذا غاشٍ على غِرَّة فأوقد النيران مستجمعا
فلم يزل يوقده دائباً حتى اذا ما اضطرمت أقلعا

دعا مطيع صديقاً له من أهل بغداد الى بستان له بالكرخ يقال له بستان صباح فأقام معه ثلاثة أيام في فتيان من أهل الكرخ فكتب مطيع الى يحيي بن زياد الحارثى يخبره بأمره ويتشوقه قال

كم ليلة بالكرخ قد بتها جذلان فى بستان صباح
فى مجلس تنفح أرواحه ياطيبها من ريح وأرواح
يدير كأساً فاذا ما دنت حفَّت بأكواب وأقداح
في فتية بيض بهاليل ما ان لهم فى الناس من لاح
لم يهنني ذاك لفقد امرىء أبيض مثل البدر وضاح
كأنما يشرق من وجهه اذا بدالي ضوء مصباح

فلما قرأ يحيي هذه الأبيات قام من وقته فركب اليهم وحمل اليهم ما يصلحهم من طعام وشراب وفاكهة فأقاموا فيه أياماً على قصفهم حتى ملّوا ثم انصرفوا

اجتمع حماد الراوية ومطيع ويحيي بن زياد وحكم الوادى يوماً على شراب لهم فى بستان بالكوفة وذلك فى زمن الربيع ودعوا جوهر المغنية فقال مطيع فى ذلك

خرجنا نمتطى الزهرا ونجعل سقفنا الشجرا
ونشربها معتقة تخال بكأسها شررا
وجوهر عندنا تحكى بدارة وجهها القمرا
يزيدك وجهها حسناً اذا ما زدته نظرا
وجوهر قد رأيناها فلم نر مثلها بشرا

مدح مطيع معْن بن زائدة بقصيدته التى أولها

أهلا وسهلا بسيد العرب ذى الغرر الواضحات والنجب
فتى نزار وكهلها وأخى الـ ـجود حوى عانيه من كثب
قيل أتاكم أبو الوليد فقا ل الناس طراً فى السهل والرحب
أبو العفاة الذى يلوذ به من كان ذا رغبة وذا رهب
جاء الذى تفرج الهموم به حين يلز الوضين بالحقب
جاء وجاء المضاء يقدمه رأى اذا هم غير مؤتشب
شهم اذا الحرب شب دائرها أنادها عودة على القطب
يطفىء نيرانها ويوقدها اذا خبت نارها بلا حطب
الا بوقع المذكرات يشبـ ـهن اذا ما انتضين بالشهب
لم أر قرنا له يبارزه الا أراه كالصقر والخرب
ليث بخفان قد حمى أجما فصار منها فى منزل أشب
شبلاه قد أدبا به فهما من شبهه فى جد وفى لعب
قد ومقا شكله وسيرته وأحكما منه أكرم الأدب
نعم الفتى تقرن الصعاب به عند تجاثى الخصوم للركب
ونعم ما ليلة الشتاء اذا اسـ ـتنبح كلب القرى فلم يجب
لا نعم عنـده مخالفة مثل اختلاف الصعود والصبب
يحضره لا فلا يهم بها ومنه تضحى نعم على أرب
ترى له الحلم والنهى خلقا فى صولة مثل جاحم اللهب
سيف الامامين ذاك وذا اذا قل بناء الوفاء والحسب
ذا هوادة لا تخاف نبوتها ودينه لا يشاب بالريب •

فلما سمعها معن قال ان شئت مدحناك كما مدحتنا وان شئت أثبناك ، فاستحيا مطيع من اختيار الثواب على المديح وهو محتاج الى الثواب فأنشأ يقول

ثناء من أمير خير كسب   لصاحب فاقة وأخى ثراء
ولكن الزمان برى عظامى   ومامثل الدراهم من دواء

فضحك معن وقال لقد لطفت حتى تخلصت منها ، صدقت لعمرى ما مثل الدراهم من دواء وأمر له بثلاثين الف درهم وخلع عليه وحمله

ومن شعره فى ابنة أحد الدهاقين كان يهواها وفارقها

أسعدانى يا نخلتى حُلْوان   وابكيالي من رَيْب هذا الزمان
واعلما أن ريبه لم يزل يفْـــرُق بين الأُلاَّف والجيران
ولَعمرى لو ذقتما ألم الفر   قة قد أبكاكما الذى أبكانى
أسعدانى وأيقنا أن نحساً   سوف يلقاكما فتفترقان
كم رمتني صروف هذى الليالى   بفراق الأحباب والخلان
غير أنى لم تلق نفسى كما لاقيـــت من فرقة ابنة الدّهقان
جارة لى بالرَّيِّ تذهب همى   ويسلى دنوهـــا أحزانى
فجعتني الأيام أغبط ما كنــــت بصدع للبين غير مُدان
وبرغمي أن أصبحت لاتراها الـــعين منى وأصبحت لا ترانى
ان تكن ودعت فقد تركت بى   لَهَباً فى الضمير ليس بوان
كحريق الضِّراب فى قصب الغا   ب رمته ريحان مختلفان
فعليك السلام ماساغ سلا   ما عقلى وفاض لسانى

ومما يغني فيه من شعره

ألا ان أهل الدار قد ودعوا الدارا   وقد كان أهل الدار فى الدار أجوارا
يبكى على إثر الجميع فلا يرى   سوى نفسه فيها من القوم ديارا

وصف رجل مطيعاً فقال لا يصبر عنه العاقل اذا رآه ، ولا يصحبه أحد الا فتضح ، ووصفه آخر فقال كان اذا حضر ملك واذا غاب عنك شاقك واذا عرفت بصحبته فضحك

قدم مطيع من سفر فقدم بالرغائب ، فاجتمع هو وحماد عجرد بصديقته ظبية الوادى ، وكان مطيع قد أعطى صاحبته من طرائف ما أفاد ، فلما جلسوا يشربون غنت ظبية الوادى

أظن خليلي غدوة سيسير وربى على ألا يسير قدير
عجبت لمن أمسى محباً ولم يكن له كفن فى بيته وسرير

فما فرغت من الصوت حتى غنت صاحبة مطيع

ما أبالي اذا النوى قربتهم ودنونا من حل منهم وسارا

فجعل مطيع يضحك وحماد يشتمها

كان لمطيع صديق يقال له عمر بن سعيد فعاتبه فى أمر قَينة يقال لها مكنونة كان مطيع يهواها حتى اشتهر بها ، وقال له ان قومك يشكونك ويقولون انك تفضحهم بشهرتك نفسك بهذه المرأة ، وقد لحقهم العيب والعار من أجلها ، فأنشأ مطيع يقول

قد لامني فى حبيبتى عمر واللوم فى غير كنهه ضَجَر
قال أفق ، قلت لا ، فقال بلى قد شاع فى الناس عنكما الخبر
قلت قد شاع فاعتذاري مما ليس لي فيه عندهم عذر
عجز لعمرى وليس ينفعني فكُفَّ عنى العتاب يا عمر
وارجع اليهم وقل لهم قد أبى وقل لي لا أفيق فانتحروا
أعشق وحدى فيؤخذون به كالترك تغزو فيقتل الخزر

كان المنصور يريد البيعة للمهدى وكان ابنه جعفر يعترض عليه فى ذلك ، فأمر باحضار الناس ، فحضروا وقامت الخطباء فتكلموا ، وقالت الشعراء فأكثرت فى وصف المهدى وفضائله وفيهم مطيع ، فلما نوع من كلامه فى الخطباء وإنشاده فى الشعراء قال يا أمير المؤمنين حدثني فلان عن فلان أن النبى صلى الله عليه وسلم قال

المهدى منا محمد بن عبد الله وأمه من غيرنا يملؤها عدلاً كما ملئت جوْراً ، وهذا العباس بن محمد أخوك يشهد على ذلك ، ثم أقبل على العباس فقال له أنشدك الله هل سمعت هذا ؟ فقال نعم مخافة من المنصور ، فأمر المنصور الناس بالبيعة للمهدى ، ولما انقضى المجلس وكان العباس بن محمد لا يأنس به قال أرأيتم هذا الزنديق اذ كذب على الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم حتى استشهدنى على كذبه ، فشهدت له خوفاً وشهد كل من حضر عليَّ بأنى كاذب ، وبلغ الخبر جعفر بن أبى جعفر وكان مطيع منقطعاً اليه يخدمه ، فخافه وطرده عن خدمته

كان مطيع مع اخوان له على نبيذ وعندهم قينة تغنيهم ، فأومأ اليها مطيع بقبلة فقالت له تراب ، فقال

ان قلبي قد تصابى بعد ما كان أنابا
ورماه الحب منه بسهام فأصابا
قد دهاه شادن يلـ ـبس فى الجيد سخابا
فهو بدر فى نقاب فاذا ألقى النقابا
قلت شمس يوم دَجْن حسرت عنها السحابا
أحضر الناس بما أكـ ـرهه منه جوابا
فاذا قلت أنلني قبلة قال ترابا

كان أبو دهمان صديقاً لمطيع وكان يظهر للناس تألهاً ومروءة وسمتاً حسناً وكان ربما دعا مطيعاً ليلة من الليالي أن يصير اليه ، ثم قطعه عنه شغل ، وجاء مطيع فلم يجده ، فلما كان من الغد جلس مطيع مع أصحابه فأنشدهم فيه

ويلي ممن جفانى وحبه قد برانى
أغرّ كالبدر تعشى بحسنه العينان
جاري لا تعذلانى فى حبه ودعانى

فرب يوم قصير في جوسق وجنان
بالراح فيه يحيا والقصف والريحان
وعندنا قينتان وجهاهما حسنان
عوداهما غَرِدان كأنما ينطقان
وعندنا صاحبان للدهر لا يخضعان
فكنت أول حام وأول السرعان
في فتية غير ميل عند اختلاف الطعان
من كل خوف مخيف في السر والاعلان
حمال كل عظيم يضيق عنه اليدان
وان ألح زمان لم يستكن للزمان
فزال ذاك جميعاً وكل شيء فان
مَن عاذري من خليل موافق مِلْذان
مداهن متوان يكنى أبا دهمان
متى يعدك لقاء فالنجم والفرقدان
وليس يعتم الا سكران مع سكران
يسقيه كل غلام كأنه غصن بان
من خندريس عُقار كحمرة الأرجوان

فلقيه بعد ذلك أبو دهمان فقال عليك لعنة الله فضحتني وهتفت بي وأذعت سري لا أكلمك أبداً ولا أعاشرك ما بقيت فما تفرق بين صديقك وعدوك

قال علي بن القاسم كنت آلف مطيع بن إياس وكان جاري وعنفني في عشرته جماعة وقالوا لي انه زنديق ، فأخبرته بذلك ، فقال وهل سمعت مني أو رأيت شيئاً يدل على ذلك ؟ أو هل وجدتني أخل بالفرائض من صلاة أو صوم ؟ فقلت والله

ما اتهمتك ولكني أخبرتك بما قالوا واستحييت منه ، فعجل على السكر ذات يوم في منزله ، فنمت عنده ومطرنا في جوف الليل وهومعي ، فصاح بي مرتين أو ثلاثاً فعلمت أنه يريد أن يصطبح فكسلت أن أجيبه ، فلما تيقن أني نائم جعل يردد على نفسه بيتاً قاله وهو

أصبحت جَمَّ بلابل الصدر   عصراً أكاتمه الى عصر

فقلت في نفسي هذا يعمل شعراً في فن من الفنون فأضاف اليه بيتاً ثانياً وهو

ان بحت طُلَّ دمي وان تركت   وَقَدت عليَّ توقد الجمر

فقلت في نفسي ظفرت بمطيع فتنحنحت ، فقال لي أما ترى هذا المطر وطيبه؟ اقعد بنا حتى نشرب أقداحاً ، فاغتنمت ذلك ، فلما شربنا أقداحاً قلت له زعمتُ أنك زنديق ، قال وما الذي صح عندك أني زنديق ؟ قلت قولك « وأنشدته البيتين » فقال لي وكيف حفظت البيتين ولم تحفظ الثالث ؟ قلت والله ما سمعت معهما ثالثاً ، فقال بلى قد قلت ثالثاً ، قلت فما هو ؟ قال

ماجناه على أبي حسن   عمر وصاحبه أبو بكر

كان مطيع نازلاً بكَرْخ بغداد وكان بها رجل يقال له الفهمي مغن محسن ، فدعاه مطيع ودعا بجماعة من اخوانه ، وكتب الى يحيى بن زياد يدعوه بهذه الأبيات

عندنا الفهمي مسرور وزمّار مجيد
ومعاذ وعياذ وعمير وسعيد
ونَدامى يُعملون القَلْز[1] والقلز شديد
بعضهم ريحان بعض فهمُ مسك وعود
غابت الأنحس عنهم وتلقتهم سعود
فترى القوم جلوساً والخنا عنهم بعيد

(١) القلز نوع من الشرب

ومطيع بن إياس فهو بالقصف وليد
وعلى كر الجديديـــــن وما حل جليد

فأتاه يحيى فأقام عنده وشرب معهم ، وبلغت الأبيات المهدى فضحك

لما بيعت جوهر التى كان مطيع يشبب بها قال

صاح غراب البين بالبين فكدت أنشق بنصفين
قد صار لي خِدْنان من بعدها هم وغم شر خِـدْنين
أفدى التى لم ألق من بعدها أنساً وكانت قرة العين
أصبحت أشكو فرقة البين لمـا رأت فرقهم عيني

كان مطيع يهوى جارية يقال لها ريم وقال فيها

ويوم ببغداد نعمنا صباحه على وجه حمراء المدامع تُطرِب
ببيت ترى فيـه الزجاج كأنه نجوم الدُّجَى بين الندامى تَقَلَّب
يصرف ساقينا ويقطب تارة فياطيبها مقطوبة حين يقطُب
علينا سحيق الزعفران وفوقنا أكاليل فيها الياسمين المذهب
فمازلت أسقى بين صنج ومزهر من الراح حتى كادت الشمس تغرب

وفيها يقول

ياريم قد أتلفت روحى فما منها معى الا القليل الحقير
هل لك فى أجر تجازَىْ به فى عاشق يرضيه منك اليسير
يقبل ما جـدت به طائعاً وهو ان قل لديه كثير
لعمرىَ من أنتِ له صاحب ماغاب عنه فى الحياة السرور

وفيها يقول

يا ريم يا قاتلـــتي ان لم تجودى فمدى
بيضت بالمَطْل وإخلا فك وعدي كبـدى

حالفت عيني سهدي | وما بهـــا من رمد
يا ليتني في الأحـد | أبليت مني جسدي
لمن به من شقوتي | أخذت حتفي بيدي

ولمطيع في جوهر

يا بأبي وجهك من بينهم | فانه أحسن ما أبصر
يا بأبي وجهك من رائع | يشبهه البدر اذا يزهر
جارية أحسن من حَلْيها | والحلي فيه الدر والجوهر
وجُرمها أطيب من طيبها | والطيب فيه المسك والعنبر
جاءت بها بربر مكنونة | يا حبــذا ما جلبت بربر
كأن في ريقتها قهوة | صب عليها بارد أسمر

ومن قول مطيع

واهاً لشخص رجوت نائله | حتى انثني لي بوده صلفا
لانت حواشيه وأطمعني | حتى اذا قلت نلته انصرفا

قال رجل من أهل الشام كنت يوماً نازلا بدير كعب وقد قدمت من سفر فاذا أنا برجل قد نزل الدير معه ثقــل وآلة وعَيْبة ، فكان قريباً من موضعي فدعا بطعام فأكل ودعا الراهب فوهب له دينارين واذا بينه وبينه صداقة ، فأخرج له شراباً فجلس يشرب ومعه الراهب اذ دخل الدير رجل فجلس معهما فقطع حديثهما وثقل في مجلسه وكان غثَّ الحديث فأطال ، فجاءني بعض غلمان الرجل النازل فسألته عنه فقال هذا مطيع بن إياس ، فلما قام الرجل وخرج كتب مطيع على الحائط شيئاً وجعل يشرب حتى سكر ، فلما كان من غد رحل فجئت موضعه فاذا فيه مكتوب

طربة ما طربت في دير كعب | كدت أقضي من طربتي فيه نحبي
وتذكـــرت اخوة ندماء | لي فهاج البكاء تذكارُ صحبي

حين غابوا شتّى وأصبحت فرداً ونأوْا بين شرق أرض وغرب
وهمُ ما همُ فحسبي لا أبـــغي بديلا بهـم لعمرك حسبي
أيهـــا الداخل الثقيل علينا حين طاب الحديث لي ولصحبي
خفّ عنـا فأنت أثقل واللّـــه علينا من فرسخي دير كعب
ومن النـاس من يخف ومنهم كرحى البزر ركبت فوق قلبي

ومن قوله فى صديق له فارقه

أيا ويحه لا الصبر يملك قلبه فيصبر لمـــا قيل سار محمد
فلا الحزن يفنيه ففي الموت راحة فحتى متى في جهـده يتجلد
قدَ اضحى صريعاً باديات عظامه سوى أن روحاً بينها تتردد
كئيباً يمنى نفسه بلقـــائه على نأيه والله بالحزن يشهد
يقول لها صبراً عسى اليوم آئب بالفك أو جاء بطلعته الغد
وكنتَ يداً كانت بها الدهر قوتي فأصبحت مضنى منذ فارقني اليد

ومن قوله

طبيبيَّ داويتما ظاهـراً فمن ذا يداوى جوى باطنا
فقوما اكوياني ولا ترحمـا من الكي مستحصفاً راصنا
ومرّا على منزل بالغميـــم فانى عهدت به شادنا
فتور القيام رخيم الكلام كأن فؤادى به راهنـا

بلغ مطيعاً أن حماد عجرد عاب شعراً ليحيى بن زياد قاله فى منقذ بن بدر الهلالى فأجابه منقذ عنه بجواب ، فاستخفهما عجرد وطعن عليهما فقال فيه مطيع

أيهـا الشاعر الذى عاب يحيى ومنقذا
أنت لو كنت شاعراً لم تقل فيهما كذا
لستَ والله فاعلمن لدى النقد جهبذا

تعدل الصبر بالرضا　　وتشيب الصفو بالقذى

قال أبو منيع الأحدب كنت جالساً مع مطيع بن اياس فمرت بنا مكنونة جارية المروانية وكان مطيع وأصحابنا يألفونها فلم تسلم وعبث بها مطيع فشتمته فالتفت إليّ وأنشأ يقول

فديت من مرّ بنا　　يوماً ولم يتكلم
وكان فيما خلا منـــه كلما مرّ سلم
وان رآنيَ حيا　　بطرفه وتبسم
لقد تبدل فيما　　أظن والله أعلم
فليت شعريَ ماذا　　عليّ فى الود ينقم
يا رب انك تعلم　　انى بمكنونَ مُغرم
وأننى فى هواها　　ألقى الهوان وأعظم
يا لائمى فى هواها　　احفظ لسانك تسلم
واعلم بأنك مهما　　أكرمت نفسك تُكرم
ان الملول اذا ما　　مل الوصال تجرم
أولى فما لي أجفى　　من غير ذنب وأحرم

كان مطيع يألف جوارى بربر ويألف منهن جاريتها المسماة جوهر وفيها يقول

خافي الله يا بربر　　لقد أفتنت ذا العسكر
اذا ما أقبلت جوهر　　يفوح المسك والعنبر
وجوهر درة الغوا　　ص من يملكُها يجبر
أما والله يا جوهر　　لقد فقت على الجوهر
لها ثغر حكى الدر　　وعينا رشأ أحور
فلا والله ما المهدى أولى منك بالمنبر

فان شئت ففي كفيـــك خلع ابن أبي جعفر

وفيها يقول

أنت ياجوهر عندي جوهرة   في قياس الدرر المشتهرة
أو كشمس أشرقت في بيتها   قذفت في كل قلب شررة
وكأني ذائق من فمها   كلما قبلت فاها سكرة

وبيعت جوهرة فاشترتهـا امرأة هاشمية من ولد سليمان بن علي كانت تغني بالبصرة وأخرجتها فقال مطيع فيها

لاتبعُديـ يا جوهر   عنا وان شط المزارُ
ويلي لقد بعدت ديا   رك مذ سلمت تلك الديار
يشفي بريقتها السقا   م كأن ريقتها العُقار
بيضاء واضحة الجبيـــن كأن غرتها نهار
القلب قلبي وهو عنـــد الهاشمية مستعار

دعا مطيعاً صديق له الى بستان بكَلْوَاذى ، فمضى اليها فلم يستطبها فقال يهجوها

بلد تمطر التراب على النا   س كما تمطر السماء الرَّذاذا
واذا ما أعاذ ربي بلاداً   من خراب كبعض ماقد أعاذا
خربت عاجلا ولا أمهلت يو   ماً ولا كان أهلها كَلْوَاذَى

جلس مطيع في العلة التي مات فيها في قبة خضراء وهو على فرش أخضر فقال له الطبيب أي شيء تشتهي اليوم ؟ قال أشتهي ألا أموت ، ومات في علته هـذه وذلك بعد ثلاثة أشهر مضت من خلافة الهادي

شعراء هذيل

أبو صخر الهذلي

هو عبد الله بن سلم السهمى أحد بني مرمض من هُذَيل

شاعر اسلامى من شعراء الدولة الأموية وكان مواليًا لبني مروان متعصبًا لهم ، وله فى عبد الملك بن مَرْوان مدائح وفى أخيه عبد العزيز وعبد العزيز بن خالد بن أسيد ، وحبسه ابن الزبير الى أن قتل

لما ظهر عبد الله بن الزبير بالحجاز وغلب عليها بعد موت يزيد بن معاوية ، وتشاغل بنو أمية بالحرب بينهم فى مَرْج راهط وغيره دخل عليه أبو صخر الهذلي فى هُذَيل وقد جاؤه ليقبضوا عطاءهم ، وكان عارفًا بهواه فى بنى أمية ، فمنعه عطاءه ، فقال علام تمنعني حقًا لي وأنا امرؤ مسلم ما أحدثت فى الاسلام حدثًا ولا أخرجت من طاعة يدًا ، قال عليك بنى أمية فاطلب عندهم عطاءك ، قال إذًا أجدهم سِباطًا أكفهم سمحة أنفسهم بذلاء لأموالهم ، وهابين لمجتديهم كريمة أعراقهم ، شريفة أصولهم زاكية فروعهم ، قريبًا من رسول الله صلى الله عليه وسلم نسبهم وسببهم ، ليسوا اذا نسبوا بأذناب ولا وشائظ ولا أتباع ، ولا هم فى قريش كفقعة القاع ، لهم السودد فى الجاهلية والملك فى الاسلام ، لا كمن لا يعد فى عيرها ولا نفيرها ، ولا حكم آباؤه فى نَقيرها وقطميرها ، ليس من أحلافها المطيبين ، ولا من سادتها المطعمين ، ولا من جودائها الوهابين ، ولا من هاشمها المنتخبين ، ولا عبد شمسها المسودين ، وكيف تقاتَل الرءوس بالأذناب ؟ وأين النصل من الجفن والسنان من الزُجّ والذُنابَى من القُدامَى ؟ وكيف يفضل الشحيح على الجواد والسوقة على الملك ،

والجامع بخلاً على المطعم فضلاً ، فغضب ابن الزبير حتى ارتعدت فرائصه وعرق جبينه ، واهتزّ من قرنه الى قدمه ، وامتقع لونه ، ثم قال له يا ابن البوالة على عقبيها ويا جلف يا جاهل أما والله لولا الحرمات الثلاث حرمة الاسلام وحرمة الحرم وحرمة الشهر الحرام لأخذت الذى فيه عيناك ، ثم أمر به الى سجن عارم ، فحبس به مدة ، ثم استوهبته هذيل ومن له من قريش خؤلة فى هذيل ، فأطلقه بعد سنة وأقسم ألّا يعطيه عطاء مع المسلمين أبداً ، فلما كان عام الجماعة وولي عبد الملك وحج لقيه أبو صخر ، فلما رآه عبد الملك قربه وأدناه وقال له انه لم يَخْفَ عليّ خبرك ولا ضاع لك عندي هواك ولا موالاتك ، فقال اذ شفى الله منه نفسى ورأيته قتيل سيفك وصريع أوليائك مصلوباً مهتوك الستر مفرق الجمع فما أبالي ما فاتني من الدنيا ، ثم استأذنه فى الانشاد ، فأذن له ، فمثل بين يديه قائماً وأنشأ يقول

عفت ذاعِرْق عُصْلها [١] فرِئامها ... فضَحْياؤها وحش قد اَجْلَى سوامُها
على أن مَرْسَى خيمة خف أهلها ... بأبطح مِحْلاَل [٢] وهيهات عامها
اذا اعتلجت فيها الرياح وأدرجت ... عشياً جرى فى جانبيها قُمامها [٣]
فان معَاجى للخيام وموقفى ... برابية البَنْدين [٤] بالٍ ثُمامها
لَجهل ولكني أسلى ضَمانة ... يضَعِّف أسرارَ الفؤاد سَقامها
فأقصر فلا ما قد مضى لك راجع ... ولا لذة الدنيا يدوم دوامها
وفدّ أمير المؤمنين الذى رمى ... بجأواء [٥] جُمهور تمور إِكامها
من اَرض قرى الزيتون مكة [٦] بعدما ... غُلبنا عليها واستُحِلّ حرامها

(١) عصل ورئام وضحياء مواضع بذات عرق (٢) أرض محلال أكثر الناس الحلول بها
(٣) القمامة الكناسة (٤) البند الذى يسكر من الماء يعنى بيوتاً ألقى عليها ثمام وشجر ينبت
(٥) كتيبة جأواء اى كدراء اللون فى حمرة وهو لون صدأ الحديد والاكام جمع أكم وهو جمع أكمة (٦) مكة مفعول رمى

وألحد فيها الفاسقون وأفسدوا ... نخافت فواشيها (١) وطار حمامها
يشج بها عَرْضَ الفلاة تعسفاً ... وأمّا اذا يخفى من آرض عِلامها
فصبحهم بالخيل تزحف بالقنا ... وبيضاء مثل الشمس يبْرُق لامها
له عسكر ضافى الصفوف عرمزم ... وجمهورةٌ يَزْهى العدو احتدامها
فطهر منهم بطن مكة ماجد ... أبيّ شَباة الضيم حين يُسامها
فدع ذا وبشر شاعري (٢) أم مالك ... بأبيات مخزى طويل عُرامها
فان تبد تَجدع مَنْخِريك بمدية ... مشرشرة حَرَّى رميض (٣) حسامها
وان تَخفَ عنا أو تَخفْ من أذاتنا ... تنوشك نابا حيــة وسِمَاها
ولولا قريش لاستُرِقت عجوزكم ... وطالت على قُطْبَيْ رحاها احتزامها

فأمر له عبد الملك بما فاته من العطاء ومثله صلة من ماله وكساه وحمله

كان أبو صخر منقطعاً الى أبى خالد عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد مداحاً له ، فقال له يوماً ارثني يا أبا صخر وأنا حى حتى أسمع كيف تقول وأين مراثيك لي بعدي من مديحك إياي فى حياتى ؟ فقال له أعيذك بالله أيها الأمير بل يبقيك الله ويقدمني قبلك ، فقال ما من ذلك بد ، فرثاه بقصيدته التي يقول فيها

أبا خالد نفسى وقت نفسكَ الرَّدَى ... وكانت بها من قبل عثرتك العثْرْ
لِتبْكِك يا عبد العزيز قلائص ... أضَرَّ بها نَصُّ الهواجر والزجر
سَمَوْن بنا يجْتبْنَ كل تنوفة ... تَضِلُّ بها عن بيضهن القطا الكُدْر
فما قَدِمت حتى تواتر سيرها ... وحتى أُنيخت وهى طالعة دُبْر
ففرج عن ركبانها الهمَّ والطّوى ... كريمُ المحيا ماجد واجد صقْرْ

(١) الفواشي كل شيء منتشر من المال كالغنم السائمة والابل وغيرها لانها تفشو أى تنتشر فى الارض (٢) رجلان من كنانة كانا مع ابن الزبير يمدحانه ويحرضانه على أبى صخر لعداوة كانت بينهما وبينه (٣) الرميض من النصال الحاد

أخو شتَوات تقتل الجوع داره ... لمن جاء لا ضيق الفناء ولا وعْر
ولا تهنئ الفتيانَ بعدك لذة ... ولا بلَّ هامَ الشامتين بك القطر
فان تُمسِ رمساً بالرصافة ثاوياً ... فما مات يا ابن العيص نائلك الغمْرُ
وذى ورَق من فضل مالك ماله ... وذى حاجة قد رِشْت ليس له وفر
فأضحى مُرِيحاً بعد ما قد يؤوبه ... وكَلَّ به المولى وضاق به الأمر

فأضعف عبد العزيز جائزته ووصله وأمر أولاده فرووا القصيدة

كان لأبى صخر ابن يقال له داوود لم يكن له ولد غيره، فمات، فجزع عليه جزعاً شديداً حتى خولط، فقال يرثيه

لقد هاجني طيف لداود بعد ما ... دنت فاستقلت تاليات الكواكب
ومافى ذهول اليأس عن غير سلوة ... رواح من السقم الذي هو غالبي
وعندك لو يحيا صداك فنلتقى ... شفاء لما غادرت يوم التناضب
فهل لك طب نافعى من علاقة ... تُهيِّمني بين الحشى والترائب
تشكيتها اذ صدع الدهر شعبنا ... فأمست قد أعيت فى الرُّقى والطبائب
ولولا يقين أنما الموت عزمة ... من الله حتى يبعثوا للمحاسب
لقلت له فيما أُلِمّ برمسه ... هل أنت غداً غادٍ معى فمصاحبى
فماذا ترى فى غائب لا يُغبُّنى[١] ... فلست بناسيه وليس بآئب
سألت مليكى اذ بلانى بفقده ... وفاة بأيدى الروم بين المقانب
تنوِّنى وقد قدمت ثأرى بطعنة ... تجيش بقَلَّاس من الجوف ثاعب[٢]
وقد خفت أن ألقى المنايا واننى ... لتابع من وافى حمام الجوالب
ولما أطاعن فى العدو تنفلا ... الى الله أبغى فضله وأضارب

(١) أغب الزائر القوم جاءهم يوماً وتركهم يوماً (٢) ثاعب سائل وقلاس مبالغة من القلس وهو أن تخرج الطعنة الدم

وأعطفُ وراءَ المسلمين بشدةٍ ... على دُبُرٍ مُجْلٍ من العيش ذاهب

وبلغه أن رجلا من قومه عابه وقدح فيه فقال

بل قد أتاني ناصح عن كاشح ... بعداوة ظهرت وزَغْرٍ[1] أقاول

أفحين أحكمني المشيب فلا فتى ... غُمُرٌ ولا قحْم وأعْصَلَ[2] بازلى

ولبست أطوار المعيشة كلها ... وعرفت من حق وراعَ عواذلى

وذببت عن أفناء خِنْدِف كلها ... بمؤبَّدات للرجال عُــذامل

أصبحت تقرضني وتقرع مَرْوتى ... بَطَراً ولم يَرْعَب شعابك وابلى

وتنَلْك أظفارى ويَبْرِكَ مِسْحَلى ... برىَ الشَّسيبِ من السَّراء الذابل[3]

فتكون للباقين بعدك عبرةً ... وأطأُ جبينك وطأة المتثاقل

كان أبو صخر يهوى امرأة من قضاعة مجاورة فيهم يقال لها ليلى بنت سعد وتكنى أم حكيم وكانا يتواصلان برهة من دهرهما، ثم تزوجت ورحل بها زوجها الى قومه، فقال فى ذلك أبو صخر

أَلَمَّ خيـال طارق متأوِّب ... لأم حكيم بعد ما نمت موصِب

وقد دنت الجَوْزاء وهى كأنهـا ... ومِرْزَمُها[4] بالغَوْر ثور ورَبْرَب

فبات شرابى فى المنام مع المنى ... غَرِيض اللَّمَى يَشفى جوى الحزن أشنب

قُضاعيـة أدنى ديار تَحُلُّها ... قَناة وأَنَّى من قنـاة المُحَصَّب

سراج الدجى تغتلّ[5] بالمسك طفْلة ... فلاهى متفال ولا اللون أكْهَب

ميثة ما تحت الثياب عميمة ... هضيم الحشى بكر المجسة ثيب

تعلقتهـا خَوْداً لذيذاً حديثها ... ليالي لا تُعْذَى ولا هى تُحجب

(١) الزغر الكثرة (٢) أعصل اشتد ويراد بذلك كمال العقل والتجربة
(٣) المسحل المبرد والشسيب القوى والسراء تتخذ منه القسى (٤) المرزمان نجمان مع الشعريين (٥) تغتل تتطيب

فكان لها ودي وريعة ميعتي ‏ ‏ وليداً الى أن رأسي اليوم أشيب
فلم أر مثلي أيأست بعد علمها ‏ ‏ بودي ولا مثلي على اليأس يطلب
ولو تلتقي أصداؤنا بعد موتنا ‏ ‏ ومن دون رمسينا من الأرض سبسب
لظل صدى صوتي وان كنت رمة ‏ ‏ لصوت صدى ليلى يهش ويطرب

وقال وهي من مختار شعر هذيل

لليلى بذات البين دار عرفتها ‏ ‏ وأخرى بذات الجيش آياتها عفر
وقفت برسميها فلما تنكرا ‏ ‏ صدفت وعيني دمعها سرب همر
وفي الدمع ان كذبت بالحب شاهد ‏ ‏ يبين ما أخفي كما بين البدر
صبرت فلما غال نفسي وشفها ‏ ‏ عجاريف (١) ما تأتي به غلب الصبر
اذا لم يكن بين الحبيبين ردة ‏ ‏ سوى ذكر شيء قد مضى درس الذكر
اذا قلت هذا حين أسلو يهيجني ‏ ‏ نسيم الصبا من حيث يطلع الفجر
واني لتعروني لذكراك فترة ‏ ‏ كما انتفض العصفور بلله القطر
هجرتك حتى قيل لا يعرف الهوى ‏ ‏ وزرتك حتى قيل ليس له صبر
صدقت أنا الصب المصاب الذي به ‏ ‏ تباريح حب خامر القلب أو سحر
أما والذي أبكى وأضحك والذي ‏ ‏ أمات وأحيا والذي أمره الأمر
لقد تركتني أغبط الوحش ان أرى ‏ ‏ أليفين منها لا يروعهما الذعر
فيا هجر ليلى قد بلغت بي المدى ‏ ‏ وزدت على ما لم يكن بلغ الهجر
ويا حبها زدني جوى كل ليلة ‏ ‏ ويا سلوة الايام موعدك الحشر
عجبت لسعي الدهر بيني وبينها ‏ ‏ فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر
فليست عشيات الحمى برواجع ‏ ‏ لنا أبداً ما أورق السلم النضر
واني لآتيها وفي النفس هجرها ‏ ‏ بتاتاً لأخرى الدهر ما وضح الفجر

(١) حوادث

فما هو الا أن أراها فُجاءة ... فأُبهت لا عُرْف لدىّ ولا نُكْر
تكاد يدى تندى اذا ما لمستها ... وينبت فى أطرافها الورق الخضر

ومن قوله

بيد الذى شعف الفؤاد بكم ... فرجُ الذى ألقى من الهم
همٌّ من آجلك ليس يكشفه ... الا مليك جائز الحكم
فاستيقني ان قد كلفْتُ بكم ... ثم افعلى ما شئت عن علم
ولمّا بقيتِ ليبقَيَنَّ جوى ... بين الجوانح مُضْرِعٌ جسمى
ويُقِرّ عينى وهى نازحة ... ما لا يُقَرُّ بعين ذى الحلم
أطلال نعم اذ كلفت بها ... يادِينَ هذا القلب من نُعْم
ولو انني أسقى على سقمى ... بلمى عوارضها شفت سقمى
ولقد عجبت لنيل مقتدر ... يَسِطُ[(1)] الفؤاد بها ولا يُدْمى
يرمى فيجرحني برميته ... فلو اننى أرمى كما يرمى
أوكان قلب اذ عزمت له ... صَرْمى وهجرى كان ذا عزم
أو كان لي غُنْمٌ بذكركم ... أمسيت قد أثريت من غنمى

عبيد الله بن عتبة

هو عبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة بن مسعود الهذلى من سعد بن هُذيل بن مدركة أحد وجوه الفقهاء الذين روى عنهم الفقه والحديث وهو أحد السبعة من أهل المدينة وهم (١) القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق (٢) عروة بن الزبير (٣) أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام (٤) سعيد بن المسيب (٥) خارجة ابن زيد بن ثابت (٦) سليمان بن يسار (٧) وعبيد الله بن عبد الله ، وكان ضريراً

(١) وسطه يسطه حل وسطه

روى عن جماعة من وجوه الصحابة مثل ابن عباس وعبد الله بن مسعود عمه وأبي هريرة ، وكان ابن عباس يقدمه و يؤثره ، وروى عنه الزهري وابن أبي الزناد وغيرهما من نظرائهما ، قال الزهري كان عبيد الله بن عبد الله يلطف لابن عباس فكان يعزه عزاً ، وقال كنت أخدم عبيد الله حتى ان كنت لأستقي الماء الملح وان كان ليسأل جاريته فتقول غلامك الأعمش ، وقال أدركت أربعة بحور عبيد الله أحدهم ، وقال سمعت من العلم شيئاً كثيراً فلما لقيت عبيد الله بن عبد الله كأني كنت في شِعْب من الشعاب فوقعت في الوادي ، وكان عمر بن عبد العزيز يقول ليت لي مجلساً من عبيد الله بن عبد الله بدية ، وقال لو كان عبيد الله بن عبد الله حياً ماصدرت الاعن رأيه ولودِدْت ان لي بيوم من عبيد الله غرماً ، قال ذلك في خلافته

دخل عروة بن الزبير وعبيد الله بن عبد الله على عمر بن عبد العزيز وهو أمير المدينة فقال عروة لشيء حدّث به من ذكر عائشة وعبد الله بن الزبير سمعت عائشة تقول ما أحببت أحداً حبي عبد الله بن الزبير لا أعني رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبوي ، فقال عمر انكم لتنتحلون عائشة لابن الزبير انتحال من لا يرى لكل مسلم معه فيها نصيباً ، فقال عروة بركة عائشة كانت أوسع من ألا يرى لكل مسلم فيها حق ، ولقد كان عبد الله منها بحيث وضعته الرحم والمودة التي لا يشرك كل واحد منهما فيه عند صاحبه أحد ، فقال عمر كذبت ، فقال عروة هذا عبيد الله يعلم أني غير كاذب وان من أكذب الكاذبين من كذب الصادقين ، فسكت عبيد الله ولم يدخل بينهما في شيء ، فأفّف بهما عمر وقال اخرجا عني ، ثم لم يلبث أن بعث الى عبيد الله رسولا يدعوه لبعض ما كان يدعوه اليه فكتب اليه عبيد الله

لَعَمْرُ ابن ليلى وابن عائشة التي ... لمروان أدته أب غير زُمَّلِ
لوَ انّهمُ عمّاً وجداً ووالداً ... تآسوا فسنوا سنة المتعطل
عذرت أبا حفص وان كان واحداً ... من القوم يهدى هديهم ليس يأتلي

ولكنهم فاتوا وجئت مصلِّياً تُقرِّب اثر السابق المتمهل
وعمت فان تسبق فضِنْء مبرَّز جواد وان تُسبق فنفسك فاعذُل
فمالك بالسلطان أن تحمل القذَى جفون عيون بالقذَى لم تكحل
وما الحق أن تهوى فتسعف بالذى هَوِيت اذا ما كان ليس بأعدل
أبى الله والأحساب أن ترءم الخنا نفوس كرام بالخنا لم توكل

جاء الى عمر فاستأذن عليه فرده الحاجب وقال له عنده عبد الله بن عمرو بن عثمان وهو مختلٍ به ، فانصرف غضبان ، وكان فى صلاحه ربما صنع الأبيات فقال لعمر

أبِنْ لى فكن مثلى أو ابتغ صاحباً كمثلك انى تابع صاحباً مثلي
عزيز اخائى لا ينال مودتى من الناس الا مسلم كامل العقل
وما يلبَث الفتيان أن يتفرقوا اذا لم يؤلف روح شكل الى شكل

فأخبر عمر بأبياته فأرسل اليه يُقسم أنه ماعلم باتيانه ولا برد الحاجب اياه فعذره وأول هذه الأبيات

وانى امرؤ من يُصفِني الود يلْقَني وان نزحت دار به دائم الوصل

ومنها

ولولا اتقائى الله قلت قصيدة تسير بها الركبان أبردُها يغلى
بها تنفض الأحلاس فى كل منزل وينفى الكرى عنه بها صاحب الرحل
كفانى يسير اذ أراك بحاجتى كليلَ اللسان ما تُمِرّ وما تُحلى
تلاوذ بالأبواب منى مخافة الـ ملامة والاخلاف شر من البخل

كان عراك بن مالك وأبو بكر بن حزم وعبيد الله بن عبد الله يتجالسون بالمدينة زماناً ثم ان ابن حزم ولى امرتها وولى عراك القضاء، وكانا يمران بعبد الله فلايسلمان عليه ولا يقفان وكان ضريراً فأخبر بذلك فأنشأ يقول

ألا أبلغا عنى عراك بن مالك ولا تدعا أن تثنيا بأبى بكر

فقد جعلت تبدو شوا كل منكما كأنكما بى مُوقَران من الصخر
وطاوعتمانى داعِكا(١) ذا معاكة لعمرى لقد أزرى ومامثله يُزْرى
ولولا اتقائى ثم بقياى فيكما لَلُمتكما لوماً أحرّ من الجمر
فمسّا تراب الارض منها خلقتما ومنها المعاد والمصير الى الحشر
ولا تأنفا أن تسألا وتسلما فما خشى الانسان شراً من الكبر
فلو شئت أن أُلفى عدواً وطاعناً لألفيتة أو قال عندى فى السر
فان أنا لم آمر ولم أنهَ عنكما ضحكت لهحتي يلجّ ويستشرى

ولعبيد الله شعر فحل جيد ليس بالكثير منه قوله

اذا كان لي سر فحدثته العدى وضاق به صدري فلَلناس أعذر
وسرك ما استودعته وكتمته وليس بسر حين يفشو ويظهر

وقوله لابن شهاب الزهرى

اذا قلت أما بعد لم يُثْنَ منطق فحاذر اذا ما قلت كيف أقول
اذا شئت أن تلقى خليلاً مصافياً لقيت ، واخوان الثقات قليل

وأنشد لنفسه

لعمر أبي المُحْصين أيام نلتقى لما لا نلاقيها من الدهر أكثر
يعدون يوماً واحداً ان أتيتها وينسوْن ما كانت على الدهر تهجر
وان أُولع الواشون عمداً بوصلنا فنحن بتجديد المودة أبصر

ومن جيد شعره وسهله

أعاذل عاجلُ ما أشتهى أحب من الآجل الرائث
سأُنفق مالي على لذتى وأوثر نفسى على الوارث
أبادر اهلاك مستهلك لمالي أو عبث العابث

(١) الدعك الحمق والرعونة والمعك كالفرح الأحمق والمعاكة مصدره

وقوله يفتخر فى أبيات

اذا هى حلت وسط عوذ بن غالب فذلك وُدّ نازح لا أطالعه
شددت حيازيمى على قلب حازم كتوم لما ضُمَّت عليه أضالعه
أناجى رجالاً لستُ مطلعَ بعضهم على سر بعض ان صدرى واسعه
بنى لي عبد الله فى ذروة العلا وعُتْبة مجداً لا تزال مصانعه

وقوله وفيه غناء

ان يكُ ذا الدهر قد أضربنا من غير ذحل فربما نفعا
أبكي على ذلك الزمان ولا أحسب شيئاً قد فات مرتجعا
اذ نحن فى ظل نعمة سلفت كانت لها كل نعمة تبعا

قدمت امرأة من ناحية مكة من هذيل وكانت جميلة فخطبها الناس وكادت تذهب بعقول أكثرهم ، فقال فيها

أحبك حباً لو علمت ببعضه لجُدْت ولم يصعب عليك شديد
وحُبُّكِ يا أم الصبي مُدَلِّهِى شهيدي أبو بكر وانى شهيد
ويعلم وجدي القاسم بن محمد وعروة ما ألقى بكم وسعيد
ويعلم ما أخفى سليمان علمه وخارجة يُبدي لنا ويُعيد
متى تسألي عما أقول فتخبري فللحب عندي طارف وتليد

فبلغت أبياته سعيد بن المسيب ، فقال والله لقد أمِنَ أن نسألنا وعلم أنها لو استشهدت بنا لم نشهد له بالباطل عندها

والأبيات التي أولها

لعمرى لئن شطَّت بعثمة دارُها لقد كمدت من وشك الفراق أليح[1]

(١) أهلك

أروح بهمٍّ ثم أغـــدو بمثله ويُحسب أني في الثياب صحيح

قالها في زوجة له كانت تسمى عثْمة ، فعتب عليها في بعض الأمر فطلقها ، وله فيها أشعار كثيرة منها قوله يذكر ندمه على طلاقها

كتمتَ الهوى حتى أضر بك الكتم ولامك أقوام ولومهمُ ظلم

ألا من لنفس لا تموت فينقضى عناها ولا تحيا حياة لها طعم

أأترك اتيان الحبيب تأثماً الا ان هجران الحبيب هو الاثم

فذق هجرها قد كنت تزعم أنه رشاد ألا يا ربما كذب الزعم

ومما قاله فيها وغنى فيه

عفت أطلال عثَمة بالغميم فأضحت وهى موحشة الرسوم

وقد كنا نحـــل بها وفيها هضيم الكشح جائلة البَريم (١)

ومنه وفيه غناء

تغلغل حب عثْمة فى فؤادي فباديه مع الخافي يسـير

تغلغل حيث لم يبلغ شراب ولا حزن ولم يبلغ سرور

صدعت القلب ثم ذررت فيه هواك فليم (٢) فالتأم الفُطور

أكاد اذا ذكرت العهد منها أطير لو أن انساناً يطير

غنى النفس ان أزداد حباً ولـكنى الى صـلة فقير

وأنفذ قادحاك سواد قلبى فأنت عليَّ ما عشـنا أمير

فقيل له أتقول فى مثل هذا ؟ فقال فى اللدود (٣) راحة المفؤود

مات عبيد الله سنة ١٠٢ ويقال سنة ٩٩ أو سنة ٩٨

(١) الخلخال (٢) ليم أصله لئم أى شد وجمع والفطور جمع فطر بالفتح وهو الشق

(٣) اللدود بالفتح ما يصب بالمسعط من الدواء فى أحد شق الفم

أمية بن أبي عائذ

هو أمية بن أبي عائذ العمْرى أحد بني عمرو بن الحرث بن تميم بن سعد بن هُذَيل شاعر اسلامى من شعراء الدولة الأُموية وكان أحد مداحى بنى مرْوان ، وله فى عبد الملك وعبد العزيز ابنى مروان قصائد مشهورة ، وفد الي عبد العزيز الى مصر قاصداً له ، وقد امتدحه بقصيدته التى أولها

ألا ان قلبى مع الظاعنينا   حزين فمن ذا يعزى الحزينا
فيالك من رَوْعة يوْمَ بانوا   بمن كنت أحسب ألا تَبينا

وفيها يقول

الى سيد الناس عبد العزيــز أعملت للسير حرْفاً أمونا
صُهابيــة كعلاة القيو   ن من ضرب جوهرها يخلصونا
اذا أزبدت من تبارى المطـيّ خلْتَ بها خَبَلاً أو جنونا
تؤم النواعش والفرْقدَيـن تنصب للقصد منها الجبينا
الى معدن الخير عبد العز   يز تبلغنا ظُلُماً قد حفِينا
ترى الأُدم والعيس تحت المسو   ح يرْعُدن من عرق الأين جونا
تسير بمدحى عبد العزيــز ركبان مكة والمنجدونا
محبَّرة من صريح الكلا   م ليس كما لفق المحدثونا
وكان امرأً سيداً ماجداً   يُصفى الفنيق ويفنى الهجينا

وطال مقامه عند عبد العزيز وكان يأنس اليه ووصله صلات سنية فاشتاق الى البادية والى أهله فقال لعبد العزيز

متى راكب من أهل مصر وأهله   بمكة من مصرَ العشيةَ راجع
بلى انها قد تقطع الخرْق ضُمَّرٌ   تبارى السُّرى والمسعفون الزعارع

متى ما تجزها يا ابن مروان تعترف | بلاد سليمى وهى خوصاء ظالع
وباتت تؤم الدار من كل جانب | لتخرج واستدت عليها المصارع
فلما رأت ألا خروج وانما | لها من هواها ما تجن الأضالع
تمطت بمجد سبطرى فطالعت | وماذا من اللوح اليمانى تطالع

فقال له عبد العزيز اشتقت الى أهلك يا أمية ، قال نعم والله أيها الأمير ، فوصله وأذن له

ومما يغنى فيه من شعره يصف به ناقته

تمر كجندلة المنجنيـــق يرمى بها السور يوم القتال
فماذا تخطرف(١) من قلة ومن حدب وإكام توال
ومن سيرها العنق(٢) المسبطـــر والعجرفية بعد الكلال

ومنه

أفاطم حييت بالأسعد | متى عهدنا بك لا تبعدى
تبارك ذو العرش ماذا نرى | من الحسن فى جانب المسجد
فان شئت آليت بين المقا | م والركن والحجر الأسود
أنساك ما دام عقلى معى | أمد به أمد السرمد

(١) تخطرف الشيء اذا جاوزه وتعداه والقلة أعلى الجبل والحدب حدور فى صبب والاكام جمع أكمة (٢) العنق السير السريع والمسبطر الممتد والعجرفية مشى فيه خرق وقلة مبالاة والكلال التعب

شعراء قريش

شعراء الحارث بن فهر

ابن هَرْمة

هو ابراهيم بن على بن سلمة بن هرمة من بنى الحارث بن فِهْر ، وفهر أصل قريش ، فمن لم يكن من ولده لم يعد من قريش ، وقيس بن الحرث هم الخُلُج وكانوا فى عَدْوان ثم انتقلوا الى بني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن ، فلما استخلف عمر بن الخطاب رضى الله عنه أتوه ليفرض لهم فأنكر نسبهم ، فلما استخلف عثمان أتوه فأثبتهم فى بني الحرث بن فهر وجعل لهم معهم ديواناً ، وسموا الخلج لأنهم اختلجوا ممن كانوا معه من عدوان ومن بنى نصر بن معاوية ، وأهل المدينة يقولون انما سموا الخلج لانهم نزلوا بالمدينة على خلج وواحدها خليج فسموا بذلك ، ولهم بالمدينة عدد

كان لابراهيم عم يقال له هرمة الأعور فأرادت الخلج نفيه منهم فقال أمسيت ألأم العرب دَعِيّ أدعياء ثم قال يهجوهم

رأيت بنى فِهْر سِباطاً أكفهم … فما بال أنبوبى أكفهم قُفْدا[1]

ولم تدركوا ما أدرك القوم قبلكم … من المجد الا دعوة ألحقت كدا

على ذى أيادى الدهر أفلح جدهم … وخبتم فلم يصنع لكم جدكم جَدا

جاء رجل من أسلم عبد الله بن حسن ببادينه وعنده ابن هرمة ، فقال ابن هرمة لعبد الله أصلحك الله سل الأسلمى أن يأذن لي أن أخبرك خبرى وخبره

(١) الأقفد الكز اليدين والرجلين القصير الاصابع والجمع قفد

فقال له عبد الله بن حسن ائذن له ، فأذن له الأسلمى ، فقال ابراهيم انى خرجت أصلحك الله أبغى ذَوْداً لي فأوحشت وتضيفت هـذا الأسلمى فذبح لي شاة وخبز لى خبزاً وأكرمنى ثم غدوت من عنده فأقمت ماشاء الله ، ثم خرجت أيضاً فى بُغاء ذود لى فأوحشت فضفته فقرانى بلبن وتمر ، ثم غدوت من عنده فأقمت ماشاء الله ثم خرجت فى بُغاء ذود لي فقلت لو ضفت هـذا الأسلمى فاللبن والتمر خير من من الطَّوَى ، فضفته فجاءنى بلبن حامض ، فقال الأسلمى قد أجبته أصلحك الله الى ماسأل فسله أن يأذن لى أن أخبرك لم فعلت ، فقال ائذن له ، فأذن له ، فقال الأسلمي ضافنى فسألته من هو ؟ فقال رجل من قريش ، فذبحت له الشاة التى ذكر ووالله لو كان غيرها عندى لذبحته له حين ذكر أنه من قريش ، ثم غدا من عندى وغدوت على الحى فقالوا من كان ضيفك البارحة ؟ قلت رجل من قريش ، فقالوا لا والله ماهو من قريش ولكنه دعى فيها ، ثم ضافنى الثانية على أنه دعى فى قريش فجئته بلبن وتمر وقلت دعى قريش خير من غيره ، ثم غدا من عندى وغدوت على الحى فقالوا من كان ضيفك البارحة ؟ قلت الرجل الذى قلتم عليه انه دعى فى قريش فقالوا لا والله ما هو بدعِيّ فى قريش ولكنه دعى أدعياء قريش ، ثم جاءنى الثالثة فقريته لبناً حامضاً ووالله لو كان عندى شر منه لقريته اياه ، فانخذل ابن هرمة وضحك عبد الله وضحك جلساؤه معه

لقى ابن ميادة ابن هرمة فقال ابن ميادة والله لقد كنت أحب أن ألقاك لابد من أن نتهاجى وقد فعل الناس ذلك قبلنا ، فقال ابن هرمة بئس والله ما دعوت اليه وأحببته وهو يظنه جاداً ، ثم قال له ابن هرمة أنا والله الذى أقول

انى لميمون جواراً واننى ... اذا زجر الطير العدا لمشوم
وانى لملآن العِنان مناقل ... اذا ماونى يوماً ألفُّ سؤوم
فود رجال أن أمى تقنعت ... بشيب يُغَشّى الرأس وهى عقيم

فقال ابن ميادة وهل عندك جزاء ثكلتك أمك ؟ أنت ألأم من ذلك ما قلت الا مازحاً

امتدح ابن هرمة أبا جعفر فوصله بعشرة آلاف درهم ، فقال لا تقع مني هذه قال ويحك انها كثيرة ، قال ان أردت أن تهنيني فأبح لى الشراب فانى مغرم به ، قال ويحك هذا حد من حدود الله ، قال احتل لي يا أمير المؤمنين ، قال نعم ، فكتب الى والي المدينة من أتاك بابن هرمة سكران فاضربه مائة واضرب ابن هرمة ثمانين ، فجعل الجلواز (١) اذا مر بابن هرمة سكران قال من يشترى الثمانين بالمائة ؟

روى مصعب بن عبد الله عن أبيه قال لقيني ابن هرمة فقال لى يا ابن مصعب أتفضل عليَّ ابن أذينة أما شكرت قولى

فمالك مختلاً عليك خَصاصة ... كأنك لم تنبت ببعض المنابت
كأنك لم تصحب شعيب بن جعفر ... ولا مصعباً ذا المكرمات ابن ثابت

يعني مصعب بن عبد الله ، فقلت يا أبا اسحق أقلنى وروّنى من شعرك ماشئت فانى لم أرو لك شيئاً ، فروانى عباسياته

مدح ابن هرمة محمد بن عمران الطلحي وبعث اليه بالمديح مع ابن ربيح فاحتجب عنه فمدح محمد بن عبد العزيز وكان ابن هرمة مريضاً فقال قصيدته التى يقول فيها

انى دعوتك اذ جُفيت وشفَّنى ... مرض تضاعفنى شديد المشتكى
وحُبست عن طلب المعيشة وارتقت ... دونى الحوائج في وُعور المرتقى
فأجب أخاك فقد أناف بصوته ... يا ذا الاخاء ويا كريم المرتجى
والقد جفأت صبيب عُكَّة (٢) بيتنا ... ذوبا ومِزت بصفوه عنك القذى
نخذ الغنيمة واغتنمنى انني ... غُنم لمثلك والمكارم تشترى
لا ترمينّ بحاجتى وقضائها ... ضوج الحجاب كما رمى بى من رمى

فركب الى جعفر بن سليمان نصف النهار ، فقال ما نزعك يا أبا عبد الله فى

(١) الجلواز الشرطى (٢) العكة زقيق صغير للسمن وجفأ القدر أمالها وصب مافيها

هذا الوقت ؟ قال حاجة لم أر فيها أحداً أكفى منى ، قال وما هي ؟ قال قدمدحنى ابن هرمة بهذه الأبيات فأردت من أرزاقى مائة دينار ، قال ومن عندى مثلها ، قال ومن الأمير أيضاً ؟ فجاءت المائتا دينار الى ابن هرمة فما أنفق منها الا ديناراً واحداً حتى مات ورد الباقى الى ورثته

أصابت ابن هرمة أزمة فركب الى الحسن بن زيد ببطن أزهر فدخل المسجد فلما مالت الشمس خرج الحسين مشتملا على قميصه فقال لمولى له أذن فأذن ، ثم قال له أقم فصلى ، ثم أقبل على ابن هرمة فقال مرحباً بك يا أبا اسحق ، قال نعم بأبى أنت وأمى أبيات قلتها ، وقد كان عبد الله وحسن وابراهيم بنو حسن وعدوه شيئاً فأخلفوه ، فقال هاتها فقال

أما بنو هاشم حولى فقد قرعوا   نبل الضّباب التى جمعت فى قرَن
فما بيثرب منهم من أعاتبه   الا عوائد أرجوهن من حسن
الله أعطاك فضلا من عطيته   على هَنٍ وهن فيما مضى وهن

قال حاجتك ، قال لابن أبى مضرس عليَّ خمسون ومائة دينار ، فقال لمولى له ياهيثم اركب هذه البغلة فأتنى بابن مضرس ، فما صلى العصر حتى جاء به فقال له مرحباً بك يا ابن أبى مضرس أمعك ذكر حقك على ابن هرمة ؟ قال نعم ، قال فامحه ، فمحاه ، ثم قال ياهيثم بع ابن أبى مضرس من تمر الخانقين بمائة وخمسين ديناراً وزده على كل دينار ربع دينار وكِل ابن هرمة بخمسين ومائة دينار تمراً ، فانصرف من عنده فلقيه بعد ذلك محمد بن عبد الله بن حسن بالسيالة وقد بلغه الشعر فغضب لأبيه وعمومته فقال ويلك أنت القائل « على هن وهن فيما مضى وهن » فقال لا ولكنى الذى أقول لك

لا والذى أنت منه نعمة سلفت   نرجو عواقبها فى آخر الزمن
لقد أتيت بأمر ما عمدت له   ولا تعمده قولى ولا سننى

فكيف أمشى مع الأقوام معتدلا وقد رميت برىء العود بالأُبَن
ما غيرت وجهه أم مهجنة اذا القتام تَغَشَّى أوجه الهجن

وأم الحسن أم ولد ، قيل لما قال ابن هرمة هذا الشعر في حسن بن زيد قال عبد الله بن حسن والله ما أراد الفاسق غيرى وغير أخوى حسن وابراهيم وكان عبد الله يجرى على ابن هرمة رزقاً فقطعه عنه وغضب عليه ، فأتاه يعتذر فنحي وطرد ، فسأل رجالا أن يكلموه فردهم ، فيئس من رضاه واجتنبه وخافه ، فمكث ما شاء الله ، ثم مر عشية وعبد الله على زَرْبِيَّة فى ممر المنبر ولم تكن تبسط لأحد غيره فى ذلك المكان ، فلما رأى عبد الله تضاءل وتقنفذ وتصاغر وأسرع المشى فكأن عبد الله رق له فأمر به فرد اليه فقال يافاسق ياشارب الخمر « على هن وهن » تفضل الحسن علىَّ وعلى أخوى ، فقال بأبى أنت وأمى ورب هذا القبر ما عنيت الا فرعون وهامان وقارون أفتغضب لهم ، فضحك وقال والله ما أحسبك الاكاذبا قال والله ما كذبتك ، فأمر بأن ترد عليه جرايته

وقال وليس فيها حرف يعجم الا ما اصطلح عليه الكتاب من تصييرهم مكان الف ياء مثل أعلى فانها فى اللفظ بالالف وهى تكتب بالياء ومثل رأى ونحوهذا وهو فى التحقيق فى اللفظ بالألف وانما اصطلح الكتاب على كتابته بالياء

أرَسمُ سودة مُحْلٌ دارس الطلل معطل رده الأحوالُ كالْحُلَل
لما رأى أهلها سدوا مطالعها رام الصدود وعاد الود كالمَهَل
وعاد ودُّك داء لا دواء له ولو دعاك طَوال الدهر للرَّحَل
ما وصل سودة الا وصل صارمة أحلها الدهر داراً مأكل الوعل
وعاد أمواهها سُدْماً(١) وطار لها سهم دعا أهلها للصرم والعِلَل
صدوا وصدَّ وساء المرء صدهم وحام للورد رُدْهاً حومة العَلَل(٢)

(١) مياه سدم متغيرة من طول المكث (٢) حومة الماء كثرته والعلل الشرب الثانى والرده مستنقع الماء

وحلوءه رِداها ماؤها عسل ... ماماء رَدْه لعمر الله كالعسل
دعا الحمام حماماً سد مسمعه ... لما دعاه ودهر طامح الأمل
طموح سارحة حُوم ملمّعة ... ومُمْزع السرسهل ما كد السهل
وحاولوا رد أمر لا مرد له ... والصَّرم داء لأهل اللوعة الوُصُل
أحلك الله أعلى كل مكرمة ... والله أعطاك أعلى صالح العمل
سهل موارده سَمْح مواعده ... مسود لكرام سادة حمل

كان المِسور بن عبد الملك المخزومى يعيب شعر ابن هرمة وكان عالماً بالشعر والنسيب ، فقال فيه ابن هرمة

إياك لا أُلزمن لَحْيَيك من لُجُمى ... نكلاً ينكل قرّاضاً من اللجم
يَدقّ لَحْيَيك أو تنقاد متبعاً ... مشى المقيد ذي القِردان والحَلَم [(١)]
انى اذا ما امروٌ خفّت نعامته ... إليّ واستحصدت منه قوى الوَذَم [(٢)]
عقدت في ملتقى أوداج لَبَّته ... طوق الحمامة لا يَبْلى على القدم
انى امروٌ لا أصوغ الحَلْى تعمله ... كفاى لكن لسانى صائغ القلم
ان الأديم الذى أمسيت تقْرِظه [(٣)] ... جهلاً لذو نَغَل باد وذو حَلَم
ولا يَئِطّ [(٤)] بأيدي الخالقين ولا ... أيدي الخوالق الا جيد الأَدَم

قال ابن هَرْمة ما رأيت أحداً قط أسخى ولا أكرم من رجلين ابراهيم بن عبد الله بن مطيع وابراهيم بن طلحة بن عمرو ، أما ابراهيم بن طلحة فأتيته ، فقال أحسنوا ضيافة أبي اسحاق ، فأتيت بكل شيء من الطعام ، فأردت أن أنشده ،

---

(١) الحلم جمع حلمة وهى دودة تقع فى الجلد فتأكله فاذا دبغ لم يزل ذلك الموضع رقيقاً ، والقردان واحده قراد وهى دويبة تتعلق بالبعير ونحوه (٢) الوذم السيور بين آذان الدلو والعراقى (٣) قرظ الاديم دبغه بالقرظ ، والنغل مصدر نغل الاديم فسد دباغه والحلم مصدر حلم الاديم فسد فى العمل ووقع فيه دود فتثقب (٤) يئط يصوت والخالق من خلق الاديم قدره قبل أن يقطعه

فقال ليس هذا وقت الشعر ، ثم أخرج الغلام إليّ رقعة ، فقال ائت بها الوكيل ، فأتيته بها ، فقال ان شئت أخذت لك جميع ما كتب به وان شئت أعطيتك القيمة ، قلت وما أمر لي به ؟ فقال مائتا شاة برعائها وأربعة أجمال وغلام جمّال ومظلة وما تحتاج اليه وقوتك وقوت عيالك سنة ، قلت فأعطني القيمة ، فأعطاني مائتي دينار ، وأما ابراهيم بن عبد الله فأتيته فى منزله بمُشاش على بئر ابن الوليد بن عثمان بن عفان فدخل الى منزله ثم خرج إليّ برزمة ثياب وصرة من دراهم ودنانير وحلى ثم قال والله ما أبقينا فى منزلنا ثوباً الا ثوباً نواري به امرأة ولا حلياً ولا ديناراً ولا درهماً ، وقال يمدح ابراهيم بن طلحة

أرقتني تلومني أم بكر بعد هدْء واللوم قد يؤذيني
حذرتنى الزمان ثمت قالت ليس هذا الزمان بالمأمون
قلت لما هبَّت تحذرنى الدهـ ـر دعى اللوم عنك واستبقيني
ان ذا الجود والمكارم ابرا هيمَ يَعنيه كل ما يَعْنيني
قد خبرناه فى القديم فألفيـ ـنا مواعيده كعين اليقين
قلت ما قلت للذى هو حق مستبين لا للذى يُعطيني
نَصَحت[1] أرضَنا سماؤك بعد الـ ـجَدْب منها وبعد سوء الظنون
فرعينا آثار غيث هَرَاقتـ ـه يدا مُحكَم القوى ميمون

كان السرى بن عبد الله باليمامة وكان يتشوق الى ابن هرْمة ويحب أن يفد عليه ، فقيل له ما يمنعك أن تكتب اليه ؟ فيقول أخاف أن يكلفنى من المؤونة ما لا أطيق ، فكتب بذلك الى ابن هرْمة ، فكره أن يَقدَم عليه الا بكتاب منه ، ثم غلب فشخص اليه ومعه راويته ابن ربيح ، فقيل له ما يمنعك من القدوم على الأمير وهو من الحرص على قدومك على ما كُتب به اليك ؟ قال الذى منعه

(١) نصحت أمطرت

من الكتاب إليَّ ، ولما علم السرى بقدومه سر بذلك وجلس للناس مجلساً عاماً ، ثم أذن لابن هرمة فدخل عليه ، وكان ابن هرمة قصيراً دميماً أريمص وكان راويته طويلاً جسيماً نقي الثياب ، فسلم على السرى ثم قال له أصلحك الله انى قلت شعراً أثنيت فيه عليك ، فقال أنشد ، فقال هذا ينشد ، فجلس ، فأنشده ابن ربيح قصيدته التى أولها

عوجا على ربع ليلى أم محمود كيما نسائله من دون عبُّود
عن أم محمود اذ شط المزار بها لعل ذلك يشفى داء معمود
فعرجا بعد تغوير وقد وقفت شمس النهار ولاذ الظل بالعود
شيئاً فما رجعت أطلالُ منزلة قفْرٍ جوابا لمحزون الجوى مُودِ

ثم قال فيها يمدح السرى

ذاك السَّرِىّ الذى لولا تدفقه بالعرف مات حليف العُرْف والجود
من يعتمدك ابن عبد الله مجتمعاً لسَيْب عرفك يعمد خير معمود
يا ابن الأُساة الشُّفاة المستغاث بهم والمطعمين ذُرَى الكوم القماحيد (١)
والسابقين الى الخيرات قومهم سبق الجياد الى غاياتها القُود
أنت ابن مسلنْطَح البطحاء منبتكم بطحاء مكة لا روس القَراديد (٢)
لكم سقايتها قِدماً وندوتها قد حازها والد منكم لمولود
لولا رجاؤك لم تعسِف بنا قُلُص أجوازَ مهمهة قفْرِ الصُّوَى (٣) بيد
لكن دعانى وميض لاح معترضاً من نحو أرضك فى دُهْم مناضيد

وأنشده أيضاً

أفي طلَلٍ قفْرٍ تحمل آهله وقفت وماء العين ينهلّ هامله

---

(١) ناقة متعاد عظيمة السنام والجمع مقاحيد (٢) القردود ما ارتفع من الأرض وغلظ والجمع قراديد (٣) الصوى الاعلام

تسائل عن سلمى سفاهاً وقد نأت بسلمى نوًى شحط فكيف تسائله
وترجو ولم ينطق وليس بناطق جواباً محيلٌ قد تحمل آهله
ونؤْى كخط النون ما إن تبينه عفته ذيول من شمال تذائله (١)

ثم قال فيها

فقل للسَّريّ الواصل البرّ ذى الندى مديحاً اذا ما بثّ صُدق قائله
جواد على العِلاّت يهتز للندى كما اهتز عضبٌ أخلصته صياقله
نفى الظلم عن أهل اليمامة عدله فعاشوا وراح الظلم عنهم وباطله
وناموا بأمن بعد خوف وشدة بسيرة عدل ما تخاف غوائله
وقد علم المعروف أنك خِدْنه ويعلم هـــذا الجوع أنك قاتله
بك الله أحيا أرض حَجْر (٢) وغيرها من الأرض حتى عاش بالبقل آكله
وأنت ترجّى للذى أنت أهله وتنفع ذا القربى لديك وسائله

وأنشده أيضاً ممــا مدحه به قوله « عوجا نُحَىّ الطلول بالكُثب » يقول فيها يمدحه

دع عنك سلمى وقل محبرة لمـا جد الجد طيب النَّسَب
مَحْض مصفًى العروق يحمده فى العسر واليسر كل مرتغب
الواهب الخيل فى أعِنّتها والوصفاء الحسان كالذهب
مجداً وحمداً يفيده كرماً والحمد فى الناس خير مكتسب

فلما فرغ ابن ربيح قال السَّرِيّ لابن هرمة مرحباً بك يا أبا اسحاق ما حاجتك ؟ قال جئتك عبداً مملوكاً ، قال بل حراً كريماً وابن عم فما ذاك ؟ قال ما تركت لي مالاً الا رهنته ، ولا صديقاً الا كلفته ، فقال له السرى وما

---

(١) الذألان الاسراع (٢) حجر مدينة اليمامة

دينك ؟ قال سبعمائة دينار ، قال قد قضاها الله جل وعز عنك ، فأقام أياماً ثم قال يتشوق الى بلده ويمدحه

أأحمامة فى نخــــل ابن هدَّاج هاجت صبابة عانى القلب مهتاج
أم المخبِرٌ أن الغيث قد وضعت منه العِشار تماماً غير إخْداج(١)
شَقَّت شوائفها بالفَرْش من ملل الى الأعارف من حزن فأوجاج
حتى كأن وجوه الأرض مُلْبَسة طرائفاً من سَدَى عصْب وديباج

يقول فيها فى مدح السرى

أما السرى فانى سوف أمدحه ما المادح الذاكر الاحسان كالهاجى
ذاك الذى هو بعد الله أنقذنى فلست أنساه إنقاذي وإخراجى
ليث بحجْر اذا ما هاجه فزع هاج اليــــه بإلجام واسراج
لاحبونك مما أصطفى مِدَحاً مصاحبات لعُمَّار وحجاج
أُسدى الصنيعة من بر ومن لطف الى قرُوعٍ لِباب الملك وَلَّاج
كم من يد لك فى الأقوام قد سلفت عند امرىء ذي غنىً أو عند محتاج

فأمر له بسبعمائة دينار فى قضاء دينه ومائة دينار يتجهز بها ومائة دينار يعرِّض(٢) بها أهله ومائة دينار اذا قدم على أهله

اجتمع قوم من قريش فزاروا ابن هرمة ، فقال لهم ما جاء بكم قالوا سمعنا شعرك فدعانا اليك سمعناك تقول

ان امرأً جعل الطريق لبيته طُنُباً وأنــكر حقـــه للئيم

وسمعناك تقول

واذا تنوَّر طارق مستنبح نبحت فدلته علىَّ كلابى
وعوَيْن يستعجلنه فلقينه يضربنه بشراشر الأذناب

(١) الاخداج أن تلد قبل تمام خلقها (٢) أى يهدى لهم بها هدية والعراضة بالضم الهدية

وسمعناك تقول

كم ناقة قد وجأت منحرها بمستهل الشؤبوب أو جمل
لا أُمتع العُوذَ بالفصال ولا أبتاع الا قريبة الأجل

فقال أما سمعتم قول الله تعالى للشعراء «وأنهم يقولون ما لايفعلون»

قال العباس بن عبد الملك وكان بخيلاً لا يحب أن يعطى أحداً شيئاً ما بال الشعراء تمدح أهل بيتى أجمع ولا تمدحنى ؟ فبلغ ذلك ابن هرمة وكان قد مدحه فلم يُثبه ، فقال يعرض به ويمدح عبد الواحد بن سليمان

ومعجَبٍ بمديح الشعر يمنعه من المديح ثواب المدح والشفقُ
يا آبى المدح من قول يحبره ذو نيقة من حواشى شعره أنق
انك والمدحَ كالعذراء يعجبها مسُّ الرجال ويثني قلبها الفرَق

ثم قال يمدح عبد الواحد بن سليمان

أهل المدائح تأتيه فتمدحه والمادحون اذا قالوا له صدقوا
لا يستقر ولا تخفى علامته اذا القنا شال فى أطرافها الحرَق
فى يوم لا مال عند المرء ينفعه إلا السنان وإلا الرمح والدَّرَق
يطعن بالرمح أحياناً ويضربهم بالسيف ثم يدانيهم فيعتنق
يكاد بابك من جود ومن كرم من دون بوابه للناس يندلق
انى لأطوِى رجالا أن أزورهم وفيهمُ عَكَرُ الأنعام والورق
طى الثياب التي لوكُشِّفت وجدت فيها العوارير فى التفتيش والخرق
وأترك الثوب يوماً وهو ذو سعَة وألبس الثوب وهو الضيق الخَلَق
اكرام نفسى وأنى لا يوافقني ولوظَميت فحُمْتُ المشربُ الرَّنَق

فلما قال هذه القصيدة أنشدها عبد الواحد وهو أمير على الحجاز فأمر له

بثلثمائة دينار وخلعة موشية من ثيابه وحمله على فرس وأعطاه ثلاثين لِقحة ومائة شاة وسأله عما يكفيه كل سنة ويكفى عياله من البر والتمر ، فأخبره فأمر له بذلك أجمع لسنة ، وقال له هذا لك عليّ مادمت فى الدنيا واقتطعه الى نفسه وأنس به وقال له لست بمحوجك الى غيرى أبداً ، فلما عزل عبد الواحد عن المدينة تصدى للوالي مكانه وامتدحه ، ولم يلبث عبد الواحد أن ولى بعد ذلك وبلغه الخبر فأمر أن يحجب عنه ابن هرمة وطرده وجفاه ، فلم يدع بالمدينة وجيهاً ولا رجلا له نباهة وقدر من قريش إلا سأله أن يشفع له فى أن يعيده الى منزلته عنده فيأبى ذلك ، فلما أعوزته الحيلة أتى عبد الله بن حسن فقال يا ابن رسول الله ان هذا الرجل كان يكرمنى وأخذ عليّ ألا أمدح غيره فأعطيته بذلك عهداً ثم دعانى الشره والكد الى أن مدحت الوالى بعده وقص عليه القصة وسأله أن يشفع له فركب معه ، فلما دخل عبد الله بن حسن الى عبد الواحد قام فعانقه وأجلسه الى جنبه ثم قال له أحاجة غدت بك أصلحك الله ؟ قال نعم ، قال كل حاجة لك مقضية الا ابن هرمة ، فقال له إن أردت ألا تستثني فى حاجتى فافعل ، قال قد فعلت ، قال فحاجتى ابن هرمة ، قال قد رضيت عنه وأعدته الى منزلته ، قال أفتأذن له أن ينشدك ؟ قال تُعفينى من ذلك ، قال أسألك أن تفعل ، قال ائتوا به فدخل عليه وأنشده قوله فيه وهى من فاخر الشعر ونادر الكلام ومن جيد شعر ابن هرمة

صرمت حبائلا من حب سلمى   لهند ما عهدت لمستراح
فانك ان تقم لا تَلْق هنداً   وان ترحل فقلبك غير صاح
يظَلّ نهارَه يَهذى بهند   ويأرق ليله حتى الصباح
أعبد الواحد المحمود انى   أغصّ حِذار سخطك بالقَراح
فشَلّت راحتاى وجال مهرى   فألقانى بمشتجَر الرماح
وأقعدنى الزمان فبت صِفراً   من المال المعزَّب والمُراح

اذا نحمت غيرك فى ثنائى ونصحى فى المغيب وفى امتداحى
كأن قصائدى لك فاصطنعنى كرائم قد عُضِلن عن النكاح
فان أك قد هفوت الى أمير فعن غير التطوع والسماح
ولكن سقطة عيّت علينا وبعض القول يذهب فى الرياح
لعمرك انني وبنى عدى ومن يهوى رشادى أو صلاحي
اذا لم ترض عنى أو تصلنى لفى حين أعالجه مُتاح
وانك ان حططت اليك رحلى بغربىّ السَّراة لذو ارتياح
هششت لحاجة ووعدت أخرى ولم تبخل بناجزة السراح
وجدنا غالباً خلقت جناحا وكان أبوك قادمة الجناح
اذا جعل البخيل البخل تُرْساً وكان سلاحه دون السلاح
فان سلاحك المعروف حتى تفوز بِعِرض ذى شيم صحاح

ولما سمع عبد الله بن حسن قوله

وجدنا غالباً كانت جناحا وكان أبوك قادمة الجناح

غضب حتى انقطع زره ثم وثب مغضباً ، فأدركه ابن هرمة وقال له جزاك الله خيراً يا ابن رسول الله ، فقال ولكن لا جزاك الله خيراً ، أتقول لابن مروان « وكان أبوك قادمة الجناح » بحضرتى وأنا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن على بن أبي طالب عليه السلام ، فقال جعلني الله فداك انى قلت قولا أخدعه به طلبا لدنياه ووالله ماقست بكم أحداً قط أفلم تسمعنى قد قلت فيها « وبعض القول يذهب فى الرياح » فضحك عبد الله وقال قاتلك الله ما أظرفك

ومن قوله يمدحه

أجارتنا رَوّحى نغْمة على هائم النفس مهتاجها
ولا خير فى ود مستكره ولا حاجة دون انضاجها

يقول فيها يمدح عبد الواحد

كأن قتودى على خاضب ... زفوف العشيات هدّاجها
الى ملك لا الى سوقة ... كسته الملوك ذري تاجها
تحلى الوفود بأبوابه ... فتلقى الغنى قبل ارتاجها
بقرّاع أبواب دور الملو ... ك عند التحية ولّاجها
الى دارذى حسب ماجد ... حمول المغارم فراجها
ركود الجفان غداة الصَّبا ... ويوم الشَّمال وارهاجها
وقفت بمدحيه عند الحجا ... ز أنشد بين حجاجها
اذا قيل من خير من يرتجى ... لمعترّ فهر ومحتاجها
ومن يعجل الخيل يوم الوغى ... بالجامها قبل اسراجها
أشارت نساء بنى غالب ... اليك به قبل أزواجها

ومن مدائح ابن هرمة لعبد الواحد

أجارتنا بذي نفر أقيمى ... فما أبكى على الدهر الذميم
أقيمى وجه عامك ثم سيرى ... بلا واهي الجوار ولا مُليم
فكم بين الأقارع فالمنقّى ... الى أُحُد الى أكناف ريم
الى الجمّاء من خد أسيل ... نقى اللوم ليس بذى كلوم
ومن عين مكحلة المآقى ... بلا كحل ومن كَشْح هضيم
أرقت وغاب عنى من يلوم ... ولكن لم أنم أنا للهموم
أرقت وشفّنى وجع بقلبي ... لزينب أو أُميمة أو رعوم
أقاسى ليلة كالحول حتى ... تبدى الصبح منقطع البريم
كأن الصبح أبلق فى حجول ... يَشِبّ ويتقى ضرب الشكيم
رأيت الشيب قد نزلت علينا ... روائعه بحجة مستقيم
اذا ناكرته ناكرت منه ... خصومة لا ألدّ ولا ظلوم

وودعني الشباب فصرت منه كراض بالصغير من العظيم
فدع ما لا يرد عليك شيئاً من الجارات أو دِمَن الرسوم
وقل قولا تُطَبِّق مفصليه بمدحة صاحب الرأى الصَّروم
لعبد الواحد الفَلَج المعلَّى علا خلق النفورة والخصوم
دعته المكرمات فناولته خطام المجد فى سن الفطيم

دخل ابن هرمة على المنصور وقال يا أمير المؤمنين انى قد مدحتك مديحاً لم يمدح أحد أحداً بمثله ، قال وماعسى أن تقول فيَّ بعد قول كعب الأشقرى في المهلب

براك الله حين براك بحراً وفجر منك أنهاراً غِزارا

فقال قد قلت أحسن من هذا ، فقال هات فأنشده

له لحظات عن حِفافَيْ سريره اذا كرَّها فيها عِقاب ونائل
فأم الذى أمنت آمنة الرَّدَى وأم الذى خوفت بالثكل ثاكل

فأمر له بأربعة آلاف درهم ، فقال له المهدى يا أمير المؤمنين قد تكلف فى سفره اليك نحوها ، فقال له المنصور يابني انى وهبت له ما هو أعظم من ذلك وهبت له نفسه أليس هو القائل يمدح عبد الواحد بن سليمان « اذا قيل من خير من يرتجى » الأبيات السابقة

ومما يغنى فيه من شعره

في حاضر لَجِب بالليل سامره فيه الصواهل والرايات والعكر (١)
وخُرَّد كالمها حور مدامعها كأنها بين كُثبان النَّقا البقر

مرت إبل لمحمد بن عمران تحمل علفاً ، فقال محمد بن عبد العزيز الزهرى لابن هرمة ألا تستعلف محمد بن عمران ؟ وهو يريد أن يعرضه لمنعه فيهجوه ، فأرسل ابن هرمة في أثر الحمولة رسولا حتى وقف على ابن عمران فأبلغه رسالته ، فرد اليه الابل بما عليها وقال ان احتجت الى غيرها زدناك ، فأقبل ابن هرمة على

(١) العكر بالتحريك ما فوق خمسمائة من الابل

محمد بن عبد العزيز فقال له اغسلها عني فانه ان علم أني استعلفته ولادابة لى وقعت منه فى سوءة ، قال بماذا ؟ قال تعطيني حمارك ، قال هو لك بسرجه ولجامه ، فقال ابن هرمة من حفر حفرة سوء وقع فيها

قال ابن هرمة

ومهما ألام على حبهم ... فانى أحب بنى فاطمة

بني بنت من جاء بالمحكما ... ت والدين والسنن القائمة

فلقيه بعد ذلك رجل فسأله من قائلها ، فشتم قائلها ، فقال له ابنه يا أبت ألست قائلها ؟ قال بلى ، قال فلم شتمت نفسك ؟ قال أليس أن يشتم الانسان نفسه خير من أن يأخذه ابن قَحْطَبَة

قال عمر بن عبد العزيز وافينا الحج فى عام من الأعوام الخالية فأصبحنا بالسيالة فاذا ابن هرمة يستأذن على أخى محمد بن عبد العزيز فأذن له ، فدخل عليه فقال يا أبا عبد الله ألا أخبرك ببعض ما تستظرف ؟ قال بلى وربما فعلت يا أبا اسحق ، قال فانه أصبح عندنا ههنا منذ أيام محمد بن عمران واسمعيل بن عبد الله بن جبير وأصبح ابن عمران بجملين له ظالعين فاذا رسوله يأتيني أن أجب ، فخرجت حتى أتيته فأخبرنى بظَلَع جمليه وقال لي أردت أن أبعث الى ناضحين لي بعَمْق لعلى أوتى بهما الى هنا لأمضى عليهما و يصير هذان الظالعان الى مكانهما نفرغ لنا دارك واشتر لنا علفاً واستلنه بجهدك فانا مقيمون ههنا حتى تأتى جمالنا ، فقلت له فى الرحب والقرب والدار فارغة وزوجته طالق ان اشتريت عود علف ، عندى حاجتك منه ، فأنزلته ودخلت الى السوق فما أبقيت فيه شيئاً من رسْل ولا جداء ولا طُرفة ولا غير ذلك الا ابتعت منه فاخره و بعثت اليه به مع دجاج كان عندنا ، فبينا أنا أدور فى السوق اذ وقف عليَّ عبد لاسمعيل بن عبد الله يساومنى بحمل علف لي فلم أزل أنا وهو حتى أخذه منى بعشرة دارهم وذهب به فطرحه لظهره

وخرجت عند الرواح أتقاضى العبد ثمن حملى فاذا هو لاسمعيل بن عبد الله ولم أكن دريت ، فلما رآنى مولاه حيانى ورحب بى وقال هل من حاجة ياأبااسحق ؟ فأعلمه العبد ان العلف لى ، فأجلسنى فتغديت عنده ثم أمر لى مكان كل درهم منها بدينار وكانت معه زوجته فاطمة بنت عباد فبعثت اليَّ بخمسة دنانير ، وراحوا وخرجت بالدنانير ففرقتها على غرمائى وقلت عند ابن عمران عوض منها ، فأقام عندى ثلاثاً وأتاه جماله فما فعل بى شيئاً ، فبينا هو يترحل وفي نفسه منى مالاأدرى به اذ كلم غلاماً له بشىء فلم يفهم ، فأقبل عليَّ فقال ما أقدر على افهامه مع قعودك عندى والله آذيتني ومنعتنى ما أردت ، فقمت مغتماً بالذى قال حتى اذا كنت على باب الدار لقينى انسان فسألنى هل فعل اليَّ شيئا ؟ فقلت أنا والله بخير اذ تلف مالى وربحت بدنى ، وطلع عليَّ وأنا أقولها فشتمنى والله يا أبا عبد الله حتى ما أبقى لي وزعم أنه لولا احرامه لضربنى وراح وما أعطانى درهماً فقلت

يا من يُعـين على ضيف ألمَّ بنا ليس بذي كرم يرجى ولا دين
أقام عندى ثلاثاً سنة سلفت أغضيت فيها على الأقذاء والهُون
مسافة البيت عشر غير مشكلة وأنت تأتيه فى شهر وعشرين
لست تبالى فوات الحج ان بقيت ذات الكَلال وأسمنت ابن حرقين
تحدث النار عما فيك من كرم هيهات ذاك لضيفان المساكين
أصبحت تخزُن ما تحوى وتجمعه أبا سليمان من أشلاء قارون
مثل ابن عمران آباء له سلفوا يجزون فعل ذوى الاحسان بالهُون
ألا تكون كاسمعيل ان له رأياً أصيلاً وفعلاً غير ممنون
أو مثل زوجته فيما ألم بنا هيهات من أمها ذات النطاقين

فلما أنشدها قال له محمد بن عبد العزيز نحن نعينك يا أبا اسحق (لقوله يامن يعين) قال قد رفعك الله عن العون الذي أريده ما أردت الا رجلا مثل عبدالله

خنزيرة وطلحة أطباء الكلبة يمسكونه لى وآخذ خوط سلمة فأوجع به خواصره ، ولما بلغ فى انشاده قوله « مثل ابن عمران آباء له سلفوا » قال عذراً الى الله تعالى واليكم انى لم أعن من آبائه طلحة بن عبيد الله ، ونزل اليه اسمعيل بن جعفر فلم يكلمه حتى ضرب أنفه وقال له أفعنيت من آبائه أبا سليمان محمد بن طلحة يادعي ؟ فدخل القوم بينهما ، وجاء رسول محمد بن طلحة الى ابن هرمة يدعوه ، فذهب اليه فقال ما الذى بلغنى من هجائك أبا سليمان ؟ والله لا أرضى حتى تحلف ألا تقول له أبداً الا خيراً وحتى تتلقاه فتترضاه اذا رجع وتحتمل كل ما زل به اليك وتمدحه ، قال أفعل بالحب والكرامة ، قال واسمعيل بن جعفر لا تعرض له الا بخير ، قال نعم فأخذ عليه الأيمان فيهما وأعطاه ثلاثين ديناراً وأعطاه محمد بن عبد العزيز مثلها ، واندفع ابن هرمة يمدح محمد بن عمران

ألم تر أن القول يخلص صدقه ... وتأبى فما تزكو لباغ بواطله

ذممت امرأ لم يطبع الذم عرضه ... قليلا لدى تحصيله من يشا كله

فما بالحجاز من فتى ذا إمارة ... ولا شرف الا ابن عمران فاضله

فتى لا يطور الذم ساحة بيته ... وتشقى به ليل التمام عواذله

مدح ابن هرمة محمد بن عمران فألفاه راويته وقد جاءته عير له تحمل غلة قد جاءته من الفرع أو خيبر ، فقال له رجل كان عنده اعلم والله ان أبا ثابت عمران ابن عبد العزيز أغراه بك وأنا حاضر عنده وأخبره بعيرك هذه ، فقال انما أراد أبو ثابت أن يعرضنى للسانه ، قودوا اليه القطار ، فقيد اليه

قدم جرير المدينة فأتاه ابن هرمة وابن أذينة فأنشداه فقال جرير القرشي أشعرهما والعربى أفصحهما

قال ابن هرمة يمدح أبا الحكم المطلب بن عبد الله

ولما رأيت الحادثات كنفنني ... وأورثنى بؤسى ذكرت أبا الحكم

سليل ملوك سبعة قد تتابعوا ... همُ المصطفَوْنَ والمصفَّوْنَ بالكرم

فلاموه وقالوا أتمدح غلاماً حديث السن بمثل هذا ؟ قال نعم ، وكانت له ابنة يلقبها عيينة فقال

كانت عيينة فينا وهى عاطلة ... بين الجواري فحلاها أبو الحكم

فمن لحانا على حسن المقال له ... كان المُليمِ وكنا نحن لم نُلَم

أرسل ابن هرمة الى عبد العزيز بن المطلب كتاباً يشكو فيه بعض حاله ، فبعث اليه بخمسة عشر ديناراً ، فمكث شهراً ثم بعث يطلب منه شيئاً آخر بعد ذلك ، فقال أنا والله ما نقوى على ما كان يقوى عليه الحكم بن المطلب وكان عبد العزيز قد خطب امرأة من ولد عمر ، فردته ، فخطب امرأة من بنى عامر بن لؤَىّ فزوجوه ، فقال ابن هرمة

خطبت الى كعب فردوك صاغراً ... فحولت من كعب الى جذم عامر

وفى عامر عز قديم وانما ... أجازك فيهم هزل أهل المقابر

وقال فيه أيضاً

أبالبخل تطلب ما قدمت ... عرانين جادت بأموالها

فهيهات خالفت فعل الكرام ... خلاف الجمال بأبوالها

جلس ابن هرمة مع قوم على شراب ، فذكر الحكم بن المطلب فأطنب فى مدحه ، فقالوا انك لتكثر ذكر رجل لو طرقته الساعة فى شاة يقال لها غرّاء تسأله إياها لردك عنها ، فقال أهو يفعل هذا ؟ قالوا إيْ والله ، وكانوا قد عرفوا أن الحكم بها معجب ، وكانت في داره سبعون شاة تحلب ، فخرج وفى رأسه ما فيه ، فدق الباب ، فخرج اليه غلامه ، فقال له أعلم أبا مروان بمكاني ، وكان قد أمر ألاَّ يحجب ابن هرمة عنه ، فأعلمه به فخرج اليه متشحاً فقال أفى مثل هذه الساعة يا أبا اسحاق ؟ فقال نعم جعلت فداك ولد لأخ لي مولود فلم تدرّ عليه أمه ، فطلبوا له شاة حلوبة فلم

يجدوها ، فذكرت شاة عندك يقال لها غراء ، فسألني أن أسألكها ، فقال أتجيء في هذه الساعة ثم تنصرف بشاة واحدة ؟ والله لا تبقى فى الدار شاة الا انصرفت بها ، سقهن معه يا غلام ، فساقهن ، فخرج بهن الى القوم ، فقالوا ويحك أى شيء صنعت ؟ فقص عليهم القصة ، وكان فيهن ما ثمنه عشرة دنانير وأكثر من عشرة

قال عمر بن أيوب الليثى شرب ابن هرمة عندنا يوماً فسكر ، فلما حضرت الصلاة تحرك فقال لي وهو يتوضأ ما كان حديثكم اليوم ؟ قلت يزعمون أن الوليد قتل ، فرفع رأسه إليّ وقال

وكانت أمور الناس منبتّة القوى فشد الوليد حين قام نظامها

خليفة حق لا خليفة باطل رمى عن قناة الدين حتى أقامها

ثم قال له إياك أن تذكر من هذا شيئاً فانى لا أدري ما يكون

كان ابن الأعرابى يقول ختم الشعر بابن هرمة

كان ابن هرمة مغرماً بالنبيذ فمر على جيرانه وهو شديد السكر حتى دخل منزله ، فلما كان من الغد دخلوا اليه فعاتبوه على الحال التى رأوه عليها ، فقال لهم أنا فى طلب مثلها منذ دهر أما سمعتم قولي

أسأل الله سكرة قبل موتى وصياح الصبيان يا سكران

فنفضوا ثيابهم وخرجوا وقالوا ليس يفلح والله هذا أبداً

أنشد لابن هرمة

ما أظن الزمان يا أم عمرو تاركاً ان هلكت من يبكيني

فكان كذلك لقد مات فما كان يحمل جنازته الا أربعة نفر حتى دفن بالبقيع

ولد ابن هرمة سنة تسعين وأنشد أبا جعفر المنصور فى سنة أربعين ومائة قصيدته التى يقول فيها

ان الغوانى قد أعرضن مقلية لما رمى هدف الخمسين ميلادى

ثم عمر بعدها مدة طويلة

شعراء عامر بن لؤى

ابن قيس الرقيات

هو عبد الله بن قيس العامرى من عامر بن لؤى بن غالب بن فهر ، وانما لقب بالرقيات لأنه شبب بثلاث نسوه سمين جميعاً رقية ، وهو شاعر قريش فى الاسلام أتى الى طلحة بن عبد الله بن عوف الزهرى فقال له ياعمي انى قد قلت شعراً فاسمعه فانك ناصح لقومك فان كان جيداً قلت وان كان رديئاً كففت ، فقال له أنشد ، فأنشده قصيدته التى يقول فيها

علل القوم يشربوا كي يلذّوا ويطربوا
انما ضلل الفؤا د غزال مربرب
فرشته على النما رق سعدي وزينب
منع اللهو والهوى وسُرَى الليل مصعب
وسياط على أكف رجال تقلب

فقال له يا ابن أخى قل فانك شاعر ، وهذه الأبيات يقولها فى مصعب بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى وكان مروان بن الحكم لما ولى المدينة ولاه شرطته ، فقال انى لا أضبط المدينة بحرس المدينة فابغني رجالاً من غيرها ، فأعانه بمائتى رجل من أهل أيلة ، فضبطها ضبطاً شديداً ، فدخل المِسْوَر بن مَخْرَمة على مروان فقال أما ترى ما يشكوه الناس من مصعب ؟ فقال

ليس بهذا من سياق عتب يمشى القطوف وينام الركب

وبقى الى أن ولى عمرو بن سعيد المدينة وخرج الحسين وعبد الله بن الزبير ،

فقال له عمرو اهدم دور بني هاشم وآل الزبير ، فقال لا أفعل ، فقال انتفخ سَحْرُك يا ابن أم حريث ألق سيفنا ، فألقاه ولحق بابن الزبير ، وولى عمرو بن سعيد شرطته عمرو بن الزبير بن العوّام وأمره بهدم دور بنى هاشم وآل الزبير ، ففعل و بلغ منهم كل مبلغ وهدم دار ابن مطيع التى يقال لها العنقاء ، وضرب محمد بن المنذر مائة سوط ، ثم دعا بعروة بن الزبير ليضربه ، فقال له محمد أتضرب عروة ؟ فقال نعم الا أن تحتمل ذلك عنه ، فقال أنا أحتمله ، فضربه مائة سوط أخرى ، ولحق عروة بأخيه ، وضرب عمرو الناس ضرباً شديداً ، فهربوا منه الى ابن الزبير وكان المسور ابن مخرمة أحد من هرب منه ، ولما أفضى الأمر الى ابن الزبير أقاد منه وضربه بالسوط ضرباً مبرحاً ، فمات فدفنه في غير مقابر المسلمين وقال للناس ان عمراً مات مرتداً عن الاسلام

وكان ابن قيس زبيرى الهوى وخرج مع مصعب بن الزبير على عبد الملك ، فلما قتل مصعب وقتل عبد الله هرب فلجأ الى عبد الله بن جعفر فسأل عبد الملك في أمره فأمنه ، قال ابن قيس خرجت مع مصعب حين بلغه شخوص عبد الملك اليه ، فلما نزل مصعب بمَسكِن ورأى معالم الغدر ممن معه دعا بمال ومناطق فملأ المناطق من ذلك المال وألبسنى منها وقال لي انطلق حيث شئت فانى مقتول ، فقلت له لا والله لا أريم حتى أرى سبيلك ، فأقمت معه حتى قتل ، ثم مضيت الى الكوفة فأول بيت صرت اليه دخلته فاذا فيه امرأة لها ابنتان كأنهما ظبيتان ، فرقيت فى درجة لها الى مشربة فقعدت فيها ، فأمرت لي المرأة بما أحتاج اليه من الطعام والشراب والفرش والماء للوضوء ، فأقمت كذلك عندها أكثر من حول تقيم لي ما يصلحنى وتغدو عليَّ فى كل صباح فتسألنى بالصباح والحاجة ولا تسألنى من أنا ولا أسألها من هى وأنا فى ذلك أسمع الصياح فيَّ والجعل ، فلما طال بى المقام وفقدت الصياح فيَّ وغَرِضت بمكانى غدت عليَّ تسألني بالصباح والحاجة ، فعرفتها أنى قد

غرضت وأحببت الشخوص الى أهلي ، فقالت لي نأتيك بما تحتاج اليه ان شاء الله تعالى ، فلما أمسيت وضرب الليل بأرواقه رقيت إليّ وقالت اذا شئت ، فنزلت ، وقد أعدت راحلتين عليهما ما أحتاج اليه ومعهما عبد وأعطت العبد نفقة الطريق وقالت العبد والراحلتان لك ، فركبت وركب العبد معى حتى طرقت أهل مكة ، فدققت منزلي ، فقالوا من هذا ؟ فقلت عبد الله بن قيس الرقيات ، فولولوا وبكوا وقالوا ما فارقنا طلبك إلا فى هذا الوقت ، فأقمت عندهم حتى أسحرت ، ثم نهضت ومعى العبد حتى قدمت المدينة ، فجئت عبد الله بن جعفر بن أبى طالب عند المساء وهو يعشى أصحابه ، فجلست معهم وجعلت أتعاجم ، فلما خرج أصحابه كشفت له عن وجهى فقال ابن قيس ؟ قلت ابن قيس جئتك عائذاً بك ، قال ويحك ما أجدّهم في طلبك وأحرصهم علي الظفر بك ولكني سأكتب الى أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان فهى زوجة الوليد بن عبد الملك وعبد الملك أرق شيء عليها ، فكتب اليها يسألها أن تشفع الى عمها و كتب الى أبيها يسأله أن يكتب اليها كتابا يسألها الشفاعة ، فدخل عليها عبد الملك كما كان يفعل وسألها هل من حاجة ؟ فقالت نعم لى حاجة ، فقال قد قضيت كل حاجة لك الا ابن قيس ، فقالت لا تستثن عليّ شيئاً ، فنفح بيده فأصاب خدها ، فوضعت يدها على خدها ، فقال لها يا ابنتى ارفعى يدك فقد قضيت كل حاجة لك وان كانت ابن قيس ، فقالت ان حاجتى ابن قيس تؤمنه فقد كتب إليّ أبي يسألنى أن أسألك ذلك ، قال فهو آمن فمريه يحضر مجلسى العشية ، فحضر ابن قيس وحضر الناس حتى أخذوا مجالسهم ، ثم أذن له فلما دخل عليه قال يا أهل الشام أتعرفون هـذا ؟ قالوا لا ، قال هذا عبد الله بن قيس الرقيات الذى يقول

كيف نومى على الفراش ولما　　تشمل الشامَ غارة شـــعواء
تُذهل الشيخ عن بنيه وتبدى　　عن بُراها العقيلةُ العذراء

فقالوا يا أمير المؤمنين اسقنا دم هـذا المنافق ، قال الآن وقد أمنته وصار في منزلي وعلى بساطى قد أخرت الاذن له لتقتلوه فلم تفعلوا ، فاستأذنه ابن قيس أن ينشده مديحه فأذن له ، وأنشده قصيدته التى يقول فيها

عاد له من كثيرة[1] الطرب ... فعينـــه بالدموع تنسكب
كوفيـــة نازح محلتها ... لا أَمَم[2] دارها ولا صَقَب
والله ما ان صبَتْ إليَّ ولا ... ان كان بيني وبينها سبب
الا الذى أورثت كثيرة فى الـــقلب وللحب سَوْرة عجب

حتى قال فيها

ما نقموا من بني أمية إلـــا أنهم يحلُمون ان غضبوا
وانهم سادة الملوك فمــا ... تصلح الا عليهم العرب
ان الأغر الذى أبوه أبو الــعاصى عليه الوقار والحجب
خليفة الله فوق منبره ... جفت بذاك الأقلام والكتب
يعتدل التاج فوق مَفْرِقه ... على جبين كأنه الذهب

فقال له عبد الملك يا ابن قيس تمدحني بالتاج كأنى من العجم وتقول فى مصعب

انما مصعب شهاب من اللـــه تجلت عن وجهه الظلماء
ملكه ملك عزة ليس فيه ... جبروت منه ولا كبرياء

أما الأمان فقد سبق لك ولـكن والله لا تأخذ مع المسلمين عطاء أبداً ، فقال ابن قيس لعبد الله بن جعفر ما نفعني أماني تركت حياً كميت لا آخـذ مع الناس عطاء أبداً ، فقال له عبد الله بن جعفر كم بلغت من السن ؟ قال ستين سنة ، قال تعمر نفسك ، قال عشرين سـنة من ذي قبل فذلك ثمانون سنة ، قال كم

(١) هى الكوفية التى آونه (٢) يقول انها ليست بقريبة والصقب الملاصقة

عطاؤك ؟ قال ألفا درهم ، فأمر له بأربعين ألف درهم وقال ذلك لك عليَّ إلى أن تموت على تعميرك نفسك ، فعند ذلك قال ابن قيس يمدح عبد الله

تَقَدَّت[1] بى الشهباء نحو ابن جعفر ... سواء عليهـــا ليلها ونهارها
تزور فتى قد يعـــلم الله انه ... تجود له كف بطىء[2] غِرارها
أتيناك نُثني بالذى أنت أهله ... عليك كما يثنى على الروض جارها
فوالله لولا أن تزور ابن جعفر ... لكان قليلاً فى دمشق مزارها
فان مت لم يوصل صديق ولم تقُم ... طريق من المعروف أنت منَارها
ذكرتك أن فاض الفُرات بأرضنا ... وجاش بأعلى الرقتين بحارها
وعندى مما خوَّل الله هجمة ... عطاؤك منها شَوْلُها[3] وعِشارها
مباركة كانت عطاء مبارك ... تمانح كبراها وتَنْمى صغارها

ومن قوله يمدحه

اذا زرت عبد الله نفسى فداؤه ... رجعت بفضل من نداه ونائل
وان غبت عنه كان للود حافظاً ... ولم يك عنى فى المغيب بغافل
تداركنى عبد الاله وقد بدت ... لذى الحقد والشَّنْآن منى مقاتلى
فأنقذنى من غَمْرة الموت بعد ما ... رأيت حياض الموت جُمَّ المناهل
حباني َلما جئته بعطيـــة ... وجارية حسناء ذات خلاخل

---

(١) تقدت سارت سيرا ليس بعجل ولا مبطىء وهذا البيت مما عيب على ابن قيس لانه نقض صدره بعجزه فقال فى أوله سار سيرا بغير عجل ثم قال سواء عليها ليلها ونهارها وهـذا غاية الدأب فى السير فناقض معناه فى بيت واحد وأنشـد ابن أبى عتيق هذا البيت فقال كانت هذه فيما أرى عمياء (٢) يعنى ان منعها المعروف بطىء وأصل الغرار أن تمنع الناقة درّتها ثم يستعار فى كل ما أشبه ذلك (٣) الشول النوق التى شالت بأذنابها وكرهت الفحل وذلك حين تلقح واحدتها شائل

ومن قوله فى كثيرة

ظعنت لتحزننا كثيرة ولقد تكون لنا أميرة
أيام تلك كأنهــــا حوراء من بقر غريرة
شبت(١) أمام لداتها بيضاء سابغة الغديرة
ريّا الروادف غادة بين الطويلة والقصيرة
حلت فلاليح السوا د وحل أهلي بالجزيرة
صفراء كالسيراء لم تشمط عذوبتها بحورة(٢)
من نسوة كالبيض فى الـــأدحىّ بالدمث المطيرة
لم يصطلين غــــداً ولم يضربن للبهم الحظيرة
جبن(٣) الفروج من المرا جل والمضلعة المنيرة
فوق الجلود يفوح فى أردانها عبق الذريرة
انى امرؤ لا يزدرى دفعى عن اعراض العشيرة
فى بيتها حسباً ومن أخلاق صالحها سريرة
أنفى القراقير الصغا ر وأحطم الفلك الكبيرة
أمى لقيس في الذرى وأبى لعاتكة المهيرة
بنت العواتك من بنى ذكوان لا عدمى فقيرة
فى بيتها عــــدد الرجا ل وحولها مضر الكبيرة
بنيت عليها مثل ما بنيت على البيت الضفيرة(٤)
تدعو فيأتيها بها الـــجرد البهاليل الذكورة
بالمرد والشمط المحـــزبة الخضارمة المغيرة

(١) سبقت بالشباب (٢) مرارة (٣) جبن قطعن والمراجل ضرب من البرود والمضلعة المسيرة والمنير من النير (٤) حجارة تبنى تمنع السيل من الماء مثل المسقاة

يخطِفْن أنفاساً كما خطفت أرانبها الصقورة
وأرومــة عادية فيها وقبْص(١) حصًى كثيرة
أى امرىء جفر الرجا ل فنفســه تلك الحقيرة
بل رب دنيا قد رأيـــت كبيرة حقاً مَزيرة
فأخال ذلك باطـــلاً مالم يكن عملاً ذخيرة

ومن قوله فيها

لجِجْت بحبك أهل العراق ولولا كثيرة لم تلجَج
فليت كثيرة لم تلقنى كثيرة أخت بني الخزرج
وما كلمتنـــا ولكنها جلَت فرقة القمر الأبْلج
تخاف كثيرة من حولهـا وتقتـل بالنظر الأدعج
فكدت أموت وقد حملت خطيئتـــه ربَّة الدُمْلُج

جاء ابن قيس سعيد بن المسيب فهش وقال مرحباً بظفر من أظفار العشـيرة ما أحدثت بعـدى ؟ قال قد قلت أبياتاً واستفتيتك فى بيت منها فاسمعها ، قال هات ، فأنشده

هل للديار بأهلهـا علم أم هل تُبين فينطق الرسم
قالت رُقَيَّة فيم تَصْرِمنا أرُقَىَّ ليس لوجهك الصَّرم
تخطو بخلخالين حشوهمـا ساقان مارَ عليهما اللحم
ياصاح هل أبكاك موقفنا أم هل علينا فى البكا اثم

فقال سعيد لا والله ما أبكانى ، فقال ابن قيس

بل ما بكاؤك منزلا خلَقاً قَفْراً يلوح كأنه رسم

قال سعيد اعتذر الرجل ، ثم أنشد

---

(١) والقبص العدد الكثير

أتلبث فى تكريت لافى عشيرة شهود ولا السلطان منك قريب
وأنت امرؤ للحزم عندك منزل وللدين والاسلام منك نصيب

قال سعيد لا يقام على ذلك فاخرج منها ، قال قد فعلت ، قال قد أصبت أصاب الله بك

قال سعيد بن سلم دخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم مع نوفل بن مساحق وانه لمعتمر اذ مررنا بسعيد بن المسيب فى مجلسه فسلمنا عليه فرد سلامنا ، ثم قال لنوفل يا أبا سعيد من أشعر أشاعرنا أم شاعركم ؟ « يعنى ابن قيس الرقيات وعمر بن أبى ربيعة » فقال نوفل حين يقولان ماذا يا أبا محمد ؟ قال حين يقول صاحبنا

خليلى ما بال المطىّ كأنما تراها على الأدبار بالقوم تنكُص
وقد أبعد الحادى سُراهن وانتحى لهن فما يألو عجول مقلَّص
وقد قطعت أعناقهن صبابة فأنفسها مما تُكَلَّف شُخَّص
يزدن بنا قرباً فيزداد شوقنا اذا زاد طول العهد والبعد ينقص

ويقول صاحبكم ما شئت ، فقال له نوفل صاحبكم أشهر بالقول فى الغزل أمتع الله بك وصاحبنا أكثر أفانين شعر ، قال صدقت ، فلما انقضى ما بينهما جعل سعيد يستغفر الله ويعقد بيده حتى وفى مائة ، فلما انصرفنا قلت لنوفل أتراه يستغفر الله من انشاد الشعر فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال كلا هو كثير الانشاد والاستنشاد للشعر فيه ولكن أحسب ذلك للفخر بصاحبه

ومن قوله وفيه غناء

أمست رقية دونها البشر فالرقة البيضاء فالغمر

ومنه

رُقَيَّ بعيشك لا تهجرينا ومنينا المنى ثم امطلينا
عدينا فى غد ان شئت إنا نحب وان مطلت الواعدينا

فاما تنجزي وعدي واما نعيش بما نؤمل منك حينا
أغرك انني لاصبر عندى على هجر وانك تصبرينا
ويوم تبعتكم وتركت أهلى حنين العود يتبع القرينا

ومنه

رقيـة تيمت قلبى فوا كبدى من الحب
نهانى اخوتى عنها وما بالقلب من عتب

ومنه

حب ذاك الدلال والغنج والتى فى عينها دعج
والتى ان حدثت كذبت والتى فى وعدها خلج
وترى فى البيت صورتها مثل ما فى البيعة السرج
خبرونى هل على رجل عاشق فى قبـلة حرج

ومنه

قد أتانا من آل سعدى رسول حبـذا ما يقول لي وأقول
من فتاة كأنها قرن شمس ضاق عنها دمالج وحجول
حبـذا ليلتى بمرة كاب غال عنى بها الـكوانين غول

أراد عبد الملك بن مروان البيعة لابنه الوليد بعد عبد العزيز بن مروان وكتب الى عبد العزيز يسأله ذلك فامتنع عليه وكتب اليه يقول له « لي ابن ليس ابنك أحب الىّ منه ، فان استطعت ألا يفرق بيننا الموت وأنت لى قاطع فافعل » فرق له عبد الملك وكف عن ذلك فقال عبد الله بن قيس فى ذلك

يخلفك البيض من بنيك كما يخلف عود النضار فى شعبه
ليسوا من الخروع الضعيف ولا أشباه عيـدانه ولا غربه
شمّ العرانين ينظرون كما جلّت صقور الصلب من حدبه (1)

(١) جات نظرت والصلب موضع وحدبه ما ارتفع منه

نحن على بيعة الرسول وما أعطيت من عجمه ومن عربه
بها نصرنا على العدو ونر عى الغيب فى نأيه وفي قُرْبه
نأتى اذا ما دعوت فى الزَّغَف لـــمسرود ابدانه وفى حُبَبه
يَهدى رِعالا أمام أرعن لا يعرف وجه البلقاء فى لجبه

فقال عبد الملك لقد دخل ابن قيس الرقيات مدخلا ضيقاً وتهدده وشتمه وقال أليس هو القائل

على بيعة الاسلام بايعن مُصْعَبا كراديس من خيل وجمعاً مباركا
تدارَكُ أخرانا وتمضى أمامنا ويتبع ميمون النقيبة ناسكا
اذا فرغت أظفاره من كتيبة أمال على أخرى السيوف البواتكا

فلما بلغ عبد الله قول عبد الملك وشتمه إياه قال

بشر الظبي والغراب بسُعْدَى مرحباً بالذى يقول الغراب
قال لى ان خير سعدي قريب قد أنى أن يكون منه اقتراب
قلت أنى يكون ذاك قريباً وعليه الحصون والأبواب
حبذا الرِّيم ذو الوشاحين والقَصــــر الذى لا تناله الأسباب
ان فى القصر لو دخلت غزالا مصفقاً موصداً عليه الحجاب
أرسلت أن فدتك نفسى فاحذر ههنا شرطة عليك غضاب
أقسموا ان رأوك لا تطعم الما ء وهم حين يقدرون ذئاب
قلت قد يغفُل الرقيب ويُغفِى شُرْطة أو يحِنْ منها انقلاب
وعسى الله أن يؤتى أمراً ليس فيه على المحب ارتقاب
ارجعي فاقرئى السلام عليها ثم ردى جوابنا يا رَباب
حدثيها ما قد لقيت وقولى حق للعاشق الكريم ثواب
رجل أنت همه حين يُمسِى خامرته من اَجلك الأوصاب
لا أشمّ الريحان الا بعيني كرماً انما تشم الكلاب

ربَّ زارٍ عليَّ لم يرَ مني عثرة وهو مماس كذاب[١]
خادع الله حين جلله الشيـــب فأضحى قد بان منه الشباب
يأمر الناس أن يبرُّوا وينسى وعليه من كبْرة جلباب
استفيقن فليس عندك علم لا تنامنَّ أيها المغتاب
أيها المستحل لحمى كله من ورائى ومن وراك الحساب
تختل الناس بالكتاب فهلا حين تغتابني نهاك الكتاب
لست بالمُخْبت التقى ولا المحـــض الذى لا تزينه الأنساب
انني والتى رمت بك كرهاً ساقطاً خلفها عليك التراب
لتلومن غبَّ رأيك فينا حين تبقى بعرضك الأندابه

ومن قوله يصف الثريا بنت عبد الله

يا سليمان إن تلاق الثريا تلق عيش الخلود قبل الهلال
حبذا الحج والثريا ومن بالـــخيف من أجلها ومُلقى الرحال
دُرة من عقائل البحر بكر لم تنلها مثاقب اللآل[٢]
تعقد المئزر السُّخام من الخـــز على حقو بادن مكسال
قطنت مكة الحرام فشطت وعدتنى نوائب الأشغال

ومن قوله

بكرت على عواذلي يلحينني وألومهنه
ويقلن شيب قد علا ك وقد كبرت فقلت إنه[٣]
ان العواذل لمننى ولن أطيع أمورهنه
فيما أفيد من الغنى والله سوف يهيننه
ولقد عصيت الناهيا ت النائرات جيوبهنه

(١) المماس النمام (٢) الذى يثقب اللؤلؤ (٣) نعم

حتى ارعويت الى الرشا د وما ارعويت لنهيهنه
ووجدت مسكا خالصاً قد ذرّ فوق عيونهنه
واذا تُضمَّخ بالعبيـــــر الورْدزان وجوههنه
يخفينَ فى المشى القريـــب اذا يزرن صديقهنه
وبنات كسرى فى الحريـــر عوامل يخدُمنهنه
متعطفات بالــبرو د على البغال وفُرْهِهنه
واذا قعدن على البغال ملَتْ ظهور بغالهنه

ومن قوله

أم البنين سلبتني حلمى وقتلتني فتحملى اثمى
وتركتني أدعو الطبيب وما لطبيبكم بالداء من علم
بالله يا أم البنين ألم تخشىْ عليك عواقب الاثم
لله درُّك فى ابن عمك إذ زودته سقماً على السقم
وتركته يمشى وليس له عقل يعيش به مع الحزم
جنيَّة الأعلى وأسفلها وَحِلٍ موزرة من اللحم
وبوجهها ماء الشباب ولم تقبَل[1] بملعون ولاجهْم
لم تدر ما نَدْهُ الجمال ولم تزبق[2] بربق أول البهْم

ومن قوله يمدح سلامة القس وريا

لقد فتنت ريَّا وسلامة القسَّا فلم تتركا للقسّ عقلا ولا نفسا
فتاتان أما منهما فشبيهة الــــهلال وأخرى منهما تشبه الشمسا
فتاتان فى سعد السعود ولدتما ولم تلقيا يوماً هواناً ولا نحسا
تُكِنَّان أبشاراً رقاقاً وأوجهاً عتاقاً وأطرافاً مخضَّبة مُلْسا

---

(١) أى لم تناق عند ولادتها (٢) أى لم تشده والربق الحبل

ومن قوله فى عائشة بنت طلحة

ان الخليط قد أزمعوا تركي فوقفت فى عرصاتهم أبكي
جنية خرجت لتقتلنا مطلية الأقراب(١) بالمسك
قامت تحييني فقلت لها ويلى عليك وويلتى منك
عجباً لمثلك لا يكون له خرج العراق ومنبر الملك
ترمى لتقتلنا بأسهمها وتزنها(٢) بالحلم والنسك
يا حبذا أم البنين على ما كان من بذل ومن ترك
ان تسلمي نسلم وان تدعى الـ إسلام لانخذلك فى الشرك

ومن قوله يمدح بني أمية

تقول سلمى ألا تنام اذا نمنا ؟ فقلت الهموم والأرق
تمنعنى وادكار نصر بنى عمى اذ جاراني الرهق
يا سلم نأى الديار عن بلد الـــوالد ذل ورحبها ضيق
لو كان حولى بنى أمية لم ينطق رجال اذا هم نطقوا
ان جلسوا لم تضق مجالسهم أو ركبوا ضاق عنهم الأفق
بالخيل والرجل والزهاء ترى تخفق أوساط غابه الخرق
قد كنت في معشر أعز بهم فى حلق من ورائهم حلق
كم فيهم من فتى أخى ثقة عن منكبيه السربال منخرق
يمشى الى الموت حين يبصره كما مشى فحل صرمة حنق

ومن قوله يشبب بأم البنين

أصحوت عن أم البنـــين وذكرها وعنائها
وهجرتها هجر امرىء لم يقل حمـل اخائها

(١) جمع قرب بالضم وهو الخاصرة (٢) تتهمها

من خيفة الأعداء أن   يوهوا أديم صفاتهـا
قرشية كالشمس أشـــرق نورهـا ببهائهـا
زادت على البيض الحســان بحسنها ونقائهـا
لمـا اسبكرّت للشبا   ب وقنعت بردائهـا
لم تلتفت للداتهـا   ومضت على غُلَوائهـا

ثم وصل هذه الأبيات بأبيات يمدح بها عبد الملك فقال

أنت ابن مُعتلَج البطا   ح كديِّها فكدائها
فالبيت ذى الأركا   ن فالمستنّ من بطحائها
فمحل أعلاها الى   عرفاتهـا فحرائها
من سرها فيها ومعـدن   برها ووفائها
أوفى قريش بالعــلا   فى حكمها وقضائها
وأشـدها آخيةً   فى عزها وثرائها
وأمدها عند العلا   كفاً بحبل رشائها
ولأنت أعلمها بها   وأصحها من دائها
وأتمها نسـباً اذا   نسبت الى آبائها
ولبطن عائشـة التى   فضلت أروم نسائها
متمطّف الأعياص حو   ل سريرها وفنائها
ولدت أغرّ مباركاً   كالبدر وسط سمائها
فى ليلة لا نحس في   سحريها وعشـائها
ان البلاد سوى بلا   دك ضاق عرض فضائها
فاجمع بنيّ الى بنيـك فأنت خير رعائها
نشهدك منـا مشهداً   ضنْكاً على أعدائها

نحن الفوارس من قريـــش يوم جدّ لقائها
وأعـــدها رِفدًا اذا رَفَدت (١) برِفد انائها
وأعمهـــا بسجالها وأضنّهـــا بدمائها
وأحشّها للنار ليــلة صرّها وشـــتائها
حين القتار الى الفتا ة أحب من أحمائها

ولما قال « ولبطن عائشة » قال له عبد الملك قل « والنسل عائشة » فقال لا بل « ولبطن عائشة » حتى ردد ذلك عليه ثلاث مرات وهو يأبى الا « ولبطن عائشة ». وعائشة أم عبد الملك بنت معاوية بن المغيرة بن العاصى بن أمية

وقال فيها

بان الخليط الذى به نثق واشتد دون المليحة القلق
من دون صفراء فى مفاصلها لين وفى بعض بطشها خُرُق
قد تفرق الله فى المحارم أو تعجز فى نفسها فتنمحق
انى لأخلى لها الفراش اذا قصّع (٢) فى حُضن عِرسه الفرِق
من غير بغض لها لدىّ ولـــكن ذاك منى سجية خلق
لست بجثّامة له كَرِش يأكل ما اسطاع ثم يغتبق
قد برِمت عرسه بمضجعه ودت لو ان العجّول ينطلق
يظلّ ينفى الوليد عن عقب الـــقدر قليل الحياء منسحق
ليس عسٍ أن يقال مر به أفراس صدق وأينق عُنُق
اما بجاه الى الملوك واما فى ظلال الرايات تختفق
ثمّت ألفى لدى قراعهمُ يحمل بزّى ذو ميعة تئق
طِرف لديه الجياد متعبة ساط اذا ما يُبلّه العرق

(١) الرفد بالكسر القدح والرفد بالفتح المصدر فجعله اناء (٢) قصع تلفف

ومن قوله يمدح عبد العزيز بن مروان من قصيدة أولها

طرقته أسماء أم حلما ... أم لم تكن من رجالنا أمما

يقول فيها

فُجعت بالغرّ من أمية حا ... شى واحداً نجتلى به الظلما
أعنى ابن ليلى عبد العزيز ببا ... ب اليون (١) تغدو جفانه رُذُما
يلتفت الناس حول منبره ... اذا عمود البرية انهدما
مجرّب الحزم فى الأمور وان ... خفّت حُلوم بأهلها حلُما
ينتهب الحمد باليدين كما ... ناهب فرسانُ غارة نعَما
أغر أشياخه العُصاة (٢) بنو ... أمية المرغمون من رغما
أشياخ صدق نمَوْا بمعتلج الـ ... ـبطحاء كانوا لقومهم عصما
نالوا مواريث من جدودهمُ ... فورّثوها مروان والحكما
أهل الحمالة والدّسيعة (٣) والمغـ ... ـنون عند الشدائد البُهَما
اخترت عبد العزيز مرتغباً ... والله للمرء خير من قسما
من البهاليل من أمية يز ... داد اذا ما مدحته كرما
لا يحسب المِدحة الخداع ولا ... يدرَك تياره اذا التطما
جاءت به حرة مهذبة ... كلبية كان بيتها دَعِما
مِنْ أصبغيات والفوارع لا ... يحملن فوق الكواهل الحُزَما
هن العرانين من قضاعة أمـ ... ـنا بيتهن يمنع الذمما
يغدو وفرسانه مواكبه ... ذا يَلْمَق (٤) ناشياً ومستلما
تُكنّه خرقة (٥) الدّرفس من الشمـ ... ـس كليث يفرج الأجَما

(١) اسم لموضع الفسطاط (٢) هم بنو العاص بن أمية (٣) الدسيعة العطية الجزيلة
(٤) اليلمق القباء مستلما مستلئما (٥) هى الراية

دانت له الوحش والسباع كما ... دانت مجوسُ الأُبُلَّة الصنما
يقوت شبلين عند مُطْرَقة ... قد ناهزا للفطام أو فُطِما
لم يأت يوم الا وعندها ... لحم رجال أو يولَغان (١) دما
مُضَبَّرٌ (٢) يحبس الخَميس وان ... بَلَّت يداه بقرنه ندما
كأنما كسرت سواعده ... فما استوى جبرها ولا التأما
قد جربت وقعه السباعُ فما ... تغمز منه ضعفاً ولا هرَما
فذاك شبهته ابن ليلى ولـ ... ـكنَّ ابن ليلى يفوقه شيما
من يهب البُخت والولائد كالـ ... ـغزلان والخيل تعلك اللُّجما
والهَجْمة (٣) الجِلَّة والجراجر والـ ... ـأعبد فيها تشبه الأكما
والوصفاء الحسان والذهب الـ ... ـأحمر مجداً إفادة قُحَما
مجداً تليـ ـداً بناه أوله ... أدرك عاداً وقبلها إرما
ينكر لا ان لا لمنكرة ... من فيـ ـه الا محالفاً نَعَما

ومن قوله فى علة عبد الله بن جعفر التى مات فيها

بات قلبي تشفُّه الأوجاع ... من هموم تُجِنُّها الأضلاع
من حديث سمعته منع النو ... م فقلبي مما سمعت يُراع
اذ أتانا بما كرهنا أبو السلاَّ ... س كانت بنفسه الأوجاع
قال ما قال ثم راغ سريعاً ... أدركت نفسه المنايا السراع
قال يشكو الصداع وهو سقيم ... بك لا بالذى عنيت الصُّداع
أبنَ أسماء لا أبالك تعني ؟ ... انه غير هالك نقاع

---

(١) كان ابن قيس قال أو يالغان ثم غيرته الرواة فقد قال يونس ان ذلك لا يجوز فقيل له قد قاله ابن قيس الرقيات وهو حجازى فصيح فقال ليس بفصيح ولا ثقة شغل نفسه بالشرب بتكريت (٢) مضبر شديد تلزيز العظام مكتنز اللحم (٣) الهجمة من الابل ما بين السبعين الى المائة والجلة المسان منها والجراجر العظام

هاشمى بكفه من سجال الـ ـمجد سَجْلٌ يهان فيها المتاع
سُم الناس كل ذلك منه شيمة الجود ليس فيه خداع
لم أجد بعدك الأخلاء الا كثِماد به قَذًى أو نِقاع (١)
بيته من بيوت عبد مناف مد أطنابه المكان اليفاع
منتهى المجد والنبوة والخيـ ـر اذا قصر اللئام الرِّضاع
فستأتيك مدحة من كريم ذاله من ندى سِجالك باع

ومن قوله لما ارتحل من الجزيرة الى فِلَسطين من قصيدة أولها

أزجرت الفؤاد منك الطروبا أم تصابيت اذ رأيت المشيبا

يقول فيها

هزئتْ أن رأت بي الشيب عِرسى لا تلومى ذؤابتي أن تشيبا
ان يشب مَفْرِقى فان قريشاً جعلت بينها الحروب حروبا
فاظعِنى فالحقى بقومك انى لا أرى أن أقيم فيكم غريبا
فانزلي بنى كنانة تلقَيْ فيهم العز ان دعوت قريبا
حيث ان خرَّ سيف مولاك لم تخشَيْ من الناس من تَجَنَّى الذنوبا
ثم لم تعدَمى اذا شئت منا فارساً يوم نجـدة وخطيبا
طالما قد نزلتُ فى غدوات (٢) الـ أرض أقْرُو بك المكان الخصيبا
حين للعيش لذة ولنا حا ل ولم نَحمل الخطوب خطوبا
فأرى الدهر قد تغير بالنا س وقد كانت الشعوب شعوبا
ان ترَىْ بعد مَرْج آل أبى الضَّيْـ ـزن ضيماً ولن أُقاد جنيبا
حلَق من بنى كنانة حولي بفِلَسْطين يسرعون الركوبا
من رجال تُفْني الرجال وخيل رُجُم بالقنا تسدُّ الغيوبا (٣)

(١) واحده نقع وهو الغبار (٢) نواحيها (٣) غيوب الارض مطمأنتها أى تسدها الخيل

لا يبالون من أقام اذا ما كشفوا بالسيوف يوماً عصيبا

ذاك خير من البليخ ومن صو ت ذئاب عليَّ يدعون ذيبا

ان قوم الفتى هم الكنز فى دنـــياه والمال تسرع التغليبا

قد أطيع الخليل مالم أر العجـــز وأعلو بعد السهوب سهوبا

بأولات البُرى عليها رحال الـــميس يتبعن بالرسيم الغبيبا(١)

ومن قوله يمدح عبد الله بن الزبير من كلمة أولها

زودتنا رقية الأحزانا يوم جازت حمولها سكرانا

رائحات عشية عن قُديد واردات مع الضحى عُسفانا

يقول فيها

قل لفند يشيع الأظعانا طالما سر عيننا وكفانا

أنامن أجلكم هجرت بنى زيـــد ومن أجلكم أحب أبانا

ودخلنا الديار ما نشتهيها طمعاً أن ننالها أو ترانا

وابن أسماء خير من مسح الركـــن فعالا وخيرهم بنيانا

واذا قيل مَن هِجان قريش كنت أنت الفتى وأنت الهجانا

ومن قوله

ليت شعرى أأول الهَرْج هـذا أم زمان من فتنة غير هرج

ان يعش مصعب فنحن بخير قد أتانا من عيشنا ما نرجى

ملك يطعم الطعام ويسقى لبن البُخت فى عِساس الخَلَنْج

جلب الخيل من تِهامة حتى بلغت خيله قصور زَرَنْج

حيث لم تأت قبله خيل ذى الأكـــتاف يوقفن بين قُفّ ومرج

وهذا الشعر يقوله ابن قيس لمصعب بن الزبير لما حشد للخروج عن الكوفة

---

(١) الغبيب متن الارض

عامداً لمحاربة عبد الملك بن مروان ، وكان السبب فى ذلك انه لما كانت سنة اثنتين وسبعين استشار عبدُ الملك عبد الرحمن بن الحكم فى المسير الى العراق ومناجزة مصعب ، فقال يا أمير المؤمنين قد واليت عامين تغزو فيهما وقد خسرت خيلك ورجالك ، وعامك هذا عام جارد فأرح نفسك ورجلك ، ثم ترى رأيك ، فقال انى أبادر ثلاثة أشياء ، الشام أرض المال بها قليل فأخاف أن ينفد ماعندى ، وأشراف أهل العراق قد كاتبونى فدعونى الى أنفسهم ، وثلاثة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كبروا وفقدت أعمارهم وأنا أبادر بهم أحب أن يحضروا معى ، ثم دعا يحيى بن الحكم وكان يقول من أراد أمراً فليشاور يحيى بن الحكم فاذا أشار عليه بأمر فليعمل بخلافه ، فقال ما ترى فى المسير الى العراق ، قال أرى أن ترضى بالشام وتقيم بها وتدع مصعباً بالعراق فلعن الله العراق ، فضحك عبد الملك ودعا عبد الله بن خالد بن أسيد فشاوره فقال يا أمير المؤمنين قد غزوت مرة فنصرك الله ثم غزوت ثانية فزادك الله بها عزاً فأقم عامك هذا ، فقال لمحمد بن مروان ما ترى ؟ قال أرجو أن ينصرك الله أقمت أم غزوت فشمر فان الله ناصرك ، فأمر الناس فاستعدوا للمسير ، فلما أجمع عليه قالت عاتكة بنت يزيد بن معاوية زوجه يا أمير المؤمنين وجه الجنود وأقم فليس الرأى أن يباشر الخليفة الحرب بنفسه ، فقال لو وجهت أهل الشام كلهم فعلم مصعب انى لست معهم لهلك الجيش كله ثم تمثل

ومستخبر عنا يريد بنا الردي ومستخبرات والعيون سواكب

ثم قدم محمد بن مروان ومعه عبد الله بن خالد بن أسيد وبشر بن مروان ونادى مناديه ان أمير المؤمنين قد استعمل عليكم سيد الناس محمد بن مروان ، وبلغ مصعب بن الزبير مسير عبد الملك فأراد الخروج فأبى عليه أهل البصرة وقالوا عدونا يُطلّ علينا « يعنون الخوارج » فأرسل اليهم المهلب وهو بالموصل وكان عامله عليها فولاه قتال الخوارج وخرج مصعب فقال بعض الشعراء

أكلّ عام لك باُجَميرا تغزو بنا ولا تفيد خيرا

وكان مصعب كثيراً ما يخرج الى باُجَميرا يريد الشام ثم يرجع ، فأقبل عبد الملك حتى نزل الأحوفية ونزل مصعب بمَسكِن الى جنب أوانا وخندق ، ثم تحول ونزل دير الجاثليق وهو بمسكن وبين العسكرين ثلاثة فراسخ ، فقدم عبد الملك محمداً وبشراً أخويه كل واحد منهما الى جيش والأمير محمد ، وقدم مصعب ابراهيم ابن الأشتر ، ثم كتب عبد الملك الى أشراف أهل الكوفة والبصرة يدعوهم الى نفسه ويمنيهم ، فأجابوه وشرطوا عليه شروطاً وسألوه ولايات وسأله ولاية أصبهان أربعون رجلاً منهم ، فقال عبد الملك لمن حضره ويحكم ما أصبهان هذه ؟ تعجباً ممن يطلبها ، وكتب لابراهيم بن الأشتر لك ولاية ما سقى الفرات ان تبعتني ، فجاء ابراهيم بالكتاب الى مصعب فقال هذا كتاب عبد الملك ولم يخصصني بهذا دون غيري من نظرائى فأطعني فيهم ، قال أصنع ماذا ؟ قال تدعوهم فتضرب أعناقهم ، قال أقتلهم على ظن ظننته ؟ قال فأوقرهم حديداً وابعث بهم الى أرض المدائن حتى تنقضى الحرب ، قال إذاً تفسد قلوب عشائرهم ويقول الناس عبث مصعب بأصحابه ، قال فان لم تفعل فلا تُمدنى بهم فانهم كالمومسة تريد كل يوم خليلاً وهم يريدون كل يوم أميراً ، فأرسل عبد الملك الى مصعب رجلا يدعوه الى أن يجعل الأمر شورى فى الخلافة ، فأبى مصعب ، فقدم عبد الملك أخاه محمداً ثم قال اللهم انصر محمداً اللهم انصر أصلحنا وخيرنا لهذه الأمة ، وقدم مصعب ابراهيم بن الأشتر فالتقت المقدمتان وبين عسكر مصعب وعسكر ابن الأشتر فرسخ ، ودنا عبد الملك حتى قرب من عسكر محمد ، فتناوشوا قليلاً ، فقتل رجل على مقدمة محمد يقال له فراس وقتل صاحب لواء بشر وكان يقال له أسيد ، فأرسل محمد الى عبد الملك أن بشراً قد ضيع لواءه ، فصرف عبد الملك الأمر كله الى محمد وكف الناس وتواقفوا وجعل أصحاب ابن الأشتر يهمون بالحرب ومحمد بن مروان يكف أصحابه ، فأرسل

عبد الملك الى محمد ناجزهم ، فأبى ، فأوفد اليه رسولاً آخر وشتمه ، فأمر محمد رجلاً فقال له قف خلفى في ناس من أصحابك فلا تدعن أحداً يأتيني من قبل عبد الملك ، وكان قد دبر تدبيراً سديداً في تأخير المناجزة الى وقت رآه فكره أن يفسد عبد الملك تدبيره عليه ، فوجه اليه عبد الملك عبد الله بن خالد بن أسيد ، فلما رأوه أرسلوا الى محمد بن مروان ان هذا عبد الله بن خالد بن أسيد ، فقال ردوه بأشد ما رددتم به من جاء قبله ، فلما قرب المساء أمر محمد بن مروان أصحابه بالحرب وقال حركوهم قليلاً ، فتهايج الناس ، ووجه مصعب الى ابراهيم عتاب بن ورقاء الرّياحى يعجز ابراهيم ، فقال قد قلت له لا تمدنى بأحد من أهل العراق فلم يقبل ، واقتتلوا ، وأرسل ابراهيم بن الأشتر الى أصحابه بحضرة الرسول ليرى خلاف أهل العراق عليه فى رأيه ألاَّ تنصرفوا عن الحرب حتى ينصرف أهل الشام عنكم ، فقالوا فلم لا ننصرف ؟ وانهزم الناس حتى أتوا مصعباً ، وصبر ابراهيم بن الأشتر فقاتل حتى قتل ، فلما أصبحوا أمر محمد بن مروان رجلاً فقال انطلق الى عسكر مصعب فانظر كيف تراهم بعد قتل ابن الأشتر ، فذهب ، ثم رجع الى محمد فقال رأيتهم منكسرين ، وأصبح مصعب فدنا منه ودنا محمد بن مروان حتى التقوا فترك قوم من أصحاب مصعب مصعباً وأتوا محمد بن مروان ، فدنا الى مصعب ثم ناداه فداك أبى وأمى ان القوم خاذلوك ولك الأمان ، فأبى قبول ذلك ، فدعا محمد بن مروان ابنه عيسى بن مصعب ، فقال أبوه انظر مايراه محمد ، فدنا منه ، فقال له انى لكم ناصح ان القوم خاذلوكم ولك ولأبيك الأمان وناشده ، فرجع الى أبيه فأخبره ، فقال انى أظن أن القوم سيفون فان أحببت أن تأتيهم ، فقال والله لاتتحدث نساء قريش أنى خذلتك ورغبت بنفسى عنك ، قال فتقدم حتى أحتسبك ، فتقدم وتقدم ناس معه فقتل وقتلوا وترك أهل العراق مصعباً وحده حتى بقى فى سبعة ، وجاء رجل من أهل الشام ليحتز رأس عيسى فشد عليه مصعب فقتله ثم شد على الناس

فانفرجوا ، ثم رجع فقعد على مِرْفقة ديباج ، ثم جعل يقوم عنها ويحمل على أهل الشام فيفرِجون عنه ، ثم يرجع ويقعد على المرفقة حتى فعل ذلك مراراً ، وأتاه عبيد الله بن زياد بن ظَبيان فدعاه الى المبارزة ، فقال له اعزب يا كلب وشد عليه مصعب فضربه على البَيضة فهشمها وجرحه ، فرجع عبيد الله فعصب رأسه ، وجاء ابن أبي فروة كاتب مصعب فقال جعلت فداك قد تركك القوم وعندى خيل فاركبها وانج بنفسك ، فدفع فى صدره وقال ليس أخوك بالعبد ، فرجع ابن ظَبيان الى مصعب فحمل عليه وزرق زائدة بن قُدامة مصعباً ونادى يالثارات المختار ، فصرعه ، ونزل اليه عبيد الله بن ظَبيان فاحتز رأسه ، فأتى به عبد الملك بن مروان ولما وضعه بين يديه سجد ، قال ابن ظبيان فهممت والله أن أقتله فأكون أفتك العرب قتلت ملكين من قريش فى يوم واحد ثم وجدت نفسى تنازعني الى الحياة فأمسكت ، فقال ابن قيس الرقيات يرثى مصعباً

ان الرزية يوم مَسْـــكِنٍ والمصيبة والفجيعة
بابن الحَواريّ الذى لم يَعْدُه يوم الوقيعة
غدرت به مضر العرا ق وأمكنت منه ربيعة
وأصبتِ وترك يا ربيـــعَ وكنت سامعة مطيعة
يالهف لو كانت لها بالدَّير يوم الدير شيعة
أو لم يخونوا عهده أهل العراق بنو اللكيعة
لوجدتموه حين يغـــدو لا يعرس بالمضيعة

وقال يرثيه

لقد أورث المصرين خزياً وذلة قتيل بدير الجاثليق مقيم
فما نصحت لله بكر بن وائل ولا صبرت عنـــد اللقاء تميم
ولو كان بكرياً تعطف حوله كتائب يَغْلى حَميُها ويدوم

ولـكنه ضاع الذمام ولم يكن   بها مُضَرى يوم ذاك كريم
جزى الله كوفياً هناك ملامة   وبصريهم ان المليم مُليم
وان بنى العَلاَّت أخلوْا ظهورنا   ونحن صريح بينهم وصميم
فان نَفْنَ لا يبقوا أولئك بعدنا   لذى حرمة في المسلمين حريم

وكان مصعب لما قدم الكوفة يسأل عن الحسين بن علي عليه السلام وعن قتله فجعل عروة بن المغيرة يحدثه عن ذلك فقال متمثلا

فان الأولى بالطّف من آل هاشم   تأسوا فسنوا للكرام التأسيا

قال عروة فعلمت أن مصعباً لا يفر أبداً ، ولما كان يوم السبخة حين عسكر الحجاج بإزاء شبيب الشاري قال له الناس لو تنحيت أيها الأمير عن هذه السبخة فقال لهم ما تنحونى والله اليه أنتن ، وهل ترك مصعب لكريم مفرّاً ، ثم تمثل قول الكلحبة

اذا المرء لم يَغْشَ المكاره أوشكت   حبال الهوينى بالفتى أن تقطعا

قال شيخ من أهل مكة فلما أتى عبد الله بن الزبير قتل مصعب أضرب عن ذكره أياماً حتى تحدث به اماء مكة فى الطريق ، ثم صعد المنبر فجلس عليه ملياً لا يتكلم فنظرت اليه والكآبة على وجهه وجبينه يرشح عرقاً ، فقلت لآخر الى جنبى ماله لا يتكلم ؟ أتراه يهاب المنطق ؟ فوالله انه لخطيب فما تراه يهاب ؟ قال أراه يريد أن يذكر قتل مصعب سيد العرب وهو بفظيع تذكره غير ملوم ، فقال عبد الله بن الزبير الحمد لله الذى له الخلق والأمر وملك الدنيا والآخرة ، يعز من يشاء ويذل من يشاء ، الا انه لم يذل والله من كان الحق معه وان كان مفرداً ضعيفاً ولم يعز من كان الباطل معه وان كان في العدة والعدد والكثرة ، ثم قال انا قد أتانا خبر من العراق بلد الغدر والشقاق فساءنا وسرنا ، أتانا أن مصعباً قتل رحمة الله عليه ومغفرته ، فأما الذى حزننا من ذلك فان لفراق الحميم لذعة يجدها حميمه عند

المصيبة ، ثم يرعوى من بعدُ ذوالرأى والدين الى جميل الصبر ، وأما الذى سرنا منه فانا قد علمنا ان قتله شهادة له وانه عز وجل جاعل ذلك لنا وله ذخيرة ان شاء الله ، ان أهل العراق أسلموه وباعوه بأقل ثمن ، لقد قتل أبوه وعمه وأخوه وكانوا خيار الصالحين ، انا والله مانموت حتف أنوفنا مانموت الاقتلا قعصاً بالرماح وتحت ظلال السيوف ، وليس كما يموت بنو مروان ، والله ما قتل رجل منهم فى جاهلية ولا اسلام قط ، وان الدنيا عارية من الملك القهار الذى لايزول سلطانه ولا يبيد ملكه ، فان تقبل الدنيا علىَّ لا آخذها أخذ الأشِرِ البطِرِ ، وان تدبر عنى لا أبك عليها بكاء الحزن المنهمر ، ثم نزل ، وقال رجل من بنى أسد بن عبد العزى يرثي مصعباً

لعمرك ان الموت منا لمولع — بكل فتى رَحْب الذراع أريب
فان يك أمسى مصعب نال حتفه — لقد كان صُلْب العود غير هَيوب
جميل المحيا يوهن القِرْن غَرْبه — وان عضه دهر فغير رَهوب
أتاه حِمام الموت وسط جنوده — فطاروا شلالا واستقوا بذنوب
ولو صارحوا نالوا حُباً وكرامة — ولكنهم دلَّوا بغير قلوب

وقال عبد الملك يوماً لجلسائه من أشجع الناس ؟ فأكثروا فى هذا المعنى ، فقال أشجع الناس مصعب بن الزبير جمع بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين وابنة الحميد بنت عبد الله بن عباس وولى العراقين ثم زحف الى الحرب فبذلت له الأمان والحِباء والولاية والعفو عما خلص فى يده فأبى قبول ذلك واطَّرح كل ما كان مشغوفاً به من ماله وأهله وراء ظهره وأقبل بسيفه قَرَماً يقاتل مابقى معه الا سبعة نفر حتى قتل كريماً

ومن قول ابن قيس يمدح مصعباً

ألا هزئت بنا قرشية يهتز موكبها

رأت بى شيبة فى الرأ س منى ما أغيبها
فقالت أبن قيس ذا ؟ وغير الشيب يعجبها
رأتني قد مضت مني وغضّات صواحبها
ومثلك قد لهوت بها تمام الحسن أعيبها
لها بعل غيور قا عد بالباب يحجبها
يرانى هكذا أمشى فيوعدنى ويضربها
فظلت على نمارقها أُفدّيها وأخلبها
أحدثها فتومن لى فأصدُقها وأ كذبها
فدع هذا ولكن حا جة قد كنت أطلبها
الى أم البنين متى يُقرِّبها مقربها
أتتنى فى المنام فقلـ ـت هذا حين أُعقبها
فلما أن فرحت بها ومال على أعذبها
شربت بريقها حتى نهلت وبت أشربها
وبت ضجيعها جذلا ن تعجبني وأعجبها
وأضحكها وأبكيها وألبسها وأسلبها
أعالجها فتصرعني فأرضيها وأغضبها
فكانت ليلة فى النو م نسمرُها ونلعبها
فأيقظنا مناد فى صلاة الصبح يرقبها
فكان الطيف من جنـ ـية لم يُدْرَ مذهبها
يؤرقنا اذا نمنا ويبعد عنك مشربها
لمصعب عند جد القو ل أ كثرها وأطيبها
وأمضاها بألوية يسد الفجّ مِقْنبها

اذا خرجت برابيــة سراياهـا وموكبهـا
بنصر الله يعـلوهـا ويمريهـا ويغلبهـا
ويذكيهـا بكفيه اذا ما لاح كوكبها

سلمة بن عياش

مولى بني حسل بن عامر بن لؤى . من مخضرمى الدولتين ، وكان يتدين ويتصون ، وانقطع الى جعفر ومحمـد ابني سليمان بن على بن عبد الله بن عباس ومدحهما فأكثر وأجاد ، ومما مدحهما به وفيه غناء قوله

أرقت وطالت ليلتى بأبان لبرق سرى بعد الهدوء يمان
يضىء بأعلام المدينة همّدا الى أمَج فالطلح طلح قنان

يقول فيها

وردت خليجى جعفر ومحمد وكل بَدِىٍّ من نداه سقانى
هما ابنا رسول الله وابنا ابن عمه فقد كرم الجدان والأبوان

ومن قوله وفيه غناء

أنار بدت وَهْناً لعينك تَرمض ببغداد أم سار من البرق مُومض
يضىء سناه مُكفهِراً كأنه حناتم سود أو عِشار تَمَخَّض

يقول فيها

ولولا انتظاري جعفراً ونواله لما كان فى بغداد ما أتبرض

ومن قوله يرثى أبا سفيان بن العلاء

لعمرك لا تعفو كلوم مصيبة على صاحب إلا فجعت بصاحب
تقطع أحشائى اذا ما ذكرتـكم وتنهل عينى بالدموع السواكب
وكنت امرأ جلداً على ما ينوبنى ومعترفاً بالصبر عند المصائب

فهد أبو سفيان ركنى ولم أكن جزوعا ولا مستنكراً للنوائب
غنينا معاً بضعاً وستين حجة خليلى صفاء ودنا غير كاذب
فأصبح لما حالت الأرض دونه على قربه مني كمن لم أصاحب

ومن قوله يتغزل فى جارية يهواها اسمها بربر وهى جارية لمحمد بن سليمان

الى الله أشكو ما ألاقى من القلى لأهلى وما لاقيت من حب بربر
على حين ودعت الصبابة والصبا وفارقت أخدانى وشمرت مئزرى
نأى جعفر عنا وكان لمثلها وأنت لنا فى النائبات كجعفر

وقد وهبها له محمد ، وفيها يقول وفيه غناء

أظن الحب من وجدى سيقتلنى على بربر
وبربر درة الغوا ص من يملكها يحبر
نخافى الله يا بربر فقد أفتنت ذا العسكر
بحسن الدل والشكل وريح المسك والعنبر
ووجه يشبه البدر وعيني جؤذر أحور

شعراء جمح

أبو دهبل

هو وهب بن زَمْعة بن أسيد الجمحى من بنى جمح بن عمرو بن هُصص بن كعب وأمه من هُذَيل وإياها يعني بقوله

أنا ابن الفروع الكرام التى — هُذَيل لأ بياتها سابلة

همُ ولدونى وأشـــبهتهم — كما تشبه الليلة القابلة

كان أبو دَهْبَل رجلاً جميلاً شاعراً وكانت له جُمة يرسلها فتضرب منكبيه وكان عفيفاً ، وقال الشعر في آخر خلافة علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، ومدح معاوية وعبد الله بن الزبير وقد كان ابن الزبير ولاه بعض أعمال اليمن

ومن قوله يفخر بقومه

قومى بنو جُمَح قوم اذا انحدرت — شهباء تُبصر فى حافاتها الزَّغفا

أهل الخلافة والموفون ان وعدوا — والشاهدو الروع لاعزُلاً ولا كُشُفا

وله أيضاً

أنا أبو دَهْبَل وَهْبٌ لوَهْب — من جُمَح فى العز منها والحسب

والأُسْرة الخضراء والعِيص الأشِب — ومن هُذَيل والدى عالي النسب

أورثني المجدَ أب من بعد أب — رمحى رُدَيْنى وسيفى المستلب

وبَيْضتى قَوْنسها من الذهب — درعى دِلاص سَرْدها سرد عجب

والقوس (١) فجّاء لها نبل ذَرِب — محشورة أحكم منهن القطب

ليوم هيجاء أعدت للرَّهب

(١) قوس فجاء بان وترها عن كبدها وذرب حاد ومحشورة من حشر السنان دققه والطفه

كان أبو دهبل يهوى امرأة من قومه يقال لها عمرة وكانت امرأة جزْلة تجتمع اليها الرجال للمحادثة وانشاد الشعر والأخبار وكان أبو دهبل لايفارق مجلسها مع كل من يجتمع اليها ، وكانت هى أيضاً محبة له ، وكان أبو دهبل رجلا سيداً من أشراف بنى جُمَح ، وكان يحمل الحَمالات ويعطى الفقراء ويقْرى الضيف ، وكانت عمرة توصيه بحفظ مابينهما وكتمانه فضمن لها ذلك ، واتصل مابينهما فوقفت عليه زوجته فدست الى عمرة امرأة داهية من عجائز أهلها ، فجاءتها فحادثتها طويلا ، ثم قالت فى عُرُض حديثها انى لأعجب لك كيف لاتتزوجين أبا دهبل مع مابينكما ؟ قالت وأى شيء يكون بيني وبين أبى دهبل ؟ فتضاحكت وقالت أتسترين عني شيئاً قد تحدث به أشراف قريش في مجالسها وسوقة أهل الحجاز فى أسواقها والسقاة فى مواردها فما يتدافع اثنان أنه يهواك وتهوَينه ؟ فوثبت من مجلسها فاحتجبت ومنعت كل من كان يجالسها من المصير اليها ، وجاء أبو دهبل على عادته فحجبته وأرسلت اليه بما كره ففى ذلك يقول

نطاول هـذا الليل ما يتبلج ... وأعيت غواشي عبْرتى ما تفْرج
وبت كئيباً ما أنام كأنما ... خلال ضلوعى جمرة تتوهج
فطوراً أمني النفس من عمرة المنى ... وطوراً اذا مالج بى الحزن أنْشج
لقد قطع الواشون ما كان بيننا ... ونحن الى أن يوصل الحبل أحوج
رأوا غِرّة فاستقبلوها بإلبهم ... فراحوا على مالا يحب وأدلجوا
وكانوا أناساً كنت آمن غيْبهم ... فلم ينْههم حلمى ولم يتحرجوا
فليت كوائناً من أهلي وأهلها ... بأجمعهم فى قعر دجلة لججوا
همُ منعونا ما نحب وأوقدوا ... علينا وشبّوا نار صرْم تأجّج
ولو تركونا لاهدى الله سعيهم ... ولم يُلْحموا قولا من الشر يُنْسَج
لأوشك صَرف الدهر يفرق بيننا ... ولا يستقيم الدهر والدهر أعوج

عسى كربة أمسيت فيها مقيمة ... يكون لنا منها نجاة ومخرج
فيُكبَت أعداء ويجذل آلف ... له كبد من لوعة الحب تلعج
وقلت لعباد وجاء كتابها ... لهذا وربى كانت العين تخلج
وانى لمحزون عشية زرتها ... وكنت اذا ما جئتها لا أعرَّج
أخطط فى ظهر الحصير كأنني ... أسير يخاف القتل ولهان مُلفج(١)
وأشفق قلبي من فراق خليلة ... لها نسب فى فرع فهر متوج
وكف كهُدّاب الدمقس لطيفة ... بها دوس حناء حديث مدرج
يجول وشاحاها ويغتص حجلها ... ويشبع منها وفق عاج ودُملُج
فلما التقينا لجلجت فى حديثها ... ومن آية الصرم الحديث الملجلج

وقال فيها

يا عمر حمّ فراقكم عمرا ... وعزمت منا النأى والهجرا
يا عمر شيخك وهو ذو كرم ... يحمى الذمار ويكره الصهرا
ان كان هذا السحر منك فلا ... ترعىْ عليَّ وجددى السحرا
احدي بني أوْد كلفت بها ... حملت بلا وتر لنا وترا
وترى لها دلاً اذا نطقت ... تركت بنات فؤاده صُعْرا
كتساقط الرطب الجنى من الـ ... أفنان لا نَثْرا ولا نزرا
أقسمت ما أحببت حبكم ... لا ثيباً خلقت ولا بكرا
ومقالة فيكم عركت بها ... جنبى أريد بها لك العذرا
ومريد سركمُ عدلت به ... فيما يحاول معدلا وعرا
قالت يقيم بنا لنجزيه ... يوماً نخيم عندها شهرا
ما ان أقيم لحاجة عرضت ... الا لأُبلي فيكم العذرا

(١) ألفج الرجل لزق بالارض من كرب أو حاجة فهو ملفج على وزن اسم المفعول وهو نادر

وفيها يقول

يلومونني في غير ذنب جنيته ... وغيري في الذنب الذي كان ألوم
أمِنَّا أُناساً كنت تأتمنينهم ... فزادوا علينا في الحديث وأوهموا
وقالوا لنا مالم نقـل ثم أكثروا ... علينا وباحوا بالذي كنت أكتم
لقد كحلت عيني القذى لفراقكم ... وعاودها تهتانها فهي تسجم
وأنكرت طيب العيش مني وكدرت ... عليَّ حياتي والهوى متقسم
وصافيت نسواناً فلم أرَ فيهم ... هواي ولا الود الذي كنت أعلم
أليس عظيما أن نـكون ببلدة ... كلانا بهـا ثاوٍ ولا نتكلم
ولا تصرميني أن ترَيْني أحبكم ... أبوء بذنبي انني أنا أظلم

حجت عاتكة بنت معاوية فنزلت من مكة بذى طُوَى فبينا هى ذات يوم جالسة وقد اشتد الحر وانقطع الطريق وذلك فى وقت الهاجرة اذ أمرت جواريها فرفعن الستر وهى جالسة فى مجلسها عليها شُفوف لها تنظر الى الطريق اذ مر بها أبو دَهْبَل وكان من أجمل النـاس وأحسنهم منظراً فوقف طويلاً ينظر اليها والى جمالها وهى غافلة عنه فلما فطنت له سترت وجهها وأمرت بطرح الستر وشتمته فقال

انى دعانى الحين فاقتادنى ... حتى رأيت الظبى بالباب
ياحسنه اذ سبنى مدبراً ... مستتراً عنى بجلباب
سبحان من وقفها حسرة ... صبت على القلب بأوصاب
يذود عنها ان تطلبتها ... أب لها ليس بوهاب
أحلها قصراً منيع الذُّرى ... يحمى بأبواب وحجاب

وأنشد هذه الأبيات بعض اخوانه فشاعت بمكة وشهرت وغنى فيها المغنون حتى سمعتها عاتكة انشاداً وغناء فضحكت وأعجبتها وبعثت اليه بكسوة وجرت الرسل بينهما ، فلما صدرت عن مكة خرج معها الى الشام ونزل قريباً منها فـكانت

تعاهده بالبر واللطف حتى وردت دمشق وورد معها فانقطعت عن لقائه وبعد من أن يراها ومرض بدمشق مرضاً شديداً فقال فى ذلك

طال ليلى وبت كالمحزون — ومللت الثواء فى جيرون
وأطلت المقام بالشام حتى — ظن أهلى مرجمات الظنون
فبكت خشية التفرق جُمْل — كبكاء القرين اثر القرين
وهى زهراء مثل لؤلؤة الغوا — ص ميزت من جوهر مكنون
واذا ما نسبتها لم تجدها — فى سناء من المكارم دون
ثم خاصرتها الى القبة الخضـــراء تمشى فى مرمر مسنون
قبة من مراجل ضربوها — عند برد الشتاء فى قيطون
عن يسارى اذا دخلت من البا — ب وان كنت خارجاً عن يمينى
ولقد قلت اذ تطاول سقمى — وتقلبت ليلتى فى فنون
ليت شعري أمن هوى طار نومى — أم برانى البارى قصير الجفون

وشاع هذا الشعر حتى بلغ معاوية فأمسك عنه حتى اذا كان يوم الجمعة دخل عليه الناس وفيهم أبو دهبل فقال معاوية لحاجبه اذا أراد أبو دهبل الخروج فامنعه واردده اليَّ ، وجعل الناس يسلمون وينصرفون ، فقام أبو دهبل لينصرف فناداه معاوية يا أبا دهبل ادنُ اليَّ ، فلما دنا اليه أجلسه حتى خلا به ثم قال له ما كنت ظننت أن فى قريش أشعر منك حيث تقول « ولقد قلت البيتين » غير انك قلت « وهى زهراء البيتين » ووالله ان فتاة أبوها معاوية وجدها أبو سفيان وجدتها هند بنت عتبة لكما ذكرت ، وأى شىء زدت فى قدرها ؟ ولقد أسأت فى قولك

ثم خاصرتها الى القبة الخضـــراء تمشى فى مرمر مسنون

فقال والله يا أمير المؤمنين ما قلت هذا وانما قيل على لسانى ، فقال له أما من جهتى فلا خوف عليك لأنى أعلم صيانة ابنتى نفسها وأعرف أن فتيان الشعر لم

يتركوا أن يقولوا النسيب فى كل من جاز أن يقولوه وكل من لم يجز وانما أكره لك جوار يزيد وأخاف عليك وثباته فان له سورة الشباب وأنفة الملوك ، وانما أراد معاوية أن يهرب أبو دهبل فتنقضي المقالة عن ابنته ، فحذر أبو دهبل فخرج الى مكة هارباً على وجهه فكان يكاتب عاتكة ، فبينا معاوية ذات يوم فى مجلسه اذ جاءه خصى له فقال يا أمير المؤمنين والله لقد سقط اليوم الى عاتكة كتاب فلما قرأته بكت ثم أخذته فوضعته تحت مصلاها ومازالت خاثرة النفس منذ اليوم ، فقال له اذهب فالطف لهذا الكتاب حتى تأتينى به فانطلق الخصى فلم يزل يلطف حتى أصاب منها غرة فأخذ الكتاب وأقبل به الى معاوية فاذا فيه

أعاتك هلا اذ بخلت فلا ترى ... لذى صبوة زلفى لديك ولا يرقى
رددت فؤاداً قد تولى به الهوى ... وسكنت عيناً لا تمل ولا ترقا
ولكن خلبت القلب بالوعد والمنى ... ولم أر يوماً منك جوداً ولا صدقا
أتنسين أيامى بربعك مدنفاً ... صريعاً بأرض الشام ذا سقم ملقى
وليس صديق يرتضى لوصية ... وأدعو لدائى بالشراب فما أسقى
وأكبر همي أن أرى لك مرسلا ... فطول نهاري جالس أرقب الطرقا
فواكبدى اذ ليس لي منك مجلس ... فأشكو الذى بى من هواك وما ألقى
رأيتك تزدادين للصب غلظة ... ويزداد قلبي كل يوم لكم عشقاً

فلما قرأ معاوية هذا الشعر بعث الى يزيد فأتاه ، فدخل عليه فوجد معاوية مطرقاً ، فقال يا أمير المؤمنين ما هذا الأمر الذى شجاك ؟ قال أمر أمرضني وأقلقني منذ اليوم وما أدري ما أعمل فى شأنه ، قال وما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال هذا الفاسق أبو دهبل كتب بهذه الأبيات الى أختك عاتكة فلم تزل باكية منذ اليوم وقد أفسدها فما ترى فيه ؟ فقال والله ان الرأى لهين ، قال وما هو ؟ قال عبد من عبيدك يكمن له فى أزقة مكة فيريحنا منه ، قال معاوية أف لك والله ان امرأ

يريد بك ما يريد ويسمو بك ما يسمو لغير ذى رأى وأنت قد ضاق ذرعك بكلمة وقصر فيها باعك حتى أردت أن تقتل رجلاً من قريش ، أو ما تعلم أنك اذا فعلت ذلك صدقت قوله وجعلتنا أحدوثة أبداً ؟ قال يا أمير المؤمنين انه قال قصيدة أخرى تناشدها أهل مكة وسارت حتى بلغتني وأوجعتني وحملتني على ما أشرت به ، قال وما هى ؟ قال

ألا لا تقل مهلاً فقد ذهب المهل ... وما كل من يَلْحَى محباً له عقل

لقد كان فى حولين حالاً ولم أزر ... هواى وان خوفت عن حبها شغل

حمى الملك الجبار عنى لقاءها ... فمن دونها تُخشى المتالف والقتل

فلا خير فى حب يخاف وباله ... ولا فى حبيب لا يكون له وصل

فوا كبدى انى شهرت بحبها ... ولم يك فيما بيننا ساعة بذل

ويا عجباً انى أكاتم حبها ... وقد شاع حتى قطعت دونها السبل

فقال معاوية قد والله رفهت عنى فما كنت آمن أنه وصل اليها فأما الآن وهو يشكو أنه لم يكن بينهما وصل ولا بذل فالخطب فيه يسير قم عنى ، فقام يزيد فانصرف وحج معاوية فى تلك السنة ، فلما انقضت أيام الحج كتب أسماء وجوه قريش وأشرافهم وشعرائهم وكتب فيهم اسم أبى دهبل ، ثم دعا بهم ففرق فى جميعهم صلات سنية وأجازهم جوائز كثيرة ، فلما قبض أبو دهبل جائزته وقام لينصرف دعا به معاوية ، فرجع اليه ، فقال له يا أبا دهبل مالي رأيت أباخالد يزيد ابن أمير المؤمنين عليك ساخطاً فى قوارص تأتيه عنك وشعر لا تزال نطقت به وأنفذته الى خصمائنا وموالينا ؟ لا تعرض لأبى خالد ، فجعل يعتذر اليه ويحلف له أنه مكذوب عليه ، فقال له معاوية لا بأس عليك وما يضرك ذلك عندنا هل تأهلت ؟ قال لا ، قال فأى بنات عمك أحب اليك ؟ قال فلانة ، قال قد زوجتكها وأصدقتها ألف دينار وأمرت لك بألف دينار ، فلما قبضها قال ان رأى أمير المؤمنين أن يعفو لي

عما مضى فان نطقت ببيت فى معنى ما سبق منى فقد أبحت له دمى وفلانة التى زوجتنيها طالق البتة ، فسرَّ ذلك معاوية وضمن له رضا يزيد عنه ووعده بادرار ما وصله به فى كل سنة ، وانصرف الى دمشق ولم يحجج معاوية فى تلك السنة الا من أجل أبى دهبل

وفد أبو دهبل على ابن الأزرق عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد شمس بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، وكان يقال له ابن الأزرق والهِبْرِزِيّ ، وكان عاملاً لعبد الله بن الزبير على اليمن ، فأنكره ورأى منه جفوة ، فمضى الى عمارة بن عمرو بن حزم وهو عامل لعبد الله بن الزبير على حضرموت ، فقال يمدحه ويعرض بابن الأزرق

يا رب حى بخير ما ... حييت انساناً عمارة
أعطى فأسنانا ولم ... يك من عطيته الصغارة
ومن العطية ما تُرى ... جذْماء ليس لها غَزارة
حجراً تقلبه وهل ... تعطى على المدح الحجارة
كالبغل يحمد قائماً ... وتذم مشيته المصارة

ثم رجع من عند عمارة فقال له حُنَين مولى ابن الأزرق فى السر أرى أنك عجلت على ابن عمك وهو أجود الناس وأكرمهم فعد اليه فانه غير تاركك واعلم أنا نخاف أن يكون قد عزل فلازمه ولا يفقدك فانى أخاف أن ينساك ففعل وأعطاه وأرضاه ، فقال فى ذلك

ياحن انى لما حدثتنى أصلا ... مُرَنَّح من صميم الوجد معمود
نخاف عزل امرىء كنا نعيش به ... معروفه ان طلبنا الجود موجود
اعلم بأنى لمن عاديت مضطغن ... ضِباً وانى عليك اليوم محسود
وأن شكرك عندي لا انقضاء له ... ما دام بالهضب من لُبنان جلمود

أنت الممدح والمغلي به ثمناً   اذ لا تمدح صُم الجندل السود
ان تَغْدُ من مَنْقَلَي نجران مرتحلا   يرحل من اليمن المعروف والجود
ما زلت فى دَفَعات الخير تفعلها   لما اعترى الناس لأواء ومجهود
حتى الذى بين عُسْفان الى عدَن   لُحْبٌ[1] لمن يطلب المعروف أُخدود

ولى عبد الله بن الزبير ابراهيم الوَقَّاصى مكان ابن الأزرق ، فاستأذنه أبو دهبل فى صحبة الوقاصى فأذن له فرجع معه حتى اذا دخلوا صنعاء لقيهم بجير بن ريسان الذى يقول فيه أبو دهبل

بُجَيْر بن ريسان الذى سكن الجَنَد   يقول له الناس الجوادُ وما وَلَد
له نفحات حين يذكر فضله   كسيل ربيع فى ضحاضحة السند

وأقام أبو دهبل معه فلم يصنع به خيراً ، فقال

ماذا رُزِئنا غداة الخَلّ[2] من رِمَعَ   عند التفرق من خِيم ومن كرم
ظل لنا واقفاً يعطى فأكثر ما   سمى وقال لنا فى قوله نعَم
ثم انتحى غير مذموم واعيننا   لما تولى بدمع واكف سجم
تحمله الناقة الأدماء معتجراً   بالبرد كالبدر جلَّى ليلة الظلم
وكيف أنساك لا أيديك واحدة   عندي ولا بالذي أوليت من قدم
حتى لقينا بجيراً عند مَقْدَمنا   فى موكب كضباع الجزع مرتكم
لما رأيت مقامى عند بابهمُ   وددْت أنى بذاك الباب لم أقم

وقال أبو دهبل فى ابن الأزرق لما عزل

فمن يك شانه العزل أو هد ركنه   لأعدائه يوماً فما شانك العزل
وما أصبحْت من نعمة مستفادة   ولا رَحِم الا عليها لك الفضل

(١) اللحب الطريق الوضح (٢) موضع بين مكة والمدينة ورمع موضع باليمن

وقال فيه أيضاً

عُقِم النساء فلم يَلِدْن شبيهه ان النساء بمثله عُقْم
متهلل بنعم بلا متباعد سيان منه الوفر والعُدْم
نزر الكلام من الحياء تخاله ضَمِناً وليس بجسمه سقم

وقال يمدحه

بأبي وأمي غير قول الباطل الكامل ابن الكامل ابن الكامل
والحازم الأمر الكريم برأيه والواصل الأرحام وابن الواصل
جمع الرياسة والسماح كليهما جمع الجفير قِدَاح نَبْل النابل

قال أبو عمرو الشيباني كان ابن الزبير بعث عبد الله بن عبد الرحمن على بعض أعمال اليمن فمد يده الى أموالها وأعطى أعطية سنية وبث فى قريش منها أشياء جزيلة فأثنت عليه قريش ووفدوا اليه فأسنى لهم العطايا، وبلغ ذلك عبد الله بن الزبير فحسده وعزله بابراهيم بن سعد بن أبي وقاص، فلما قدم عليه أراد أن يحاسبه، فقال له مالك عندي حساب ولا بيني وبينك عمل وقدم مكة، فخافت قريش ابن الزبير عليه أن يفتشه أو يكشفه فلبست السلاح وخرجت اليه لتمنعه، فلما لقيهم نزلت اليه قريش فسلمت عليه وبسطت له أرديتها وتلقتهم اماؤهم وولائدهم بمجامر الألُوَّة والعود المندلى يبخرون بين يديه حتى دخل الى المسجد وطاف بالبيت، ثم جاء الى ابن الزبير فسلم عليه وهم معه مطيفون به، فعلم ابن الزبير أنه لاسبيل له اليه فما عرَّض ولا صرَّح له بشيء ومضى الى منزله

قدم سليمان بن عبد الملك مكة فى حر شديد فكان ينقل سريره بفناء الكعبة وأعطى الناس العطاء، فلما بلغ بنى جُمَح نودى بأبى دهبل، فقال سليمان أين أبو دهبل الشاعر؟ فأتى به، فقال سليمان أنت أبو دهبل الشاعر؟ قال نعم، قال فأنت القائل

فتنة يشعلها من راءها حطب النار فدعها تشتعل
فاذا ما كان أمن فأتهم واذا ما كان خوف فاعتزل

قال نعم ، قال وأنت القائل

يدعون مَرْوان كيما يستجيب لهم وعند مروان خار القوم أو رقدوا
قد كان فى قوم موسى قبلهم جسد عِجلٌ اذا خار فيهم خَوْرة سجدوا

قال نعم ، قال فأنت القائل هذا ثم تطلب ما عندنا ، لا والله ولا كرامة ، قال يا أمير المؤمنين ان قوماً فتنوا فكالحوكم بأسيافهم وأجلبوا عليكم بخيلهم ورجلهم ثم أدالكم الله منهم فعفوتم عنهم وانما فتنت فقلت بلساني فلم لا يعفى عنى ؟ فقال سليمان قد عفونا عنك ، وأقطعه قطيعة بحاذان باليمن ، فقيل لسليمان كيف أقطعته هذه القطيعة ؟ قال أردت أن أميته وأميت ذكره بها

ومن قوله فى قتل الحسين بن علي صلوات الله عليه وزكواته

تبيت سكارى من أمية نُوَّماً وبالطَّفّ قتلى ما ينام حميمها
وما أفسد الاسلام الا عصابة تأمَّرَ نَوْكاها ودام نعيمها
فصارت قناة الدين فى كف ظالم اذا اعوج منها جانب لا يقيمها

ومن قوله

سقى الله جارينا ومن حل وَلْيَه قبائل جاءت من سهام وسُرْدَد (١)
ومحصولة الدار التى خيمت بها سقاها فأروى كل رَبْع وفَدْفَد
فأنت التى كلفتني البَرْكَ شاتياً وأوردتنيه فانظري أين موردى
فواندمى اذ لم أعج اذ تقول لي تقدم فشيعنا الى ضحى الغد
تكن سكناً أو تقدر العين أنها ستبكي مراراً فاسلُ من بعد واجهد
فأصبحت مما كان بيني وبينها سوى ذكرها كالقابض الماء باليد

(١) سردد فى ولاية اليمن وسهام موضع باليمامة

لعلك أن تلقى محباً فتشتفى ... برؤية ريم بضّـة المتجرّد
بلاد العدا لم تأتها غير أنهـا ... بها هم نفسى من تهام ومنجد
وما جملت ما بين مكة ناقتى ... الى البَرْك الا نومة المتهجد
وكانت قبيل الصبح تنبذ رحلها ... بدورة من نفط القطا المتبدد

ومن قوله

ألا علق القلب المتيم كلثما ... لجاجاً ولم يلزم من الحب ملزما
خرجت بها من بطن مكة بعدما ... أصات المنادى بالصلاة فأعتما
فما نام من راع ولا ارتدّ سامر ... من الحى حتى جاوزت بي يَلملما
ومرت ببطن الليث تهوى كأنما ... تبـادر بالادلاج نَهْباً مقسما
وجازت على البَزْواء والليل كاسر ... جناحيه بالبزواء وَرْداً وأدهما
فما ذر قرن الشمس حتى تبينت ... بعُلَيب نخلاً مشرفاً ومخيما
ومرت على أشطان روقة بالضحى ... فما جرّرت للماء عيناً ولا فما
فما شربت حتى ثنيت زمامها ... وخفت عليها أن تُجرّ وتـكلما
فقلت لهـا قد بنت غير ذميمة ... وأصبح وادى البرك غيثاً مُديّما

ومن قوله يرثى ابن الأزرق

لقدغال هذا اللحد من بطن عُلَيب ... فتى كان من أهل الندى والتكرم
فتى كان فيما ناب يوماً هو الفتى ... ونعم الفتى للطـارق المتيمم
أألحق انى لا أزال على منًى ... اذا صدر الحجاج عن كل موسم
سقى الله أرضاً أنت ساكن قبرها ... سِجال الغوادى من سَحيل ومُبْرم

وقع لأبى دهبل ميراث بمصر فخرج يريده ثم رجع من الطريق فقال

اسلمِى أمّ دَهْبَل بعد هجر ... وتقض من الزمان وعمر
واذكرى كَرّيَ المطى اليكم ... بعدما قد توجهت نحو مصر

لا تخالي انى نسيتك لمـا حال نبش من به خلف ظهر
ان تـكونى أنت المقدم قبـلى وأطَعَ يثو عند قبرك قبري

كان أبو ريحانة عم أبى دهبل شديد الخلاف على عبد الله بن الزبير فتوعده عبد الله بن صفوان ، فلحق بعبد الملك بن مروان ، فاستمده الحجاج فأمده بعبد الملك مولى عثمان فى أربعة آلاف ، فأشرف أبو ريحانة على أبى قبيس فصاح أليس قد أخزاكم الله يا أهل مكة ؟ فقال له ابن أبى عتيق بلى والله قد أخزانا الله ، فقال له ابن الزبير مهلا يا ابن أخى ، فقال قلنا لك ائذن لنا فيهم وهم قليل فأبيت حتى صاروا الى ماترى من الـكثرة ، وقال أبو دهبل فى وعيد عبد الله بن صفوان عمه أبا ريحانة

ولا توعد لتقتـله عليا فان وعيـده كلأ وبيل
ونحن ببطن مكة اذ تداعىَ لرهطك من بني عمرو رَعيل
أولو الجمع المقـدم حين ثابوا اليك ومن يودعهـم قليل
فلما أن تفانينا وأودى بثروتنا الترحل والرحيل
جعلت لحومنا غرضاً كأنا لتهلـكنا عروبة أو سلول

شعراء عديّ بن كعب

عمرو بن سعيد

هو عمرو بن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي من عديّ بن كعب بن لؤيّ وأبوه أحد العشرة الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على حِراء ، فرجف بهم ، فقال اثبت حِراء فليس عليك الا نبي أو صديق أو شهيد

من قوله وفيه غناء

أمن آل ليلى بالملا متربع ... كما لاح وشم فى الذراع مرجَّع
سأتبع ليلى حيث سارت وخيمت ... وما الناس الا آلف ومودع

عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل

هى زوج الزبير بن العوام قالت ترثيه لما قتل

غدر ابن جُرْموز بفارس بهمة ... يوم اللقاء وكان غير مُعَرِّد
يا عمرو لو نبهتــــه لوجدته ... لا طائشاً رَعْش اللسان ولا اليد
شَلَّت يمينك إن قتلت لمسـلماً ... حلت عليك عقوبة المتعمد
ان الزبير لذو بلاء صادق ... سَمْح سـجيته كريم المشهد
كم غَمْرَة قد خاضها لم يَثْنِهِ ... عنها طرادك يا ابن فَقْع القَرْدَد
فاذهب فما ظفرت يداك بمثله ... فيمن مضى ممن يروح ويغتدى

ومن قولها ترثى زوجها عبد الله بن أبى بكر وكان أول أزواجها

فلله عينا من رأى مثله فتى ... أ كرَّ وأحمى فى الهياج وأصبرا
اذا شرعت فيه الأسنة خاضها ... الى الموت حتى يترك الرمح أحمرا

فأقسمت لا تنفك عيني سخينة ۝ عليك ولا ينفك جلدي أغبرا
مدى الدهر ما غنت حمامة أيكة ۝ وما طرد الليل الصباح المنورا

ثم تزوجها عمر فلما قتل قالت ترثيه

عين جودي بعَبْرة ونحيب ۝ لا تَمَلِّي على الامام النجيب
فجعتنا المنون بالفارس المُعْـلِم يوم الهياج والتلبيب
عصمة الله والمعين على الدهـر غياث المنتاب والمحروب
قل لأهل الضَّراء والبؤس موتوا ۝ قد سقته المنون كأس شَعُوب

وقالت ترثيه أيضاً

منع الرقاد فعاد عيني عود ۝ مما تضمن قلبي المعمود
ياليلة حبست عليَّ نجومها ۝ فسهرتها والشامتون هجود
قد كان يُسهرني حذارُك مرة ۝ فاليوم حق لعيني التسهيد
أبكي أمير المؤمنين ودونه ۝ للزائرين صفائح وصعيد

ولما انقضت عدتها من الزبير تزوجها الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام ، فلما قتل قالت ترثيه

وحسيناً فلا نسيت حسيناً ۝ أقصدته أسنَّة الأعداء
غادروه بكَرْبلاء صريعاً ۝ جادت المزن في ذرى كربلاء

ثم تأيمت بعده فكان عبدالله بن عمر يقول من أراد الشهادة فليتزوج بعاتكة ويقال ان مروان خطبها بعد الحسين عليه السلام ، فامتنعت عليه وقالت ما كنت لأتخذ حماً بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم

شعراء تيم بن مرة

عبد الرحمن بن أبي بكر

هو عبد الرحمن بن أبى بكر بن عبد الله التيمى من تيم بن مرة بن كعب له صحبة بالنبي صلى الله عليه وسلم ولم يهاجر مع أبيه صغراً عن ذلك فبقى بمكانه ثم خرج قبل الفتح مع فتية من قريش مهاجراً الى النبى صلى الله عليه وسلم

استهيم بليلى بنت الجُودى بن عدىّ بن عمرو بن أبى عمرو الغسّانى فقال فيها

تذكرت ليلى والسماوة دونها ... وما لابنــة الجودىّ ليلى وماليا

وأنى تعاطى قلبـــه حارثية ... تحل ببُصرى أو تحل الحوانيا ؟

وكيف يلاقيها ؟ بلى ولعلهــا ... اذا الناس حجوا قابلاً ان تلاقيا

وقال فيها

يابنة الجُودى قلبي كئيب ... مستهام عندها ما ينيب

ولقد لاموا فقلت دعوها ... ان من تنهَوْن عنه حبيب

انما أبلى عظامى وجسمى ... حبها والحب شىء عجيب

فقال له عمر مالك ولها يا عبد الرحمن ؟ فقال والله ما رأيتها قط الا ليلة فى بيت المقدس فى جوار ونساؤها يتهادَيْن فاذا عثَرت إحداهن قالت يا ابنة الجودى واذا حلفت إحداهن حلفت بابنة الجودى ، فكتب عمر الى صاحب الثَّغْر الذى هى به اذا فتح الله عليكم دمشق فقد غنمت عبد الرحمن بن أبى بكر ليلى بنت الجودى ، فلما فتح الله عليهم غنموه إياها ، قالت عائشة فكنت أكلمه فيما يصنع بها فيقول

يا أخية دعيني فوالله لكأني أرشُفُ من ثناياها حب الرمان ، ثم ملها وهانت عليه فكنت أكلمه فيما يسيء اليها كما كنت أكلمه في الاحسان اليها ، فكان احسانه أن ردها الى أهلها ، وكان فيما قالت له عائشة يا عبد الرحمن لقد أحببت ليلى فأفرطت وأبغضت ليلى فأفرطت ، فإما أن تنصفها وإما أن تجهزها الى أهلها ، فجهزها الى أهلها ، وكان عبد الرحمن اذا خرج من عندها ثم رجع اليها رأى في عينيها أثر البكاء فيقول ما يبكيك ؟ اختاري خصالاً أيها شئت فعلت بك ، إما أن أعتقك وأتزوجك ، فتقول لا أشتهيه ، وان شئت رددتك على قومك ، قالت ولا هذا أريد ، قال فأخبريني ما يبكيك ؟ قالت أبكي الملك من يوم البؤس

ومما قال فيها

فإما تصبحي بعد اقتراب ... بسَلْع أو ثنيّات الوداع
فلم ألفظك من شبع ولكن ... لأقضي حاجة النفس الشَّعاع
كأن جوانح الأضلاع مني ... بعيد النوم مُبطنة اليَراع

وعبد الرحمن هو القائل لمروان يوم دعا الى بيعة يزيد انما تريدون أن تجعلوها كِسْرَوِية أو هِرَقلية كلما هلك كسرى أو هرقل ملك كسرى أو هرقل ، فقال مروان أيها الناس هذا « الذى قال لوالديه أفٍّ لكما أتعدانني أن أُخرج وقد خلت القرون من قبلي » ، فصاحت به عائشة ألعبد الرحمن تقول هذا ؟ كذبت والله ما هو به ولو شئت أن أسمي من أنزلت فيه لسميته ، ولكني أشهد أن رسول الله صلى الله عليه لعن أباك وأنت في صلبه فأنت فَضَض من لعنة الله

وروى أنها قالت له يا مروان أفينا تتأول القرآن والينا تسوق اللعن ؟ والله لأقومن يوم الجمعة بك مقاماً تودّ أني لم أقمه ، فأرسل اليها بعد ذلك وترضاها واستعفاها وحلف ألَّا يصلي بالناس أو تؤمنه ، ففعلت

مات عبد الرحمن بن أبي بكر بالحبشى (١) فحمل فدفن بمكة ، فقدمت عائشة فوقفت على قبره ثم قالت

وكنا كندماني جذيمة حقبة — من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأني ومالكاً — لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

أما والله لو حضرتك لدفنتك حيث مت ولو شهدتك لزرتك

عائشة بنت طلحة

هى عائشة بنت طلحة بن عبيد الله من تيم بن مرة أمها أم كلثوم بنت أبي بكر

كانت عائشة لا تستر وجهها من أحد ، فعاتبها مصعب فى ذلك ، فقالت ان الله تبارك وتعالى وسمنى بميسم جمال أحببت أن يراه الناس ويعرفوا فضله عليهم فما كنت لأستره ، ووالله مافيَّ وَصْمة يقدر أن يذكرني بها أحد ، وطالت مراودة مصعب إياها فى ذلك وكانت شَرِسة الخلق ، وكذلك نساء بنى تيم هن أشرس خلق الله وأحظى عند أزواجهن ، وكانت عند الحسين بن علي صلوات الله عليهما أم اسحاق بنت طلحة فكان يقول والله لربما حملت ووضعت وهى مصارمة لي لا تكلمني

آلت عائشة من مصعب وقالت « على كظهر أمى » وقعدت فى غرفتها وهيأت فيها ما يصلحها ، فجهد مصعب أن تكلمه ، فأبت ، فبعث اليها ابن قيس الرُّقَيات فسألها كلامه ، فقالت كيف بيميني ؟ فقال ههنا الشَّعبي فقيه أهل العراق فاستفتيه ، فدخل عليها فأخبرته ، فقال ليس هذا بشى ، فقالت أَتُحلُّني وتخرج خائباً ؟ فأمرت له بأربعة آلاف درهم

كان أشعب يألف مصعباً فغضبت عليه عائشة يوماً ، وكانت من أحب الناس

(١) جبل من جبال مكة على أميال

اليه ، فشكا ذلك الى أشعب ، فقال مالى ان رضيت ؟ قال حكمك ، قال عشرة آلاف درهم ، قال هى لك ، فانطلق حتى أتى الى عائشة فقال جُعلت فداءك ، قد علمت حبى لك وميلى قديماً وحديثاً اليك من غير منالة ولا فائدة ، وهذه حاجة قد عرضت تنضين بها حقى وترتهنين بها شكرى ، قالت وما عناك ؟ قال قد جعل لى الأمير عشرة آلاف درهم ان رضيت عنه ، قالت ويحك لا يمكننى ذلك ، قال بأبى أنت وأمى فارضَىْ عنه حتى يعطينى ثم عودى الى ما عودك الله من سوء الخلق ، فضحكت منه ورضيت عن مصعب

أتى مصعب بن الزبير وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر وسعيد بن العاص عزّة الميلاء فقالوا انا خطبنا فانظرى لنا ، فقالت لمصعب يا ابن أبى عبد الله ومن خطبت ؟ فقال عائشة بنت طلحة ، فقالت فأنت يا ابن أبى أُحَيْحَة ، قال عائشة بنت عثمان ، قالت فأنت يا ابن الصديق ، قال أم القاسم بنت زكريا بن طلحة ، قالت ياجارية هاتى منقلَىّ « تعني خفيها » فلبستهما وخرجت ومعها خادم لها فبدأت بعائشة بنت طلحة فقالت فديتك كنا فى مأدبة لقريش فتذاكروا جمال النساء وخلقهن فذكروك فلم أدر كيف أصفك فديتك ، فألقى ثيابك ، ففعلت فأقبلت وأدبرت ، فقالت لها عزّة خذى ثوبك فديتك ، وأتت النسوة على مثل ذلك تقول ذلك لهن ، ثم أتت القوم فى السقيفة فقالوا ماصنعت ؟ فقالت يا ابن أبى عبدالله أما عائشة فلا والله إن رأيت مثلها مقبلة ومدبرة ، محطوطة المتنين ، ممتلئة الترائب ، نقية الثغر وصفحة الوجه ، فرعاء الشعر ، لفّاء الفخذين ، ممتلئة الصدر ، خميصة البطن ، ذات عُكَن ، مُسرولة الساق ، يرتجّ ما بين أعلاها الى قدميها ، وفيها عيبان أما أحدهما فيواريه الخمار وأما الآخر فيواريه الخف ، عظم القدم والأذن ، وكانت عائشة كذلك ، ثم قالت وأما أنت يا ابن أبى أُحيحة فانى والله ما رأيت مثل خلق عائشة بنت عثمان لامرأة قط ، ليس فيها عيب ، والله لكأنما أفرغت إفراغاً ولكن

فى الوجه ردة وان استشرتنى أشرت عليك بوجه تستأنس به ، وأما أنت يا ابن الصديق فوالله ما رأيت مثل أم القاسم كأنها خوط بانة تنثنى ، وكأنها جدل عنان أو كأنها خشف يتثنى على رمل ، لو شئت أن تعقد أطرافها لفعلت ، ولكنها شختة الصدر وأنت عريض الصدر فاذا كان ذلك كان قبيحاً ، لا والله حتى يملأ كل شىء مثله ، فوصلها الرجال والنساء وتزوجوهن . وكانت عائشة بنت طلحة تشبه بعائشة أم المؤمنين خالتها ، فزوجتها عائشة عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكروهو ابن أخيها وابن خال عائشة بنت طلحة ، وهو أبو عذرها ، فلم تلد من أحد من أزواجها سواه ، ولدت عمران « وبه كانت تكنى » وعبد الرحمن وأبا بكر وطلحة ونفيسة ، وتزوجها الوليد بن عبد الملك ، ولكل هؤلاء عقب ، وكان ابنها طلحة من أجواد قريش وله يقول الحزين الديلى

فان تك ياطلحَ أعطيتنى   عُذافرة تستخف العِفارا (١)
فما كان نفعك لى مرة   ولا مرتين ولكن مرارا
أبوك الذي صدق المصطفى   وسار مع المصطفى حيث سارا
وأمك بيضاء تيَمية   اذا نسب الناس كانوا نُضارا

صارمت عائشة زوجها عبدالله وخرجت من دارها غضبى ، فمرت فى المسجد وعليها مِلحفة تريد عائشة أم المؤمنين ، فرآها أبو هريرة فقال سبحان الله كأنها من الحور العين ، فمكثت عند عائشة أربعة أشهر ، وكان زوجها قد آلى منها ، فأرسلت عائشة اليه انى أخاف عليك الايلاء ، فضمها اليه وكان مولياً منها فقيل له طلقها فقال

يقولون طلقها لأصبح ثاوياً   مقيما علىّ الهم أحلام نائم
وان فراق أهل بيت أحبهم   لهم زُلفة عندى لإحدى العظائم

(١) العذافر بضم العين العظيم الشديد من الابل والناقة عذافرة والجمع عذافرة بفتح العين والعفر بالكسر ذكر الخنازير والجمع عفار

فتوفى عبد الله بعد ذلك وهى عنده فما فتحت فاها عليه ، وكانت عائشة أم المؤمنين تعدد عليها هذا فى ذنوبها التى تعددها ، ثم تزوجها من بعده مُصعَب بن الزبير فأمهرها خمسمائة الف درهم وأهدى لها مثل ذلك ، فكتب اليه عبد الله بن الزبير يؤنبه على ذلك ويقسم عليه أن يلحق به بمكة ولا ينزل المدينة ولا ينزل إلا بالبيداء، وقال له انى لأرجو أن تكون الذى يخسف به بالبيداء فما أمرتك بنزولها الا لهذا ، فصار اليه وأرضاه من نفسه ، فأمسك عنه ، وكان مصعب لا يقدر عليها الا بتلاح ينالها منه ويضربها ، فشكا ذلك الى ابن أبى فروة كاتبه ، فقال له أنا أكفيك هذا ان أذنت لي ، قال نعم افعل ما شئت فانها أفضل شيء نلته من الدنيا ، فأتاها ليلاً ومعه أسودان فاستأذن عليها ، فقالت له أفى مثل هذه الساعة؟ قال نعم ، فأدخلته فقال للأسودين احفرا هنا بئراً ، فقالت له جاريتها وما تصنع بالبئر ؟ قال شؤم مولاتك أمرنى هذا الفاجر أن أدفنها حية وهو أسفك خلق الله لدم حرام ، فقالت عائشة فأنظرنى أذهب اليه ، قال هيهات لاسبيل الى ذلك ،وقال للأسودين احفرا ، فلما رأت الجد منه بكت ثم قالت يا ابن أبى فروة انك لقاتلى مامنه بد ؟ قال نعم وانى لأعلم أن الله سيجزيه بعدك ولكنه قدغضب وهو كافر الغضب ، قالت وفى أى شيء غضبه ، قال فى امتناعك عنه وقد ظن أنك تبغضينه وتتطلعين الى غيره فقد جن ، فقالت أنشدك الله إلا عاودته ، قال انى أخاف أن يقتلني ، فبكت وبكى جواريها ، فقال قد رققت لك ، وحلف أن يغرر بنفسه ، ثم قال لها فما أقوله ؟ قالت تضمن عني أنى لا أعود أبداً ، قال فمالي عندك ؟ قالت قيام بحقك ما عشت ، قال فأعطنى المواثيق ، فأعطته ، فقال للأسودين مكانكما ، وأتى مصعباً فأخبره فقال له استوثق منها بالأيمان ففعلت وصلحت بعد ذلك لمصعب ، ودخل عليها مصعب يوماً وهى نائمة متصبحة ومعه ثمان لؤلؤات قيمتها عشرون الف دينار فأنبهها ونثر اللؤلؤ في حجرها ، فقالت له نومتى كانت أحب الىَّ من

هذا اللؤلؤ ، وصارمت مصعباً مرة فطالت مصارمتها له وشق ذلك عليها وعليه ، وكانت لمصعب حرب فخرج اليها ثم عاد وقد ظفر فشكت عائشة مصارمته الى مولاة لها فقالت لها الآن يصلح أن تخرجي اليه ، فخرجت فهنأته بالفتح وجعلت تمسح التراب عن وجهه ، فقال لها مصعب انى أشفق عليك من رائحة الحديد ، فقالت لهو والله عندى أطيب من ريح المسك الأذفر

وكان مصعب من أشد الناس اعجاباً بعائشة ولم يكن لها شبه فى زمانها حسناً ودمانة وجمالاً وهيئة ومتانة وعفة ، دعت يوماً نسوة من قريش فلما جئنها أجلستهن فى مجلس قد نضد فيه الريحان والفواكه والطيب المجمر وخلعت على كل امرأة منهن خلعة تامة من الوشى والخز ونحوهما ودعت عزة الميلاء ففعلت بها مثل ذلك وأضعفت ثم قالت لعزة هاتى ياعزة فغنينا من شعر امرىء القيس

وثغر أغرّ شتيت النبات ... لذيذ المقبّل والمبتسم

وما ذقته غير ظن به ... وبالظن يقضى عليك الحكم

وكان مصعب قريباً منهن ومعه اخوان له فقام فانتقل حتى دنا منهن والستور مسبلة فصاح ياهذه انا قد ذقناه فوجدناه على ما وصفت فبارك الله فيك يا عزة ، ثم أرسل الى عائشة لتأذن لعزة أن تغنيه هو ومن معه الصوت ثم تعود ، ففعلت وخرجت اليه عزة فغنته هذا الصوت مراراً وكاد مصعب يذهب عقله فرحاً ، ثم قال لها ياعزة انك لتحسنين القول والوصف وأمرها بالعود الى مجلسها ، وتحدث ساعة مع القوم ثم تفرقوا

لما قتل مصعب خطبها بشر بن مروان وقدم عمر بن عبيد الله بن معْمَر التيْمى من الشام فنزل الكوفة فبلغه أن بشر بن مروان خطبها ، فأرسل اليها جارية لها وقال قولي لابنة عمى يقرئك السلام ابن عمك ويقول لك أنا خير من هذا المبسور المطحول وأنا ابن عمك وأحق بك ، فتزوجته ، فبنى بها فى الحيرة ومهدت له سبعة

أفرشة عرضها أربع أذرع ، وقد حمل اليها ألف ألف درهم خمسمائة ألف درهم مهراً وخمسمائة ألف درهم هدية ، قالت رملة بنت عبد الله بن خلف وكانت تحت عمر ابن عبيد الله بن معمر وقد ولدت منه ابنه طلحة الجواد لمولاة عائشة أريني عائشة متجردة ولك ألفا درهم ، فأخبرت عائشة بذلك ، قالت فانى أتجرد فأعلميها ولا تعرفيها أنى أعلم ، فقامت عائشة كأنها تغتسل وأعلمتها ، فأشرفت عليها مقبلة ومدبرة فأعطت رملة مولاتها ألفى درهم وقالت لوددْت أنى أعطيتك أربعة آلاف ولم أرها ، وكانت رملة قد أسنت وكانت حسنة الجسم قبيحة الوجه عظيمة الأنف ، قال عمر بن عبيد الله لعائشة وقد أصاب منها طيب نفس ما مرَّ بى مثل يوم أبى فُدَيك ، فقالت له اعدد أيامك واذكر أفضلها ، فعدَّ يوم سِجِسْتان ويوم قطَرِىّ بفارس ونحو ذلك ، فقالت عائشة قد تركت يوماً لم تكن فى أيامك أشجع منك فيه ، قال وأىّ يوم ؟ قالت يوم أرخت عليها وعليك رملة الستر تريد قبح وجهها ، وكان عمر بن عبيد الله من أشد الناس غَيرة ، فدخل يوماً على عائشة وقد ناله حر شديد وغبار ، فقال لها انفضي التراب عنى ، فأخذت منديلاً تنفض به عنه التراب ثم قالت له مارأيت الغبار على وجه أحد قط كان أحسن منه على وجه مصعب ، فكاد عمر يموت غيظاً ، وكانت عائشة من أشد الناس مغايظة لأزواجها وكانت تكون لمن يجيء يحدثها فى رقيق الثياب فاذا قالوا جاء الأمير ضمت عليها مُطْرَفها وقطبت ، وكانت كثيراً ما تصف لعمر مصعباً وجماله تَغيظه بذلك فيكاد يموت

مكثت عائشة عند عمر بن عبيد الله ثمانى سنين ثم مات عنها فى سنة اثنتين وثمانين فلما مات ندبته قائمة ولم تندب أحداً من أزواجها الا جالسة ، فقيل لها في ذلك ، فقالت كان أكرمهم عليّ وأمسهم رحماً بى وأردت ألاّ أتزوج بعده ، وكانت نَدْبة المرأة زوجها قائمة مما تفعله من لا تريد ألا تتزوج بعد زوجها ، فخطبها جماعة فردتهم ولم تتزوج بعده أبداً

دخلت عائشة على الوليد بن عبد الملك وهو بمكة فقالت له يا أمير المؤمنين مُرْ لي بأعوان فضم ، اليها قوماً يكونون معها ، فحجت ومعها ستون بغلاً عليها الهوادج والرحائل ، فعرض لها عروة بن الزبير فقال

عائش ياذات البغال الستين　　أكل عام هكذا تحجين

فأرسلت اليه نعم ياعُرَيَّة فتقدم ان شئت ، فكف عنها ، وقد حجت معها سكينة بنت الحسين عليهما السلام ، وكانت عائشة أحسن آلة وثقلاً فقال حاديها

عائش ياذات البغال الستين　　لازلت ما عشت كذا تحجين

فشق ذلك على سكينة ونزل حاديها فقال

عائش هذى ضَرَّة تشكوك　　لولا أبوها ما اهتدى أبوك

فأمرت عائشة حاديها أن يكف

وفدت عائشة على هشام فقال لها ما أوفدك ؟ قالت حبست السماء المطر ومنع السلطان الحق ، قال فانى أبلّ رحمك وأعرف حقك ، ثم بعث الى مشايخ بنى أمية فقال ان عائشة عندي فاسْمُروا عندي الليلة ، فحضروا فما تذاكروا شيئاً من أخبار العرب وأشعارها وأيامها الا أفاضت معهم فيه وما طلع نجم ولا غار الا سمته ، فقال لها هشام أما الأول فلا أنكره ، وأما النجوم فمن أين لك ؟ قالت أخذتها عن خالتي عائشة ، فأمر لها بمائة ألف درهم وردها الى المدينة

لما تأيمت عائشة بنت طلحة كانت تقيم بمكة سنة وبالمدينة سنة تخرج الى مال لها بالطائف عظيم وقصر لها ، فتجلس فيه بالعشيات فتناضل بين الرماة ، فمرّ بها النميري الشاعر ، فسألت عنه فنسب ، فقالت ائتونى به ، فقالت له لما أتوها به أنشدنى مما قلت فى زينب ، فامتنع وقال ابنة عمى وقد صارت عظاماً بالية ، قالت أقسمت عليك لما فعلت فأنشدها تائيته (انظر ص ١٤٩ جزء ٤) ، فقالت والله

ما قلت الا جميلاً ولا وصفت الا كرماً وطيباً وتقى وديناً أعطوه ألف درهم ، فلما كانت الجمعة الأخرى تعرض لها فقالت عليّ به ، فجاء ، فقالت أنشدني من شعرك في زينب ، فقال أوْ أنشدك قول الحرث فيك ؟ فوثب مواليها ، فقالت دعوه فانه أراد أن يستقيد لابنة عمه ، هات ، فأنشدها

ظعن الأمير بأحسن الخلق ... وغدا بلبك مَطْلع الشرق

وتنوء تثقلها عجيزتها ... نهض الضعيف ينوء بالوسق

ما صبحت زوجاً بطلعتها ... الا غدا بكوا كب الطَّلْق

قرشية عبق العبير بها ... عبق الدهان بجانب الحُق

بيضاء من تَيم كلِفت بها ... هذا الجنون وليس بالعشق

قالت والله ما ذكر الا جميلاً ذكر أني اذا صبحت زوجاً بوجهي غدا بكواكب الطلق واني غدوت مع أمير تزوجني الى الشرق أعطوه ألف درهم واكسوه حلتين ولا تعد الينا يا نميري

ولى الحرث بن خالد على مكة فأذّن المؤذن وخرج للصلاة ، فأرسلت اليه عائشة بنت طلحة قد بقي من طوافي شيء لم آته « وكان يتعشقها » ، فأمر المؤذن فكف عن الاقامة ، ففرغت من طوافها ، وبلغ ذلك عبد الملك فعزله ، فقال ما أهون والله غضبه وعزله إياي عند رضاها عني

قال أبو هريرة لعائشة ما رأيت شيئاً أحسن منك الا معاوية أول يوم خطب على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت والله لأنا أحسن من النار في الليلة القرّة في عين المقرور

اسمعيل بن يسار

هو اسمعيل بن يسار النِّسائى مولى بنى تَيم بن مرة ، لقب بالنسائى لأن أباه كان يصنع طعام العرس ويبيعه فيشتري منه من أراد التعريس من المتجملين ومن لم تبلغ حاله اصطناع ذلك وقيل كان هو يبيع النجد والفرش التي تتخذ للعرائس ، وكان شعوبياً شديد التعصب للعجم

كان منقطعاً الى آل الزبير ، فلما أفضت الخلافة الى عبد الملك بن مروان وفد اليه مع عروة بن الزبير ومدحه ومدح الخلفاء من ولده بعده وعاش عمراً طويلاً الى أن أدرك آخر سلطان بنى أمية ولم يدرك الدولة العباسية ، وكان طيباً مليحاً مُنَدَّراً بطالاً مليح الشعر وكان كالمنقطع الى عروة بن الزبير

لما خرج عروة الى الشام أخرج معه اسمعيل فعادله ، فقال عروة ليلة من الليالي لبعض غلمانه انظر كيف ترى المحمل ، قال أراه معتدلاً ، فقال اسمعيل الله أكبر ما اعتدل الحق والباطل قبل الليلة قط ، فضحك عروة وكان يستخف اسمعيل ويستطيبه

كان اسمعيل ينزل فى موضع يقال له جديلة ، وكان له جلساء يتحدثون عنده ففقدهم أياماً وسأل عنهم ، فقيل هم عند رجل يتحدثون اليه طيب الحديث حلو ظريف قدم عليهم يسمى محمداً يكنى أبا قيس ، فجاء اسمعيل فوقف عليهم ، فسمع الرجل القوم يقولون قد جاء صديقنا اسمعيل بن يسار ، فأقبل عليه فقال أنت اسمعيل ؟ قال نعم ، قال رحم الله أبويك فانهما سمياك باسم صادق الوعد وأنت أكذب الناس ، فقال له اسمعيل ما اسمك ؟ قال محمد ، قال أبو من ؟ قل أبو قيس ، قال ولكن لا رحم الله أبويك فانهما سمياك باسم نبى وكنياك بكنية قرد ، فأفحم الرجل وضحك القوم ولم يعد الى مجالستهم ، فعادوا الى مجالسة اسمعيل

استأذن اسمعيل على الغمر بن يزيد بن عبد الملك يوماً ، فحجبه ساعة ثم أذن له ، فدخـل يبكى ، فقال له الغمر مالك يا أبا فائد تبكي ؟ قال وكيف لا أبكي وأنا على مرْوانيتى ومرْوانية أبى أحجب عنك ؟ فجعل الغمر يعتذر اليه وهو يبكي ، فما سكت حتى وصله الغمر بجملة لها قدر ، وخرج من عنده ، فلحقه رجل فقال له أخبرنى ويلك يا اسمعيل أىّ مروانية كانت لك أو لأبيك ؟ قال بغضنا إياهم ، امرأته طالق ان لم تـكن أمه تلعن مروان وآله كل يوم مكان التسبيح ، وان لم يكن أبوه حضره الموت فقيل له قل لا إله الا الله فقال لعن الله مروان تقرباً الى الله تعالى وابدالاً له من التوحيد وإقامه له مقامه

كان اسمعيل له شعر كثير يفخر فيه بالأعاجم ، ومن قوله فى ذلك

ما على رسم منزل بالجناب ... لو أبان الغداة رجْعَ الجواب
غيرته الصبا وكل مُلِثٍّ ... دائم الودْق مكفهرّ السحاب
دار هند وهل زمانى بهنـد ... عائد بالهوى وصفْوِ الجناب
كالذى كان والصفاء مصون ... لم تَشبْه بهجْرة واجتناب
ذاك منها اذ أنت كالغصن غصن ... وهى رُودٌ كدُمْية المحراب
غادة تستبي العقول بعذْب ... طيب الطعم بارد الأنياب
وأثيثٍ من فوق لون نقى ... كبياض اللُّجين فى الزُّرياب
فأقلّ المـلام فيها وأقصر ... لج قلبى من لوعة واكتئاب
صاح أبصرت أو سمعت براع ... رد فى الضرع ما قرى فى العِلاب
انقضت شِرَّتى وأقصر جهلى ... واستراحت عواذلي من عتابى

وفيها

رب خال متوَّج لي وعم ... ماجد مجتدًى كريم النصاب
انمـا سمى الفوارس بالفر ... س مضاهاة رفعة الأنساب

فاتركي الفخر يا أمامَ علينا ... واتركي الجور وانطقي بالصواب
واسألي ان جهلت عنا وعنكم ... كيف كنا في سالف الأحقاب
اذ نربي بناتنـــا وتدُسُّو ... ن سفاهاً بناتـكم فى التراب

دخل اسمعيل على هشام بن عبد الملك فى خلافته بالرُّصافة وهو جالس على بركة له فى قصره ، فاستنشده وهو يرى أنه ينشد مديحاً له ، فأنشده قصيدته التى يفخر فيها بالعجم

يا رَبع رامة بالعلياء من ريم ... هل ترْجعنَّ اذا حييت تسليمى
ما بال حى غدت بُزْل المطى بهم ... تخْدِى لغربتهم سيراً بتقحيم
كأنني يوم ساروا شارب سلبت ... فؤاده قهوةٌ من خمر داروم

حتى انتهى الى قوله

انى وجدك ما عودي بذي خوَر ... عند الحِفاظ ولا حوضى بمهدوم
أصلي كريم ومجدي لا يقاس به ... ولي لسان كحد السيف مسموم
أحمى به مجد أقوام ذوي حسب ... من كل قرْم بتاج الملك معموم
جحاجح ســادة بُلْج مَرازبة ... جُرْد عِتاق مساميح مطاعيم
من مثل كسرى وسابور الجنود معاً ... والهرمزان لفخر أو لتعظيم
أُسْد الكتائب يوم الروع ان زحفوا ... وهم أذلوا ملوك الترك والروم
يمشُون في حلق المـاذِيّ سابغة ... مشي الضراغمة الأُســد اللَّهاميم
هناك ان تسألى تُنْبَى بأن لنا ... جُرْثومةً قهرت عز الجراثيم

فغضب هشام وشتمه وقال أعليَّ تفخر ؟ وإيايَ تنشد قصيدة تمدح بها نفسك وأعلاج قومك؟ غُطُّوه فى الماء ، فغطُّوه في البركة حتى كادت نفسه تخرج ، ثم أمر باخراجه وهو يشُرّ ، ونفاه من وقته فأخرجه عن الرصافة منفياً الى الحجاز ، وكان مبتلى بالعصبية للعجم والفخر بهم فكان لا يزال مضروباً محروماً مطروداً

ومما يغنى فيه من شعره

يا هند ردي الوصل أن يتصرما وصلي امرأً كلفاً بحبك مغرما
لو تبـــذُلين لنا دلالك مرة لم نبغ منك سوى دلالك محرما
منع الزيارة أن أهلك كلهم أبدوا لزَوْرك غلظة وتجهما
ما ضر أهلك لو تطوَّف عاشق بفناء بيتك أو ألمَّ فســلما

ومنها

ان جُمْلا وان تبينت منها نَـكَباً عن مودتي وازورارا
شردت بادِّكارها النوم عني وأُطـير العزاء مني فطارا
ما على أهلها ولم نأت سوءاً أن تحيا تحيـــة أو تزارا
يوم أبدَوْا لي التجهم فيها وحمَوْها لَجاجة وضِرارا

مدح اسمعيل رجلاً من أهل المدينة يقال له يسار بن أُنس وكان قد اتصل ببني مروان وأصاب منهم خيراً وكان اسمعيل صديقاً له فرحل الى دمشق اليه فأنشده مديحا له ومتَّ اليه بالجوار والصداقة فلم يعطه شيئاً ، فقال يهجوه

لعمرك ما الى حسن رحلنا ولا زرنا حسيناً يا ابن أنس
ولا عبداً لعبـدهمُ فنحظى بحسن الحظ منهم غير بخس
ولـكن ضَبَّ جنـدلة أتينا مُضِبًّا في مكامنـه يغسى
فلمـا أن أتيناه وقلنا بحاجتنا تلون لون وَرْس
وأعرض غير منبلج لعُرف وظل مقرطباً ضرساً لضرس
فقلت لأهله أبه كُزاز ؟ وقلت لصاحبي أتراه يمسى ؟
فـكان الغنم أن قمنا جميعاً مخافة أن نُزَنَّ بقتل نفس

ومن شعره

كَلْثَم أنت الهم يا كلثم وأنتِ دائي الذي أكتم

أكاتم الناس هوًى شفَّنى ... وبعض كتمان الهوى أحزم
قد لمتنى ظالماً بلا ظِنة ... وأنت فيما بيننا أَلْوَم
أبدى الذى تخفينه ظاهراً ... أرتد عنه فيك أو أُقدم
إما بيأس منك أو مطمع ... يُسدَى بحسن الود أو يُلْحَم
لا تتركينى هكذا ميتاً ... لا أُمنح الود ولا أُصرم
أوفى بما قلتِ ولا تندمى ... ان الوفى القول لا يندم
آية ماجئت على رِقْبة ... بعد الكرَى والحى قد نوَّموا
أُخافتُ المشى حِذار العدى ... والليل داج حالك مظلم
ودون ماحاولت اذ زرتكم ... أخوك والخال معاً والحَمُ
وليس الا الله لي صاحب ... اليكم والصارم اللَّهْذَم
حتى دخلت البيت فاستذرفت ... من شفَق عيناك لا تُسجم
ثم انجلى الحزن وروعاته ... وغيب الكاشح والمبرِم
فبت فيما شئت من نعمة ... يمنحنيها نحرها والفم
حتى اذا الصبح بدا ضوؤه ... وغارت الجوزاء والمرْزَم
خرجت والوطء خفى كما ... ينساب من مكمنه الأرقم

قال محمد بن كِناسة اصطحب شيخ وشباب فى سفينة من الكوفة فقال بعض الشباب للشيخ ان معنا قينة لنا ونحن نُجلك ونحب أن نسمع غناءها ، قال الله المستعان فأنا أرقى على الظلال وشأنكم ، فغنت القينة « حتى اذا الصبح البيتين » فألقى الشيخ بنفسه فى الفُرات وجعل يخبط بيديه ويقول أنا الأرقم أنا الارقم ، فأدركوه وقد كاد يغرق فقالوا ما صنعت بنفسك ؟ فقال انى والله أعلم من معانى الشعر ما لا تعلمون

وفد عروة بن الزبير الى الوليد بن عبد الملك وأخرج معه اسمعيل فمات فى تلك

الوفادة محمد بن عروة بن الزبير وكان مطلعاً على دواب الوليد فسقط من فوق السطح بينها فجعلت ترمحه حتى قطعته وكان جميل الوجه جواداً ، فقال اسمعيل يرثيه

صلى الاله على فتى فارقته | بالشام فى جدث الطَّوِىِّ الملحَد
بوأته بيدىَّ دار اقامة | نائى المحلة عن مزار العُوَّد
وغبرت أعوله وقد أسلمته | لصفا الأماعز والصفيح المسند
متخشعاً للدهر ألبس حلة | فى النائبات بحسرة وتجلد
أعنى ابن عروة انه قد هدَّنى | فقد ابن عروة هدّة لم تقصد
فاذا ذهبت الى العزاء أرومه | ليرى المكاشح بالعزاء تجلدى
منع التعزى أننى لفراقه | لبس العدو علىَّ جلد الأربَد
ونأى الصديق فلا صديق أعده | لدفاع نائبة الزمان المفسد
فلئن تركتك يا محمد ثاوياً | لبما تروح على الكرام وتغتدى
كان الذى يزَعُ العدو بدفعه | ويرد نخوة ذى المِراح الأصيد
فمضى لوجهته وكل معمَّر | يوماً سيدركه حمام الموعد

دخل اسمعيل على عبد الملك بن مروان لما أفضى الأمر اليه بعد قتل عبدالله ابن الزبير فسلم ووقف موقف المنشد واستأذن فى الانشاد ، فقال له عبدالملك يا ابن يسار انما أنت امرؤ زبيرى فبأى لسان تنشد ؟ فقال يا أمير المؤمنين أنا أصغر شأناً من ذلك وقد صفحت عن أعظم جرماً وأكثر غناء لأعدائك مني وأنا شاعر مضحك ، فتبسم عبد الملك وأومأ اليه الوليد بأن ينشد فأنشد قوله

ألا يا لَقومى لِلرقاد المسهَّد | وللماء ممنوعاً من الحائم الصَّدِى
وللحال بعد الحال يركبها الفتى | وللحب بعد السلوة المتمرد
وللمرء يُلحَى فى التصابى وقبله | صبا بالغوانى كل قَرْم ممجد
وكيف تناسى القلب سلمى وحبها | كجمر غضًى بين الشَّراسيف موقَد

ومنها

اليك امامَ الناس من بطن يثرب ... ونعم أخو ذى الحاجة المتعمد
رحلنا لأن الجود منك خليقة ... وانك لم يذمُمْ جنابَك مجتد
ملكت فزدت الناس مالم يزدهمُ ... امام من المعروف غير المصرَّد
وقمت فلم تنقض قضاء خليفة ... ولكن بما ساروا من الفعل تقتدى
ولما وليت الملك ضاربت دونه ... وأسندته لا تأتلى خير مُسند
جعلت هشاماً والوليد ذخيرة ... ولبين للعهد الوثيق المؤكد
وأمضيت عزماً فى سليمان راشداً ... ومن يعتصم بالله مثلك يرشدُ

فأمر له عبد الملك بألف درهم صلة وزاد فى عطائه وفرض له ، وقال لولده أعطوه ، فأعطَوه ثلاثة آلاف درهم

وفد الى الوليد بن يزيد وقد أسن وضعف فتوسل اليه بأخيه الغَمر ومدحه بقوله

نأتك سليمى فالهوى متشاجر ... وفي نأيها للقلب داء مُخامر
نأتك وهام القلب نأياً بذكرها ... ولجَّ كما لج الخليع المقامر
بواضحة الأقراب خفَّاقة الحشى ... برَهْرَهة لا يجتويها المعاشر

يقول فيها يمدح الغمر بن يزيد

اذا عدد الناس المكارم والعلا ... فلا يفخرن يوماً على الغمر فاخر
فما مر من يوم على الدهر واحد ... على الغمر الا وهو فى الناس غامر
تراهم خشوعاً حين يبدو مهابة ... كما خشعت يوماً لكسرى الأساور
أغرّ بِطاحيّ كأن جبينه ... اذا ما بدا بدر اذا لاح باهر
وقى عِرْضَه بالمال فالمال جُنّة ... له وأهان المال والعرض وافر
وفى سَيْبه للمجتدين عمارة ... وفي سيفه للدين عز وناصر

نماه الى فرعَيْ لُؤَىّ بن غالب　　أبوه أبو العاصى وحرب وعامر
وخمسة آباء له قد تتابعوا　　خلائف عدل ملكهم متواتر
بهاليل سباقون فى كل غاية　　اذا استبقت فى المكرمات المعاشر
هم خيرمن بين الحَجُون الى الصفا　　الى حيث أفضت بالبطاح الحزاور
وهم جمعوا هذا الأنام على الهدى　　وقد فرقت بين الأنام البصائر

فأعطاه الغمر ثلاثة آلاف درهم وأخذ له من أخيه الوليد ثلاثة آلاف درهم

لما مات محمد بن يسار ، وكانت وفاته قبل أخيه ، دخل اسمعيل على هشام بن عروة فجلس عنده وحدثه بمصيبته ووفاة أخيه ثم أنشد يرثيه

عِيلَ العزاء وخانني صبري　　لما نعى الناعى أبا بكر
ورأيت رَيْب الدهر أفردني　　منه وأسلم للعدا ظهري
من طيب الأثواب مقتبل　　حلو الشمائل ماجد غمر
فمضى لوجهته وأدركه　　قدر أُتيح له من القدر
وغبَرت مالي من تذكره　　الا الأسى وحرارة الصدر
وجوًى يعاودني وقلَّ له　　مني الجوى ومحاسن الذكر
لما هوت أيدى الرجال به　　فى قعْر ذات جوانب غبْر
وعلمت أنى لن ألاقيه　　فى الناس حتى ملتقى الحشر
كادت لفرقته وما ظلمت　　نفسى تموت على شفا القبر
ولعمر من حُبس الهَدِيُّ له　　بالأخشبَيْن صبيحة النحر
لو كان نيل الخلد يدركه　　بشر بطيب الخيم والنَّجْر
لغبرتَ لا تخشى المنون ولا　　أودى بنفسك حادث الدهر
ولنعم مأوى المرملين اذا　　قحطوا وأخلف صائب القطر
كم قلت آونة وقد ذرفت　　عيني فماء شؤونها يجرى

أنى وأى فتى يكون لنا   شَرْواك عند تفاقم الأمر
لدفاع خَصم ذى مشاغبة   ولعائل تَرِب أخى فقر
ولقد علمت وان ضُمِّنْتُ جَوًى   مما أُجن كَواهج الجمر
ما لامرئ دون المنية من   نَفَق فيُحرِزه ولا ستر

وكان بحضرة هشام رجل من آل الزبير فقال له أحسنت وأسرفت فى القول فلو قلت هذا فى رجل من سادات قريش لكان كثيراً ، فزجره هشام وقال بئس والله ماواجهت به جليسك ، فشكره اسمعيل وجزَّاه خيراً فلما انصرف تناول هشام الرجل الزبيرى وقال ما أردت الى رجل شاعر ملك قوله فصرف أحسنه الى أخيه ؟ مازدت على أن أغريته بعرضك وأعراضنا لولا انى تلافيته

ومن قوله يرثى محمد بن عروة بن الزبير

تلك عرسى تروم هجرى سفاهاً   وجفتني فما توافى عناقى
زعمت أنها تواتى مع الما   ل وانى محالف املاقى
وتناست رزية بدمشق   أشخصت مهجة فويق التَّراقى
يوم تلقى نعش ابن عروة محمو   لا بأيدي الرجال والأعناق
مستحثاً به سباقاً الى القبـ   ـر وما ان لحثهم من سباق
ثم وليت موجعاً قد شجانى   قرب عهد بهم وتلاق

محمد بن يسار

هو أخو اسمعيل بن يسار كان رثاء شاعراً من طبقة أخيه ، ولم أجدله خبراً فأذكره ولكن له أشعار كثيرة يغنى فيها ، منها قوله فى قصيدة طويلة

غَشيت الدار بالسند   دُوَين الشِّعب من أُحُد
عفت بعدى وغيرها   تقادم سالف الأبد

ولاسمعيل ابن يقال له ابراهيم ، شاعر أيضاً وهو القائل

مضى الجهل عنك الى طيّته ... وآبكَ حلمك من غيبته
وأصبحت تُعْجَب مما قد رأيـــت من نقض دهر ومن مِرَّته

داود بن سلم

هو داود بن سلم التيمى مولى بني تيم بن مرة مخضرم من شعراء الدولتين الأموية والعباسية ، من ساكني المدينة وكان من أقبح الناس وجهاً

من قوله يمدح عمر بن عبد الله بن معمر

واذا دعا الجانى النصير لنصره ... وأرتنى الغرر النضيرة معمر
متخازرين كأن أُسْد خَفِيَّة ... بمقامها مستبسلات تزأر
متجاسرين بحمل كل ملمة ... متجبرين على الذى يتجبر
عسل الرضا فاذا أردت خصامهم ... خلط السِّمامَ بفيك صاب مُمْقِر
لا يطبعون ولا ترى أخلاقهم ... إلا تطيب كما يطيب العنبر
رفعوا بناى بعتق حوط دنية ... جدى وفضلهم الذى لا ينكر

وحوط أبو أمه

كان داود من أبخل الناس فطرقه قوم وهو بالعقيق فصاحوا به العَشاء والقِرى يا ابن سلم ، فقال لهم لا عشاء لكم عندى ولاقرى ، قالوا فأين قولك فى قصيدتك اذ تقول فيها

يا دار هند ألا حييت من دار ... لم أقض منك لُباناتى وأوطارى
عودت فيها اذا ما الضيف نبهني ... عقر العشارى على يسرى واعسارى
قال لستم من أولئك الذين عنيت

ودخل على السرى بن عبد الله الهاشمى وقد أصيب بابن له فوقف بين يديه ثم أنشده

يامن على الأرض من عُجْمٍ ومن عرب استرجعوا خاست الدنيا بعباس
فجعت من سبعة قد كنت آملهم من ضِنْء والدهم بالسيد الراسى

ومن قوله

قل لأسماء أنجزى الميعادا وانظري أن تزودى منك زادا
ان تكونى حللت رَبْعاً من الشا م وجاورت حِميراً أو مُرادا
أو تناءت بك النوى فلقد قد ت فؤادى لحَيْنِهِ فانقادا
ذاك أنى علقت منك جوى الحـب وليداً فزدت شيئاً فزادا

كان الحسن بن زيد قد عود داود بن سلم أن يصله فلما مدح داود جعفر بن سليمان ، وكان بينه وبين الحسن تباعد شديد ، أغضب ذلك الحسن فقدم من حج أو عمرة فدخل عليه داود مسلماً فقال له الحسن أنت القائل فى جعفر

وكنا حديثاً قبل تأمير جعفر وكان المنى فى جعفر أن يؤمرا
حوى المنبرين الطاهرين كليهما اذا ما خطا عن منبر أمّ منبرا
كأن بني حواء صفّوا أمامه فخيِّر من أنسابهم فتخيرا

فقال داود نعم جعلنى الله فداءكم فكنتم خيرة اختياره وأنا الذى أقول

لعمرى لئن عاقبت أوجدت منعما بعفو عن الجانى وان كان معذرا
لأنت بما قدمت أولى بمنحة وأكرم فرعاً ان فخرت وعنصرا
هو الغرة الزهراء من فرع هاشم ويدعو علياً ذا المعالي وجعفرا
وزيد الندى والسبط سبط محمد وعمك بالطَّفّ الزكي المطهرا
وما نال من ذا جعفر غير مجلس اذا ما نفاه العزل عنه تأخرا
بحقكمُ نالوا ذراها فأصبحوا يرون به عزاً عليكم ومفخرا

فعاد الحسن الى ما كان عليه ولم يزل يصله ويحسن اليه الى أن مات

قال أبو الزناد كنت ليلة عند الحسن بن زيد ببطحاء ابن أزهر على ستة أميال من المدينة حيال ذى الحُليفة نصف الليـل جلوساً فى القمر وأبو السائب المخزومى معنا ، وكان ذا فضل وكان مشغوفاً بالسماع ، و بين أيدينا طبق عليه فريك فنحن نصيب منه والحسن يومئذ عامل المنصور على المدينة ، فأنشد الحسن قول داود ابن سلم وجعل يمد به صوته و يطرب به

فعرسنا ببطن عُرَيتِنات ليجمعنا وفاطمـةَ المسير
أتنسى اذ تعرض وهو باد مقلَّدهـا كما برق الصَّبير
ومن يُطع الهوى يعرف هواه وقد ينبيك بالأمر الخبـير
على أنى زفرت غداة هرْشَى فـكاد يريبهم مني الزفير

فأخذ أبو السائب الطبق فرفع به الى السماء فوقع الفريك على رأس الحسن بن زيد فقال له مالك ويحك ؟ أجننت ؟ فقال أبو السائب أسألك بالله وبقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ما أعدت انشاد هـذا الصوت ومددته كما فعلت ، فـما ملك الحسن نفسه ضحكاً وردد الأبيات لاستحلافه اياه ، قال أبو الزناد ، فلما خرجنا قال لي أبو السائب يا ابن أبي الزناد أما سمعت مدّه « ومن يطع الهوى يعرف هواه » قلت نعم ، فقال لو علمت أنه يقبل مالي لدفعته اليه بهذه الأبيات الثلاثة

بينما سعد بن ابراهيم فى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم يقضى بين الناس اذ دخل عليه زيد بن اسمعيل بن عبد الله بن جعفر ومعه داود بن سلم وعليهما ثياب ملونة يجرانها ، فأومأ أن يؤتى بهما ، فأشار الى زيد أن اجلس ، فجلس بالقرب منه وأومأ الى الآخر أن يجلس حيث يجلس مثـله ، ثم قال لعون من أعوانه ادع لي نوح بن ابراهيم بن محمد بن طلحة ، فدعى له ، فجاء أحسن الناس سَمْتاً وتشميراً

ونقاء ثياب ، فأشار اليه فجلس ، ثم أقبل على زيد فقال له يا ابن أخي تشبه بشيخك هذا وسمته وتشميره ونقاء ثوبه ولا تعد الى هذا اللبس ، قم فانصرف ، ثم أقبل على ابن سلم « وكان قبيحاً » فقال له هـذا ابن جعفر أحتمل هذا له وأنت لأى شيء أحتمل هـذا لك أللؤم أصلك أم لسماجة وجهك ؟ جرد ياغلام ، فجرد نضربه أسواطاً ، فقال ابن رهيمة

جلد العادل سـعد ابن سلم فى السماجة
فقضى الله لسعـد من أمير كل حاجة

قالت ظبية مولاة فاطمة بنت عمرو بن مصعب أرسلنى مولاتى فاطمة فى حاجـة فمررت برحبة القضاء فاذا بضبيعة العبسى خليفة جعفر بن سليمان يقضى بين الناس ، فأرسل اليّ فدعانى وقد كنت رطلت شعرى وربطت فى أطرافه من ألوان العهن ، فقال ما هذا ؟ فقلت شىء أتحلى به ، فقال يا حرسى قنعها بالسوط ، فتناولت السوط بيدى وقلت قاتلك الله ما أبين الفرق بينك وبين سعد بن ابراهيم ، سعد يجلد الناس فى السماجة وأنت تجلدهم فى الملاحة ، فضحك حتى ضرب بيديه ورجليه وقال خلّ عنها ، قالت فكان جعفر يسوم بى وكانت مولاتى تقول لا أبيعها الا أن تهوى ذلك وأقول لا أريد بأهلى بدلا الى أن مررت يوماً بالرحبة وهو فى منظرة دار مروان فأرسل اليّ فدعانى فوجدته من وراء كلة وأنا لا أشعر به وحازم وجرير جالسان ، فقال لي حازم الأمير يريدك ، فقلت لا أريد بأهلى بدلاً ، وكشفت الكلة عن جعفر بن سليمان فارتعت لذلك فقلت آه ، فقال مالك ؟ فقلت

سمعت بذكر الناس هنداً فلم أزل أخا سقم حتى نظرت الى هنـد

قال فأبصرت ماذا ويحك ؟ قلت

فأبصرت هنداً حرة غير انهـا تصدّى لقتل المسلمين على عمد

فضحك حتى استلق وأرسل الى مولاتى ليبتاعني ، فقالت لا والله لا أبيعها حتى تستبيعنى ، فقلت والله لا أستبيعك أبداً

خرج داود الى حرب بن خالد بن يزيد بن معاوية، فلما نزل به حط غلمانه متاع داود وحلوا عن راحلته، فلما دخل عليه أنشأ يقول

ولما دُفعت الى أبوابهم ولاقيت حرباً لقيت النجاحا
وجدناه يحمَده المجتدون ويأبى على العسر الا سماحا
ويُغْشَوْن حتى يُرى كلبهم يهاب الهرير وينسى النُّباحا

فأجازهُ بجائزة سنية، ثم استأذنه فى الخروج، فأذن له وأعطاه ألف دينار، فلم يُعنه أحد من غلمانه ولم يقوموا اليه، فظن أن حرباً ساخط عليه، فرجع اليه فأخبره بما رأى من غلمانه، فقال له سلهم لِمَ فعلوا بك ذلك؟ فسألهم، فقالوا انا ننزل من جاء ولا نرحل من خرج عنا، فسمع الغاضرى حديثه، فأتاه فحدثه فقال أنا يهودي ان لم يكن الذى قاله الغلمان أحسن من شعرك

ومما استحسن له

لججت من حبي فى تقريبه وعميت عيناى عن عيوبه
كذاك صرف الدهر فى تقلبيه لا يلبث الحبيبَ عن حبيبه
أو يغفر الأعظم من ذنوبه

ومن قوله

وما ذرَّ قرْن الشمس الا ذكرتها وأذكرها فى وقت كل غروب
وأذكرها ما بين ذاك وهذه وبالليل أحلامى وعند هُبوبى
وقد شفَنى شوقى وأبلانى الهوى وأعيا الذى بى طبُّ كل طبيب
وأعجب أنى لا أموت صبابة وما كمَد من عاشق بعجيب
وكل محب قد سلا غير أنني غريب الهوى ياويح كل غريب
وكم لام فيها من أخ ذى نصيحة فقلت له أقصر فغير مصيب
أتأمر إنساناً بفرقة قلبه أتصلح أجسام بغير قلوب

كان داود منقطعاً الى قثم بن العباس وفيه يقول

عنقت من حلى ومن رحلتى   يا ناق ان أدنيتني من قُثَم
انك ان أدنيت منه غداً   حالفني اليسر ومات العدم
فى وجهه بدر وفى كفه   بحر وفى العرنين منه شمم
أصمّ عن قيل الخنا سمعُه   وما عن الخير به من صمم
لم يَدْرِ ما «لا» وبلى قد درى   فعافها واعتاض منها نعَمْ

دعا الحسن بن زيد اسحق بن ابراهيم بن طلحة التيمى أيام كان بالمدينة الى ولاية القضاء ، فأبى ، فحبسه وجاء بنو طلحة فانسجنوا معه ، وبلغ ذلك الحسن بن زيد فأرسل اليه فأتى به ، فقال انك تلاججت عليَّ وقد حلفت ألاَّ أرسلك حتى تعمل لي فأبرر يميني ، ففعل ، فأرسل الحسن معه جنداً حتى جلس فى المسجد مجلس القضاء والجند على رأسه ، فجاءه داود بن سلم فوقف عليه فقال

طلبوا الفقه والمروءة والحلـــم وفيك اجتمعن يا اسحق

فقال ادفعوه ، فدفعوه ، فتنحى عنه فجلس ساعة ثم قام من مجلسه ، فأعفاه الحسن بن زيد من القضاء ، فلما سار الى منزله أرسل الى داود بن سلم بخمسين ديناراً وقال للرسول قل له يقول لك مولاك ما حملك على أن تمدحني بشيء أكرهه ؟ استعن بهذه على أمرك

قال داود كنت يوماً جالساً مع قُثَم بن العباس قبل أن يملكوا بفنائه ، فمرت بنا جارية فأعجب بها قثم وتمناها فلم يمكنه ثمنها ، فلما ولى قثم اليمامة اشترى الجارية انسان يقال له صالح ، فكتبت الى قثم

يا صاحب العيس ثم راكبها   أبلغ اذا ما لقيتـــه قُثَما
ان الغزال الذى أجاز بنا   معارضاً اذ توسط الحرما
حوَّله صالح فصار مع الأنـــس وخلى الوحوش والسَّلَما

فأرسل قُثَم فى طلب الجارية ليشتريها فوجدها قد ماتت

موسى شهوات

هو موسى بن بشار التيمى بالولاء يلقب بشهوات لأنه كان سؤولاً ملحفاً وكان كلما رأى مع أحد شيئاً يعجبه من مال أو متاع أو ثوب أو فرس تباكى ، فاذا قيل له مالك ؟ قال أشتهى هذا ، فسمى موسى شهوات

شاعر من شعراء أهل الحجاز وكان الخلفاء من بنى أمية يحسنون اليه ويدرون عطاءه وتجيئه صلاتهم الى الحجاز

من شعره يمدح حمزة بن عبد الله بن الزبير بقصيدة أولها

شاقني اليوم حبيب قد ظعن ... ففؤادي مستهام مرتهن
ان هنداً تيمتنى حقبة ... ثم بانت وهى للنفس شجن
فتنة ألحقها الله بنا ... عائذ بالله من شر الفتن

ومنها

حمزة المبتاع بالمال الثنا ... ويرى فى بيعه أن قد غبن
فهو ان أعطى عطاء فاضلاً ... ذا إخاء لم يكدره بمن
واذا ما سنة مجدبة ... برت الناس كبرى بالسفن
حسرت عنه نقياً عرضه ... ذا بلاء عند محناها حسن
نور صدق بين فى وجهه ... لم يصب أثوابه لون الدرن
كنت للناس ربيعاً مغدقاً ... ساقط الأكناف ان راح ارجحن

وكان حمزة فتى كريماً جواداً على هوج كان فيه ، ولاه أبوه العراقين وعزل مصعباً لما تزوج سكينة بنت الحسين وعائشة بنت طلحة وأمهر كل واحدة منهما ألف ألف درهم ، فلما ولى حمزة أساء السيرة وخلط تخليطاً شديداً ، وكان جواداً شجاعاً أهوج ، فوفدت الى أبيه الوفود فى أمره وكتب اليه الأحنف بأمره وما ينكره الناس منه وأنه يخشى أن تفسد عليه طاعتهم ، فعزله عن البصرة

مدح سعيد بن خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد وقد أعطاه بعد أن حرمه سعيد بن خالد العثماني

أبا خالد أعني سعيدَ بن خالد ... أخا العرف لا أعنى ابن بنت سعيد
ولكنني أعني ابن عائشة الذى ... أبو أبويه خالد بن أسيد
عقيد الندى ماعاش يرضى به الندى ... فان مات لم يرض الندى بعقيد
فدى للكريم العَبْشَمى ابن خالد ... بَنىَّ ومالي طارفى وتَليدى
على وجهه تلقى الأيامن واسمه ... وكل جوارى طيره بسعود
أبان وما استغنى عن الثدى خيره ... أبان به فى المهد قبل قعود
دعوه دعوه انكم قد رقدتمُ ... وما هو عن أحسابكم برَقود
ترى الجند والجناب يغشوْن بابه ... بحاجاتهم من سيد ومسود
فيعطِ ولا يعطَى ويُغشى ويُجتدَى ... وما بابه للمجتدِى بسديد
قتلت أناساً هكذا فى جلودهم ... من الغيظ لم تقتلهمُ بحديد
يعيشون ما عاشوا بغيظ وان تَحِنْ ... مناياهمُ يوماً تَحِنْ بحقود
فقل لبغاة العرف قد مات خالد ... ومات الندى الا فضول سعيد

لما زفت فاطمة بنت الحسين الى عبد الله بن عمرو بن عثمان عارضها موسى شهوات

طلحة الخير جدكم ... ولخير الفواطم
أنت للطاهرات من ... فرع تيم وهاشم
أرتجيكم لنفعكم ... ولدفع المظالم

فأمر له بكسوة ودنانير وطيب

أقام موسى شهوات ليزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية على بابه بدمشق ، وكان فتى جواداً سمحاً ، فلما ركب وثب اليه فأخذ بعنان دابته ثم قال

قم فصوت اذا أتيت دمشقاً ... يا يزيد بن خالد بن يزيد

يابزيد بن خالد ان تجبنى يلقنى طائرى بنجم السعود

فأمر له بخمسين ألف درهم وكسوة وقال له كلما شئت فنادنا نجبك

سأل موسى بعض آل الزبير حاجة فدفعه عنها وبلغ ذلك عبد الله بن عمرو ابن عثمان فبعث اليه بما كان التمسه من الزبيرى من غير مسئلة فوقف عليه موسى في المسجد ثم أنشأ يقول

ليس فيما بدا لنا منك عيب عابه الناس غير أنك فان

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى غير ألا بقاء للانسان

قضي أبو بكر بن عبد الرحمن على موسى بقضية « وكان خالد بن عبد الملك استقضاه فى أيام هشام بن عبد الملك » فقال موسى يهجوه

وجدتك فهاً فى القضاء مخلطاً فقدتك من قاض ومن متأمر

فدع عنك ماشيدته ذات رخة أذى الناس لاتحشرهم كل محشر

ثم ولى القضاء سعيد بن سليمان بن زيد بن ثابت الأنصارى فقال يمدحه

من سره الحكم صرفاً لامزاج له من القضاة وعدل غير مغموز

فليأت دار سعيد الخير ان بها أمضى على الحق من سيف ابن جرموز

وكان سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف قد ولى المدينة واشتد على السفهاء والشعراء والمغنين ولحق موسى شهوات بعض ذلك منه وكان قبيح الوجه فقال موسى يهجوه

قل لسعد وجه العجوز لقد كنـــت لما قد أتيت سعداً مخيلا

ان تكن ظالماً جهولاً فقد كا ن أبوك الأدنى ظلوماً جهولا

وقال يهجوه

لعن الله والعباد تطيط الـــوجه لايرتجى قبيح الجوار

يتقى الناس فحشه وأذاه مثل ما يتقون بول الحمار

لاتغرنك سجدة بين عينيـــه حذار منها ومنه حذار

إنها سجدة بها يخدع النا س عليها من سجدة بالدبار

شعراء مخزوم

خالد بن المهاجر بن خالد

هو خالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد بن المغيرة من مخزوم بن يقظة بن مرة

كان الوليد سيداً من سادات قريش وجواداً من أجوادها ، وكان يلقب بالوحيد ، ولما مات أرخت قريش بوفاته لإعظامها إياه حتى كان عام الفيل فجعلوه تاريخاً ، وقيل انها كانت تؤرخ بوفاة هشام بن المغيرة سبع سنين الى أن كانت السنة التي بنوا فيها الكعبة فأرخوا بها

ولخالد بن الوليد من الشهرة بصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم والغناء بحروبه المحل المشهور ، ولقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيف الله ، وهاجر الى النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح وبعد الحديبية هو وعمرو بن العاصى وعثمان بن أبى طلحة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لما رآه رمتكم مكة بأفلاذ كبدها ، وشهد فتح مكة مع النبي صلى الله عليه وسلم فكان أول من دخلها من مهاجرة العرب من أسفل مكة ، وشهد يوم مؤتة ، فلما قتل زيد بن حارثة وجعفر بن أبى طالب عليه السلام وعبد الله بن رَواحة ورأى ألاّ طاقة للمسلمين بالقوم انحاز بهم وحامى عنهم حتى سلموا ، فلقبه يومئذ رسول الله صلى الله عليه وسلم سيف الله ، وكان يوم حنين في مقدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه بنو سُلَيم ، فأصابته جراح كثيرة ، فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هزيمة المشركين فنفث في جراحه فنهض ، وله آثار في قتال أهل الردة فى أيام أبى بكر رضى الله عنه مشهورة يطول ذكرها ، وهو فتح الحيرة ، بعث اليه أهلها عبد المسيح بن عمرو بن بُقَيلة ، فكلمه خالد ،

فقال له من أين أقبلت ؟ قال من ورائى ، قال وأين تريد ؟ قال أمامى ، قال ابن كم أنت ؟ قال ابن رجل واحد وامرأة ، قال فأين أقصى أثرك ؟ قال منتهى عمري ، قال أتعقل ؟ قال نعم وأقيد ، قال ما هذه الحصون ؟ قال بنيناها نتقى بها السفيه حتى يردعه الحليم ، قال لأمر مّا اختارك قومك ، ما هذا فى يدك ؟ قال سم ساعة ، قال وما تصنع به ؟ قال أردت أن أنظر ما تردنى به فان بلغت ما فيه صلاح لقومى عدت اليهم والاشربته فقتلت نفسى ولم أرجع الى قومى بما يكرهون ، قال له خالد أرنيه ، فناوله إياه ، فقال خالد بسم الله الذى لايضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم ثم أكله فتجلّته غشية ثم أفاق يمسح العرق عن وجهه ، فرجع ابن بقيلة الى قومه فأخبرهم بذلك وقال ما هؤلاء القوم الا من الشياطين وما لكم بهم طاقة فصالحوهم على ما يريدون ، ففعلوا ، وأمّره أبو بكر على جميع الجيوش التى بعثها الى الشام لحرب الروم وفيهم أبو عبيدة بن الجرّاح ومعاذ بن جبل ، فرضوا بامارته ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حلق رأسه ذات يوم فأخذ خالد شعره فجعله فى قَلَنْسُوة له ، فكان لا يلقى جيشاً وهو عليه الا هزمه ، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم الحديث وحمل عنه ، ورآه النبى صلى الله عليه متدلياً من هَرْشَى فقال نعم الرجل خالد بن الوليد ، ولما مات لم تبق امرأة من بني المغيرة الا وضعت لمّتها على قبره « يعنى حلقت رأسها ووضعت شعرها على قبره » ، وقال عمر حينئذ دعوا نساء بني المغيرة يبكين على أبى سليمان ويُرِقن من دموعهن سَجْلاً أو سَجْلين ما لم يكن نَقْع أو لَقْلَقة « والنقع مد الصوت بالنحيب واللقلقة مد اللسان بالولولة ونحوها »

كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه أشبه الناس بخالد بن الوليد ، فخرج عمر سحراً ، فلقيه شيخ فقال له مرحباً بك أبا سليمان ، فنظر اليه عمر فاذا هو علقمة بن عُلاثة ، فرد عليه السلام ، فقال له عزلك عمر بن الخطاب ؟ فقال له عمر نعم ،

قال ما يشبع لا أشبع الله بطنه ، قال له عمر فما عندك ؟ قال ما عندى الا السمع والطاعة ، فلما أصبح دعا بخالد وحضر علقمة ، فأقبل على خالد فقال له ماذا قال لك علقمة ؟ قال ما قال لي شيئاً ، فقال اصدُقني ، فحلف خالد بالله ما لقيه ولا قال له شيئاً ، فقال له علقمة حِلاً أبا سليمان ، فتبسم عمر ، فعلم خالد أن علقمة قد غلط ، فنظر اليه وفطن علقمة ، فقال قد كان ذلك يا أمير المؤمنين فاعف عني عفا الله عنك ، فضحك عمر وأخبره الخبر

ولما أراد معاوية أن يظهر العقد ليزيد قال لأهل الشام ان أمير المؤمنين قد كبرت سنه ودق عظمه واقترب أجله ، ويريد أن يستخلف عليكم فمن تُرون ؟ قالوا عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، فسكت وأضمرها ، ودس ابن أُثال الطبيب اليه فسقاه سماً فمات ، وبلغ ابن أخيه خالد بن المهاجر خبره وهو بمكة وكان أسوأ الناس رأياً في عمه لأن أباه المهاجر كان مع علي عليه السلام بصفّين وكان عبد الرحمن ابن خالد بن الوليد مع معاوية ، وكان خالد بن المهاجر على رأى أبيه هاشمي المذهب دخل مع بنى هاشم الشِّعب ، فاضطغن لذلك ابن الزبير عليه فألقى عليه زِقّ خمر وصب بعضه على رأسه وشنع عليه أنه وجده ثَمِلاً من الخمر فضربه الحد ، فلما قتل عمه عبد الرحمن مَرَّ به عروة بن الزبير فقال له يا خالد أَتَدَع ابن أثال يفرى أوصال عمك بالشام وأنت بمكة مُسْبِل ازارك تجره وتخطِر فيه متخايلاً ؟ فحمى خالد ودعا مولى له يدعى نافعاً ، فأخبره الخبر وقال له لا بد من قتل ابن أثال ، وكان نافع جَلْدًا شهماً ، فخرجا حتى قدما دِمَشْق ، وكان ابن أثال يمسى عند معاوية ، فجلس له فى مسجد دمشق الى أسطوانة وجلس غلامه الى أخرى حتى خرج ، فقال لنافع إياك أن تعرض له فانى أضربه ولكن احفظ ظهرى وا كفني مَن ورائى فان رابك شيء تراه من خلفى فشأنك ، فلما حاذاه وثب عليه خالد فقتله ، وثار اليه من كانوا معه ، فلما غشوهما حملا عليهم فتفرقوا حتى دخل خالد ونافع زقاقاً ضيقاً ففاتا القوم ،

وبلغ معاوية الخبر ، فقال هـذا خالد بن المهاجر اقلبوا الزقاق الذى دخل فيه ، ففتش عليه فأتى به ، فقال لا جزاك الله من زائر خيراً قتلت طبيبي ، قال قتلت المأمور وبقى الآمر ، فقال له عليك لعنة الله أما والله لو كان تشهد مرة لقتلتك به ، أمعك نافع ؟ قال لا ، قال بلى والله ما اجترأت الا به ، ثم أمر به فطلب فوجد فضربه مائة سوط ، ولم يهيج خالداً بشيء أكثر من أن حبسه وألزم بني مخزوم دية ابن أثال اثنى عشر ألف درهم أدخل بيت المال منها ستة آلاف درهم وأخذ ستة آلاف ، ولم يزل ذلك في دية المعاهد حتى ولى عمر بن عبدالعزيز فأبطل الذى يأخذه السلطان لنفسه وأثبت الذى يدخل بيت المال

وخالد بن المهاجر الذى يقول

يا صاح يا ذا الضامر العَنْس والرحل ذى الأنساع والحِلس(١)

سير النهار فلست تاركه وتُجِدّ سيراً كلما تمسي

ولما حبس معاوية خالد بن المهاجر قال فى السجن

إمّا خطاى تقاربت مشى المقيد فى الحصار

فبما أمشّى فى الأبا طح يقتفى أثرى ازارى

دع ذا ولكن هل ترى ناراً تُشبّ بذى مُرار

ما إن تشب لقُرَّة بالمصطلين ولا قتار

ما بال ليلك ليس ينـ ـقص طوله طول النهار

أتقاصرُ الأيام أم غرِض الأسير من الأسار

فبلغت أبياته معاوية فرق له فأطلقه ، فرجع الى مكة ، فلما قدمها لقى عروة بن الزبير ، فقال له أما ابن أثال فقد قتلته وهذا ابن جُرْموز يفى أوصال الزبير فاقتله

(١) الحلس كل شيء ولى ظهر البعير والدابة تحت الرحل والقتب والسرج كالرشحة تكون تحت اللبد والانساع جمع نسع بالكسر وهو حبل من أدم يكون عريضاً على هيئة أعنة النعال تشد به الرحال القطعة منه نسعة والعنس الناقة الصلبة القوية

ان كنت ثائراً ، فشكاه عروة الى أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام، فأقسم عليه أن يمسك عنه ففعل

ومن قول خالد بن المهاجر بن خالد وفيه غناء

رب ليل ناعم أحييته — فى عفاف عند أفناء الحشى
ونهار قد لهونا بالتى — لا ترى شبهاً لها فيمن مشى
لطلوع الشمس حتى آذنت — لغروب أنت تهوى من تشا
لسليمى ما دعت قُمْرِيَّةً — بهَدِيل فوق غصن من غَضَى
وعُقار قهوة باكرتها — فى نَدَامَى كمصابيح الدجى
وجواد سابح أقحمته — حَوْمة الموت على زُرْق القَنا

الحرث بن خالد

هو الحرث بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومى من مخزوم بن يقظة بن مرة

أمه فاطمة بنت سعيد بن الحرث بن هشام ، أحد شعراء قريش المعدودين الغزلين ، وكان يذهب مذهب عمر بن أبي ربيعة لا يتجاوز الغزَل الى المدح ولا الهجاء ، وكان يهوَى عائشة بنت طلحة بن عبيد الله ويشبب بها ، وولاه عبد الملك ابن مروان مكة وكان ذا قدر وخطر ومنظر فى قريش

قال معاذ بن العلاء أخو أبي عمرو بن العلاء كان أبو عمرو اذا لم يحج استبضعني الحروف أسأل عنها الحرث بن خالد وآتيه بجوابها ، فقدمت عليه سنة من السنين وقد ولاه عبد الملك بن مروان مكة فلما رآنى قال يامعاذ هاتِ مامعك من بضائع أبي عمرو فجعلت أتعجب من اهتمامه بذلك وهو أمير

قال الحزامى كانت العرب تفضل قريشاً فى كل شىء الا فى الشعر ، فلما نجم

فى قريش عمر بن أبى ربيعة والحرث بن خالد المخزومى والعرجى وأبو دهبل وعبدالله ابن قيس الرقيات أقرت لها بالشعر أيضاً

تفاخر مولى لعمر ومولى للحرث بشعريهما ، فقال مولى الحرث لمولى عمر دعنى منك فان مولاك والله لا يعرف المنازل اذا قلبت « يعنى قول الحرث »

عفت الديار فما بها أهل — حزانهـا ودمائهـا السهل
انى وما نحروا غداة منى — عند الجمار يؤودها العقل
لو بدّلت أعلى مساكنها — سفلا وأصبح سفلها يعلو
فيكاد يعرفها الخبير بها — فـيرده الإقواء والمحل
لعرفت مغناها بما اشتملت — مني الضلوع لأهلها قبل

كان بنو مخزوم زبيرية الا الحرث بن خالد فانه كان مروانياً ، فلما ولى عبدالملك عام الجماعة وفد عليه الحرث فى دين كان عليه فظهرت له منه جفوة وأقام ببابه شهراً لا يصل اليه فانصرف عنه وقال فيه

صحبتك اذ عيني عليها غشاوة — فلما انجلت قطّعت نفسى أذيمها
وما بى ان أقصيتنى من ضراعة — ولا افتقرت نفسى الى من يضيمها
عطفت عليك النفس حتى كأنما — بكفيك بؤسى أو عليك نعيمها

وبلغ عبد الملك خبره وأنشد الشعر فأرسل اليه من رده من طريقه ، فلما دخل عليه قال له حار أخبرنى عنك ، هل رأيت عليك فى المقام ببابى غضاضة أو فى قصدى دناءة ؟ قال لا والله يا أمير المؤمنين ، قال فما حملك على ما قلت وفعلت ؟ قال جفوة ظهرت لي وكنت حقيقاً بغيرهذا ، فولاه مكة فحج بالناس وحجت عائشة بنت طلحة عامئذ فأرسلت اليه أخر الصلاة حتى أفرغ من طوافى ، فأمر المؤذنين فأخروا الصلاة حتى فرغت من طوافها ثم أقيمت الصلاة فصلى بالناس ، وأنكر أهل الموسم ذلك من فعله وأعظموه ، فعزله ، وكتب اليه يؤنبه فيما فعل ،

فقال ما أهون غضبه اذا رضيت، فلما قضت حجها أرسل اليها يا ابنة عمي ألمّي بنا أوعدينا مجلساً نتحدث فيه، فقالت في غد أفعل ذلك، ثم رحلت من ليلتها فقال فيها

ما ضركم لو قلتم سددا   ان المطايا عاجل غدها
ولها علينا نعمة سلفت   لسنا على الأيام نجحدها
لو تممت أسباب نعمتها   تمت بذلك عندنا يدها

ومما غنى فيه من قوله فيها

زعموا بأن البين بعد غد   فالقلب مما أحدثوا يجف
والعين منذ أجدّ بينهم   مثل الجمان دموعها تكف
ومقالها ودموعها سجم   أقلل حنينك حين تنصرف
تشكو ونشكو ما أشتّ بنا   كل بوشك البين معترف

قدم المدينة قادم من مكة فدخل على عائشة بنت طلحة فقالت له من أين أقبل الرجل ؟ قال من مكة ، فقالت فما فعل الأعرابي ؟ فلم يفهم ما أرادت ، فلما عاد الى مكة دخل على الحرث فقال له من أين ؟ قال من المدينة ، قال فهل دخلت على عائشة بنت طلحة ؟ قال نعم ، قال فماذا سألتك ؟ قال قالت لي ما فعل الأعرابي ؟ فقال له الحرث عد اليها ولك هذه الراحلة والحلة ونفقتك لطريقك وادفع اليها هذه الرقعة وكتب اليها فيها

من كان يسأل عنا أين منزلنا   فالأقحوانة منا منزل قمن
اذ نلبس العيش صفواً ما يكدره   طعن الوشاة ولا ينبو بنا الزمن
ليت الهوى لم يقربني اليك ولم   أعرفك اذ كان حظي منكم الحزن

لما ولى عبد الملك الحرث مكة بعث الى الغريض فقال له لا أرينّك في عملي وكان قبل ذلك يطلبه ويستدعيه فلا يجيبه فخرج الغريض الى ناحية الطائف وبلغ ذلك الحرث فرق له فرده وقال له لم كنت تبغضنا وتهجر شعرنا ولا تقربنا ؟ قال

الغريض كانت هفوة من هفوات النفس وخُطوة من خطوات الشيطان ومثلك من وهب الذنب وصفح عن الجرم وأقال العثرة وغفر الزلة ولست بعائد الى ذلك أبداً ، قال وهل غنيت فى شيء من شعرى ؟ قال نعم فى ثلاثة أصوات من شعرك ، قال هات ما غنيت ، فغنى

بان الخليط فما عاجوا ولا عدلوا ... اذ ودعوك وحنّت بالنوى الابل
كأن فيهم غداة البين اذ رحلوا ... أُدْما أطاع لها الحَوْذان والنَّفَل

ثم غنى

يا ليت شعرى وكم من مُنْية قُدرت ... وَفقاً وأخرى أتى من دونها القدر
ومُضْمَرالكَشْح يَطويه الضجيع له ... طي الحمالة لا جاف ولا فقر
له شبيهان لا نقص يَعيبهما ... بحيث كانا ولا طول ولا قصر

فقال له الحرث يا غريض لا لوم فى حبك ولا عذر فى هجرك ولا لذة لمن لا يروح قلبه بك ، يا غريض لولم يكن لي فى ولايتى مكة حظ الا أنت لكان حظاً وافياً كافياً ، يا غريض انما الدنيا زينة فأزين الدنيا ما فرح النفس ولقد فهم قدر الدنيا على حقيقته من فهم قدر الغناء

ومنه

ان امرأ تعتاده ذكرَى ... منها ثلاثَ منًى لذو صبر
ومواقف بالمشعَرين لها ... ومناظر الجمرات والنحر
وافاضة الركبان خلفهمُ ... مثل الغمام أرذَّ بالقطر
حتى استلمن الركن فى أنف ... من ليلهن يطأن فى الأُزر
يقعدن في التطواف آونة ... ويطفن أحياناً على فتَر
ففرغن من سبع وقد جهدت ... أحشاءهن موائلُ الخُمُر

لما مات عمر بن عبيد الله التيمي عن عائشة بنت طلحة قيل للحرث بن خالد ما يمنعك الآن منها ؟ قال والله لا يتحدث رجال من قريش أن نسيبي بها كان لشيء من الباطل

تنازع الحرث بن خالد وهو أمير مكة وأبان بن عثمان وهو أمير المدينة الحج بالناس سنة خروج ابن الأشعث لأن عبد الملك شغل عن أن يولي على الحج رجلا وكانت الغلبة لأبان ، فقال الحرث

فان تنج منها يا أبان مسلماً — فقد أفلت الحجاج خيل شبيب
وكاد غداة الدير يُنفذ حضنه — غلام بطعن القرن جدِّ طبيب
وأنسوه وصف الدير لما رآهم — وحسَّن خوف الموت كل مغيب

فلقيه الحجاج بعد ذلك فقال مالي ولك ياحارث؟ أينازعك أبان عملا فتذكرني؟ فقال له ما اعتمدت مساءتك ولكن بلغني أنك أنت كاتبته ، قال والله مافعلت ، فقال له الحرث المعذرة الى الله واليك يا أبا محمد

قدمت عائشة مكة تريد العمرة فلم يتمكن الحرث من كلامها حتى خرجت ، فقال وذكر حاضنتها بسرة

يا دار أقفر رسمها — بين المحصَّب والحَجون
أقوت وغير آيها — مر الحوادث والسنين
واستبدلوا ظلَف الحجا — ز وسُرّة البلد الأمين
يا بُسْرَ اني فاعلمي — بالله مجتهداً يميني
ما ان صرمت حبالكم — فصِلِي حبالك أو ذريني

وقال الحارث فى زوجته أم عبد الملك بنت عبد الله بن خالد بن أسيد وكناها بابنها عمران

يا أم عمران مازالت وما برحت — بى الصبابة حتى شفَّني الشفق

القلب تاق اليكم كى يلاقيكم … كما يتوق الى منجاته الغَرِق
تنيل نَزْراً قليلا وهى مشفقة … كما يخاف مَسيس الحية الفَرِق

فأنشد رجل يوماً بحضرة ابنها عمران بن عبيد الله بن مطيع هذا الشعر ثم فطن فأمسك فقال له لا عليك فانها كانت زوجه ، ويروى أنه قال له امض رحمك الله وما بأس ذلك رجل متزوج بنت عمه وكان لها كفأ كريماً فقال فيها شعراً بلغ ما بلغ فكان ماذا ؟

بينا الحرث واقف على جَمْرة العقبة اذ رأى أم بكر وهى ترمى الجَمْرة فرأى أحسن الناس وجهاً ، وكان فى خدها خال ظاهر ، فسأل عنها فأخبر باسمها حتى عرف رحلها ، ثم أرسل اليها يسألها أن تأذن له فى الحديث فأذنت له ، فكان يأتيها يتحدث اليها حتى انقضت أيام الحج فأرادت الخروج الى بلدها فقال فيها

ألا قل لذات الخال ياصاح فى الخد … تدوم اذا بانت على أحسن العهد
ومنها علامات بمَجْرَى وِشاحها … وأخرى تَزين الجيد من موضع العِقْد
وترعى من الود الذى كان بيننا … فما يستوى راعى الأمانة والمبدى
وقل قد وعدت اليوم وعداً فأنجزي … ولا تُخلفى لا خير فى مُخلف الوعد
وجودى علىّ اليوم منك بنائل … ولا تبخلى قد مُتّ قبلك فى اللَّحد
فمن ذا الذى يبدى السرور اذا دنت … بك الدار أو يُغْنى بنأيكمُ بعدى
دنوكمُ منـــا رجاء نناله … ونأيكمُ والبعد جهد على جهد
كثير اذا تدنو اغتباطى بك النوى … ووجدى اذا ما بنتمُ ليس كالوجد
أقول ودمعى فوق خدى مُخْضِلٌ … له وَشَل قد بَلَّ تَهتانه خدى
لقد منح الله البخيـلة ودنا … ومامنحت ودى بدعوى ولا قصد

وقال فى ليلى بنت أبى مرة بن عروة بن مسعود ورآها تطوف وأمها ميمونة بنت أبى سفيان بن حرب

أطافت بنا شمس النهار ومن رأى ... من الناس شمساً بالعشاء تطوف
أبو أمهـا أوفى قريش بذمة ... وأعمامهـا امّا سألت ثقيف

وفيها يقول

أمن طلل بالجزع من مكة السدر ... عفا بين أكناف المشقّر فالحَضْر
ظَلِلت وظل القوم من غير حاجة ... لدن غدوة حتى دنت حزّة العصر
يبكّون من ليلى عهوداً قديمة ... وماذا يبكي القوم من منزل قفر

ويقول

لقد أرسلت فى السر ليلى تلومنى ... وتزعمني ذا ملّة (١) طرِفاً جلدا
وقد أخلفتنا كل ما وعدت به ... ووالله ما أخلفتها عامداً وعدا
فقلت مجيباً للرسول الذي أتى ... تراه لك الويلات من قولها جدا
اذا جئتها فاقر السلام وقل لهـا ... دعى الجور ليلى واسلكى مسلكاً قصدا
أفى مكثنا عنكم ليالي مرضتها ... تزيدينني ليلى على مرضى جهدا
تعُدّين ذنباً واحداً ما جنيته ... علىّ وما أحصى ذنوبكمُ عدا
فان شئت حرمت النساء سواكمُ ... وان شئت لم أطعم نُقاخاً (١) ولا بَرْدا
وان شئت غُرنا (٣) بعدكم ثم لم نزل ... بمكة حتى تجلسى قابلا نجدا

ومما قاله فى عائشة بنت طلحة تصريحاً وتعريضاً ببسرة جاريتها

يا ربع بُسْرة بالجناب تكلم ... وأبن لنا خبراً ولا تستعجم
مالي رأيتك بعد أهلك موحشاً ... خَلَقاً كحوض الباقر المتهدم
تسبي الضجيع اذا النجوم تغورت ... طوع الضجيع أنيسة المتوسّم
قُبّ البطون أوانس مثل الدُمى ... يخلطن ذاك بعفة وتكرم

(١) الملة الملل والطرف من لا يثبت على صاحب (٢) النقاخ الماء البارد العذب الصافى لانه ينقخ العطش أى يكسره (٣) غار غوراً أتى الغور

ومنه

أعرفت أطلال الرسوم تنكرت بعدي وبُدّل آيهن دُثورا
وتبدلت بعد الأنيس بأهلها عُفْراً بواغم يرتعين وُعورا
من كل مُصْبِيةِ الحديث ترى لها كفلا كرابية الكثيب وثيرا
دع ذا ولكن هل رأيت ظعائناً قربن أجمالا لهن بكورا
قربن كل مُخَيّس (١) متجمل بُزْلا تشبه هامهن قبورا
يفتِنّ لا يألون كل مغفَّل يمـلأنه بحديثهن سرورا
يادار حسرها البلى تحسيرا وسفت عليها الريح بعدك بُورا
ومن التراب نخيله فخيم بعِراصها ومسير تسيرا
ياربع بسرة ان أضربك البلى فلقد عهدتك آهلا معمورا
عفت الرَّذاذ خلافه فكأنما بسط الشواطب فوقهن حصيرا (٢)
ان يُمْسِ حبلك بعد طول تواصل خَلَقاً ويصبح بيتكم مهجوراً
فلقد أراني والجديد الى بِلًى زمناً بوصلك قانعاً مسرورا
جذِلا بما لى عندكم لا أبتغى للنفس غيرك خلة وعشيرا
كنت المني وأعز من وطئ الحصا عندي وكنت بذاك منك جديرا

ومنها من أبيات قالها بالشام عند عبد الملك أولها

هل تعرف الدار أضحت آيها عجُما كالرق أجرى عليها حاذق قلما
بالخيف هاجت شؤوناً غير جامدة فانهلّت العين تُذرى واكفاً سَجِما
دار لبسرة أمست ما تكلمنا وقد أبنت لها لو تعرف الكلما
واهاً لبُسْرة لو يدنو الأمير بها ياليت بسرة قد أمست لنا أمما

(١) الابل المخيسة التي حبست للنحر أوالقسم (٢) الشاطبة من النساء التي تشق الجريد لتعمل منه الحصير

حلت بمكة لا دار مصاقبة هيهات جيزون ممن يسكن الحرما
يا بسر انكمُ شطَّ البعاد بكم فما تنيلوننا وصلا ولا نعما
قد قلت بالخيف اذ قالت لجارتها أدام وصل الذى أهدى لنا الكلما
لا يرغم الله أنفاً أنت حامله بل أنف شانيك فيما سركم رغما
ان كان رابك شيء لست أعلمه مني فهذي يميني بالرضا سلَما
أو كنت أحببت شيئاً مثل حبكمُ فلا أرحت اذاً أهلاً ولا نعما
لا تكِلِيني الى من ليس يرحمنى وقاك من تُبغضين الحتف والسقَما
ان الوشاة كثير ان أطعتهمُ لا يرقبون بنا إلاًّ ولا ذمما

ومنه

أثلَ جودى على المتيم أثلا لا تزيدى فؤاده بك خبلا
أثل انى والراقصات بجمع يتبارين فى الأزمَّة فتلا
سانحات يقطعن من عرفات بين أيدى المطىّ حزناً وسهلا
والأكف المضمرات على الركـ ـن بشعْث سعوْا الى البيت رجلا
لا أخون الصديق في السر حتى يُنقل البحر بالغرابيل نقلا
أو تمر الجبال مر سحاب مرتق قد وعى من الماء ثقلا
أنعم الله لي بذا الوجه عينا وبه مرحباً وأهلاً وسهلا
حين قالت لاتفشينّ حديثى يا ابن عمّ أقسمت قلت أجلْ لا
اتقى الله واقبلى العذر مني وتجافىْ عن بعض ما كان زلا
لا تصدى فتقتليَّ ظلماً ليس قتل المحب للحب حِلاّ
ما أكن سؤتكم به فلك العتـ ـبَى لدينا وحق ذاك وقلا
لم أرحب بأن سخطت ولكن مرحباً ان رضيت وأهلا
ان شخصاً رأيته ليلة البد ر عليه انثني الجمال وحلا

جعل الله كل أنثى فداء ... لك بل خدها لرجلك نعلا
وجهك البدر لو سألت به المزْ ... ن من الحسن والجمال استهلا
ان عند الطواف حين أتته ... لجمالاً فعماً وخلقاً رِفلاّ (١)
وكسين الجمال ان بِنّ عنها ... فاذا ما بدت لهن اضمحلا

ومنها

أحقاً أن جيرتنا استحبوا ... حزون الأرض بالبلد السَّخاخ (٢)
الى عقْر الأباطح من ثَبير ... الى ثور فمدفع ذى مَراخ
فتلك ديارهم لم يبق فيها ... سوى طَلَل المعرَّس والمناخ
وقد تغْنَى بها فى الدار حور ... نواعم فى المجاسد كالأراخ (٣)

ومن قول الحرث فى أمة الملك بنت عبد الله بن خالد بن أسيد

أقوى من آل ظليمة الحزم ... فالغَمْرتان فأوحش الخطم
فجنوب أثبرة فملحدها ... فالسِّدرتان فما حوى رسم
وبما أرى شخصاً به حسناً ... فى القوم اذ حييتكمُ نعم
اذ ودها صاف ورؤيتها ... أمنيَّة وكلامها غُنْم
هيفاء ممـلوء مخلخلها ... عجزاء ليس لعظمها حجم
خُمصانة قلِق مُوَشَّحها ... رُودُ الشباب ببلابها عظم
وكأن غاليـة تباشرها ... تحت الثياب اذا صفا النجم
أظليم ان مصابكم رجلاً ... أهدى السلام تحية ظلم
أقصيته وأراد سلمكمُ ... فليهْنه اذ جاءك السلم

---

(١) الرفل الكثير اللحم (٢) السخاخ الارض اللينة الحرة (٣) الاراخ بكسر الهمزة بقر الوحش

ابن أبي ربيعة

هو أبو الخطاب عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة حذيفة بن المغيرة من مخزوم بن يقظة بن مرة.

كان جده أبو ربيعة يسمى ذا الرمحين لطوله ، وكان يقال كأنه يمشي على رمحين ، وقيل انه قاتل يوم عكاظ برمحين ، فسمى ذا الرمحين لذلك ، وفيه يقول عبد الله بن الزِّبَعْرَى

ألا لله قوم و لدت أخت بني سهم (١)

وأخت بنى سهم هى ريطة بنت سعيد بن سهم وهى أم بنى المغيرة بن عبد الله ابن عمرو بن مخزوم وهم هشام وهاشم وأبو ربيعة والفاكه وعدة غيرهم لم يعقبوا واياهم عنى أبو ذؤيب بقوله

صَخِب الشوارب لا يزال كأنه عبد لآل أبى ربيعة مسمع

وكان اسم عبد الله بن أبي ربيعة فى الجاهلية بجيراً ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله ، وكانت قريش تلقبه العِدْل لأن قريشاً كانت تكسو الكعبة فى الجاهلية بأجمعها من أموالها سنة ويكسوها هو من ماله سنة ، فأرادوا بذلك أنه وحده عدل لهم جميعاً فى ذلك ، وفيه يقول ابن الزِّبَعْرَى

بجير بن ذي الرمحين قرب مجلسى وراح عليَّ خيره غير عاتم

وقد قيل ان العدل هو عمه الوليد بن المغيرة ، وكان عبد الله تاجراً موسراً وكان متجره الى اليمن ، وكان من أكثرهم مالاً وأمه أسماء بنت مُخَرِّمة ، وكانت عطارة يأتيها العطر من اليمن ، وقد تزوجها هشام بن المغيرة أيضاً ، فولدت له أبا جهل والحرث بن هشام فهى أمهما وأم عبد الله وعياش ابني أبي ربيعة ، وكان لعبد الله

(١) أنظر صفحة ٢٣٥ من الجزء الثانى

عبيد من الحبشة يتصرفون فى جميع المهن ، وكان عددهم كثيراً ، وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج الى حُنَيْن هل لك فى حبش بني المغيرة تستعين بهم ؟ فقال لا خير فى الحبش ان جاعوا سرقوا وان شبعوا زَنَوْا وان فيهم لخلتين جميلتين إطعام الطعام والبأس يوم البأس ، واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي ربيعة على الجَنَد ومخاليفها فلم يزل عاملاً عليها حتى قتل عمر رحمة الله عليه ، وقيل ان عثمان بن عفان رحمه الله استعمله أيضاً عليها ، وأم عمر أم ولد يقال لها مجد سبيت من حضرموت أو من حمير ، ومن هناك أتاه الغزل يقال غَزَل يمان ودَلٌّ حجازى

وكان لعمر ابنٌ صالح يقال له جَوان ، وفيه يقول العَرْجى

شهيدي جوان على حبها　　أليس بعدْل عليها جوان

جاء جوان الى زياد بن عبد الله الحارثى وهو إذ ذاك أمير على الحجاز فشهد عنده بشهادة ، فتمثل بهذا البيت ثم قال قد أجزنا شهادتك وقبله ، وجاء جوان الى العرجى فقال يا هذا مالي ولك تشهدنى في شعرك ؟ متى أشهدتني على صاحبتك هذه ؟ ومتى كنت أشهد فى مثل ذلك ؟

استعمله بعض ولاة مكة على تَبالة فحمل على خَثْعَم فى صدقات أموالهم حملا شديداً ، فجعلت خثعم سنة جوان تاريخاً ، فقال ضُبارة بن الطفيل

أتلبَسـنا ليلى على شَعَث بنا　　من العام أو يرمى بنا الرَّجَوان

رأتنى كأشلاء اللجام وراقها　　أخو غزل ذو لِمَّة ودهان

ولو شهدتنى فى ليال مضَيْنَ لي　　لعامين مرَّا قبل عام جَوَان

رأتنا كريمى معشر حُمَّ بيننا　　هوى فحفظناه بحسن صِيان

نذود النفوس الحائمات عن الصِّبا　　وهن بأعناق اليه ثوان

وكان لعمر أيضاً بنت يقال لها أمَةَ الواحد وكانت مسترضَعة فى هذَيل ، وفيها يقول عمر وقد خرج يطلبها فضل الطريق

لم تدْرِ وليغفرِ لها ربها ما جَشمتنا أمَةَ الواحد
جشمت الهول براذيننا نسأل عن بيت أبى خالد
نسأل عن شيخ أبى كاهل أعيا خفاء نِشْدة الناشـد

ولد عمر ليلة قتل عمر بن الخطاب رحمة الله عليه ، فقيـل أى حق رفع وأى باطل وضع ، ومات وقدقارب السبعين أو جاوزها

قال يعقوب بن اسحاق كانت العرب تقر لقريش بالتقدم فى كل شىء عليها الا فى الشعر فانها كانت لا تقر لها به حتى كان عمر بن أبى ربيعة فأقرت لها الشعراء بالشعر أيضاً ولم تنازعها شيئاً ، وقال نصيب عمر بن أبى ربيعة أوصفنا لربَّات الحجال ، وقال سليمان بن عبد الملك لعمر ما يمنعك من مدحنا ؟ قال انى لا أمدح الرجال ولـكن أمدح النساء ، وسئل حماد الراوية عن شعر عمر ، فقال ذلك الفستق المقشر ، وسمع الفرزدق شيئاً من تشبيب عمر ، فقال هذا الذى كانت الشعراء تطلبه فأخطأته وبكت الديار ووقع هذا عليه ، وقال عبد الله بن سلمة بن أسلم لقيت جريراً فقلت له يا أبا حَزْرة ان شعرك رفع الى المدينة وأنا أحب أن تسمعني منه شيئاً ، فقال انـكم يا أهل المدينة يعجبكم النسيب وان أنسب الناس المخزومى « يعنى عمر »

بينا ابن عباس فى المسجد الحرام وعنده نافع بن الأزرق وناس من الخوارج يسألونه اذ أقبل عليه عمر فى ثوْبين مصبوغين مورَّدين حتى دخل وجلس ، فأقبل عليه ابن عباس فقال أنشدنا ، فأنشده

أمن آل نُعْم أنت غادٍ فَمُبْكر غـــداة غد أم رائح فمهجر
بحاجة نفس لم تقل فى جوابها فتبلغ عذراً والمقالة تُعـــذِر
تهيم الى نُعْم فلا الشمل جامع ولا الحبل موصول ولا القلب مقصر

ولا قرب نُعْم ان دنت لك نافع ... ولا نأيها يُسلى ولا أنت تصبر
وأخرى أتت من دون نُعْم ومثلها ... نهى ذا النُّهى لو يرعوى أو يفكر
اذا زرت نُعْماً لم يزل ذو قرابة ... لها كلما لاقيته يتنمر
عزيز عليه أن أمرّ ببابها ... مُسرّ لي الشَّحناء والبغض مظهر
ألِكْني (١) اليها بالسلام فانه ... يشهَّر إلمامي بها وينكر
بآية ما قالت غداة لقيتها ... بِمَدْفَع أكنان أهذا المشهَّر
قفي فانظري يا أسمَ هل تعرفينه ... أهذا المغيريّ الذى كان يذكر
أهذا الذى أطريت نعتاً فلم أكد ... وعيشك أنساه الى يوم أقبر
فقالت نعم لا شك غير لونه ... سُرَى الليل يُحيي نَصَّه والتهجر
لئن كان إياه لقد حال بعدنا ... عن العهد والانسان قد يتغير
رأت رجلاً أمّا اذا الشمس عارضت ... فيَضْحَى وأما بالعشى فيَخْصَر (٢)
أخا سفر جوّاب أرض تقاذفت ... به فَلَوات فهو أشعث أغبر
قليل على ظهر المطية ظله ... سوى ما نفى عنه الرداء المحبّر (٣)
وأعجبها من عيشها ظل غرفة ... وريّان ملتف الحدائق أخضر
ووال كفاها كل شيء يهمها ... فليست لشيء آخر الليل تسهر
وليلة ذى دَوْران جَشَّمني السرى ... وقد يَجْشم الهولَ المحبُّ المغرر
فبت رقيباً للرفاق على شفاً ... أحاذر منهم من يطوف وأنظر
أليهم متى يستمكن القوم منهم ... ولي مجلس لولا اللُّبانة أوعر
وباتت قلوصي بالعراء ورحلها ... لطارق ليل أو لمن جاء مُعْوِر
وبت أناجى النفس أين خباؤها ... وكيف لما آتى من الأمر مصدر

(١) من الالوكة بمعنى تحميل الرسالة (٢) يضحى يظهر للشمس ويخصر يبرد
(٣) يصف نفسه أنه ضئيل لا يكاد يكون له ظل الا ما أراه رداؤه

فدلّ عليها القلبَ ريّا عرفتها ... لها وهوى النفس الذى كاد يظهر
فلما فقدت الصوت منهم وأطفئت ... مصابيح شُبَّت بالعشاء وأنؤر (١)
وغاب قُمَير (٢) كنت أرجو غيوبه ... وروّح رُعيان ونوّم سُمّر
ونَفّضتُ (٣) عنى العين أقبلت مشية الـ ... ـحُباب وركنى خيفة القوم أزور
فحييت اذ فاجأتها فولهت ... وكادت بمكنون التحية تجهر
وقالت وعضت بالبَنان فضحتني ... وأنت امرؤ ميسور أمرك أعسر
أريتك اذ هُنّا عليك ألم تخف ... رقيباً وحولي من عدوك حُضّر
فوالله ما أدري أتعجيل حاجة ... سرت بك أم قد نام من كنت تحذر
فقلت لها بل قادنى الشوق والهوى ... اليك وما عين من الناس تنظر
فقالت وقد لانت وأفرخ رَوعها ... كلاك بحفظ ربك المتكبر
فأنت أبا الخطاب غير مدافَع ... عليّ أمير ما مكثت مؤمّر
فبت قرير العين أعطيت حاجتى ... أقبل فاها فى الخلاء فأُكثر
فيالك من ليل تقاصر طوله ... وما كان ليلى قبل ذلك يقصر
ويالك من ملْهىً هناك ومجلس ... لنا لم يكدّره علينا مكدر
يمج ذكيّ المسك منها مفلّج ... رقيق الحواشى ذو غروب (٤) مؤشّر
يَرِف اذا يفترّ عنه كأنه ... حصى برد أو أُقحُوان منوّر
وترنو بعينيها الى كما رنا ... الى ربرب وسط الخميلة جؤذر

---

(١) جمع نار (٢) صغره لأنه ناقص عن التمام ولما أنشد هذا سعيد بن المسيب قال ماله قاتله الله لقد صغر ما عظم الله ، يقول الله عز وجل والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ، والرعيان جمع راعى والسمر جمع سامر وهم الجماعة يتحدثون ليلا

(٣) يقول احترست منها وأمنتها والنفضة امام العسكر بالتحريك القوم يتقدمون فينفضون الطريق وازور يعنى متجافيا يقال تزاور فلان اذا ذهب فى شق (٤) غرب كل شىء حده وانما يعنى الاسنان ومؤشر له أشر بضمتين وهو تشرير الاسنان

فلما تقضى الليـــل الا أقله وكادت توالي[1] نجمه تغوّر
أشارت بأن الحي قد حان منهمُ هُبوب[2] ولكن موعد لك عَزْوَر
فما راعني الا منادٍ برحـــلة وقد لاح مفتوق من الصبح أشقر
فلما رأت من قد تنوّر منهمُ وأيقاظهم[3] قالت أشر كيف تأمر
فقلت أباديهم فاما أفوتهم واما ينال السيف ثأراً فيثأر
فقالت أتحقيقاً لما قال كاشح علينا وتصديقاً لما كان يؤثر؟
فان كان ما لابد منه فغيره من الأمر أدنى للخفاء وأستـــر
أقص على أختيّ بدء حديثنا ومالي من أن تعلما متأخَّر
لعلهما أن تبغيـــا لك مخرجاً وأن ترحبا صدراً[4] بما كنت أحصر
فقامت كئيباً ليس في وجهها دم من الحزن تذري عبرة تتحدر
فقامت اليها حرتان عليهما كساآن من خزٍّ دمقس وأخضر
فقالت لأختيها أعينا على فتى أتى زائراً والأمر للأمر يُقدر
فأقبلتا فارتاعتـــا ثم قالتا أقلِّي عليك الهمّ فالخطب أيسر
فقالت لها الصغرى سأعطيه مُطْرَفي ودرعي وهذا البُرْد ان كان يحذر
يقوم فيمشي بيننا متنكراً فلا سرنا يفشو ولا هو يظهر
فكان مِجَنِّي[5] دون من كنت أتقي ثلاث شخوص كاعبان ومُعْصِر
فلما أجزنا ساحة الحي قلن لي ألم تتق الأعداء والليل مقمر
وقلن أهذا دأبك الدهر سادراً أما تستحي أو ترعوي أو تفكر
اذا جئت فامنح طرف عينيك غيرنا لكي يحسبوا أن الهوى حيث تنظر

(١) التوالي التوابع وتتغور تغور فتذهب (٢) الهبوب الانتباه وعزور موضع بعينه
(٣) جمع يقظ بفتح الياء وضم القاف (٤) أي تتسع صدورهما وأحصر أضيق به ذرعاً
(٥) المجن الترس والمعصر التي بلغت شبابها والكاعب الناهد

فآخر عهد لي بها حين أعرضت ... ولاح لها خد نقي ومَحجِر
سوى أنني يا نُعْم قد قلت قولة ... لها والعِتاق الأرحبيات تُزجر
هنيئاً لأهل العامرية نشرها الـ ... ـلذيذ وريَّاها الذي أتذكر
وقمت الى عَنْس تخوّن[1] نيّها ... سُرى الليل حتى لحمها متحسر
وحبسي على الحاجات حتى كأنها ... بقية لوح أو شِجار[2] مُؤَسَّر
وماء بمَوْماة[3] قليل أنيسه ... بسابس لم يحدث به الصيف محضر
به مبتنًى للعنكبوت كأنه ... على طرَف الأرجاء[4] خام مُنَشَّر
وردت وما أدري أما بعد موردي ... من الليل أم ما قد مضى منه أكثر
فقمت الى مِغلاة[5] أرض كأنها ... اذا التفتت مجنونة حين تنظر
تنازعني حرصاً على الماء رأسها ... ومن دون ما تهوى قليب مُعَوَّر[6]
محاولة للماء لولا زمامها ... وجذبي لها كادت مراراً تكسر
فلما رأيت الضر منها وأنني ... ببلدة أرض ليس فيها مُعَصَّر[7]
قصرت لها من جانب الحوض ناشئاً ... جديداً كقاب الشِّبر أو هو أصغر
اذا شرعت فيه فليس لملتقى ... مشافرها منه قدى الكف مُسْأَر[8]
ولا دلو الا القَعْب كان رشاءه ... الى الماء نِسْعٌ والجديل المضفَّر
فسافت[9] وما عافت وما رد شربها ... عن الري مطروق من الماء أكدر

---

(١) تخون تنقص والني الشحم (٢) الشجار خشب الهودج فاذا غشى غشاءه صار هودجاً والمؤسر مشدود بالاسار وهو الحبل ولم أجد أسر بالتشديد وانما الذي رأيته في عامة كتب اللغة أسر بالتخفيف ويقال شجار مأسور لا مؤسر (٣) الموماة المفازة والبسابس جمع بسبس بفتح الباءين وهو القفر (٤) الارجاء النواحي والخام الكرباس لم يغسل (٥) المغلاة السهم
(٦) القليب البئر ومعور مفسود المنبع (٧) المعصر الملجأ وأصله من العصر بالتحريك وهو الملجأ والمنجى (٨) مفعل من السؤر وهو بقية الماء التي يبقيها الشارب معناها اذا التقت شفتاها عليه لم يبق منه شيء (٩) شمت والمطروق ماء السماء الذي تبول فيه الابل

فأقبل عليه نافع بن الأزرق فقال له والله يا ابن عباس انا نضرب اليك أكباد الابل من أقاصى البلاد نسألك عن الحرام والحلال فتتثاقل عنا ويأتيك مُتْرَف من مترفى قريش فينشدك

رأت رجلا أما اذا الشمس عارضت فيخزى وأما بالعشى فيخسر

فقال ليس هكذا قال ، قال فكيف قال ؟ قال قال

رأت رجلا أما اذا الشمس عارضت فيضحى وأما بالعشى فيخصر

فقال ما ما أراك الا كنت حفظت البيت ، قال أجل وان شئت أن أنشدك القصيدة أنشدتك إياها ، قال فانى أشاء ، فأنشده القصيدة حتى أتى على آخرها ، فقال له بعضهم ما رأيت قط أذكى منك ، فقال لكنى ما رأيت قط أذكى من علي بن أبي طالب عليه السلام ، وكان ابن عباس يقول ما سمعت شيئاً قط الا رويته وانى لأسمع صوت النائحة فأسد أذنى كراهة أن أحفظ ما تقول ، ولامه بعض أصحابه فى حفظ هذه القصيدة ، فقال انها « أمن آل نُعْم » يستجيدها ، وكان ابن عباس بعد ذلك كثيراً ما يقول هل أحدث المغيرى شيئاً بعدنا ؟

ومما يغني فيه من شعر عمر

تَشِطّ غداً دار جيراننا والدار بعد غد أبعد
اذا سلكت غَمْرَ ذى كِندة مع الركب قصد لها الفرقد
وحث الحُداة بها عيرها سراعا اذا ما دنت تُطرد
هنالك إما تعزّى الفؤا د واما على إثرهم تكمد
فلست ببدع لئن دارها نأت فالعزاء اذاً أجلد
صرمت وواصلت حتى عرفـــت أين المصادر والمورد
دعانى من بعد شيب القذا ل ريم له عنق أغيد
وعين تصابى وتدعو الفتى لما تركه للفتى أرشد

فتلك التى شيعتها الفتا ة الى الخِدْر قلبى بها مُقْصَد
تقول وقد جد من بينها غداة غد عاجل موفد
ألست مشيعنا ليلة تقضي اللُّبانة أو تعهد
فقلت بلى قد فل عندى لكم كلال المطى اذا تجهد
فعودى اليها فقولى لها مساء غد لكم موعد
وآية ذلك أن تسمعى اذا جئتكم ناشد ينشد
فرحنا سراعاً وراح الهوى الينا دليلاً بنا يقصدُ
فلما دنونا لجرس النبا ح اذا الضوء والحى لم يرقدوا
نأينا عن الحى حتى اذا تودع من نارها الموقد
ونامو بعثنا لها ناشداً وفى الحى بُغية من ينشد
فقامت فقلت بدت صورة من الشمس شيعها الأسعد
فجاءت تهادى على رِقْبة من الخوف أحشاؤها تُرْعَد
وكفت سوابق من عَبرة على الخد جال بها الاثمد
تقول وتظهر وجداً بنا ووجدى لو أظهرت أوجد
لما شقائى تعلقتكم وقد كان لى عندكم مقعد
عراقية وتهامى الهوى يغور بمكة أو يُنجد

وهذا الشعر يقوله عمر فى امرأة من ولد الأشعث بن قيس حجت فهويها وواسلها ودخل اليها وتحدث معها وخطبها فقالت أما هنا فلا سبيل الى ذلك ولكن ان قدمت الى بلدى خاطباً تزوجتك ، فلم يفعل ، وفيها يقول وقد شيعها

قال الخليط غداً تصدُّعنا أو بعده أفلا تشيعنا ؟
أما الرحيل فدون بعد غد فمتى تقول الدارَ تجمعنا
لتشُوقنا هند وقد علمت علماً بأن البين يَقْرَعنا

عجباً لموقفنا وموقفها … وبسمع تربتها تراجعنا
ومقالها سر ليلة معنا … نتعهد فان البين فاجعنا
قلت العيون كثيرة معكم … وأظن ان السير مانعنا
لا بل نزوركم بأرضكم … فيطاع قائلكم وشافعنا
قالت أشيء أنت فاعله … هذا لعمرك أم تخادعنا ؟
بالله حدث ما تؤمله … واصدق فان الصدق واسعنا
اضرب لنا أجلاً نعد له … اخلاف موعده تقاطعنا

وشبب عمر بزينب بنت موسى الجمحية في قصيدته التي يقول فيها

يا خليليَّ من ملامٍ دعاني … وألما الغداة بالأظعان
لاتلوما في آل زينب ان القلـ … ـب رهن بآل زينبَ عان
ما أرى مابقيت أن أذكر المو … قف منها بالخيف إلا شجاني
لم تدع للنساء عندي حظاً … غير ما قلت مازحاً بلساني
هي أهل الصفاء والود مني … واليها الهوى فلا تعذلاني
حين قالت لأختها ولأخرى … من قطين مولد حدثان
كيف لي اليوم أن أرى عمر المر … سل سراً في القوم أن يلقاني
قالتا نبتغي اليه رسولاً … ونميت الحديث بالكتمان

وكان سبب ذكره لها ان ابن أبي عتيق ذكرها عنده يوماً فأطراها ووصفه من عقلها وأدبها وجمالها ما شغل قلب عمر وأماله اليها فقال فيها الشعر وشبب بها فبلغ ذلك ابن أبي عتيق فلامه فيه وقال أتنطق الشعر في ابنة عمي ؟ فقال عمر

انني اليوم عاد لي أحزاني … وتذكرت مامضى من زماني
وتذكرت ظبيــة أم ريم … هاج لي الشوق ذكرها فشجاني

وهي طويلة يقول فيها

لاتلمني عتيق حسبى الذي بى ... ان بى يا عتيق ما قد كفانى
لاتلمنى وأنت زينتها لى ... أنت مثل الشيطان للانسان
ان بى داخلا من الحب قد أبـ ... ـلى عظامى من مكنونه وبرانى
لو بعينيك يا عتيق نظرنا ... ليلة السفح قرت العينان
ان بدا الكشح والوشاح من الد ... ر وفصل فيه من المرجان
قد قلى قلبى النساء سواها ... غير ما قلت مازحاً بلسانى

أنشد ابن أبي عتيق قول عمر

ومن لسقيم يكتم الناس ما به ... لزينب نجوى صدره والوساوس
أقول لمن يبغى الشفاء متى تجِدْ ... بزينب تدركْ بعض ما أنت لامس
فانك ان لم تَشْفِ من سقمى بها ... فانك من طب الأطباء آئس
ولست بناس ليلة الدار مجلساً ... لزينب حتى يعلو الرأسَ رامس
فلما بدت قمراؤه وتكشفت ... دُجنَّته وغاب من هو حارس
وما نلت منها محرماً غير أننا ... كلانا من الثوب المورد لابس
نجيين نقضي اللهو فى غير مأثم ... وان رغمت مِ الكاشحين المعاطس

فقال أبنا سخر ابن أبى ربيعة ؟ فأي محرم بقى ؟ ثم أتى عمر فقال ياعمر ألم تخبرنى انك ما أتيت حراماً قط ، قال بلى ، قال فاخبرنى عن قولك — كلانا من الثوب المورد لابس — ما معناه ؟ قال والله لأخبرنك ، خرجت أريد المسجد وخرجت زينب تريده ، فالتقينا فاتَّعدنا لبعض الشِّعاب ، فلما توسطنا الشِّعب أخذتنا السماء فكرهت أن يرى بثيابها بلَل المطر ، فأمرت غلمانى فسترونا بكساء خز ، فقال له ابن أبي عتيق هذا البيت يحتاج الى حاضنة

وقال عمر فى زينب هذه

طال من آل زينب الاعراض ... للمُغيرى وما بها الإبغاض

وولِيدَين كان عُلّقها القلـب الى أن علا الرؤسَ بياض
حبلها عندنا متين وحبلى عندها واهن القوى أنقاض

ومما قال فيها وفيه غناء

أيها الكاشح المعير بالصَّرم تزحزح فما لها الهجران
لامطاع فى آل زينب فارجع أو تكلم حتى يَمَلّ اللسان
نجعل الليل موعداً حين نُمسي ثم يُخفي حديثنا الكتمان
كيف صبرى عن بعض نفسى وهل يصبر عن بعض نفسه الانسان
ولقد أشهد المحدَّث عند القصر فيه تعفف وبيان
فى زمان من المعيشة لدّ قد مضى عسره وهذا زمان

ومنها

يا من لقلب متيم كَلِف يهذى بخَوْد مريضة النظر
تمشى الهوينا اذا مشت قُطُفا وهي كمثل العُسلوج فى الشجر
مازال طرفى يحار اذ برزت حتى رأيت النقصان فى بصرى
أبصرتها ليلة ونسوتها يمشين بين المقام والحجَر
ماإن طمعنا بها ولا طمعت حتى التقينا ليلا على قدَر
بيضاً حساناً خرائداً قُطُفاً يمشين هوْناً كمشية البقر
قد فزن بالحسن والجمال معاً وفزن رِسْلاً بالدَّلّ والخفَر
يُنْصتن يوماً لها اذا نطقت كيما يُشرّفنها على البشر
قالت لتِرْب لها تحدثها لنفسدن الطواف فى عمر
قومى تصدّيْ له ليعرفنا ثم اغمزيه يا أخت فى خفر
قالت لها قد غمزته فأبى ثم اسبطرّت تسعى على أثرى
من يُسقَ بعدي الكرى بريقتها يسق بكأس ذى لذة خصِر

ومنها

ألا يا بكر قد طرقا خيال هاج لى الأرقا
بزينب إنهـــا همى فكيف بحبلها خلقا
خدلجة اذا انصرفت ألفتُ السُهد والأرقا
وساقاً تملأ الخلخا ل فيه تراه مختنقا
اذا ما زينب ذكرت سكبت الدمع متسقا
كأن سحابة تهمي بمـاء حملت غدقا

ومنها

ألم بزينب ان البين قد أفدا قل الثواء لئن كان الرحيل غدا
قد حلفت ليلة الصورين جاهدة وما على المرء الا الحلف مجتهدا
لأختها ولأخرى من مناصفها لقد وجدت به فوق الذى وجدا
لو جمع الناس ثم اختير صفوهم شخصاً من الناس لم أعدل به أحدا

اجتمع نسوة فذكرن عمر وشعره وظرفه ومجلسه وحديثه فتشوقن اليه وتمنينه ، فقالت سكينة أنا لكن به ، فبعثت اليه رسولاً أن يوافى الصورين ليلة سمتها ، فوافاهن على رواحله فحدثهن حتى طلع الفجر وحان انصرافهن ، فقال لهن والله انى محتاج الى زيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم والصلاة فى مسجده ولكن لاأخلط بزيارتكن شيئاً ، ثم انصرف الى مكة وقال فى ذلك ماتقدم

أنشد جرير قول عمر

سائلا الربع بالبلىّ وقولا هجت شوقاً لى الغداة طويلا
أين حى حلوك إذ أنت محفو ف بهم آهل أراك جميلا
قال ساروا فأمعنوا واستقلوا وبرغمى لو استطعت سبيلا
سئمونا وما سئمنا مقاماً وأحبوا دماثة وسهولا

فقال ان هذا الذى كنا ندور عليه فأخطأناه وأصابه هذا القرشى

وأنشد مصعب قوله

يا ليتني قد أجزت الحبل نحوكمُ　　حبل المعرف أو جاوزت ذا عُشُر
ان الثواء بأرض لا أراكِ بها　　« فاستيقنيه » ثواء حق ذى كَدَر
وما مَلِلت ولكن زاد حبكمُ　　وما ذكرتك الا ظَلْت كالسَّدِر
ولا جَذِلت بشىء كان بعدكمُ　　ولا منحت سواكِ الحب من بشر
أُذْرِي الدموع كذي سُقْم يخامره　　وما يخامرنى سقم سوى الذكر
كم قد ذكرتك لو أُجدى تذكركم　　يا أشبه الناس كل الناس بالقمر

فقال ان لشعر عمر لموقعاً فى القلب ، ومخالطة للنفس ليسا لغيره ، ولو كان شعر يسحر لكان شعره سحرا

كان الحرث بن عبد الله أخو عمر رجلا صالحاً ديناً من سروات قريش ، وكان ينهى أخاه عن قول الشعر فيأبى أن يقبل منه ، فأعطاه الف دينار على ألا يقول شعراً ، فأخذ المال وخرج الي أخواله بلَحج وأبْيَن مخافة أن يهيجه مقامه بمكة على قول الشعر ، فطرب يوماً فقال

هيهات من أمة الوهاب منزلنا　　اذا حللنا بسيف البحر من عدن
واحتلَّ أهلكِ أجياداً وليس لنا　　الا التذكر أو حظ من الحزن
لو أنها أبصرت بالجزع عبْرته　　ظنت بصاحبها أن ليس من وطنى
ما أنس لا أنس يوم الخَيْف موقفها　　وموقفى وكلانا ثَمَّ ذو شَجَن
وقولها للثُّريَّا وهى باكية　　والدمع منها على الخدين ذو سنن
بالله قولي له في غير معْتَبَة　　ماذا أردت بطول المكث فى اليمن
ان كنت حاولت دنيا أو رضيت بها　　فما أخذت بترك الحج من ثمن

فسارت القصيدة حتى سمعها أخوه الحرث فقال والله هذا شعر عمر قد فتَك وغدر

قال مولى لعمر كنت مع عمر وقد أسن وضعف فخرج يوماً يمشي متوكئاً على يدي حتى مرَّ بعجوز جالسة فقال هذه فلانة وكانت إلفاً لي فعدل اليها فسلم عليها وجلس عندها وجعل يحادثها ثم قال هذه التى أقول فيها

ما زال طرفى يَحار اذ برزت حتى التقينا ليلاً على قَدَر

وجلس معها يحادثها فأطلعت رأسها الى البيت وقالت يا بناتى هذا أبو الخطاب عمر بن أبى ربيعة عندى فان كنتن تشتهين أن تَرَيْنَه فتعالَيْنَ ، فجئن الى مضرب قد حجزن به دون بابها ، فجعلن يثقبنه ويضعن أعينهن عليه يبصرن ، فاستسقاها عمر ، فقالت له أي الشراب أحب اليك ؟ قال الماء ، فأُتي باناء فيه ماء ، فشرب ثم ملأ فمه فمجه عليهن وفى وجوههن من وراء الحاجز ، فصاح الجوارى وتهاربن وجعلن يضحكن ، فقالت له العجوز ويلك لا تَدَع مجونك وسفهك مع هذه السن ، فقال لا تلوميني فما ملكت نفسى لما سمعت من ضحكهن أن فعلت ما فعلت

بينما عمر يطوف بالبيت اذ رأى امرأة من أهل العراق فأعجبه جمالها ، فمشى معها حتى عرف موضعها ، ثم أتاها فحادثها وأنشدها وأنشدته وخطبها ، فقالت ان هذا لا يصلح ههنا ولكن ان جئتني الى بلدى وخطبتني الى أهلى تزوجتك ، فلما ارتحلوا جاء الى صديق له من بنى سهم وقال له ان لي اليك حاجة أريد أن تساعدنى عليها ، فقال له نعم ، فأخذ بيده ولم يذكر له ما هى ، ثم أتى منزله فركب نجيباً له وأركبه نجيباً وأخذ معه ما يصلحه وسارا لا يشك السهمى فى أنه يريد سفر يوم أو يومين ، فما زال يخفد حتى لحق بالرفقة ثم سار بسيرهم يحادث المرأة طول طريقه ويسايرها وينزل عندها اذا نزلت حتى ورد العراق فأقام أياماً ثم راسلها يستنجزها وعدها ، فأعلمته أنها كانت متزوجة بابن عم لها وولدت منه أولاداً ثم مات وأوصى بهم وبماله اليها ما لم تتزوج وأنها تخاف فرقة أولادها وزوال النعمة ، وبعثت اليه بخمسة آلاف درهم واعتذرت ، فردها عليها ورحل الى مكة وقال فى ذلك

نام صحبي ولم أنم   من خيال بنا ألم
طاف بالركب موهناً   بين خاخ الى أضم
ثم نبهت صاحباً   طيب الخيم والشيم
أريحياً مساعداً   غير نكس ولا برم
قلت يا عمرو شفني   لاعج الحب والألم
ائت هنداً فقل لها   ليلة الخيف ذى السلم

قال عثمان بن ابراهيم الحاطبي أتيت عمر بن أبي ربيعة بعد أن نسك بسنين وهو فى مجلس قومه من بنى مخزوم فانتظرت حتى تفرق القوم ثم دنوت منه ومعى صاحب لي ظريف وقد كان قال تعال حتى نهيجه على ذكر الغزل فننظر هل بقي فى نفسه منه شيء ، فقال له صاحبي يا أبا الخطاب أكرمك الله لقد أحسن العذرى وأجاد فيما قال ، فنظر اليه عمر ثم قال وماذا قال ؟ قال

لو جز بالسيف رأسى فى مودتها   لمر يهوى سريعاً نحوها راسي

فارتاح عمر الى قوله وقال هاه لقد أجاد وأحسن ، فقلت ولله در جنادة العذرى ، فقال عمر ماذا يقول ويحك ؟ فقلت يقول

سرت لعينك سلمى بعد مغفاها   فبت مستنبهاً من بعد مسراها
وقلت أهلاً وسهلاً ، من هداك لنا ؟   ان كنت تمثالها أو كنت إياها
من حبها أتمنى أن يلاقيني   من نحو بلدتها ناع فينعاها
كيما أقول فراق لا لقاء له   وتضمر النفس يأساً ثم تسلاها
ولو تموت لراعتنى وقلت ألا   يا بؤس للموت ليت الموت أبقاها

فضحك عمر ثم قال وأبيك لقد أحسن وأجاد وما أساء ولقد هيجتما عليّ ساكناً وذكرتمانى ما كان غائباً ولأحدثنكم حديثاً حلواً ، بينا أنا منذ أعوام جالس اذ أتانى خالد الخريت فقال يا أبا الخطاب مرت بى أربع نسوة قبل العشاء يردن موضع

كذا وكذا لم أرَ مثلهن فى بَدْو ولا حضَر فيهن هند بنت الحرث المرّيَّة فهل لك أن تأتيهنَّ متنكراً فتسمع من حديثهن وتتمتع بالنظر اليهن ولا يعلمن من أنت ، فقلت له ويحك وكيف لي أن أخفى نفسى ؟ قال تلبَس لِبْسة أعرابى ثم تجلس على قَعود لي فلا يَشعُرْن الا بك قد هجمت عليهن ، ففعلت ما قال ، وجلست على قَعود ثم أتيتهن فسلمت عليهن ثم وقفت بقربهن فسألننى أن أنشدهن وأحدثهن ، فأنشدتهن لكثَيِّر وجَميل والأحوص ونصيب وغيرهم ، فقلن لي ويحك يا أعرابى ما أملحك وأظرفك لو نزلت وتحدثت معنا يومنا هذا فاذا أمسيت انصرفت فى حفظ الله ، قال فأنخت بعيرى ثم تحدثت معهن وأنشدتهن ، فسررن بى وجذِلن بقربى وأعجبهن حديثى ، ثم انهن تغامزن وجعل بعضهن يقول لبعض كأنا نعرف هذا الأعرابى ما أشبهه بعمر بن أبي ربيعة ، فقالت إحداهن فهو والله عمر ، فمدت هند يدها فانتزعت عمامتى فألقتها عن رأسى ثم قالت هه يا عمر أراك خدعتنا منذ اليوم بل نحن خدعناك واحتلنا عليك بخالد فأرسلناه اليك لتأتينا فى أسوأ هيئة ونحن كما ترى ، ثم أخذنا فى الحديث فحادثتهن ساعة ، ثم ودعتهن وانصرفت ، فذلك قولي

ألم تسأل الأطلال والمتربعا ... ببطن حُلَيَّات دَوارس بلقعا
الى السَّفح من وادى المغَمَّس بدلت ... معالمه وبلا ونكباء زَعْزَعا
فيبخلن أو يخبرن بالعلم بعد ما ... زكأن[1] فؤاداً كان قدماً مفجعا
بهند وأتراب لهند اذ الهوى ... جميع واذ لم نخش أن يتصدعا
واذ نحن مثل الماء كان مزاجه ... كما صفق الساقى الرحيق المشعشعا
واذ لا نطيع الكاشحين ولا نرى ... لواش لدينا يطلب الصَّرم مطمعا
تنوعتُن حتى عاود القلب سقمه ... وحتى تذكرت الحديث المودعا

(١) ضربن

فقلت لمطريهن بالحسن انما ضررت فهل تسطيع نفعاً فتنفعا
وأشريت فاستشرى(١) وان كان قد صحا فؤاد بأمثال المهى كان موزعا
وهيجت قلباً كان قد ودع الصبا وأشياعه فاشفع عسى أن تشفعا
لئن كان ما حدثت حقاً فما أرى كمثل الأولى أطريت فى الناس أربعا
فقال تعال انظر، فقلت وكيف لى؟ أخاف مقاماً أن يشيع فيشنعا
فقال اكتفل ثم التثم فأت باغياً فسلم ولا تكثر بأن تتورعا
فانى سأخفى العين عنك فلا ترى مخافة أن يفشو الحديث فيسمعا
فأقبلت أهوى مثل ما قال صاحبى لموعده أزجى قَعوداً موقعا
فلما تواقفنا وسلمت أشرقت وجوه زَهاها الحسن أن تتقنعا
تبالهن بالعرفان لما عرفننى وقلن امرؤٌ باغ أكلَّ وأوضعا
وقربن أسباب الهوى لمتيم يقيس ذراعاً كلما قسن أصبعا
فلما تنازعن الأحاديث قلن لي أخفت علينا أن نُغر ونخدعا
فبالأمس أرسلنا بذلك خالداً اليك وبينا له الشأن أجمعا
فما جئتنا الا على وفق موعد على ملأ منا خرجنا له معا
رأينا خَلاء من عيون ومجلساً رميث الربا سهل المحلة مُمرعا
وقلن كريم نال وصل كرائم فحق له فى اليوم أن يتمتعا

ومما قاله فى هند هذه

ألم تسأل الأطلال والمنزل الخَلَق ببُرقة ذى ضال فيخبر ان نطق
ذكرت به هنداً فظلت كأننى أخو نشوة لاقى الحوانيت فاغتبق
وموقفها وَهناً علينا ودمعها سريع اذا كفت تحدر واتّسق
وموقف أتراب لها اذ رأيننى بكين وأبدين المعاصم والحَدَق

(١) أشريته أغريته واستشرى لج

رأين لها شجواً فعُجن لشجوها جميعاً وأقللن التنازع والنَّزق
اذ الحبل موصول واذ ودنا معاً جميعاً واذ تخطى الرسائل والملق
وقلن امكثي ما شئت لا من أمامنا نخاف ولا نخشى من الآخر اللحق

ومنها

هاج الغريضَ الذِّكَر لما غدوا فانشمروا
على بغال شُحُج [1] قد ضمهن السفر
فيهن هند ليتني ما عمرت أُعمَّر
حتى اذا ما جاءها حتف أتاني القدر

ومنها

تصابى وما كل التصابي بطائل وعاود من هند جوًى غير زائل
عشية قالت صدعت غربة النوى فما من تلاقٍ قد أرى دون قابل
وما أنسَ مِ الأشياء لا أنس مجلساً لنا مرة منها بقَرْن المنازل
بنخلة بين النخلتين يُكننا من الغيث عند العين برد المراجل

اجتمع جميل وعمر بالأبطح فأنشد جميل قصيدته التي يقول فيها

لقد فرح الواشون أن صرمت حبلي بُثَينة أو أبدت لنا جانب البخل

ثم قال لعمر هل قلت في هذا الرويّ شيئاً ؟ قال نعم ، قال فأنشدنيه ، فأنشده قوله

جرى ناصح بالود بيني وبينها فقربني يوم الحِصَاب [2] الى قتلي
فطارت بحد من سهامي وقارنت قرينتها حبل الصفاء الى حبلي
فلما تواقفنا عرفت الذي بها كمثل الذي بي حذوك النعل بالنعل
فقلت لها هذا عشاء وأهلنا قريب ألمَّا تسأمي مركب البغل
فقالت فما شئتن ، قلن لها انزلي فللأرض خير من وقوف على رجل

(١) الشحيج صوت البغل وفعله شحج كجعل وضرب (٢) موضع رمي الجمار بمنى

نجوم دَرَارِيّ تكنفن صورة ... من البدر وافت غير هُوج ولا عُجْل
فسلمت واستأنست خيفة أن يرى ... عدو مقامى أو يرى كاشح فعلى
فقالت وأرخت جانب الستر انما ... معى فتكلم غير ذي رِقبة أهلى
فقلت لها مابى لهم من ترقب ... ولكن سرى ليس يحمله مثلى
فلما اقتصرنا دونهن حديثنا ... وهن طَبِنات بحاجة ذي الشكل
عرفن الذي تهوى فقلن ائذنى لنا ... نَطُفْ ساعة فى برد ليل وفى سهل
فقالت فلا تلبثن ، قلن تحدثى ... أتيناك وانسبْنَ انسياب مَهَا الرمل
وقمن وقد أفهمن ذا اللب أنما ... أتين الذى يأتين من ذاك من أجلى

فقال جميل هيهات يا أبا الخطاب لا أقول مثل هذا سَجِيس الليالى ، والله ما خاطب النساء مثلك أحد ، وسمع الفرزدق هذه القصيدة فلما بلغ قوله « وقمن وقد أفهمن ذا اللب أنما » صاح وقال هذا والله الذى أرادته فأخطأته الشعراء وبكت على الديار

قال الزبير بن بكار أدركت مشيخة من قريش لا يَزِنون بعمر بن أبى ربيعة شاعراً من أهل دهره فى النسيب ويستحسنون منه ما كانوا يستقبحونه من غيره من مدح نفسه والتحلى بمودته والابتيار (١) فى شعره

قال مصعب راق عمر بن أبى ربيعة الناس وفاق نظراءه وبرعهم بسهولة الشعر وشدة الأَسْر ، من ذلك قوله

فلما توافقنا وسلمت أشرقت ... وجوه زَهاها الحسن أن تتقنعا
تبالَهْنَ بالعرفان لما عرفنني ... وقلن امرؤ باغ أَكَلَّ وأوضعا

وحسن الوصف من ذلك قوله

لها من الرِّيم عيناه وسُنَّته ... وغُرَّة السابق المختال اذ صهلا

(١) الابتيار أن يفعل الانسان الشيء فيذكره ويفخر به والابتهار أن يقول مالا يفعل

ودقة معناه وصواب مصدره ، من ذلك قوله

عوجا نُحيِّ الطَّلَلَ المُحْوِلا   والربع من أسماء والمنزلا
بسابع البَوْباة لم يَعْدُه   تقادم العهد بأن يؤهلا

وقصده للحاجة ، من ذلك قوله

أيها المنكح الثريا سهيلا   عمرَكَ الله كيف يلتقيان
هي شامية اذاما استقلت   وسهيل اذا استقل يمان

واستنطاقه الربع، من ذلك قوله

« سائلا الربع بالبلى وقولا » الأبيات

وانطاقه للقلب ، من ذلك قوله

قال لى فيها عتيق مقالا   فجرت مما يقول الدموع
قال لي وَدِّع سليمى ودعها   فأجاب القلب لا أستطيع

وحسن عزائه ، من ذلك قوله

أألحق أن دار الرباب تباعدت   اذا انبتّ حبل أن قلبك طائر
أفق قد أفاق العاشقون وفارقوا الـــهوى واستمرت بالرحيل المرائر
زَعِ النفس واستبق الحياة فانما   تُباعد أو تدنى الرَّباب المقادر
امِتْ حبها واجعل قديم وصالها   وعشرتها كمثل من لا تعاشر
وهَبْها كشىء لم يكن أو كنازح   به الدار أو من غيبته المقابر
وكالناس عُلقت الرباب فلا تكن   أحاديث من يبدو ومن هو حاضر

وحسن غزله فى مخاطبة النساء ، قال الزبيرى وقد أجمع أهل بلدنا ممن لهم علم بالشعر ان هذه الأبيات أغزل ما سمعوا وهى

تقول غداة التقينا الرَّباب   أيا ذا أفلت افول السِّماك
وكفت سوابق من عبرة   كما ارفضَّ نظم ضعيف السلاك

فقلت لها من يطع فى الصديـــق أعداءه يجتنبه كذاك
أغرك أنى عصيت الملا م فيك وان هوانا هواك
وألَّا أرى لذة فى الحياة تقرّ بها العين حتى أراك
فكان من الذنب لى عندكم مكارمتى واتباعى رضاك
فليت الذى لام فى حبكم وفى أن تُزارى بقَرْن وقاك
هموم الحياة وأسقامها وان كان حتف جهيد فداك

وعفة مقاله ، من ذلك قوله

طال ليلى واعتادنى اليوم سقم وأصابت مقاتلَ القلب نُعْم
حلوة الوجه والشمائل والجو هر تكليمها لمن نال غُنْم
وحديث بمثله تنزل العُصْـــمُ رخيم يشوب ذلك حلْم
هكذا وصف ما بدا لى منها ليس لي بالذي تغيب علم
ان تجودى أو تبخَلي فبحمد لستِ يا نعم فيهما من يذم

وقلة انتقاله ، من ذلك قوله

أيها القائل غير الصواب أمسك النصح وأقلل عتابى
واجتنبنى واعلمن أن ستعصى ولك الخير لك طول اجتنابى
ان تقل نصحاً فعن ظهر غش دائم الغمر بعيد الذهاب
ليس لى علم بما قلت انى علم أفهم رجع الجواب
انما قرة عيني هواها فدع اللوم وكِلْني لما بى
لا تلمنى فى الرَّباب وأمست عدَلت للنفس بَرْدَ الشراب
هى والله الذى هو ربى صادقاً أحلف غير الكِذاب
أكرم الأحياء طراً علينا عند قرب منهم واجتناب

خاطبتني ساعة وهي تبكي ثم عزّت خُلتي في الخطاب
وكفاني مذرهاً لخصوم لو سواها عند جد تباب

واثباته الحجة ، من ذلك قوله

خليلي بعضَ اللوم لاترحلا به رفيقكما حتى تقولا على علم
خليلي من يكْلف بآخر كالذي كَلِفت به يدمل فؤاداً على سقم
خليلي ماكانت تصاب مقاتلي ولاغرتي حتى وقعت علي نُعْم
خليلي حتى أُفَّ حبلي بخادع مُوَقّىً اذا يُرمى صيوداً اذا يَرمي
خليلي لو يرقى خليل من الهوى رقَيت بمايدني النّوار من العُصْم
خليلي ان باعدت لانت وان ألِن تَباعدَ فلم أنْبُل بحرب ولا سلم

وترجيحه الشك في موضع اليقين ، من ذلك قوله

نظرت اليها بالمحَصَّب من مني ولي نظر لولا التحرجُ عارم
فقلت أشمس أم مصابيح بيعة بدت لك خلف السّجف أم أنت حالم
بعيدة مَهْوَى القُرط إما لنوفل أبوها وإما عبدُ شمس وهاشم
ومد عليها السّجف يوم لقيتها على عجل تُبّاعها والخوادم
فلم أستطعها غير أن قد بدا لنا عشية راحت وجهها والمعاصم
معاصم لم تضرب على البَهْم بالضحى عصاها ووجه لم تلحْه السمائم
نُضار ترى فيه أساريع مائه صبيح تغاديه الأكفُّ النواعم
أذا مادعت أترابها يكتنفنها تمايلن أو مالت بهن المآكم
طلبن الصبّا حتى اذا ما أصبنه نزعن وهن المسلمات الظوالم

وطلاوة اعتذاره ، من ذلك قوله

عاود القلب بعضُ ماقد شجاه من حبيب أمسى هوانا هواه

يالقومى فكيف أصبر عمن لاترى النفس طيب عيش سواه
أرسلت اذ رأت بعادي ألاَّ يقبلَن فى مُحَرِّشاً ان أتاه
دون أن يسمع المقالة منا وليُطعْنى فان عندى رضاه
لاتُطِع بى فدتك نفسى عدواً لحديث على هواه افتراه
لاتطع بى من لو يرانى وإيا كِ أسيرَىْ ضرورة ما عناه
ماضِرارى نفسى بهجرمن ليـس مسيئاً ولا بعيداً تراه
واجتنابى بيت الحبيب وما الخُلْـد بأشهى إليَّ من أن أراه

وعطفه المساءة على العُذَّال ، من ذلك قوله

لاتلُمنى عتيقُ حسبي الذي بي ان بى ياعتيق ما قد كفانى
لاتلمنى وأنت زينتها لى أنت مثل الشيطان للانسان

وحسن تفجعه ، من ذلك قوله

هجرتَ الحبيبَ اليوم من غير ماجترم وقطَّعت من ذى ودك الحبل فانصرم
أطعت الوُشاة الكاشحين ومن يُطع مقالة واش يَقْرَع السن من ندم
أتانى عدو كنت أحسب أنه شفيق علينا ناصح كالذي زعم
فلما تباثثنا الحديث وصرَّحت سرائره عن بعض ما كان قد كتم
تبين لى ان المحرِّش كاذب فعندى لك العُتْبَى على رَغم من رَغِم
فلم أر لوم النفس بعد الذى مضى وبعد الذى آلت وآليت من قسم
خلامت ولم تعتب وكان رسولها اليك سريعاً بالرضا لك اذ ظلم

وتبخيله المنازل ، من ذلك قوله

عرفت مَصِيف الحى والمتربَّعا ببطن حَليَّات دوارس بَلْقَعا
أرى السرح من وادى العقيق تبدلت معالمه وَبْلا ونكباء زعزعا
فيبخلن أو يخبرن بالعلم بعدما نَكأن فؤاداً كان قدماً مفجعا

وصدق الصفاء ، من ذلك قوله

كلِ وصل أمسى لديكِ لأنثى   غيرها وصلها اليها أداء
كل أنثى وإن دنت لوصال   أو نأت فهى للرَّباب الفداء

وقوله

أحب لحبك من لم يكن   صفياً لنفسى ولا صاحبا
وأبذُل مالي لمرضاتكم   وأُعتِب من جاءكم عاتبا
وأرغب فى ود من لم أكن   الى وده قبلكم راغبا
ولو سلك الناس فى جانب   من الأرض واعتزلت جانبا
ليممت طيتهـا اننى   أرى قربها العجب العاجبا

ومما قدح فيه فأورى قوله

طال ليلى وتعنانى الطرب   واعترانى طول هم ووَصَب
أرسلت أسماء فى مَعتَبة   عتبتها وهى أحلى مَن عتب
أن أتى منها رسول مَوْهِناً   وجد الحى نياماً فانقلب
ضرب الباب فلم يشعر به   أحد يفتح باباً إذ ضرب
قال أيقاظ ولكن حاجة   عرضت تكتم منا فاحتجب
ولعَمْدا رَدّنى فاجتهدت   بيمين حلِفة عند الغضب
يشهد الرحمن لا يجمعنا   سقف بيت رجباً بعد رجب
قلت حلاً فاقبلى معذرتى   ما كذا يجزي محب من أحب
ان كفي لكِ رَهْن بالرضا   فاقبلى ياهند ، قالت قد وجب

ومن شعره الذى اعتذر فيه فأبرأ قوله

فالتقينا فرحبَتْ حين سلمـت وكفّت دمعاً من العين نارا
ثم قالت عند العتاب رأينا   منك عنا تجلداً وازورارا

قلت كلا لاه ابن عمك بل خفـــنا أموراً كنا بها أغمارا
فجعلنا الصدود لما خشينا قالة الناس للهوى أستارا
ليس كالعهد اذ عهدت ولكن أوقد الناس بالنميمة نارا
فلذاك الاعراض عنه وما آ ثر قلبي عليك أخرى اختيارا
لا أبالي اذا النوى قربتكم فدنوتم من حل أو من سارا
فالليالي اذا نأيت طوال وأراها اذا قربت قصارا

ومن تشكيه الذى أشجى فيه قوله

لعمرك ماجاوزت غُمْدان[1] طائعاً وقصر شَعوب أن أكون به صبًا
ولكن حُمّى أضرعتني[2] ثلاثة مُجرَّمة ثم استمرت بنا غِبّا
وحتى لو آن الخلد يعرض اذ مشت الى الباب رجلى ما نقلت لها اربا
فانك لو أبصرت يوم سوَيقة مُناخي وحبسى العِيسَ دامية حُدْبا
ومَصْرَع اخوانى كأن أنينهم أنين المكاكي صادفت بلداً خِصْبا
اذاً لاقشعر الرأس منك عجابة ولا استفرغت عيناك من سَكْبِهِ غَرْبا

ومن اقدامه عن خبرة، ولم يعتذر بغرة، قوله

صرمت وواصلت حتي عرفـــت أين المصادر والمورد
وجربت من ذاك حتى عرفـــت ما أتوَقى وما أحمِد

ومن أسره النوم قوله

نام صحبى وبات نومى أسيرا أرقب النجم موْهِناً أن يغورا

ومن غمه الطير قوله

فرحنا وقلنا للغلام اقض حاجة لنا ثم أدركنا ولا تتغير

---

(١) قصر باليمن وقصر شعوب باليمن أيضاً معروف بالارتفاع (٢) أضرعته الحمى أذلته وفى المثل الحمى أضرعتنى عند النوم يضرب فى الذل عند الحاجة

سراعاً نُعْمُ الطيران سنحت لنا　　وان تلقنا الركبان لا نتحير

ومن اغذاذه السير قوله

قلت سيرا ولا تقيما بيُصْرَى　　وحَفير فما أحب حفيرا
واذا ما مررتما بعُمان　　فأقِلاَّ به الثَّواء وسيرا
انما قصرنا اذا حسّر السير　　بعيراً أن نستجد بعيرا

ومن تحييره ماء الشباب قوله

أبرزوها مثل المهاة تَهادَى　　بين خمس كواعب أتراب
ثم قالوا تحبها قلت بَهْراً　　عدد القطر والحصا والتراب
وهي مكنونة تحيّر منها　　في أديم الخدين ماء الشباب

ومن تقويله وتسهيله قوله

قالت على رِقْبة يوماً لجارتها　　ما تأمرين ؟ فان القلب قد تبِلا
وهل لي اليوم من أخت موافية　　منكن أشكو اليها بعض ما فعلا
فراجعتها حَصان غير فاحشة　　برَجْع قول ولب لم يكن خطِلا
لا تذكري حبه حتى أراجعه　　اني سأكفيكِه ان لم أمت عجلا
فاقْنَىْ حياءك في ستر وفي كرم　　فلستِ أول أنثى عُلِّقت رجلا

وأما ماقاس الهوى فقوله

وقربن أسباب الهوى لمتيم　　يقيس ذراعاً كلما قسْن أصبعا

ومن عصيانه وإخلائه قوله

وأنِصُّ(١) المطي يتبعن بالركـ　　ـب سراعاً نواعم الأظعان
فنصيد الغرير من بقر الوحـ　　ـش ونلهو بلذة الفتيان
في زمان لو كنت فيه ضجيعي　　غير شك عرفت لي عصياني

---

(١) نص ناقته استحثها واستقصى آخر ماعندها من السير

وتقلبت في الفراش ولاتدريـــن الا الظنون أين مكاني

ومن محالفته بسمعه وطرفه

سمعي وطرفي حليفاها على جسدي فكيف أصبر عن سمعي وعن بصري

لو طاوعاني على ألاَّ أكلمها اذاً لقضَّيت من أوطارها وطري

ومن اتراصه[1] نعت الرسل

فبعثت كاتمة الحديـــث رقيقة بجوابها

وحشية انســية خراجة من بابها

فرقت فسهلت المعا رض من سبيل نقابها

ومن اعلانه الحب واسراره

شكوت الحب أعلن بعضه وأخفيت منه في الفؤاد غليلا

ومما بطن فيه وأظهر

حبكم يا آل ليلى قاتلي ظهر الحب بجسمي وبَطَن

ليس حب فوق ما أحببتكم غير أن أقتل نفسي أو أُجَن

ومما ألح فيه وأسف

ليت حظي كطَرفة العين منها وكثير منها القليل المهنّا

أو حديث على خلاء يُسَلّي ما يُجِنّ الفؤاد منها ومنا

كبرت ربَّ نعمةً منك يوماً أن أراها قبل الممات ومنّا

ومن جنيه الحديث

وجوارٍ مساعفات على اللهـــو مُسِرّات باطن الأضغان

صَيد للرجال يرشُقْن بالطَّر ف حسان كخُذَّل الغزلان

قد دعاني وقد دعاهن للهو شجون من أعجب الأشجان

---

(١) أترص الشيء أحكمه وقومه وورد في الاصل بالباء ولامعنى له

فاجتنينا من الحديث ثماراً ما جنى مثلها لعمرك جان

ومن ضربه الحديث ظهراً لبطن

فى خلاء من الأنيس وأمن فبثثنا غليلنا واشتفينا
وضربنا الحديث ظهراً لبطن وأتينا من أمرنا ما هوينا
فمكثنا بذاك عشر ليال فى قضاء لديننا واقتضينا

ومن إذلاله صعب الحديث

فلما أفضنا فى الهوى نستبينه وعاد لنا صعب الحديث ذلولا
شكوت اليها الحب أظهر بعضه وأخفيت منه فى الفؤاد غليلا

ومن قناعته بالرجاء من الوفاء قوله

فعِدى نائلاً وان لم تُنيلى انه ينفع المحب الرجاء

ومن إعلائه قاتله

فبعثت جاريتى فقلت لها اذهبى واشكي اليها ما علمت وسلمى
قولي يقول تحرجى فى عاشق كلِف بكم حتى الممات مقسَّم
ويقول انك قد علمت بأنكم أصبحتمُ يا بسر أوجه ذى دم
فكي رهينته فان لم تفعلي فاءلى على قتل ابن عمك واسلمى
فتضاحكت عجباً وقالت همه ألاَّ يعلِّمنا بما لم نعلم
علمى به والله يغفر ذنبه فيما بدا لي ذو هوى متقسم
طرف ينازعه الى أدنى الهوى ويتّ خلة ذى الوصال الأقدم

ومن تنفيضه النوم

فلما فقدت الصوت منهم وأطفئت مصابيح شُبَّت بالعشاء وأنؤر
وغاب قمير كنت أرجو غيوبه وروَّح رعيان ونوَّم سمر
ونفَّضت عنى النوم أقبلت مشية الحُباب ركني خشية القوم أزور

ومن إغلاقه رهن نفس واهداره قتلاه

فكم من قتيل ما يُباء به دم ومن غلَق رهناً اذا لفه مِنى
ومن مالىء عينيه من شيء غيره اذا راح نحو الجمرة البيض كالدُّمى

وكان بعد هذا كله شاعراً فصيحاً مقولاً

نظر عمر الى رجل يكلم امرأة فى الطواف فعاب ذلك عليه وأنكره ، فقال انها ابنة عمى ، قال ذاك أشنع لأمرك ، فقال انى خطبتها الى عمى فأبى الا بصداق أربعمائة دينار وأنا غير مطيق ذلك وشكا اليه من حبها وكلفه بها أمراً عظيماً وتحمل به على عمه ، فسار معه اليه فكلمه ، فقال هو مُملق وليس له ما أصلح به أمره ، فقال له عمر وكم الذى تريده منه ؟ قال أربعمائة دينار ، فقال له هى عليَّ فزوجه

كان عمر حين أسن حلف ألا يقول بيت شعر الا أعتق رقبة ، فانصرف عمر الى منزله يحدث نفسه فجعلت جارية له تكلمه فلا يرد عليها جواباً ، فقالت له ان لك لأمراً وأراك تريد أن تقول شعراً ، فقال

تقول وليدتى لما رأتنى طَربت وكنت قد أقصرت حينا
أراك اليوم قد أحدثت شوقاً وهاج لك الهوى داء دفينا
وكنت زعمت أنك ذو عزاء اذا ما شئت فارقت القرينا
بربك هل أتاك لها رسول فشاقك أم لقيت لها خدينا
فقلت شكا إليَّ أخ محب كبعض زماننا اذ تعلمينا
فقص عليَّ ما يلقى بهند فذكَّر بعض ما كنا نسينا
وذو الشوق القديم وان تعزى مشوق حين يلقى العاشقينا
وكم من خلة أعرضت عنها لغير قِلًى وكنت بها ضنينا
أردت بعادها فصددت عنها ولو جن الفؤاد بها جنونا

ثم دعا تسعة من رقيقه فأعتقهم لكل بيت واحد

كان عمر يساير عروة بن الزبير ويحادثه ، فقال له وأين زين المواكب ؟ يعني ابنه محمد بن عروة ، وكان يسمى بذلك لجماله ، فقال عروة هو أمامك ، فركض يطلبه فقال له عروة يا أبا الخطاب أولسنا أكفاء كراماً لمحادثتك ومسايرتك ؟ فقال بلى بأبي أنت وأمي ولكني مغرًى بهذا الجمال أتبعه حيث كان ، ثم التفت اليه وقال

انى امرؤ مولَع بالحسن أتبعه لا حظ لي فيه الا لذّة النظر

ثم مضى حتى لحقه فسار معه وجعل عروة يضحك من كلامه تعجباً منه

رأى عمر رجلاً يطوف بالبيت قد بهر الناس بجماله وتمامه فسأل عنه ، فقيل له هذا مالك بن أسماء بن خارجة ، فجاءه فسلم عليه وقال له يا ابن أخي مازلت أتشوقك مذ بلغني قولك[1]

ان لي عند كل نفحة بستا ن من الورد أو من الياسمينا
نظرةً والتفاتة أتمنى أن تكونى حللت فيمن يلينا

ومن شعر عمر

يقولون انى لست أصدُقك الهوى وإنيَ لا أرعاك حين تغيب
فما بال طرفى عفّ عما تساقطت له أعين من معشر وقلوب
عشية لا يستنكف القوم أن يرَوْا سَفاه امرىء مما يقال لبيب
ولا فتنة من ناسك أومضت له بعين الصبي كَسْلَى القيام لعوب
تروّح يرجو أن تُحَطّ ذنوبه فآب وقد زادت عليه ذنوب
وما النسك أسلانى ولكن للهوى على العين مني والفؤاد رقيب

اتّعد عمر ونسوة من قريش العقيق للحديث فتحدثوا ملياً ومطروا ، فقام عمر والغريض وجاريتان للنسوة فأظلوا عليهن بمُطْرَفه وبردين له حتى استترن من المطر الى أن سكن ، فقال عمر

(١) رسمت كلمة بستان فى ص ٨١ من الجزء الرابع خطأ حيث كتبت بستاناً وكلها فى الشطر الاول والصواب ما هنا وهى مضاف اليه واسم ان فى البيت الثانى نظرة

ألم تسأل المنزل المقفرا ... بياناً فيكلم أو يخبرا
ذكرت له بعض ما قد شجاك ... وحق لذى الشجو أن يذكرا
مقام المحبين اذ ظاهرا ... كساء وبردين أن يمطرا
وممشى الثلاث به موهناً ... خرجن الى زائر زورا
الى مجلس من وراء القبا ... ب سهل الربا طيب أعفرا
غفلن عن الليل حتى بدت ... تباشير من واضح أسفرا
فقمن يقفين آثارنا ... بأكسية الخز أن يقفرا
مهاتان شيعتنا ربربا ... أسيلا مقلده أحورا
وقمن وقلن لو ان النها ... ر مد له الليل فاستأخرا
قضينا به بعض أشجاننا ... وكان الحديث به أجدرا

وقال فى مثل هذا المعنى

أفى رسم دار دمعك المترقرق ... سفاهاً وما استنطاق ما ليس ينطق
بحيث التقى جمع ومفضى محسر ... مغانى قد كانت على العهد تخلق
ذكرت به ما قد مضى من زماننا ... وذكرك رسم الدار مما يشوق
مقاماً لنا عند العشاء ومجلساً ... به لم يكدره علينا معوق
وممشى فتاة بالكساء يكنها ... به تحت عين برقها يتألق
يبل أعالي الثوب قطر وتحته ... شعاع بدا يعشى العيون ويشرق
فأحسن شىء بدء أول ليلة ... وآخره حزن اذا يتفرق

ومما قاله وفيه غناء

صرمت حبلك البغوم وصدت ... عنك فى غير ريبة أسماء
والغوانى اذا رأينك كهلاً ... كان فيهن عن هواك التواء
حبذا أنت يا بغوم وأسما ... ء وعيش يكفنا وخلاء

ولقد قلت ليلة الجزل لمـــا أخضلت ريطتى علىّ السماء
ليت شعرى وهل يردّن ليتٌ هل لهذا عند الرّباب جزاء
كل وصل أمسى لدىّ لأنثى غيرها وصـــلها اليها أداء
كل خلق وان دنا لوصال أو نأى فهو للرباب الفـــداء
فعِدى نائلاً وان لم تنيلى انما ينفع المحب الرجاء

حجت أمّ محمد بنت مروان بن الحكم فلما قضت نسكها أتت عمر وقد أخفت نفسها فى نسوة ، فحدثها ملياً ، فلما انصرفت أتبعها عمر رسولاً عرف موضعها وسأل عنها حتى أثبتها ، فعادت اليه بعد ذلك فأخبرها بمعرفته إياها ، فقالت نشدتك الله أن تشهرنى بشعرك وبعثت اليه بألف دينار ، فقبلها وابتاع بها حللاً وطيباً فأهداه اليها ، فردته ، فقال لها والله لئن لم تقبليه لأُنهبنه فيكون مشهوراً ، فقبلته ، فقال فيها

أيها الراكب المجد ابتكارا قد قضى من تهامة الأوطارا
من يكن قلبه صحيحاً سليماً ففؤادي بالخَيف أمسى مُعارا
ليت ذا الدهر كان حتماً علينا كل يومين حجة واعتمارا

وقال فى حميدة جارية ابن ماجه

حُمِّل القلب من حُميدة ثقلاً ان فى ذاك للفؤاد لشــغلا
ان فعلتِ الذى سألتُ فقولي حمْدَ خيراً وأتبعى القول فعلا
وصليني فأشهد الله انى لست أصفى سواك ما عشت وصلا

وفيها يقول

يا قلب هل لك عن حميدة زاجر أم أنت مذّكر الحياء فصابر
فالقلب من ذكرى حميدة موجَع والدمع منحدر ودمعى فاتر
قد كنت أحسب أنني قبل الذى فعلت على ما عند حمدة قادر

حتى بدا لي من حميدة خلتي بَيْنٌ وكنت من الفراق أحاذر

ومن قوله في هند بنت الحرث المرية

أصبح القلب مريضاً راجع الحب الغريضا
وأجدَّ الشوق وهناً أن أرى برقاً وميضا
ثم بات الركب نوّا مًا ولم أطعم غموضا
ذاك من هند قديماً تركها القلب مهيضا
اذ تبدت لي فأبدت واضح اللون نحيضا
وعِذاب الطعم غُراً كأقاح الرمل بيضا

ومنها

اربت الى هند وتربين مرة لها اذا تواقفنا بفرغ المقطع
وقالت فتاة كنت أحسب أنها مغفلة في مئزر لم تدرَّع
لهن وماشاورنها ليس ماأرى بحسن جزاء للحبيب المودع
فقلن لها الا شاب قرنك فافتحي لنا الباب مايخفى من الأمر نسمع

ومنها

لما ألمّت بأصحابي وقد هجعوا حسبت وسط رحال القوم عطّارا
من طيب نشر التي تامتك اذ طرقت ونفحك المسك والكافور اذ ثارا
فقلت من ذا المحيي وانتبهت له ومن محدثنا هذا الذى زارا
قالت محباً رماه الحب آونة وهيجته دواعي الحب اذ حارا
ألا انزلوا نعمت دار بقربكم أهلاً وسهلاً بكم من زائر زارا

وأول هذه القصيدة

يا صاحبي قفا نستخبر الدارا أقوت فهاجت لنا بالنعف تذكارا
تبدل الربع ممن كان يسكنه أُدم الظباء به يمشين اسنارا

وقد أرى مرة سرباً بها حسناً مثل الجآذر لم يمسسن أبكارا
فيهن هند وهند لاشبيه لها فيمن أقام من الأحياء أو سارا
هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة تخالها فى ثياب العصب دينارا
تفترّ عن ذى غروب طعمه ضَرَب تخاله بَرَداً من مُزْنة مارا
كأن عقد وشاحيها على رشأٍ يقرو من الروض روض الحزن أثمارا
قامت تهادَى وأتراب لها معها هوناً تدافع سيل الزُّل اذ مارا
يمن مورقة الأفنان دانية وفى الخلاء فما يؤنسن ديارا
تقول ليت أبا الخطاب واقفنا كى نلهوَ اليوم أويُنشدنا أشعارا
فلم يَرُعهن الا العيس طالعة بالقوم يحملن ركباناً وأكوارا
وفارس يحمل البازى فقلن له هاهم أولاء وما أكثرن اكثارا
لما وقفنا وريعنا ركائبنا بدلن بالعرف بعد الرجع انكارا
قلن انزلوا نعمت دار بقربكمُ أهلاً وسهلاً بكم من زائر زارا

ومنها

ألم تربع على الطلل ومَغنى الحى كالخلل
تعفَّى رسمه الأروا ح من صبا ومن شمَل
وأنداء تباكره وجون واكف السبل
لهند ان هنداً حبـها قد كان من شغلى
ليالى تستبى عقلي بوحف وارد جثِل
وعيني مُغْزِلٍ حورا ء لم تكحل من الخذل
فلما أن عرفت الدا ر عجت لرسلها جملى
وقلت لصاحبى عوجا فعاجوا هزّة الابل
وقالوا قف ولا تعجل وان كنا على عجل

قليل في هواك اليو　　م ما نلقى من العمل

ومنها

هاج ذا القلب منزل　　بالبَلِيَّين مُحْـــوِلِ
غـيرت آيه الصبا　　وجنـــوب وشمأل
ولقــد كان آهلا　　فيـــه ظبي مبتل
طيب النشر واضح　　أحور العين أكحل
فلئن بان أهـله　　فبما كان يؤهـــل
قد أرانا بغبطـة　　فيه نلهو ونجـذل
بجوار خـــرائد　　ذاك والود يبـذل
ان هنداً قد أرسلت　　وأخو الشوق مرسل
أرسلت تسـتحثني　　وتُقَــدِّي وتعـذُل
أين بات ليلة　　بين غصنين يذبل
تحت عـين يكننا　　برد عصب مهلهـل

ومنها

ياصاح هل تدري وقد جَمدت　　عيني بمـا أُخفي من الوجد
لما رأيت ديارها دَرَسَت　　وتبدلت أعلامهـا بعدي
وذكرت مجلسها ومجلسنا　　ذات العشاء بمهبط النجد
ورسالة منهـا تعاتبني　　فرددت مَعْتَبة على هنـد

ومنها

ليت هنداً أنجزتنا ماتعد　　وشفت أنفسنا ممـا نجد
واستبدت مرة واحـدة　　انمـا العاجز من لايستبد
ولقد قالت لجارات لهـا　　ذات يوم وتعرت تبترد

أكما ينعتنى تبصرنني ... عمرّ كن الله أم لا يقتصد

فتضاحكن وقد قلن لها ... حسن فى كل عين من تود

حسداً حملنه من أجلها ... وقديماً كان فى الناس الحسد

غادة تفترّ عن أشنبة ... حين تجلوه أقاح أو برد

ولها عينان فى طرفيهما ... حور منها وفى الجيد غيد

ولقد أذكر اذ قيل لها ... ودموعى فوق خدي تطّرِد

قلت من أنت؟ فقالت أنا من ... شفه الوجد وأبلاه الكمد

نحن أهل الخيف من أهل منى ... ما لمقتول قتلناه قود

انما ضلل قلبى فاحتوى ... صعدة في سابرى تطرد

انما أهلك جيران لنا ... انما نحن وهم شىء أحد

حدثونى انها لى نفثت ... عقداً يا حبذا تلك العقد

كلما قلت متى ميعادنا ... ضحكت هند وقالت بعد غد

ومنها

يامن لقلب دنِف مغرمِ ... هام الى هند ولم يظلمِ

هام الى ريم هضيم الحشى ... عذب الثنايا طيب المبسم

لم أحسب الشمس بليل بدت ... قبلى لذي لحم ولا ذى دمِ

قالت ألا انك ذو ملّة ... يصرفك الأدنى عن الأقدمِ

قلت لها بل أنت معتلة ... فى الوصل ياهند لكى تصرمى

ومنها

لج قلبى في التصابى ... وازدهى عنى شبابى

ودعانى لهوى هنـــد فؤاد غير ناب

قلت لما فاضت العينا ... ن دمعاً ذا انسكاب

ان جفتنى اليوم هند بعد ود واقتراب
فسبيل الناس طراً لفناء وذهاب

وشبب عمر بفاطمة بنت عبد الملك بن مروان ، ومن قوله فيها

ضاق الغداة بحاجتي صدرى ويئست بعد تقارب الأمر
وذكرت فاطمة التى علقت عرَضاً فيا لحوادث الدهر
ممكورة ردْع العبير بها جمّ العظام لطيفة الخصر
وكأن فاها عند رقدتها تجرى عليه سُلافة الخمر
ومجيد آدم شادن خرِق يرعى الرياض ببلدة قفْر
لما رأيت مطيها حُزُقا خفق الفؤاد وكنت ذا صبر
وتبادرت عيناى بعدهم وانهلّ مدمعها على الصدر
ولقد عصيت ذوى أقاربها طراً وأهل الود والصهر
حتى لقد قالوا وقد كذبوا أجننت أم بك داخل السحر

ولما قدمت فاطمة بنت عبد الملك مكة جعل عمر يدور حولها ويقول فيها الشعر ولا يذكر اسمها فرقاً من عبد الملك ومن الحجاج ، لأنه كان كتب اليه يتوعده ان ذكرها أو عرض بذكرها ، فلما قضت حجها وارتحلت أنشأ يقول

كدت يوم الرحيل أقضى حياتى ليتني مت قبل يوم الرحيل
لا أطيق الكلام من شدة الخو ف ودمعى يسيل كلّ مسيل
ذرفت عينها وفاضت دموعى وكلانا يلقى بلب أصيل
لو خلت خلتى أصبت نوالاً أو حديثاً يشفى من التنويل

وفيها يقول

يا خليلي شفني الذّكر وحمول الحى اذ صدروا
ضربوا حمرة القباب لها وأديرت حولها الحُجَر

سلكوا شعب النقاب بها زمراً تحثها زمر
وطرقت الحى مكتتما ومعي عضب به أثر (١)
وأخ لم أخش نبوته بتوخى أمرهم خبر
واذا ريم على فرش فى حجال الخز مختدر
حوله الأحراس ترقبه نوم من طول ماسهروا
أشبهوا القتلى وما قتلوا ذاك الا أنهم سمروا
فدعت بالويل ثم دعت حرة من شأنها الخفر
ثم قالت للتى معها ويح نفسى قد أتى عمر
ماله قد جاء يطرقنا ويرى الأعداء قدحضروا
لشقائى كان علقنا ولحيني ساقه القدر
قلت عرضى دون عرضكم ولمن ناوا كم الحجر

بينما عمر يطوف بالبيت اذ رأى عائشة بنت طلحة ، وكانت من أجمل أهل دهرها ، وهى تريد الركن تستلمه فبهت لما رآها ورأته ، وعلمت أنها قد وقعت فى نفسه ، فبعثت اليه بجارية لها وقالت قولي له اتق الله ولا تقل هجراً فان هـذا مقام لابد فيه مما رأيت ، فقال للجارية اقرئيها السلام وقولى لها ان ابن عمك لايقول إلا حسناً ، وقال فيها

لعائشة ابنة التيمى عندى حمى فى القلب ما يرعى حماها
يذكرنى ابنة التيمى ظبى يرود بروضة سهل رباها
فقلت له وكاد يراع قلبي فلم أر قط كاليوم اشتباها
سوى حمش بساقك مستبين وان شواك لم يشبه شواها

(١) الأثر بالفتح جوهر السيف

وانك عاطل عار وليست بعاربة ولا عُطُل يداها
وانك غير أفرع[1] وهى تُذنى على المتنين أسحمَ قد كساها
ولو قعدت ولم تكلّف بود سوى ماقد كَلفت به كفاها
أظلّ اذا أكلمها كأنى أكلم حية غلبت رُقاها
تبيت الىّ بعد النوم تسرى وقد أمسيت لا أخشى سراها

وقال فيها أشعاراً كثيرة فبلغ ذلك فتيان بنى تيم ، أبلغهم اياه فتى منهم وقال لهم يابنى تيم بن مرة ها الله ليقذفن بنو مخزوم بناتنا بالعظائم وتغفلون ، فمشى ولد أبى بكر وولد طلحة الى عمر فأعلموه بذلك وأخبروه بما بلغهم ، فقال لهم والله لا أذكرها فى شعر أبداً ، ثم قال بعد ذلك فيها وكنى عن اسمها قصيدته

يا أم طلحة ان البين قد أفدا قل الثواء لئن كان الرحيل غدا
أمسى العراق لايدرى اذا برزت من ذا تطوّف بالأركان أوسجدا

ولم يزل ينسب بعائشة أيام الحج ويطوف حولها ويتعرض لها وهى تكره أن يرى وجهها حتي وافقها وهى ترمى الجمار سافرة فنظر اليها ، فقالت أما والله لقد كنت لهذا منك كارهة يافاسق فقال

انى وأول ما كلفت بذكرها عجب وهل فى الحى من متعجب
نعت النساء فقلن لست بمبصر شبهاً لها أبداً ولا بمقرب
فمكثن حيناً ثم قلن توجهت للحج موعدها لقاء الأخشب
أقبلت أنظر مازعمن وقلن لى والقلب بين مصدق ومكذب
فلقيتها تمشى تهادى مَوْهِناً ترمى الجمار عشية فى موكب
غراء يُعشي الناظرين بياضها حوراء فى غُلَوَاء عيش معجب
ان التى من أرضها وسمائها جلبت لحينك ليتها لم تجلب

(١) الافرع التام الشعر

ومما يغنى فيه من قوله فى عائشة بنت طلحة

من لقلب أمسى رهيناً معنّى مستكيناً قد شفّه ما أجنّا
اثرشخص نفسى فدت ذاك شخصاً نازح الدار بالمدينة عنّا
ليت حظى كطرْفة العين منها وكثير منها القليل المهنّا

لقى عمر عائشة بنت طلحة بمكة وهى تسير على بغلة لها فقال لها قفى حتى أسمعك ما قلت فيك ، قالت أو قد قلت يافاسق ؟ قال نعم ، فوقفت ، فأنشدها

يا ربة البغلة الشهباء هل لك فى أن تنشُرى ميتاً لا تُرهقى حرجا
قالت بدائك مت أو عش تعالجه فما نرى لك فيما عندنا فرجا
قد كنت حملتنا غيظاً نعالجه فان بعدنا فقد عنّيتنا حِججا
حتى لوَ استطيع مما قد فعلت بنا أ كلت لحمك من غيظ وما نضجا

فقالت لا ورب هذه البَنِيَّة ما عنيتنا طرْفة عين قط ، ثم قالت لبغلتها عدَسْ ، وتمام هذه الأبيات

فقلت لا والذى حج الحجيج له ما مُخ حبك من قلبى ولا نهجا
ولا رأى القلب من شىء يسر به مذ بان منزلكم منا ولا ثلجا
ضنت بنائلها عنه فقد تركت فى غير ذنب أبا الخطاب مختلجا

فلم تزل عائشة تداريه وترفق به خوفاً من أن يتعرض لها حتى قضت حجها وانصرفت الى المدينة فقال فى ذلك

ان من تهوى مع الفجر ظعن للهوى والقلبُ متباعُ الوطن
بانت الشمس وكانت كلما ذكرت للقلب عاودت الدَّرَن
يا أبا الخطاب قلبى هائم فأتمر أمر رشيد مؤتمن
نظرت عينى اليها نظرة تركت قلبى لديها مرتهن
ليس حب فوق ما أحببتها غير أن أقتل نفسى أو أجن

عمر وكلثم بنت سعد المخزومية

كان عمر يهوى كلثم بنت سعد فأرسل اليها رسولا فضربتها وحلقتها وأحلفتها ألا تعاود ، ثم أعادها ثانية ، ففعلت بها مثل ذلك ، فتحاماها رسله ، فابتاع أمة سوداء لطيفة رقيقة وأتى بها منزله فأحسن اليها وكساها وأنسها وعرفها خبره وقال لها ان أوصلت لي رقعة الى كلثم فقرأتها فأنت حرة ولك معيشتك ما بقيت ، فقالت اكتب لي مكاتبة واكتب حاجتك فى آخرها ، ففعل ذلك ، فأخذتها ومضت الى باب كلثم فاستأذنت فخرجت اليها أمة لها ، فسألتها عن أمرها ، فقالت مكاتبة لبعض أهل مولاتك جئت أستعينها فى مكاتبتى وحادثتها وأنشدتها حتى ملأت قلبها ، فدخلت الى كلثم وقالت ان بالباب مكاتبة لم أر قط أجمل منها ولا أكمل ولا آدب ، فقالت ائذنى لها ، فدخلت ، فقالت من كاتبك ؟ قالت عمر بن أبي ربيعة الفاسق فاقرئي مكاتبتى ، فمدت يدها لتأخذها ، فقالت لها لي عليك عهد الله أن تقرئيها ، فان كان منك الىَّ شيء مما أحبه والا لم يلحقنى منك مكروه ، فعاهدتها وأعطتها الكتاب فاذا أوله

من عاشق صب يُسِرُّ الهوى — قد شفَّه الوجد الى كَلْثَم
رأتك عيني فدعاني الهوى — اليك للحَيْنُ ولم أعلم
قتلتنا يا حبذا أنتمُ — فى غير ما جرْم ولا مأْثم
والله قد أنزل فى وحيه — مبيناً فى آيه المحكم
من يقتل النفس كذا ظالماً — ولم يُقِدْها نفسه يظلم
وأنت ثاري فتلافىْ دمى — ثم اجعليه نعمة تنعمي
وحكمى عدلاً يكن بيننا — أوأنت فيما بيننا فاحكمى
وجالسينا مجلساً واحداً — من غير ما عار ولا محرم

وخبريني بالذى عندكم بالله فى قتل امرىء مسلم

فلما قرأت الشعر قالت لها انه خداع ملق وليس لما شكاه أصل ، قالت يامولاتى فما عليك من امتحانه ؟ قالت قد أذنت له وما زال حتى ظفر ببغيته ، فقولي له اذا كان المساء فليجلس فى موضع كذا وكذا حتى يأتيه رسولي ، فانصرفت الجارية فأخبرته ، فتأهب لها ، فلما جاءه رسولها مضى معه حتى دخل اليها وقد تهيأت أجمل تهيئة وزينت نفسها ومجلسها وجلست له من وراء ستر ، فسلم وجلس فتركته حتى سكن ثم قالت اخبرنى يافاسق ألست القائل

هلا ارعويت فترحمى صبا صَدْيان لم تدعى له قلبا
جَشِم الزيارة فى مودتكم وأراد ألاّ ترهقى ذنبا
ورجا مصالحة فكان لكم سلماً وكنت ترينه حربا
يأيها المصفى مودته من لا يزال مسامياً خطبا
لاتجعلن أحداً عليك اذا أحببته وهويته ربا
وصل الحبيب اذا سعفت به واطوِ الزيارة دونه غِبًّا
فلذاك أحسن من مواظبة ليست تزيدك عنده قربا
لا بل يَمَلُّك عند عودته فيقول هاء وطالما لبى

فقال لها جعلت فداك ، ان القلب اذا هوِى نطق اللسان بما يهوى ، وقد تزوجها عمر فولدت منه ابنين أحدهما جوان وماتت عنده

عمر ولبابة

رأى لبابة بنت عبد الله بن عباس امرأة الوليد بن عتبة بن أبى سفيان تطوف بالبيت فراى أحسن خلق الله فكاد عقله يذهب فقال فيها

وَدِّع لُبابة قبل أن تترحلا واسأل فان قلالة أن تسألا

البث بعمرك ساعة وتأنَّها فلعل ما بَخلتْ به أن يبذلا
قال ائتمر ماشئت غير مخالف فيما هَويت فاننا لن نعجلا
لسنا نُبالى حين تقضي حاجة ما بات أو ظل المطى معقَّلا
حتى اذا ما الليل جنَّ ظلامه ونظرت غفلة حارس أن يمحلا
خرجت تأطَّر في الثياب كأنها أيم يَسيب على كثيب أهيلا
رحبَّتْ حين رأيتها فتبسمت لتحيتي لما رأتني مقبلا
وجلا القناع سحابة مشهورة غراء تُغشى الطَّرْف أن يتأملا
فلبثت أرقيها بما لو عاقل يُرْقَى به ما اسطاع ألَّا ينزلا

عمر والثريا بنت على بن عبد الله

وشبب عمر بالثريا بنت على بن عبد الله بن الحرث بن أمية الأصغر من بني عبد شمس بن عبد مناف ، وكان مسهبا بها وكانت عُرضة ذلك جمالا ، وكانت تصيف بالطائف ، وكان عمر يغدو اليها كل غداة اذا كانت بالطائف على فرسه ، فيسأل الركبان الذين يحملون الفاكهة من الطائف عن الأخبار قبلهم ، فلقى يوماً بعضهم فسأله عن أخبارهم ، فقال ما استطرفنا خبراً ، الا أننى سمعت عنه رحيلنا صوتاً وصياحاً على امرأة من قريش اسمها اسم نجم فى السماء وقد سقط عني اسمه ، فقال عمر الثريا ؟ قال نعم ، وكان قد بلغ عمر قبل ذلك أنها عليلة ، فوجه فرسه على وجهه الى الطائف يركضه ملء فروجه وسلك طريق كُداء وهى أخشن الطرق وأقربها حتى انتهى الى الثريا وقد توقعته وهى تتشوف له وتشرف فوجدها سليمة عميمة ومعها أختاها رُضيا وأم عثمان ، فأخبرها الخبر فضحكت وقالت والله أنا أمرتهم لأختبر مالي عندك ، فقال عمر

تشكَّى الكُميت الجرى لماجهدته وبين لو يسطيع أن يتكلما

فقلت له أن ألق للعين قرّة فهان على أن تكِلَّ وتسأما
لذلك أُدني دون خلي رباطه وأوصى به ألاَّ يهان ويكرما
عدمت إذًا وفرى وفارقت مهجتى لئن لم أُقِلْ قرْنًا انِ الله سلما

عمر ورملة بنت عبد الله بن خلف الخزاعية

ومن قوله في رملة بنت عبد الله بن خلف الخزاعية

أُصبح القلب في الحبال رهينا مقْصَدًا يوم فارق الظاعنينا
قلت من أنتم ؟ فصدت وقالت أمبِـــدّ سؤالك العالمينا
فرأت صَرمى الفتاة وقالت خبريه ، منَ آجل من تكتمينا
نحن من ساكنى العراق وكنا قبله قاطنين مكة حينا
قد صدقناك اذ سألت فمن أنـــت ؟ عسى أن يجر شأن شؤونا
ونرى أننا عرفناك بالنعـــت بظن وما قبلنا يقينا
بسواد الثَّنِيَّتين ونعت قد نراه لناظر مستبينا

ولما بلغ الثريا شعره أبلغتها إياه أمّ نوفل وكانت غضبى عليه هجرته ، فقال

قال لي صاحبي ليعلم ما بى أتحب القتول أخت الرباب
قلت وجدي بها كوجدك بالمـا ء اذا مامنعت برد الشراب
مَنْ رسولي الى الثريا ؟ فاني ضقت ذرْعاً بهجرها والكتاب
أزهقت أمّ نوفل اذ دعتها مهجتى ، ما لقاتلي من متاب
حين قالت لها أجيبي فقالت من دعاني ؟ قالت أبو الخطاب
أبرزوها مثل المهاة تهادَى بين خمس كواكب أتراب
فأجابت عند الدعاء كما لبـــى رجال يرجون حسن الثواب
وهى مكنونة تحير منها في أديم الخدين ماء الشباب

دُمية عند راهب ذي اجتهاد   صوروها فى جانب المحراب
ثم قالوا تحبها ؟ قلت بهراً   عدد النجم والحصى والتراب
حين شب القتول والجيد منها   حسن لون يرف كالزِّرياب
ذكرتني من بهجة المشى لما   برزت من دُجنَّة وسحاب
سلبتنى مُجاجة المسك عقلى   فسلوها ماذا أحل اغتصابى ؟
فارجحنَّت فى حسن خلق عميم   تتهادى فى مشيها كالحباب

ومن قوله فيها

مرحباً ثم مرحباً بالتى قا   لت غداة الوداع عند الرحيل
للثريا قولي له أنت همي   ومُنَى النفس خالياً وخليلى

ومنه

زعموا بأن البين بعد غد   فالقلب مما أزمعوا يجف
تشكو وأشكو ما أجد بنا   كل لو شك البين يعترف
حلفوا لقد قطعوا بينهمُ   وحلفت ألفاً مثل ما حلفوا

ومنه

فلوت رأسها ضراري وقالت   لا وعيشى ولو رأيتك متنا
حين آثرت بالمودة غيرى   وتناسيت وصلنا ومللتنا
قد وجدناك اذ خبُرت ملولا   طرِفاً لم تكن كما كنت قلتنا

ومنه

يا خليليَّ سائلا الأطلالا   ومحلا بالروضتين أحالا
وسفاه لولا الصبابة حبسى   فى رسوم الديار ركباً عِجالا
بعد ما أقفرت مِنَ آل الثريا   وأجدَّت فيها النعاج طلالا

ولما أنشد ابن أبي عتيق قوله « من رسولى الى الثريا » قال إياى أراد ، وبى نوه ، لا جرم والله لا أذوق أكلاً حتى أشخص فأصلح بينهما ، ونهض فجاء إلى قوم من بني الدِّيل بن بكر لم تكن تفارقهم نجائب لهم فُرْه يكرونها فاكترى منهم راحلتين وأغلى لهم وركب وركب معه بلال مولاه ، فسار سيراً شديداً ، فقال له بلال أبق على نفسك فان ماتريده ليس يفوتك ، فقال له ويحك « أبادر حبل الود أن يتقضبا ، وما حلاوة الدنيا ان تم الصدع بين عمر والثريا ، فقدما مكة ليلاً غير محرمين فدق على عمر بابه فخرج اليه وسلم عليه ولم ينزل عن راحلته ، فقال له اركب أصلح بينك وبين الثريا فأنا رسولك الذي سألت عنه ، فركب معهما وقدموا الطائف وقد كان عمر أرضى أم نوفل فكانت تطلب له الحيل لاصلاحها فلا يمكنها ، فقال ابن أبي عتيق للثريا هذا عمر قد جشمني السفر من المدينة اليك فجئتك به معترفاً لك بذنب لم يجنه ، معتذراً اليك من اساءته اليك ، فدعيني من التعداد والترداد فانه من الشعراء الذى يقولون مالا يفعلون ، فصالحته أحسن صلح وأتمه وأجمله ، وكروا الى مكة فلم ينزلها ابن أبي عتيق حتي رحل

ولما تزوج الثريا سهيل بن عبد العزيز بن مروان قال عمر

أيها الطارق الذى قد عنانى   بعد ما نام سامر الركبان
زار من نازح بغير دليل   يتخطى اليَّ حتى أتانى

وفيها يقول

أيها المنكح الثُّرَيَّا سُهيلا   عَمْرَكَ اللهَ كيف يلتقيان
هى شامية اذا ما استقلت   وسهيل اذا استقل يمانى

ثم كتب اليها بهذه الأبيات

كتبت اليك من بلدى   كتاب مُوَلَّه كَمِدِ
كئيب واكف العينـ   ـن بالحسرات منفرد

يؤرقه لهيب الشو ق بين السَّحر والكبد

فيمسك قلبه بيد ويمسح شعره بيد

وسألها الوليد بن عبد الملك أتروين من شعر عمر بن أبي ربيعة شيئاً ؟ قالت نعم ، اما انه يرحمه الله كان عفيفاً عفيف الشعر ، أروى قوله

ما على الرسم بالبُلَيَّيْن لو بيَّـ ـن رجع السلام أو لو أجابا

فالى قصر ذي العُشَيرة فالطا ئف أمسى من الأنيس يبابا

اذ فؤادي يهوى الرَّباب وأنَّى الـ ـدهرَ حتى المماتِ أنسى الرَّبابا ؟

وبما قد أرى به حي صدق ظاهري العيش نعمة وشبابا

وحساناً جوارياً خفِرات حافظات عند الهوى الأحسابا

لا يكثرن في الحديث ولا يَتْبَعْـ ـنَ يبغين بالبهام الظرابا (١)

لما تزوج سهيل الثريا ونقلها الى الشام بلغ عمر الخبر ، فأتى المنزل الذي كانت الثريا تنزله فوجدها قد رحلت منه يومئذ ، فخرج في أثرها فلحقها على مرحلتين ، وكانت قبل ذلك مهاجرته لأمر أنكرته عليه ، فلما أدركهم نزل عن فرسه ودفعه الى غلامه ومشى متنكراً حتى مر بالخيمة فعرفته الثريا وأثبتت حركته ومشيته فقالت لحاضنتها كلميه ، فسلمت عليه وسألته عن حاله وعاتبته على ما بلغ الثريا عنه فاعتذر وبكى فبكت الثريا وقالت ليس هذا وقت العتاب مع وشك الرحيل ، فحادثها الى طلوع الفجر ، ثم ودعها وبكيا طويلاً ، وقام فركب فرسه ووقف ينظر اليهم وهم يرحلون ، ثم أتبعهم بصره حتى غابوا وأنشأ يقول

يا صاحبيَّ قفا نستخبر الطَّللا عن حال من حله بالأمس ما فعلا

فقال بالأمس لما أن وقفت به ان الخليط أجدَّ البين فاحتملا

وخادعتك النوى لما رأيتهمُ في الفجر يحتث حادي عيسهم زجِلا

---

(١) البهام جمع بهمة بالفتح وهي أولاد الضأن والمعز والبقر والظراب بالكسر جمع ظرب كفرح وهو الجبل المنبسط يريد أنهن لسن خوادم

لما وقفنا نحييهم وقد صرخت ... هواتف البين واستولت بهم أصلا
صدت بعاداً وقالت للتي معها ... بالله لوميه في بعض الذى فعلا
وحدثيه بما حدثت واستمعى ... لما يقول ولا تُعيي به جدلا
حتى يرى أن ماقال الوشاة له ... فينا لديه الينا كله نقلا
وعرفيه به كالهزل واحتفظى ... في بعض معتبة أن تغضبى الرجلا
فان تهدى به والله يحفظه ... وان أتى الذنب ممن يكره العذلا
لوعندنا اغتيب أو نيلت نقيصته ... ما آب مغتابه من عندنا جذلا
قلت اسمعى فلقد أبلغت في لطف ... وليس يخفى على ذى اللب من هزلا
هذا أرادت به بخلا لأعذرها ... وقد أرى أنها ان تقدم العللا
ما سمى القلب إلا من تقلبه ... ولا الفؤاد فؤاداً غير أن عقلا
أما الحديث الذى قالت أتيت به ... فما عنيت به اذ جاءنى تبلا
ما ان أطعت بها بالغيب قد علمت ... مقالة الكاشح الواشى اذا محلا
انى لأرحبه فيها بسخطته ... وقد يرى أنه قد غر بى زللا

حضر ابن أبي عتيق عمر بن أبي ربيعة وهو ينشد قوله

ومن كان محزوناً باهراق عبرة ... وهى غربها فليأتنا نبكه غدا
نعنه على الإثكال ان كان ثاكلا ... وان كان محزوناً وان كان مقصدا

فلما أصبح ابن أبي عتيق أخذ معه خالداً الخريت وقال له قم بنا الى عمر، فمضيا اليه، فقال له ابن أبي عتيق قد جئناك لموعدك، قال وأى موعد بيننا؟ قال قولك «فليأتنا نبكه غدا» قد جئناك والله لانبرح أوتبكي ان كنت صادقاً أو ننصرف على انك غير صادق، ثم مضى وتركه

قدم عمر الكوفة فنزل على عبد الله بن هلال الذى كان يقال له صاحب ابليس، وكان له قينتان حاذقتان، وكان عمر يأتيهما فيسمع منهما، فقال فى ذلك

يا أهل بابل ما نفست عليكم ... من عيشكم إلا ثلاث خلال

ماء الفُرات وطيب ليل بارد وغناء مُسْمِعِتين لابن هلال

خرج عمر والحرث بن خالد وأبو ربيعة المُصْطلق ورجل من بني مخزوم وابن أخت الحرث يشيعون بعض خلفاء بني أمية ، فلما انصرفوا نزلوا بسَرِف فلاح لهم برق ، فقال الحرث كلنا شاعر فهلموا نصف البرق ، فقال أبو ربيعة

أَرِقت لبرق آخر الليل لامع جرى من سناه ذو الربى فيتابع

فقال الحرث

أرقت له ليل التمام ودونه مَهامِهُ مَوْماة وأرض بلاقع

فقال المخزومي

يضيء عضاه الشوك حتى كأنه مصابيح أو فجر من الصبح ساطع

فقال عمر

أيا رب لا آلو المودة جاهداً لأسماء فاصنع بي الذي أنت صانع

ثم قال مالي وللبرق والشوق

نظر عمر في الطواف الى امرأة شريفة أحسن خلق الله صورة فذهب عقله عليها وكلمها فلم تجبه فقال فيها

الريح تسحب أذيالا وتنشرها يا ليتني كنت ممن تسحب الريح

كيما تجر بنا ذيلا فتطرحنا على التي دونها مغبرَّة شوح

أنَّى بقربكمُ أم كيف لي بكمُ هيهات ذلك ما أمست انا روح

فليت ضعف الذي ألقى يكون بها بل ليت ضعف الذي ألقى تباريح

احدى بُنَيات عمى دون منزلها أرض بقيعانها القيصوم والشيح

فبلغها شعره فجزعت منه ، فقيل لها اذكريه لزوجك فانه سينكر عليه قوله ، فقالت كلا والله لا أشكوه الا الى الله ، ثم قالت اللهم ان كان نوه باسمي ظالماً فاجعله طعاماً للريح ، فضرب الدهر ضرباته ، ثم انه غدا يوماً على فرس فهبت ريح فنزل فاستتر بسَلَمَة نعصفت الريح فخدشه غصن منها فدَمِي ووَرِم به ومات من ذلك

شعراء أسد بن عبد العزى

جعفر بن الزبير

هو جعفر بن الزبير بن العوام الأسدي من أسـد بن عبد العزى بن قصى ابن كلاب ، من شعره وفيه غناء

هل فى ادكار الحبيب من حرج … أم هل لهمّ الفؤاد من فرج
أم كيف أنسى رحيلنا حُرُما … يوماً حللنا بالنخل من أمَجَ
يوم يقول الرسول قد أذنت … فأت على غير رِقبة فلج
أقبلت أسـمى الى رحالهمُ … فى نفحة من نسيمها الأرِج

شهد جعفر مع أخيه عبد الله حربه وقاتل يوم قتل عبد الله حتى جمد الدم على يده ، وفي ذلك يقول

لعمرك انى يوم أجلت ركائبى … لأطيب نفساً بالجلاد لدى الركن
ضنين بن خلفى شحيح بطاعتي … طِراد رجال لامطاردة الحصَن(١)
غداة تحامتنا تُجيب وغافق … وهمدان تبكى من مطاردة الطبن

كانت بينه و بين أخيه عروة معاتبة ، فقال فى ذلك

لا تلحيَنِّى يا ابن أمى فاننى … عدو لمن عاديت يا عرو جاهد
وفارقت اخوانى الذين تتابعوا … وفارقت عبد الله والموت عاند
ولولا يمين لا أراك أبرها … لقد جمعتنا بالقباء المقاعد

ومن قوله يرثى ابناً لأسماء بنت مصعب بن ثابت

---

(١) جمع حصان

أهاجك بَيْنٌ من حبيب قد احتمل ... نعم ففؤادى هائم العقل مختبل
وقالوا صُحَيْرات اليمام وقدموا ... وابلهم من آخر الليل فى النفل
مررن على ماء العُشيرة والهوى ... على مَلَلٍ يالهف نفسى على ملل
فتى السن كهل الحلم يهتز للندى ... أمر من الدِّفلى وأحلى من العسل

غزا صالح بن جعفر أرض الروم فقال فيه جعفر

قد راح يوم السبت حتى راحوا ... مع الجمال والتُّقَى صـلاح
من كل حى نفر سماح ... بيض الوجوه عرب صحاح
وفزعوا وأخذ السـلاح ... مصاعب يكرهها الجراح

ولجعفر شعر كثير قد نحل عمر بن أبى ربيعة بعضه ودخل فى شعره

لما تزوج الحجاج وهو أمير المدينة بنت عبد الله بن جعفر بن أبى طالب أتى رجل سعيد بن المسيب فذكر له ذلك ، فقال انى لأرجو ألا يجمع الله بينهما ولقد دعا داع بذلك فابتهل وعسى الله فان أباها لم يزوج الا الدراهم ، فلما بلغ ذلك عبد الملك بن مروان أبرد البريد الى الحجاج وكتب اليه يغلظ له ويقصِّر به ويذكر تجاوزه قدره ويقسم بالله لئن هو مسها ليقطعن أحب أعضائه اليه ويأمره بتسويغ أبيها المهر وبتعجيل فراقها ، ففعل ، فما بقى أحد فيـه خير الا سره ذلك ، وقال جعفر بن الزبير في ذلك

وجدتَ أميرَ المؤمنين ابنَ يوسف ... حيًّا من الأمر الذى جئت تنكف
ونبئت أن قد قال لمـا نكحتها ... وجاءت به رسل تَخُبّ وتوجف
سـتعلم انى قد أنفت لما جرى ... ومثلك منـه عمرَكَ اللهَ يأنف
ولولا انتكاس الدهر ما نال مثلها ... رجاؤك اذ لم يرجُ ذلك يوسف
أبنت المصفى ذي الجناحين تبتغى ... لقد رمت خطباً قدره ليس يوصف

قال شعيب بن جعفر فرض سـليمان بن عبد الملك للناس فى خلافته وعرض

الفرض ، وكان ابن حزم فى ذلك محسناً يعلم الله أنه كان يأمر الغلمان أن يتطاولوا على خفافهم ليرفعهم بذلك ، قال شعيب فقال لي سليمان من أنت ؟ فقلت شعيب ابن جعفر بن الزبير ، فقال ما فعل جعفر ؟ فقال له عمر بن عبد العزيز على الكبر والعيال ، فقال قل له يحضر الباب ، فقال لجعفر احضر الباب ، فدعا المنذر بن عبيدة بن الزبير فرفع معه رقعة وأرسله الى عمر بن عبد العزيز فيها يقول

يا عمر بن عمر بن الخطاب ان وقوفى من وراء الباب
يعدل عندي حطْم بعض الأنياب

فلما قرأها عمر عذره عند سليمان ، فأمر له سليمان بألف دينار فى دينه وألف دينار معونة على عياله وبرقيق من البيض والسودان وبكثير من طعام الجارى وأن يدّان من الصدقة بألفى دينار ، فلما جاء ذلك الى أبى قل أعطيته من غير مسألة ؟ فقيل نعم ، قال الحمد لله ما أسخى هذا الفتى ، ما كان أبوه سخياً ولا ابن سخى ولكن هذا كأنه من آل حرب ثم قال

فما كنت دياناً فقد دنت اذ بدت صكوك أمير المؤمنين تدور [1]
بوصل الى الأرحام قبل سؤالهم وذلك أمر فى الكرام كثير

قال بعض من روى هذا الخبر عن ابن الزبير والناس لا ينظرون فى عيب أنفسهم وما كان لجعفر أن يعيب أحداً بالبخل وما رؤى في الناس أبخل منهم أهل البيت ولا من عبد الله بن الزبير خاصة وما كان فيهم جواد غير مصعب

---

(١) كان السلطان بالمدينة اذا جاء مال الصدقة ادّان من أراد من قريش منه وكتب بذلك صكاً عليه فيستعبدهم به ويختلفون اليه ويدارونه فاذا غضب على أحد منهم استخرج ذلك منه حتى كان هرون الرشيد فكلمه عبد الله بن مصعب فى صكوك بقيت من ذلك على غير واحد من قريش فأمر بها فخرقت عنهم فهذه هى الصكوك التي يردها

عبد الله بن مصعب

هو عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير الأسدى

شاعر فصيح ذو عارضة وبيان واعتبار من الرجال وكلام فى المحافل وقد نادم أوائل الخلفاء من بنى العباس وتولى لهم أعمالاً ، وكان خرج مع محمد بن عبد الله ابن الحسن بالمدينة على أبي جعفر المنصور فيمن خرج من آل الزبير ، فلما قتل استتر عنه وقيل بل كان استتاره مدة يسيرة الى أن حج أبوجعفر وأمن الناس جميعاً

قال محمد بن أبى فروة دخلت على المهدى واذا هو يكتب على الأرض بفحمة قول عبد الله بن مصعب

فان يحجبوها أو يَحُلْ دون وصلها ... مقالة واش أو وعيد أمير

فلم يمنعوا عينيَّ من دائم البكاء ... وان يخرجوا ما قد أجنَّ ضميرى

وما برح الواشون حتى بدت لنا ... بطون الهوى مقلوبة لظهور

الى الله أشكو ما ألاقى من الجوى ... ومن نفس يعتادنى وزفير

ويقول أحسن والله عبد الله بن مصعب ما شاء

ومن قوله وقد رأى على الحَوْءب جارية من بنى بكر بن كلاب فهو يهاوهو يته

يا جُمْل للواله المستعبر الصب ... ماذا تضمن من حزن ومن نَصَب

أنى أتيحت له للحين جارية ... فى غير ما أَمَم منها ولا كَثَب

جارية من أبى بكر كلفت بها ... ممن يحل من الحصباء والحَوَب

من غير معرفة الا تعرضها ... حيناً كذلك ان الحين مجتلب

قامت تعرض لى عمداً فقلت لها ... يا عمرَكَ الله هل تدرين ما حسبى

فخطبها ، وكانت العرب لا تنكح الرجل امرأة شبب بها قبل خطبته ، فلم يزوجوها إياه فلما يئست منه قالت

اذا خَدِرتْ رجلي ذكرت ابن مُصْعَبٍ فان قيل عبد الله خف فتورها
ألا ليتني صاحبت ركب ابن مصعب اذا مطاياه اتلأبّت صدورها
لقد كنت أبكي واليمامة دونه فكيف اذا التفت عليه قصورها

وكان لها إخوة شُرُسٌ غُيُرٌ فقتلوها

وكان مصعب يلقب عائد الكلب لقوله

مالي مرضت فلم يعدني عائد منكم ويمرض كلبكم فأعود
وأشد من مرضي عليَّ صدودكم وصدود عبدكمُ عليَّ شديد

ومن قوله وفيه غناء

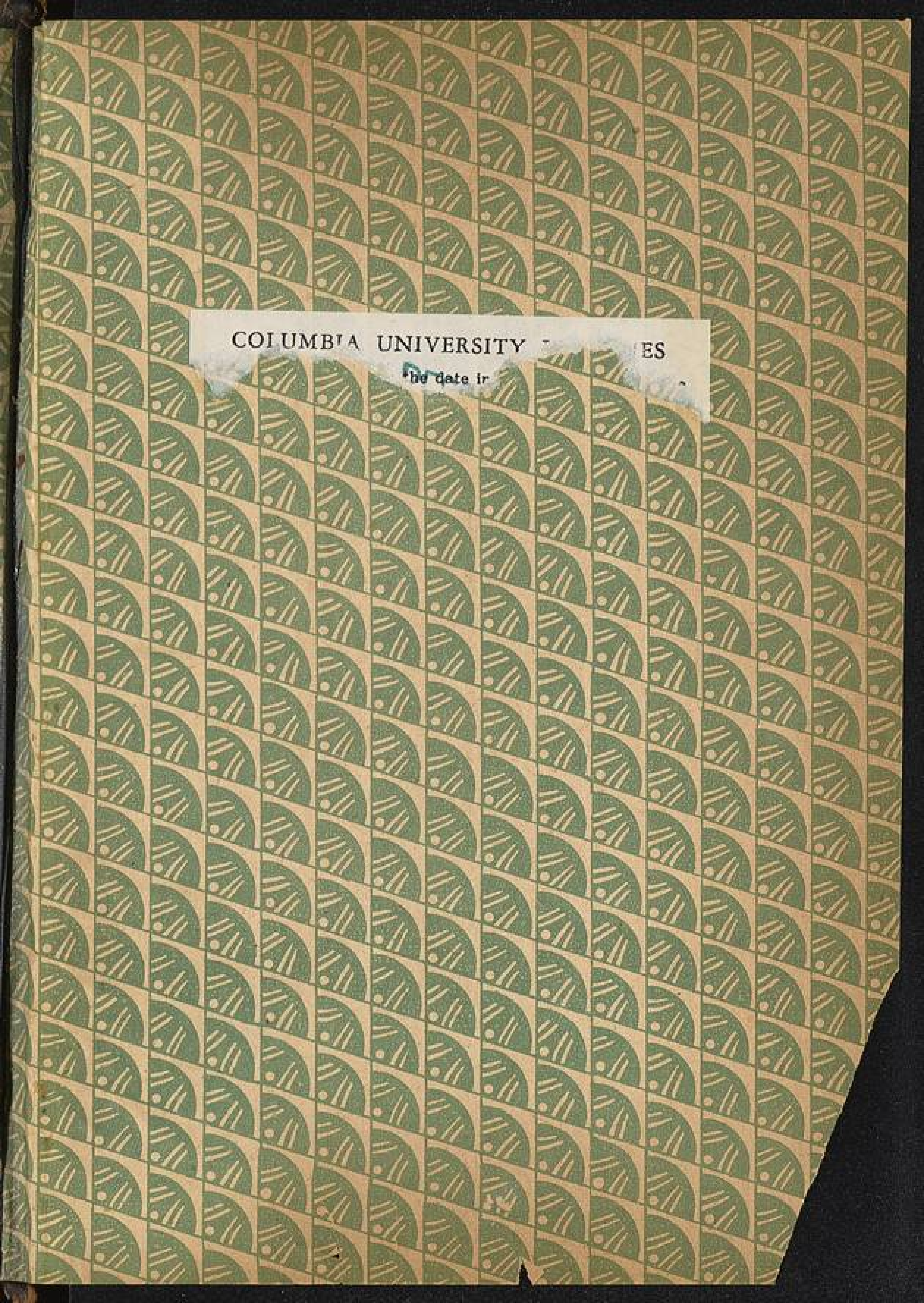
شطت ولم تَئُب الرباب ولعل للمكلف الثواب
نعب الغراب فراعني للبين اذ نعب الغراب

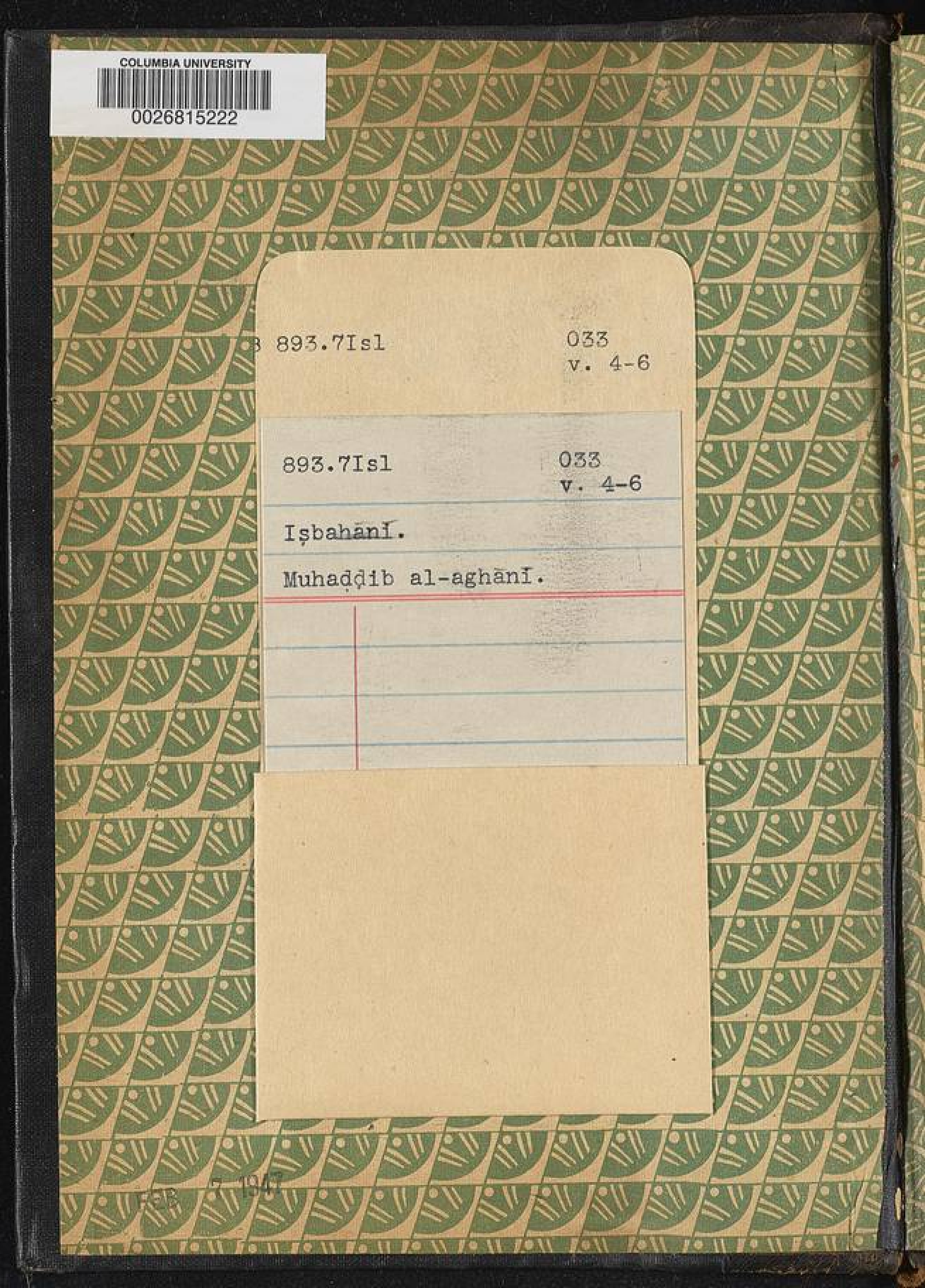
تم الجزء السادس

ويليه الجزء السابع وأوله

شعراء بني عبد مناف

فهرس الكتاب


COLUMBIA UNIVERSITY
ES


COLUMBIA UNIVERSITY
0026815222
B 893.7Isl
033
v. 4-6
893.7Isl
033
v. 4-6
Işbahānī.
Muhaḍḍib al-aghānī.
FEB 7 1947

